

كُنُوزُ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

# مُقَدِّمَةُ أَبِرْخَلِيدُون

وَهَيْب  
الجزء الأول

مِنْ  
كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ  
فِي  
أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاَصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

تدقيق  
المقام عبد الله البُسَّافِي

تشكيل  
العلامة رشيد عطية

مَكْتَبَةُ لُبْنَان











# مُقَدِّمَةُ أَبْنِ خَالِدُونَ

كتابُ قد حوى دَررَ المعاني      وبحر فوائد للمقتنيه  
فلا تعجب لهاتيك المباني      فان البحر كل الدرّ فيه

المطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٨٧٩

وطبعت ثانية سنة ١٨٨٦

ثم طبعت ثالثة بالشكل الكامل سنة ١٩٠٠

الطبعة الرابعة - مكتبة لبنان - ١٩٩٠

جميع الحقوق محفوظة

رقم الكتاب 01 R 160110



كُنُوزُ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

# مُقَدِّمَةُ أَبْنِ خَلْدُون

وَهِيَ  
الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مِنْ  
كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

فِي  
أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ  
وَمَنْ عَاَصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

تَدْقِيقُ  
الْمَعْلَمِ عَبْدِ اللَّهِ الْبُسَّانِيِّ

تَشْكِيلُ  
الْعَلَّامَةِ رَسِيدِ عَطِيَّهِ

مَكْتَبَةُ لُبَّان



## مُحتَوَيَات الكتاب

و	- تمهيد بقلم الدكتور خضر الجواد
٣	- الغاية من وضع الكتاب وإهدائه
	المُقدِّمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بما يعرض للمؤرخين من
٩	المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها
	الكتاب الأول في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر
	والتغلُّب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك
٣٥	من العلل والأسباب
٤١	- الفصل الأول: في العمران البشريّ على الجملة...
١٢٠	- الفصل الثاني: في العمران البدوي...
١٥٤	- الفصل الثالث: في الدول العاتمة والملك والخلافة وال مراتب السلطانيّة...
٣٤٢	- الفصل الرابع: في البلدان والأمصار وسائر العمران...
٣٨٠	- الفصل الخامس: في المعاش ووجوهه...
٤٢٩	- الفصل السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطُرقه...

## تمهيد

### مَلايح من حياة وعصر

• بين ولادة ابن خلدون في تونس سنة ١٣٣٢ م / ٧٣٢ هـ، ووفاته في القاهرة سنة ١٤٠٦ م / ٨٠٨ هـ، تَساوَقت أحداث ونُذت مُتغيّرات :

واجه المغرب، الذي كان قد تَفكَّك إلى دُوئلات بعد انهيار الدَّولة المُوَحَّدية، ثوراتٍ وفتنًا؛ وتعاقبت فيه الدُّول سريعا، وتنازع فيه السُّلطان أَسْرُ بحيث حاول كلُّ أمير أن يتوسَّع على حساب غيره. ولم يَنأ ابن خلدون عن هذه التَّقَلُّبات بل عاين وعانى... وكان مثَالُ الدَّاهية، يَتَقَرَّب من أمير ثم يَتَقَلِّب عليه ممَّا أدَّى به تارة إلى الحِجَابَة (الوزارة) وتارة إلى السَّجن.

• ضاق به المغرب، فجاء إلى المشرق وتصدَّر للإقراء بالجامع الأزهر، وانصرف للتدريس والمشیخة والقضاء، وكان يقضي بالمذهب المالكيّ. ورغب في استقدام عائلته إلى القاهرة فغرق أفرادها في الطُّريق، وتلك كانت الكارثة الثانية التي تصيبه، أمَّا الأولى فكانت هلاك والديه بالطاعون ولم يَكُن قد نَجَّاوز ابن خلدون الثامنة عشرة.

• وبالرَّغم من مصائبه، ومتاعب الأسر في المغرب على يد السُّلطان أبي عنان، وفي المشرق على يد تيمورلنك، ومشاغله السَّياسية والقضائية، فقد أتمَّ في القاهرة - إضافةً وتعديلاً وتدقيقًا - مُصنَّفه التاريخيَّ الضَّخم «كتاب العبر» الذي كان قد شرع في تأليفه سنة ١٣٧٤ م في قلعة ابن سلامة، وذلك في فترة من فترات يأسه السَّياسي.

• كانت عُمُوجات عصره وتمخُّضات أحداثه مَعينًا ثَرًا - غزارةً وسرعةً - يَرَفد تاريخه، وكانت خبرته وثقافته ومقدرته العقلية عاِمِلًا من عواِمِل تاريخ عصره، فجاءت مُقدِّمته في التاريخ علامة فارقة في تأريخ التاريخ وتاريخ التأريخ.



## ملايح من فكر وإبداع

• شاء أن يُدوّن تاريخ المغرب فقدّم له بنظرة اجتماعيّة فلسفيّة كانت محلّ إكبار معظم العلماء.

حدّد مفهومه للتاريخ والغاية من كتابة التاريخ ثمّ تصدّى للمؤرّخين الذين سبقوه آخذًا عليهم الاكتفاء بظاهر التاريخ من دون باطنه، وبسرد الأخبار من دون تحليلها ونقدها، ثمّ حدّد أسباب الوقوع في الخطأ كولوج النفس بالغرائب، والذهول عن تبدّل الأحوال، والتشيع والتملّق والذهول عن مقاصد المؤرّخين، والجهل بطبيعة الأشياء، وطبيعة الواقع الاجتماعيّ... وكأنا به يرتقي بالتاريخ إلى قواعد العامّة نافذًا إلى عمق فلسفته النقديّة.

• تناول العمران البشريّ فكان من القائلين بأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع يحيا في جماعة لحاجته إلى الغذاء والدّفاع عن النفس. لكنّ الاجتماع الإنسانيّ لا يستقيم بدون وازع أيّ سلطة، لأنّ البشر مفلطرون على التّغالب والتّفاهر، والعلبة لا تكون إلّا للوازع/ الحاكم الأقوى عصبيّة، وقوّة عصبيّته تتأمّن بوفرة صفاته وكثرة المتعصّبين له والملتفّين حوله بالنّسب والتّحالف والولاء.

• ولن يكون اجتماع وسلطة ودول وأنظمة إلّا على بُعّة جغرافيّة مُعيّنة، والبُقع الجغرافيّة مُتفاوتة الأقاليم ممّا يُؤدّي إلى تفاوت في أجسام البشر وأخلاقهم وعقولهم وأديانهم.

• شدّد على الأثر الجغرافيّ من غير أن يُهمل العوامل العرقيّة والنّفسية والاجتماعيّة...

• عالّج مسألة البداوة والحضارة، فلاحظ أنّ البداوة أسبق من الحضارة، وأنّ المُجتمع ينتقل من البداوة إلى الحضارة عن طريق التّموّ الاقتصاديّ، وتقليد البدو للحضر.

تناول السّلطة في العمران البدويّ وأجياها بدءًا بالباقي فالمباشر فألقّلد فالهادم. ثمّ عالّج نشأة الدّولة في العمران الحضريّ بأجياها من احتفاظ بالبداوة، إلى تحوّل إلى الحضارة، فسيان البداوة؛ وأطوارها التي تمرّ بها، من الظّفر بالبعيّة إلى الانفراد بالمجد إلى الفراغ والدّعة، إلى القنوع والمسلّة فالإسراف والتّبذير اللّذين يُؤدّيان إلى الانهيار الشامل.

• عَرَّجَ على وجوه المعاش فبحث في التَّجَارَة مشيراً إلى ما يُسمَّى اليوم بقانون الغرض والطلب، وإلى أنَّ التاجر بحاجة إلى نفوذ سياسيٍّ وإلَّا تَطَاوَلَ عليه الناس، ولذلك يَتَقَرَّبُ من السُّلْطَان؛ وألَمَحَ إلى أنَّ تعاطي السُّلْطَان بالتَّجَارَة يكون سبباً في إفسادها؛ وربط بين قيمة الثَّيِّء والجهد المبذول. وخصَّص الصَّنَاعَة ببحث وافٍ مُتناوِلاً بساطتها عند البدو وتعقيدها عند الحضَر، وميَّز بين صناعات شريفة وأخرى يدويَّة، وكيف أنَّ الصَّنَاعَات تكون مُربحة في العمران الحضريِّ بمقدار ما تكون في الكماليَّات... ولا يفوتنا التَّنويه بأنَّ ابن خلدون تَطَرَّقَ إلى العلوم الثَّقَلِيَّة والعقليَّة واللِّسَانِيَّة.

• من خلال هذه اللَّمحات الخاطفة تتجلَّى لنا شخصيَّة ابن خلدون الفُذَّة:

فهو قد سبق تارد (G. Tarde 1844-1904) إلى نظريَّة التَّقْلِيد والمحاكاة؛ ودوركايم (E. Durkheim 1858-1917) إلى مَقْوَلة القَسْر الاجتماعيِّ؛ وفيكو (G. Vico 1668-1744) إلى دراسة طبائع الأمم وتعيين نظام التاريخ العامِّ؛ وكونت (A. Comte 1798-1857) وكيتهل (A. Quételet 1796-1874) إلى ريادة عِلْم الاجتماع؛ ومكيافلي (N. Machiavel 1469-1527) إلى وسائل الحُكْم وأنواع السُّلْطَة؛ وروسو (J.J. Rousseau 1712-1778) إلى أنَّ التَّنَشُّفَ نعمة وحياة الحضارة مَفْسَدَة للأخلاق؛ ومونتسكيو (Montes-quiou 1689-1755) وراتزل (F. Ratzel 1844-1904) إلى أهميَّة العامل الجغرافيِّ في التَّأثير على البشر...

ونظراً لمكانة ابن خلدون في الفكر العربيِّ والعالميِّ، ومُساهمته في بعث التُّراث وحِفْظهِ، نشرت مكتبة لبنان مُقدِّمته في أوائل السَّبعينات بتحقيق المُستشرق الفرنسيِّ كاترمير (E.M. Quatremère 1782-1852) في ثلاثة أجزاء؛ وتقوم اليوم بنشر المُقدِّمة مُدَقَّقةً ومُشكَّلةً تشكيلاً كاملاً في جزء واحد؛ على يد عالِمَيْن جليلَيْن هما الشَّيخ عبدالله البستاني ورشيد عطية.

الدكتور خضر الجواد

بيروت في ٢٧/٧/١٩٨٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنِيِّ بِلُطْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَلْدُونٍ  
الْحَضْرَمِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ \* وَلَهُ الْأَلَمَاءُ  
الْحَسَنَى وَالْعُتُوتُ \* الْعَالَمُ فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النُّجُومُ أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* الْقَادِرُ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَمُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَبًا \* وَاسْتَعْمَرْنَا  
فِيهَا أَجْيَالًا وَأَمَمَّا وَبَسَرْنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا \* وَكُنُفْنَا الْأَرْحَامَ وَالْبُيُوتَ \* وَبَكَّيْنَا  
أَرْزُقَ وَالْقُوتَ \* وَبَيَّلْنَا الْأَبَامَ وَالْوُقُوتَ \* وَتَعَوَّرْنَا الْآجَالَ الَّتِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْقُوتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالنَّبَاتُ \* وَهُوَ أَلْمِي الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَحَصَّنَ لِفَصْلِهِ  
السُّكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالسُّبُوتُ \* وَبَيَّنَّ زُحُلَ وَالْيَهُمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى الْإِلَهِوَاتِ فَحَايِهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرِهِ وَلِعَدْوِهِم  
الشَّمْلُ الشَّيْبُ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا أَتَصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَبْخُوتُ \* وَأَنْقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْخُوتُ \* وَسَلَّمْ كَثِيرًا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَدَاوَلَتْ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ وَتَشَدَّدَ الْبَلَاءُ  
الرَّكَابُ وَالزَّحَالُ \* وَتَسَمَّوْا إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوْقَةَ وَالْأَغْفَالَ \* وَتَتَنَاقَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْبَالُ \* وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله الیهموت هو النون أي المحوت الذي على ظهره الأرض السابعة ويسمى أيضاً لرتبنا كما في الزمر وروح البيان وللهجة ومعلوم أن بينه وبين زحل الذي هو في الفلك السابع بونا بعيداً وقال الشهاب المحلاني في حاشيته على الیضاوي أنه في أول سورة نون الیهموت بفتح الهمزة الغنية وسكون الهاء وما أشهر من أنه بالهاء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحنفي ومثله في روح البیان قوله نصر المهوريني أقره المصحح إلى لي

عَنِ الْآيَامِ وَالذُّلُولِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولِ \* تَنَمُّوْ فِيهَا الْأَقْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
الْأَمْثَالُ \* وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَّهَا الْأَخْفَالُ \* وَتُودِي لَنَا شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ  
تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ \* وَاسْتَسَعَّ لِلذُّلُولِ فِيهَا التَّنَاطُقُ وَالنَّجَالُ \* وَعَمَّرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
بِهِمُ الْأَرْتَجَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ الرُّوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقُ \* وَتَعْلِيلٌ لِلْكَاثِنَاتِ  
وَمُبَادِيهَا دَقِيقُ \* وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ \* وَأَسْبَابُهَا عَمِيقُ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
عَرِيقُ \* وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَبْعَثَ فِي عُلُوبِهَا وَخَلِيقُ \* وَإِنْ فَعُولُ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْأَسْلَامِ قَدْ  
اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْآيَامِ وَجَمَعُوهَا \* وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ الدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا \* وَخَلَطُوهَا  
الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسِ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَخَارَفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضْغَمَةَ  
لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا \* وَاقْتَفَى تِلْكَ الْأَثَارَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ \* وَاتَّبَعُوهَا \* وَأَدَّوْهَا إِنَّا كَمَا  
سَمِعُوهَا \* وَلَمْ يَلَاظِطُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يَرَاعُوهَا \* وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ  
الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا \* فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلُ \* وَطَرَفُ النَّقِيجِ فِي الْغَالِبِ كَلِيلُ \* وَالْغَلَطُ وَالْوَهْمُ  
نَسِيبُ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلُ \* وَالْقَلِيدُ عَرِيقُ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَائِلُ \* وَالطُّفْلُ عَلَى الْفَنُونِ  
عَرِيبُ طَوِيلُ \* وَمَرَعَى الْجَوْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخَيْمُ وَيْلُ \* وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
يُضْغَفُ بِشَهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّافِلُ إِنَّمَا هُوَ يُعْمَلُ وَيَنْقَلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ  
إِذَا تَمَقَّلَ \* وَالْعِلْمُ يَجْلُوهَا صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَيَصْفُلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّرَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيجَ الْأَمِّ وَالذُّلُولِ فِي  
الْعَالَمِ وَسَطَرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشَّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمُعْتَبَرَةِ \* وَاسْتَفْرَعُوا دَوَائِينَ  
مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمُتَنَازِعَةِ \* ثُمَّ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يَجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنْمَالِ \* وَلَا  
حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ \* مِثْلَ ابْنِ إِسْحَوَ وَالطَّبَرِيِّ وَابْنِ أَكْبَاجٍ وَرَحْمَةِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ  
وَسَيْفِ بْنِ عَمْرِو الْأَسَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْجُمَاهِيرِ \* وَإِنْ كَانَ  
فِي كُتُبِ السَّعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْمَرِ وَالْعَمَّيْنِ مَا دُوَّ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
وَمَشْهُورٍ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ \* إِلَّا أَرَّ الْكَافَّةَ أَخْصَنَهُمْ يَقْبُولُ أَخْبَارَهُمْ \* وَاقْتَفَاءً  
سُنَنِهِمْ فِي التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاحِ آثَارِهِمْ \* وَالنَّافِدِ الْبَصِيرِ قَطَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ فِيهَا يَنْقَلُونَ  
أَوْ أَعْتَابَرِهِمْ \* فَلِئِمَّ مَرَانِ طَبَائِعِ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ



وَالْأَثَارُ \* ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لَهُوَ لَاءَ عَامَةِ الْمَنَاجِمِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ  
عَدَدَ الْإِسْلَامِ فِي الْآفَاقِ وَالْمَمَالِكِ \* وَتَنَاوُلَهَا الْبَعِيدِ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الْمَاخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الْعِلَّةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ \* وَالْأَمْرَ الْعَمَمِ \* كَالْمَسْجُودِ فِي  
وَمَنْ نَحَا مَتْنَهُ وَجَاهُ مِنْ نَعْدِهِ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَتْ فِي الْعُمُومِ  
وَالْإِخَاطَةِ عَنِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ \* فَقَبِدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ \* وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْهِهِ وَقَطْرِهِ \*  
وَأَقْصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانٍ مُوَزَّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةِ  
بِهَا وَابْنُ الرَّفِيقِ مُوَزَّخُ أُفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةِ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَيْرَوَانِ \* ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
هَؤُلَاءِ إِلَّا مُقَلِّدٌ \* وَبَلِيدُ الطَّبَعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُتَبَلِّدٌ \* بَلَسَجَ عَلَى ذَلِكَ الْمِنَوَالِ \* وَبِغْتَدِي  
مِنْهُ بِالْمِثَالِ \* وَيَذْهَلُ عَمَّا أَحَالَتْهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَاسْتَبَدَلَتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
وَالْأَجْيَالِ \* فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صُورًا  
فَقَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا \* وَصِفَاهَا أَنْتَضَيْتْ مِنْ أَعْمَادِهَا \* وَمَعَارِفُ تَسْتَنْكِرُ لِلْجَهْلِ  
بِطَارِفِهَا وَتِلَادُهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَوَادِثُ لَمْ تَعْلَمْ أَصُولُهَا \* وَأَنْوَاعُ لَمْ تَعْتَبَرْ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحْقَقَتْ  
فُصُولُهَا \* يُكْرَرُونَ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمُنْدَاوَلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* اتِّبَاعًا لِمَنْ عُبِيَ مِنْ  
الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَأْنِهَا \* وَيُغْفَلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا \* بِمَا أُعْزِرَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
تَرْجُمَانِهَا \* فَتَسْتَعْجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ يَكَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدَّوَلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا \*  
مُحَافَظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صَدَقًا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِإِبْدَائِهَا \* وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
رَفَعَ مِنْ رَأْيِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا \* وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْقَى النَّاطِرُ مُتَطَلِّعًا بَعْدُ  
إِلَى أَفْقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُفْتَشًّا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاوُلِهَا أَوْ تَعَاقُفِهَا \*  
بَاحِثًا عَنِ الْمَقْنِعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُلِهَا \* حَسْبَمَا نَذَكُرُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْإِكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ  
مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِمَعْرُوفِ الْغُبَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
ابْنُ رَشِيْقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْأَثَرَ مِنَ الْعَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوَ لَاءَ  
مَقَالٍ \* وَلَا يَبْدُو لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ \* لَمَّا أَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ  
الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَلَمَّا طَالَمَتْ كُتُبُ الْقَوْمِ \* وَسَبَرَتْ غَوْرَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَهَبَتْ عَيْنَ الْقَرِيحَةِ مِنْ

سَنَةِ الْفَلَةِ وَالنَّوْمِ \* وَسَمِعْتُ الضَّعِيفَ مِنْ تَقْسِي وَأَنَا الْمُفْلِسُ أَحْسِنُ السَّوْمِ \* فَأَنشَأْتُ  
فِي التَّارِيخِ كِتَابًا \* وَفَعَلْتُ بِهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجَالِ حِجَابًا \* وَفَصَّلْتُ فِي  
الْأَخْبَارِ وَالْأَعْيَارِ بَابًا بَابًا \* وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوَّلِيَةِ الدُّوَلِ وَالْعِمْرَانِ عِلَلًا وَأَسْبَابًا \* وَبَيَّنْتُ  
عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ \* وَمَلَأُوا أَكْثَافَ الصُّوَاخِي  
مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْقِصَارِ \* وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَالْأَنْصَارِ \* وَهُمَا الْعَرَبُ وَالْبَرْبُرُ \* إِذْ هُمَا أَلْجِلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَا وَهُمَا  
وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَحْقَابِ مَثْوَاهُمَا \* حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا \* وَلَا يَعْرِفُ  
أَهْلُهُ مِنَ أَجَالِ الْأَدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا \* فَهَذَبْتُ مَنَاحِيَهُ تَهْدِيدًا \* وَفَرَّقْتُ لِقَاءَهُمَ الْعُلَمَاءَ  
وَالْخَاصَّةَ قُرْبِيًا \* وَسَلَكْتُ فِي تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيهِهِ مَسْلَكًا غَرِيبًا \* وَأَخْتَرَعْتُ مِنْ بَيْنِ  
الْمَنَاحِي مَذْهَبًا عَجِيبًا \* وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْلُوبًا \* وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمُرَانِ وَاللَّعْمَدِ  
وَمَا يَبْعُرُ فِي الْأَجْمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَةِ مَا يُمْتَعِكُ بِعِلَالِ الْكُؤَانِ  
وَأَسْبَابِهَا \* وَيُعْرِفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا \* حَتَّى تَنْزِعَ مِنَ التَّقْلِيدِ يَدَكَ \*  
وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ وَمَا بَعْدَكَ وَرَتَّبْتُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَتَلَّةٍ كُتُبَ  
الْمُقَدِّمَةِ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِمَقَالِطِ الْمَوَارِخِ  
الْكِتَابَ الْأَوَّلُ فِي الْعُمُرَانِ وَذِكْرِ مَا يَبْعُرُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَةِ مِنَ  
الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِذَلِكَ مِنَ الْعِلَالِ وَالْأَسْبَابِ  
الْكِتَابَ الثَّانِي فِي أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَدَوْلِهِمْ مُنْذُ مَبْدَأِ الْخَلْقَةِ إِلَى هَذَا  
الْعَهْدِ وَفِيهِ مِنَ الْإِلْمَاعِ بَعْضُ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدَوْلِهِمْ مِثْلَ الْبَطِ  
وَالسَّرِيَانِيِّينَ وَالْفَرَسِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقُبْطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرِجِيَّةِ  
الْكِتَابَ الثَّلَاثُ فِي أَخْبَارِ الْبَرْبُرِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ زَنَانَةٍ وَذِكْرِ أَوَّلِيَّتِهِمْ وَأَحْيَالِهِمْ  
وَمَا كَانَ يَدِيرُ الْمَغْرِبَ خَاصَّةً مِنَ الْمُلْكِ وَالدُّوَلِ ثُمَّ كَانَتْ الرَّحْلَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ  
لَا جُنُبًا أَنْوَارُهُ \* وَوَعَاءُ الْفَرَضِ وَالسُّنَةِ فِي مَطَافِهِ وَمَزَارِهِ \* وَأَوَّلُ قُوفٍ عَلَى آثَارِهِ فِي دَوَائِبِهِ  
وَأَسْفَارِهِ \* فَزِدْتُ مَا نَقَصَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ بَنَاتِ الدِّيَارِ \* وَدَوَّلِ التُّرْكِ فِيمَا  
مَلَكَوهُ مِنَ الْأَفْطَارِ \* وَأَتَبَعْتُ بِهَا مَا كَتَبْتُهُ فِي تِلْكَ الْأَنْظَارِ \* وَأَدْرَجْتُهَا فِي ذِكْرِ  
الْمُعَاصِرِينَ لِتِلْكَ الْأَجَالِ مِنَ أُمَمِ النَّوَاحِي \* وَمُلُوكِ الْأَمْصَارِ وَالصُّوَاخِي \* سَالِكًا سَبِيلَ

الْاِخْتِصَارَ وَالتَّلْخِصَ \* مُتَّبِعًا بِالْمَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَوِيسِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى التَّمُومِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْخَلِيقَةِ اسْتِعْمَالًا \* وَذَلِكَ مِنْ  
الْحِكْمِ النَّافِزَةِ صَعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عِلَالًا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صَوَاتًا \*  
وَلِلنَّارِ نَجْرًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبْرِ \* وَالْإِلْمَاعِ  
بَيْنَ حَاصِرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكُبَرِ \* وَأَفْصَحَ بِالذِّكْرِ وَالْعَبْرِ \* فِي مُبْتَدَأِ الْأَحْوَالِ وَمَا  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبْرِ \* سَمِيَهُ كِتَابَ الْعَبْرِ \* وَدِيَوَانَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالْبَرْبِ \* وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا فِي أَوَّلِهِ الْأَجْبَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتَعَاصَرَ الْأَمْرُ الْأَوَّلِ \* وَأَسْبَابِ التَّصَرُّفِ وَالْحَوَلِ \* فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْمَلَلِ \*  
وَمَا يَرْضَى فِي الْأَعْمَرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعِزَّةٍ وَذَلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقِلَّةٍ \* وَعِلْمٍ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالٍ مُتَقَالِمَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَدْوٍ وَحَضَرٍ \* وَوَاقِعٍ وَمُنْتَظَرٍ \*  
إِلَّا وَاسْتَوْعَبْتُ جَمْلَهُ \* وَأَوْضَحْتُ بَرَاهِينَهُ وَعِلَلَهُ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فَذَا بِمَا مَنَنْتُهُ مِنْ  
الْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ \* وَالْحِكْمِ الْمَحْجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَتَمَّنْتُ بِهَا مُوقِنٌ بِالْقُصُورِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
الْعُصُورِ مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْدِ الْبِضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمُنْتَسِعَةِ الْقَضَاءِ \* فِي النَّظَرِ بَعَيْنِ الْإِنْتِقَادِ لَا بَعَيْنِ الْإِرْتِضَاءِ \* وَالْتِمَادِ لِمَا  
يَعْتَرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَرْجَاهُ \* وَالْإِعْرَافِ  
مِنْ اللُّؤْمِ مَنَاجَاهُ \* وَالْحُسْنَى مِنَ الْإِخْوَانِ مَرْجَاهُ \* وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَتَرْتُ مَشْكَاةَ الْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ مِرَاحَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي قَضَاءِ الْمَعَارِفِ نَظَافَتَهُ وَأَدْرَنْتُ  
سِيَاحَهُ \* أَمْتَحَنْتُ بِهَذِهِ النُّسخَةَ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِزَانَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَمَامِ الْعَلَّامِ الْعَلَّامِ \* الْقَائِمِ

(١) قوله أمتحت بهذه النسخة منه المحج وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله تحت  
وبعد قوله وأدرت سياحه ونصها المكتبة التي لم يعين الاستبصار فنوته . ولحظ مداركو  
الشريفة معيار الصحيح وقانونه . ويزيدونه في المعارف عما دونة . فسرحت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل انعام في الوجود . بين التهامم والوجود . في العلماء الركع والوجود . والمخلفا اهل الكرم والوجود .  
حتى وقف الاختيار بساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ابدي المساعي والاعتقال .

المهاد \* النجلى منذ خلع النمام \* ولوث العمائم \* بجلى القانت الزاهد \* المتوشح  
 بزكاء النمايق \* والنحاميد \* وكرم الشايل والشواهد \* بأجل من القلائد \* في محور  
 الأولاد \* المتناول بالعمز القوي الساعد \* وأجد المواني الساعد \* والتجد الطارف  
 والتالد \* ذائب ملصقهم الراسي القواعد \* الكرم المعالي والمصاعد \* جامع  
 أشبات العلوم والقوائد \* وناظم ثمل المعارف والشوارد \* ومظهر الآيات الربانية \*  
 في فضل المدارك الأنيانية \* بفكره الناقب النافذ \* ورأيه الصحيح المعانيد \* التبر  
 المذهب والعقائد \* نور الله الواضح المرشيد \* ونعمته العذبة الموارد \* ولطفه الكامن  
 بالمراصد للشدائد \* ورحمته الكريمة العقائد \* التي وسعت صلاح الزمان الفاسد \*  
 واستقامة المانيد من الأحوال والقوائد \* وذهبت بالخطوب الأوايد \* وخلفت على الزمان  
 رونق الشبايب العانيد \* وحنجته التي لا يبطلها إنكار الجاحد ولا شبهات المعانيد \* ( أمير  
 المؤمنين ) أبي فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان المعظم الشهير الشهيد أبي سالم  
 إبرهيم ابن مولانا السلطان المقدس أمير المؤمنين \* أبي الحسن ابن السادة الأعلام  
 من ملوك بني مرين \* الذين جددوا الدين \* ونهجو السبيل للمهتدين \* ونهجو آثار البغاة  
 المفسدين \* أفاء الله على الأمة ظلاله \* وبلغه في نصر دعوة الإسلام أماله \* وبعثه  
 إلى خزائنهم الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حاضرة ملصقهم  
 وكرسي سلطانهم \* حيث مقر الهدى \* ورياض المعارف خضلة الندى \* وفضاء الأسرار

بمندي الممارف مشرفة فيه غرر الجمال . وحداث العلوم الوارفة الظلال . عن اليمن والشمال . فانفتحت  
 مطي الأفكار في عرصاتها . وجلوت محاسن الانظار على منصاتها . وانفتحت بديوانها . واصبر ابوانها . واطلعت  
 كوكبا وقادا في افق خزانها وصوانها . ليكون آية للعقلاء بهدون بمارها . ويعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في اثاره . وهي خزانة مولانا السلطان الامام الجامع الفاتح المأمون . الى اخر العوت المذكورة هنا  
 ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الطاهر المقدس  
 الي عبدالله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين . الي يحيى الي بكر ابن الخلفاء الراشدين . من  
 ائمة الموحدين الذين جددوا الدين . وبهجوا السبل للمهتدين . ونهجو السبل المفسدين . من المحسنة  
 والمعتدين . سلاة الي المحض والقاروق . والنبعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق . والنور  
 المتلالي من تلك الاشعة والبروق . فارودته من مودعها الى العلي بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خضلة الندى . الى اخر ما ذكر هنا الا انه لم يقد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة المنقولة من خزانة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ



الرَّابَّةُ قَسِيحُ الْمَدَى \* وَالْإِمَامَةُ الْفَارِسِيَّةُ الْكَرِيمَةُ <sup>(١)</sup> الْعَزِيزَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِنَظَرِهَا  
الشَّرِيفِ \* وَفَضْلِهَا الْعَنِيِّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَهَادًا \* وَتَفَسُّحُ لَهُ فِي جَانِبِ  
الْقَبُولِ آمَادًا \* فَتَوْضُحُ بِهَا أَدَلَّةٌ عَلَى رُسُوحِهِ وَأَشْهَادًا \* فِي سَوْقِهَا تَنْفُذُ بَضَائِعِ الْكُتَابِ  
وَعَلَى حَضَرَتِهَا تُصَكِّفُ رُكَّابُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةِ نَتَائِجُ  
الْقَرَائِمِ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوْزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوَفِّرُنَا حُظُوظَ الْمَوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
وَيُعِينُنَا عَلَى حَقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّائِقِينَ فِي مِيدَانِهَا الْمُحَلِّينَ فِي حَوْمَتِهَا \* وَيُضْفِي  
عَلَى أَهْلِ إِبَالَتِهَا \* وَمَا أَوْيَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عِدَالَتِهَا \* لُبُوسَ حِمَايَتِهَا وَحُرْمَتِهَا \*  
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْتَوْلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهِهَا \* بَرِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الْفُتْلَةِ  
وَشُبُهَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاملاء لما يعرض للمؤرخين

من المغالط وذكر شيء من اسبابها

اعْلَمْ أَنَّ فَنَ التَّارِيخِ فَنٌّ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْفَوَائِدِ شَرِيفُ الْغَايَةِ إِذْ هُوَ يُوقِنُنَا  
عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأَمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ . وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِرِّهِمْ . وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ  
وَسِيَاسَتِهِمْ . حَتَّى نَتِمَّ فَائِدَةُ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرْوُمُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا فَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً وَحُسْنَ نَظَرٍ وَلَثْبَتِ بَفَضِيَانِ بِصَاحِبَيْهَا إِلَى  
الْحَقِّ وَيَتَكَيِّانَ بِهِ عَنِ الْمَزَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ  
النَّقْلِ وَلَمْ يُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ النُّعْمَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ  
الْإِنْسَانِيِّ وَلَا فَيَسَ الْقَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُوْمَنْ فِيهَا مِنْ  
الْعَثُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ  
وَأَيُّمَةِ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَفْلًا  
أَوْ سَمِينًا وَلَمْ يَبْرُزُوهَا عَلَى أَصُولِهَا وَلَا قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَبَرُوهَا بِمِيقَارِ الْحِكْمَةِ  
وَالْوُفُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ

وَنَاهُوا فِي يَدَيْهِ الْوَهْمَ وَالْغُلْطَ وَلَا سِيَّما فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا  
عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَطْنَةُ الْكُذِبِ وَمَطْنَةُ الْمَدْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى  
الْأَصُولِ وَغَرَفِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي  
جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْصَاهُمْ فِي التَّيِّهِ بَعْدَ أَنْ أَجَازَ مِنْ بَطْنِ  
حَمَلِ السِّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ أَبْنِ عَشْرِينَ فَمَا قَوْفَهَا فَكَانُوا سِتْمَائَةً أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَبَذَلُ  
فِي ذَلِكَ عَنْ تَقْدِيرِ مَضَرِّ وَالشَّامِ وَأَتَسَاعَاهُمَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجُيُوشِ لِكُلِّ  
مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَامِيَةِ نَتَسَعُ لَهَا وَنَقُومُ بِوُظَائِفِهَا وَتَضِيقُ عَمَّا قَوْفَهَا  
تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْقَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَأْلُوفَةُ ثُمَّ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجُيُوشِ أَلْبَالِغَةُ  
إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَبْقَعَ بَيْنَهَا زَحَفٌ أَوْ قِتَالٌ لِضِيقِ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا  
إِذَا أَصْطَفَتْ عَنْ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَكَيْفَ يَقْتَتِلُ هَذَانِ الْقَرِيبَانِ  
أَوْ تَكُونُ غَلْبَةُ أَحَدِ الصَّنِينَ وَثِقِيٍّ مِنْ جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ وَالْخَاصِرِ  
يَشْهَدُ لِنَاكَ فَالْمَادِي أَشْبَهَ بِالْآلِي مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ وَلَقَدْ كَانَ مَلِكَ الْفَرَسِ وَدَوْلَتُهُمْ  
أَعْظَمُ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ لِنَاكَ مَا كَانَ مِنْ غَلْبِ بَخْتَنَصَرٍ لَهُمْ وَالتَّهَامِيَةِ  
بِلَادَتِهِمْ وَأَسَدِيَّةِ لِهَيْ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَغْرِبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَاعِدَةٍ مَلِكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ  
مِنْ بَعْضِ عُمَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرْزُبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَخُومِهَا وَكَانَتْ  
مَمَالِكُهُمْ بِالْعِرَاقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابِ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جُيُوشُ الْفَرَسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا  
كَانَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُتَبَوِّعٌ عَلَى مَا نَقَلَهُ سَيْفٌ قَالَ وَكَانُوا  
فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتِي أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنْ جُمُوعُ رُسُومِ الَّذِينَ زَحَفَ  
بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِينَ أَلْفًا كُلُّهُمْ مُتَبَوِّعٌ وَأَيْضًا فَلَوْ بَلَغَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَأَتَسَعَ نِطَاقُ مَمْلَكَتِهِمْ وَأَنْقَسَعَ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْمَمَالِكِ  
فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَامِيَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قَلْبِهَا وَكَثَرَتِهَا حَسَبًا نَبِيْنُ فِي فَصْلِ  
الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَتَسَعِ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأَرْضِ وَفِلَسْطِينَ  
مِنَ الشَّامِ وَبِلَادِ يَثْرَبَ وَخَيْبَرَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى  
وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ أَبَاءَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ

بَنَ قَاهَتَ يَفْتَحَ الْمَاءَ وَكَسَرَهَا أَبْنَى لَأَوِي بِكْسَرِ الْوَاوِ وَفَتَحَهَا أَبْنَى بِقُوبٍ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وَلَدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمِّ مَائَتِينَ وَعَشْرِينَ سَنَةً نَدَّاهُمْ مُلُوكُ  
 الْقِبْطِ مِنَ الْفَرَاعَةِ وَبَعْدَ أَنْ يَنْشَعِبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجَبُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعْدُ أَيْضًا إِذْ لَبَسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدَ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّاءَ بْنِ عَوْفِيذَ  
 وَيُقَالُ أَبْنَى عَوْفِيذَ أَبْنَى بَاعَزَ وَيُقَالُ بُوْعَزَ بْنِ سَلَمُونَ بْنِ تَحْشُونَ بْنِ عَمِينُودَ وَيُقَالُ  
 حَمِينًا ذَابَ بْنِ رَمَ بْنِ حَضْرُونَ وَيُقَالُ حَضْرُونَ بْنِ بَارَسَ وَيُقَالُ بَارَسَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ  
 يَهُوَبَ وَلَا يَنْشَعِبُ النَّسْلُ فِي أَحَدَ عَشَرَ مِنَ الْوُلْدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْيَمِّ مَائَتِينَ وَالْآلَافَ قُرْبًا بِكُونِ وَأَمَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عَقُودِ الْأَعْدَادِ  
 فَبَعْدُ وَأَعْتَبِ ذَلِكَ فِي الْخَاصِرِ الْمُشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعْمَهُمْ بَاطِلًا وَتَقْلَهُمْ  
 كَذِبًا وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْأَسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مُقَرَّبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ فَرَسَ مُرْتَبِطَةً عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى خِرَافَاتِ الْعَامَةِ مِنْهُمْ وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ (عليه السلام) وَمُلْكِهِ  
 كَانَ عِزُّهُمْ دَوْلَتُهُمْ وَاتَّسَاعَ مُلْكُهُمْ هَذَا وَقَدْ تَجِدُ الْكَافَّةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدُّوَلِ الَّتِي لِعَهْدِهِمْ أَوْ قُرْبًا مِنْهُ وَتَفَاضَلُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إِحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَائِلَاتِ وَخَرَجِ  
 السُّلْطَانِ وَتَفَقَّاتِ الْمُتَرَفِّينَ وَبَضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوسِرِينَ تَوَقَّلُوا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ  
 الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسَ الْأَغْرَابِ فَإِذَا اسْتَكْشَفْتَ أَصْحَابَ الدَّوَاوِينَ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتَنْبَطْتَ أَحْوََالَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي بَضَائِعِهِمْ وَفَوَائِدِهِمْ وَاسْتَجَلَيْتَ عَوَائِدَ الْمُتَرَفِّينَ فِي  
 تَفَقُّاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِغْتَارَ مَا بَعْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَوْلُوعِ النَّفْسِ بِالْفَرَائِبِ وَسُهُولَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْفَتْلَةِ عَلَى الْمَتَعَقِبِ وَالْمُنْتَقِدِ حَتَّى لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَاٍ وَلَا عَمْدٍ وَلَا  
 يَطَالِبُهَا فِي الْخَبَرِ بِتَوْسِطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُرْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَقْيِيشٍ فَيُرْسِلُ عَنَانَهُ وَيَسِيمُ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكَذِبِ لِسَانَهُ وَبَعْدَ آيَاتِ اللَّهِ هَذَا وَيَشْتَرِي لَمْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ

سَبِيلَ اللَّهِ وَحَسْبَكَ بِهَا صَفَقَةٌ خَاسِرَةٌ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً  
فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ نَهْمٌ كَانُوا يَبْزُونَ مِنْ قُرَاهِمِ بِالْيَمَنِ  
إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَزِيرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِيَّ بْنَ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
مُلُوكِهِمُ الْأَوَّلُ وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَخْضَعَ فِي  
الْبَزِيرِ وَأَنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأَمْنِ حِينَ سَمِعَ رَطَانَتَهُمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَزِيرَةُ فَأَخَذَ  
هَذَا الْأَمْنُ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حَيْثُ كَانَ لَمَّا أَنْصَرَفَ مِنَ الْمَغْرِبِ حَجَرَ هُنَاكَ قِبَائِلَ  
مِنْ حَمِيرٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَاخْتَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْهَاجَةٌ وَكِتَامَةٌ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّبْرِيُّ  
وَأَلْجَزَ جَانِيَّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَأَبْنُ الْكَائِي وَالْبَيْهَقِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْهَاجَةَ وَكِتَامَةَ مِنْ حَمِيرٍ  
وَتَأْتِيهِمْ نَسَابَةُ الْبَزِيرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأَذْعَارِ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
قَبْلَ أَفْرِيقِيَّ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ وَكَذَلِكَ  
ذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ يَاسِرِ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَجِدْ  
فِيهِ مَسَلَكًا لِكثَرَةِ الرَّمْلِ فَارْجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي نَجْعِ الْآخِرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ بَسْتَسَافٍ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ الْكَبِيَانِيَّةِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْصِلَ وَأَذْرَبِيحَانَ  
وَأَقْبَى التُّرْكَ فَهَزَمَهُمْ وَأَخْضَعَ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَى ثَلَاثَةً  
مِنْ بَنِيهِ بِإِلَادِ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الْأَصْغَدِ مِنْ بِلَادِ أُمِّ التُّرْكِ وَرَاءَ النَّهْرِ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
فَمَلَكَ الْأَوَّلُ الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْمَفَازَةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِيَّ الَّذِي  
غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَخْضَعَ فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَ جَمِيعًا بِالْغَنَائِمِ وَتَرَكُوا بِلَادَ  
الصِّينِ قِبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ فَمُتُّمْ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّالِثُ إِلَى فِلسْطِينِيَّةٍ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّحْفَةِ عَرَبِيَّةٌ فِي الْوَهْمِ وَالْعَلَطِ  
وَأَشْبَهَ بِأَحَادِيثِ الْفَقْصِ الْمَوْضُوعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ مُلُوكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانُوا يَجْزِرُونَ الْعَرَبَ  
وَقَرَاهِمَ وَكُرْسِيَهُمْ بِصَنَاعَةِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ فَجَعَلُوا  
الْهِنْدَ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرَ فَارِسَ أَلْهَابُطَ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ  
أَلْهَابُطَ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ الْجُغْرَافِيَا  
فَلَا يَجِدُ الْمَالِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسَلَكِ هُنَاكَ مَا  
بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدَرُ مَرَحِلَتَيْنِ فَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعُدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسَلَكِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ مُمْتَنِعٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ كَانَ يَتْلَى الْأَعْمَالِ الْعَمَالِقَ وَكَتَعَانَ بِالشَّامِ وَالْقَبْطِ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلَأَ الْعَمَالِقَ بِمِصْرَ وَمَلَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّامَ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا مَلَكَوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَأَيْضًا فَالْشُّقَّةُ مِنَ النُّجَرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ وَالْعُلُوفَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ أَحْتَا جَرُوا إِلَى أَنْتِهَابِ الزَّرْعِ وَالنَّعْمِ وَأَنْتِهَابِ الْإِلَادِ فَيَا يَمْرُؤَنَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَةِ عَادَةً وَإِنْ نَقَلُوا كِفَايَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَنِي لَهُمُ الرُّوْحُ لِتَنْقِلَهُ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَمْرُؤُوا فِي طَرِيقِهِمْ كُلِّهَا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكَوْهَا وَدَوَّخُوهَا لِتَكُونَ الْمَبْرَةَ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ الْعَسَاكِرَ تَمْرُجُ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْيِبَهُمْ فَتَحْضِلُ لَهُمُ الْمَبْرَةَ بِالسَّامَةِ فَذَلِكَ أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَيَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُعْجِزُ السَّالِكَ فَلَمْ يُسْتَمْعَ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى كَثَرَةِ سَالِكِيهِ وَمَنْ يَقْصُ طَرِيقَهُ مِنَ الرُّكْبِ وَالْفُرْجِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ جِهَةٍ وَهُوَ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْقَرَابَةِ تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى تَقْلِهِ . وَأَمَّا غَزْوُهُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ وَارْضَ التُّرْكِ وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعُ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشُّقَّةَ هُنَا أَبْعَدُ وَأَثَمَ فَارِسَ وَالرُّومَ مُعْتَرِضِينَ فِيهَا دُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ مَلَكَوا بِلَادَ فَارِسَ وَلَا بِلَادَ الرُّومِ وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ النُّجَرَيْنِ وَالْحَبِيرَةِ وَالْحَبِيرَةِ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْمَالِ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأَذْعَارِ مِنْهُمْ وَكَيْكَاوُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكِبَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبَعِ الْأَصْنَرِ أَبِي كَرِيبَ وَبَسَاسِفَ مِنْهُمْ أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطُّوَّائِفِ بَعْدَ الْكِبَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمُجَاوَزَةِ أَرْضِ فَارِسَ بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَرِضَةِ مِنْهُمْ وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَاتِ مَعَ بَعْدِ الشُّقَّةِ كَمَا مَرَّ فَلَا أَخْبَارَ بِذَلِكَ وَاهِيَةٌ مَدْخُولَةٌ وَهِيَ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَنَقَلَ لِمَكَانِ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَهِيَ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ يَثْرِبَ وَالْأَوْسَ وَالْخَزَرَجِ أَنَّ تَبَعَ الْآخِرِ سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَمَّا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصِحُّ غَزْوُهُمْ إِلَيْهَا بِوَجْهِ لِمَا تَقَرَّرَ فَلَا نَتَقَنَّ بِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأْمَلِ الْأَخْبَارَ وَاعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَانِينِ

## فصل

وَأَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَقُ فِي الْوَهْمِ مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَقْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرَمَ اسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصَنَتِ  
بِأَنْهَازَاتِ عِمَادِ أَيِّ أَطَاطِينَ وَيَنْقُولُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عُوصِ بْنِ إِرَمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدُ  
وَشَدَادُ مَلَكًا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَكَ شَدِيدُ فَوُضِعَ الْمَلَكُ لَشَدَادٍ وَدَانَتْ لَهُ مُلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَفَّ الْجَنَّةَ فَقَالَ لِابْنَيْنِ مِثْلَهَا قَبْنَى مَدِينَةَ إِرَمَ فِي مَحَارَى عَدَنَ فِي مَدَّةِ ثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ  
وَكَانَ عُمْرُهُ تِسْعَ مِائَةِ سَنَةٍ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبَرَجَدِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمَطْرُودَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
مَمْلَكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالْعَالِبِيُّ وَالزَّمْخَشَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْمَفْسِرِينَ  
وَيَنْقُولُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ بْنِ الْأَصْحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَحَمَلَ  
مِنْهَا مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبَرُهُ مُعَاوِيَةَ فَأَحْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَحَثَ عَنْ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَهُ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ وَسَيَدُخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرُ أَشْقَرُ قَصِيرُ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ ثُمَّ التَفْتُ فَأَبْصَرْتُ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ مِنْ يَوْمَئِذٍ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَمَحَارَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْيَمَنِ وَمَا زَالَ عُمْرَانُهُ مُتَعاقِبًا  
وَالْأَدِلَاءُ تَقْصُ طُرُقَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبَرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرُسَتْ مِنَ الْأَنْثَارِ لَكَانَ أَشْبَهَ إِلَّا  
أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ مَلَكُوهَا  
وَقَدْ بَنَتْهُيَ الْهَدْيَانُ يَبْعِضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا بَعُثُوا عَلَيْهَا أَهْلَ الزِّيَاضَةِ وَالسَّحْرِ مَزَاعِمُ  
كُلِّهَا أَشْبَهَ بِالْخَرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمَفْسِرِينَ عَلَى ذَلِكَ مَا اقْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْإِغْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِفَةُ إِرَمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ بِنَاءٌ وَرَفَعَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةً ابْنُ الزُّبَيْرِ عَادُ إِرَمَ عَلَى الْإِضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْحِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْأَفَاقِصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكَلْبِ الْمَنْقُولَةِ

فِي عِدَادِ الْمُصْحَكَاتِ وَإِلَّا فَأَلْعَمَادُ فِي عِمَادِ الْأَخْيَةِ بَلِ الْخِيَامُ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينُ فَلَا يَدْعُ فِي وَضْعِهِمْ بَأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينُ عَلَى الْعُمُومِ بِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ قُوَّتِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا وَإِنْ أَضِيفَتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَلَى  
 إِضَافَةُ الْفَصِيلَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا نَقُولُ فُرَيْشُ كِنَانَةَ وَالْبَاسُ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ نِزَارٌ وَأَيُّ  
 ضُرُورَةٍ إِلَى هَذَا التَّحْمِيلِ الْبَعِيدِ الَّذِي نَحْمِلُ لِتَوْجِيهِهِ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْوَاهِيَةِ  
 الَّتِي يُزَكِّي كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِبُعْدِهَا عَنِ الصَّحِيحَةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ  
 مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبِرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخِيهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدِ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِكَلْفِهِ بِمَكَانِهِمَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِبَاهُمَا الْخَمْرَ أَذِنَ لَهُمَا فِي  
 عَقْدِ الزَّكَاحِ دُونَ الْخُلُوعِ حَرْصًا عَلَى أَجْنَائِهِمَا فِي تَجْلِسِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَلَّتْ عَلَيْهِ فِي  
 النَّاسِ الْخُلُوعُ بِهِ لِمَا شَغَفَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَاقَعَا (زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ) فَحَلَّتْ وَوُثِّي  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضَبَ وَهَيَّاتُ ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبَوِيهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيْنَةٌ إِلَّا أَنْ بَعَثَ رَجُلًا هُمُ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظَمَاءُ  
 أَلَمَلَةٍ مِنْ بَعْدِهِ . وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخَلَفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ (صَلَّمَ)  
 ابْنَةَ خَلِيفَةٍ أَخْتُ خَلِيفَةٍ مُحْفُوفَةٍ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةُ النَّبَوِيَّةُ وَنُحْبَةُ الرَّسُولِ وَنُحُمُوتِهِ  
 وَإِقَامَةُ أَلَمَلَةٍ وَتَوَارُخِي وَمَهِيْطُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةٌ عِنْدَ بِيَدِ أَوْدَةِ الْعُرُوبَةِ  
 وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَائِعِ النَّوَاحِشِ فَأَيْنَ يُطْلَبُ الصُّونُ وَالْعِفَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا أَوْ أَيْنَ تُوجَدُ الطَّهَارَةُ وَالذَّكَاةُ إِذَا أَفْقَدَا مِنْ بَيْتِهَا أَوْ كَيْفَ تَلْعَمُ نَسَبُهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَنَدَسُ شَرَفِهَا الْعَرَبِيِّ بِمَزَلَى مِنْ مَوَالِي النُّجْمِ بِمَلِكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفَرَسِ  
 أَوْ بَوْلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمَرَةَ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ فُرَيْشٍ وَغَايَتُهُ أَنْ جَذَبَتْ دَوْلَتَهُمْ بِضَعْفِهِ  
 وَضَعِ أَيْبِهِ وَاسْتَخَاصَّتْهُمْ وَرَفَقَتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يَسْرِعُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يُصْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بَعْدِ هِمَّتِهِ وَعُظَمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمُنَاطِلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 النَّصِيفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عُظَمَاءِ لُؤْلُؤِ زَمَانِهِ لَاسْتَنْصَكَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَاسْتَنْكَرَهُ وَجَّعٌ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَيْنَ قَدَّرَ الْعَبَّاسَةَ  
 وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا نَكَبُ الْبِرَامِكَةَ مَا كَانَ مِنْ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاجْتِهَانِهِمْ

أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْبَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلِبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَشَارَكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مَلَكَهِ فَقَعُظَتْ أَثَارُهُمْ وَبَعْدَ  
صِيَتِهِمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطَهَا بِالرُّؤَسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَخْتَارُوا هَا عَمَّنْ  
سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَقِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ  
وُلْدِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَاكِحًا فِيهَا  
أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِالْمَتَاكِيبِ وَدَفْعُهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانِ آبِيهِمْ يَحْيَى مِنْ كِفَالَةِ هَارُونَ وَلِيِّ  
عَهْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ حَتَّى شَبَّ فِي جُجْرِهِ وَدَرَجَ مِنْ عُسْهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ بِأَبَتِ  
فَتَوَجَّهَ الْأَيْثَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظُمَتِ الدَّلَالَةُ مِنْهُمْ وَأَنْسَطَ أَلْبَاهُ عِنْدَهُمْ وَانْصَرَفَتْ  
نَحْوُهُمُ التُّوجَرَةُ وَخَصَعَتْ لَهُمُ الرُّقَابُ وَفُضِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَخَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَفْصَى  
التَّغْوِيمِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَحَفَاتُ الْأُمَرَاءِ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ التَّزَلُّفِ وَالْإِسْتِمَالَةِ  
أَمْوَالُ الْجَبَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْعَةِ وَعَظَمَاءِ الْقَرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمُ الْمَنِينَ وَكَسَبُوا  
مِنْ يُونَاتِ الْأَشْرَافِ الْمَعْدَمَ وَفَكُّوا الْعَاثِي وَمُدِحُوا بِمَا لَمْ يَمُدِّحْ بِهِ خَلِيفَتُهُمْ وَأَسْتَوْا  
لِعُفَاتِهِمْ الْجَوَائِزَ وَالْأَصْلَاتِ وَأَسْتَوَلُوا عَلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ مِنَ الْأَضَوَاحِي وَالْأَمْصَارِ فِي  
سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْتَوْا الْبَطَانَةَ وَأَحْقَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَعْصَا أَهْلَ الْوِلَايَةِ فَكَشَفَتْ  
لَهُمْ وَجُوهُ الْمَنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مِهَادِهِمُ التَّوْبِيرُ مِنَ الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّعَابَةِ حَتَّى  
لَقَدْ كَانَ بَنُو خَطْبَةِ أَخْوَالِ جَعْفَرٍ مِنْ أَعْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفُهُمْ لِمَا وَفَّرَ فِي نَفْسِهِمْ  
مِنَ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحِمِ وَلَا زَعَتُهُمْ أَوَّاصِرُ الْقَرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ تَوَاشِي  
الْغِيَرَةِ وَالْإِسْتِنكَافِ مِنَ الْحَجَرِ وَالْأَنْفَةِ وَكَانَ الْحُقُودُ الَّتِي بَعَثَتْهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ الدَّلَالَةِ  
وَانْتَهَى بِهَا الْأَضْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْخُفَالَةِ كَقِصَّتِهِمْ فِي يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ الْمُلَقَّبِ بِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ  
الْخَارِجِ عَلَى الْمَتَّصِرِ وَيَحْيَى هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَنْزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ  
عَلَى أَمَانَ الرَّشِيدِ بِخَطِّهِ وَبَدَّلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَجَعَلَ أَعْتَقَالَهُ يَدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ فَبَسَهُ مُدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّلَالَةُ عَلَى  
تَحْلِيلَةِ سَبِيلِهِ وَالْإِسْتِنْدَادِ بِجَلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِلِدِمَاءِ أَهْلَ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةً عَلَى السُّلْطَانِ  
فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ أَمَّا وَشِي بِهِ إِلَيْهِ فَظَنَ وَقَالَ أَطْلَقْتَهُ فَأَبْدَى لَهُ وَجْهَهُ



الْأَسْتَحْسَانَ وَأَسْرَمَهَا فِي نَفْسِهِ فَأَوْجَدَ السَّبِيلَ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ وَفَوْزِهِ حَتَّى ثَلَّ عَرْشُهُمْ  
وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِمْ نَمْلَهُمْ وَخَسَفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارِهِمْ وَذَهَبَتْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ بِأَيُّهُمْ  
وَمَنْ تَأَمَّلْ أَخْبَارَهُمْ وَأَسْتَقْصَى سِيرَ الدَّوْلَةِ وَسِيرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْآثَرِ مُبَدِّدَ الْأَسْبَابِ  
وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ فِي مُفَاوِضَةِ الرَّشِيدِ عَمَّ جَدِّهِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَأْنِ تَكْيِثِهِمْ  
وَمَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ فِي كِتَابِ الْعُقَدِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَصْحَمِيِّ لِلرَّشِيدِ وَالْفَضْلِ بْنِ  
يَحْيَى فِي سَمْعِهِمْ لِنَفْسِهِمْ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَتْهُمْ الْعَبِيرَةُ وَالْمُنَافَسَةُ فِي الْأَسْتِدْبَارِ مِنَ الْخُلَيفَةِ قَمْنِ  
ذُوْنِهِ وَكَذَلِكَ مَا تَحِيلَ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبَيْطَانَةِ فِيمَا دَسَّوْهُ لِلْمَغْنَمِ مِنَ الشُّعْرِ أَخْبِيَالًا عَلَى  
إِسْمَاعِيلَ الْخُلَيفَةِ وَتَحْرِيكَ حَفَائِظِهِ لَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزَ نَأْمًا تَعِدُّ وَشَفَتْ أَنْفُسًا مِمَّا نَجِدُ

وَأَسْتَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَدُّ

وَإِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ إِنِّي عَاجِزٌ حَتَّى بَعَثُوا بِأَمْثَالِ هَذِهِ كَلِمَتٍ غَيْرَتِهِ  
وَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ بِأَسْ أُنْقِيَامِهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ وَأَمَّا مَا تُؤْمَرُ  
بِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مُعَاوَرَةِ الرَّشِيدِ الْحَمَرِ وَأَقْرَبَانَ سُكْرِهِ بِسُكْرِ التَّدْمَانِ فَخَاشَا اللَّهُ مَا  
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَقِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ لِمَنْصِبِ الْخِلَافَةِ مِنَ  
الَّذِينَ وَالْعَدَالَةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَتَحَاوَرَتِهِ لِلْفَضِيلِ بْنِ عِيَّازٍ  
وَأَبْنِ السَّيَّاحِ وَالْعُمَرِيِّ وَمُكَاتَبَتِهِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَبُكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَدُعَائِهِ  
بِمَكَّةَ فِي طَوَافِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَشُهُودِ  
الصُّبْحِ لِأَوَّلِ وَفَتِيهَا حَكَى الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ  
نَافِلَةٍ وَكَانَ يَغْزُو عَامًا وَيَخُجُّ عَامًا وَلَقَدْ زَجَرَ أَبُو بَكْرٍ مَرْيَمَ مُصْحِكَةً فِي سَمْعِهِ حِينَ تَعَرَّضَ  
لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ لَمَّا سَمِعَهُ يَقْرَأُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَقَالَ وَاللَّهِ مَا  
أَدْرِي لِمَ فَمَا تَمَّاكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ مُغَضَّبًا وَقَالَ يَا أَبْنَى أَبِي مَرْيَمَ فِي  
الصَّلَاةِ أَيْضًا إِيَّاكَ وَإِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ وَلَكَ مَا شِئْتَ بَعْدَهُمَا وَأَيْضًا فَقَدْ كَانَ مِنَ  
الْعِلْمِ وَالسَّدَاجَةِ بِمَكَانٍ اقْرَبَ عَهْدِهِ مِنْ سَلَفِهِ الْمُتَنَبِّلِينَ لِذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
جَدِّهِ أَبِي جَعْفَرٍ بَعِيدَ زَمَنِ إِنَّمَا خَلَفَهُ غُلَامًا وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ بِمَكَانٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ  
قَبْلَ الْخِلَافَةِ وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْقَائِلُ لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيلِ الْمُوْطَأِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فَضَعْتُ أَنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُخْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَّادَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطِئَهُ لِلنَّاسِ تَوَاطُفَهُ  
 قَالَ مَالِكٌ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ عَلَّمْنِي الْتَضْيِيفَ يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَدْرَكَهُ ابْنُهُ الْمَهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كُسُوفِ الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ يَتِّهِ الْأَمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِجِلسِيهِ  
 بِكَاشِرِ الْخِطَّاطِينَ فِي إِزْقَاعِ الْخُلُقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَاسْتَنْكَفَتِ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُسُوفِ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامِنَا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدَّهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِثْقَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخُلِيفَةِ وَأَبُوئِهِ وَمَا رُبِّيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلُقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَافَرَ الْخَمَرَ أَوْ يُجَاهِرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخَمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ يَكُنِ الْكَرَمُ شِعْرَهُمْ وَكَانَ شَرْبُهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَجَمُّعٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْخُلُقِ  
 بِالْحَمَادِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَزَعَّاتِ الْعَرَبِ وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالسَّعُودِيُّ  
 فِي قِصَّةِ جَبْرِيلَ بْنِ بَخْتِشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَحَمَاهُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَطِنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَابَنَهُ بِتَنَاوُلِهِ فَأَعَادَ ابْنُ بَخْتِشُوعَ لِلْإِعْتِذَارِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَفْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَالِجِ بِالنُّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْبُورَادِ وَالْخُلُوصِ وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُتَلَجًّا  
 وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خَمْرًا حَرِيقًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بغيرِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُطْهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَخْتِشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا أَتَبَهُ الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِيخِ أَحْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَفْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخَمْرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَنَشَتَ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدَ وَتَغَيَّرَتِ رَائِحَتُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بِجَبَسِ أَبِي نُوَاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كِهِيَ فِي الدُّمَاقَةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَفْلَحَ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ النَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَنَاقِبِهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخَمْرُ الصَّرْفُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَحِثُّ بِوَأَفْعٍ مُخَرَّمًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ

أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَخَافَةٍ مِنْ أَرْكَابِ السَّرَفِ وَالْتَّرَفِ فِي مَلَاسِيهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ  
 مُتَنَاوَلَاتِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُسْرَةِ الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يَبَارِقُوهَا بَعْدَ فَعَا  
 ظُكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْإِبَاحَةِ إِلَى الْحَظَرِ وَعَنِ الْحِلَّةِ إِلَى الْحَرَمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ  
 الطَّبَرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَزْكُونَ بِالْحِلَّةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسُّيُوفِ وَاللُّجَمِ وَالشُّرُوجِ  
 وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحْدَثَ الرُّكُوبَ بِجِلَّةِ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعْتَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ  
 بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَاسِيهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَسَارِيهِمْ وَبَيِّنْ ذَلِكَ  
 بِأَتَمِّ مِنْ هَذَا إِذَا فَهَمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوَلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفَضَاةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي  
 مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ . وَيُنَاسِبُ هَذَا  
 أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ قَاضِي الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
 يُعَاقِرُ الْخُمُرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ فَدْفِنَ فِي الرَّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُشَدُّونَ عَلَى لِسَانِهِ  
 يَا سَيِّدِي وَامِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْقِينِي

إِنِّي غَنَلْتُ عَنْ السَّاقِي فَصِيرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالَّذِينَ  
 وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمٍ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمُ . إِنَّمَا كَانَ النَّبِيذُ  
 وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا السُّكَّرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَتْ  
 حَلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ فِي اللَّيْلِ وَيُنْقَلُ فِي فُضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ  
 عَشِيرَتِهِ أَنَّهُ أَتَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطْشَانٌ فَقَامَ يَتَحَسَّسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يَوْفُقَ يَحْيَى  
 بْنُ أَكْثَمٍ وَثَبَّتَ أَنَّهُمَا كَانَا بِصُلَيَّانِ الصُّبْحِ جَمِيعًا فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الْعَاقَرَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
 يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 وَاسْمَاعِيلُ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ الْمَرْزِيُّ الْحَافِظُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ  
 رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَلَقَدْ حُفَّ فِيهِ قَدْحٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا يَنْبِزُهُ النُّجَّانُ بِالْمَلِيلِ  
 إِلَى الْعَلِمَانِ يَهْتَانَا عَلَى اللَّهِ وَفَرِيَّةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَبِدُّونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَاصِ  
 الْوَاهِبَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مَحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلِيلًا لِلْإِسْلَامِ وَكَوْنِ  
 مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ مُنْزَهًا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ  
 النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا وَأَتَنَى

عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عَدَالَةُ مِثْلِهِ  
بِتَكْذِيبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعِلْمَانِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ عَلَى مَرَاتِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ  
مِنْ اللَّهِ لَكِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ قَوْمِي بِمَا رَزَى بِهِ ابْنُ حَبَّانٍ فِي النِّقَاتِ  
وَقَالَ لَا يَسْتَعْلِ بِمَا يُخْصِي عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا يَصُحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
مَا ثَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْلِ فِي سَبَبِ إِضْهَارِ الْعَامُونَ إِلَى  
الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ بُورَانٌ وَأَنَّهُ عَثَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي تَطَوُّفِهِ بِسِكَكِ بَغْدَادٍ فِي  
زُبَيْلٍ مُدَلَّى مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِمَعَالِي وَجَدَلْ مَعَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْحَرِيرِ فَأَعْقَبَهُ وَتَنَاولَ  
الْمَعَالِي فَأَهْزَتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسٍ شَأْنُهُ كَذَا وَوَصَفَ مِنْ زِينَةِ فُرْشِهِ وَتَضْيِيدِ  
ابْنَتَيْهِ وَجَمَالِ رُؤْيَيْهِ مَا يَسْتَوْفِي الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ وَأَنَّ أَمْرًا بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلَلِ  
السُّورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَائِقَةُ الْجَمَالِ فَتَأَنَّى الْحَاسِنُ نَجِيَّتَهُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
يَزَلْ يَعَاقُهَا أَخْمَرُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْتِظَارِهِ وَقَدْ شَفَعَتْهُ  
حُبًّا بَعَثَهُ عَلَى الْإِضْهَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَبْنِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْعَامُونَ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
وَعِلْمِهِ وَأَقْنَعَاتِهِ سُنَنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذِهِ بِسِيرِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَرْكَانِ  
الْمِلَّةِ وَمَنَاطِرَتِهِ الْعُلَمَاءِ وَحِظْنِهِ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَلَوَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ  
عَنْهُ أَحْوَالُ الْقَسَاقِ الْمُسْتَهْزَيْنِ<sup>(١)</sup> فِي الطَّوُافِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّمْرِ  
سَبِيلِ عَشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَبْنِ ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ ابْنَةِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
يُدَارِ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ وَالْعَفَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ  
مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا بَعَثْتُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثِ بِهَا الْإِتْمَاكِ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ فِتَاعِ  
الْعُخْدَرَاتِ وَيَعْلَكُونَ بِالنَّاسِي بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةٍ لِدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
يَلْهَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَقْرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَحُّهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ وَلَوْ أَنْتَسَوْا بِهِمْ  
فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصَنَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا  
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَدَلْتُ يَوْمًا بَعْضَ الْأَمْرَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ بِتَعْلُمِ  
الْعِلْمَاءِ وَوَلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهزء لشئ بالغ الملعع ولا يزال في بيالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت باطله اهـ قاموس

تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَبِّسَ الْمُغْتَنِبِينَ فِي زَمَانِهِ  
فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِمْ وَأَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهُ يُهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ مَا  
يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْأَثْبَاتِ فِي الْعَبِيدِيَّةِ خُلَفَاءُ الشَّيْعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ  
وَالْقَاهِرَةِ مِنْ نَفَقِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى إِمَامِ عِيسَى  
الْإِمَامِ ابْنِ جَعْفَرٍ الْأَصْدَقِ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لُقِفَتْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ  
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَزْلُقًا إِلَيْهِمْ بِالْقَدَحِ فِيمَنْ نَاصَبَهُمْ وَتَقَنَّنَا فِي الشَّمَاتِ بَعْدُوهُمْ حَسْبَمَا  
نَذَكُرُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَقُولُونَ عَنِ التَّفَطُّنِ لَشَوَاهِدِ الْوُفَاعَاتِ وَأَدِلَّةِ  
الْأَحْوَالِ الَّتِي اقْتَضَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ  
فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْعَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَسَ لِمَا دُعِيَ بِكَتْمَةِ الرَّضَى  
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَشْتَهَرَ خَبْرُهُ وَعِلْمُ تَحْوِيلِهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَأَبْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
خَشْيًا عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَاجْتَازا بِمِصْرَ وَأَنْهَمَا خَرَجَا مِنْ  
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي زَيْتِ الثُّجَارِ وَبَنِي خَبْرَهُمَا إِلَى عِيسَى النُّوْشَرِيِّ عَامِلِ مِصْرَ  
وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِلَافَةَ حَتَّى إِذَا أُدْرِكََا خِيفَ حَالَهُمَا عَلَى تَابِعِيهِمَا بِمَا  
لَبَسُوا بِهِ مِنَ الشَّارَةِ وَالزَّيْتِ فَأَقْلَبُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمُعْتَضِدَ أَوْعَزَ إِلَى الْأَعَالِيَةِ أُمَرَاءَ  
أَفْرِيقِيَا بِالْقَيْرَوَانِ وَبَنِي مِذْرَارٍ أُمَرَاءَ سِجْلَمَاسَةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْ كَاءَ الْعُيُونِ  
فِي طَلَبِهِمَا فَعَثَرَ أَلِشَّعُ صَاحِبُ سِجْلَمَاسَةَ مِنْ آلِ مِذْرَارٍ عَلَى خِيفِ مَكَانِهِمَا بَيْلَدُهُمَا وَعَقَلَهُمَا  
مَرْضَاةً لِلْقَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَطْهَرَ الشَّيْعَةُ عَلَى الْأَعَالِيَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ بِالْبَلْعَيْنِ ثُمَّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَاسَمُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ شِقَ الْأَبْلَمَةِ وَكَادُوا يَكُونُ  
عَلَيْهِمْ مَوَاطِنُهُمْ وَيُزِيلُون مِنْ أَمْرِهِمْ وَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِعَدَادٍ وَعِرَافَةٍ الْأُمِيرُ  
الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ مَوَالِي الْأَبْلَمِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَغَاضِبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
أُمَرَاءِ الْأَجَمِ وَخَطَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَمَلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَفْضُونَ بِمَكَانِهِمْ  
وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَرَاءَ الْبَحْرِ يَبَادُونَ بِالْوَبْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا كُلُّهُ  
لِدُعَايِ فِي النَّسَبِ بِكَذِبٍ فِي أَنْفَحَالِ الْأَمْرِ وَاعْتَبِرْ حَالَ الْقُرْمَطِيِّ إِذْ كَانَ دُعَايَا فِي

اَنْتَسَايَهُ كَيْفَ تَلَّاشَتْ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَتْ اَنْبَاؤُهُ وَظَهَرَ مَرِيعًا عَلَى خُبْنِهِمْ وَمَكْرِهِمْ فَسَاءَتْ عَاقِبَتُهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ بِكَذَا لَعُرِفَ وَلَوْ بَعْدَ هَلَاكِهِ وَهَمَّا بِكَانَ عِنْدَ أَمْرِهِ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ نَعْلَمُ

فَقَدْ اَتَصَلَّتْ دَعْوَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَهَاجَرُوا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُصْلَاهُ وَمَوْطِنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدْفَنُهُ وَمَوْقِفِ الْحَجَّاجِ وَهَبَطَ الْمَلَائِكَةُ ثُمَّ أَقْرَضَ أَمْرُهُمْ وَشِيعَتُهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أَتَمِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ فِيهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ بِنَسَبِ الْإِمَامِ إِبْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَلَقَدْ خَرَجُوا مَرَارًا بَعْدَ ذَهَابِ الدَّلِيلِ وَدُرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بِدْعَتِهِمْ هَاتِفِينَ بِأَسْمَاءِ صِبْيَانٍ مِنْ أَغْصَانِهِمْ يَزْعُمُونَ اسْتِحْقَاقَهُمُ لِلْخِلَافَةِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَعْيِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَلَفَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْإِمَامَةِ وَلَوْ أَزْنَبُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَّا رَكِبُوا أَغْنَاكَ الْأَخْطَارُ فِي الْإِنْتِصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يُلَاسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشَبِّهُ فِي بِدْعَتِهِ وَلَا يُكْذَبُ نَفْسُهُ فِيمَا يَنْتَحِلُهُ وَالْحُجُبُ مِنَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَلْقَلَانِي شَيْخُ النُّظَّارِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَيْفَ يَخْتَلِجُ إِلَى مَدَدِ الْمَقَالَةِ الْمَرْجُوحَةِ وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْهَادِ فِي الدِّينِ وَالْإِتْمَاقِ فِي الرِّافِضِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَلَيْسَ إِثْبَاتُ مُنْتَسِبِهِمْ بِالَّذِي يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ يَلْمُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ بَعْظُهَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أُعْجِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَمَتَى عَرَفَ أَمْرُوهُ قَضِيَّةً أَوْ اسْتَيْقَنَ أَمْرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدَعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا فِي تَجَالٍ لظُنُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنَ الطَّاعَةِ لِتَوْفُرِ شِيعَتِهِمْ وَانْتِشَارِهِمْ فِي الْقَاصِيَةِ بِدَعْوَتِهِمْ وَتَكَرُّرِ خُرُوجِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رَجَالَانَهُمْ بِالْإِخْتِفَاءِ وَلَمْ يَكَادُوا يُعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَّالَ الْأَبَّامُ مَا أُنْجِي مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ كَانِيَا  
حَتَّى أَتَقَدَّسِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ جَدِّ عَبْدِ اللَّهِ الْهَدْيِيِّ بِالْمَكْتُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ  
شِيعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْتِلَافِهِ حَدَرًا مِنَ الْمُتَغَالِبِينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شِيعَةُ الْفُ  
الْعَبَّاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَأَزْدَلُّوا بِهَذَا الرَّأْيِ الْقَائِلَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنْ خُلَفَائِهِمْ وَأَعْجِبَ بِهِ أَوْلِيَائِهِمْ وَأَمْرَاهُ دَوْلَتِهِمُ الْمُتَوَلُّونَ حُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَدْفَعُونَ  
 بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةً الْعِزِّ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ عَلَيْهِمْ عَلَى الشَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبُزُرِ الْكَتَامِينَ شِيعَةَ الْعَبِيدِيَّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ أَجْمَلَ  
 الْقَضَاءُ بَبْغَدَادٍ بَنَفِيهِمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ الْأَمْرُتِيُّ وَأَبْنُ الْبَطْلَخَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ  
 وَالْقُدْرِيُّ وَالصَّبْرِيُّ وَأَبْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَالْأَبْيُورْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ التَّعْمَانِ فِيهِ  
 الشَّيْعَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بَبْغَدَادٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمَاعِ لَمَّا أَشْهَرُ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بَبْغَدَادٍ وَغَالِبُهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَقَلَّه الْأَخْبَارُ يُونِ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبَمَا وَعَوَهُ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَصِدِ فِي شَأْنِ عَبِيدِ اللَّهِ إِلَى أَبِي  
 الْأَغْلَبِ بِالْقُبْرَوَانِ وَأَبْنِ مِذْرَارٍ بِسِجِلْمَاسَةَ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى حَقِّهِ نَسَبِهِمْ  
 فَأَلْمَعْتَصِدُ أَقْعَدُ نَسَبٍ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالِدَوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ سَوْقٌ لِلْعَالَمِ يُجْلِبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعُ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتَلْتَمِسُ فِيهِ ضَوَالُ الْحُكْمِ وَتُحْدِي إِلَيْهِ رَكَائِبُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا تَقَى فِيهَا تَقَى عِنْدَ الْكَافَةِ فَإِنْ تَنَزَّهَتِ الدَّوْلَةُ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْسَافِ  
 وَالسَّفْسَفَةِ وَسَلَكَتْ أَلْفَحَ الْأَمَمِ وَلَمْ تَجْزِ (١) عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَقَى فِي سُوقِهَا الْأَبْرَارُ  
 الْخَالِصُ وَالْحَبِينُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَقُودِ وَمَا جَتِ بِسَامِرَةِ الْقَرَبِ  
 الْبَنِي وَالْبَاطِلُ تَقَى الْبَهْرَجُ وَالزَّائِفُ وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ فَنَسْطَاسُ بَحْثِهِ وَمِيزَانُ مِلْتَمَسِهِ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَأَبْعَدُ مِنْهُ كَثِيرًا مَا يَتَنَاجَى بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضَوَانِ اللَّهُ عَلَيْهِمُ) الْأَمَامِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَيَعْرِضُونَ تَعْرِيفُ الْحَدِّ بِالنَّظَنِ فِي الْحِمْلِ الْخُلْفِ عَنْ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِرَاشِدٍ مَوْلَاهُمْ فَفَهِمُوا اللَّهُ وَأَبْعَدُ مَا أَجْهَلُكُمْ أَمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبُزُرِ وَأَنَّهُ مُنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرِيقٌ فِي الْبَدْوِ وَأَنَّ حَالِ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذْ لَا مَكَامِينَ لَهُمْ  
 يَتَأْتَى فِيهَا الرِّيبُ وَأَحْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ بِمَرَأَى مِنْ جَارَاتِيهِمْ وَمَسْمَعٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ  
 لَتَلَاصِقَ الْجُدْرَانِ وَتَطَامُنَ الْبَنِيَانُ وَعَدَمَ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يَتَوَلَّى

خِزْمَةُ الْحَرَمِ أَجْمَعَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَشِيَعَتِهِمْ وَمُرَاقِبَةٍ مِنْ كَاتِبِهِمْ  
وَقَدْ اتَّفَقَ بَرَابِرَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَامَةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَضْرَمِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَاتَّوَهُ  
طَاعَتَهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْفَاقٍ وَبَابِعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَخَاضُوا دُونَهُ بَحَارَ الْمَنَابِإِ فِي  
حُرُوبِهِ وَغَزَوَاتِهِ وَلَوْ حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّبَةِ أَوْ فَرَعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
كَاشِحٍ أَوْ مُنَافِقٍ مُرْتَابٍ لَتَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَلًّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْتَالِهِمْ وَمِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ عُمَالِهِمْ كَانُوا بِأَفْرِيقَةٍ وَوُلَايَةٍ  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَفْقَةٍ بَلَغَ أَوْعَزُ الْهَادِي إِلَى الْأَغَالِبَةِ  
أَنْ يَقْعُدُوا لَهُ بِالْمَرَاصِدِ وَيَذْكُوا عَلَيْهِ الْعِيُونَ فَلَمْ يَنْظُرُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَمَرَّ  
أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوْلَاهُمْ وَعَامِلِهِمْ  
عَلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ مِنْ دَسِيسَةِ الشَّيْخِ اللَّعْلَوِيَّةِ وَإِذْهَانِهِ فِي نَجَاةِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
فَقَتَلَهُ وَدَسَّ الشَّمَاخَ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ أَبِيهِ لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ اللَّعْلَاقَ بِهِ  
وَالْبَرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيَهُ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَطَطَهُ بِنَفْسِهِ وَتَوَلَّاهُ الشَّمَاخُ فِي  
بَعْضِ خَلَوَاتِهِ مِمَّا اسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَيْرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
لِمَا رَجَوَهُ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَاقْتِلَاعِ جُرُثُمِهَا وَلَمَّا تَأَدَّى  
إِلَيْهِمْ خَيْرُ الْحِمْلِ لَتَخَلَّفَ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلًّا وَلَا إِذَا بِالْدَّعْوَةِ قَدْ  
عَادَتْ وَالشَّيْعَةَ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلَتْهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَى مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ وَكَانَ الْقَسْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ نَزَلَا بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
أَنْ يَسْتَوْوُوا إِلَى الْقَاصِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى فُذْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاشْتِمَالَ الْبُزَيْرِ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْيِيلَ فِي إِهْلَاكِهِ بِالسُّمُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَرَعُوا  
إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْأَغَالِبَةِ بِأَفْرِيقَةٍ فِي سِدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاحِيَّتِهِمْ وَحَسَمَ الدَّاءُ  
الْمُتَوَقَّعَ بِالدَّوْلَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَاقْتِلَاعَ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشْجَ مِنْهُمْ بِخَطَائِهِمْ بِذَلِكَ  
الْعَامُونَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُلَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَغَالِبَةُ عَنْ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَجْزًا  
وَلَمِثْلًا مِنَ الزُّبُونِ عَلَى مَلُوكِهِمْ أَحْوَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةُ مِنْ أَنْتَرَاءِ مَمْلَكَةِ الْعِجَمِ عَلَى  
سُدَّتِهَا وَامْتِطَائِهِمْ صَهْوَةً التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضَرُّفِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَّعَ أَغْرَاصِهِمْ فِي رِجَالِهَا  
وَجَبَابَتِهَا وَأَهْلٍ خِطَطِهَا وَسَائِرِ نَقَضِهَا وَإِبْرَامِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ



خَلِيفَةُ فِي قَفْصٍ      بَيْنَ وَصِيفٍ وَبَنَّا  
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ      كَمَا نَقُولُ الْبَيْعَا

نَحْشِي هُوَلَاءَ الْأَرَاهِ الْأَعَالِيَةَ بَوَادِرِ السَّعَابَاتِ وَتَلَوْنَا بِالْمَعَادِيرِ فَطَوَّرْنَا بِأَخْقَارِ الْمَغْرِبِ  
وَأَهْلِهِ وَطَوَّرْنَا بِالْأَزْهَابِ إِشَانِ أَدْرِيسَ الْخَارِجِ بِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنْ أَغْقَابِهِ يَخْاطِبُونَهُمْ  
بِتَجَاوُزِهِ حُدُودِ التَّخَوُّمِ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْفِذُونَ سَكَنَهُ فِي تَحْفِيهِمْ وَهَذَا يَأْتِيهِمْ وَمُرْتَقِعُ جِبَابَاتِهِمْ  
تَعْرِيفًا بِاسْتِغْنَالِهِ وَتَهْوِيلًا بِأَشَدِّدَارِ شَوْكِهِ وَتَعْظِيمًا لِمَا دَفَعُوا إِلَيْهِ مِنْ مُطَالَبَتِهِ وَمِرَاسِهِ  
وَتَهْدِيدًا بِقَلْبِ الدَّعْوَةِ إِنْ أُلْجِئُوا إِلَيْهِ وَطَوَّرْنَا بِطَعْنُونٍ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
الطَّعْنَ الْكَاذِبِ تَخْفِيفًا لِشَأْنِهِ لَا يَأْلُونَ بِصِدْقِهِ مِنْ كَدِّهِ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَأَفْنِ عُقُولِ  
مَنْ خَلَّفَ مِنْ صِبْيَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَمَالِكِهِمُ الْجَمْعُ فِي الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ قَائِلٍ وَالسَّمْعُ لِكُلِّ  
نَاعِقٍ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَائِهِمْ حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ الْأَعَالِيَةِ فَفَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءَ  
أَسْمَاعَ الْغَوَاةِ وَصَرَ عَلَيَّهَا بَعْضُ الطَّاعِنِينَ أُوْدُنُهُ وَاعْتَدَّهَا ذَرِيعَةً إِلَى الْبَيْتِ مِنْ خَلْفِهِمْ  
عِنْدَ الْمُنَافَسَةِ وَمَا لَهُمْ فَبَعْضُهُمُ اللَّهُ وَالْعُدُولُ عَنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فَلَا تَعَارُضَ فِيهَا بَيْنَ  
الْمَقْطُوعِ وَالْمُظْنُونِ وَأَدْرِيسُ وَلَدٌ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ عَلَى أَنْ تَنْزِيهِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَاللَّهُ سُجَّانُهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ  
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا فِرَاشُ أَدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ الدَّنَسِ وَمُنْزَعٌ عَنِ الرِّجْسِ بِحُجَّتِهِمُ الْقُرْآنِ  
وَمَنْ أَعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ وَوَلَجَ الْكُفْرَ مِنْ بَابِهِ وَإِنَّمَا أَطْبَقْتُ فِي هَذَا  
الرَّدِّ سَدًّا لِأَبْوَابِ الرَّدِّ وَدَفَعًا فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ لِمَا سَمِعْتُهُ أَذُنَايَ مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِي  
عَلَيْهِمُ الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِفِرْيَتِهِ وَيَنْقُلُهُ بِزَعْمِهِ عَنْ بَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ بِمَنْ  
أَشْخَرَفَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَرْتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِسَلَفِهِمْ وَإِلَّا فَالْحَمْلُ مُنْزَعٌ عَنْ ذَلِكَ  
مَعْصُومٌ مِنْهُ وَتَقِي الْعَيْبَ حَيْثُ يَسْتَعِيلُ الْعَيْبُ عَيْبُ لِكُنِّي جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَأَرْجُو أَنْ يُجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِنِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا  
هُمْ الْحُسَيْدَةُ لِأَغْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ مَتْنِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِيلٍ فِيهِمْ فَإِنْ أَدْعَا  
هَذَا النَّسَبَ الْكَرِيمَ دَعَايَ شَرَفَ عَرِيضَةٍ عَلَى الْأُمَمِ وَالْأَجْبَالِ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ  
فَتَعْرِضُ الثَّهْمَةَ فِيهِ وَلَمَّا كَانَ نَسَبُ بَنِي أَدْرِيسَ هُوَلَاءَ بِمَوَاطِنِهِمْ مِنْ فَارِسَ وَسَائِرِ  
دِيَارِ الْمَغْرِبِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهُرَةِ وَالْوُضُوحِ مِثْلًا لَا يَكَادُ يُلْقَى وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي

ذَكَرِهِ إِذْ هُوَ تَقُلُّ الْأُمَّةَ وَالْجَلِيلَ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجَلِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَبَيَّنَّ جَدَّهُمْ  
 أَذْرِيْسَ مُخْتَطِرَ فُلَسْ وَمُؤَسِّسَهَا مِنْ يُونَنِهِمْ وَمُسْجِدَهُ لِحَقِّ مَحَلَّتِهِمْ وَدُرُوبِهِمْ وَسَيْفَهُ  
 مُنْتَقَى بِرَأْسِ الْمَادَّةِ الْعَظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَاتٍ وَكَادَتْ تَلْحَقُ بِالْعَيَانِ فَإِذَا نَظَرْتَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا أَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَصَدَ شَرَفُهُمُ النَّبِيُّ مِنْ جَلَالِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ لِسَلْبِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَاسْتَبَقَ أَنَّهُ يَعْزِلُ عَنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِمَّنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنْ يُسَلِّمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَبَيَّنَّ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالسَّلَامِ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ غَصَّ بِرَبِّقِهِ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّوهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سُوءَةٌ وَوُضْعَةٌ <sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ اللَّجَاجِ  
 وَالْبَيْتِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّغْنِ الْقَائِلِ وَالْقَوْلِ الْمَكْذُوبِ تَعَلُّلاً بِالْمُسَاوَاةِ فِي الظَّنِّ وَالْمُشَابَهَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْأَحْوَثِ وَهَيْبَاتِ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ فِيمَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صِرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مِبَالِغَ أَعْقَابِ أَذْرِيْسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبَرَاؤُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ يَفَاسَ مِنْ وَلَدِ بَيْحَى الْحَوَاطِي بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَيْحَى  
 الْقَوَامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَذْرِيْسَ بْنِ أَذْرِيْسَ وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ وَالسَّاكُونَ بَيْتِ  
 جَدِّهِمْ أَذْرِيْسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَنَّهُمْ حَسَبًا فَذَكَرُوهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 الْأَدَارِسَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيُلْحَقُ بِهِذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةُ وَالْمَذَاهِبُ الْقَائِلَةُ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفُ الرَّأْيِ مِنْ فُتْهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدَحِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى الشُّعُودَةِ وَالْتِّلِيسِ فِيمَا أَنَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالنَّبِيِّ  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ لِجَمِيعِ مُدَّعِيَانِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 اتِّبَاعَهُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْفُقَهَاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كُنَّ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مُنَاقَضَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَنَاءِ فِي الدِّينِ  
 يَزْعُمُهُمْ ثُمَّ أَمْتَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ مَبْشُوعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ مَوْطُو الْعَقِبِ نَفَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَقَضَوْا مِنْهُ بِالْقَدَحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدَّعِيَانِهِ وَأَيْضًا فَكَانُوا يُؤَنِّسُونَ مِنْ

مُلُوكِ الْمُتُونَةِ أَعْدَائِهِ تَجَلَّةً وَكَرَامَةً لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّدَاجَةِ  
وَالْتَحَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ لِحِمْلَةِ الْعِلْمِ يَدُولَتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالْإِتِّصَابِ لِلشُّرَى  
كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدَرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيعَةً لَهُمْ وَحَرَبًا لِعَدُوِّهِمْ وَتَقَمُّوا عَلَى  
الْمَهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِهِمْ وَالتَّزْيِيبِ عَلَيْهِمْ وَالْمُنَاصَبَةِ لَهُمْ تَشَهُؤًا لِلْمُتُونَةِ وَتَعْصِبًا  
لِدَوْلَتِهِمْ وَمِمَّا كَانَ الرَّجُلُ غَيْرَ مَكَانِهِمْ وَحَالَهُ عَلَى غَيْرِ مُعْتَدِّينِهِمْ وَمَا ذُنُكُ بَرَجِلٍ نَقَمَ  
عَلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَالَفَ أَجْتِهَادَهُ فُقَهَاؤُهُمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَنْفَلَعَ الدَّوْلَةَ مِنْ أَصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
شَوْكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَتَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ نَفُوسٌ لَا يُخَصِّصُهَا إِلَّا خَالِقُهَا  
قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَقَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِتْلَافٍ  
مُجْهِمٍ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعَصُّبِ لِنِلَاقِ الْكَلِمَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمِ وَدَاثَتْ  
بِالْعَدَوَتَيْنِ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ بِحَالَةٍ مِنَ التَّقْشِفِ وَالْحَصْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالنَّقْلِ مِنْ  
الدُّنْيَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَلَبَسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحُظِّ وَالْمَتَاعِ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى أَوَلَدَ الَّذِي  
رُبَّمَا تَجَنَّحَ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَخَادَعَ عَنْ تَعْنِيهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْضُرْ لَهُ حِظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَنَعَّ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
صَالِحٍ لَمَّا تَمَّ أَمْرُهُ وَتَقَسَّحَتْ دَعْوَتُهُ سَنَةً اللَّهُ إِلَهِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُمْ  
نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْزُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ أَدْعَاةٌ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى بَطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا  
تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ  
مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَسَ سَائِرَ الْمَصَامِدِ وَدَانُوا بِأَتْبَاعِهِ وَالْإِقْبَادُ إِلَيْهِ وَإِلَى  
عَصَابَتِهِ مِنْ مَرْغَةٍ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ  
الْمَهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا أَتْبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ وَإِنَّمَا كَانَ أَتْبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةِ الْهَرِغَةِ  
وَالْمُصْمُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَرُسُوخِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيُّ خَفِيًّا قَدْ  
دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
اسْتَلْخَ مِنْهُ وَلَيْسَ جِلْدُهُ هَؤُلَاءِ وَظَهَرَ فِيهَا فَلَا بَصْرَهُ الْإِنْتِسَابُ الْأَوَّلُ فِي عَصَبِيَّتِهِ إِذْ هُوَ  
مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ خَفِيًّا وَانْظُرْ

قِصَّةَ عَرْجَةِ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَيْمَلَةَ وَكَيْفَ كَانَ عَرْجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَلَيْسَ جِلْدَهُ بِبَيْمَلَةَ  
 حَتَّى تَنَازَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ تَتَفَهَّمُ مِنْهُ  
 وَجْهَ الْحَقِّ وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ وَقَدْ كُنَّا أَنْ نَخْرُجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ  
 فِي هَذِهِ الْمَعَالِيقِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْحَفَاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ  
 الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ وَعَلَقَتْ أَفْكَارُهُمْ وَتَقَلَّبَتْ عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْعَقْلَةِ  
 عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقَّوْهَا هُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَانْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ  
 حَتَّى صَارَتْ فِي النَّارِ بَيْخٌ وَاهِيًا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مَرْتَبِكًا وَعُدٌّ مِنْ مَنَاحِي الْعَامَّةِ فَإِذَا بَيَّحْتَ  
 صَاحِبُ هَذَا الْقَنْءِ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ  
 وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْيُنِ فِي السِّيَرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ ذَلِكَ وَمُمَاثَلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَوْنِ مَا بَيْنَهُمَا  
 مِنَ الْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْمُتَنَبِّحِ مِنْهَا وَالِخْتِلَافِ وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَمَبَادِيءِ  
 ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا  
 مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبَرِهِ وَحَبِيشِدْ بَعْرُضُ خَبَرِ الْمُنْقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَائِدِ  
 وَالْأَصُولِ فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّفَهُ وَاسْتَفْنَى عَنْهُ وَمَا  
 اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ النَّارِ بَيْخِ إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى انْتَحَلَهُ الطَّبِيرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبْنُ إِسْحَاقَ  
 مِنْ قَبْلِهِمَا وَمِثْلَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّيَرِ فِيهِ حَتَّى صَارَ  
 انْتِحَالُهُ بَيْمَلَةً وَاسْتَخَفَّ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتَهُ وَحَمَلَهُ وَاخْتَوَضَ  
 فِيهِ وَالطُّفُلُ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَعْلُومِ وَاللُّبَابُ بِالْقِشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنْ الْعَلَطِ الْخَطِيءِ فِي النَّارِ بَيْخِ الذُّهُولِ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ  
 وَالْأَجَالِ بِتَبَدُّلِ الْأَعْيُنِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاهٍ دَوَى شَدِيدُ الْخَفَاءِ إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا  
 بَعْدَ أَخْتَابٍ مُطَاوَلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَنْفُظُنُّ لَهُ إِلَّا الْآحَادُ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 إِسْحَوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدَهُمْ وَنَحْلَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَنْهَاجٍ مُسْتَقَرٍّ  
 إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَانْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ  
 فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَفْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْدُّوَلِ  
 سُبْحَهُ اللَّهُ أَلَيْ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمُّ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسِّيَرِ بَانِيُونَ

وَالنَّبَطُ وَالنَّبَايَعَةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبِطُ وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دَوْلِهِمْ  
وَمَا لِكُلِّهِمْ وَسِيَاسَتُهُمْ وَصَنَائِعُهُمْ وَلِقَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرُ مَشَارِكِهِمْ مَعَ آبْنَاهُ  
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالُ أَعْيَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا أَثَارُهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْفَرَسُ الثَّانِيَةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ وَانْقَلَبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَالِى مَا بَابِئِهَا أَوْ يُبَاعِدُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرٍّ فَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ  
انْقِلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارِفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَخْذِهِ الْخَلْفُ عَنْ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَدَّ دَوَا عِزُّهُمْ وَهَدَّوْا  
مُلْكُهُمْ وَصَادَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلَ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجَةِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتْ بِذَهَابِهِمْ أُمُّهُمُ وَانْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ نَسَبِ شَأْنِهَا  
وَأَغْفَلَ أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحَكِيمَةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانُ إِذَا اسْتَوْتُوا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا يَدَّ مِنْ أَنْ يَفْرَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُفْعِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ مَعَ ذَلِكَ فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْخُتَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضُ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلْأَوَّلَى أَشَدَّ خُتَالَفَةً ثُمَّ لَا يَزَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْخُتَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَايَنَةِ بِالْجُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْخُتَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً وَالْقِيَاسُ  
وَالْحِكَاكَةُ لِلِإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْفَلْطِ غَيْرُ مَا مُؤَنِّةٌ تَخْرُجُهُ مَعَ الدَّهْوْلِ وَالْعَفْلَةِ  
عَنْ قَصْدِهِ وَتَعَوُّجُهُ عَنْ مَرَامِهِ قُرْبَمَا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَلَا  
يَسْتَطِيعُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْقِلَابِهَا فَيَغْيِرُ بِهَا لِأَوَّلِ وَهَلَّةٍ عَلَى مَا عَرَفَتْ وَبَقِيَسْهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَيَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْفَلْطِ فَيَنْتَهِى هَذَا الْبَابُ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْحَجَّاجِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعَ أَنَّ الْعِلْمَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَصْنَافِ الْمَعَاشِيَةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ اعْتِرَازِ أَهْلِ الْعَصْبِيَّةِ وَالْمَعْلَمِ مُسْتَضْعَفٍ  
مُسَكِّنٍ مُنْقَطِعٍ الْجَذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَشَوَّقُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَهْلَ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ

الْمَعَاشِيَةِ إِلَى نَيْلِ الرُّتَبِ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ وَبَعُدُوا عَنْهَا مِنَ الْمُمْكِنَاتِ لَهُمْ فَذَهَبَ  
 بِهِمْ وَسَاوَسَ الْمَطَامِعَ وَرَبَّمَا أَنْقَطَعَ حَبْلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَهْوَا أَمَلِكَةِ  
 وَالتَّلَفَ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتَحَالَاتِهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنْتَهُمْ أَهْلُ حِرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَالذِّلَّةَيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 تَقَالُ لِمَا سَمِعَ مِنَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيمًا لِمَا جُودَ مِنَ الَّذِينَ عَلَى جِهَةِ الْبَلَاغِ فَكَانَ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْمِلَّةِ هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْخَبَرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمَنْزُولُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هِدَايَاتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَاسْتَحْصُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمَمِ وَشَرُّوا فَيَحْضُرُونَ عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَهْنِئَةِ لِلْأَمَّةِ لَا تُصَدِّقُهُمْ عَنْهُ لَا أَيْمَةً  
 الْكِبَرِ وَلَا يَزْعُمُهُمْ عَاذِلُ الْأَنَفَةِ وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارَ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 يَبْعَثُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشِيرَةِ قَسَمَ بَعْدَهُمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوَسَّجَتْ عُرُوقُ  
 الْمِلَّةِ حَتَّى تَنَاقَلَهَا الْأُمَمُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَحْوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ لِتَعَدُّدِ الْوَقَائِعِ وَتَلَاخُفِهَا فَاجْتَبَا  
 ذَلِكَ لِقَانُونٍ يَحْفَظُهُ مِنَ الْخَطَا وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَكَةً يَخْتِاجُ إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ كَمَا بَاتِي فِي ذِكْرِهِ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ بِالْقِيَامِ  
 بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفَعَ لِعِلْمٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةُ الْمَعَاشِ وَشَحَّتْ  
 أَنْوْفُ الْمُتَرَفِّينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّي لِلتَّعْلِيمِ وَاسْتَحْصَى اتِّخَالُهُ بِالْمُسْتَغْنَيْنِ  
 وَصَارَ مُتَحَلِّهِ مُخْتَقَرًا عِنْدَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْعِجْاجِ بْنِ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 ثَقِيفٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَمَكَانُهُمْ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَاهِضَةُ قُرَيْشٍ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمَتْ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةُ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا يَتَوَقَّعُهُ  
 الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ النَّارِخِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقَضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئَاسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ فَتَرَامِي بِهِمْ وَسَاوَسَ الْعِلْمِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ يَحْسِبُونَ أَنَّ  
 الشَّانَ خِطَّةَ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَيَطْنُونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ

هَشَامُ الْمُسْنَدِ عَلَيْهِ وَابْنُ عَبَّادٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِإِشْبِيلَةَ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ آبَاءَهُمْ  
كَانُوا قُضَاءً أَنَّهُمْ مِثْلُ الْقُضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَتَفَتَنُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُتْبَةِ الْقُضَاءِ مِنْ  
مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نُبَيِّنُهُ فِي فَصْلِ الْقُضَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنُ عَبَّادٍ  
كَانَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ الْقَائِمِينَ بِالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلُ عَصَبِيَّتِهَا وَكَانَ مَكَانُهُمْ  
فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ نَيْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرَّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ بِحِطَّةِ الْقُضَاءِ كَمَا هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ  
بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقُضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ  
الْوَزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ وَانْظُرْ خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِ فِي الطَّوَائِفِ وَتَقْلِيدَهُمْ عَظَامَ  
الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَقْلُدُ إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغِنَى فِيهَا بِالْعَصَبِيَّةِ فَيَغْلُظُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَجْعَلُ  
الْأَحْوَالَ عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضَعْفُ الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ  
لِهَذَا الْعَهْدِ لِفَقْدَانِ الْعَصَبِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مِنْذُ أَعْصَارٍ بَعِيدَةٍ بَنَاءَ الْعَرَبِ وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا  
وَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ <sup>(١)</sup> مِنَ الْبَرَبْرِ فَبَقِيََتْ أُنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ مُحْفُوظَةٌ  
وَالدَّرِيعَةُ إِلَى الْعَزَمِ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ وَالتَّنَاصُرُ مَقْقُودَةٌ بَلْ صَارُوا مِنْ جُمْلَةِ الرَّاغِبِينَ إِلَى التَّخَذُّلِ  
الَّذِينَ تَعَبَّدَهُمُ الْقَهْرُ وَرَبُّوهُمُ الْمَدَلَّةُ يَحْسَبُونَ أَنَّ أُنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَفَةِ الدَّوْلَةِ هِيَ الَّتِي يَكُونُ  
لَهُمْ بِهَا الْقَلْبُ وَالتَّحَكُّمُ فَتَجِدُ أَهْلَ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّقِينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ  
فِي تَبْلِغِهَا مِمَّنْ بَاشَرُوا أَحْوَالَ الْقِبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَدَوْلَتِهِمْ بِالْعُدُودِ الْغَرِيبَةِ وَكَيْفَ يَكُونُ  
الْتِمَالُ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْعَشَائِرِ فَقَلَّمَا يَغْلُظُونَ فِي ذَلِكَ وَيَخْطِئُونَ فِي اعْتِبَارِهِ [وَمِنْ هَذَا  
الْبَابِ أَيْضًا مَا يَسْلُكُهُ الْمُؤَرِّخُونَ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّوَلِ وَتَسْقِ مُلُوكَهَا فَيَذْكُرُونَ اسْمَهُ  
وَتَسْبَةَ وَآبَاءَهُ وَأُمَّهُ وَنِسَاءَهُ وَآلِقَبَهُ وَخَاتَمَهُ وَقَاضِيَةَ وَحَاجِيَةَ وَوَزِيرَهُ كُلُّ ذَلِكَ تَقْلِيدُ  
لِمُؤَرِّخِي الدَّوَلَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَفَتُّنٍ لِمَقَاصِدِهِمُ وَالْمُؤَرِّخُونَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ كَانُوا يَضَعُونَ

(١) العصبية بتفتين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق المجد في  
نصره منسوبة الى العصية محركة وهم اقارب الرجل من قبل ايدى لانهم هم المذايون عن حريم من هو متهاهم  
وهي بهذا المعنى مدحوقة واما العصبية المذمومة في الحديث الجامع الصغير ليس منا مردعا الى عصبة وليس  
منا من قاتل على عصبية فهي تعصب رجال لقبلية على رجال لقبلية اخرى لغير ديانة كما كان يقع من قيام  
سعد على حرام نسبة الى العصبة بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقاربهم طالما كان او  
مظلوما وفي الفتاوى المخبرية من موانع قبول الشهادة العصبية وهي ان يفض الرجل الرجل لانه من بني  
فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا من دعي الى عصبية  
وهو مرجع للنسب ولا شاهد لمركبه قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

تَوَارِيخُهُمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤُهَا مُتَسَوِّفُونَ إِلَى سَيْرِ أَسْلَافِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ لِيَقْتَفُوا  
 آثَارَهُمْ وَيَتَسَبَّجُوا عَلَى مَنَوَالِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الزَّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
 الْخَطِّطِ وَالْمَرَاتِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوَيْهِمْ وَالْقَضَاءِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَةِ الدَّوْلَةِ  
 وَفِي عِدَادِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنَتِ  
 الدُّوَلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ الْعُصُورِ وَوَقَّتِ الْفَرَضُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ بِأَنْتُسَبِهِمْ خَاصَّةً وَنَسَبِ  
 الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَغَلَبَتِهَا وَمَنْ كَانَ يُنَافِضُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَوْ يَقْصِرُ عَنْهَا فَمَا  
 الْقَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي ذِكْرِ الْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَنَقْشِ الْخَاتَمِ وَاللَّقَبِ وَالْقَاضِي  
 وَالْوَزِيرِ وَالْحَاجِبِ مِنْ دَوْلَةٍ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أَصُولَهُمْ وَلَا أَنْسَابَهُمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ  
 إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالْعَقْلَةُ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَلِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالذُّهُولُ عَنْ تَحْرِي  
 الْأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذَكَرَ الْوُزَرَاءَ الَّذِينَ عَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَعَفَتْ عَنِ الْمُلُوكِ  
 أَخْبَارُهُمْ كَالْحُجَّاجِ وَبَنِي الْمُهَلَّبِ وَالْبَرَامِكَةِ وَبَنِي سَهْلٍ بْنِ نُوحٍ وَكَافُورَ الْأَخْشِيدِي  
 وَأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمثالِهِمْ فَعَبْرٌ نَكِيرٌ لِأَلَمَاعٍ بِأَبَائِهِمْ وَالْإِشَارَةُ إِلَى أَحْوَالِهِمْ لِانْتِظَامِهِمْ  
 فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ . وَلَنَذْكُرْ هُنَا فَائِدَةً نَحْنُ كَلَامُنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
 إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَأَمَّا ذِكْرُ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ لِلْأَفَاقِ  
 وَالْأَجْيَالِ وَالْأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ لِلْمُؤَرِّخِ تَنَبُّيٌ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَنَبُّيٌّ بِهِ أَخْبَارُهُ  
 وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفْرِدُونَهُ بِالتَّأْلِيفِ كَمَا فَعَلَهُ الْمَسْعُودِي فِي كِتَابِ مَرْجٍ إِلَهٍ شَرَحَ  
 فِيهِ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَالْأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالْثَّلَاثِمِائَةِ غَرَبًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
 نَحْلَهُمْ وَعَوَائِدَهُمْ وَوَصَفَ الْبُلْدَانَ وَالْجِبَالَ وَالنَّجَارَ وَالْمَمَالِكَ وَالدُّوَلِ وَفَرَّقَ شُعُوبَ  
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَصَادَ إِمَامًا لِلْمُؤَرِّخِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يَبْعَثُونَ فِي تَحْقِيقِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ الْبُكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ فَعَمِلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَمَالِكِ وَالْمَمَالِكِ  
 خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا كَثِيرٌ انْتِقَالَ  
 وَلَا عَظِيمٌ تَغْيِيرًا وَأَمَّا هَذَا الْعَهْدُ وَهُوَ آخِرُ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ انْقَلَبَتْ أَحْوَالُ الْمَغْرِبِ  
 الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَتَبَدَّلَتْ بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ الْبُزَيْرِ أَهْلُهُ عَلَى الْقَدَمِ بِمَا  
 طَرَأَ فِيهِ مِنْ لُذُنِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ أَجْيَالِ الْعَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَعَلَّيْهِمْ وَأَنْتَرَعُوا مِنْهُمْ  
 عَامَّةَ الْأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا نَزَلَ بِالْعَمْرَانِ



بَرْقًا وَغَرَابًا فِي مُنْتَصَفِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الطَّاعُونَ الْجَارِفِ الَّذِي تَحَيَّفَتِ الْأُمَمُ  
 وَهَبَ بِأَهْلِ الْجَبَلِ وَطَوَى كَثِيرًا مِنْ مَحَاسِنِ الثُّمُرَانِ وَتَحَاكَمَا وَجَاءَ لِلدُّوَلِ عَلَى حِينِ  
 هَرَمِهَا وَبُلُوغِ النَّازِيَةِ مِنْ مَدَاهَا فَقَلَصَ مِنْ ظِلَالِهَا وَقَلَ مِنْ حَدِّهَا وَأَوْهَنَ مِنْ سُلْطَانِهَا  
 وَتَدَاعَتْ إِلَى التَّلَافِي وَالْإِخْمَاعِ لَأَلْأَمَوَالِهَا وَانْقَضَ عُمْرَانُ الْأَرْضِ بِانْقِضَ الْبَشَرِ  
 نَحَرَتِ الْأَمَصَارُ وَالْمَصَانِعُ وَدُرِسَتِ السُّبُلُ وَالْمَعَالِمُ وَخَلَّتِ الدِّيَارُ وَالْمَنَازِلُ وَصَغُفَتِ  
 الدُّوَلُ وَالْقَبَائِلُ وَبَدَّلَ السَّاكِنُ وَكَانَنِي بِالْمَشْرِقِ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْمَغْرِبِ  
 لَكِنَ عَلَى نِسْبَتِهِ وَمِقْدَارِ عُمْرَانِهِ وَكَأَنَّمَا نَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْعَالَمِ بِالْخَمُولِ  
 وَالْإِنْقِصَاصِ فَبَادَرَ بِالْإِلْجَابَةِ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِذَا تَبَدَّلَتِ الْأَحْوَالُ  
 جُمْلَةً فَكَأَنَّمَا تَبَدَّلَ الْخَلْقُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَحَوَّلَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ وَكَأَنَّهُ خَلَقَ جَدِيدًا وَنَشَأَ  
 مُسْتَأْنَفَةً وَعَالَمٌ مُجَدِّدٌ فَاحْتَاجَ لِهَذَا الْعَمِدِ مِنْ بُدُونِ أَحْوَالِ الْخَلِيقَةِ وَالْأَفَاقِ وَأَجْيَالِهَا  
 وَالْعَوَائِدِ وَالنَّحْلِ الَّتِي تَبَدَّلَتْ لِأَهْلِهَا وَبَقِوْهُ مِثْلَكَ الْمَسْعُودِي لِعَصْرِهِ لِيَكُونَ أَصْلًا بِقُنْدِي  
 بِهِ مِنْ بَأْتِي مِنَ الْمَوْزَخِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَا ذَا كَرٍ فِي كِتَابِي هَذَا مَا أُمَكِّنِي مِنْهُ فِي هَذَا  
 الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَّا صَرِيحًا أَوْ مُتَدَرِّجًا فِي أَخْبَارِهِ وَتَلَوِيحًا لِإِخْتِصَاصِ قَصْدِي فِي  
 التَّأْلِيفِ بِالْمَغْرِبِ وَأَحْوَالِ أَجْيَالِهِ وَأُمَمِهِ وَذَكَرَ مِمَّا لَكُمْ وَدَوَّلِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ  
 الْأَفْطَارِ لَعَدِمَ أَطْلَاعِي عَلَى أَحْوَالِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِهِ وَأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُتَنَافِلَةَ لَا تَقِي كُتُبَهُ  
 مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ وَالْمَسْعُودِي إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رِحْلَتِهِ وَثَقُلِيهِ فِي الْإِلَادِ كَمَا ذَكَرَ  
 فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْرِبَ قَصَرَ فِي اسْتِيفَاءِ أَحْوَالِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
 عَلَيْهِ وَمَرَدُّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَشَرُ عَاجِزٌ قَاصِرٌ وَالْاعْتِرَافُ مُتَعَيِّنٌ وَاجِبٌ وَمَنْ كَانَ  
 اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَبَسَّرَتْ عَلَيْهِ أَلْمَذَاهِبُ وَأُنْجِحتْ لَهُ الْمَسَاعِي وَالْمَطَالِبُ وَتَحَنُّنُ أَخْذُونَ  
 بِعَوْنِ اللَّهِ فِيمَا رُمَتْهُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّأْلِيفِ وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ  
 وَقَدْ بَقِيَ عَيْنَانِ أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ  
 إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا

إِعْلَمُ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ كَمَا بَأْتِي فِي شَرْحِهِ بَعْدَ هِيَ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ  
 مِنَ الْحُجْرَةِ تَعْرِضُ مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَتِ بِقَرْعِ أَلْهَاءِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ الْحَنَكِ وَالْحَلْقِ  
 وَالْأَخْرَاسِ أَوْ بِقَرْعِ الثَّمَنَيْنِ أَيْضًا فَتَتَغَايَرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ بِتَغَايُرِ ذَلِكَ الْقَرْعِ

وَيَجِيءُ الْحُرُوفُ مُتَمَايِزَةً فِي السَّمْعِ وَتَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْكَلِمَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَى مَا فِي الصَّمَاةِ  
وَلَيْسَتْ الْأُمَمُ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةً فِي النُّطْقِ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ فَقَدْ يَكُونُ لِأُمَّةٍ مِنَ الْحُرُوفِ مَا  
لَيْسَ لِأُمَّةٍ أُخْرَى وَالْحُرُوفُ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا الْعَرَبُ هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا كَمَا عَرَفْتَ  
وَنَجِدُ لِلْعِبْرَانِيِّينَ حُرُوفًا لَيْسَتْ فِي لُغَتِنَا وَفِي لُغَتِنَا أَيْضًا حُرُوفٌ لَيْسَتْ فِي لُغَتِهِمْ وَكَذَلِكَ  
الْإِفْرَنْجِيُّ وَالْأَنْدَلُسِيُّ وَالْبَرْبَرْ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعَجَمِ ثُمَّ إِنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرَبِ  
أَصْطَلَحُوا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حُرُوفِهِمُ الْمُسَمَّوَةِ بِأَوْضَاعِ حُرُوفٍ مَكْتُوبَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ بِأَشْخَاصِهَا  
كَوَضْعِ أَلِفٍ وَبَاءٍ وَجِيمٍ وَرَاءَ وَطَاءٍ إِلَى آخِرِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ  
الْحَرْفُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ لُغَتِهِمْ بَقِيَ مُهْمَلًا عَنِ الدَّلَالَةِ الْكِتَابِيَّةِ مُتَمَلًّا عَنِ الْبَيَانِ  
وَرُبَّمَا يَرْتَمِهُ بَعْضُ الْكِتَابِ بِشَكْلِ الْحَرْفِ الَّذِي يَكْتَتِفُهُ مِنْ لُغَتِنَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ  
وَلَيْسَ يَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ بَلْ هُوَ تَغْيِيرٌ لِلْحَرْفِ مِنْ أَصْلِهِ وَلَمَّا كَانَ كِتَابُنَا مُشْتَمَلًا عَلَى  
أَخْبَارِ الْبَرْبَرْ وَبَعْضِ الْعَجَمِ وَكَانَتْ تَعْرِضُ لَنَا فِي أَسْمَائِهِمْ أَوْ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمْ حُرُوفٌ  
لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ كِتَابَتِنَا وَلَا أَصْطِلَاحِ أَوْضَاعِنَا أَضْطَرَرْنَا إِلَى بَيَانِهِ وَلَمْ نَكْتَفِ بِرِسْمِهِ  
الْحَرْفِ الَّذِي يَلِيهِ كَمَا قُلْنَا لَهُ لِأَنَّهُ عِنْدَنَا غَيْرُ وَافٍ بِالدَّلَالَةِ عَلَيْهِ فَأَصْطَلَحْتُ فِي كِتَابِي هَذَا  
عَلَى أَنْ أَضَعُ ذَلِكَ الْحَرْفَ الْعَجَمِيَّ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْحَرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتَتِفَانِهِ لِيَتَوَسَّطَ  
الْقَارِءُ بِالنُّطْقِ بِهِ بَيْنَ مَخْرَجِي ذَيْنِكَ الْحَرْفَيْنِ فَتَحْصُلَ نَادِيَتُهُ وَإِنَّمَا اقْتَبَسْتُ ذَلِكَ مِنْ  
رِسْمِ أَهْلِ الْمُصْحَفِ حُرُوفِ الْأَشْجَامِ كَالصِّرَاطِ فِي قِرَاءَةِ خَافٍ فَإِنَّ النُّطْقَ بِصَادِهِ  
فِيهَا مُعْجَمٌ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الصَّادِ وَالزَّايِ فَوَضَعُوا الصَّادَ وَرَسَمُوا فِي دَاخِلِهَا شَكْلَ الزَّايِ  
وَدَلَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ فَكَذَلِكَ رَسَمْتُ أَنَا كُلَّ حَرْفٍ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ  
حَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِنَا كَالْكَافِ الْمُتَوَسِّطَةِ عِنْدَ الْبَرْبَرْ بَيْنَ الْكَافِ الصَّرِيحَةِ عِنْدَنَا  
وَالْجِيمِ أَوْ الْقَافِ مِثْلَ أَنْسَمِ بَلَكِنْ فَأَضَعُهَا كَافًا وَأَنْقُطُهَا بِنُقْطَةِ الْجِيمِ وَاحِدَةً مِنْ أَسْفَلُ  
أَوْ بِنُقْطَةِ الْقَافِ وَاحِدَةً مِنْ فَوْقُ أَوْ أَتَيْنِي فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْكَافِ  
وَالْجِيمِ أَوْ الْقَافِ وَهَذَا الْحَرْفُ أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي لُغَةِ الْبَرْبَرْ وَمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِهِ فَقَلَى  
هَذَا الْقِيَاسُ أَضَعُ الْحَرْفَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مِنْ لُغَتِنَا بِالْحَرْفَيْنِ مَعًا لِيَعْلَمَ الْقَارِءُ  
أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ فَيَنْطِقُ بِهِ كَذَلِكَ فَتَكُونُ قَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَلَوْ وَضَعْنَاهُ بِرِسْمِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ  
عَنْ جَانِبِهِ لَكُنَّا قَدْ صَرَفْنَاهُ مِنْ مَخْرَجِهِ إِلَى مَخْرَجِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْ لُغَتِنَا وَغَيْرِنَا

## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والغلب والكسب

والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو  
عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل الوحش والانس  
والعصيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك  
والدول ومراتبها وما يتخلله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم  
والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال. ولما كان الكذب  
مطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه <sup>(١)</sup> افقها النشئة للاراء والمذاهب فان  
النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التحصيل والنظر  
حتى تبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع راى او فخله فقلت ما يوافقها من  
الاخبار لاؤل وهله وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد  
والتحصيل فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار  
ايضا الثقة بالناقلين وتحصيل ذلك يرجع الى التعديل والتجريح <sup>(٢)</sup> ومنها الذهول عن  
المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف الصدقا عاين او سمع وينقل الخبر على ما في  
ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر  
من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيقات الاحوال على الوقائع لاجل ما بداخلها من  
التليس والتضع فينقلها الخبر كما راها وهي بالتضع على غير الحق في نفسه <sup>(٣)</sup> ومنها  
تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال  
واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب  
الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاء او نزوة ولبسوا في الاكثر براغبين  
في الفضائل ولا متأسفين في اهلها. <sup>(٤)</sup> ومن الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على  
جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث

ذَاتَا كَانَ أَوْ فِعْلًا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْصُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيَا يَعْزُضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّمْعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْوُجُودِ وَمَقْتَضِيَاتِهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَخْيِصِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِّبِ وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّخْيِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَعْزُضُ وَكَثِيرًا مَا يَعْزُضُ السَّمَاعِينَ قَبُولُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَبَقُولُهَا وَتَوَثُّرُ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمُسْعُودِيُّ عَنِ الْأَسْكَنْدَرِيِّ لَمَّا صَدَنَتْ دَوَابُّ النِّجَرِ عَنْ بِنَاءِ الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ وَكَيْفَ  
 اخْتَدَّ صُنْدُوقُ الرُّجَاجِ وَعَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ النِّجَرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّيْطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ ثَمَانِيَلَهَا مِنْ أَجْسَادٍ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْبَنِيَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ  
 خَرَجَتْ وَعَابَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خِرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 اخْتِزَامِ الثَّابُوتِ الرُّجَاجِيِّ وَمُصَادَمَةِ النِّجَرِ وَأَمَّا وَجْهٌ يَجْرِمُهُ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمَلُوكَ لَا تَحْمِلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْغُرُورِ وَمَنْ اعْتَمَدَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهَاسَةِ وَانْتِقَاضِ  
 الْعَقْدَةِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ إِنْتِلَافُهُ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غُرُورِهِ  
 ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجِنَّ لَا يُعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَازِيلَ تَخْصُ بِهَا إِنَّمَا فِي  
 قَادِرَةٍ عَلَى التَّشْكِيلِ وَمَا يَذْكُرُ مِنْ كَثَرَةِ الرُّثُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ  
 وَالتَّهْوِيلُ لَا أَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْعَجَلُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الْوُجُودِ أَبَيَّنَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَهُوَ أَنَّ الْمُنْتَمِسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَضِيْقُ عَلَيْهِ أَلْهَوَاهُ لِلنَّفْسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسَخُّنُ رُوحَهُ بِسُرْعَةِ لِقَائِهِ فَيَقْدُ صَاحِبُهُ أَلْهَوَاهُ  
 الْبَارِدَ الْمَعْدِلَ لِمَزَاجِ الرِّقَّةِ وَأَرْوَحِ الْقَلْبِيِّ وَيَهْلِكُ مَكَانَهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ عَنْ أَلْهَوَاهُ الْبَارِدِ وَالْمُنْتَدِلِينَ فِي الْآبَارِ وَالْمَطَامِيرِ  
 الْعَمِيقَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخُنَ هَوَاؤُهَا بِالْعَفْوَةِ وَلَمْ تَدْخُلْهَا الرِّيحُ فَتَخْلُجْهَا فَإِنَّ الْمُنْتَدِلَ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْنِهِ وَبِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ مَوْتُ الْحَوْتِ إِذَا فَارَقَ النِّجَرَ فَإِنَّ أَلْهَوَاهُ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رِئْتِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يُعْدِلُهُ بَارِدٌ وَأَلْهَوَاهُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْحَارُّ عَلَى رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ وَيَهْلِكُ دَفْعَةً وَمِنْهُ هَلَاكِ الْمَصُوفِينَ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمُسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي تِمْنَالِ الرُّزْزُورِ الَّذِي بِرُومَةِ  
 تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الرُّزَازِيرُ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْنُونِ وَمِنْهُ يَتَغَدَّوْنَ زَيْتَهُمْ  
 وَنَظَرُ مَا أَعْبَدَ ذَلِكَ عَنِ الْعَجْزِ الطَّبِيعِيِّ فِي اخْتِزَامِ الرِّبِّ وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبُكْرِيُّ

فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمَسْأَلَةُ ذَاتِ الْأَبْوَابِ مُحِيطٌ بِأَكْثَرِ مِنَ ثَلَاثِينَ مَرَّحَلَةً وَتَشْتَمِلُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمَدُنُ إِنَّمَا اخْتُذَتْ لِلتَّحَصُّنِ وَالْإِعْتِصَامِ كَمَا بَأْتِي وَهَذِهِ خَرَجَتْ عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حُصْنٌ وَلَا مُعْتَصِمٌ وَكَمَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي حَدِيثِ مَدِينَةِ النُّحَاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا نُحَاسٌ وَصَفَرَاءُ سِجْلَمَاسَةَ ظَفَرُهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مَغْلَقَةٌ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْخَائِطِ صَوَّقَ وَدَسَى بِنَفْسِهِ فَلَا يُرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثِ مُسْتَحِيلٍ عَادَةً مِنْ خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَصَفَرَاءُ سِجْلَمَاسَةَ قَدْ نَقَضَهَا الرُّكَّابُ وَالْأَدْلَاءُ وَلَمْ يَقِفُوا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى خَبَرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلَّهَا مُسْتَحِيلٌ عَادَةً مُنَافٍ لِلْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمَدُنِ وَاخْتِطَاطِهَا وَأَنَّ الْمَعَادِنَ غَايَةَ الْمَوْجِبِ مِنْهَا أَنْ يَصْرِفَتْ فِي الْآلِيَةِ وَالْخُرْنِي<sup>(١)</sup> وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْأَسْجَالَةِ وَالْبَعْدِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَخْيِصُهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْثَقُهَا فِي تَخْيِصِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّخْيِصِ بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ وَلَا يُرْجِعُ إِلَى تَعْدِيلِ الرُّوَاةِ حَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فَلَا فَائِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالتَّجَرُّجِ وَلَقَدْ عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنَ الْمَطَاعِينَ فِي الْخَبَرِ اسْتِحْجَالَ مَذْلُولِ اللَّفْظِ وَتَأْوِيلُهُ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا كَانَ التَّعْدِيلُ وَالتَّجَرُّجُ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي صِحَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَكَالِيفُ إِنْشَائِيَّةٌ أَوْ جَبَّ الشَّارِعُ الْعَمَلُ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ صِحَّةِ الظَّنِّ التَّقَهُ بِالرُّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ . وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنْ الْوَاقِعَاتِ فَلَا بُدَّ فِي صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا مِنْ أَعْتِبَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُنْظَرَ فِي إِمْكَانِ وَقُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَهَمُّ مِنَ التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذْ فَائِدَةُ الْإِنْشَاءِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْهُ فَقَطْ وَفَائِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِالْإِمْكَانِ وَالْإِسْتِحْجَالِ أَنْ تُنْظَرَ فِي الْأَجْمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَتُمَيِّزُ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْأَحْوَالَ لِئَانِهِ وَبِمُقْتَضَى طَبْعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْزُضَ لَهُ وَإِذَا قَمَلْنَا ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَنَا قَانُونًا فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

مِنَ الْكَذِبِ بِوَجْهِ بُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا سَمِعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْأُمَمِ عَلَيْنَا مَا نَحْكُمُ بِقَبُولِهِ مِمَّا نَحْكُمُ بِتَرْكِيفِهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مَعْيَارًا صَحِيحًا يَجْعَلُ بِهِ الْمَوْزُونُ طَرِيقَ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَقُولُهُ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنَ تَأْلِيفِنَا وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسَقَّلٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضُوعٍ  
 وَهُوَ الْأُمَمُ الْبَشَرِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ وَذَوِ مَسَائِلٍ وَهِيَ بَيَانُ مَا يَخْلُقُهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضَعِيًّا كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيًّا. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَعِدُّ الصَّنْعةِ غَرِيبُ النَّزْعَةِ عَنِ الْفَائِدَةِ  
 اعْتَرَى عَلَيْهِ أَلْبَعَثُ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْغَوْصُ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْخِطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْمَقْنَعَةُ  
 التَّائِعَةُ فِي أَسْئَالَةِ الْجُمْهُورِ إِلَى رَأْيِ أَوْ صَدِّهِمْ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدِينَةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدِينِيَّةُ هِيَ تَدْبِيرُ الْمَنْزِلِ أَوِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِمَقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِيَجْعَلَ الْجُمْهُورُ عَلَى مِنْهَاجٍ يَكُونُ فِيهِ حِفْظُ النَّوعِ وَبِقَاؤُهُ فَقَدْ خَالَفتْ  
 مَوْضُوعُهُ مَوْضُوعَ هَذَيْنِ الْفَنَيْنِ الَّذِينَ رُبَّمَا يُشَبَّهَانِ وَكَانَهُ عِلْمٌ مُسْتَبْطَلُ النِّسَاءِ وَالْعَمْرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَنْحَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ مَا أَذْرِي الْغَفْلَتِي عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَاسْتَوْفَوْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحُكْمَاءُ فِي أُمَمِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 مِمَّا وَصَلَ فَأَيْنَ عُلُومِ الْفِرْسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَحْوِهَا عِنْدَ الْقَتْلِ وَأَيْنَ عُلُومِ  
 الْكِلْدَانِيِّينَ وَالسَّرِيبَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَثَارِهَا وَتَنَاجُجِهَا وَأَيْنَ عُلُومِ  
 الْقُبْطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ يُونَانُ خَاصَّةً لِكُلِّفِ الْمَأْمُونِ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لَعْنَتِهِمْ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى ذَلِكَ يَكْثَرَةُ الْمُتَرْجِمِينَ وَبَذَلِ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 تَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةً طَبِيعِيَّةً بِصَلْحٍ أَنْ يُعْثَرَ  
 عَمَّا يَعْزِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بِأَعْيُنِ كُلِّ مَفْهُومٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٌ  
 مِنَ الْعُلُومِ بِخُصَّةٍ لَكِنَّ الْحُكْمَاءَ لَعَلَّهُمْ إِنَّمَا لَاحَظُوا فِي ذَلِكَ الْعَيْنَاةَ بِالنَّمَرَاتِ وَهَذَا  
 إِنَّمَا ثَمَرَتُهُ فِي الْأَخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَانَتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي اخْتِصَاصِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنَّ ثَمَرَتَهُ تَفْصِيحُ الْأَخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْنِيْمُ  
 مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. وَهَذَا أَتَى الَّذِي لَاحَظْنَا النَّظَرَ فِيهِ نَجِدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجْرِي بِالْغَرَضِ

لِأَهْلِ الْعُلُومِ فِي بَرَاهِينِ عُلُومِهِمْ وَفِيهِ مِنْ جَنْسِ مَسَائِلِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالطَّلَبِ مِثْلَ مَا  
بَذَرَهُ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ فِي اثْبَاتِ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنَّ الْبَشَرَ مُتَعَاوِنُونَ فِي وُجُودِهِمْ  
فَيَتَحَاوُونَ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَالْوَازِعِ وَمِثْلَ مَا بَذَرَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ فِي بَابِ اثْبَاتِ  
الْعُقُوتِ أَنَّ النَّاسَ مُتَحَاوُونَ إِلَى الْعِمَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ بِطَبِيعَةِ التَّعَاوُنِ وَالْاجْتِمَاعِ وَتَبَيَّنَ  
الْعِمَارَاتُ أَخْذٌ وَمِثْلَ مَا بَذَرَهُ الْفُقَهَاءُ فِي تَعْلِيلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَقَاصِدِ  
فِي أَنَّ الزَّنا مُخْلَطٌ لِلْأَنْسَابِ مُفسِدٌ لِلنَّوْعِ وَأَنَّ الْقَتْلَ أَيْضًا مُفسِدٌ لِلنَّوْعِ وَأَنَّ الظُّلْمَ  
مُؤْذِنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الْمُقْضِي لِإِسَادِ النَّوْعِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ  
فِي الْأَحْكَامِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِفَافَةِ عَلَى الْعُمْرَانِ فَكَانَ لَهَا النَّظَرُ فِيمَا يَعْزُضُ  
لَهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنْ كَلَامِنَا هَذَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُثَلَّةِ وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقَعُ إِلَيْنَا الْقَلِيلُ  
مِنْ مَسَائِلِهِ فِي كَلِمَاتٍ مَتَرَفِقَةٍ لِحُكَمَاءِ الْخَلِيقَةِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَوْفُوهُ مِنْ كَلَامِ  
الْمَوْبَذَّانِ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ فِي حِكَايَةِ الْيَوْمِ الَّتِي نَقَلَهَا الْمَسْعُودِيُّ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ  
الْمَلِكَ لَا يَتِمُّ عَزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَلَا  
قِيَامَ لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْأَهْلِ  
وَلَا سَبِيلَ لِلْأَهْلِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ  
الْمَنْصُوبُ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَمِنْ كَلَامِ أُنُوشِروَانَ  
فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعْنَهُ الْمَلِكُ بِالْجُنْدِ وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ وَالْمَالُ بِالْخِرَاجِ وَالْخِرَاجُ بِالْعِمَارَةِ  
وَالْعِمَارَةُ بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ بِإِصْلَاحِ الْعُمَالِ وَإِصْلَاحُ الْعُمَالِ بِاسْتِقَامَةِ الْوُزَرَاءِ  
وَرَأْسُ الْكُلِّ بِإِنْفِقَادِ الْمَلِكِ حَالَ رِعْيَتِهِ بِنَفْسِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى تَأْدِيبِهَا حَتَّى يَمْلِكَهَا  
وَلَا تَمْلِكُهَا وَفِي الْكِتَابِ الْمُنْسُوبِ لِأَرِسْطُو فِي السِّيَاسَةِ الْمُتَدَاوِلِ بَيْنَ النَّاسِ جُزْءٌ  
صَالِحٌ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَوْفٍ وَلَا مُعْطَى حَقُّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَمُخْتَلَطٌ بِغَيْرِهِ وَقَدْ أَشَارَ  
فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَقَلْنَاهَا عَنْ الْمَوْبَذَّانِ وَأُنُوشِروَانَ وَجَعَلْنَا  
فِي الدَّائِرَةِ الْقَرِيبَةِ الَّتِي أَعْظَمُ الْقَوْلِ فِيهَا هُوَ قَوْلُهُ : الْعَالَمُ بُسْتَانٌ سِيَاحُهُ الدَّوْلَةُ الدَّوْلَةُ  
سُلْطَانٌ تَحْتَهُ بِهَ السَّنَةُ السَّنَةُ سِيَاسَةٌ بِسُوسِهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ نِظَامٌ بِعَضْدِهِ الْجُنْدُ  
الْجُنْدُ أَعْوَانٌ بِكُنْفَلِهِمُ الْمَالُ الْمَالُ رِزْقٌ تَجْمَعُهُ الرِّعْيَةُ الرِّعْيَةُ عَيْدٌ بِكُنْفَلِهِمُ الْعَدْلُ  
الْعَدْلُ مَا لَوْ وَبِهِ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعَالَمُ بُسْتَانٌ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ فَهَيْهَذَا نَمَانُ

كَلِمَاتٍ حَكِيمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ ارْتَبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَارْتَدَّتْ أَعْجَازُهَا إِلَى صُدُورِهَا وَانْصَلَتْ فِي دَائِرَةٍ لَا يَتَعَيَّنُ طَرَفُهَا نَحْوَ بَعْثُورِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمٌ مِنْ قَوَائِدِهَا . وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّوَلِ وَالْمَلِكِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّنْقِصِ وَالذَّهْمِ عَزَزْتَ فِي أَثْنَائِهِ عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَقْصِيلِ إِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى يَتَنَا بِأَوْعَبِ بَيَانٍ وَأَوْفَحَ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ أَطْلَعْنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ أَرَسَطُوا وَلَا إِفَادَةٍ مَوْبَدَّانٍ وَكَذَلِكَ تَبَعْدُ فِي كَلَامِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ وَمَا يُسْتَظَرُّدُ فِي رِسَالَتِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِ كِتَابِنَا هَذَا غَيْرِ مَبْزُورَةٍ كَمَا بَرَهْنَاهُ إِنَّمَا يُجْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنَحَى الْخُطَابَةِ فِي أُسْلُوبِ التَّرْسُلِ وَبِلَاغَةِ الْكَلَامِ . وَكَذَلِكَ حَوْمُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيِّ فِي كِتَابِ سِرَاجِ الْمُلُوكِ وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابٍ تَقْرُبُ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلِهِ لَكِنَّهُ لَمْ يُصَادَفْ فِيهِ الرَّمِيَّةُ وَلَا أَصَابَ الشَّاكِلَةَ وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ وَلَا أَوْفَحَ الْأَدْلَةَ إِنَّمَا يُبَوِّبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَنَارِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مَبْثُورَةً لِحُكَمَاءِ الْفَرَسِ مِثْلَ بَرَزْجَمَهَرٍ وَالْمَوْبَدَّانِ وَحُكَمَاءِ الْهِنْدِ وَالْمَأُتُورِ عَنْ دَانِيَالٍ وَهَرْمِسَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَارِ الْخَلِيقَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيقِ فَنَاءً وَلَا يَرْفَعُ بِالْبُرْهَانِ الطَّبِيعِيِّ حِجَابًا إِنَّمَا هُوَ ثَقُلٌ وَتَرْكِيبٌ شَبِيهُ بِالْمَوَاعِظِ وَكَأَنَّهُ حَوْمٌ عَلَى الْفَرَسِ وَلَمْ يَصَادَفْهُ وَلَا تَحَقَّقْ قَصْدُهُ وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ وَنَحْنُ أَلْهَمْنَا اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ الْهَامَا وَأَعْتَرَا عَلَى عِلْمِهِ جَعَلْنَا بَيْنَ نُسُكْرَةٍ وَجَبِيئَةٍ خَبَرَهُ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَمَيَّزْتُ عَنْ سَائِرِ الصَّنَائِعِ أَنْظَارَهُ وَأَنْتَاهُ تَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ وَهِدَايَةٌ وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِحْصَائِهِ وَاسْتَهْتَبْتُ بَغْيَرَهُ فَلِلنَّازِلِ التَّحْقِيقِ إِصْلَاحُهُ وَلِيَ الْفَضْلُ لِأَنِّي نَهَجْتُ لَهُ السَّبِيلَ وَأَوْفَحْتُ لَهُ الطَّرِيقَ وَاللَّهُ يَهْدِي بُيُورِهِ مِنْ بَشَاءٍ . وَنَحْنُ الْآنَ نَبِّينُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَعْزُضُ الْبَشَرَ فِي أَجْنَاعِهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمُرَانِ فِي الْمُلْكِ وَالْكَسْبِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ يَوْجُوهُ بُرْهَانِيَّةٍ يَتَضَحُّ بِهَا التَّحْقِيقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَتَرْفَعُ الشُّكُوكُ . وَنَقُولُ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ أَخْصَصِ بِهَا فَنَهَا الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشَرَفَ بِوَضْفِهِ عَلَى الْخَلْقَاتِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ إِلَى الْحَكْمِ الْوَازِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ إِذْ لَا يُمَكِّنُ وَجُودُهُ دُونَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَّا مَا يُقَالُ عَنِ النُّحْلِ وَالْجُرَادِ وَهَذِهِ وَإِنْ كَانَ لَهَا



مِثْلُ ذَلِكَ فَبَطَرِيقِ الْإِلَهَامِيِّ لَا يَفْكَرُ وَرَوِيَّةٍ وَنَهْجِ السَّعْيِ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالِ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وَجْهِهِ . وَأَكْتَسَابِ أَسْبَابِهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِتْقَانِ إِلَى الْغِنَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّيَاسَةِ وَطَالِبِهِ قَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَفِيهَا الْعُمَرَانُ وَهُوَ النَّسَاكُنُ وَالْتِنَازُلُ فِي مَضَرٍّ أَوْ حِلَّةٍ لِلْأَنْسِ بِالْعَشِيرِ وَاقْتِضَاءُ الْحَاجَاتِ لِمَا فِي طِبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمَرَانُ مَا يَكُونُ بَدْوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي السَّوَاخِجِ وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحِلَالِ الْمُنْتَجِعَةِ فِي الْقَفَارِ وَأَطْرَافِ أَرَمِ مَالٍ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضَرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمُدُنِ وَالْمَدَرِّ لِلْإِعْتِصَامِ بِهَا وَالتَّخَضُّعِ بِحُدُرَانِهَا وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرِضُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ عُرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جَرَمَ أَنْ تَخْصَرَ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ . الْأَوَّلُ فِي الْعُمَرَانِ الْبَشَرِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وَالثَّانِي فِي الْعُمَرَانِ الْبَدْوِيِّ وَذَكَرَ الْقَبَائِلَ وَالْأُمَمَ الْوَحْشِيَّةَ . وَالثَّالِثَ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمُلْكِ وَذَكَرَ الْمَرَاتِبَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالرَّابِعَ فِي الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ . وَالْخَامِسَ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ . وَالسَّادِسَ فِي الْعُلُومِ وَكَسْبِهَا وَتَعَلُّمِهَا . وَقَدْ قَدِّمْتُ الْعُمَرَانِ الْبَدْوِيَّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى حَمِيمِهَا كَمَا نَبَّيْنُكَ لَكَ بَعْدَ وَكَذَا تَقْدِيمُ الْمُلْكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعْلُمُ الْعِلْمِ كَالِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ وَطَبِيعِيٌّ أَقْدَمُ مِنَ الْكَمَالِيِّ وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ يَبْعُضُ الْوُجُوهِ وَبِئْسَ حَيْثُ الْعُمَرَانُ كَمَا نَبَّيْنُكَ لَكَ بَعْدَ وَاللَّهِ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

## الفصل الأول

### من الكتاب الاول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الأولى فِي أَنَّ الْاجْتِمَاعَ الْإِنْسَانِيَّ ضَرُورِيٌّ وَبَعْدَ الْحُكْمَاءِ عَنْ هَذَا يَقُولُهُمُ الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ أَيْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الْمَدِينَةُ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ وَهُوَ مَعْنَى الْعُمَرَانِ وَبَيَّانُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صَوْرَةٍ لَا يَصِحُّ

حَيَاتَهَا وَبَقَاؤَهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّاسِيَةِ بِفِطْرَتِهِ وَبِمَا رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَادِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ غَيْرَ مُؤَيَّدَةٍ لَهُ بِمَادَّةٍ حَيَاتِيَةٍ مِنْهُ وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمْكِنُ فَرَضُهُ وَهُوَ قُوَّةٌ يَوْمٌ مِنَ الْخِطَّةِ مَثَلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعْنِ وَالْعَيْنِ وَالطَّغْرِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَوَاعِينٍ وَالْآتِ لَا تَنِي إِلَّا بِصَنَائِعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ حَمَادٍ وَتِجَارٍ وَفَاخُورِيٍّ وَهَبَ أَنَّهُ بِأَكْلِهِ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَهُوَ أَيْضًا يَحْتَاجُ فِي تَحْصِيلِهِ أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحِصَادِ وَالذَّرَاسِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ غِلَافِ السَّنْبُلِ وَيَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ آتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَصَنَائِعٍ كَثِيرَةٍ أَكْثَرُ مِنَ الْأُولَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَعِجِلُ أَنْ تَنِي بِذَلِكَ كُلُّهُ أَوْ يَبْعُضُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ فَلَا بُدَّ مِنْ اجْتِمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِيَحْصَلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَلَهُمْ فَيَحْصُلُ بِالْتَّعَاوُنِ قُدْرُ الْكَتَابَةِ مِنَ الْحَاجَةِ لَا كَثَرَتْ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ الطَّيَافِعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَ بَيْنَهَا جَعَلَ حُظُوظَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْفُجْمِ مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حَظِّ الْإِنْسَانِ فَقُدْرَةُ الْفَرَسِ مَثَلًا أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ وَكَذَا قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالثَّوْرِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا كَانَ الْعُدُوَانُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عُضْوًا يَخْصُصُ بِمُدَافَعَتِهِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْفِكْرُ وَالْيَدُ فَالْيَدُ مِهْنَةٌ لِلصَّنَائِعِ بِمُخْدَمَةِ الْفِكْرِ وَالصَّنَائِعُ تَحْصِلُ لَهُ الْآلَاتِ الَّتِي تُنَوِّبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ الْمُعَدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرَّمَاكِ الَّتِي تُنَوِّبُ عَنِ الْقُرُونِ النَّاطِقَةِ وَالسُّيُوفِ النَّائِبَةِ عَنِ الْحَمَالِ الْجَارِحَةِ وَالْتَّرَاسِ النَّائِبَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ بِمَا ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَأَلْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا يَقَاوِمُ قُدْرَتُهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْفُجْمِ سِوَمَا الْمَفْتَرِسَةِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ مُدَافَعَتِهَا وَحَدَهُ بِالْجُمْلَةِ وَلَا تَنِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ الْمُعَدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا نَتْمُ حَيَاتِهِ لِمَا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا

دَفَاعٌ عَنْ نَفْسِهِ لِفَقْدَانِ السِّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيسَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَيُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ عَنْ مَدَى حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَصَلَ لَهُ الْقُوَّةُ لِلْغِذَاءِ وَالسِّلَاحُ الْمُدَافَعَةُ وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ وَحِنْظُ نَوْعِهِ فَإِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ صَرُورِيٌّ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَإِلَّا لَمْ يَكْمُلْ وُجُودُهُمْ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ اعْتِمَادِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَأَسْتَغْلَالِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعُمْرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضِعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ اثْبَاتِ الْمَوْضُوعِ فِي فَنِّهِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمُنَظَّمَةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى صَاحِبِ عِلْمٍ اثْبَاتُ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمُحْتَوَّاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ اثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ الْمُوقِفُ بِقَبْلِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمْرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ وَازِعٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طَبَاعِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْحَيَوَانَاتِ تُجْعَلُ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ عَنْهُمْ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لِجَمِيعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَلَا يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ عَنْ مَدَارِكِهِمْ وَإِلْهَامَاتِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَازِعُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْغَلَبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى غَيْرِهِ يَعْذِرُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ لِلْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعَةً وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ يُوْجَدُ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحُكَمَاءُ كَمَا فِي النَّمْلِ وَالْجُرَادِ لِمَا اسْتَقَرَّ فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالِاتِّبَاعِ لِرَأْسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجَنَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لِعَبَرٍ إِلَى إِنْسَانٍ بِمُقْتَضَى الظُّرُوفِ وَالْمُنَاسِبَةِ لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَتَرَبَّى إِلَى الْفَلَسَفَةِ عَلَى هَذَا الْبُزْهَانِ حَيْثُ يُحَاوِلُونَ اثْبَاتَ النُّبُوَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ فَيَقْرَأُونَ هَذَا الْبُزْهَانَ إِلَى غَايَةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَازِعِ ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِأَنِّي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصٍ هِدَايَتِهِ لِيَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْذِيفٍ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحُكَمَاءِ غَيْرِ بُزْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ إِذَا الْوُجُودَ وَحَيَاةَ الْبَشَرِ قَدْ تَمَّ مِنْ

دُونَ ذَلِكَ بِمَا يَفْرُضُهُ الْخَلْقُ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصْبَةِ الَّتِي يَتَقَدَّرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُتَّبِعُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَبُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْأَثَارُ فَضْلًا عَنِ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمَخْرُجَةِ فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ بِخِلَافِ حَيَاةِ الْبَشَرِ فَوَضَى دُونَ وَارَعَ لَهُمُ الْبَتَّةَ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وَهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُهُمْ فِي وَجُوبِ النُّبُوءَاتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِي وَإِنَّمَا مَذْرُوعُهُ الشَّرْعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

إِعْلَمَنَّ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِرِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مُحْفُوفَةٌ بِعَنْصَرِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا عَيْنَةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَأَتَحَسَّرَ الْمَاءُ عَنْ بَعْضِ جَوَائِبِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَعُمُرَانِهَا بِالنُّوعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ بَيَّنَّاهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا أَلْتَحْتُ الطَّبِيعِيَّ قَلْبَ الْأَرْضِ وَوَسْطَ كُرْبَتِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَائِبِهَا وَأَمَّا الْمَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَإِلَّا زُفَافَةً إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى مِنْهُ . وَأَمَّا الَّذِي اتَّحَسَّرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرْبَتِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةٍ احاطَ الْعَنْصَرُ الْمَائِيُّ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا يَمْرًا يُسَمَّى الْبَحْرَ الْمُحِيطَ وَيُسَمَّى أَيْضًا بِلَبَّائِهِ بِتَفْخِيمِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ وَيُسَمَّى أَوْ قِيَانُونَ اسْمَاءً أُعْجَمِيَّةً وَيُقَالُ لَهُ الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُنْكَشَفَ مِنَ الْأَرْضِ لِلْعُمُرَانِ فِيهِ الْفَقَارُ وَالْخَلَاءُ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانِهِ وَالْخَلَالِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أُمَيْلُ إِلَى الْجَنَابِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيٍّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيٍّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصَرِيِّ الَّذِي

بَيْنَهُمَا سَدٌّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجٌ وَهَذِهِ الْجِبَالُ مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَبَنَتْنِي مِنَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ إِلَى عُنْصُرِ الْمَاءِ أَيْضًا يَقْطَعَتَيْنِ مِنَ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ وَهَذَا الْمُنْكَشِفُ مِنَ  
الْأَرْضِ قَالُوا هُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنَ الْكُرَّةِ أَوْ أَقَلُّ وَالْمَعْمُورُ مِنْهُ مِقْدَارُ رُبْعِهِ وَهُوَ  
الْمُنْقَسِمُ بِالْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ وَخَطُّ الْأَسْتَوَاءِ يَقْسِمُ الْأَرْضَ بِنِصْفَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى  
الْمَشْرِقِ وَهُوَ طَوِيلُ الْأَرْضِ وَأكْبَرُ خَطٍّ فِي كُرَّتِهَا كَمَا أَنَّ مَنْطَقَةَ فَلَاكِ الْبُرُوجِ  
وَدَائِرَةَ مُعَدِّلِ النَّهَارِ أَكْبَرُ خَطٍّ فِي الْفَلَكَ وَمِنْطَقَةُ الْبُرُوجِ مُنْقَسِدَةٌ ثَلَاثَةً وَسِتِينَ  
دَرَجَةً وَالْدرَجَةُ مِنْ مَسَافَةِ الْأَرْضِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرَسَخًا وَالْفَرَسَخُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
ذِرَاعٍ وَالذِّرَاعُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا وَالْإِصْبَعُ سِتُّ حَبَّاتٍ شَعِيرٍ مَصْفُوفَةٍ مُلَصَّقَةٍ  
بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَبَيْنَ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ الَّتِي يَقْسِمُ الْفَلَكَ بِنِصْفَيْنِ وَتَسَامَتْ  
خَطُّ الْأَسْتَوَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُطْبَيْنِ تِسْعُونَ دَرَجَةً لَكِنَّ  
الْعِمَارَةَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ أَرْبَعٌ وَسِتُونَ دَرَجَةً وَالْبَاقِي مِنْهَا خَلَاءٌ لَا  
عِمَارَةَ فِيهِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْجُمُودِ كَمَا كَانَتِ الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ خَلَاءً كُلُّهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ كَمَا  
نُبِّينُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ الْخَبِيرِينَ عَنْ هَذَا الْمَعْمُورِ وَحُدُودِهِ وَعَمَّا  
فِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَالْجِبَالِ وَالنَّجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْقِفَارِ وَالرِّمَالِ مِثْلَ بَطْلِيمُوسَ فِي  
كِتَابِ الْجُغَرَفِيَا وَصَاحِبِ كِتَابِ زَخَارٍ مِنْ بَعْدِهِ قَسَمُوا هَذَا الْمَعْمُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسَامٍ  
يُسَمُّونَهَا الْأَقَالِمَ السَّبْعَةَ بِحُدُودٍ وَهَمِيَّةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الْعَرْضِ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي الطَّوْلِ فَإِلَّا قِلْمُ الْأَوَّلِ أَطْوَلُ بِمَا بَعْدَهُ وَهَكَذَا النَّبِيُّ إِلَى آخِرِهَا فَيَكُونُ  
السَّابِعُ أَقْصَرَ لِمَا أَقْصَاهُ وَضَعُ الدَّائِرَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ انْتِحِاسِ الْمَاءِ عَنِ كُرَّةِ الْأَرْضِ  
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ عِنْدَهُمْ مُنْقَسِمٌ بِعِشْرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
عَلَى التَّوَالِي وَفِي كُلِّ جُزْءٍ الْخَبَرُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عُمَرَائِهِ . وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ  
الْمُحِيطَ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ فِي الْأَقَالِمِ الرَّابِعِ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبَدَا  
فِي خَلِيجٍ مُضَافٍ فِي عَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أَوْ نَحْوَهَا مَا بَيْنَ طَنْجَةِ وَطَرِيفَ وَيُسَمَّى  
الرُّزْقَاقُ ثُمَّ يَذْهَبُ مُشْرِقًا وَيَنْفَسِحُ إِلَى عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَنَهَائَتُهُ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
الرَّابِعِ مِنَ الْأَقَالِمِ الرَّابِعِ عَلَى أَلْفِ فَرَسَخٍ وَمِائَةٍ وَسِتِينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدَأِهِ وَعَلَيْهِ هُنَالِكَ  
سَوَاحِلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ سَوَاحِلُ الْمَغْرِبِ أَوَّلُهَا طَنْجَةُ عِنْدَ الْخَلِيجِ ثُمَّ

أَفْرِيقِيَّةٌ ثُمَّ بَرْقَةُ إِلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّامِلِ السَّوَاكِحِ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ عِنْدَ الْخَلِيجِ  
ثُمَّ الْبَنَادِقَةِ ثُمَّ رُومَةُ ثُمَّ الْأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ الْأَنْدَلُسُ إِلَى طَرِيفٍ عِنْدَ الرِّفَاقِ قُبَالَةَ طَنْجَةِ وَيُسَمَّى  
هَذَا الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالشَّامِيُّ وَفِيهِ جُزُرٌ كَثِيرَةٌ عَامِرَةٌ كَبَارُ مِثْلِ أَفْرِيطِسَ وَقُبْرُصَ  
وَصِقِلِيَّةَ وَمِيُورَقَةَ وَسِرْدَانِيَّةَ قَالُوا وَيَخْرُجُ مِنْهُ فِي جِهَةِ الشَّامِلِ بَحْرَانِ آخَرَانِ مِنْ  
خَلِيجَيْنِ . أَحَدُهُمَا مُسَامِتُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ بَدَأَ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُتَضَاقًا فِي عَرْضِ رَمِيَّةِ  
السَّهْمِ وَيَمُرُّ ثَلَاثَةَ بَحَارٍ فَيَتَّصِلُ بِالْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ثُمَّ يَنْفَسِحُ فِي عَرْضِ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ  
وَيَمُرُّ فِي جَزِيرَةِ سِتِينَ مِيلًا وَيُسَمَّى خَلِيجَ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ فُوهَةٍ عَرْضُهَا سِتَّةُ  
أَمْيَالٍ فَيَمُدُّ بَحْرَ نِيطِسَ وَهُوَ بَحْرٌ يَخْرُفُ مِنْ هُنَاكَ فِي مَذْهَبِهِ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّرْقِ فَيَمُرُّ  
بِأَرْضِ هِرَقْلَةَ وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ الْخَزَرِيَّةِ عَلَى أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَ مِنْ فُوهَتِهِ وَعَلَيْهِ مِنْ  
الْجَانِبَيْنِ أُمَمٌ مِنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ وَبُرْجَانَ وَالرُّوسِ . وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ خَلِيجِي هَذَا الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ وَهُوَ بَحْرُ الْبَنَادِقَةِ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ عَلَى سَمْتِ الشَّامِلِ فَإِذَا أَنْتَهَى إِلَى  
سَمْتِ الْجَبَلِ انْخَرَفَ فِي سَمْتِ الْمَغْرِبِ إِلَى بِلَادِ الْبَنَادِقَةِ وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ إِنْكَلَابَةِ  
عَلَى أَرْبَعَةِ مِيلٍ مِنْ مَبْدَأِهِ وَعَلَى حَافَتِهِ مِنَ الْبَنَادِقَةِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ أُمَمٌ وَيُسَمَّى  
خَلِيجَ الْبَنَادِقَةِ . قَالُوا وَيَسَاحُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْحَبِيطُ أَيْضًا مِنَ الشَّرْقِ وَعَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ  
دَرَجَةً فِي الشَّامِلِ مِنْ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بَحْرٌ عَظِيمٌ مُنْسَجٌ يَمُرُّ فِي الْجَنُوبِ قَلِيلًا حَتَّى يَنْتَهِيَ  
إِلَى الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَمُرُّ فِيهِ مَغْرِبًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ  
الْحَبَشَةِ وَالزَّنَجِ وَإِلَى بِلَادِ بَابِ الْمَنْدَبِ مِنْهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَلْفٍ فَرَسَخٍ مِنْ مَبْدَأِهِ  
وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الصِّينِيُّ وَالْهِنْدِيُّ وَالْحَبَشِيُّ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ بِلَادُ الزَّنَجِ وَبِلَادُ  
يَزِيدَ الَّذِي ذَكَرَهَا أَمْرُو الْقَيْسِ فِي شِعْرِهِ وَلَيْسُوا مِنَ الْبَرَبَرِ الَّذِينَ هُمْ قَبَائِلُ الْمَغْرِبِ  
ثُمَّ بِلَدٌ مَقْدُوسُهُمْ بِلَدُ سَفَالَةَ وَأَرْضُ الْوُفُوقِ وَأُمَمٌ آخَرٌ لَيْسَ بَعْدَهُمْ إِلَّا الْفَقَارُ وَالْخَلَاءُ  
وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِلِ الصِّينِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِهِ ثُمَّ الْهِنْدُ ثُمَّ السِّنْدُ ثُمَّ سَوَاكِحُ الْيَمَنِ مِنْ  
الْأَحْقَافِ وَزَيْدٌ وَغَيْرُهَا ثُمَّ بِلَادُ الزَّنَجِ عِنْدَ نَهَايَتِهِ وَبَعْدَهُمُ الْحَبَشَةُ . قَالُوا وَيَخْرُجُ مِنْ  
هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيُّ بَحْرَانِ آخَرَانِ أَحَدُهُمَا يَخْرُجُ مِنْ نَهَايَتِهِ عِنْدَ بَابِ الْمَنْدَبِ فَيَبْدَأُ  
مُتَضَاقًا ثُمَّ يَمُرُّ مُسْتَبْعِرًا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِلِ وَمَغْرِبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْقَزَامِ فِي  
الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَ مِنْ مَبْدَأِهِ وَيُسَمَّى بَحْرُ

الْقَلْزُومَ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ وَيَتَنَ وَبَيْنَ فِسطاطِ مِصرَ مِنْ هُنَاكَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْيَمَنِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجِدَّةُ ثُمَّ مَدِينُ وَأَبْلَةُ وَقَارَانُ عِنْدَ نَهَائِهِ وَمِنْ  
 جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الْأَصْعِدِ وَعَيْدَابُ وَسَوَاكِنُ وَزَبْلُ ثُمَّ بِلَادُ الْحَبَشَةِ عِنْدَ مَبْدَأِ  
 وَآخِرِهِ عِنْدَ الْقَلْزُومِ بِسَامِتِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ سِتِّ مَرَاحِلَ وَمَا  
 زَالَ الْمَلُوكُ فِي الْأَيَّامِ قَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَالتَّجَرُّ الْثَانِي مِنْ  
 هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّندِ وَالْأَخْفَافِ مِنْ  
 الْيَمَنِ وَيَعْرِضُ إِلَى تَاحِيَةِ الشَّامِ مُغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَبْلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ فَرَسَخٍ وَأَرْبَعِينَ فَرَسَخًا مِنْ مَبْدَأِ  
 وَيُسَمَّى بَحْرَ فَارَسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّندِ وَمَكْرَانُ وَكُرْمَانُ وَفَارَسُ  
 وَالْأَبْلَةُ وَعِنْدَ نَهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ النُّجَرِينَ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانُ وَالشَّحْرُ وَالْأَخْفَافُ  
 عِنْدَ مَبْدَأِهَا وَقِيَا بَيْنَ بَحْرِ فَارَسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَانَتْهَا دَاخِلَةً مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ  
 يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارَسَ مِنَ الشَّرْقِ  
 وَتَقْبِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ مِيلٍ بَيْنَهُمَا وَهُنَاكَ الْكَوْفَةُ  
 وَالْقَادِسيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيوانُ كِسْرَى وَالْحِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أُمَمُ الْأَعْلَاجِ مِنَ التُّرْكِ  
 وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
 وَالنُّجَرِينَ وَعُمَانُ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَنِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
 الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٍ آخَرَ مُنْقَطِعٌ مِنْ سَائِرِ الْبَحَارِ فِي تَاحِيَةِ الشَّامِ  
 بِأَرْضِ الدَّيْلَمِ يُسَمَّى بَحْرَ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِ سِتِّ مِائَةِ مِيلٍ  
 فِي غَرْبِهِ أَذَرْبَيْجَانُ وَالدَّيْلَمُ وَفِي شَرْقِيهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمُ وَفِي جَنُوبِهِ طَبَرِسْتَانُ  
 وَفِي شَمَالِيهِ أَرْضُ الْخَزَرِ وَاللَّانُ هَذِهِ جُمْلَةُ الْبَحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
 الْجُغَرَفِيَا قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ وَهِيَ النَّيْلُ  
 وَالْفُرَاتُ وَدَجْلَةُ وَنَهْرُ بَلْخِ الْمُسَمَّى جِيحُونَ فَأَمَّا النَّيْلُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَأَهُ خَطُّ  
 الْأَسْيَاقِ سِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً عَلَى تَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَيُسَمَّى جَبَلُ  
 الْقَمَرِ وَلَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تَخْرُجُ مِنْهُ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
 بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارُ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ فَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةٍ

وَأَحْلَقَ عِنْدَ خَيْطِ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى عَشْرِ مَرَاحِلَ مِنَ الْجَبَلِ وَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ نَهْرَانِ  
يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ عَلَى سَمْتِهِ وَيَمُرُّ بِلَادِ النَّوْبَةِ ثُمَّ بِلَادِ مِصْرَ فَإِذَا  
جَاوَزَهَا تَشَعَّبَ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأَيْسْكََنْدَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيهِ وَأُلُوحَاتُ  
مِنْ غَرْبِيهِ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُنْعَطِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانِ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضَفْتَيْهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ  
بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
وَمَلَطِيَّةَ إِلَى مَنبِجٍ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفَيْنَ ثُمَّ بِالرَّقَّةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ  
الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَتَجَلِبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ . وَأَمَّا دِجْلَةُ فَمَبْدَأُهَا عَيْنُ  
بِلَادِ خِزَلٍ مِنَ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَآذَرْبَيْجَانَ وَبَغْدَادَ  
إِلَى وَاسِطَ فَتَتَفَرَّقُ إِلَى خُلْجَانٍ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتُفْضِي إِلَى بَحْرِ فَارَسَ وَهُوَ  
فِي الشَّرْقِ عَلَى يَمِينِ الْفُرَاتِ وَتَجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيمَا  
بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدِجْلَةَ مِنْ أَوَّلِهِ جَزِيرَةُ الْمَوْصِلِ قِبَالَ الشَّامِ مِنْ عُدُوتِي الْفُرَاتِ وَقِبَالَ  
آذَرْبَيْجَانَ مِنْ عُدُوتِ دِجْلَةَ . وَأَمَّا نَهْرُ جَيْخُونٍ فَمَبْدَأُهُ مِنْ بَلْعٍ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عِيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٌ وَتَجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
إِلَى الشَّامِ فَيَمُرُّ بِلَادِ خُرَاسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خُوارِزْمَ فِي الْجُزْءِ الْآثِنِ مِنَ  
الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ فِي  
مَنْطِقِهِ وَإِلَيْهَا يَتَصَبُّ نَهْرُ فَرَّغَانَةَ وَالشَّاشُ الْآثِي مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِي نَهْرٍ جَيْخُونٍ  
بِلَادِ خُرَاسَانَ وَخُوارِزْمَ وَعَلَى شَرْقِيهِ بِلَادُ بَغَارَى وَتُرْمُذَ وَسَمَرْقَنْدَ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرَّغَانَةَ وَالخَزَلِجِيَّةَ وَأُمَمُ الْأَعَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلْسُوسٍ  
فِي كِتَابِهِ وَالشَّرِيفُ فِي كِتَابِ زَخَارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغْرَافِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْعَمُورِ مِنَ  
الْجِبَالِ وَالنِّجَارِ وَالْأَوْدِيَةِ وَأَسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطَوْلِهِ وَلِأَنَّ عِنَابَتَنَا فِي  
الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ التُّرْبِ وَبِالْأَوَطَانِ الَّتِي لِلْعَرَبِ مِنَ  
الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ



## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرانا من الربع الجنوبي  
وذكر السبب في ذلك

وَتَحْنُ نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ وَلَاخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقَلُّ عُمَرَانًا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجِدَ مِنْ عُمُرَانِهِ فَيَتَخَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْقَفَارُ وَالرِّمَالُ  
وَالْبَحْرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأَمُّ هَذَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ وَأَنَاسِيُهُمَا لَيْسَتْ لَهُمْ  
الْكثَرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمُدُنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَالْقِفَارُ فِيهَا قَلِيلَةٌ وَالرِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَأَمَمَهَا وَأَنَاسِيُهَا تَجُوزُ الْحُدُودَ الْكَثْرَةَ  
وَأَمْصَارُهَا وَمُدُنُهَا تَجُوزُ الْحُدُودَ عَدَدًا وَالْعُمُرَانُ فِيهَا مُنْدَرِجٌ مَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجَنُوبُ خِلَافَهُ كُلُّهُ وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مِيلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنْ سَمْتِ أَرْزُؤُوسٍ فَلَنُوضِحَ ذَلِكَ بِزُجْجَانِهِ وَتَبَيَّنَ مِنْهُ سَبَبُ كَثَرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيمَا بَيْنَ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فَتَقُولُ إِنَّ  
قُطْبِي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيِّ وَالشَّمَالِيِّ إِذَا كَانَا عَلَى الْآفَاقِ فَهَذَا دَائِرَةُ عَظِيمَةٌ تَقْسِمُ الْفَلَكَ  
بِصَفَتَيْنِ هِيَ أَعْظَمُ الدَّوَائِرِ الْمَادَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدِّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يَحْرُكُ بِهَا سَائِرَ الْآفَلَاقِ فِي جَوْفِهِ قَهْرًا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحَسَّوَسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي أَفْلَاكِهَا حَرَكَةً مُخَالِفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ فِي الشَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ وَبِمَوَاقِفِ  
هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاكِهَا تَوَازِيهَا كُلُّهَا دَائِرَةُ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَقْسِمُهَا  
بِصَفَتَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةً بِاثْنَيْ عَشَرَ زُجْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مَقَاطِعَةُ لَدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدِّلِ النَّهَارِ بِصَفَتَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنْ مُعَدِّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السَّنْبِلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحَوْتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْآفَاقِ فِي جَمِيعِ تَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ

عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطٌ وَاحِدٌ يُسَمَّى دَائِرَةُ مُعَدِّلِ النَّهَارِ يَمُرُّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
وَيُسَمَّى خَطَ الْأَسْتَوَاءِ وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُ بِالرُّصْدِ عَلَى مَا زَعَمُوا فِي مَبْدِئِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ  
مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّبْعَةِ وَالْعُمُرَانُ كُلُّهُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَةِ يَرْتَفِعُ عَنْ آفَاقِ هَذَا الْمَعْمُورِ  
بِالتَّدرِجِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ ارْتِفَاعُهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً وَمُنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ  
وَهُوَ آخِرُ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَإِذَا ارْتَفَعَ عَلَى الْأَفَاقِ ثَمَانِينَ دَرَجَةً وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الْقُطْبِ  
وَدَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَلَى الْأَفَاقِ وَبَقِيَ سِتَّةٌ مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْأَفَاقِ وَهِيَ الشَّمَالِيَّةُ وَسِتَّةٌ  
تَحْتَ الْأَفَاقِ وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ وَالْعِمَارَةُ فَمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّتِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ مُنْتَعَةً لِأَنَّ  
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ جَنَائِدٌ لَا يَحْصُلَانِ مُعْتَرِجِينَ لِبَعْدِ الزَّمَانِ بَيْنَهُمَا فَلَا يَحْصُلُ التَّكُونُ فِيهَا إِذَا  
الشَّمْسُ تُسَمِّي أَرْثُوسَ عَلَى خَطِ الْأَسْتَوَاءِ فِي رَأْسِ الْحَمَلِ وَالْمِيزَانِ ثُمَّ تَمِيلُ عَنْ  
الْمُسَامَتَةِ إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَرَأْسِ الْجُذْيِ وَيَكُونُ نِهَاجُ مِيلِهَا عَنْ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ  
النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ثُمَّ إِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ عَنِ الْأَفَاقِ مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدِّلِ  
النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ أَرْثُوسَ بِمِقْدَارِ ارْتِفَاعِهِ وَانْخَفَضَ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ كَذَلِكَ بِمِقْدَارِ  
مُتَسَاوٍ فِي الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْمَسْمِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَاقِفِ عَرْضَ الْبَلَدِ وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ  
مُعَدِّلِ النَّهَارِ عَنْ سَمْتِ أَرْثُوسَ عَلَتْ عَلَيْهَا الْبُرُوجُ الشَّمَالِيَّةُ مُنْدَرِجَةً فِي مِقْدَارِ عُلُوِّهَا  
إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَانْخَفَضَتِ الْبُرُوجُ الْجَنُوبِيَّةُ مِنَ الْأَفَاقِ كَذَلِكَ إِلَى رَأْسِ الْجُذْيِ  
لَا تَخْرُفُهَا إِلَى الْجَانِبَيْنِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ كَمَا قُلْنَا فَلَا يَزَالُ الْأَفَاقُ الشَّمَالِيُّ يَرْتَفِعُ حَتَّى  
يَصِيرَ أَبْعَدَ الشَّمَالِيَّةِ وَهُوَ رَأْسُ السَّرْطَانِ فِي سَمْتِ أَرْثُوسَ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ عَرْضُ  
الْبَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي الْعِجَازِ وَمَا يَلِيهِ وَهَذَا هُوَ الْمِيلُ الَّذِي إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ  
عَنْ مُعَدِّلِ النَّهَارِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ ارْتَفَعَ بِارْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى صَارَ مُسَامَتًا  
فَإِذَا ارْتَفَعَ الْقُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ نَزَلَتِ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَتَةِ وَلَا تَزَالُ  
فِي انْخِفَاضٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ ارْتِفَاعُ الْقُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ وَيَكُونُ انْخِفَاضُ الشَّمْسِ عَنْ  
الْمُسَامَتَةِ كَذَلِكَ بِانْخِفَاضِ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ عَنِ الْأَفَاقِ مِثْلَهَا فَيَنْقَطِعُ التَّكُونُ لِأَفْرَاطِ  
الْبَرْدِ وَالْحَمْدِ وَطُولِ زَمَانِهِ غَيْرِ مُعْتَرِجٍ بِالْحَرِّ ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الْمُسَامَتَةِ وَمَا  
يُقَارِ بِهَا تَبَعُ الْأَشْعَةَ قَائِمَةً وَفِيمَا دُونَ الْمُسَامَتَةِ عَلَى زَوَايَا مُنْفَرِجَةٍ وَحَادَةٍ وَإِذَا كَانَتْ  
زَوَايَا الْأَشْعَةِ قَائِمَةً عَظُمَ الضَّوْءُ وَنَشَرَ بِخِلَافِهِ فِي الْمُنْفَرِجَةِ وَالْحَادَةِ فَلِهَذَا يَكُونُ

الْحَرُّ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْهُ فَمَا بَعْدُ لِأَنَّ الصَّوَّ سَبَبُ الْحَرِّ وَالْتَسْخِينِ  
ثُمَّ إِنَّ الْمُسَامَةَ فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ تَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ عِنْدَ نَقْطَتِي الْحَمَلِ  
وَالْمِيزَانِ وَإِذَا مَالَتْ فَغَيْرُ بَعِيدٍ وَلَا يَكَادُ الْحَرُّ يَعْتَدِلُ فِي آخِرِ مِيلِهَا عِنْدَ رَأْسِ السَّرْطَانِ  
وَالْجُذْدِيِّ إِلَّا أَنْ صَعَدَتْ إِلَى الْمُسَامَةِ فَيَبْقَى الْأَشْعَةُ الْقَائِمَةُ الزَّوَابَا نُلْحَ عَلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ وَيَطُولُ مَكْنَهَا أَوْ يَدُومُ فَيَسْتَعِلُّ الْهَوَاءُ حَرَارَةً وَيَقْرُطُ فِي شِدَّتِهَا وَكَذَا مَا  
دَامَتْ الشَّمْسُ تُسَامِتُ مَرَّتَيْنِ فَمَا بَعْدُ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى عَرْضِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ  
الْأَشْعَةَ مُلْحَقَةً عَلَى الْأَفْقِ فِي ذَلِكَ بِقَرِيبٍ مِنَ الْحَالِهَا فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَإِفْرَاطِ الْحَرِّ  
يَفْعَلُ فِي الْهَوَاءِ تَجْفِيفًا وَيَسَاءً يَنْبَغُ مِنَ التَّكْوِينِ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَ الْحَرُّ جَنَّتِ الْمَيَاهُ  
وَالرُّطُوبَاتُ وَفَسَدَ التَّكْوِينُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالنبَاتِ إِذِ التَّكْوِينُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِالرُّطُوبَةِ ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ عَنْ سَمْتِ الرُّؤُوسِ فِي عَرْضِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ  
فَمَا بَعْدَهُ نَزَلَتْ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ فَيَصِيرُ الْحَرُّ إِلَى الْإِعْتِدَالِ أَوْ يَمِيلُ عَنْهُ مَيْلًا  
قَلِيلًا فَيَكُونُ التَّكْوِينُ وَيَتَزَايَدُ عَلَى التَّدرِجِ إِلَى أَنْ يَفْرُطَ الْبَرْدُ فِي شِدَّتِهِ لِقَلَّةِ  
الصَّوِّ وَكَوْنِ الْأَشْعَةِ مَنْفَرَجَةً الزَّوَابَا يَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَسُدُّ يَدَانِ سَادِ التَّكْوِينِ  
مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ أَسْرَعَ تَأْثِيرًا فِي التَّجْفِيفِ  
مِنْ تَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِي الْجَمْدِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ قَلِيلًا وَفِي  
الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مُتَوَسِّطًا لِإِعْتِدَالِ الْحَرِّ يَنْقُصَانِ الصَّوَّ وَفِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ  
كَثِيرًا لِنَقْصَانِ الْحَرِّ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ الْبَرْدِ لَا تُوَثَّرُ عِنْدَ أَوَّلِهَا فِي فَسَادِ التَّكْوِينِ كَمَا  
يَفْعَلُ الْحَرُّ إِذْ لَا تَجْفِيفَ فِيهَا إِلَّا عِنْدَ الْإِفْرَاطِ بِمَا يَعْزُضُ لَهَا حِينَئِذٍ مِنَ الْبَيْسِ كَمَا بَعْدَ  
السَّابِعِ فَلِهَذَا كَانَ الْعُمْرَانُ فِي الرَّابِعِ الثَّلَاثِي أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ هُنَا أَخَذَ  
الْحَكَمَاءُ خِلَاءَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَمَا وَرَاءَهُ وَأُورِدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَعْمُورٌ بِالْمُشَاهَدَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَكَيْفَ يَتِمُّ الْبَرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا امْتِنَاعَ  
الْعُمْرَانِ فِيهِ بِالْكَيْفِيَّةِ إِنَّمَا أَدَامُوا الْبَرْهَانَ إِلَى أَنْ فَسَادَ التَّكْوِينِ فِيهِ قُوِيٌّ بِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ وَالْعُمْرَانِ فِيهِ إِمَّا مُتَّبَعٌ أَوْ مُمَكِّنٌ أَقْلِيٍّ وَهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ وَالَّذِي  
وَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُمْرَانٌ كَمَا نُقِلَ فَهُوَ قَلِيلٌ جِدًّا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ خَطَّ  
الْأَسْتَوَاءِ مُعْتَدِلٌ وَأَنَّ مَا وَرَاءَهُ فِي الْجَنُوبِ بِمِثَابَةِ مَا وَرَاءَهُ فِي الشَّمَالِ فَيَعْمُرُ مِنْهُ مَا

عَمَرَ مِنْ هَذَا وَالَّذِي قَالَهُ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنْ جِهَةِ فَسَادِ الْبُكُونِ وَإِنَّمَا أَمْتَنَعَ فِيمَا وَرَاءَ  
خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْعُنْصُرَ الْمَاءِيَّ عَمَرَ وَجَهَ الْأَرْضِ هُنَاكَ إِلَى  
الْجَدِّ الَّذِي كَانَ مُقَابِلَهُ مِنْ الْجِهَةِ الشَّمَالِيَةِ قَابِلًا لِلْبُكُونِ وَلَمَّا أَمْتَنَعَ الْمُعْتَدِلُ لِقِبَةِ  
الْمَاءِ تَبَعَهُ مَا سِوَاهُ لِأَنَّ الْعُمُرَانَ مُتَدَرِّجٌ وَيَأْخُذُ فِي التَّدَرُّجِ مِنْ جِهَةِ الْوُجُودِ لَا مِنْ  
جِهَةِ الْأَمْتِنَاعِ وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَمْتِنَاعِهِ فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فَبَرُدُّهُ النُّقْلُ الدُّنَوَاتُ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ. وَأَتَزَنُّ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ صُورَةَ الْجُغْرَافِيَا كَمَا رَسَمَهَا صَاحِبُ كِتَابِ زَخَارِي ثُمَّ  
نَاخُذُ فِي تَفْصِيلِ الْكَلَامِ عَلَيْهِمَا إِلَى آخِرِهِ

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

أَعْلَمُ أَنَّ الْحُكَمَاءَ قَسَمُوا هَذَا الْعَمُورَ كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ مِنْ  
الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ يُسَمُّونَ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا إِقْلِيمًا فَاقْتَسَمَ الْعَمُورُ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا عَلَى  
هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَقْلِيمِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَخِذَ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ عَلَى طُولِهِ . فَأَلَاوُلُ  
مِنْهَا مَارٌّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الشَّرْقِ مَعَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِجَدِّهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَلَيْسَ  
وَرَاءَهُ هُنَاكَ إِلَّا الْفَقَارُ وَالزُّمَالُ وَبَعْضُ عِمَارَةٍ إِنْ صَحَّتْ فِيهِ كَلَامُ عِمَارَةٍ وَيَكْبَهُ مِنْ  
جِهَةِ شَمَالِيَةِ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ كَذَلِكَ ثُمَّ الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ  
وَهُوَ آخِرُ الْعُمُرَانِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ وَرَاءَ السَّابِعِ إِلَّا الْخَلَاءُ وَالْفَقَارُ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ الْحَاطِّ كَلْحَالٍ فِيمَا وَرَاءَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ إِلَّا أَنَّ  
الْخَلَاءَ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلَاءِ الَّذِي فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ . ثُمَّ إِنْ أَرَمْنَاهُ  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ تَفَاوُتٌ فِي هَذِهِ الْأَقْلِيمِ بِسَبَبِ مِيلِ الشَّمْسِ عَنْ دَائِرَةِ مُعَدِّلِ النَّهَارِ  
وَأَرْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ عَنْ أَفَاقِهَا فَيَتَفَاوَتُ قَوْسُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِذَلِكَ وَيَنْتَهِي طُولُ  
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي آخِرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَذَلِكَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ بِرَأْسِ الْجُدِيِّ لِلَّيْلِ  
وَبِرَأْسِ السَّرَطَانِ لِلنَّهَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ  
الْإِقْلِيمِ الثَّانِي مِمَّا بَلَى الشَّمَالِ فَيَنْتَهِي طُولُ النَّهَارِ فِيهِ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ بِرَأْسِ السَّرَطَانِ  
وَهُوَ مُنْقَلَبُهَا الصَّبْغِيِّ إِلَى ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفَ سَاعَةٍ وَمِثْلُهُ أَطْوَلُ اللَّيْلِ عِنْدَ مُنْقَلَبِهَا  
الشَّتَوِيِّ بِرَأْسِ الْجُدِيِّ وَيَبْقَى لِلْأَفْصَرِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا يَبْقَى بَعْدَ الثَّلَاثَ عَشْرَةَ وَنِصْفَ  
مِنْ جُمْلَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ السَّاعَاتِ الزَّمَانِيَّةِ لِمَجْمُوعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهِيَ دَوْرَةُ الْفَلَكَ الْكَامِلَةِ

وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثُ مِمَّا يَلِي الشَّمَالَ أَيْضًا يَنْتَهِيَانِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَفِي آخِرِ الْخَامِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ إِلَى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهَذَا يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ فَيَكُونُ تَفَاوُثُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ فِي الْأَطْوَلِ مِنْ لَيْلِهَا  
 وَنَهَارِهَا بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِكُلِّ إِفْلِيمٍ يَتَزَايَدُ مِنْ أَوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ إِلَى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُوزَعَةً عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا الْبَعْدِ. وَأَمَّا عَرْضُ الْبُلْدَانِ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ وَهُوَ  
 عِبَارَةٌ عَنْ بَعْدِ مَا بَيْنَ رَأْسِ الْبَلَدِ وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّذِي هُوَ سَمْتُ رَأْسِ حِطِّ  
 الْأَسْتِوَاءِ وَيُمَثِّلُهُ سَوَاءٌ يَخْفُضُ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ عَنْ أَفْقِ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَيَرْتَفِعُ الْقُطْبُ  
 الشَّمَالِيُّ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضُ الْبَلَدِ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ قَبْلُ .  
 وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى هَذِهِ الْجُغَرَفِيَا قَسَمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ فِي طُولِهِ  
 مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَيَذْكُرُونَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 جُزْءٍ مِنْهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَسَافَاتِ بَيْنَهَا فِي الْمَسَالِكِ وَتَحْنُ  
 أَلَّا نَ نُوْجِزُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ وَنَذْكُرُ مَشَاهِيرَ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا  
 وَنُحَادِي بِذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ نَزْمَةِ الْمُشْتَقَاتِ الَّذِي أَلْفَهُ الْعُلُوِي الْأَدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ  
 بِمَلِكِ صِقْلِيَّةِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَهُوَ زَخَارُ بْنُ زَخَارٍ عِنْدَ مَا كَانَ نَازِلًا عَلَيْهِ بِصِقْلِيَّةِ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِقْلِيَّةِ مِنْ إِمَارَةِ مَالِقَةٍ وَكَانَ تَأْلِيفُهُ لِلْكِتَابِ فِي مُنْتَصَفِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كُتُبًا جَمَّةً لِلْمَسْعُودِيِّ وَأَبْنِ خَزْدَادِيهِ وَالْحَوْفَلِيِّ وَالْقَدْرِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ  
 الْمَنْجَرِيِّ وَبَطْلِيمُوسَ وَغَيْرِهِمْ وَبَدَأَ مِنْهَا بِالْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى آخِرِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى بِعَصْمَانِ يَمِينِهِ وَفَضْلِهِ

الْإِفْلِيمُ الْأَوَّلُ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِهِ الْجَزَائِرُ الْخَالِدَاتُ الَّتِي مِنْهَا بَدَأَ بَطْلِيمُوسُ  
 بِأَخْذِ أَطْوَالِ الْبِلَادِ وَلَيْسَتْ فِي بَسِيطِ الْإِفْلِيمِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ جُزُرٌ  
 مُتَكَثِرَةٌ أَكْبَرُهَا وَأَشْهُرُهَا ثَلَاثُ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَعْمُورَةٌ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَائِنَ مِنَ  
 الْإِفْرَنْجِ مَرَّتْ بِهَا فِي أَوَاسِطِ هَذِهِ الْمِائَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَقَتَنُوا مِنْهُمْ وَسَبَّوْا وَبَاعُوا بَعْضَ  
 أَمْثَرَاهُمْ بِسُوحْلِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَصَارُوا إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا تَعَلَّمُوا اللِّسَانَ  
 الْعَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِ جَزَائِرِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ الْأَرْضَ لِلزَّرَاعَةِ بِالْقُرُونِ وَأَنَّ

الْحَدِيدَ مَنقُودٌ بِأَذْنِهِمْ وَعَيْشُهُمْ مِنَ الشَّعِيرِ وَمَا شَيْتَهُمُ الْمَعَزُ وَقَتْلَهُمْ بِالْجَارَةِ يَرْمُونَهَا  
 إِلَى خَلْفٍ وَعِبَادَتُهُمُ الشُّجُودَ لِلشَّنْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَمْ تَبْلُغْهُمْ دَعْوَةُ  
 وَلَا يُوقِفُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرُ إِلَّا بِالْعُتُورِ لَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَنَرَ الشَّنْسِ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالرِّيحِ وَمَعْرِفَةُ جِهَاتِ مَهَايَا وَإِلَى أَيْنَ يُوَصِّلُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْأَسْقَامَةِ مِنْ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي مَرِّ ذَلِكَ الْمَهَبِّ وَإِذَا أَخْلَفَ الْمَهَبِّ وَعُلِمَ حَيْثُ يُوَصِّلُ عَلَى الْأَسْقَامَةِ  
 حُوزِي بِهِ الْقِلْعُ مُحَاذَةً يَجْعَلُ السَّفِينَةَ بِهَا عَلَى قَوَائِنَ فِي ذَلِكَ مُحَصَّلَةً عِنْدَ النَّوَاتِيَةِ  
 وَالْمَلَا حِينَ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ الشَّنْسِ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرُّومِيَّةِ  
 وَفِي عُدُونِهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا فِي صَحِيفَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الوجودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَمَهَا بِالرِّيحِ وَمَرَاتِنَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيفَةِ وَيُسَمُّونَهَا الْكِتَابَ وَعَلِيَّهَا يَتَمَيِّدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَنقُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْحَاطِطِ فَلِذَلِكَ لَا تَلِجُ فِيهِ الشَّنْسُ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ مَرَأَى السَّوَاحِلِ فَقَدْ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَتَعَقَّدُ فِي جَوْ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَطْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَنْجَرَةِ الْمُمَانَةِ  
 لِلشَّنْسِ فِي مَسِيرِهَا وَهِيَ لِبُعْدِهَا لَا تُذَكِّرُهَا أَضْوَاءُ الشَّنْسِ الْمُنْعَكِسَةِ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَتَحُلِلُهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْإِهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْأَقْلِمِ فَفِيهِ مَصَبُّ النَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَمَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَسْمَى  
 نَيْلَ السُّودَانِ وَيَتَهَبُّ إِلَى الْبَحْرِ الْحَاطِطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَرِيرَةِ أُولَئِكَ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ  
 مَدِينَةُ سَلَا وَتَكْرُورُ وَغَانَةُ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْعَهْدِ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكٍ مَالِيٍّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ تَسَافِرُ تِجَارَةُ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادٌ لِمُتُونَةٍ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمَلْثَمِينَ وَمَقَاوِرُ يَجُولُونَ فِيهَا وَفِي جَنُوبِ هَذَا النَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ  
 لِمَلَمٌ وَهُمْ كُنْفَارٌ وَيَكْتُمُونَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاعِهِمْ وَأَهْلُ غَانَةَ وَالْمَكْرُورِ يُغَيِّرُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَهُمْ لِلتِّجَارِ فَيَحْلِيُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ وَلَيْسَ  
 وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنُوبِ عُمَرَانُ يُعْتَبَرُ إِلَّا أَنَايُ أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ الْعُجْمِ مِنَ النَّاطِقِ يَسْكُنُونَ  
 الْفَيَافِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مِهْيَاةٍ وَرُبَّمَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عَدَادِ الْبَشَرِ . وَفَوَاحِهُ بِلَادِ السُّودَانِ كُلُّهَا مِنْ قُصُورِ صَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ  
 تَوَاتٍ وَتَكْدَرَارِينَ وَوَزْكَلَانَ . فَكَانَ فِي غَانَةَ فِيمَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعُلُوِّ بَيْنَ

يُعرفون بيبي صالح وقال صاحب كتاب زخار إنه صالح بن عبد الله بن حسن بن  
الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا  
العهد وصارت غانة سلطان مالي وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من الأقليم بلد  
كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هناك ويمر مغرباً فيغوص في رمال الجزء الثاني  
وكان ملك كوكو قائماً بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته  
وخربت لهذا العهد من أجل فتنة وقعت هناك نذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها  
من تاريخ النيز وفي جنوبي بلد كوكو بلاد كاتم من أمم السودان وبعدهم ونغارة  
على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة  
بأرض النوبة في الجزء الرابع من هذا الأقليم وفيه بمر نيل مصر ذاهباً من مبداء  
عند خط الاستواء إلى البحر الرومي في الشمال وتخرج هذا النيل من جبل القمر  
الذي فوق خط الاستواء بسبب عشرة درجاة واختلوا في ضبط هذه الأقطار فضبها  
بعضهم بفتح ألفاف واليمر نسبة إلى قمر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوءه وفي  
كتاب المسترک ليأوت بضم ألفاف وسكون اليمر نسبة إلى قوم من أهل الهند  
وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة  
وبينهما ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها  
في بطيخة واحدة في أسفلها جبل معرض بشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها  
بقسمين فيمر الغربي منه إلى بلاد السودان مغرباً حتى يصب في البحر المحيط ويخرج  
الشرقي منه ذاهباً إلى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى  
أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الإسكندرية ورشيد  
ودمياط ويصب واحد في بحيرة ملحقة قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الأقليم  
الأول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات إلى أسوان وحاضرة  
بلاد النوبة مدينة دقلة وهي في غربي هذا النيل وبعدها علوة وبلاد وبعدهما جبل  
الجنادل على ستة مراحل من بلاد في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض  
من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في هوى بعيد صاهلاً فلا يمكن أن  
تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر إلى بلد

أَسْوَانُ قَاعِدَةِ الصَّعِيدِ إِلَى فَوْقِ الْجَنَادِلِ وَبَيْنَ الْجَنَادِلِ وَأَسْوَانِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَحَلَةً  
وَأَلْوَحَاتٍ فِي غَرْبِهَا عَدُوَّةُ النَّيْلِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ وَهِيَ آثَارُ الْعِمَارَةِ الْقَدِيمَةِ . وَفِي وَسْطِ  
هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ بِلَادُ الْحَبْشَةِ عَلَى وَادٍ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ  
ذَاهِبًا إِلَى أَرْضِ النَّوْبَةِ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي النَّيْلِ الْمَاطِطِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ وَهَمَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ  
النَّاسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَيْلِ الْقَمَرِ وَبَطْلِيمُوسُ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْجُغَرَأِيَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
يَنْسُ مِنْ هَذَا النَّيْلِ . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ يَنْتَهِي بَحْرُ الْهِنْدِ الَّذِي  
يَدْخُلُ مِنْ نَاحِيَةِ الصِّينِ وَيَعْمُرُ عَامَةً هَذَا الْإِقْلِيمِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ  
عُمُرَانُ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي دَاخِلِهِ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ بِقَالَ تَنْتَهِي إِلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ  
أَوْفِيهَا عَلَى سَوَاحِلِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ مِنْهَا فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَّا طَرْفٌ مِنْ  
بِلَادِ الصِّينِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَفِي بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِيمَا  
بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْمَاطِطَيْنِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَهُمَا بَحْرٌ قُلُزْمٌ وَبَحْرٌ  
فَارَسٌ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةٌ الْعَرَبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَبِلَادِ الشُّعْرِ فِي شَرْقِيَّهَا  
عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَعَلَى بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا إِلَيْهِمَا كَمَا نَذَكَرَهُ فِي  
الْإِقْلِيمِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ فَأَمَّا الَّذِي عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةِ بِلَدٍ زَالِجٍ مِنْ  
أَطْرَافِ بِلَادِ الْحَبْشَةِ وَبَعَالَاتُ الْبَجَّةِ <sup>(١)</sup> فِي شِمَالِ الْحَبْشَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعَلَّاقِي فِي أَعَالِي  
الصَّعِيدِ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقُلُزْمِ الْمَاطِطِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَتَحْتَ بِلَادٍ زَالِجٍ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ  
فِي هَذَا الْجُزْءِ خَلِيجُ بَابِ الْمَنْدَبِ يَصِيقُ الْبَحْرُ الْمَاطِطُ هُنَاكَ بِمُرَاحَةِ جَبَلِ الْمَنْدَبِ  
الْمَائِلِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مُتَمَدًّا مَعَ سَاحِلِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فِي  
طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا فَيَصِيقُ الْبَحْرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ  
أَوْ تَحْوِيهَا وَيُسَمَّى بَابُ الْمَنْدَبِ وَعَلَيْهِ تَمُرُّ مَرَكَبُ الْيَمَنِ إِلَى سَاحِلِ السُّوَيْسِ قَرِيبًا  
مِنْ مِصْرَ وَتَحْتَ بَابِ الْمَنْدَبِ جَزِيرَةٌ سَوَاحِنُ وَدَهْلَاكَ وَقَبَالَتُهُ مِنْ غَرْبِيَّةِ بَعَالَاتُ الْبَجَّةِ  
مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ شَرْقِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَهَائِمُ الْيَمَنِ وَمِنْهَا عَلَى سَاحِلِهِ  
بِلَدٌ عَلَى بَنِ يَعْقُوبَ وَفِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْ بِلَدٍ زَالِجٍ وَعَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيَّةِ قُرَى  
بَرْبَرٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَنْعَطِفُ مِنْ جَنُوبِيَّةٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَلِيهَا هُنَاكَ مِنْ

(١) وَيُقَالُ أَيْضًا أَيْجَاءُ وَأَمَّا زَالِجٌ فِيهِ زِلْجٌ ١٠



جِهَةٌ شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الرُّنَجِ ثُمَّ بِلَادُ سَفَالَةَ مِنْ سَاحِلِهِ الْجَنُوبِي بِلَادُ الْوُفُوقِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عِنْدَ مَدْخَلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْبَحْرِ الْخَمِيسِ . وَأَمَّا  
 جَزَائِرُ هَذَا الْبَحْرِ فَكَثِيرَةٌ . مِنْ أَكْثَرِهَا جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبَ مَدُورَةُ الشَّكْلِ . وَفِيهَا  
 الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ بِقَالَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى مِنْهُ وَفِي قُبَالَةِ سَفَالَةَ ثُمَّ جَزِيرَةُ الْقَمَرِ وَفِي  
 جَزِيرَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ تَبْدَأُ مِنْ قُبَالَةِ أَرْضِ سَفَالَةَ وَتَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ مُنْحَرِفَةً بِكَثِيرٍ إِلَى  
 أَنْ تَقْرُبَ مِنْ سَوَاحِلِ أَعَالِي الصِّينِ وَيَحْتَفِ بِهَا فِي هَذَا الْبَحْرِ مِنْ جَنُوبِهَا جَزَائِرُ الْوُفُوقِ  
 وَمِنْ شَرْقِهَا جَزَائِرُ السَّيْلَانِ إِلَى جَزَائِرٍ أُخْرَى فِي هَذَا الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ  
 الطَّيْرِ وَالْأَفَاوِيهِ وَفِيهَا يُقَالُ مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالزُّمُرُودِ وَعَامَّةُ أَهْلِهَا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ  
 وَفِيهِمْ مُلُوكٌ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْجَزَائِرُ مِنْ أَحْوَالِ الْفُتُوحِ عَجَائِبُ ذَكَرَهَا أَهْلُ الْفُتُوحِ  
 وَعَلَى الصَّفَةِ الشَّامِلَةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ الْيَمَنِ كُلُّهَا  
 مِنْ جِهَةِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ بَلَدٌ زَيْدٌ وَالْمَهْجَمُ وَنَهَامَةُ الْيَمَنِ وَبَعْدَهَا بَلَدُ صَعْدَةَ مَقَرُّ الْإِمَامَةِ  
 الزُّبَيْدِيَّةِ وَفِي بَعِيدَةٍ عَنْ الْبَحْرِ أَجُوبِي وَعَنْ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ وَفِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةُ عَدَنَ  
 وَفِي شَأْلِهَا صَنَاعَةٌ وَبَعْدُهَا إِلَى الْمَشْرِقِ أَرْضُ الْأَحْقَافِ وَظَفَارُ وَبَعْدَهَا أَرْضُ  
 حَضْرَمُوتِ ثُمَّ بِلَادُ الشَّحْرِ مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَبَحْرِ قَارِسَ . وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ فِي الْيَمَنِ أَنْكَشَفَتْ عَنْهَا الْبَحْرُ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْوُسْطَى وَبِتَكْشِيفِ  
 بَعْدَهَا قَلِيلٌ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِنَ الْعَاشِرِ فِيهِ أَعَالِي بِلَادِ الصِّينِ وَمِنْ مَدِينَةِ  
 الشَّهِيرَةِ خَانِكُو وَقُبَالَتِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَزَائِرُ السَّيْلَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَهَذَا آخِرُ  
 الْكَلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِي الْوُفُوقِ بِعَمَلِهِ وَفَضْلِهِ

الْإِقْلِيمُ الثَّانِي \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ الشَّامَلِ وَقُبَالَةَ الْمَغْرِبِ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ  
 الْخَمِيسِ جَزِيرَتَانِ مِنَ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْهُ  
 فِي الْجَانِبِ الْأَعْلَى مِنْهُمَا أَرْضُ قَنْوَرِيَّةٍ وَبَعْدَهَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَعَالِي أَرْضِ غَانَةَ ثُمَّ مَجَالَاتُ  
 زَاوَاةٍ مِنَ السُّودَانِ وَفِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ مِنْهُمَا صَحْرَاءُ نَسْرَ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ  
 ذَاتُ مَفَاوِزٍ تَسْلُكُ فِيهَا الْحَجَّارُ مَا بَيْنَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ السُّودَانِ وَفِيهَا مَجَالَاتُ  
 الْمَلَكَمِينَ مِنْ صِنَاهَاةٍ وَهُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ كَرْوَلَةَ وَلِمَنْوَنَةَ وَمَسْرَانَةَ وَلِمَنْطَةَ  
 وَوَرِيكَتَ وَعَلَى تَمْتِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ شَرْقًا أَرْضُ فِرْزَانَ ثُمَّ مَجَالَاتُ أَزْكَارَ مِنْ قِبَالِ

الْبَرْبَرِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعَالِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ عَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ وَبَعْدَهَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّالِثِ  
 وَهِيَ جِهَةُ الشَّمَالِ مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَذَانَ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا أَرْضُ سَنْتَرِيَّةَ وَتُسَمَّى الْوَاحَاتِ  
 أَدَاخِلَةً فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ أَعْلَاهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْبَاحَوِيِّينَ ثُمَّ يَبْعَثُ فِي وَسْطِ هَذَا  
 الْجُزْءِ بِلَادَ الصَّعِيدِ حَافَاتِ النَّيْلِ الذَّاهِبِ مِنْ مَبْدَأِهِ فِي لَاقِيَمِهِ الْأَوَّلِ إِلَى مَصْبِهِ فِي  
 الْبَحْرِ فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ الْحَاجَزَيْنِ وَهُمَا جَبَلُ الْوَاحَاتِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَبَلُ  
 الْمُقَطَّمِ مِنْ شَرْقِهِ وَعَلَيْهِ مِنْ أَعْلَاهُ بِلَدُ أَسْنَا وَأَزْنَتَ وَيَتَّصِلُ كَذَلِكَ حَافَاتُهُ إِلَى  
 أَسْبُوطٍ وَفَوْصٍ ثُمَّ إِلَى صُولٍ وَيَفْتَرِقُ النَّيْلُ هُنَاكَ عَلَى شِعْبَيْنِ يَنْتَعِي الْأَيْمَنُ مِنْهُمَا فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الْأَهْوَنِ وَالْأَيْسَرُ عِنْدَ دِلَاصٍ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا أَعَالِي دِيَارِ مَصْرَ وَفِي الشَّرْقِ مِنْ  
 جَبَلِ الْمُقَطَّمِ صَحَارَى عِيذابِ ذَاهِبَةً فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَعِي إِلَى بَحْرِ السُّوَيْسِ  
 وَهُوَ بَحْرُ الْقَنْزَمِ الْهَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ فِي عُدُوبِهِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ الْحِجَازِ مِنْ جَبَلٍ يَلْمَلَمُ إِلَى بِلَادِ يَثْرَبَ فِي وَسْطِ الْحِجَازِ  
 مَكَّةُ شَرْفَهَا اللَّهُ وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جَدَّةَ تُقَابِلُ بِلَدَ عِيذابَ فِي الْعُدُودَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِهِ بِلَادُ تَجْدِ أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ وَتَبَالُهُ وَجَرَشُ إِلَى  
 عُكَاظَ مِنَ الشَّمَالِ وَتَحْتَ تَجْدٍ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْحِجَازِ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ  
 بِلَادُ تَجْرَانَ وَخَيْبَرَ وَتَحْتَهَا أَرْضُ الْيَمَامَةِ وَعَلَى سَمْتِ تَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ أَرْضُ سَبَا وَمَأْرَبَ  
 ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ وَتَنْتَعِي إِلَى بَحْرِ فَارِسَ وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْهَاطِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْجُزْءِ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الْقَرْبِ فَيَمُرُّ مَا بَيْنَ شَرْقِيهِ  
 وَجَوْفِيهِ قِطْعَةً مُثَلَّثَةً عَلَيْهَا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ قَلْبَاتَ وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ ثُمَّ تَنْتَعِي عَلَى سَاحِلِهِ  
 بِلَادُ عُمَانَ ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرَ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْ  
 غَرْبِهِ قِطْعَةً مِنْ بَحْرِ فَارِسَ تَنْتَصِلُ بِالْقِطْعَةِ الْأُخْرَى فِي السَّادِسِ وَيَمُرُّ بِبَحْرِ الْهِنْدِ جَانِبَهُ  
 الْأَعْلَى كُلُّهُ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ بِلَادُ السِّنْدِ إِلَى بِلَادِ مَكْرَانَ وَيُقَابِلُهَا بِلَادُ الطُّوْبَرَانَ وَهِيَ مِنْ  
 السِّنْدِ أَيْضًا فَتَنْتَصِلُ السِّنْدُ كُلُّهُ فِي الْجَانِبِ الْقَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَتَحُولُ الْمَقَاوِرُ بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ أَرْضِ الْهِنْدِ وَيَمُرُّ فِيهِ نَهْرُهُ لَاتِي مِنْ نَاحِيَةِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَوَّلُ بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ بَلَهَرَا وَتَحْتَهَا  
 فِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ أَرْضُ كَابِلَ وَبَعْدَهَا شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْهَاطِطِ بِِلَادُ الْقَنْوُجِ مَا بَيْنَ

تَسْمِيرَ الدَّخْلَةِ وَتَسْمِيرَ الْخَارِجَةِ عِنْدَ آخِرِ الْأَقْلِيمِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ  
الْقَرْيَةِ مِنْهُ بِلَادُ الْهِنْدِ الْأَقْصَى وَيَتَّصِلُ فِيهِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى  
الْعَاشِرِ وَتَبْقَى فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَانِبِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةُ شِنْغُونُ ثُمَّ يَتَّصِلُ  
بِلَادُ الصِّينِ فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى الْبَحْرِ الْخَاطِطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِهِ سُبْحَانَهُ  
التَّوْفِيقُ وَهُوَ وَلِيُّ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

الْأَقْلِيمُ الثَّالِثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ أَعْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنٌ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْخَاطِطِ إِلَى الشَّرْقِ  
عِنْدَ آخِرِهِ وَيَسْتَكُنُّ هَذَا الْجَبَلُ مِنَ التَّبَرِّ أُمَّ لَا يَخْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ حَسْبَمَا بَاقِي  
ذِكْرُهُ وَفِي الْقِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَالْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَعَلَى الْبَحْرِ الْخَاطِطِ مِنْهَا رِبَاطُ  
مَاسَةٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلَادُ سُوسٍ وَنَوَلٌ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا بِلَادُ دَرْعَةٍ ثُمَّ بِلَادُ سِجِلْمَاسَةٍ  
ثُمَّ قِطْعَةٌ مِنْ صَحْرَاءٍ نِسْرٍ الْمَقَارَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَهَذَا الْجَبَلُ مُطْلٍ  
عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ وَهُوَ قَلِيلُ الثَّنَائِيَا وَالْمَسَالِكِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ  
إِلَى أَنْ يُسَامَتْ وَادِي مَلُوبَةٍ فَتَكْثُرُ ثَنَائِيَاهُ وَمَسَالِكُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ وَفِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ  
مِنْهُ أُمُّ الْمَصَامِدَةِ ثُمَّ هَنْتَانَةٌ ثُمَّ تَيْمَلُكٌ ثُمَّ كَدَمِيوَةٌ ثُمَّ مَشْكُورَةٌ وَهِيَ آخِرُ الْمَصَامِدَةِ  
فِيهِ ثُمَّ قَبَائِلُ صِنْهَاكَةَ وَهِيَ صِنْهَاجَةٌ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْهُ بَعْضُ قَبَائِلِ زَانَةَ وَيَتَّصِلُ  
بِهِ هُنَالِكَ مِنْ جَوْفِهِ جَبَلٌ أَوْرَاسٌ وَهُوَ جَبَلٌ كُتَامَةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمُّ أُخْرَى مِنَ الْبَرَابِرَةِ  
نَذَكْرُهُمْ فِي أَمَا كِيهِمْ ثُمَّ إِنْ جَبَلَ دَرَنٌ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِهِ مُطْلٍ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
الْأَقْصَى وَهِيَ فِي جَوْفِهِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا بِلَادُ مَرَكَشٍ وَأَغْمَاتٌ وَتَادَلَا وَعَلَى  
الْبَحْرِ الْخَاطِطِ مِنْهَا رِبَاطُ أَسْنَى وَمَدِينَةُ سَلَا وَفِي الْجَوْفِ عَنْ بِلَادِ مَرَكَشٍ بِلَادُ فَاسٍ  
وَمَكْنَسَةٍ وَتَازَا وَقَصْرُ كُتَامَةٍ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى فِي عَرَفِ أَهْلِهَا  
وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْخَاطِطِ مِنْهَا بِلْدَانُ أَصِيلَا وَالْعَرَايشِ وَفِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْقًا بِلَادُ  
الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ وَقَاعِدَتُهَا تَلْمَسَانُ وَفِي سَوَاحِلِهَا عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بَلَدُ هَنْبِنٍ وَوَهْرَانُ  
وَالْجَزَائِرُ لِأَنَّ هَذَا الْبَحْرَ الرُّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ الْخَاطِطِ مِنْ خَلِيجٍ طَنْجَةٍ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا فَيَنْتَهِيَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَإِذَا خَرَجَ مِنَ  
الْخَلِيجِ الْمُتَضَائِقِ غَيْرِ بَعِيدٍ انْفَسَحَ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَدَخَلَ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ

فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِلَافِ الْكَثِيرُ مِنَ الْبِلَادِ ثُمَّ بَصَلُ بِلَادِ  
 الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْفِهَا بِلَادَ بَجَاةٍ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ فُسْطَاطِيْنَةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
 الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَمُرْتَقِعًا إِلَى جَنُوبِ  
 الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَلَدٌ أَشِيرٌ ثُمَّ بَلَدُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الزَّابُ وَقَاعِدَتُهُ بِسَكْرَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ أَوْرَاسَ  
 الْمُتَّصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْإِلَافِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلٌ دَرَنْ عَلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
 مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِقِطْعَتَيْنِ وَيَعْمُرُ الْبَحْرُ الرُّومِيَّ مَسَافَةً مِنْ شِمَالِهِ فَالْقِطْعَةُ  
 الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلٍ دَرَنْ غَرْبُهَا كُلُّهُ مَقَاوِرُ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بَلَدٌ عَدَامِسُ وَفِي شَرْفِهَا  
 أَرْضُ وَدَّانِ الَّتِي بَقِيَّتْهَا فِي الْإِلَافِ الثَّانِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلٍ دَرَنْ مَا  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيَّ فِي الْقَرْبِ مِنْهَا جَبَلٌ أَوْرَاسَ وَتَبَسَةُ وَالْأَدْبَسُ وَعَلَى سَاحِلِ  
 الْبَحْرِ بَلَدٌ بُونَةُ ثُمَّ فِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْفًا بِلَادُ أَفْرِيقِيَّةَ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
 قُونِسُ ثُمَّ السُّوسَةُ ثُمَّ الْمَهْدَبَةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلٍ دَرَنْ بِلَادُ الْجَرْبِيدِ  
 تَوَزُرُ وَقَفْصَةُ وَنَفَرَاوَةُ وَفِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَاكِ مَدِينَةُ الْقَبْرَوَانِ وَجَبَلٌ وَسَلَاتٌ وَسَيْطَلَةُ  
 وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْفًا بَلَدٌ طَرَابُلُسُ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيَّ وَبِأَزَائِمِهَا فِي الْجَنُوبِ  
 جَبَلٌ دُرٌّ وَنَقْرَةُ مِنْ قِبَالِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلٍ دَرَنْ وَفِي مَقَابِلَةِ عَدَامِسَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
 فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيقَةُ أَيْنُ مُشْكُورَةُ عَلَى الْبَحْرِ  
 وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضِ وَدَّانِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الْإِلَافِ يَمْرُأُضًا  
 فِيهِ جَبَلٌ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يَنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ  
 فِي الْبَحْرِ الرُّومِيَّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرْفُ أَوْتَانَ وَالْبَحْرُ الرُّومِيَّ مِنْ شِمَالِهِ يَمْرُأُطَائِفَةُ  
 مِنْهُ إِلَى أَنْ يَصَاقِقَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلٍ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْقَرْبِ  
 مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَّانِ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زَوِيلَةُ أَيْنُ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَقَفَارٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْقَرْبِ مِنْهُ بَلَدٌ سَرْتٌ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
 خَلَاءٌ وَقَفَارٌ يَحُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَابِيَّةُ ثُمَّ بَرْقَةُ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلَمَسَةُ عَلَى  
 الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرَوَاحَةُ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِلَافِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِهِ صَخَارَى بَرْقِيْقٍ وَأَسْفَلُ مِنْهَا

بِلَادٍ مِصْرَ وَرَوَاحَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ فِي هَذَا الْجُزْءِ فَيَعْمُرُ طَائِفَةً مِنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ  
 حَتَّى يَرُوحَ طَرَفَهُ الْأَعْلَى وَيَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ فَتَأْتِي بَحُولُ فِيهَا الْعَرَبُ وَعَلَى سَمْتِهَا  
 شَرْقًا بِلَادُ الْقَيْسِ وَهِيَ عَلَى مَصَبِ أَحَدِ الشَّعْبَيْنِ مِنَ النَّيْلِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَى الْأَلاهُونِ مِنَ  
 بِلَادِ الصَّعِيدِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةٍ فِيهِمْ وَعَلَى سَمْتِهِ شَرْقًا  
 أَرْضُ مِصْرَ وَمَدِينَتُهَا الشَّهِيرَةُ عَلَى الشَّعْبِ الثَّانِي الَّذِي يَمُرُّ بِدَلَّاسٍ مِنَ بِلَادِ الصَّعِيدِ  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّانِي وَيَفْتَرِقُ هَذَا الشَّعْبُ اقْتِرَافَةً ثَانِيَةً مِنْ تَحْتِ مِصْرَ عَلَى شُعْبَتَيْنِ  
 آخَرَتَيْنِ مِنْ شَطْنُوفٍ وَزَفِّي وَيَنْقَسِمُ الْأَتَمْنُ مِنْهُمَا مِنْ قَرْمُطٍ بِشُعْبَتَيْنِ آخَرَتَيْنِ وَيَصُبُّ  
 جَمِيعُهُمَا فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فَعَلَى مَصَبِ الْغُرْبِيِّ مِنْ هَذَا الشَّعْبِ بِلَادُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَعَلَى  
 مَصَبِ الْوَسْطِيِّ بِلَادُ رَشِيدٍ وَعَلَى مَصَبِ الشَّرْقِيِّ بِلَادُ دِمَاطٍ وَبَيْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ وَبَيْنَ  
 هَذِهِ السَّوَاهِلِ الْبَحْرِيَّةِ أَسَافِلُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ كُلُّهَا مَخْشُوعَةٌ عُمُرَانًا وَقَلْجًا وَفِي الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ بِلَادُ الشَّامِ وَأَكْثَرُهَا عَلَى مَا أَصِفُ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَحْرَ الْقَلْزَمِ  
 يَنْتَهِي مِنَ الْجَنُوبِ وَفِي الْغُرْبِ مِنْهُ عِنْدَ السُّوَيْسِ لِأَنَّهُ فِي مَمَرِهِ مُبْتَدَى مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّامِ يَنْعَطِفُ أَخِذًا إِلَى جِهَةِ الْغُرْبِ فَيَكُونُ قِطْعَةً مِنْ أَنْعَافِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ  
 طَوِيلَةً فَيَنْتَهِي فِي الطَّرَفِ الْغُرْبِيِّ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ وَعَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ بَعْدَ السُّوَيْسِ  
 قَارَانٌ ثُمَّ جَبَلُ الطُّورِ ثُمَّ أَيْلَةُ مَدْيَنَ ثُمَّ الْحَوَازِ فِي آخِرِهَا وَمِنْ هُنَاكَ يَنْعَطِفُ بِسَاحِلِهِ  
 إِلَى الْجَنُوبِ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَمَا مَرَّ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّانِي فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي  
 النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عُمُرَتْ كَثِيرًا مِنْ غُرَبِيَّةِ  
 عَلَيْهِمُ الْفُرْمَا وَالْعَرِيشُ وَقَارِبَ طَرَفِهَا بِلَادُ الْقَلْزَمِ فَيُضَاقِقُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هُنَاكَ وَيَبْقَى شَيْءٌ  
 الْبَابِ مُفْضِيًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَفِي غُرْبِيَّةِ هَذَا الْبَابِ فَحْصُ النَّبَةِ أَرْضٌ جَرْدَاءٌ لَا تَنْبُتُ  
 كَانَتْ مَجَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعِينَ  
 سَنَةً كَمَا فَصَّلَ الْقُرْآنُ وَفِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي هَذَا الْجُزْءِ طَائِفَةٌ مِنْ  
 جَزِيرَةِ فُبْرُصَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ كَمَا نَذَكُرُهُ وَعَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ عِنْدَ  
 الطَّرَفِ الْمُتَضَاقِقِ لِبَحْرِ السُّوَيْسِ بِلَادُ الْعَرِيشِ وَهُوَ آخِرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَعَسْكَلَانُ  
 وَبَيْنَهُمَا طَرَفُ هَذَا الْبَحْرِ ثُمَّ تَقَطُّ هَذِهِ الْقِطْعَةُ فِي أَنْعَافِهَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْأَقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ عِنْدَ طَرَابُلُسَ وَغَزَّةَ وَهُنَاكَ يَنْتَهِي الْبَحْرُ الرُّومِيُّ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَعَلَى هَذِهِ

الْقِطْعَةُ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ عَزَّةٌ ثُمَّ عَسْقَلَانُ وَبَانِجِرَافٍ بِسِيرِ عَنَّا إِلَى  
الشَّامِ بِلَدٌ قِبَالِيَّةٌ ثُمَّ كَذَلِكَ بِلَدٌ عَكَّا ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَا ثُمَّ يَنْعُطُفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّامِ  
فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعُ وَ يُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ  
عَظِيمٌ يُخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ وَيَذْهَبُ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ مُنْهَرِقًا إِلَى الشَّرْقِ  
إِلَى أَنْ يَجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلُ الْكَكَّامِ وَكَأَنَّهُ حَاجِزٌ بَيْنَ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ  
فِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقِيبَةِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحِجَاجُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي  
نَاحِيَةِ الشَّامِ مَدْفَنُ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ السَّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ  
جَبَلِ الْكَكَّامِ الْمَذْكُورِ مِنْ شَمَالِ الْعَقِيبَةِ ذَاهِبًا عَلَى سَمْتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعُطُفُ قَلِيلًا وَفِي  
شَرْقِهِ هُنَالِكَ بِلَدُ الْحَجَرِ وَدِيَارُ نَمُودَ وَتِيْمَا وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ وَهِيَ أَسْفَلُ الْحِجَازِ وَفَوْقَهَا  
جَبَلٌ رَضَوِي وَحُصُونٌ خَبِيرٌ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنَّا وَفِيمَا بَيْنَ جَبَلِ السَّرَاةِ وَبَحْرِ الْقَلْزُومِ  
صَحْرَاهُ تَبُوكُ وَفِي شَمَالِ جَبَلِ السَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ الْكَكَّامِ ثُمَّ الْأَرْدُنُّ ثُمَّ  
طَبْرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيَّهَا بِلَادُ الْغُزُرِ إِلَى أَذْرُعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا  
الْجُزْءِ وَهِيَ آخِرُ الْحِجَازِ . وَعِنْدَ مُنْعُطِفِ جَبَلِ الْكَكَّامِ إِلَى الشَّامِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ  
مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةَ صَيْدَا وَبَيْرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ الْكَكَّامِ يَعْطُرُ بَيْنَهَا  
وَبَيْنَهَا وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حِمَصَ فِي الْجِهَةِ الشَّامِلِيَّةِ آخِرُ  
الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ الْكَكَّامِ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بَعْلَبَكْ وَحِمَصَ بِلَدٌ تَدْمُرُ وَبَجَالَاتُ  
الْبَادِيَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ بَجَالَاتُ الْأَعْرَابِ نَحْتُ بِلَادَ تَجْدِ  
وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعُرْجِ وَالصَّامَانَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرٌ عَلَى بَحْرِ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا  
هَذَا الْجُزْءِ نَحْتُ الْبَجَالَاتِ بِلَدُ الْخَبِرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَغَايِضُ الْفَرَاتِ . وَفِيمَا بَعْدَهَا شَرْقًا  
مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْتَهِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَالْأَيْلَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ  
مِنْ شَمَالِهِ وَيَصْبُ فِيهِ عِنْدَ عِبَادَانَ نَهْرٌ دَجَاةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِجَدَاوِلَ كَثِيرَةٍ وَتُخَالِطُ  
بِهِ جَدَاوِلَ أُخْرَى مِنَ الْفَرَاتِ ثُمَّ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عِبَادَانَ وَتَصْبُ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ  
الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُتَّسِمَةٌ فِي أَعْلَاهُ مُتَضَافَةً فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِيَّةِ وَبَقِيَّةِ عِنْدَ مُنْهَاهُ  
مُضَافَةً لِلْحَدِّ الشَّامِلِيِّ مِنْهُ وَعَلَى عُدُوتِهَا الْغُرَبِيَّةُ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرٌ وَالْأَحْسَاءُ وَفِي  
غُرَبِهَا أَخْطَبُ وَالصَّامَانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ

أَعْلَاهَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى طَرَفٍ قَدِ امْتَدَّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُشْرِقًا  
وَوَرَاءَهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جِبَالُ الْقَفْصِ مِنْ كُرْمَانَ وَتَمَتْ هِرْمُزُ بِلَادُ فَارِسَ  
مِثْلَ سَابُورَ وَدَارَ أَيْجَرْدَ وَنَسَا وَاصْطَفَرَ وَالشَّاهْجَانَ وَشِيرَازَ وَهِيَ قَاعِدَتُهَا كُلُّهَا وَتَمَتْ بِلَادُ  
فَارِسَ إِلَى الشَّمَالِ عِنْدَ طَرَفِ الْبَحْرِ بِلَادُ خُودَسْتَانَ وَمِنْهَا الْأَهْوَاؤُ وَتَسْتَرْ وَصَدَى وَسَابُورُ  
وَالسُّوسُ وَرَامَ هِرْمُزَ وَغَيْرَهَا وَأَرْجَانَ وَهِيَ حَدُّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَخُودَسْتَانَ جِبَالُ الْأَكْرَادِ  
مُصَلَّةٌ إِلَى نَوَاحِي أَصْبَهَانَ وَبِهَا مَسَاكِينُهُمْ وَبِحَالَاتِهِمْ وَرَاءَهَا فِي أَرْضِ فَارِسَ وَتُسَى  
الرُّسُومُ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْهُ مِنَ الْمَغْرِبِ بَقِيَّةُ جِبَالِ الْقَفْصِ وَبِهَا مِنْ  
الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ بِلَادُ كُرْمَانَ وَمَكْرَانَ وَمِنْ مَدْنِهَا الرُّودَنَ وَالشَّيرْجَانَ وَجِيرْفَتَ وَبَزْدَ شِيرَ  
وَالْبَهْرَجَ وَتَمَتْ أَرْضُ كُرْمَانَ إِلَى الشَّمَالِ بَقِيَّةُ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى حُدُودِ أَصْبَهَانَ وَمَدِينَةُ  
أَصْبَهَانَ فِي طَرَفِ هَذَا الْجُزْءِ مَا بَيْنَ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ ثُمَّ فِي الْمَشْرِقِ عَنْ بِلَادِ كُرْمَانَ وَبِلَادِ  
فَارِسَ أَرْضُ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ كُوهَسْتَانَ فِي الشَّمَالِ أَغْرَبًا وَبِتَوْسَطِ  
بَيْنَ كُرْمَانَ وَفَارِسَ وَبَيْنَ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ أَلْهَافَاوَرُ الْعَظَمَى  
الْقَلِيلَةُ الْمَسَالِكِ لِصُعُوبَتِهَا وَمِنْ مَدْنِ سِجِسْتَانَ بَسْتُ وَالطَّاقُ وَأَمَّا كُوهَسْتَانُ فَبِهَا مِنْ بِلَادِ  
خُرَاسَانَ وَمِنْ مَشَاهِيرِ بِلَادِهَا سَرْخَسُ وَفُوهَسْتَانُ آخِرُ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ  
وَجَنُوبِهِ بَحَالَاتُ الْبَلْخِ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ سِجِسْتَانَ مِنْ غَرْبِهَا وَبِأَرْضِ كَابِلِ  
الْهِنْدِ مِنْ جَنُوبِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ هَذِهِ الْبَحَالَاتِ جِبَالُ الْغُورِ وَبِلَادُهَا وَقَاعِدَتُهَا غَزَنَةُ  
فُزْضَةُ الْهِنْدِ وَفِي آخِرِ الْغُورِ مِنَ الشَّمَالِ بِلَادُ أَسْتَرَابَادَ ثُمَّ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا إِلَى آخِرِ  
الْجُزْءِ بِلَادُ هَرَاتَ أَوْسَطُ خُرَاسَانَ وَبِهَا أَسْفَرَايْنُ وَقَاشَانُ وَبُوشَنجُ وَمَرْزُ الرُّودِ وَالطَّالِقَانُ  
وَالْجُوزْجَانُ وَتَنْتَهِي خُرَاسَانُ هُنَاكَ إِلَى نَهْرِ جَيْحُونَ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ  
مِنْ غَرْبِيَّةِ مَدِينَةٍ بَلْخَ وَفِي شَرْقِيَّةِ مَدِينَةٍ تَرْمُدَ وَمَدِينَةٍ بَلْخَ كَانَتْ كُرْسِيَّ مَمْلَكَةِ التُّرْكِ  
وَهَذَا النَّهْرُ نَهْرُ جَيْحُونَ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ وَجَارَ فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ يَمَّا يَلِي الْهِنْدَ وَيَخْرُجُ  
مِنْ جَنُوبِ هَذَا الْجُزْءِ وَعِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبٍ مَغْرِبًا إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
وَيُسَمَّى هُنَاكَ نَهْرُ خَرَنْابَ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَاسَانَ وَيَذْهَبَ عَلَى مَتْنِهِ  
إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحِيرَةِ خُورَازْمَ فِي الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ كَمَا نَذَكُرُهُ وَبِمَدْنِهِ عِنْدَ انْعِطَافِهِ  
فِي وَسَطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ خَمْسَةُ أَهْوََاءٍ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ الْبَلْخِ وَالْوُخْشِ

مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ أَيْضًا وَجَوْفِي الْجَبَلِ حَتَّى يَنْسَجَ  
 وَيَعْظُمَ بِمَا لَا كَنْاءَ لَهُ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمُمِدَّةِ لَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبَّتِ وَيَحِلُّ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فَيَمُرُّ مُعْرِبًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ يَعْتَرِضُهُ فِي طَرَفِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسْطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مُشْرِقًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبَّتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخَلَلِ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَسَلَكٌ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَعَلَ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى سُدًّا وَبَنَى فِيهِ بَابًا كَسَدَ بِأَجُوجَ وَأَجُوجَ  
 فَلَمَّا خَرَجَ نَهْرُ وَخَشَابٍ مِنْ بِلَادِ التَّبَّتِ وَاعْتَرَضَهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ تَحْتَهُ فِي مَدَى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرِ جَيْمُونٍ عِنْدَ حُدُودِ بَلْخٍ ثُمَّ يَمُرُّ هَابِطًا  
 إِلَى التُّرْمُذِ فِي الشَّمَالِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ بِلَادِ الْغُورِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
 نَهْرِ جَيْمُونٍ بِلَادُ النَّاسَانِ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي الْعُدُوهِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخَلَلِ  
 وَأَكْثَرُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَيَحْدُهَا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَتَمِ تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَاسَانَ غَرْبِيَّ نَهْرِ جَيْمُونٍ وَتَذْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَقَهُ بِلَادُ التَّبَّتِ وَيَمُرُّ تَحْتَهُ نَهْرُ وَخَشَابٌ كَمَا قُلْنَا هُوَ يَتَّصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرُ جَيْمُونٍ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التُّرْمُذِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَنَهْرُ بَلْخٍ يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مَبْدَأُهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانَ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِهِ بِلَادُ أَمِدٍ مِنْ خُرَاسَانَ وَفِي  
 مَقَرِّ النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّغْدِ وَأَسْرُوشَنَةُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِهَا أَرْضُ  
 فِرْغَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ تَحُولُهَا جِبَالُ الْبَتَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبَّتِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ وَفِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَفِي  
 شَرْقِهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالًا عَنْ بِلَادِ التَّبَّتِ بِلَادُ  
 الْخَزْجِيَّةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَرْضُ  
 فِرْغَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَمِنْ شَرْقِهَا أَرْضُ التُّرْغُورِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَشَمَالًا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ جَمِيعًا بَقِيَّةُ الصِّينِ وَأَسْفَلُهُ وَفِي الشَّمَالِ بَقِيَّةُ



بِلَادُ الْفَرَغَرُ ثُمَّ شَرْقًا عَنْهُمْ بِلَادُ خَرْخِيرَ مِنَ التُّرْكِ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي  
 الشَّامِ مِنَ أَرْضِ خَرْخِيرَ بِلَادُ كُتْمَانَ مِنَ التُّرْكِ وَقَبَائِلُهَا فِي الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ جَزِيرَةُ  
 الْيَاقُوتِ فِي وَسْطِ جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ لَا مَنَفَةَ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا مَسَاكَ وَالصُّعُودُ إِلَى أَعْلَاهُ مِنْ  
 خَارِجِهِ صَعْبٌ فِي الْغَايَةِ وَفِي الْجَزِيرَةِ حَيَاتٌ قَتَالَةٌ وَحَصَى مِنَ الْيَاقُوتِ كَثِيرَةٌ فَيُخَالِ أَهْلُ  
 تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِمَا يُلْقِيهِمُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ فِي هَذَا الْجُزْءِ النَّاسُ وَالْعَامِرُ فِيهَا  
 وَرَاءَ خُرَّاسَانَ وَالْحِجَالَ كُلُّهَا تَجَالَتْ لِلتُّرْكِ أَمَّا لَا تُحْصَى وَهُمْ ظَوَاعِنُ رَحَالَةٍ أَهْلُ إِبِلٍ  
 وَشَاءَ وَبَقَرٍ وَخَيْلٍ لِلتَّجَارِ وَالرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ وَطَوَائِفُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا  
 خَالِقُهُمْ وَفِيهِمْ مُسْلِمُونَ كَمَا يَلِي بِلَادَ النَّهْرِ نَهْرٌ يَجْعُونَ وَيَغْرُونَ الْكِنَارَ مِنْهُمْ الدَّائِنِينَ  
 بِالْحُجُوسَةِ فَيَجْعُونَ رَقِيْقَهُمْ لِمَنْ يَلِيهِمْ وَيَخْرُجُونَ إِلَى بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ  
 الْأَفْلَهِمِ الرَّابِعُ \* يَتَّصِلُ بِالثَّلَاثِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ . وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ فِي غَرْبِهِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ جَنُوبًا إِلَى آخِرِهِ شَمَالًا وَعَلَيْهَا فِي الْجَنُوبِ  
 مَدِينَةُ طَبَجَةٍ وَمِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ تَحْتَ طَبَجَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي خَلِيجِ  
 مُتَضَائِقٍ بِمَقْدَارِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مَا بَيْنَ طَارِيفِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ شَمَالًا وَقَصْرِ الْحِجَازِ  
 وَسَبْتَةِ جَنُوبًا وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَفْلَهِمِ  
 وَيَنْفَسِحُ فِي ذَهَابِهِ بِتَدْرِيْجٍ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْأَرْبَعَةَ الْأَجْزَاءَ وَأَكْثَرَ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا  
 الْأَفْلَهِمِ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسِ كَمَا سَنَدْكُرُهُ وَيُسَمَّى هَذَا الْبَحْرُ الْبَحْرُ الشَّامِيُّ أَيْضًا وَفِيهِ  
 جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا فِي جِهَةِ الْقَرَبِ بِأَسَةِ ثُمَّ مَا يَرْقُ ثُمَّ مَارِقَةُ ثُمَّ مَرِقَةُ ثُمَّ سَرْدَانِيَّةٌ ثُمَّ صَقْلِيَّةٌ  
 وَهِيَ أَكْثَرُهَا ثُمَّ بَلُوسٌ ثُمَّ أَفْرِيطُسٌ ثُمَّ قَبْرُصٌ كَمَا نَدْكُرُهَا كُلُّهَا فِي أَجْزَائِهَا الَّتِي وَقَعَتْ  
 فِيهَا وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ  
 الْأَفْلَهِمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْبَنَادِقَةِ يَذْهَبُ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ثُمَّ يَتْعَفُ عِنْدَ وَسْطِ الْجُزْءِ  
 مِنْ جَرْفِهِ وَيَمُرُّ مُغْرَبًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْخَامِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا فِي  
 آخِرِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ شَرْقًا مِنَ الْأَفْلَهِمِ الْخَامِسِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَمُرُّ فِي الشَّامِ  
 مُتَضَائِقًا فِي عَرْضِ رِمَّةِ السَّهْمِ إِلَى آخِرِ الْأَفْلَهِمِ ثُمَّ يَفْضِي إِلَى الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَفْلَهِمِ  
 السَّادِسِ وَيَتْعَفُ إِلَى بَحْرِ نِيطُسٍ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ كُلِّهِ وَنِصْفِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْأَفْلَهِمِ السَّادِسِ كَمَا نَدْكُرُ ذَلِكَ فِي أَمَّاكِهِ وَعِنْدَمَا يَخْرُجُ هَذَا الْبَحْرُ

الرُّومِيَّ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ فِي خَلِيجٍ طَنْجَةٍ وَتَنْفَسِحُ إِلَى الْإِفْلِيمِ الْآلَتِ بَقِيَ فِي الْجَنُوبِ  
عَنِ الْخَلِيجِ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا مَدِينَةٌ طَنْجَةٌ عَلَى جَمْعِ الْبَحْرَيْنِ وَبَعْدَهَا  
مَدِينَةٌ سَبْتَةٌ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ثُمَّ قَطَاوُنُ ثُمَّ بَادِيسُ ثُمَّ يَغْمُرُ هَذَا الْبَحْرُ بَقِيَّةَ هَذَا الْجُزْءِ  
شَرْقًا وَيَخْرُجُ إِلَى الثَّالِثِ وَأَكْثَرُ الْعِمَارَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي شِمَالِهِ وَشَمَالِ الْخَلِيجِ مِنْهُ  
وَمِنْ كُلِّهَا بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ أَوَّلُهَا طَرِيفُ  
عِنْدَ جَمْعِ الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ ثُمَّ  
مَالِقَةُ ثُمَّ الْمَنْقَبُ ثُمَّ الْمَرْيَةِ وَتَحْتَ هَذِهِ مِنْ لَدُنِ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُ  
شَرِيشُ ثُمَّ لَبْلَةٌ وَقِبَالَتُهَا فِيهِ جَزِيرَةُ قَادَسَ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ شَرِيشَ وَلَبْلَةٍ إِشْبِيلِيَّةٌ ثُمَّ  
أَسْتَجَّةٌ وَقَرْطَبَةٌ وَمَدِيلَةٌ ثُمَّ غَرْطَاةٌ وَجِيَانُ وَابْدَةُ ثُمَّ وَادِيَاشُ وَبَسْطَةُ وَتَحْتَ هَذِهِ  
شَنْتَرْمِيَّةٌ وَشَبَابُ عَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَفِي الشَّرْقِ عَنْهُمَا بَطْلَيْوسُ وَمَارْدَةُ وَيَابِرَةُ  
ثُمَّ غَافِي وَبَرْجَالَةٌ ثُمَّ قَاعَةُ رِيَّاحٍ وَتَحْتَ هَذِهِ أَشْبُونَةُ عَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَعَلَى نَهْرِ  
بَاكَّةٍ وَفِي الشَّرْقِ عَنْهَا شَنْتَرِينُ وَمَوْزِيَّةٌ عَلَى النَّهْرِ الْمَذْكُورِ ثُمَّ قَنْطَرَةُ السَّيْفِ وَيُسَامِتُ  
أَشْبُونَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَبَلُ الشَّارَاتِ يَبْدَأُ مِنَ الْمَغْرِبِ هُنَاكَ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا مَعَ  
آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ فَيَنْتَهِي إِلَى مَدِينَةِ سَالِمٍ فِيمَا بَعْدَ النِّصْفِ مِنْهُ وَتَحْتَ هَذَا الْجَبَلِ  
طَلْبِيرَةُ فِي الشَّرْقِ مِنْ فُورَنَةِ ثُمَّ طَلْبِيلَةُ ثُمَّ وَادِي الْحِجَارَةِ ثُمَّ مَدِينَةُ سَالِمٍ وَعِنْدَ أَوَّلِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْبُونَةَ بَلَدٌ قَلَمَرِيَّةٌ وَهَذِهِ غَرْبِيَّةُ الْأَنْدَلُسِ وَأَمَّا شَرْقِيَّةُ الْأَنْدَلُسِ  
فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْهَا بَعْدَ الْمَرْيَةِ قَرْطَاجَنَةُ ثُمَّ لَفْتَةُ ثُمَّ دَانِيَّةٌ ثُمَّ بَلَنْسِيَّةٌ إِلَى  
طَرْطُوشَةَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَتَحْتَهَا شِمَالًا لِيُورْقَةُ وَشَقُورَةُ ثُنَاخِمَانِ بَسْطَةُ وَقَاعَةُ رِيَّاحٍ  
مِنْ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ مَرْسِيَّةٌ شَرْقًا ثُمَّ شَاطِئَةٌ تَحْتَ بَلَنْسِيَّةٍ شِمَالًا ثُمَّ شَقْرُ ثُمَّ طَرْطُوشَةُ  
ثُمَّ طَرْكُونَةُ آخِرِ الْجُزْءِ ثُمَّ تَحْتَ هَذِهِ شِمَالًا أَرْضُ مَنَجَالَةٍ وَرِيدَةُ مُتَاخِمَاتٍ لِشَقُورَةِ  
وطلْبِيلَةُ مِنَ الْغَرْبِ ثُمَّ أَفْرَاغَةُ شَرْقًا تَحْتَ طَرْطُوشَةَ وَشِمَالًا عَنْهَا ثُمَّ فِي الشَّرْقِ عَنْ مَدِينَةِ  
سَالِمٍ قَلْعَةُ أَيُّوبَ ثُمَّ سِرْقَسَةُ ثُمَّ لَارْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشِمَالًا وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا  
الْإِفْلِيمِ غَمَرُ الْمَاءِ جَمِيعُهُ إِلَّا قِطْعَةً مِنْ غَرْبِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ فِيهَا بَقِيَّةُ جَبَلِ الْبُرْنَاتِ وَمَعْنَاهُ  
جَبَلُ الثَّنَائِبِ وَالسَّالِكُ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَلَامِسُ يَبْدَأُ مِنْ  
الْطَّرَفِ الْمُنْتَهِي مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ عِنْدَ آخِرِ ذَلِكَ الْجُزْءِ جَنُوبًا وَشَرْقًا وَيَعْرِثُ فِي الْجَنُوبِ

بِأَنْحَرافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْإَقْلِيمِ الرَّابِعِ مُنَحَرَفًا عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي فَيَقَعُ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ تُقْضِي ثَنَائِيهَا إِلَى الْبَرِّ الْمُتَّصِلِ وَتُسَمَّى أَرْضَ غَشْكُونِيَّةٍ وَفِيهِ مَدِينَةٌ خَرِيدَةٌ وَقَرْشُونَةٌ وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مَدِينَةٌ بَرَسْلُونَةٌ ثُمَّ أَرْبُونَةٌ وَفِي هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي عَمَرُ الْجُزْءِ جَزَائِرُ كَثِيرَةٌ وَالْكَثِيرُ مِنْهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِهَا فَبَيْنَ غَزْبِيَّةِ جَزِيرَةٍ سِرْدَانِيَّةٍ وَفِي شَرْفِيَّةِ جَزِيرَةٍ صِقْلِيَّةٍ مُنْسَجَةٍ الْأَقْطَارُ يُقَالُ إِنَّ دَوْرَهَا سَبْعُمِائَةٍ مِيلَ وَبِهَا مَدُنٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِهَا مَرْفُوسَةٌ وَبَلَرْزَمٌ وَطَرَابِقَةٌ وَمَا زَرُ وَمَسِينِي وَهَذِهِ الْجَزِيرَةُ تُقَابِلُ أَرْضَ أَفْرِيقِيَّةٍ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ أَعْدُوشُ وَمَالِطَةُ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإَقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ إِلَّا ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا أَرْضُ قُلُورِيَّةٍ وَالْوُسْطَى مِنْ أَرْضِ أَبْكِيدَةَ وَالشَّرْقِيَّةُ مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ. وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإَقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ كَمَا مَرَّ وَجَزَائِرُهُ كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ كَمَا فِي الثَّلَاثِ وَالْمَعْمُورُ مِنْهَا جَزِيرَةُ بَلُوسٍ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ وَجَزِيرَةُ أَفْرِيطَشُ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ وَسْطِ الْجُزْءِ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ هَذَا الْإَقْلِيمِ عَمَرُ الْبَحْرِ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ يَنْتَهِي الصِّلُحُ الْغَرْبِيُّ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ وَيَنْتَهِي الصِّلُحُ الْجَنُوبِيُّ مِنْهَا إِلَى نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْجُزْءِ وَبَقِيَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ نَحْوُ الثَّلَاثِ يَمُرُّ الشَّمَالِي مِنْهَا إِلَى الْغَرْبِ مُنْعَطِفًا مَعَ الْبَحْرِ كَمَا قُلْنَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا أَسَافِلُ الشَّامِ وَيَمُرُّ فِي وَسْطِهَا جَبَلُ الْكَكَّامِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الشَّامِ فِي الشَّمَالِ فَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا إِلَى الْقَطْرِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ وَيُسَمَّى بَعْدَ انْعِطَافِهِ جَبَلُ السِّلْسِلَةِ وَمِنْ هُنَاكَ يَخْرُجُ إِلَى الْإَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَجُوزُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ قِطْعَةً مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ وَيَقُومُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى طَرَفٍ خَارِجٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مُتَأَخِّرٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ ثَنَائِيَا تُسَمَّى الدَّرُوبُ وَهِيَ الَّتِي تُقْضِي إِلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ جَبَلِ السِّلْسِلَةِ فَأَمَّا الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا أَنَّ فِيهَا أَسَافِلَ الشَّامِ وَأَنَّ جَبَلُ الْكَكَّامِ مُعْتَرِضٌ فِيهَا بَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَآخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فَقَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بَلَدُ أَنْطَرُطُوسَ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ مُتَأَخِّمَةً

الجزء وطرابلس على ساحله من الأقليم الثالث وفي شمال أنطزطوس جبلة ثم اللاذقية  
ثم إسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم وأما جبل اللكام المعرض  
بين البحر وآخر الجزء بحافاته فصافيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوباً من غربيه  
حصن الحواني وهو للعبشة الأناطولية ويعرفون لهذا العهد بالقدونية ويسمى مضيات  
وهو قبالة أنطزطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في الشمال عن  
خص وفي الشمال وفي مضيات بين الجبل والبحر بلد أنطاكية ويقابلها في شرق الجبل  
المعرة وفي شرقها المراءة وفي شمال أنطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس آخر  
الشام ويحاذيها من غرب الجبل ففسرين ثم عين زربة وقبالة ففسرين في شرق  
الجبل حلب ويقابل عين زربة متبع آخر الشام . وأما الدروب فعن يمينها ما  
بينها وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركمان وسلاطنتها  
ابن عثمان وفي ساحل البحر منها بلد أنطاكية والعلايا . وأما بلاد الآزمن التي بين  
جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة إلى آخر الجزء الشمالي  
ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الآزمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقيه فيمر بها  
جيحان جنوباً حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم بتعطف هابطاً  
إلى الشمال ومغرباً حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر نهر سيحان  
موازياً لنهر جيحان فيحاذي المعرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب إلى أرض الشام  
ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم بتعطف إلى الشمال مغرباً فيختلط بنهر  
جيحان عند المصيصة ومن غربيها وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل اللكام  
إلى جبل السلسلة في جنوبها بلد الرافضة والرقه ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين  
ثم سميساط وأمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله وهو أيضاً آخر الجزء من  
شرقيه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الأقليم  
الخامس ويمران في بلاد الآزمن جنوباً إلى أن يتجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر الفرات  
من غربي سميساط وسروج ويعرف إلى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقه ويخرج  
إلى الجزء السادس ويمر دجلة في شرق أمد وتتعطف قريباً إلى الشرق فيخرج قريباً  
إلى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الأقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي

٦٩ الشَّرْقِ مِنْهَا بِلَادُ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَبَعَرَضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَاكَ جَبَلٌ أَصْبَهَانَ هَاطِطًا مِنْ جَنْبِ الْجُزْءِ مُنَحَرَفًا إِلَى الْغَرْبِ فَإِذَا  
 أَنْتَهَى إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مُغْرِبًا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَتَبْصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السِّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَنْقَطِعُ هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ  
 بِقِطْعَتَيْنِ غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ فِي الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنْبِهَا تَخْرُجُ الْقُرَاتُ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شَمَالِهَا  
 تَخْرُجُ دِجْلَةٌ مِنْهُ أَمَّا الْقُرَاتُ فَأَوَّلُ مَا يَخْرُجُ إِلَى السَّادِسِ يَمُرُّ بِقَرْفِيسَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَاكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَسَّابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيَعُوضُ فِي تَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرْفِيسَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنْبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الْخَابُورِ إِلَى غَرْبِ الرَّحْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَاكَ يَمُرُّ جَنْوبًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِأَكُوفَةٍ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَتَخْرُجُ جَمِيعًا فِي  
 جَنْبِ الْجُزْءِ إِلَى الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَيَعُوضُ هُنَاكَ فِي شَرْقِ الْحَبِيرَةِ وَالْقَادِيسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْقُرَاتُ مِنَ الرَّحْبَةِ مُشْرِقًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتَ مِنْ شَمَالِهَا يَمُرُّ إِلَى الزَّابِ وَالْأَبْنَارِ مِنْ  
 جَنْبِهَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ عِنْدَ بَغْدَادَ وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةٍ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى شَمَالِهَا ثُمَّ بِالْمَوْصِلِ كَذَلِكَ وَتَكْرِيثَ وَيَنْتَهِي  
 إِلَى الْحَدِيثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنْوبًا وَتَبْقَى الْحَدِيثَةُ فِي شَرْقِهِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنْوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِيسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْقُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنْوبًا عَلَى غَرْبِ جَرَّابَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْشِيرُ  
 هُنَاكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عِنْدَ عَادَانَ وَفِيمَا بَيْنَ  
 نَهْرِ أَدِجْلَةٍ وَالْقُرَاتِ قَبْلَ تَجَمُّعِهِمَا بِبَغْدَادَ فِي بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةٍ بَعْدَ  
 مُفَارَقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرُ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانِ  
 قُبَالَةَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنْوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةٍ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَيَبْقَى  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بِلَدُ جُلُولَاءَ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ الْجَبَلِ بِلَدُ حُلُوانَ  
 وَصَيْمَرَةَ وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ يَبْدَأُ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرِقًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيُسَمَّى جَبَلُ شَهْرُزُورَ وَيَقْسِمُهَا بِقِطْعَتَيْنِ فِي الْجَنْبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصُّغْرَى بِلَدُ خَوْنِجَانٍ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنْ أَصْبَهَانَ وَتُسَمَّى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بِلَدُ الْهَلُوسِ

وَفِي وَسْطِهَا بَلَدٌ نَهَاوَنَدَ وَفِي شَمَالِهَا بَلَدٌ شَهْرُ زُورَ غَرْبًا عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَبَلَيْنِ وَالْدَيْنُورُ شَرْقًا  
عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْقِطْعَةِ الصَّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرَفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ قَاعَتُهَا الْمِرَاعَةُ  
وَالَّذِي يُقَابِلُهَا مِنْ جَبَلِ الْعِرَاقِ يُسَمَّى بَارِيَا وَهُوَ مَسَاكِنٌ لِلْأَكْرَادِ وَالزَّابِ الْكَبِيرِ  
وَالصَّغِيرِ الَّذِي عَلَى دِجْلَةٍ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادُ أَذْرَبَيْجَانَ  
وَمِنْهَا تَبْرِيزُ وَالْبَيْدَقَانُ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَشَ  
وَهُوَ بَحْرُ الْخَزَرِ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
وَفِيهَا هَمْدَانُ وَقَزْوِينَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْهَانَ وَحُيْطُ بِهَا مِنْ  
الْجَنُوبِ جَبَلٌ يُخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَعُرُّ بِالْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْعِرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ مُحِيطٌ  
بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْبِطُ هَذَا الْجَبَلُ الْحُيْطُ بِأَصْهَانَ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
الثَّلَاثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيَحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
وَتَحْتَهُ هُنَالِكَ قَاشَانَ ثُمَّ قُمْ وَيَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النِّصْفِ مِنْ طَرَفِهِ مُعَرِّبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُشْرِقًا وَمُنْحَرَفًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُعْظَمِهِ وَاسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرِّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَيَبْدَأُ مِنْ مُعْظَمِهِ جَبَلٌ  
آخَرُ يَعُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جَنُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قَزْوِينَ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
وَجَانِبِ جَبَلِ الرِّيِّ الْمُتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادُ طَبْرِسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ  
وَيَدْخُلُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نَحْوِ النِّصْفِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَيَعْتَرِضُ  
عِنْدَ جَبَلِ الرِّيِّ وَعِنْدَ انْعِطَافِهِ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ بِمَعْرِ عَلَى سَمْتِهِ مُشْرِقًا وَبِالْخُرَافِ  
قَلِيلٌ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرِّيِّ وَهَذَا  
الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِهَا بِلَادُ جُرْجَانَ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَمِنْهَا بِسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَقِيَّةُ الْمَفَارِزِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِ قَاشَانَ  
وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدُ أَسْتَرَابَادَ وَخَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
بِلَادُ نِيْسَابُورَ مِنْ خُرَاسَانَ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَفَارِزِ بَلَدُ نِيْسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِجَانَ  
آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي شَمَالِهِ وَشَرْقِ جُرْجَانَ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازَرُونَ وَطُوسُ آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا

وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ الْجَبَلِ وَفِي الشَّامِ عَنْهَا بِلَادٌ نَسَا وَيُحِيطُ بِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْجَزْيَنِ الشَّامِ وَالشَّرْقِ  
مَقَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ. وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةِ نَهْرٍ جَيْحُونٌ ذَاهِبًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
الشَّامِ فِي عُدُوْتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَمَمٌ وَأَمْلٌ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْجُرْجَانِيَّةِ مِنْ بِلَادِ  
خُوارِزْمٍ وَيُحِيطُ بِالزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْتَرَابَادٌ أَلْعَرَضُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ  
قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ غَرْبِيَّةٍ وَيُحِيطُ بِهَذِهِ الزَّوَايَةِ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَاتٍ وَأَوَّلُ جُلُوزَخَانَ  
جَتَّى يَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْبَتَمِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ وَفِي شَرْقِي نَهْرٍ جَيْحُونٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
مِنْهُ بِلَادُ بُخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّغْدِ وَقَاعِدَتُهَا سَمَرْقَنْدٌ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأَشْنَةُ وَمِنْهَا خَجَنْدَةُ آخِرُ الْجُزْءِ  
شَرْقًا وَفِي الشَّامِ عَنْ سَمَرْقَنْدٍ وَسَرْدَارَا وَأَشْنَةُ أَرْضٌ إِبِلَاقٌ <sup>(١)</sup> ثُمَّ فِي الشَّامِ عَنْ إِبِلَاقِ أَرْضُ  
الشَّاسِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَيَأْخُذُ قِطْعَةً مِنَ الْجُزْءِ الثَّاسِعِ فِي جَنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
فَرغانَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ أَلْتِي فِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ نَهْرُ الشَّاسِ يَمُرُّ مُعْتَرِضًا فِي الْجُزْءِ  
الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَّ فِي نَهْرٍ جَيْحُونٍ عِنْدَ تَخْرُجِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّامِنِ فِي شِمَالِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
الْخَامِسِ وَيَتَخَلَّطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِبِلَاقِ نَهْرٌ يَأْتِي مِنَ الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ تَقْوَمِ  
بِلَادِ الثَّبَتِ وَيَتَخَلَّطُ مَعَهُ قَبْلَ تَخْرُجِهِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّاسِعِ نَهْرُ فَرغانَةِ وَعَلَى سَمْتِ نَهْرِ الشَّاسِ  
جَبَلٌ جَبَرَاغُونٌ يَبْدَأُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنَحَرِّقًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مُحِيطًا بِأَرْضِ الشَّاسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ فَيُحِيطُ  
بِالشَّاسِ وَفَرغانَةِ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ قَدْ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاسِ وَطَرَفِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ بِلَادُ قَارَابِ وَيَنْتَهِي وَبَيْنَ أَرْضِ بُخَارَى وَخُوارِزْمٍ مَقَاوِزٌ مُعْطَلَةٌ  
وَفِي زَاوِيَةِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الشَّامِ وَالشَّرْقِ أَرْضُ خَجَنْدَةِ وَفِيهَا بَلَدٌ إِسْبِيْجَابٌ وَطَرَاوُ .  
وَفِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيَّةٍ بَعْدَ أَرْضِ فَرغانَةِ وَالشَّاسِ أَرْضُ الْخَزَلِجِيَّةِ  
فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّامِ وَفِي شَرْقِ الْجُزْءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكَيْمِ كَيْبَةٍ وَيَتَّصِلُ  
فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلٍ قَوْفِيَا آخِرُ الْجُزْءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْخَبِيطِ  
هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَذِهِ الْأُمَمُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التَّرْكِ . انتهى

الْإِقْلِيمُ الْخَامِسُ \* الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَمْعُورٌ بِالْمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْخَبِيطَ بِهَذِهِ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) في المتنك اقليم ابلق متصل باقليم الشاش لا فصل بينهما وهو بكسر الهمزة وسكون اليا بعد السا

وَالسَّاعِ عَنِ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَفْلَهِ قَامًا الْمُنْكَشَفُ مِنْ جَنُوبِهِ فِقْطَعَةً عَلَى شَكْلِ  
مُثَلَّثٍ مُتَّصِلَةٍ مِنْ هُنَاكَ بِالْأَنْدَلُسِ وَعَلَيْهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جَنُبَيْنِ كَأَنَّهُمَا ضِلْعَانِ  
مُحِيطَانِ بِزَاوِيَةِ الْمُثَلَّثِ فَفِيهَا مِنْ بَقِيَّةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ سَعِيدُورٌ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ أَوَّلِ الْجُزْءِ  
مِنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ وَسَلَمَنْكَةَ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جُوفِهَا سُورَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ سَلَمَنْكَةَ  
أَيْلَةٌ آخَرُ الْجَنُوبِ وَأَرْضُ قَسْتَالِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِينَةٌ شَقُونِيَّةٌ وَفِي شِمَالِهَا أَرْضُ لِيُونِ  
وَبَرْغَشْتٌ ثُمَّ وَرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ أَرْضُ جَلِيقِيَّةٍ إِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
فِي آخِرِ الضِّلْعِ الْغَرْبِيِّ بَلَدٌ شَنْيَافُو وَمَعْنَاهُ يَعْقُوبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةٌ  
شَطْلِيَّةٌ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الْجَنُوبِ وَشَرْقًا عَنْ قَسْتَالِيَّةٍ وَفِي شِمَالِهَا وَمَرْقِيَا وَشَقَّةٌ وَبَنْلُونَةُ  
عَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشِمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْلُونَةِ قَسْطَالَةَ ثُمَّ نَاجِرَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشْتِ  
وَيَعْتَرِضُ وَسَطَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُعَادِ الْبَحْرَ وَالضِّلْعَ الشَّمَالِيَّ الشَّرْقِيَّ مِنْهُ وَعَلَى  
قُرْبٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَيَطْرُقُ الْبَحْرَ عِنْدَ بَنْلُونَةِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ  
يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْأَفْلَهِ الرَّابِعِ وَيَصِيرُ حَجْرًا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ  
مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَتَنَابِيَاهُ لَهَا أَبْوَابٌ تُقْضِي إِلَى بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ مِنْ أُمَّمِ الْفَرَنْجِ فَبَيْنَهَا مِنْ  
الْأَفْلَهِ الرَّابِعِ بَرْسَلُونَةُ وَأَرْبُونَةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيدَةُ وَفَرْشُونَةُ وَرَاءَهُمَا  
فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنَ الْأَفْلَهِ الْخَامِسِ طَلُوشَةُ شِمَالًا عَنْ خَرِيدَةِ . وَأَمَّا الْمُنْكَشَفُ فِي  
هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِقْطَعَةٌ عَلَى شَكْلِ مُثَلَّثٍ مُسْتَطِيلٍ زَاوِيَتُهُ الْحَادَةُ وَرَاءَ  
الْبُرْنَاتِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ عَلَى رَأْسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْنَاتِ بَلَدٌ  
نِيُونَةُ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ أَرْضُ بَنْطُو مِنْ  
الْفَرَنْجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ أَرْضُ غَشْكُونِيَّةٍ وَفِي  
شِمَالِهَا أَرْضُ بَنْطُو وَبَرْغَشْتٌ وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمَا وَفِي شَرْقِ بِلَادِ غَشْكُونِيَّةٍ فِي شِمَالِهَا  
قِطْعَةٌ أَرْضٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ كَالْفَرَسِ مَائِلَةً إِلَى الشَّرْقِ قَلِيلًا  
وَصَارَتْ بِلَادَ غَشْكُونِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُرْنٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
شِمَالًا بِلَادُ جَنْوَةٍ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلُ نَيْبِ جُونِ وَفِي شِمَالِهِ وَعَلَى سَمْتِهِ أَرْضُ  
بَرْغُونَةٍ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ طَرَفِ جَنْوَةٍ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرَفٌ آخَرُ خَارِجٌ  
مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُونٌ دَاخِلٌ مِنَ الْكَبَرِ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نَيْسُ وَفِي شَرْقِهِ مَدِينَةُ رُومَةٍ



الْقُطْبَى كُرْبِي مَلِكِ الْإِفْرِنجِيَّةِ وَمَسْكِنِ الْبَابَا بِطَرَكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ الْمَبَانِي  
الضَّخْمَةِ وَالْمَبَانِي كُلِّهَا وَالْكَنَائِسُ الْعَادِيَّةُ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِالْأَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَفْرُوشٌ قَاعُهُ بِبِلَاطِ النُّحَاسِ وَفِيهَا  
كَنِيسَةُ بَطْرُسَ وَبُولُسَ مِنَ الْخَوَارِجِيِّينَ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ بِلَادِ  
رُومَةَ بِلَادُ أَفْرَنْصِيصَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرَفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنْبِهِ  
رُومَةُ بِلَادُ نَابِلَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مَتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قُلُورِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
طَرَفٌ مِنْ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مُغْرَبًا وَمُعَازِيًا لِلشَّمَالِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَأَنْتَهَى إِلَى تَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْبَنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
الْجُزْءِ مِنْ جَنْبِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْأَحْيِطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ إِنْكَلَابِيَّةَ فِي الْإِفْلِيمِ  
السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قُلُورِيَّةَ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ  
وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ يُحِيطُ بِهَا مِنْ شَرْقِيهِ بِصُلٍّ مِنْ بَرِّهَا فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
فِي جُزْنٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِيهِ بِلَادُ  
قُلُورِيَّةَ بِلَادُ أَنْكِيرِدَةَ فِي جُزْنٍ بَيْنَ خَلِيجِ الْبَنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَبَدَخَلَ طَرَفٌ مِنْ  
هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُزْنِ فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ شَرْقِيهِ خَلِيجُ  
الْبَنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ذَاهِبًا إِلَى سَمْتِ الشَّمَالِ ثُمَّ يَتَعَطَّفُ إِلَى الْمَغْرِبِ مُعَازِيًا لِآخِرِ  
الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُؤَازِيهِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ  
إِلَى الشَّمَالِ ثُمَّ يَغْرُبُ مَعَهُ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قِبَالَ خَلِيجِ فِي شَمَالِهِ  
فِي بِلَادِ إِنْكَلَابِيَّةَ مِنْ أَمْرِ الْأَلْمَانِيِّينَ كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيجِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
الْجَبَلِ مَا دَامَا ذَاهِبَيْنِ إِلَى الشَّمَالِ بِلَادُ الْبَنَادِقَةِ فَإِذَا ذَهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيْنَهُمَا بِلَادُ  
حَرَوَايَا ثُمَّ بِلَادُ الْأَلْمَانِيِّينَ عِنْدَ طَرَفِ الْخَلِيجِ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ مُضْرَسَةٌ كُلُّهَا بِقِطْعٍ مِنَ  
الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ وَبَيْنَ كُلِّ خَمْرَسَيْنِ مِنْهَا طَرَفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُزْنِ بَيْنَهُمَا  
وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا قِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَخْرُجُ  
مِنْ هَذَا الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ  
وَيَتَعَطَّفُ مِنْ هُنَاكَ عَنْ قُرْبٍ مُشْرِقًا إِلَى بَحْرِ نِيطَسَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضُ الرَّابِعِ

قَبْلَهُ وَالسَّادِسَ بَعْدَهُ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَرْنَا وَبَلَدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّامِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ كُرْسِيَّ الْقِبَاصِرَةِ  
وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبَنَاءِ وَالصُّخَامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ وَالْخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادُ مَقْدُونِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
وَمِنْهَا أَيْدَاءُ مُلْكِهِمْ وَفِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
وَأَعْظَمُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَجَالَاتُ لِلتُّزْكُمَانِ وَبِهَا مُلْكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرْصَةٌ وَكَانَتْ  
مِنْ قَبْلِهِمْ لِلرُّومِ وَعَلَيْهِمْ عَلَيْهَا الْأَنْمُ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّزْكُمَانِ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّامِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
بِلَادُ عُمُورِيَّةَ وَفِي شَرْقِي عُمُورِيَّةَ نَهْرُ قَبَائِبِ الَّذِي يُعِدُّ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ هُنَالِكَ  
وَيَذْهَبُ فِي الْجَنُوبِ حَتَّى يَخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى تَمَرِهِ فِي الْإِفْلِيمِ  
الرَّابِعِ وَهُنَالِكَ فِي غَرْبِهِ آخِرُ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سَيْحَانَ ثُمَّ نَهْرُ جَيْحَانَ غَرْبِيَّةُ الدَّاهِبِينَ  
عَلَى سَمْتِهِ وَنَدْرَ ذِكْرُهَا . وَفِي شَرْفِهِ هُنَالِكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دِجْلَةَ الدَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
مُؤَاوَرَتِهِ حَتَّى يَخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّوَايَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دِجْلَةَ بَلَدُ مِيَاكَارِفِينَ وَنَهْرُ قَبَائِبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَقْسِمُ  
هَذَا الْجُزْءَ بِقِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا غَرْبِيَّةُ جَنُوبِيَّةُ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَأَسَافِلُهَا  
إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا وَوَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَائِبِ أَرْضُ عُمُورِيَّةَ كَمَا  
قُلْنَا وَالْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْفِيَّةُ شَمَالِيَّةُ عَلَى الثَّلَاثِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتَ وَفِي  
الشَّامِ بِلَادُ الْبِلَقَانِ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عُمُورِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ جَبَلِ قَبَائِبِ وَهِيَ عَرِيسَةٌ وَفِي  
آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بَلَدُ حَرَّشَنَةِ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
نِيطِشِ الَّذِي يُعِدُّهُ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي جَنُوبِهِ  
وَعَرْبِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلْدَانُ  
أَرْدُنَ فِي الْجَنُوبِ وَالْقَرَبِ وَفِي شَمَالِهَا تَقْلِسُ وَدَيْلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدُنَ مَدِينَةُ خَلَاطُ ثُمَّ  
بَرْدَعَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةَ وَمِنْ هُنَالِكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ  
إِلَى الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَالِكَ بَلَدُ الْمَرَاغَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمُسَمَّى بِأَرْمِي  
وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَبُنَاخُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْإِفْلِيمِ

الرَّابِعَ قَبْلَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِيهَا بِلَادُ أَدْرِيجَانَ وَآخَرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ شَرْقًا بِلَادُ اَرْدَنِيلَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ دَخَلَتْ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ وَيُسَمَّى بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ شِمَالِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْخَزَرِ وَهُمْ التُّرْكَمَانُ وَيَدَا مِنْ عِنْدِ آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الشَّمَالِ جِبَالٌ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَمَعْرُ فِيهِ مُنْعَطِفَةٌ وَمُحِيطَةٌ بِبَلَدٍ مَيَّافَرِقِينَ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ عِنْدَ أَمْدٍ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي أَسْفَلِ الشَّامِ وَمِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِجَبَلِ اَللَّكَّامِ كَمَا مَرَّ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ثَنَائِبًا كَأَنَّ أَبْوَابَ تُنْقِصِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي جَنُوبِيَّهَا بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ فِي الشَّرْقِ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ مَدِينَةُ بَابِ الْأَبْوَابِ وَيَتَّصِلُ بِلَادُ الْأَبْوَابِ فِي الْغَرْبِ مِنْ نَاحِيَةِ جَنُوبِيَّهَا بِبَلَدٍ أَرْمِينِيَّةٍ وَبَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ بِلَادِ أَدْرِيجَانَ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَفِي شِمَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا مَمْلَكَةُ السَّرِيرِ فِي الزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهَا وَفِي زَاوِيَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ قِطْعَةٌ أَيْضًا مِنْ بَحْرِ نِيطِشِ الَّذِي يُعَدُّ خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ وَيَحْتَفُّ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ نِيطِشِ بِلَادُ السَّرِيرِ وَعَلَيْهَا مِنْهَا بَلَدٌ أَطْرَابَرِيدَةٌ وَيَتَّصِلُ بِلَادُ السَّرِيرِ بَيْنَ جَبَلِ الْأَبْوَابِ وَالْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ شَرْقًا إِلَى جَبَلٍ حَاجِزٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ الْخَزَرِ وَعِنْدَ آخِرِهَا مَدِينَةُ صُولٍ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ الْحَاجِزِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ تَنْتَهِي إِلَى الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَآخِرُ الْجُزْءِ شَمَالًا . وَالْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ غَرْبِيَّةُ كُلِّهِ مَعْمُورٌ بِبَحْرِ طَبْرِسْتَانَ وَخَرَجَ مِنْ جَنُوبِهِ فِي الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ الْقِطْعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ عَلَيْهَا بِلَادَ طَبْرِسْتَانَ وَجِبَالُ الدِّلِيمِ إِلَى قَرْوِينَ وَفِي غَرْبِيَّ تِلْكَ الْقِطْعَةِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شِمَالِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَرْقِهَا أَيْضًا وَيَتَكَشَّفُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ عِنْدَ زَاوِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ أَثَلٍ فِي هَذَا الْبَحْرِ وَيَبْقَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْقِ قِطْعَةٌ مُنْكَشَفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي مَجَالَاتٍ لِلْغُرِّ مِنْ أَمْرِ التُّرْكَ يُحِيطُ بِهَا جَبَلٌ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ دَاخِلٌ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَيَذْهَبُ فِي الْغَرْبِ إِلَى مَا دُونَ وَسَطِهِ فَيَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَلَاقِيَ بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ فَيَحْتَفُّ بِهِ ذَاهِبًا مَعَهُ إِلَى بَقِيَّتِهِ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ

ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَ طَرَفِهِ وَيُقَارِفُهُ وَيُسَمِّي هُنَاكَ جَبَلَ سِيَاهَ وَيَذْهَبُ مُعْرِبًا إِلَى الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخَزَرِ  
 وَأَصْلَتْ بِأَرْضِ الْخَزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَاقَاتُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلَ  
 سِيَاهَ كَمَا سَبَّأْنِي. وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ بَجَالَاتُ الْغَزِّ مِنْ أُمِّ  
 التُّرْكِ وَفِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ بُحَيْرَةٌ خُورَازْمَ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرُ جَيْمُونِ دَوْرُهَا  
 ثَلَاثُمِائَةِ مِيلٍ وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الْعِبَالَاتِ وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بُحَيْرَةٌ عُرْعُونُ دَوْرُهَا أَرْبَعُمِائَةِ مِيلٍ وَمَاوُهَا حُلُوٌّ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلُ مِرْغَارَ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ التَّلَاجِ لِأَنَّهُ لَا يَدُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجَنُوبِ عَنْ بُحَيْرَةِ عُرْعُونِ جَبَلٌ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يَنْبُتُ شَيْئًا يُسَمَّى عُرْعُونُ وَبِهِ  
 سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ وَيَنْجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْغَارَ شِمَالِي الْبَحِيرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَحْصُرُ عِدَّتُهَا فَتَصُبُّ  
 فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ. وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ بِلَادُ أَرْكَسَ مِنْ أُمِّ التُّرْكِ فِي  
 غَرْبِ بِلَادِ الْغَزِّ وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِتِ وَيَحْتُ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
 جَبَلُ قُوفِيَا الْحَيْطِ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَعْتَرِضُ هُنَاكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَنْعَطِفَ  
 أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ  
 الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَأَخَذَتْ هُنَاكَ بِالْبَحْرِ الْحَيْطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ أَنْعَطَفَتْ مُعْرِبًا  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
 الْكِيْمَاكِتِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسِ فَذْهَبَ فِيهِ مُعْرِبًا إِلَى آخِرِهِ  
 وَبَقِيَ فِي جَنُوبِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيْمَاكِتِ  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي شَرْقِيَّةِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْهُ وَأَنْعَطَفَتْ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذْهَبَ  
 عَلَى سَمْتِهِ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّدُ هُنَاكَ كَمَا نَذَرْتُهُ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلُ قُوفِيَا عِنْدَ الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ بِأُجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
 أَرْضُ بِأُجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهَا إِلَّا قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ عَمَرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهِ  
 إِلَى شِمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي بَفَضْلُهَا إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلُ قُوفِيَا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا

سَوَى ذَلِكَ فَأَرْضُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

الْأَقْلِيمُ السَّادِسُ . فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ عَمْرُ الْبَحْرِ أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِهِ وَاسْتَدَارَ شَرْقًا  
مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثُمَّ ذَهَبَ مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى الْجَنُوبِ وَأَنْتَهَى قَرِيبًا مِنَ النَّاحِيَةِ  
الْجَنُوبِيَّةِ فَانْكَشَفَ قِطْعَةً مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْجُزْءِ دَاخِلَةً بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَفِي  
الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ كَلْجُونٍ فِيهِ وَيَنْسَحِبُ طَوْلًا وَعَرْضًا وَهِيَ  
كُلُّهَا أَرْضُ بَرِيطَانِيَّةٍ وَفِي بَابِهَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا  
الْجُزْءِ بِلَادُ صَانِسَ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ بِنْدُوكَالِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقْلِيمِ  
الْخَامِسِ . وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ دَخَلَ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ مِنْ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ فَمِنْ غَرْبِهِ  
قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ أَكْبَرُ مِنْ نِصْفِ الشَّمَالِي مِنْ شَرْقِ أَرْضِ بَرِيطَانِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ  
وَاتَّصَلَتْ بِهَا الْقِطْعَةُ الْأُخْرَى فِي الشَّمَالِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَانْقَسَمَتْ فِي النِّصْفِ  
الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ وَفِيهِ هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَزِيرَةٍ أَكْثَرًا وَهِيَ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ  
مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَدُنٍ وَبِهَا مَلِكٌ صَحْمٌ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
وَحَزِيرَتُهَا فِي النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بِلَادُ أَرْمَنْدِيَّةٍ وَبِلَادُ أَفْلَادَشَ مُتَّصِلَتَيْنِ بِهَا  
ثُمَّ بِلَادُ إِفْرَنْسِيَّةٍ جَنُوبًا وَغَرْبًا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَبِلَادُ بَرْغُونِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَكُلُّهَا لِأَمِيرٍ  
الْأَفْرَنْجِيَّةِ وَبِلَادُ اللَّيْمَانِيَّيْنِ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادُ أَنْكَلَايَةِ ثُمَّ  
بِلَادُ بَرْغُونِيَّةٍ شِمَالًا ثُمَّ أَرْضُ لَهْوِيكَةَ وَشَطُونِيَّةَ وَعَلَى قِطْعَةِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي الزَّوَايَةِ  
الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ أَفِيرَةٍ وَكُلُّهَا لِأَمِيرٍ اللَّيْمَانِيَّيْنِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا  
الْأَقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ مَرَاتِيَّةٍ فِي الْجَنُوبِ وَبِلَادُ شَطُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ  
الشَّرْقِيَّةِ بِلَادُ أَنْكُورِيَّةٍ فِي الْجَنُوبِ وَبِلَادُ بَلُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ يَبْعُرُضُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ بِلَوَاطٍ  
دَاخِلًا مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَيَمُرُّ مَغْرِبًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَقِفَ فِي بِلَادِ  
شَطُونِيَّةٍ آخِرَ النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ أَرْضُ جَنُوبِيَّةٍ وَتَحْتَهَا  
فِي الشَّمَالِ بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَبِفَصْلِ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ بِلَوَاطٍ مِنْ أَوَّلِ الْجُزْءِ غَرْبًا إِلَى أَنْ  
يَقِفَ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ وَفِي شَرْقِ أَرْضِ جَنُوبِيَّةِ بِلَادُ جُرْمَانِيَّةٍ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَمَدِينَتُهَا عِنْدَ آخِرِ الْخَلِيجِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَعِنْدَ  
مِدْفَعِهِ فِي بَحْرِ نِيطَاشَ قِيعُ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ نِيطَاشَ فِي أَعَالِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا

الجزء وبمدها الخليج ويتبهما في الزاوية بلد مسيناه وفي الجزء الخامس من الأقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطن يتصل من الخليج في آخر الجزء الرابع ويخرج من سمتيه مشرقاً فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من مبداه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها إلى شرقها برّ مستطيل في غربه هرقليه على ساحل بحر نيطن متصلة بأرض البيلقان من الأقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانيه وقاعدتها سوتلي على بحر نيطن وفي شمال بحر نيطن في هذا الجزء غرباً أرض ترخان ومشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من شمالها في الجزء الخامس من الأقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الأقليم . وفي الجزء السادس في غربيه بقية بحر نيطن ويتحرف قليلاً إلى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالاً بلاد فانية وفي جنوبه منقسم إلى الشمال بما ائتمرت هو كذلك بقية بلاد اللانيه التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل أرض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية أرض بلجر يموزها هناك قطعة من جبل سياكوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقه مغرباً فيجوز في هذه القطعة ويدخل إلى الجزء السادس من الأقليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الأبواب وعليه من هنالك ناحية بلاد الخزر . وفي الجزء السابع من هذا الأقليم في الناحية الجنوبية ما جازه جبل سياه بعد مفارقه بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر الجزء غرباً وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يموزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء أرض شغوب ويخناك وهم أمم الترك . وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها أرض الخوخ من الترك في الناحية الشمالية غرباً والأرض المنبته وشرق الأرض التي يقال إن بأجوج وماجوج خرباها قبل بناء السد وفي هذه الأرض المنبته مبدأ نهري الأثل من أعظم أنهار العالم وممره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الأقليم

الْخَامِسِ فِي الْجُزْءِ السَّامِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَنْطَافِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمُتَنَنَةِ  
مِنْ ثَلَاثَةِ بَنَائِعٍ تَجْتَمِعُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَمُرُّ عَلَى تَمْتِ الْقَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّامِعِ مِنْ هَذَا  
الْأَفْلِيمِ فَيَنْعَطِفُ شَمَالًا إِلَى الْجُزْءِ السَّامِعِ مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّامِعِ فَيَمُرُّ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّامِعِ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ  
يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
جَدُولٌ يَذْهَبُ مَغْرِبًا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ نِطِشٍ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَمُرُّ هُوَ فِي قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
وَالشَّرْقِ فِي بِلَادٍ بِلْعَارٍ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّامِعِ مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَالِثَةً  
إِلَى الْجَنُوبِ وَيَنْفَذُ فِي جَبَلٍ سِيَاهٍ وَيَمُرُّ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَفْلِيمِ الْخَامِسِ  
فِي الْجُزْءِ السَّامِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ فِي الْقِطْعَةِ الَّتِي انْكَشَنَتْ مِنْ  
الْجُزْءِ عِنْدَ الزَّائِيَةِ الْقَرْيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَالْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَفْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْقَرْيَةِ  
مِنْهُ بِلَادٌ خَفِشَاخٍ مِنَ التُّرْكِ وَهُمْ قَبْجَاقٌ وَبِلَادُ السَّرَكْسِ مِنْهُمْ أَيْضًا وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
بِلَادٌ يَأْجُوجُ يَقْصُلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ قَوْفِيًا أَلْحِيْطُ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ بَدَأَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْيِطِ  
فِي شَرْقِ الْأَفْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَفْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيُقَارِفُهُ مَغْرِبًا  
وَيَأْتِيهِ رَافِدٌ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنَ الْأَفْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
سَمْتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنَ الْأَفْلِيمِ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
يَأْتِيهِ رَافِدٌ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَسْكَندَرُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ  
إِلَى الْأَفْلِيمِ السَّامِعِ وَفِي الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنْهُ فَيَمُرُّ فِيهِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
الْأَحْيِطَ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مَغْرِبًا إِلَى الْأَفْلِيمِ السَّامِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
الْخَامِسِ مِنْهُ فَيَقْصُلُ هُنَاكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْيِطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ  
النَّاسِعِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَسْكَندَرُ كَمَا قُلْنَا وَاصْحَبُ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغَرَفِيَا أَنَّ الْوَاقِئَ رَأَى فِي مَنَامِهِ  
كَأَنَّ السُّدَّ انْفَتَحَ فَاتَّبَعَهُ فِرْعَاوْنٌ وَبَعَثَ سَلَامًا إِلَى التَّرْجُمَانِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبْرِهِ وَوَضَعَهُ  
فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ لَبَسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْأَفْلِيمِ  
بِلَادٌ مَأْجُوجٌ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْيِطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيضَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الْأَفْلِيمُ السَّابِعُ \* وَالْبَحْرُ الْأَحْيَطُ قَدْ عَمَّرَ عَامَّتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجَبَلٍ قُوفِيَا الْأَحْيَطُ بِبَاجُوجَ . فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَعْمُورَانِ بِالْمَاءِ إِلَّا مَا أَنْكَشَفَ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكِكَلَرَا الَّتِي مُعْظَمُهَا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ أَنْعَطَفَ بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَالْجَبَلُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَعَةً اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شِمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 رَسْلَانْدَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْأَفْلِيمِ مَعْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِالْبَحْرِ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنُوبِهِ وَتَنْسَعُ فِي شَرْفِهَا وَفِيهَا هُنَاكَ مَتَّصِلُ أَرْضِ  
 فَلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنَّهَا فِي شِمَالِهِ وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَعْمُرُ هَذَا الْجُزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ قَسِيحَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَرِّ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنُوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فَلُونِيَّةٍ وَفِي شِمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرْنَاءِيَّةٌ (وَفِي نَسْخَةِ بَوَاقِعَةٍ)  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّمَالِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْأَفْلِيمِ شِمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَعْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْأَحْيَطُ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنُوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضُ قِيَارَكٍ مِنَ التُّرْكِ وَفِي شَرْفِهَا بِلَادُ طُسْتٍ ثُمَّ أَرْضُ رَسْلَانٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةُ التَّلُوجِ وَعُمُرُهَا قَلِيلٌ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّوسِيَّةِ فِي الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَفْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَيَنْتَهِي فِي الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْيَطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلٌ  
 قُوفِيَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مَتَّصِلُ أَرْضِ الْقَقْمَانِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ بِحَرِّ نِيطَشٍ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَفْلِيمِ السَّادِسِ وَيَنْتَهِي إِلَى بَحِيرَةِ طَرَمِي  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَجْلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ  
 وَفِي شِمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ التَّتَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ (وَفِي نَسْخَةِ التَّرْكَانِ)  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَتَّصِلُ بِلَادِ الْقَقْمَانِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بِحِيرَةٌ عَذْبَةٌ تَجْلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي النُّوَاحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لِسِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقَقْمَانِيَّةِ بِلَادُ



الرُّوسِيَّةَ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّوِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بُلْغَرِ الَّتِي كَانَ  
مَبْدَأُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ  
وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بُلْغَرِ مُنْعَطَفُ نَهْرٍ أَثَلِ الْقِطْعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ  
كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شِمَالِهِ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ  
وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ يَحْثَاكُ مِنْ أُمَمٍ أَلْتَرَكُ وَكَانَ  
مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قَبْلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ قَوْفِهِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
بَقِيَّةُ أَرْضِ سُحْرَبَ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُتَنَنِّدَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ  
جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُحِيطٌ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا  
الْإِفْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلُ الْأَرْضِ الْمُتَنَنِّدَةِ وَفِي شَرْفِهَا الْأَرْضُ الْمُحْفَوْرَةُ  
وَهِيَ مِنَ الْعَجَائِبِ خَرَقَ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَسَبَّحُ الْأَفْطَارِ مُمْتَنِعُ الْوُصُولِ  
إِلَى قَعْرِهِ يُسْتَلَقُ عَلَى عُمُرَانِهِ بِالْذُخَانِ فِي النَّهَارِ وَالنِّبْرَانِ فِي اللَّيْلِ تُضِيهِ وَتَخْفَى وَرُبَّمَا  
رُئِيَ فِيهَا نَهْرٌ يُشَقُّهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ  
الْخَرَابُ الْمُتَاخِضَةُ لِلْسَّدِّ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ فَوْقِيَا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
وَفِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ وَهُمْ قَفْقُ  
يَجُوزُهَا جَبَلٌ فَوْقِيَا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شِمَالِهِ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسْطِهِ إِلَى  
الْجَنُوبِ بِانْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ الثَّاسِعِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ  
مُعْتَرِضًا فِيهِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَاكَ سُدٌّ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضُ بِأَجُوجَ وَرَاءَ جَبَلٍ فَوْقِيَا عَلَى الْبَحْرِ قَلِيلَةُ الْقَرُصِ مُسْتَطِيلَةٌ أَحَاطَتْ  
بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشِمَالِهِ . وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ غَمَرُ الْبَحْرِ جَمِيعُهُ . هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُزْءِ الثَّامِنِ  
وَأَقَالِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِبَابِ الْعَالَمِينَ

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمخرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والجكثير في احوالهم

قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْمُورَ مِنْ هَذَا النُّعْكَشَفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسَطُهُ لِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدِ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كَانِ الْجَانِبَانِ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَجَبَ أَنْ تَنْدَرِجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَاهُمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
مُعْتَدِلًا فَالْأَوَّلُ الرُّابِعُ أَعْدَلَ الْأُمُورِ وَالَّذِي حَافَاةُ مِنَ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسُ أَقْرَبُ إِلَى  
الْإِعْتِدَالِ وَالَّذِي يَلِيهِمَا وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ بَعِيدَانِ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ  
أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَالْمَنَاقِبُ وَالْأَقْوَاتُ وَالْقَوَاكِبُ بَلْ  
وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْإِعْتِدَالِ  
وَسُكَّانِهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلَ أَجْسَامًا وَلَوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَدْبَانًا حَتَّى الدُّبُوتُ فَإِنَّمَا تُوْجَدُ  
فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَقِفْ عَلَى خَبَرٍ بَعَثَ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِمْ أَكْمَلُ النُّوعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِيَتِمَّ الْقَبُولُ بِمَا بَيَّنَّاهُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَهْلُ  
هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لَوْجُودِ الْإِعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ  
وَمَلَائِسِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يَتَخِدُونَ الْبُيُوتَ الْمُبَجَّدةَ بِالْتَّجَارَةِ الْمُنْمَقَّةَ بِالصَّنَاعَةِ  
وَيَتَنَاقِشُونَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ وَيَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَايَةِ وَتُوْجَدُ لَدَيْهِمْ  
الْمَعَادِنُ الطَّبِيعِيَّةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ  
وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ بِالْقَدْرَيْنِ الْعَزِيزَيْنِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْخِرَافِ فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَهُوَ لِأَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقَيْنِ وَالْمِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّبِ  
وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرَبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجَةِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيَّتَيْنِ وَمَنْ كَانَ  
مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلَ  
هَذِهِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا وَسْطٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ مِثْلَ الْأَوَّلِ  
وَالثَّانِي وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَيَنَالُهُمُ بِالطَّيْنِ

وَالْقَصَبَ وَأَقْوَاتَهُمْ مِنَ الذَّرَّةِ وَالْعُشْبِ وَمَلَاسِهِمْ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ يَخْصِفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
 أَوْ الْجُلُودَ وَأَكْثَرُهُمْ عَرَابًا مِنَ اللَّبَاسِ وَفَوَاحِيهِ بِلَادِهِمْ وَأَدَمَهَا غَرِيبَةُ التَّكُونِ مِثْلَهُ  
 إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَمُعَامَلَاتِهِمْ يَغْيِرُ الْحَجَرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ جُلُودٍ  
 يَقْدِرُونَهَا لِلْمُعَامَلَاتِ وَأَخْلَاقُهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةٌ مِنْ خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ حَتَّى لِيُنْقَلَ  
 عَنْ الْكَثِيرِ مِنَ السُّودَانِ أَهْلُ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْكَهُوفَ وَالْفِيَاضَ  
 وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَأَنَّهُمْ مُتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْنِسِينَ بِأَكْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِبَةُ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْإِعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرَضُ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ  
 عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
 الْإِيَّانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ بُؤَةَ وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَابِ  
 الْإِعْتِدَالِ وَهُوَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ مِثْلَ الْحَبَشَةِ الْجَوَّارِينَ اللَّيْمِينَ الدَّائِنِينَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
 فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالنَّكَرُورِ الْجَوَّارِينَ  
 لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ الدَّائِنِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ  
 وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّةِ الصَّقَالِبَةِ وَالْأَفْرِجَةِ وَالتُّرْكِ مِنَ الشَّامِ وَمَنْ سَوَى  
 هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَالِيمِ الْمُتَخَرِّفَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا فَالَّذِينَ يَجْهَلُونَ عِنْدَهُمُ الْعِلْمُ مُفْقُودٌ  
 بَيْنَهُمْ وَجَمِيعُ أَحْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنَامِيِّ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَخْلُقُ مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ وَلَا يَعْزِضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَوْجُدُ الْيَمَنَ وَحَضْرَمُوتَ وَالْأَحْقَافَ وَبِلَادِ  
 الْحِجَازِ وَالْبَحَاةِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
 الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْجِبَارُ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
 رُطُوبَةِ هَوَائِهَا فَتَقْصُ ذَلِكَ مِنَ الْبَيْسِ وَالْأَنْحِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْجَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
 الْإِعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّسَّابِينَ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ بِطَبَائِعِ  
 الْكَائِنَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُمْ وَلَدُ حَامٍ بَنِي نُوحٍ اخْتَصَمُوا بِلَوْنِ السُّودِ لِدَعْوَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِيمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الرِّقِّ فِي عَقِبِهِ وَيَنْقَلُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةً  
 مِنْ خُرَافَاتِ الْقَصَاصِ وَدُعَاةِ نُوحٍ عَلَى أَبِيهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ وَيَأْتِي فِيهِ ذِكْرُ  
 السُّودِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ عَبْدًا وَلَوْلَا إِخْوَتُهُ لَا غَيْرُ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
 السُّودِ إِلَى حَامٍ غَفَلَةٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهِمَا فِي الْهَوَاءِ وَفِيمَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ

مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنُ شَمَلُ أَهْلِ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ مِرَاجٍ هَوَانِهِمْ  
 لِلْخَرَارَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجَنُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تَسَامَتْ رُؤُوسُهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى فَتَطُولُ الْمَسَامَتَةُ عَامَّةُ الْفُصُولِ فَيَكْثُرُ الضَّوْءُ لِأَجَانِبًا وَلَيْحَ  
 الْقَيْظِ الشَّدِيدِ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَنَظِيرُ هَذَيْنِ الْإِفْلِيمَيْنِ بَمَا يَقَابِلُهُمَا  
 مِنَ الشَّمَالِ الْإِفْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ شَمَلٌ سُبُكَّانُهُمَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنْ مِرَاجٍ هَوَانِهِمْ  
 لِلْبَرْدِ الْمَقْرُطِ بِالشَّمَالِ إِذْ الشَّمْسُ لَا تَزَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةِ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قُرْبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمَسَامَتَةِ وَلَا مَا قُرْبَ مِنْهَا فَيُضَعْفُ الْحَرُّ فِيهَا وَيَشَدُّ الْبَرْدُ عَامَّةً  
 الْفُصُولِ فَتَبْيِضُ أَوَانُ أَهْلِهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الزُّعُورَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مِرَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمَقْرُطِ مِنْ زُرْقَةِ الْعَيْنِ وَبَرَشِ الْجُلُودِ وَدَهْوَةِ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْأَقَالِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلَاثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْأَعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مِرَاجُ الْمُتَوَسِّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْأَعْتِدَالِ غَايَةً لِنَهَائِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِهِ  
 مِنَ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا اقْتَضَاهُ مِرَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمِيلِ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجَنُوبِ الْحَارِّ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَكَانَتِ الْأَقَالِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُخَرَّجَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادُ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضُ وَيُسَمَّى  
 سُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْإِفْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِأَسْمِ الْحَبْشَةِ وَالزَّنَجِ وَالسُّودَانِ أَسْمَاءً  
 مُتَرَادِفَةً عَلَى الْأَمْرِ الْمُتَغَيَّرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ أَسْمُ الْحَبْشَةِ مُخْتَصًّا مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاهَ  
 مَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالزَّنَجِ بِمَنْ تَجَاهَ بَحْرَ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى آدَمَ أَسْوَدَ لَا حَامَ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدَ مِنَ السُّودَانِ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّابِعَ الْمُعْتَدِلَ أَوِ السَّابِعَ الْمُعْرِفَ إِلَى الْبَيَاضِ فَتَبْيِضُ أَوَانُ أَعْقَابِهِمْ عَلَى التَّدَرُّجِ  
 مَعَ الْأَيَّامِ وَبِالْعَكْسِ فَيَمَنْ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوِ الرَّابِعِ بِالْجَنُوبِ فَتَسْوَدُّ  
 أَوَانُ أَعْقَابِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمِرَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَرْجُوزِيهِ فِي الطَّبِّ

بِالزَّنَجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادِ حَتَّى كَسَا جُلُودَهَا سَوَادًا  
 وَالصِّقْلُ اكْتَسَبَ الْبَيَاضَ حَتَّى عَدَّتْ جُلُودَهَا بَيَاضًا

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ فَلَمْ يَسْمَوْا بِاعْتِبَارِ أُلُوَائِهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ تِلْكَ اللَّغَةِ  
 الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَابَةٌ تَعْمَلُ عَلَى اعْتِبَارِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُوَافَقَتِهِ وَاعْتِبَادِهِ  
 وَوَحْدَانَا سُكَّانُهُ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغُرُغُرِ وَالْخَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَنْدَرِ مِنَ الْأَفْرَجَةِ  
 وَيَا جُوجَ وَمَا جُوجَ أَسْمَاءٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةٌ مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْأَعْتِدَالِ فِي خُلُقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةِ الْأَحْوَالِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ لِلْاعْتِمَادِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَالرَّئَاسَاتِ  
 وَالْمُلُوكِ فَكَانَتْ فِيهِمْ النُّبُوتُ وَالْمُلُوكُ وَالذُّلُومُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبُلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
 وَالْمَبَانِي وَالْفِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَانِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
 وَقَفْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِثْلَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانَ وَأَهْلَ السِّنْدِ  
 وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى النَّسَابُونَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشَعَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
 لِأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَجَعَلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كُلَّهُمُ السُّودَانَ مِنْ وَلَدِ حَامٍ وَارْتَابُوا فِي أُلُوَائِهِمْ  
 فَتَكَافَلُوا نَقَلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْوَاهِيَةَ وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّامِ كُلَّهُمْ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وَلَدِ  
 يَافَثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْأَوْسَطِ الْمُتَنَحِّلِينَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَالِ  
 وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلُوكِ مِنْ وَلَدِ سَامٍ وَهَذَا الرَّغْمُ وَإِنْ صَادَقَ الْحَقُّ فِي أَنْسَابِ  
 هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ مُطَرِّدٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
 بِالسُّودَانَ وَالْجَنُوبِ مِنْ أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامٍ الْأَسْوَدِ . وَمَا آدَاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ  
 إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ  
 لِلْجِيلِ أَوِ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفُرسِ وَيَكُونُ  
 بِالْجِهَةِ وَالسِّمَةِ كَمَا لِلرُّومِ وَالْجَنُوبِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانَ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشَّعَارِ  
 وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِّهِمْ وَمُمَيِّزَاتِهِمْ  
 فَتَعْمِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
 لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ نَحْلَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ سِمَةٍ وَجِدَتْ لِنَاكِ الْأَبِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَعَالِيطِ الَّتِي أَوْقَعَ  
 فِيهَا الْفَقْلَةُ عَنْ طِبَائِعِ الْأَكْوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا تَبَدَّلَتْ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
 اسْتِعْرَاضُهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَكِنْ تَحْدِثُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
 وَأَحْكَمُ وَهُوَ الْمَوْلَى الْمُنِّمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى النُّعُومِ الْخَفَّةِ وَالطَّبِشِ وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فَتَجِدُهُمْ مُوَلِّعِينَ بِالرَّقَصِ عَلَى كُلِّ تَوْفِيعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحُمَقِ فِي كُلِّ فُطْرٍ وَالسَّبَبُ الْعَصِيجُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَتَقَشُّيهِ وَطَبِيعَةُ الْحُزْنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْقِبَاضُهُ وَتَكَاثُفُهُ . وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ مُفْشِيَةً لِلْهَوَاءِ وَالْبَخَارَ مُخَلِّغَةً لَهُ زَائِدَةً فِي كَيْتِهِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُنْتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ مَا لَا يَعْزُرُ عَنْهُ وَذَلِكَ بِمَا يَدْخُلُ بُخَارُ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا سُورَةُ الْخَمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مَرَاجِهِ فَيَتَفَشَّى الرُّوحُ وَيَجِيءُ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ يَجِدُ الْمُتَعَمِّعِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَتَسَخَّنَتْ لِلذَّكَاءِ حَدَّثَ لَهُمْ فَوْحٌ وَزَيْبًا أَتَبَعَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْغَنَاءِ النَّاشِئِ عَنِ السُّرُورِ . وَلَمَّا كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْأَقْلِيمِ الْحَارِ وَأَسْتَوْلَى الْحَرُّ عَلَى أُمُزْجَتِهِمْ وَفِي أَصْلِ تَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَأَقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ بِالْقِيَاسِ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرَ تَقَشُّيًا فَتَكُونُ أَمْرَعُ فَرَحًا وَسُرُورًا وَأَكْثَرَ انْتِسَاطًا وَيَجِيءُ الطَّبِشُ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ وَكَذَلِكَ يَلْحَقُ بِهِمْ قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَائُهَا مُتَضَاعِفَةً مِنَ الْحَرَارَةِ بِمَا يَتَعَكَّسُ عَلَيْهِ مِنْ أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصْنَتُهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخَفَةِ مُوجُودَةً أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ الثَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ نَجِدُ بَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوَفُّرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَزْيَافِ وَالثَّلُولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْخَفَةُ وَالْغَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَدْخِرُونَ أَقْوَاتَ سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَةً مَا كُلُّهُمْ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ . وَلَمَّا كَانَتْ فَاَسُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي الثَّلُولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مَطْرِقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزْنِ وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدْخِرُ قُوَّةَ سَنَتَيْنِ مِنْ حُبُوبِ

الْحَنِظَةَ وَبَاكِرُ الْأَسْوَاقِ لَشَرَاءِ قُوْتِهِ لِيَوْمِهِ خَفَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مُدَّخَرِهِ وَتَبَعَ  
ذَلِكَ فِي الْأَقَالِمِ وَالْإِلْدَانِ تَعَدُّ فِي الْأَخْلَاقِ أَثَرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ  
وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلْبَحْثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خِفَةِ السُّودَانِ وَطَبِئَتِهِمْ وَكَثَرَةِ الطَّرِبِ  
فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ جَالِينُوسٍ وَيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ  
الْكَنْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لِضَعْفِ أَدْمِغَتِهِمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا  
مُحَصَّلَ لَهُ وَلَا بَرَهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك

من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

إِعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِمَ الْمُعْتَدِلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوجَدُ بِهَا الْخَصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا  
فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوجَدُ لِأَهْلِهِ خِصْبُ الْعَيْشِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحَنِظَةِ  
وَالْفَوَاكِهِ لِزُكَاةِ الْمَنَابِتِ وَاعْتِدَالِ الطَّبِئَةِ وَوُفُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا  
تُنَبْتُ زَرْعًا وَلَا عَشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ  
الْيَمَنِ وَمِثْلُ الْمُتَمِّمِينَ مِنْ صَهَابَةِ السَّاكِينِ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرَّمَالِ فِيهَا  
بَيْنَ الْبَزْرِ وَالسُّودَانِ قَابٌ هُوَ لَا يَفْقِدُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أَغْدِيَتُهُمْ  
وَأَفْوَاتُهُمُ الْأَلْبَانُ وَاللُّحُومُ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْقَفَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا  
يَأْخُذُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ الثَّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَائِينَ وَتَحْتَ رِبْقَةٍ مِنْ حَامِيَتِهَا  
وَعَلَى الْأَفْلَالِ لِقَلَّةِ وَجْدِهِمْ فَلَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى سِدِّ الْحَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضَلَّ عَنْ الرِّغْدِ  
وَالْخِصْبِ وَتَجِدُهُمْ يَقْتَصِرُونَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَتَعَوُّضُهُمْ مِنَ الْحَنِظَةِ  
أَحْسَنَ مَعَاضٍ وَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْفَائِدِينَ لِلْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْقَفَارِ أَحْسَنَ  
حَالًا فِي جُوسِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ الثَّلُولِ الْمُتَعَسِّينَ فِي الْعَيْشِ فَأَلْوَانُهُمْ أَضْيَ  
وَأَبْدَانُهُمْ أَنْفَى وَأَشْكَالُهُمْ أَمُّ وَأَحْسَنَ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْإِسْخِرَافِ وَأَذَاهُمْ  
أَثْقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْإِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجَرُّبَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ فَكَثِيرٌ  
مَّا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَزْرِ فِيمَا وَصَفْنَاهُ وَبَيْنَ الْمُتَمِّمِينَ وَأَهْلِ الثَّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبَرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَعْدِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْعَفَنِهِ  
وَرُطُوبَاتِهَا تُولَدُ فِي الْجِسْمِ فَضَلَاتُ رَدِيئَةٍ تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِفْطَارِهَا فِي غَيْرِ نَسَبَةٍ وَتَبْعُ  
ذَلِكَ انْكَسَافُ الْأَلْوَانِ وَفُجُحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا فَلَنَاهُ وَتُعْطِي الرُّطُوبَاتُ  
عَلَى الْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أُيْجَرِهَا الرَّدِيئَةِ فَتُجَنِّهِ الْبَلَادَةُ  
وَالْعَفْلَةُ وَالْإِنْخِرَافُ عَنِ الْإِعْتِدَالِ بِالْجَمَلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْفَقْرِ وَمَوَاطِنِ  
الْجَنْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالْمَهْمَا وَالزَّرَافَةِ وَالْحَمَرُ الْوَحْشِيَّةُ وَالْبَقَرُ مَعَ أَهْلِهَا مِنْ  
حَيَوَانِ الثَّلُولِ وَالْأَزْيَافِ وَالْمَرَاعِي الْخَصِيَّةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْنَهَا بَوْنًا بَعِيدًا فِي صَنَاءِ أَدِيمِهَا  
بِحُسْنِ رَوْقِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَةِ مَدَارِهَا فَالْغَزَالُ أَخُو الْمَعْرِ وَالزَّرَافَةُ  
أَخُو الْبَعِيرِ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخُو الْحِمَارِ وَالْبَقَرُ وَالْبَوْنُ بَيْنَهَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
أَنَّ الْخَصْبَ فِي الثَّلُولِ فَعَلَ فِي أَبْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيئَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ مَا  
ظَهَرَ عَلَيْهَا أَنْزَرَهُ وَالْجُوعُ لِحَيَوَانِ الْفَقْرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
الْأَدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْخَصِيَّةِ الْعَيْشِ الْكَثِيرَةِ الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ  
وَالْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهَ يَتَصَفُّ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبَلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْحُشُونَةِ فِي أَجْسَادِهِمْ وَهَذَا  
شَأْنُ الْبَرِّزِ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ وَالْحِنْطَةِ مَعَ الْمُتَقَشِّينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى  
الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ الْمَصَامِدَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ غِمَارَةِ وَالسُّوسِ فَتَجِدُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنَ  
حَالًا فِي عُقُولِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجَمَلَةِ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ  
وَالْبَرِّزِ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَفْقُودِ بِأَرْضِهِمْ السَّمْنِ جُمْلَةً وَغَالِبِ عَيْشِهِمْ الذَّرَّةَ فَتَجِدُ  
لَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَا الْعُقُولِ وَخِفَةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يُوْجَدُ لِغَيْرِهِمْ  
وَكَذَا أَهْلُ الصَّوَاغِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجَمَلَةِ مَعَ أَهْلِ الْخَصْرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَدَمِ وَتَخْصِيْبِينَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنَّ أَسْعَمَاءَهُمْ إِيَّاهَا  
بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبَخِ وَالتَّلْطِيفِ بِمَا يَخْطُطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِلذَّكَ غَلْظُهَا وَيَرْقُ قَوَامُهَا وَعَامَّةُ  
مَا كُلِّهِمْ لِحُومِ الضَّأْنِ وَالِدَّجَاجِ وَلَا يَنْطُغُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَمِ لِنَفَاقَتِهِ فَقِيلُ  
الرُّطُوبَاتُ لِلذَّكَ فِي أَعْدِيَّتِهِمْ وَيَخْفُ مَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيئَةِ  
فَلِذَلِكَ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّافَ مِنْ جُسُومِ الْبَادِيَةِ الْخُشْيِينَ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
تَجِدُ الْمَعُودِينَ بِالْجُوعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَا فَضَلَاتُ فِي جُسُومِهِمْ غَلِيظَةٌ وَلَا لَطِيفَةٌ وَأَعْلَمُ



أَنَّ أَثَرَهُذَا الْخُضْبُ فِي الْبَدَنِ وَأَخْوَالُهُ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَتَجِدُ  
الْمُتَقَشِّينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْحَاضِرَةِ مِمَّنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْجُوعِ وَالتَّجَاعِي عَنْ الْمَلَادِ  
أَحْسَنَ دِينًا وَاقْبَالًا عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْخُضْبِ بَلْ تَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
فِي الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ لِمَا يَنْهَمُ مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالْفَقْلَةِ الْمُتَصِلَةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الْخَمَانِ  
وَالْأَدَمِ وَلِبَابِ الْبَرِّ وَيَخْتَصُّ وَجُودَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ لِذَلِكَ بِالْمُتَقَشِّينَ فِي غِذَائِهِمْ مِنْ  
أَهْلِ الْبَوَادِي وَكَذَلِكَ تَجِدُ هَؤُلَاءِ الْخُضْبِينَ فِي الْعَيْشِ الْمُنْتَمِسِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْخَوَافِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ السَّنُونَ وَأَخَذَتْهُمْ الْجَمَاعَاتُ  
بُسْرِعِ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْهَلَاكِ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابَرَةِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مَدِينَةِ فَاسَ وَمِصْرَ  
فِيمَا يَبْلُغُ لَا مِثْلَ الْعَرَبِ أَهْلُ الْفَقْرِ وَالصَّغَرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النَّخْلِ الَّذِينَ غَالِبُ  
عَيْشِهِمُ التَّمَرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيقَةِ لِهَذَا الْعَمِدِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالزَّيْتُ  
وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الذُّدَّةُ وَالزَّيْتُ فَإِنْ هَؤُلَاءِ وَإِنْ أَخَذَتْهُمْ السَّنُونَ  
وَالْجَمَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمْ أَهْلُ الْهَلَاكِ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُنْتَمِسِينَ فِي الْخُضْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
وَالسَّمَنِ خُصُوصًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رُطُوبَةً فَوْقَ رُطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمَرَاجِيَةِ  
حَتَّى تَجَاوِزَ حَدَهَا فَإِذَا خُولِفَ بِهَا الْعَادَةُ بِقَلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَفَقْدَانِ الْأَدَمِ وَاسْتِعْمَالِ  
الْخَشْنِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْمَعَا أَلْبَسَ وَالْإِنْكَاشَ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
الْعَايَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْعَرَضُ وَهِيَ الْهَلَاكُ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمَقَانِلِ فَالْهَالِكُونَ فِي  
الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّبَعُ الْمُعْتَادُ السَّابِقُ لَا الْجُوعُ الْحَادِثُ الْآخِرُ. وَأَمَّا الْمُنْتَوِدُونَ  
لِقِلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمَنِ فَلَا تَزَالُ رُطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَقَعُ فِي مَعَامُهَا تَبَدُّلُ الْأَغْذِيَةِ بَيَسَ وَلَا انْخِرَافُ  
فَيَسْلَمُونَ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي يَعْزُضُ لِعَيْرِهِمْ بِالْخُضْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
الْمَأْكَلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَائْتِلَافَهَا أَوْ تَرْكَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غِذَاءً وَلَا مَاءً تَنَاوَلَهُ كَانَ لَهُ مَأْلُوفًا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَدُّلُ بِهِ دَاءً  
مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجَمْلَةِ كَالسُّمُومِ وَالْبَيْتُوعِ <sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْخِرَافِ

فَأَمَّا مَا وَجَدَ فِيهِ التَّغْذِي وَالْمَلَأَمَةُ فَيَصِيرُ غِذَاءً مَالُوفًا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ  
نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عِيْوَضًا عَنِ الْخِنْطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَنًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ  
غِذَاءً وَاسْتَعْنَى بِهِ عَنِ الْخِنْطَةِ وَالْحُبُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَكَذَلِكَ مَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى  
الْجُوعِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضَاتِ فَإِنَّا نَسْمَعُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ  
أَخْبَارًا غَرِيبَةً يَكَادُ يَنْكُرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلِفَتْ  
شَيْئًا صَارَ مِنْ جَلَبَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهُ كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا أَعْيَادُ الْجُوعِ  
بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعَةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُ الْأَطِبَاءُ مِنْ أَنَّ  
الْجُوعَ مَهْلِكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ إِلَّا إِذَا حَمَلَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَقُطِعَ عَنْهَا الْغِذَاءُ  
بِالْكَلْبَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْسِمُ الْمَعَاءُ وَيَبَالُهِ الْمَرَضُ الَّذِي يَخْشَى مَعَهُ الْهَلَاكَ وَأَمَّا إِذَا  
كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِيَاضَةً بِإِفْلَالِ الْغِذَاءِ شَيْئًا شَيْئًا كَمَا بَعَلُّهُ الْمُتَصَوِّفَةُ  
فَهُوَ يَمْعَزِلُ عَنِ الْهَلَاكِ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرُّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ  
فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِيفَ عَلَيْهِ الْهَلَاكَ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا  
بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ بَصُرَ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَلَاً  
وَأَكْثَرَ وَحَضَرَ أَشْيَاخُنَا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ  
الْجَزِيرَةِ الْخُضْرَاءِ وَرَدَدَهُ حَسَنًا أَنْفُسَهُمَا عَنِ الْأَسْكَلِ جُمْلَةً مِنْهُ سَنِينَ وَشَاعَ أَمْرُهُمَا  
وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَاتَّصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتْنَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ  
أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الْمَعَزِ يَلْتَقِمُ ثَدْيَهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ  
الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غِذَاءَهُ وَاسْتِدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ  
وَلَا يُسْتَنْكَرُ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ  
قَدَّرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِفْلَالِ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يَأْتِرْ فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صِفَاتِهَا وَصَلَاتِهَا  
كَمَا فَلَنَاهُ وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ بِأَثَارِ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَذِّينَ  
يُلْحَمُونَ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاحِشَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَنَمَانِ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ وَكَذَا الْمُتَغَذُّونَ بِاللَّبَنِ الْإِبِلِ وَلِحُومِهَا أَيْضًا مَعَ مَا يُؤَثَّرُ فِي

الشهيم واللاعية والعرطشيا والامودانة والمالزيرون والفلجلىث والمشر وكل البعوتات اذا استعملت في  
غير وجهها هلكت اه

أَخْلَقَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالْفُدْرَةِ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ الْمَوْجُودِ ذَلِكَ لِلْإِبِلِ  
وَتَنَشَأُ أُمْعَاؤُهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ أُمْعَاءِ الْإِبِلِ فِي الصَّحَّةِ وَالْعِلَظِ فَلَا يَطْرُقُهَا الْوَهْمُ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ فَيَشْرَبُونَ الْيَتَوَعَاتِ لَا سَيْطَاقَ بَطُونِهِمْ غَيْرَ  
مَحْجُوبَةٍ كَالْحُظَلِّ قَبْلَ طَبْعِهِ وَالْدَّرِيَّاسِ وَالْقَرْيُونِ وَلَا يَنَالُ أُمْعَاؤُهُمْ مِنْهَا ضَرَرٌ وَحِجْزٌ  
تَنَالُهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرِّقِيقَةُ أُمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْهَلَاكُ  
أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّيِّئَةِ وَمِنْ تَأْثِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا عُذِّبَ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوحَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِبِلِ وَاتَّخَذَ بَيْضُهَا ثُمَّ حَضَنْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَفْنُونَ عَنْ تَغْذِيَتِهَا وَطَبَخَ الْحُبُوبَ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْمَحْضَنِ فَيَجِيءُ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعِظَمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْنَا هَذِهِ الْأَثَارَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُوعَ أَيْضًا أَثَارًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الصِّدِينَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْثِيرِ وَعَدَمِهِ فَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْجُوعِ فِي نَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْمُخْتَلِطَةِ الْخُلَّةِ بِالْجِسْمِ وَالْعَقْلِ كَمَا كَانَ الْغَذَاءُ مُؤَثِّرًا فِي وُجُودِ ذَلِكَ الْجِسْمِ  
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالنظرة او الرياضة

وبتقدمه الكلام في الوحي والرويا

إِعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُجَّانُهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ اشْتِخَاصًا فَضَّلَهُمْ بِحُطَابِهِ وَقَطَرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَعَلَهُمْ وَسَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يُعْرِفُونَهُمْ بِمَصَالِحِهِمْ وَيَحْزِنُونَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِحُجْرَتِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيمَا بَاقِيهِ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمَغْشَاةِ عَنِ الْبَشَرِ  
الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ بِوَسْاطَتِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وَائِي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ  
خَاصِيَّتِهِ وَضُرُورَتِهِ الصِّدْقُ لِمَا تَبَيَّنَ لَكَ عِنْدَ يَكَّانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةُ هَذَا الصَّنِفِ

مِنَ الْبَشَرِ أَنْ تُجَدَّ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبَةٌ عَنِ الْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ مَعَ غَطِيطٍ كَانَهَا  
 غَشِيَتْهُ أَوْ غَمَاءٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَلَيْسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ الرَّوْحَانِيِّ بِإِذْرَاقِهِمُ الْمُنَاسِبَ لَهُمُ الْخَارِجَ عَنْ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكَلِمَةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعٍ دَوِّيٍّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَنْفَعُهُ أَوْ بِتَمَثُّلٍ لَهُ  
 صُورَةٌ تُخَضِّصُ يُخَاطِبُهُ بِهَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْفِي إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ الْوَحْيِ أَحْيَانًا بِأَتَيْنِي مِثْلَ صَلَاطَةِ  
 الْجَبَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا  
 فِي كَلِمَتِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ وَيُذَكِّرُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَةِ وَاللَّغْظِ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ مِمَّا يُعَالَجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَنْفَصِدُ عَرَقًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَلَاثًا  
 وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمَشْرُكُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَبِّي أَوْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمِنْ أَعْلَامِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقٌ الْخَيْرِ  
 وَالزَّكَاةِ وَجَنَابَةِ الْمَذْمُومَاتِ وَالزَّجْسِ أَجْمَعِ وَهَذَا دَوْ مَعْنَى الْعِصْمَةِ وَكَأَنَّهُ مَنْظُورٌ  
 عَلَى التَّنَزُّهِ عَنِ الْمَذْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَهَا مُنَافِيَةٌ لِجَلِيلَتِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ نَحَلَ  
 الْحِجَارَةَ وَهُوَ غَلَامٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبَنَاءِ الْكُعْبَةِ فَعَمَلًا فِي إِزَارِهِ فَانْكَشَفَ فَسَقَطَ  
 مَغْشِيًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَبْرَأَ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَلَيْمَةٍ فِيهَا عُرْسٌ وَلَعِبٌ فَأَصَابَهُ  
 غَشِيَتْهُ النَّوْمُ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُخْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَوَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُ بِجَلِيلَتِهِ يَنْزَرُهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالثُومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنُاجِي مَنْ لَا تَنَاجُونَ وَأَنْظُرُ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا تَجَانَّتْ  
 وَأَرَادَتْ أَخْبَارَهُ فَقَالَتْ أَجْعَلْنِي يَنِّكَ وَبَيْنَ تَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ الثِّيَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخَضِرُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلِكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخَضِرَ  
 مِنَ الْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَأْنِ كَةِ وَالسَّوَادُ مِنَ الْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .

وَمِنْ عِلَالَتِهِمْ أَيْضًا دُعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ حَدِيثُهُ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَخْتَجِ فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَحْضَرَ مَنْ وَجَدَ بِلَدِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ يَمُورُكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَةِ وَالْعِفَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا نَقُولُ  
 حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ وَالْعِفَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ <sup>(١)</sup> هُوَ الْعِفْمَةُ  
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعِفْمَةِ وَالِدَعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَلَمْ  
 يَخْتَجِ إِلَى مُعْجَزَةٍ قَدَلَّ عَلَى أَنْ ذَلِكَ مِنْ عِلَالَتِ النُّبُوَّةِ . وَمِنْ عِلَالَتِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي ثُرُوءٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ الْحَاكِمُ عَلَى الصَّحِيحِينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرَقْلَ لِأَبِي  
 سَفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فَيَكُمُ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ فَقَالَ  
 هِرَقْلُ وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابٍ قَوْمِيًا وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَصَبَةٌ وَشَوْكَةٌ تَمْنَعُهُ  
 عَنْ أَدَى الْكُفَّارِ حَتَّى يُبَايَعَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ وَمِنْ  
 عِلَالَتِهِمْ أَيْضًا وَفُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَفْعَالُ يُعْجِزُ الْبَشَرَ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا تَقَعُ فِي غَيْرِ مَحَلِّ قُدْرَتِهِمْ  
 وَالنَّاسِ فِي كَيْفِيَّةِ وَفُوعِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ خِلَافَ قَالِ الْمُتَكَبِّرِينَ بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ قَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ النَّبِيُّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْعَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْزَلَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الدُّعَاةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَفْعَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَبِّرِينَ إِلَّا التَّحْدِي بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفُوعِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي مَدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ تَنَزَّلَتْ مَنَزَلَةُ الْقَوْلِ  
 الصَّريحِ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دَلَالَتُهَا حِينَئِذٍ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُعْجَزَةُ الدَّلَالَةُ  
 بِمَجْمُوعِ الْخَوَارِقِ وَالتَّحْدِي وَلِذَلِكَ كَانَ التَّحْدِي جُزْأً مِنْهَا وَعبارة الْمُتَكَبِّرِينَ صِفَةً  
 نَفْسِهَا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الدَّائِي عِنْدَهُمُ وَالتَّحْدِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكِرَامَةِ

وَالسَّحَرِ إِذْ لَا حَاجَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وَجُودَ لِلتَّحْدِي إِلَّا إِنْ وَجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكِرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُخَيِّرُهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْوَلَايَةِ وَهِيَ  
غَيْرُ النَّبُوءَةِ وَمِنْ هُنَا مَنَعَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ وَقُوعَ الْخَوَارِقِ كِرَامَةً فِرَارًا مِنْ  
الْإِتِّبَاسِ بِالنَّبُوءَةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِالْوَلَايَةِ وَقَدْ أَرَبْنَاكَ الْمَعَايِرَةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ يَتَعَدَّى  
بِغَيْرِ مَا يَتَعَدَّى بِهِ النَّبِيُّ فَلَا لَبْسَ عَلَى أَنْ النُّقْلَ عَنْ الْأُسْتَاذِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
وَرُبَّمَا حَمَلَ عَلَى إِنْكَارِ لَنْ نَقَعَ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءٌ عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مَنْ  
الْفَرِيقَيْنِ بِخَوَارِفِهِ . وَأَمَّا الْمُعْزَلَةُ فَالْمَانِعُ مِنْ وَقُوعِ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقَ  
لَيْسَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالُهُمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَقُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَذَّابِ تَلْيِيسًا  
فَهُوَ مُحَالٌ أَمَّا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلَنْ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ التَّصْدِيقُ وَالْهُدَايَةُ فَلَوْ وَقَعَتْ  
بِخِلَافِ ذَلِكَ أُنْقَلَبَ الدَّلِيلُ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَاسْتَحَالَتِ الْحَقَائِقُ  
وَأُنْقَلَبَتْ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ الْحَالِ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا وَأَمَّا عِنْدَ  
الْمُعْزَلَةِ فَلَنْ وَقُوعَ الدَّلِيلِ شُبْهَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً فَيَبْصَحُ فَلَا يَقَعُ مِنَ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكْمَانِ  
فَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَلَوْ كَانِ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
الْإِجْبَابِ الدَّائِي وَوُقُوعُ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقَّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشَّرُوطِ  
الْحَادِثَةِ مُسْتَنَدَةٌ آخِرًا إِلَى الْوَاجِبِ الْفَاعِلِ بِأَلَدَاتٍ لَا بِالْإِخْيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصُّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةُ الْعُنَاصِرَةِ فِي التَّكْوِينِ  
وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ مَجْبُولٌ عَلَى التَّصْرِيفِ فِي الْأَكْوَانِ مَهْمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَاسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاهُ كَانِ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
بِصِدْقِهِ مِنْ حَيْثُ دَلَّاهُ عَلَى تَصْرِفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْزِلُ مَنَزَلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ دَلَالَتُهَا عِنْدَهُمْ  
قِطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جَزْأً مِنَ الْمُعْجِزَةِ وَلَمْ يَبْصَحْ  
فَارِقًا لَهَا عَنِ السَّحَرِ وَالْكِرَامَةِ وَفَارِقُهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السَّحَرِ أَنَّ النَّبِيَّ مَجْبُولٌ عَلَى أَعْمَالِ  
الْخَيْرِ مَصْرُوفٌ عَنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ فَلَا يُلِمُّ الشَّرَّ بِخَوَارِفِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضَّدِّ فَأَعْمَالُهُ كُلُّهَا  
شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقُهَا عَنِ الْكِرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مَخْصُوصَةٌ كَالصُّعُودِ إِلَى  
السَّمَاءِ وَالنُّزُولِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ

فِي الْهَوَاءِ وَخَوَارِقُ الْوَلِيِّ دُونَ ذَلِكَ كَتَبَ كَثِيرَ الْقَلِيلِ وَالْحَدِيثَ عَنْ بَعْضِ الْمُسْتَقْبَلِ  
وَأَمَثَالَهُ مِمَّا هُوَ قَاصِرٌ عَنْ تَصْرِيفِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِأُتَى النَّبِيُّ بِجَمِيعِ خَوَارِقِهِ وَلَا يَقْدِرُ هُوَ  
عَلَى مِثْلِ خَوَارِقِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ قَرَّرَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفَةُ فِيمَا كَتَبَهُ فِي طَرِيقَتِهِمْ وَلَقَبْنَاهُ عَمَّنْ  
أَخْبَرَهُمْ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ الْمُعْجَزَاتِ وَأَشْرَفَهَا وَأَوْضَحَهَا دِلَالَةُ الْقُرْآنِ  
الْكَرِيمِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الْخَوَارِقَ فِي الْقَالِبِ تَقَعُ  
مُعَايِرَةً لِلْوَحْيِ الَّذِي يَتْلَاهُ الَّذِي وَيَأْتِي بِالْمُعْجَزَةِ شَاهِدَةً بِصِدْقِهِ وَالْقُرْآنُ هُوَ بِنَفْسِهِ  
الْوَحْيُ الْمُدْعَى وَهُوَ الْخَلْقُ الْمُعْجَزُ فَشَاهِدُهُ فِي عَيْنِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ مُعَايِرٍ لَهُ  
كَسَائِرِ الْمُعْجَزَاتِ مَعَ الْوَحْيِ فَهُوَ أَوْضَحُ دِلَالَةٍ لِاتِّحَادِ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ فِيهِ وَهَذَا  
مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَأُتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ  
أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أَوْحِيَ إِلَيَّ فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ  
تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُعْجَزَةَ مَتَى كَانَتْ بِهَذِهِ الثَّابِتَةِ فِي الْوُضُوحِ وَقُوَّةِ  
الدَّلَالَةِ وَهُوَ كَوْنُهَا نَفْسُ الْوَحْيِ كَانَ الصِّدْقُ لَهَا أَكْثَرَ لَوْضُوحًا فَكَثُرَ الْمُصَدِّقُ  
الْمُؤْمِنُ وَهُوَ التَّابِعُ وَالْأَمَةُ

ولذلك الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الروايات ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعْلَمْ. أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِلَيْكَ أَنَا نَشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخَلْقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ  
مِنَ التَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ وَرَبِّطِ الْأَسْبَابَ بِالسَّبَبَاتِ وَاتَّصِلِ الْأَكْوَانُ بِالْأَكْوَانِ  
وَأَسْتَحَالَةً بَعْضُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَأَبْدَأْ  
مِنْ ذَلِكَ بِالْعَالَمِ الْحَسُّوسِ الْجُزْأِيِّ وَأَوَّلًا عَالَمِ الْعُنَاصِرِ الْمَشَاهِدَةِ كَيْفَ تَدْرُجُ صَاعِدًا  
مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْهَوَاءِ ثُمَّ إِلَى النَّارِ مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
مُسْتَعِدٌّ إِلَى أَنْ يَسْتَحِيلَ إِلَى مَا يَلِيهِ صَاعِدًا وَهَاطِطًا وَيَسْتَحِيلُ بَعْضُ الْأَدْوَاتِ وَالصَّاعِدُ  
مِنْهَا أَلْطَفُ مِمَّا قَبْلَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عَالَمِ الْأَفْلَاكِ وَهُوَ أَلْطَفُ مِنَ الْمَكْلُ عَلَى  
طَبَقَاتٍ اتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يَدْرِكُ الْحِسُّ مِنْهَا إِلَّا الْحَرَكَاتِ فَقَطْ وَبِهَا

يَهْتَدِي بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَجُودِ الذَّوَاتِ الَّتِي لَهَا  
هَذِهِ الْأَثَارُ فِيهَا ثُمَّ أَنْظَرَ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْمَعَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ  
الْحَيَوَانَ عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِيجِ آخِرُ أَفْقِي الْمَعَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِي النَّبَاتِ مِثْلُ  
الْحَشَائِشِ وَمَا لَا يَذَرُّ لَهُ وَآخِرُ أَفْقِي النَّبَاتِ مِثْلُ النَّخْلِ وَالْكَرْمِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِي  
الْحَيَوَانَ مِثْلُ الْحَزْزُونِ وَالصَّدَفِ وَلَمْ يَوْجَدْ لِهَمَّا إِلَّا قُوَّةَ الَّلَّمْسِ فَقَطْ وَمَعْنَى الْإِتِّصَالِ  
فِي هَذِهِ الْمَكُونَاتِ أَنَّ آخِرَ أَفْقِي مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ بِالْإِسْتِعْدَادِ الْغَرِيبِ لِأَنَّ بَصِيرَ أَوَّلِ  
أَفْقِي الَّذِي بَعْدَهُ وَاسَّعَ عَالَمِ الْحَيَوَانَ وَتَعَدَّدَتْ أَنْوَاءُهُ وَانْتَهَى فِي تَدْرِيجِ التَّكْوِينِ  
إِلَى الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرُّوْيَةِ تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ الْحِسُّ  
وَالْإِدْرَاكُ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ بِالْفِعْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَفْقِي مِنَ الْإِنْسَانِ  
بَعْدَهُ وَهَذَا غَايَةُ شُهُودِ نَاثِمٍ إِنَّا نَجِدُ فِي الْعَوَالِمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا آثَارًا مُتَنَوِّعَةً فِي عَالَمِ الْحِسِّ  
آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفلاكِ وَالْعَنَاصِرِ فِي عَالَمِ التَّكْوِينِ آثَارٌ مِنْ حَرَكَةِ النُّجُومِ وَالْإِدْرَاكِ  
تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ لَهَا مُؤْتَرًّا مُبِيدًا لِلْأَجْسَامِ فَهُوَ رُوحَانِيٌّ وَيَتَّصِلُ بِالْمَكُونَاتِ لَوْجُودِ  
إِتِّصَالِ هَذَا الْعَالَمِ فِي وَجُودِهَا وَلِنَاكَ هُوَ النَّفْسُ الْمُدْرِكَةُ وَالْمُحَرَّكَةُ وَلَا بُدَّ فَوْقَهَا مِنْ  
وَجُودٍ آخَرَ يُعْطِيهَا قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْحَرَكَةِ وَيَتَّصِلُ بِهَا أَيْضًا وَيَكُونُ ذَاتُهُ إِدْرَاكًا  
صَرَفًا وَتَعْقَلًا مُخَصَّصًا وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ فَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ لِلنَّفْسِ اسْتِعْدَادٌ  
لِلْإِنْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ لِيَصِيرَ بِالْفِعْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقَفًا مِنْ  
الْأَوَاقَاتِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْمُلَ ذَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةَ بِالْفِعْلِ كَمَا  
تَذْكُرُهُ بَعْدُ وَيَكُونُ مَا إِتِّصَالَ بِالْأَفْقِي الَّذِي بَعْدَهَا شَأْنُ الْمَوْجُودَاتِ الْمُرْتَبَةِ كَمَا  
قَدَّمْنَاهُ فَلَمَّا فِي الْإِتِّصَالِ جِهَتَا الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَجِي مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهَا وَتَكْتَسِبُ  
بِهِ الْمَدَارِكَ الْحَسِّيَّةَ الَّتِي تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْحُصُولِ عَلَى التَّعَقُّلِ بِالْفِعْلِ وَمُتَّصِلَةٌ مِنْ جِهَةِ الْأَعْلَى  
مِنْهَا بِأَفْقِي الْمَلَائِكَةِ وَمُكْتَسِبَةٌ بِهِ الْمَدَارِكَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْقَلْبِيَّةَ فَإِنَّ عَالَمَ الْحَوَادِثِ  
مَوْجُودٌ فِي تَعَقُّلَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَهَذَا عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ مِنَ التَّرْتِيبِ الْعُحْكَمِ فِي الْوُجُودِ  
بِإِتِّصَالِ ذَوَاتِهِ وَقَوَاهِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ إِلَّا إِنْسَانِيَّةً غَائِبَةً عَنِ الْعِيَانِ  
وَأَثَارُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْبَدَنِ فَكَأَنَّهُ وَجِيعُ أَجْزَائِهِ مُجْتَمِعَةٌ وَمُفْتَرَقَةٌ آلَاتُ النَّفْسِ وَقَوَاهَا  
أَمَّا الْقَاعَالِيَّةُ فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ وَالْمَشْيُ بِالرَّجْلِ وَالْكَلَامُ بِاللِّسَانِ وَالْحَرَكَةُ الْكَلْبِيَّةُ



بِالْبَدَنِ مُتَدَافِعًا وَأَمَّا الْمُدْرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْأِدْرَاكِ مُرْتَبَةً وَمُرْتَقِيَةً إِلَى الْقُوَى  
 الْعَالِيَةِ مِنْهَا وَمِنْ الْمُمْكِرَةِ الَّتِي يُعْبَرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحِسِّ الظَّاهِرَةِ بِالْأَلَةِ مِنْ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرُهَا يَرْتَقِي إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَّةٌ تَذَكُّ  
 التَّحْسُّوسَاتِ مُبْصِرَةٌ وَمَسْمُوعَةٌ وَمَلْمُوسَةٌ وَغَيْرُهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارَقَتْ قُوَّةُ  
 الْحِسِّ الظَّاهِرِ لِأَنَّ التَّحْسُّوسَاتِ لَا تَزْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُؤَدِّيهِ الْحِسُّ  
 الْمُشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَّةٌ تُعْتَمَلُ الشَّيْءُ التَّحْسُّوسَ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجَرَّدٌ عَنْ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطْ وَالْهَاتِنِ الْقَوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنِ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مُقَدِّمُهُ لِلْأَوَّلَى وَمُؤَخَّرُهُ لِلثَّانِيَةِ ثُمَّ يَرْتَقِي الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةِ فَالْوَاهِمَةُ لِإِدْرَاكِ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعِدَاوَةِ زَيْدٍ وَصَدَاقَةِ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْأَبِّ وَاقْتِرَاسِ  
 الذَّنْبِ وَالْحَافِظَةُ لِإِدْبَاعِ الْمُدْرَكَاتِ كُلِّهَا مُتَخِيلَةٌ وَهِيَ لَهَا كَالْخَزَانَةِ تَحْفَظُهَا لَوْفَتْ  
 الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَالْهَاتِنِ الْقَوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنِ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ أَوَّلُهُ لِلْأَوَّلَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلْآخِرَى ثُمَّ تَرْتَقِي جَمِيعُهُمَا إِلَى قُوَّةِ الْفِكْرِ وَآلَتُهُ الْبَطْنُ الْأَوْسَطُ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَّةُ  
 الَّتِي يَقَعُ بِهَا حَرَكَةُ الرُّوْيَةِ وَالتَّوَجُّهُ نَحْوَ الْعَقْلِ فَتُحَرِّكُ النَّفْسُ بِهَا دَائِمًا لِمَا رُكِبَ فِيهَا  
 مِنَ الزُّنُوعِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ دَرَكِ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلْبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعْمَلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِي وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِدْرَاكِهَا بِغَيْرِ الْأَلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْسَلِخُ  
 بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَكِيَّةِ مِنَ الْأَنْفَى الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابِ  
 بَلْ جَاعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَبَلَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأُولَى فِي ذَلِكَ وَالذُّنُوسُ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 اصْنَافٍ صِنْفٌ عَاجِزٌ بِالطَّبْعِ عَنِ الْوُصُولِ فَيَنْقَطِعُ بِأَحْرَكَةٍ إِلَى الْجَنَّةِ السُّنُلَى نَحْوُ  
 الْمَدَارِكِ الْحِسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتَرْكِبُ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى قَوَانِينٍ مُخَصَّصَةٍ  
 وَتَرْتَبُ خَاصٌّ يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ النَّصُورِيَّةَ وَالتَّصَدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلِّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُخَصَّرٌ نِطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةِ مَبْدَأِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ فَسَدَ مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَغْلَبِ نِطَاقُ الْأِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرْسُخُ أَقْدَامُهُمْ وَصِنْفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعَقْلِ  
 الرُّوحَانِيِّ وَالْأِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَنْتَقِرُ إِلَى الْأَلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ

لِذَلِكَ فَيَتَسَّخَّرُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي فِي نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
وَيَسْرَحُ فِي فضاءِ الْمَشَاهِدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانُ كُلِّهَا نِطَاقُ لَهَا مِنْ مَبْدَإِهَا وَلَا مِنْ  
مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوَّلِيَّاءِ أَهْلُ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَرَفِ الرَّائِيَّةِ وَهِيَ  
الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرْزَخِ وَصِنْفٌ مَقْطُوعٌ عَلَى الْإِنْسِلَاخِ مِنَ  
الْبَشَرِيَّةِ جُمْلَةُ جِسْمَانِيَّتِهَا وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَفْنَى الْأَعْلَى لِيَصِيرَ فِي لَحْمَةٍ  
مِنَ الْأَلْحَمَاتِ مَلَكًا بِأَفْعَلٍ وَيَحْصُلُ لَهُ شُهُودُ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْقِهِمْ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
النَّفْسَانِيِّ وَالْخَطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِنْسِلَاخَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فِطْرَةً فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهَا وَجِلَّةً صَوَّرَهُمْ فِيهَا وَزَوَّجَهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ مَا دَامُوا مُلَاسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
بِمَا رَكِبَ فِي غَرَائِزِهِمْ مِنَ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي يُعَادُونَ بِهَا تِلْكَ الْوُجْهَةَ وَرُكُزَ فِي  
طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ تُكْشِفُ بِتِلْكَ الْوُجْهَةِ وَأُسْبِغُ نَحْوَهَا فَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
الْأَفْنَى بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْإِنْسِلَاخِ مَتَى شَاءُوا بِتِلْكَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا لَا بِأَكْتِسَابٍ  
وَلَا صِنَاعَةٍ فَلِذَا تَوَجَّهُوا وَاسْتَلْخَوْا عَنْ بَشَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
عَاجُوا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مُزَلَّافِي قُوَاهَا لِحِكْمَةِ التَّبْلِيغِ لِلْعِبَادَةِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ دَوْبًا  
كَأَنَّهُ رَمَزٌ مِنَ الْكَلَامِ بِأَخْذٍ مِنْهُ الْمَعْنَى الَّذِي أَتَى إِلَيْهِ فَلَا يَنْقُضِي الدَّوْيُ إِلَّا وَقَدْ  
وَعَاهُ وَفَهِمَهُ وَتَارَةً يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُبْقِي إِلَيْهِ رَجُلًا فِيُكَلِّمُهُ وَيَبْعِي مَا يَقُولُهُ  
وَالْتَلَقِي مِنَ الْمَلَكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَهْمُهُ مَا أَتَى عَلَيْهِ كُلُّهُ كَأَنَّهُ فِي  
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمٍ الْبَصَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا نَقَعَ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
كَأَنَّهَا سَرِيعَةٌ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللُّغَةِ الْإِسْرَاعُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
حَالَةُ الدَّوْيِ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقَهُمُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تَمَثُّلِ  
الْمَلَكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَمَّا سَأَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ  
هَاشِمٍ وَقَالَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا بِأُتَيْنِي مِثْلَ صَلَافَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ  
عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْمِي مَا يَقُولُ  
وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لَانْهَاجًا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ

فَيَعْسُرُ بَعْضُ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّمْعِ وَصَبَّ  
مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَقِّيُ يَسْهُلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يَرْجُ  
إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَحُ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ وَفِي  
الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأَوَّلَى بِصِغَةِ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِغَةِ الْمُضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنْ  
الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجِيءَ التَّمَثِيلِ لِحَالَتِي الْوَحْيِ فَمَثَلُ الْحَالَةِ الْأَوَّلَى  
بِالدَّيْوِيِّ الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارِفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْقَهْمَ وَالْوَحْيَ يَتَّبِعُهُ غِبٌّ أَنْقِضَاهُ  
فَنَاسَبَ عِنْدَ تَصْوِيرِ أَنْقِضَائِهِ وَأَنْقِضَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَحْيِ بِالْمَاضِي الْمُطَابِقِ لِلْإِنْقِضَاءِ  
وَالْإِنْقِطَاعِ وَمَثَلُ الْمَلَكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يُخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلَامُ يُسَاوِفُهُ  
الْوَحْيُ فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمُضَارِعِ الْمُفْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ . وَاعْلَمْ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كُلِّهَا  
صُعُوبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَشِدَّةٌ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ مِمَّا يُعَانِي مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ كَانَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
الشَّرِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْضِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِيذَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
الْحَالَةِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْغَطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا فَرَزْنَا مُفَارَقَةً  
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَكِيَّةِ وَتَلَقِّي كَلَامِ النَّفْسِ فَيَحْدُثُ عَنْهُ شِدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
الذَّاتِ ذَاتَهَا وَانْسِلَاخِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقِهَا إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخَرِ . وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْغَطِّ الَّذِي  
عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ فَعَطَيْتَنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي أَجْهَدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ أَفْرَأَيْتَ قُلْتُ  
مَا أَنَا بِقَارِيٍّ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ بُنْفِضِي الْأَعْيَادُ بِالتَّدْرِيجِ فِيهِ  
شِدَّةً فَشِينًا إِلَى بَعْضِ السُّهُلَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزَلُ نُجُومُ الْقُرْآنِ  
وَسُورِهِ وَأَيُّهُ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَانْظُرْ إِلَى مَا نُقِلَ فِي نُزُولِ  
سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا نَزَلَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى نَافِثِهِ  
بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمَفْصِلِ فِي وَقْتٍ وَيُنْزَلُ الْبَاقِي  
فِي حِينَ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نُزِلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الَّذِينَ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الطُّوْلِ بَعْدَ  
أَنَّ كَانَتْ الْآيَةُ تُنْزَلُ بِمَكَّةَ مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالذَّارِبَاتِ وَالْمُدَّثَرِ وَالصَّحَى  
وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَاعْتَبِرْ مِنْ ذَلِكَ عِلَامَةً تُمَيِّزُهَا بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ مِنَ السُّورِ  
وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا مُحْصَلُ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَأَمَّا الْكُفَّاهَةُ فَبَعْدُ أَيْضًا

مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا مَرَّ أَنْتَ لِلنَّفْسِ  
 الْإِنْسَانِيَّةِ اسْتِعْدَادًا لِلْإِنْسِلَاخِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا وَأَنَّهُ يُحْصَلُ مِنْ  
 ذَلِكَ لَحْمَةٌ لِلْبَشَرِ فِي صِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ يُحْصَلُ لَهُمْ مِنْ  
 غَيْرِ اكْتِسَابٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَلَا مِنَ التَّصَوُّرَاتِ وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ  
 الدُّنْيَا كَلَامًا أَوْ حَرَكَةً وَلَا بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ اسْتِعْلَاخٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكِيَّةِ  
 بِالْفِطْرَةِ فِي لَحْظَةٍ أَقْرَبَ مِنْ لَحْظِ الْبَصَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ الْاسْتِعْدَادُ  
 مَوْجُودًا فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُعْطَى التَّقْسِيمُ الْعَقْلِيَّ وَإِنْ هُنَا صِنْفًا آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ نَاقِصًا  
 عَنْ رُتْبَةِ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ نَقْصَانُ الصِّدْقِ عَنْ ضِدِّهِ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ عَدَمُ الْاسْتِعَانَةِ فِي ذَلِكَ  
 إِلَّا دِرَاكُ ضِدِّ الْاسْتِعَانَةِ فِيهِ وَشَتَانُ مَا بَيْنَهُمَا فَإِذَا أُعْطِيَ تَقْسِيمُ الْوُجُودِ إِلَى هُنَا صِنْفًا  
 آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ مَقْطُورًا عَلَى أَنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ حَرَكَتَهَا الذِّكْرِيَّةَ بِأَلَا رَادَةَ  
 عِنْدَمَا يَبْعَثُهَا النَّزْوَعُ لِذَلِكَ وَهِيَ نَاقِصَةٌ عَنْهُ بِالْجَلَّةِ عِنْدَمَا يَعْرِفُهَا أَهْجُزُ عَنْ ذَلِكَ تَشَبُّهُ  
 بِأُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ مَحْسُوسَةٍ أَوْ مَخِيلَةٍ كَالْأَجْسَامِ الشَّائِفَةِ وَعِظَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَسَمْعِ  
 الْكَلَامِ وَمَا سَمِعَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَيَسْتَدِيمُ ذَلِكَ الْإِحْسَاسُ أَوْ التَّخِيلُ مُسْتَعِينًا بِهِ  
 فِي ذَلِكَ الْإِنْسِلَاخِ الَّذِي يَقْصِدُهُ وَيَكُونُ كَالْمَسْبُوعِ لَهُ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي فِيهِمْ مَبْدَأُ  
 لِنَظَرِ الْإِدْرَاكِ هِيَ الْكَيْفَانَةُ وَلِكُونَ هَذِهِ النُّفُوسُ مَقْطُورَةٌ عَلَى النِّقْصِ وَالْقُصُورِ عَنْ  
 الْكَمَالِ كَانَ إِدْرَاكُهَا فِي الْجُزْئِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْكُلِّيَّاتِ وَلِذَلِكَ تَكُونُ الْخَيْلَةُ فِيهِمْ  
 فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهُمَا أَلَةُ الْجُزْئِيَّاتِ فَتَنْفُذُ فِيهَا نَفْوذًا تَامًا فِي نَوْمٍ أَوْ يَقْظَةٍ وَتَكُونُ عِنْدَهَا  
 حَاضِرَةٌ عَبِيدَةً مُخَضَّرَةً الْخَيْلَةَ وَتَكُونُ لَهَا كَالْمِرَاةِ تَنْظُرُ فِيهَا دَائِمًا وَلَا يَقْوَى الْكَاهِنُ  
 عَلَى الْكَمَالِ فِي إِدْرَاكِ أَلْفِ عُقُولَاتٍ لِأَنَّ وَحْيَهُ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَرْفَعُ الْأَحْوَالِ  
 هَذَا الصَّنْفُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ السَّمْعُ وَالْمُوازَنَةُ لِشُغْلِهِ بِهِ عَنْ الْحَوَاسِ  
 وَيَقْوَى بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ النَّاتِجِ فَيُخْبِسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي  
 يُشْعِرُهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَقْدِفُهُ عَلَى لِسَانِهِ قَرِيبًا صَدَقَ وَوَافَقَ الْحَقُّ وَرُبَّمَا كَذَبَ  
 لِأَنَّهُ يُتِمُّ نَقْصَهُ بِأَمْرِ أَجْنَبِيِّ عَنْ ذَاتِهِ الْمُدْرِكَةِ وَمُبَايِنَ لَهَا غَيْرَ مُلَائِمٍ فَيَعْرِضُ لَهُ  
 الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا يَكُونُ مُوْتَوِّفًا بِهِ وَرُبَّمَا يَفْرَعُ إِلَى الظُّنُونِ وَالْخَفَاتِ  
 حِرْصًا عَلَى الظُّفْرِ بِالْإِدْرَاكِ بِزَعْمِهِ وَتَمَوُّبًا عَلَى السَّائِلِينَ وَأَصْحَابِ هَذَا السَّمْعِ هُمْ

الْخَصُوصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَزْعَجَ سَائِرَ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي مِثْلِهِ هَذَا مِنْ تَجَعُّلِ الْكُهَّانِ جَعَلَ السَّجْعَ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمَقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لَابِنْ  
 صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ بَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَا بُنَيَّ صَادِقًا  
 وَكَاذِبًا فَقَالَ خُلْتُ عَلَيْكَ الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ النُّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الصِّدْقُ فَلَا يَغْتَرِبُهَا الْكَذِبُ  
 بِحَالٍ لِأَنَّهُمَا اتَّصَلَا مِنْ ذَاتِ الْإِلَهِيِّ بِالْعِلَلِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشْعٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِأَجَنِيٍّ  
 وَالْكُهَّانَةُ لَمَّا أَحْتَاجَ صَاحِبُهَا بِسَبَبِ عَجْزِهِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِالْأَلْصُورَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
 دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتِ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْتَطِطًا بِهَا وَطَرَفَهُ  
 الْكَذِبُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَامْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ نُبُوَّةً وَإِنَّمَا فَلَمَّا إِنْ أَزْعَجَ مَرَاتِبِ الْكُهَّانَةِ  
 حَالَهُ السَّجْعُ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخَذَ مِنْ سَائِرِ الْمَعْنِيَّاتِ مِنَ الْمَرْتَبَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ  
 وَتَدَلُّ خِفَةُ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبُعْدُ فِيهِ عَنِ التَّعْجِزِ بَعْضُ  
 الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ مِنْذُ زَمَنِ النُّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
 مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِأَشْهُبٍ بَيْنَ بَيْدِي الْبَعَثَةِ وَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ خَيْرِ  
 السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَبَطَلَتْ  
 الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمِئِذٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
 تَكُونُ مِنْ نَفْسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قُرْآنُهُ وَأَيْضًا فَالْآيَةُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ الْبَعَثَةِ وَلَمْ يَمْنَعُوا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
 فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْقِطَاعُ بَيْنَ بَيْدِي النُّبُوَّةِ فَقَطْ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
 عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لَأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا تَحْمَدُ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ كَمَا تَحْمَدُ  
 الْكَوَاكِبُ وَالشُّجُرُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النُّبُوَّةَ هِيَ النُّورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَخْفَى مَعَهُ  
 كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ. وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْكُهَّانِ أَنَّهَا إِنَّمَا تُوْجَدُ بَيْنَ بَيْدِي النُّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
 وَهَكَذَا كُلُّ نُبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النُّبُوَّةِ لَا يَدُلُّهُ مِنْ وَضْعٍ فَلِكَيْ يَقْتَضِيهِ فِي تَمَامِ  
 ذَلِكَ الْوَضْعِ تَمَامُ ذَلِكَ النُّبُوَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا وَتَقْصُرُ ذَلِكَ الْوَضْعُ عَنِ التَّمَامِ يَقْتَضِي  
 وَجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَافِضَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكُهَّانِ عَلَى مَا قُرْآنُهُ  
 فَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ أَكْمَلُ بَقْعِ الْوَضْعِ النَّاْقِصِ وَيَقْتَضِي وَجُودَ الْكُهَّانِ إِمَّا  
 وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وَجُودُ النَّبِيِّ بِكَمَالِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدَّالَّةُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَلَا يُوجَدُ مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدُ وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْوَضْعِ  
 الْفَلَكِيِّ يَقْتَضِي بَعْضَ أَثَرِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ فَلَمَّا لُفِّحَ الْوَضْعُ إِنَّمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ الْأَثَرُ بِهِئِهِ  
 الْخَالِصَةِ وَلَوْ تَقَصَّ بَعْضُ أَجْزَائِهَا فَلَا يَقْتَضِي شَيْئًا لِأَنَّهُ يَقْتَضِي ذَلِكَ الْأَثَرُ نَاقِصًا كَمَا  
 قَالُوهُ ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُهَّانَ إِذَا عَامَرُوا زَمَنَ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُمْ عَارِفُونَ بِصِدْقِ النَّبِيِّ وَدِلَالَةِ  
 مُعْجَزَتِهِ لِأَنَّ لَهُمْ بَعْضَ الْوُجُودَانِ مِنَ أَمْرِ النُّبُوَّةِ كَمَا لِلْكَلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ  
 وَمَعْقُوبِيَّةُ تِلْكَ النَّسَبَةِ مَوْجُودَةٌ لِلْكَاهِنِ بِأَشَدِّ مِمَّا لِلنَّائِمِ وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيُوفِّعُهُمْ  
 فِي الْكُذِّيبِ إِلَّا قُوَّةُ الْمَطَامِعِ فِي أَنَّهَا نُبُوَّةٌ لَهُمْ فَيَقَعُونَ فِي الْعِنَادِ كَمَا وَقَعَ لِأُمِيَّةِ  
 بْنِ أَبِي الصَّلْتِ فَإِنَّهُ كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَنْبَأَ وَكَذَا وَقَعَ لِأَن صَادَ وَلِمُسْلِمِيَّةَ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا  
 غَلَبَ الْإِيمَانُ وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الْأَمَانِيُّ آمَنُوا أَحْسَنَ إِيْمَانٍ كَمَا وَقَعَ لِطَائِفَةِ الْأَسَدِيِّ  
 وَسَوَادِ بْنِ قَارِبٍ وَكَانَ لَهُمَا فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْأَثَارِ الشَّاهِدَةِ بِجُسْنِ  
 الْإِيمَانِ . وَأَمَّا الرُّوْبَا فَحَقِيقَتُهَا مُطَالَعَةُ النَّفْسِ الذَّاصِقَةِ فِي ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِحَقَّةٍ مِنْ صُورِ  
 الْأَوَاقِعَاتِ فَإِنَّهَا عِنْدَمَا تَكُونُ رُوحَانِيَّةً تَكُونُ صُورُ الْوَاقِعَاتِ فِيهَا مَوْجُودَةً بِالْفِعْلِ كَمَا  
 هُوَ شَأْنُ الذُّنُوبِ الرُّوحَانِيَّةِ كُلِّهَا وَتَصِيرُ رُوحَانِيَّةً بَانَ تَجَرَّدَ عَنِ الْمَوَادِّ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَالْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَتَدْبِقُ لَهَا ذَلِكَ لِحَقَّةٍ بِسَبَبِ النَّوْمِ كَمَا نَدْكُرُ فَنَقْتَبِسُ بِهَا عِلْمَ مَا  
 يَنْشَوُّ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَتَعُودُ بِهِ إِلَى مَدَارِكِهَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْاِقْتِبَاسُ  
 ضَعِيفًا وَغَيْرَ جَلِيٍّ بِالْخَاكَاةِ وَالْمَثَالِ فِي الْخَيَالِ لِتَخْلُصِهِ فَيُتَحَاجُّ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْخَاكَاةِ  
 إِلَى التَّعْبِيرِ وَقَدْ يَكُونُ الْاِقْتِبَاسُ قَوِيًّا يَسْتَعْنِي فِيهِ عَنِ الْخَاكَاةِ فَلَا يَتَحَاجُّ إِلَى تَعْبِيرِ  
 لُخْلُوصِهِ مِنَ الْمَثَالِ وَالْخَيَالِ وَالسَّبَبِ فِي وُقُوعِ هَذِهِ اللَّحَقَةِ لِلنَّفْسِ أَنَّهَا ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ  
 بِأَقْوَى مُسَمَّكِلَةٍ بِالْبَدَنِ وَمَدَارِكِهِ حَتَّى تَصِيرَ ذَاتُهَا تَعَقُّلاً خَصًّا وَيَكْمُلُ وُجُودُهَا  
 بِالْفِعْلِ فَتَكُونُ حِينَئِذٍ ذَاتًا رُوحَانِيَّةً مُدْرَكَةً بِغَيْرِ شَيْءٍ مِنَ الْآلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
 نَوْعَهَا فِي الرُّوحَانِيَّاتِ دُونَ نَوْعِ الْمَلَائِكَةِ أَهْلُ الْأَنْفِقِ الْأَعْلَى عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْتَكْمِلُوا  
 ذَوَائِهِمْ بِشَيْءٍ مِنْ مَدَارِكِ الْبَدَنِ وَلَا غَيْرِهِ فَبِذَا الْاِسْتِعْدَادُ حَاصِلٌ لَهَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ  
 وَمِنْهُ خَاصٌّ كَالَّذِي لِلْأَوْلِيَاءِ وَمِنْهُ عَامٌّ لِلْبَشَرِ عَلَى أَلْعُمُومِ وَهُوَ أَمْرُ الرُّوْبَا . وَأَمَّا الَّذِي  
 لِلْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ اِسْتِعْدَادٌ بِالْاِسْلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْخَصَّةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى  
 الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَخْرُجُ هَذَا الْاِسْتِعْدَادُ فِيهِمْ مُمَكَّرًا فِي حَالَاتِ الْوَحْيِ وَهُوَ عِنْدَمَا

يُعْرَجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْأِدْرَاكِ شَبِيهَا بِحَالِ النَّوْمِ شَبِيهَا  
يَتِمُّ وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَدْوَنَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ فَلِأَجْلِ هَذَا الشَّبَهِ عَبَّرَ الشَّارِعُ عَنِ الرُّؤْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْأً مِنَ النَّبُوءَةِ وَفِي رَوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رَوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدَدُ فِي جَمِيعِهَا مَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَقَاوُفِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّبْعِينَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رَوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَأِهِ بِالرُّؤْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَحِينَ نِصْفِ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامٌ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لَعَبْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنَ الرُّؤْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوءَةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوءَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا اجْزَاءً نِسْبَةً الْأَسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ الشَّامِلِ  
لِلْبَشَرِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَاصِّ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفَطْرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْأَسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي الشَّرِّ وَمَعَهُ عَوَائِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَكْثَرِ تِلْكَ الْمَوَانِعِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةُ فَفَطَرَ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى ارْتِفَاعِ  
حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَبَلِيٌّ لَهُمْ فَتَتَعَرَّضُ النَّفْسُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَنْشَوِّفُ إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْحَقِّ فَتَذْكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَحْجَةً يَكُونُ فِيهَا الظَّفَرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ  
وَمَا سَبَبُ ارْتِفَاعِ حِجَابِ الْخَوَاسِ بِالنَّوْمِ فَعَلَى مَا أَصِفُهُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا إِدْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَهُوَ بِخَارِ لَطِيفٍ مَرْكَزُهُ بِالْجَوْفِ  
الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كُتُبِ التَّشْرِيحِ لِلْجَالِينُوسِ وَغَيْرِهِ وَتَبْنِثُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرَيَانَتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطَى الْحَسَّ وَالْحَرَكََةَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيرْتَفِعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَثَمَّ أَفْعَالُ الْقُوَى الَّتِي فِي بَطُونِهِ فَالْنَفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تَذْكُ  
وَتَمُثِّلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْجَبَارِيِّ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي أَنَّ  
الْطَّيْفَ لَا يُؤْتَرُ فِي الْكَثِيفِ وَلَمَّا لَطَفَ هَذَا الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

صَارَ مَحَلًّا لِأَثَارِ أَلْبَتَاتِ الْمُبَانَةِ لَهُ فِي جِسْمَانِيَّتِهِ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ أَثَارُهَا حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوَسْطِيَّتِهِ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنْ إِدْرَاكِهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِهَا بِالظَّاهِرِ وَهُوَ الْخَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِهَا بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدَّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا إِدْرَاكِهَا كُلُّهُ صَارِفٌ لَهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ بِالْفِطْرَةِ وَلَمَّا كَانَتْ الْخَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعَرَّضَةً لِلْوَسَنِ وَالْفَشْلِ بِمَا يُدْرِكُهَا مِنَ التَّعَبِ وَالْكَلالِ وَتَغْشَى الرُّوحَ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا طَلَبَ الْإِلَاحَةِ لِمَا لَا يَجْرُدُ إِلَّا إِدْرَاكِهَا عَلَى الصُّورَةِ الْكَلِمَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِخْتِصَاصِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ مِنَ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْحِسِّ الْبَاطِنِ وَيُعَيَّنُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدَنَ مِنَ الْبَرْدِ بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ مُشْبَعَةً مِنْ كِبَرِهَا وَهُوَ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلْبَشَرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا انْخَسَ الرُّوحُ عَنِ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ وَخَفَّتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاطِلُ الْحِسِّ وَمَوَانِعُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَمَثَّلَ مِنْهَا بِالْتَرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورٌ خَيَالِيَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعْتَادَةً لِأَنَّهَا مُنْزَعَةٌ مِنْ الْمُدْرَكَاتِ الْمُتَعَاهَدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يَنْزِلُهَا الْحِسُّ الْمَشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ فَيُدْرِكُهَا عَلَى أَمْثَلِ الْخَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ وَرُبَّمَا تَنْفَتَّ النَّفْسُ لِفَتْةٍ إِلَى ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ تَنْدُرِكُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ عَلَيْهِ وَتَقْتَسِمُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْخَيَالُ تِلْكَ الصُّورَ الْمُدْرَكَةَ فَيُمَثِّلُهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوِ الْمَحَاكَاةِ فِي الْقَوَالِبِ الْمَعْبُودَةِ وَالْمَحَاكَاةِ مِنْ هَذِهِ هِيَ الْحَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ وَتَصَرُّفِهَا بِالْتَرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ تَنْدُرِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تَنْدُرِكُهُ هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلَكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا التَّنْفِصِلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْجُلِيُّ مِنَ اللَّهِ وَالْمَحَاكَاةُ الدَّاعِيَّةُ إِلَى التَّعْبِيرِ مِنَ الْمَلَكِ وَأَضْغَاثُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يُبْشِعُ الْبَاطِلَ هَذِهِ حَقِيقَةُ الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّحُهَا وَيُشَبِّعُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ عَلَى الْعُمُومِ لَا يَخْلُوعُ عَنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ



لَهُ فِي يَقْظَتِهِ مَرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرَكَةٌ لِلْغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بُدَّ وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ لَذَاتِ  
الْمُدْرَكَةِ وَاحِدَةً وَخَوَاصُّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بَيْنَهُ وَفَضْلِهِ

فصل \* وَوُقُوعُ مَا يَقَعُ لِلْبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بَيْنَكَ اللَّحْمَةُ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تَقْصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ قِتْرَاهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضَاتِ ذِكْرُ  
أَمْنَاءَ تَذَكُّرُ عِنْدَ النَّوْمِ فَيَتَكَوَّنُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فَيَا بَشَوُفَ إِلَيْهِ وَيُسَوِّئُهَا الْحَالُومَةُ  
وَذِكْرُ مِنْهَا مَسَلَمَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةٌ سَمَّاها حَالُومَةُ الطَّبَاعِ النَّامُ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ فَرَاغِ السِّرِّ وَصِيحَةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَهِيَ غَاغِسُ بَعْدَ  
أَنْ يَسْوَدَ وَغَدَاسُ نَوْفَا غَادَسُ وَيَذْكُرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشَفَ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحِكْمِي أَنْ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَيْلَالٍ فِي مَأْكَلِهِ وَذِكْرُهُ  
فَتَمَثَّلَ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَاغُكَ النَّامُ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ عَمَّا كَانَ يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا بِهِذِهِ الْأَمْنَاءِ مَرَّةً عَجِيبَةً وَأَطْلَعْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوَّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُعَدُّهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُخَدِّثُ  
اِسْتِعْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوُقُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ اِلْتِمَاعُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعَدُّ لَهُ وَلِلشَّخْصِ أَنْ يَفْعَلَ مِنَ اِلْتِمَاعِ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِبْقَاعِ  
الْمُسْتَعَدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى اِلْتِمَاعِ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى النَّبِيِّ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَتَذَكَّرَهُ فَيَا  
تَجِدُ مِنْ أَمثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فصل \* ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا  
بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صُنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَزْجَعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ التَّجْوِمِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا نَجِدُ مَدَارَ كُهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى  
فِطْرَتِهِمْ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَّافِينَ وَالنَّاطِرِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَالْمَرَايَا  
وَطِسَاسِ الْمَاءِ وَالنَّاطِرِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الزَّجْرِ فِي الطَّيْرِ  
وَالسَّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْخِنْطَةِ وَالنَّوَى وَهَذِهِ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَمْعُهَا وَلَا انْكَارُهَا وَكَذَلِكَ النُّجَّانِينَ يُلْقَى عَلَى أَسْنَنِهِمْ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْغَيْبِ فَيُغَيِّرُونَ بِهَا وَكَذَلِكَ النَّائِمُ وَالْمَيِّتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ نَوْمِهِ بِتَكَلُّمِ  
بِالْغَيْبِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاضَاتِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكُ فِي الْغَيْبِ عَلَى سَبِيلِ  
الْكِرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ . وَنَحْنُ الْآنَ نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْأَدْرَاكَ كُلِّهَا وَنَبْتَدِئُ مِنْهَا  
بِالْكِهَانَةِ ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا وَنُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي أَنَّ النَّفْسَ  
الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِإِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا  
ذَاتُ رُوحَانِيَّةٍ مُوجُودَةٍ بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ مُدْرِكٌ لِكُلِّ  
أَحَدٍ وَكُلِّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَّةٌ وَصُورَةٌ . وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ عَيْنُ  
الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقِلُ فِيهِ تَوْجِدٌ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةٌ لِلْإِدْرَاكِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكَلِمَةِ  
وَالْجُزْئِيَّةِ ثُمَّ يَتِمُّ نَشُوءُهَا وَوُجُودُهَا بِالْفِعْلِ بِمَصَاحِبَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَبْعُدُهَا بِوُجُودِ مُدْرَكَاتِهَا  
الْمَحْسُوسَةِ عَلَيْهَا وَمَا تَنْتَزِعُ مِنْ تِلْكَ الْأَدْرَاكَ كَاتٍ مِنَ الْمَعَانِي الْكَلِمَةِ فَتَتَعَقَّلُ الصُّورَ  
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَحْصُلَ لَهَا الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقِلُ بِالْفِعْلِ فَتَتِمُّ ذَاتُهَا وَتَبْقَى النَّفْسُ  
كَالْهَيُولَى وَالصُّورُ مُتَعَاقِبَةً عَلَيْهَا بِالْإِدْرَاكِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ وَلِذَلِكَ نَجِدُ الصَّبِيَّ فِي أَوَّلِ  
نَشَأَتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِدْرَاكِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا لَا بِنَوْمٍ وَلَا بِكَشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهِمَا وَذَلِكَ  
أَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي فِي عَيْنِ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِدْرَاكِ وَالتَّعْقِلُ لَمْ تَتِمَّ بَعْدَ بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِزَاعُ  
الْكَلِمَاتِ ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ حَصَلَ لَهَا مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ نَوَاعِنَ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
إِدْرَاكِ بِلَا تِ الْجِسْمِ تُؤَدِّي بِهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ وَإِدْرَاكِ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ  
وَهِيَ مُتَحَبِّبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْفِصَالِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَبِشَوَاعِلِهَا لِأَنَّ الْحَوَاسَ أَبَدًا جَاذِبَةٌ  
لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِدْرَاكِ الْجِسْمَانِيِّ وَرُبَّمَا تَغْمِسُ مِنَ الظَّاهِرِ  
إِلَى الْبَاطِنِ فَيَرْتَفِعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لِحَظَّةٍ أَمَّا بِالْخَاصَّةِ الَّتِي فِي لَيْلٍ إِنْسَانٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
مِثْلَ النَّوْمِ أَوْ بِالْخَاصَّةِ الْمَوْجُودَةِ لِبَعْضِ الْبَشَرِ مِثْلَ الْكِهَانَةِ وَالطَّرِيقِ أَوْ بِالرِّيَاضَةِ  
مِثْلَ أَهْلِ الْكَشْفِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فَتَلْتَفِتُ حِينَئِذٍ إِلَى الدَّوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا مِنَ الْعَمَلِ  
لِمَا بَيْنَ أَفْقِهَا وَأَفْقِهِمْ مِنَ الْإِتِّصَالِ فِي الْوُجُودِ كَمَا قَرَّرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ الدَّوَاتِ رُوحَانِيَّةٌ  
وَهِيَ إِدْرَاكِ مُحَضَّرٌ وَعَقُولٌ بِالْفِعْلِ وَفِيهَا صُورُ الْمَوْجُودَاتِ وَحَقَائِقُهَا كَمَا مَرَّ فَيَتَجَلَّى  
فِيهَا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ وَتَقْتَسِمُ مِنْهَا عُلُومًا وَرُبَّمَا دُعِفَتْ تِلْكَ الصُّورُ الْمُدْرَكَةُ إِلَى  
الْخِيَالِ فَيَصْرِفُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يُرَاجِعُ الْحِسَّ بِمَا أَدْرَكَتْ إِمَّا مُجَرَّدًا أَوْ فِي

قَوْلِهِ فَيُخْبِرُ بِهِ . هَذَا هُوَ شَرْحُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْإِدْرَاكِ الْقَبِيحِ . وَلَنَرْجِعَ إِلَى مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْنَافِهِ . فَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّنَافَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطِسَاسِ الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْخَصَى وَالنَّوَى فَكُلُّهُمْ مِنْ قَبِيلِ الْكَلْبَانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضْعَفُ رُتْبَةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكَلْبَانَ لَا يَتَعَجَّاجُ فِي رَفْعِ حِجَابِ الْحِسِّ إِلَى كَثِيرٍ . مَعَانَاةً وَهَوْلًا يُعَانُونَهُ بِإِنْخِصَارِ الْمَدَارِكِ الْحَسِّيَّةِ كُلِّهَا فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَمَكِّفُ عَلَى الْمَرْئِيِّ الْبَسِيطِ حَتَّى يَبْدُو لَهُ مُدْرَكُهُ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ مُشَاهَدَةَ هَؤُلَاءِ لِمَا يَرُونَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمَرَاوِثِ كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمَرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْدُو فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَطْحِ الْمَرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ عِمَامٌ يَتِمَثَّلُ فِيهِ صُورُ هِيَ مَدَارِكُهُمْ فَيُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ تَقْيٍّ أَوْ اثْبَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى تَحْوٍ مَا ادْرَكُوهُ وَأَمَّا الْمَرَاةُ وَمَا يَدْرِكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يَدْرِكُونَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوعُ الْآخَرُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَهُوَ نَفْسَانِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ يَتَشَكَّلُ بِهِ الْمُدْرِكُ النَّفْسَانِي لِلْحِسِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا بَعَرَضُ لِلنَّاطِرِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَلِلنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالطِّسَاسِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُشْغِلُ الْحِسَّ بِالْبُخُورِ فَقَطُّ ثُمَّ بِالْعَزَائِمِ لِلِاسْتِعْدَادِ ثُمَّ يُغَيِّرُ كَمَا ادْرَكَ وَتَزَعْمُونَ أَنَّهُمْ يَرُونَ الصُّورَ مُتَشَخِّصَةً فِي الْهَوَاءِ تَحْكِي لَهُمْ أَحْوَالَ مَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَغَيْبَةً هَؤُلَاءِ عَنِ الْحِسِّ أَخْفَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ أَبُو الْغَرَائِبِ . وَأَمَّا الزُّجَرُ وَهُوَ مَا تَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْكَلَمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ سُنُوحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغِيبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعَثُ عَلَى الْخَرَصِ وَالْفِكْرِ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَرْئِيٍّ أَوْ مَسْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْعَمَلِيَّةُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ قُوَّةً فَيَعْمَلُ فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِينًا بِمَا رَأَاهُ أَوْ سَمِعَهُ فَيُؤَدِّ بِذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَتَعَلَّقُ الْقُوَّةُ الْعَمَلِيَّةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْحِسُّوسِ الْمَرْئِيِّ فِي بَقْظَتِهِ وَتَجْمَعُهُ مَعَ مَا عَقَلَتْهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرُّوْيَا . وَأَمَّا الْجَانِبِينَ فَنَفْسُهُمُ النَّاطِقَةُ ضَعِيفَةُ التَّعَلُّقِ بِالْبَدَنِ لِفَسَادِ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ غَالِبًا وَضَعْفِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَعْرِقَةٍ فِي الْحَوَاسِ وَلَا مُنْغَمِسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ أَلَمِ النِّقْصِ وَمَرَضِهِ وَرُبَّمَا زَاخَهَا عَلَى

التَّلَقُّ بِرُوحَانِيَّةٍ أُخْرَى شَيْطَانِيَّةٍ تَنْشَبُ بِهِ وَتَضَعُ هَذِهِ عَنْ مُنَاعَتِهَا فَيَكُونُ عَنْهُ  
 التَّخَبُّطُ فَإِذَا أَصَابَهُ ذَلِكَ التَّخَبُّطُ إِمَّا انْفِسَادُ مَزَاجِهِ مِنْ فُسَادٍ فِي ذَاتِهَا أَوْ لِمَزَاجَتِهِ مِنْ  
 النَّفْسِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي تَلَقُّهِ غَابَ عَنْ حِسِّهِ جُمْلَةُ فَادْرَكَ لَحْمَةً مِنْ عَالَمِ نَفْسِهِ وَأَنْطَبَعَ  
 فِيهَا بَعْضُ الصُّورِ وَصَرَفَهَا خَيَالٍ وَزُبْمًا تَطَّقَ عَنْ لِسَانِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ  
 اللَّطْقِي وَإِدْرَاكِ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ مُشْرَبٌ فِيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ لِأَنَّهُ لَا يَحْصِلُ لَهُمُ الْإِتِّصَالُ  
 وَإِنْ فَقَدُوا الْحِسَّ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ ذَلِكَ يَجِي  
 الْكُذْبُ فِي هَذِهِ الْمَدَارِكِ وَأَمَّا الْعَرَّافُونَ فَهُمْ الْمُتَعَلِّقُونَ بِهَذَا الْإِدْرَاكِ وَلَيْسَ لَهُمْ  
 ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَيُسَلِّطُونَ الْفِكْرَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذُونَ فِيهِ بِالظَّنِّ  
 وَالتَّخْمِينِ بِنَاءً عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ مَبَادِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَيَدْعُونَ بِذَلِكَ  
 مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ وَلَيْسَ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَذَا تَحْصِيلُ هَذِهِ الْأُمُورِ وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا الْمَسْعُودِي  
 فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ فَمَا صَادَفَ حَقِيقَةً وَلَا إِصَابَةً وَيُظْهِرُ مِنْ كَلَامِ الرَّجُلِ أَنَّهُ كَانَ  
 بَعِيدًا عَنِ الرُّسُوخِ فِي الْمَعَارِفِ فَيَنْقَلُ مَا سَمِعَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَهَذِهِ الْأِدْرَاكَاتُ  
 الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَوْجُودَةٌ كُلُّهَا فِي نَوْعِ الْبَشَرِ فَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يَفْرَعُونَ إِلَى الْكُهَّانِ  
 فِي تَعْرِفِ الْحَوَادِثِ وَيَتَنَافَرُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْخُصُومَاتِ لِيَعْرِفُوهُمْ بِالْحَقِّ فِيهَا مِنْ إِدْرَاكِ  
 غَيْرِهِمْ وَفِي كُتُبِ أَهْلِ الْأَدَبِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَيْخُ بْنُ أُنْسَارٍ  
 بْنُ نِزَارٍ وَسَطِيحُ بْنُ مَازِنٍ وَكَانَ يَدْرُجُ كَمَا يَدْرُجُ النَّوْبُ وَلَا عَظَمَ فِيهِ إِلَّا  
 الْجَمْعِيَّةُ وَمِنْ مَشْهُورِ الْحِكَايَاتِ عَنْهُمَا تَأْوِيلُ رُؤْيَا رَيْعَةَ بْنِ مُضَرٍّ وَمَا أَخْبَرَاهُ بِهِ  
 مَلِكُ الْحَبَشَةِ الْيَمَنِ وَمَلِكُ مُضَرَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَظُهُورُ النُّبُوَّةِ الْحَمْدِيَّةِ فِي قُرَيْشٍ وَرُؤْيَا  
 الْمُوْبَذَّانِ الَّتِي أَوَّلَاهَا سَطِيحُ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِهَا كَسْرَى عَبْدَ الْمَسِيحِ فَأَخْبَرَهُ بِشَأْنِ النُّبُوَّةِ  
 وَخَرَّابِ مَلِكِ فَارَسَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَشْهُورَةٌ وَكَذَلِكَ الْعَرَّافُونَ كَانُوا فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ كَثِيرٌ  
 وَذَكَرُوهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ قَالَ

فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ دَاوِي      فَإِنَّكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي لَطِيبُ

وقال الآخر

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ      وَعَرَّافُ بَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي  
 فَقَالَ شَنَّكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا      بِمَا حَمَلْتَ مِنْكَ الضُّلُوعُ بَدَانِ

وَعَرَّافُ أَلِيمَامَةٍ هُوَ رَبَّاحُ بْنُ عَجَلَةَ وَعَرَّافُ تَجْدَ الْأَبْلَقُ الْأَسَدِيُّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْبِقْظَةِ وَالنَّبَاسِ بِالنَّوْمِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
الشَّيْءِ الَّذِي يَشَوِّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ وَلَا يَبْقَى ذَلِكَ إِلَّا فِي  
مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْبِقْظَةِ وَهَذَا بِالْإِخْتِيَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَكَلِّمُ كَأَنَّهُ يُجِيبُ  
عَلَى النَّطْقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ وَبَقِيَّةُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الْقَوَلِينَ عِنْدَ مُفَارَقَةِ رُؤُوسِهِمْ  
وَأَوَسَاطِ أَبْدَانِهِمْ كَلَامٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَلَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ  
قَتَلُوا مِنْ سُجُونِهِمْ أَشْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
فَأَعْلَمُوهُمْ بِمَا يُسْتَشْبَعُ . وَذَكَرَ مُسْلِمَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ أَدَمِيًّا إِذَا  
جُلِيَ فِي دَنٍ مَمْلُوءٍ بِدِهْنِ السَّمِيمِ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بُغِذَى بِاللَّيْنِ وَالْجُوزِ  
حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشَوَّوْنُ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدِّهْنِ  
نَحِينٌ يُحِثُّ عَلَيْهِ الْمَوْتَ يُجِيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ  
وَالْعَامَّةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَعْمَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ نَفَهُمْ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ إِلَّا نَسَافِي  
وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُحَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمَذْكُورِ الْغَيْبِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْعِجَاهَةِ مَوْتًا  
صِنَاعِيًّا بِإِمَانَةٍ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ يَحْوِثُ أَثَارَهَا الَّتِي تَلَوَّتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تَغْدِي بِهَا  
بِالذِّكْرِ لَتَرْدَادِ قُوَّةٍ فِي نَفْسِهَا وَيَحْصُلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفِكْرِ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ  
عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحِسُّ وَحُجَابَةُ وَأَطَاعَتِ النَّفْسُ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ  
وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ السَّخَرِيَّةِ يَرْتَضُونَ بِذَلِكَ لِيَحْصَلَ لَهُمْ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ  
وَالْتَصَرُّفَاتِ فِي الْعُورِ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي الْأَقَالِمِ الْمَعْرُوفَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا خُصُوصًا بِبِلَادِ  
الْهِنْدِ وَيُسَوِّنُونَ هُنَاكَ الْحُكْمَةَ وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْإِخْبَارُ  
عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَرِيَاضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرَبِيَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
الْمَدْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَقْضُدُونَ جَمْعَ الْحَيَّةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ لِيَحْصَلَ لَهُمْ أَذْوَاقُ  
أَهْلِ الزُّهْدِ وَالْتَّوْحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيَاضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ وَالْغَدْيَةِ بِالذِّكْرِ  
فِيهَا نَيْمٌ وَجَهَنَّمُ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الذِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
الزُّهْدِ وَالْإِقْبَالِ وَإِذَا غَرِبَتْ عَنِ الذِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْصُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ وَالتَّصَرُّفِ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الْأَمْرَ لِأَنَّهُ إِذَا فُسِدَ ذَلِكَ كَانَتْ أَلْوَجْهَةٌ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هِيَ إِقْصَادُ التَّصَرُّفِ  
وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ وَأَخْسِرَ بِهَا صَفَةً فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ شَرَكٌ قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَثَرِ  
الْعَرَفَانَ الْعَرَفَانَ فَقَدْ قَالَ بَالْتَأْنِي فِيهِمْ يَقْصِدُونَ بِوَجْهَتِهِمُ الْمَعْبُودَ لَا شَيْءَ سِوَاهُ وَإِذَا  
حَصَلَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ فَبِالْعَرَضِ وَغَيْرِ مَقْصُودٍ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَفِرُّ مِنْهُ إِذَا  
عَرَضَ لَهُ وَلَا يَحْفَلُ بِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِدُنَاهُ لِقَائِهِمْ وَأَنْ يَسْمَعُوا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ  
التَّصَرُّفِ كَرَامَةً وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِتَكْبِيرٍ فِي حَقِّهِمْ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى إِنْكَارِهِ الْأُسْتَاذُ  
أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسَدِي وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالِكِيُّ فِي آخِرِينَ فِرَارًا مِنَ التَّيَاسِ  
الْمُعْجَزَةِ بِغَيْرِهَا وَالْمَعْمُولُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ حُصُولُ التَّنَزُّهِ بِالتَّحْدِي فَهُوَ كَافٍ  
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ فِيكُمْ مُعَدِّثِينَ وَإِنْ  
مِنْهُمْ عَمْرٌ وَقَدْ وَقَعَ لِصَحَابِهِ مِنْ ذَلِكَ وَقَائِعٌ مَعْرُوفَةٌ تَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ عُمَرَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلُ وَهُوَ سَارِيَةُ بْنُ زَيْدٍ كَانَ قَائِدًا عَلَى بَعْضِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ  
بِالْعِرَاقِ أَيَّامَ الْفُتُوحَاتِ وَتَوَرَّطَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُعَارَكَةٍ وَهُمْ بِالْأَنْهَرَامِ وَكَانَ يَقْرِيهِ  
جَبَلٌ يُخَيِّرُ إِلَيْهِ فَرُجَعَ لِعَمْرٍ ذَلِكَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلُ  
وَسَمِعَهُ سَارِيَةَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ وَرَأَى شَخْصَهُ هُنَاكَ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَوَقَعَ مِثْلُهُ أَيْضًا لِأَبِي  
بَكْرٍ فِي وَصِيَّتِهِ عَائِشَةَ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنٍ مَا نَحَلَهَا مِنْ أَوْسَقِ الثَّمَرِ مِنْ  
حَدِيقَتِهِ ثُمَّ تَبَهَّأَ عَلَى جَذَاهِ لِيَحْزُوهَ عَنِ الْوَرَنَةِ فَقَالَ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ وَإِنَّمَا هُمَا  
أَخَوَاكَ وَأَخْتَاكَ فَقَالَتْ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمِنْ الْأُخْرَى فَقَالَ إِنْ ذَا بَطْنُ بِنْتِ خَارِجَةَ أَرَاهَا  
جَارِيَةً فَكَانَتْ جَارِيَةً وَقَعَ فِي الْمَوْطِ فِي بَابِ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ النَّحْلِ وَمِثْلُ هَذِهِ  
الْوَقَائِعِ كَثِيرَةٌ لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْإِفْتِدَاءِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ التَّصَوُّفِ  
يَقُولُونَ إِنَّهُ يَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ إِذْ لَا يَبْقَى لِلْمُرِيدِ حَالَةٌ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ  
إِنَّ الْمُرِيدَ إِذَا جَاءَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ يَسْلُبُ حَالَةً مَا دَامَ فِيهَا حَتَّى يَفَارِقَهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا  
أَهْدَايَةً وَيُرْسِدُنَا إِلَى الْحَقِّ

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرِيدِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ قَوْمٌ بِهَالِكٍ مَعْنَاهُمْ أَشْبَهَ بِالْحَبَابِينَ مِنَ  
الْمَقْلَاءِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ صَحَّتْ لَهُمْ مَقَامَاتُ أَوْلَايَةِ وَأَحْوَالُ الصِّدِّيقِينَ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ

أَحْوَالِهِمْ مِنْ بَيْنِهِمْ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الذُّوقِ مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ وَيَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ  
عَنِ الْمَغِيَّاتِ عَجَائِبُ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّقِدُونَ بِشَيْءٍ فَيُطْلَقُونَ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
بِالْعَجَائِبِ وَرُبَّمَا يَنْكُرُ الْفُقَهَاءُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ سُقُوطِ  
التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ وَالْوَلَايَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَلَا غَيْرِهَا وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ إِلَّا نَسَانِيَّةً  
ثَابِتَةً الْوُجُودِ فَاللَّهُ تَعَالَى يُخْصِيهَا بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَوَاهِيهِ وَهَوَالَاءِ الْقَوْمِ لَمْ تَعْدَمْ قُتُوبُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَلَا فَسَدَتْ كَحَالِ الْعَجَائِبِ وَإِنَّمَا فَقِدَ لَهُمُ الْعَقْلُ الَّذِي يَنْطَاطِرُ بِهِ التَّكْلِيفُ  
وَهِيَ صِفَةٌ خَاصَّةٌ لِلنَّفْسِ وَهِيَ عُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ لِلنَّاسِ يَشْتَدُّ بِهَا نَظَرُهُ وَيَعْرِفُ أَحْوَالَ  
مَعَاشِهِ وَأَسْقَامَةَ مَنَزِلِهِ وَكَأَنَّهُ إِذَا مِيزَ أَحْوَالَ مَعَاشِهِ وَأَسْقَامَةَ مَنَزِلِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ  
فِي قَبُولِ التَّكْلِيفِ لِإِصْلَاحِ مَعَادِهِ وَلَيْسَ مَنْ فَقِدَ هَذِهِ الصِّفَةَ بِقَافِدٍ لِنَفْسِهِ وَلَا ذَاهِلٌ  
عَنْ حَقِيقَتِهِ فَيَكُونُ مَوْجُودَ الْحَقِيقَةِ مُعْدُومَ الْعَقْلِ التَّكْلِيفِيِّ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمَعَاشِ  
وَلَا اسْتِحْصَالُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَوَقَّفُ أَصْطِفَاءُ اللَّهِ عِبَادَهُ لِلْمَعْرِفَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ  
وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَلْتَبِسُ حَالُ هَؤُلَاءِ بِالْعَجَائِبِ الَّذِينَ تَقْسُدُ قُتُوبُهُمْ  
النَّاطِقَةُ وَيَلْتَحِقُونَ بِالْبَهَائِمِ وَلَكَ فِي تَمْيِيزِهِمْ عَلَامَاتٌ مِنْهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلَ لَا تَعِدُّ لَهُمْ  
وَجْهَةً أَصْلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُخْلَقُونَ عَلَى الْبَلَهِّ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ وَالْعَجَائِبُ بَعُوضُ لَهُمْ  
الْجَنُونُ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الْعُمُرِ لِعَوَارِضَ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ فَإِذَا عَرِضَ لَهُمْ ذَلِكَ وَفَسَدَتْ قُتُوبُهُمْ  
النَّاطِقَةُ ذَهَبُوا بِالْغَلِيَّةِ وَمِنْهَا كَثَرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالْشَّرِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّفُونَ  
عَلَى إِذْنِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي حَقِّهِمْ وَالْعَجَائِبُ لَا تَصَرَّفُ لَهُمْ وَهَذَا فَضْلٌ أَتَمَّهِ بِنَا  
الْكَلَامُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ

وَقَدْ يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارَكَ الْغَيْبِ مِنْ دُونِ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ فَمِنْهُمْ  
الْمُتَحَيِّمُونَ الْقَائِلُونَ بِالذِّلَالَاتِ الْجُومِيَّةِ وَمُقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْفَلَكَ وَأَثَارِهَا فِي الْعَنَاصِرِ  
وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَمْتِزَاجِ بَيْنَ طَبَائِعِهَا بِالتَّنَاطُرِ وَتَبَادُيٍّ مِنْ ذَلِكَ الْمَزَاجِ إِلَى الْهَوَاءِ  
وَهَؤُلَاءِ الْمَجْمُوعُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ حَدْسِيَّةٌ وَتَحْجِيزَاتٌ مَبْنِيَّةٌ  
عَلَى التَّأَثُّرِ الْجُومِيَّةِ وَحُصُولِ الْمَزَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ مَعَ مَزِيدِ حَدْسٍ يَقِفُ بِهِ النَّاطِرُ عَلَى  
تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ بَطْلَيْمُوسُ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ بَطْلَانَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ لَوْ ثَبِتَ فَفَاتَهُ حَدْسٌ وَتَخْمِينٌ وَلَيْسَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتَخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةَ تَمَوُّهَا خَطَ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضْعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ وَتَحْصُلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النُّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ تَخْتَلِفُ بِأَخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الزَّوْجِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ  
 وَاسْتَوَانِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَرْوَجًا كُلُّهَا أَوْ أَفْرَادًا  
 كُلُّهَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهِمَا فِي رَتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَيَّزُوهَا كُلُّهَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُعُودٍ وَثُجُوسٍ شَأْنِ  
 الْكَوَاكِبِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ بَيْتًا طَبِيعِيَّةً بِزَعْمِهِمْ وَكَانَتْهَا الْبُرُوجُ الْإِلَئِثْنَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَارِ الْأَرْبَعَةُ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا بَيْتًا وَخُطُوطًا وَدَلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْعَوَالِمِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنًّا حَادِثًا بِهِ فَنَّ النِّجَامَةِ  
 وَتَوَعَّضَ قَضَائِهِ إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى أَوْضَاعٍ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ تَطْلِيمُوسُ  
 وَهَذِهِ إِنَّمَا مُسْتَنَدُهَا أَوْضَاعٌ تَحْكِيمِيَّةٌ وَأَهْوَاءُ اتِّفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوءَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرُبَّمَا نَسَبُوهَا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى آدَمَ بِسَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا وَرُبَّمَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُونَ  
 بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَدَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحْثَالَهُ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَلِكَ أَيْ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ بِمَا عَصَدَهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ تَجَرُّدًا مِنْ غَيْرِ مَوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتَخْرَاجَ مَغِيبٍ بِزَعْمِهِمْ عَمَدُوا إِلَى قِرْطَاسٍ أَوْ رَمَلٍ أَوْ دَقِيقٍ فَوَضَعُوا النُّقْطَ  
 سَطْرًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ كَرَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَجَبَّيْ سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النُّقْطَ أَرْوَجًا وَيَضْعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ زَوْجًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي رَتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَجَبَّيْ أَرْبَعَةَ أَشْكَالٍ يَضْعُونَهَا فِي سَطْرِ مُتَتَالِيَةٍ ثُمَّ يُولِدُونَ مِنْهَا



أَرْبَعَةً أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنْ جَانِبِ الْعَرَضِ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا قَابِلَهَا مِنَ الشَّكْلِ  
الَّذِي بِإِزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
سَطْرٍ ثُمَّ يُؤَلَدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا تَحْتَهُمَا بِاعْتِبَارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ  
مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةً أُخْرَى تَحْتَهُمَا ثُمَّ يُؤَلَدُونَ  
مِنْ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا مِنَ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
الشَّكْلِ الْخَامِسِ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السَّتَةِ عَشَرَ ثُمَّ يَحْكُمُونَ  
عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا اقْتَضَتْهُ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُوسَةِ بِالذَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
وَالْإِمْتَزَاجِ وَالذَّلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحْكُمُهَا غَرِيبًا وَكَثُرَتْ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْعُمُرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا النَّالِغَةُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُ تَحْكُمُكُمْ وَهَوَى وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُسَبٌ  
فِكْرُكَ أَنَّ الْغُيُوبَ لَا تُدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبَيِّنَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْخَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
الْمَقْطُورِينَ عَلَى الرَّجُوعِ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْمَجْتَمِعُونَ هَذَا  
الصَّنْفَ كُلَّهُمْ بِالزُّهْرِيِّينَ نِسْبَةً إِلَى مَا اقْتَضِيهِ دَلَالَةُ الزُّهْرَةِ بِزَعْمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَالْخَطُّ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّاطِرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ  
وَقَصْدُ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ النُّقْطَةِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالُ الْحِسِّ لِتَرْجِعَ  
النَّفْسَ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لِحَظَّةٍ مَا فَهُوَ مِنْ بَابِ الطَّرِيقِ بِالْخَصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّفَافَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصْدُ مَعْرِفَةِ  
الْغَيْبِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَأَنَّهَا تُفِيدُهُ ذَلِكَ فَهَذَرُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .  
وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ تَوَجُّهِهِمْ  
إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ يَغْتَرِبُ عَنْ خُرُوجِ عَنْ حَالِهِمْ الطَّبِيعِيِّ كَالْتَنَائُوبِ وَالْتِمَاطِطِ  
وَمَبَادِيءِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
فَمَنْ لَمْ تَوْجِدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةَ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعٍ فِي  
تَنْفِيقِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفُ بَصُوعِ قَوَائِنَ لِاسْتِغْرَاجِ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنَ الْحَدْسِ الْمَعْنِيِّ عَلَى تَأْثِيرَاتِ النُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُسُ وَلَا مِنَ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الَّذِي يُعَاوَلُ عَلَيْهِ الْعَرَاوِفُونَ وَإِنَّمَا فِي مَعَالِطُ  
يَجْعَلُونَهَا كَالْمَصَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضْعَفَةِ وَلَسْتُ أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
الْمُصَنِّفُونَ وَوَلَعَ بِهِ الْخَوَاصُّ مِنْ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْحِسَابِ الَّذِي يُسَوِّتُهُ حِسَابُ التِّبَرِ وَهُوَ  
مَذْكَورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنَسُوبِ لِأَرِسْطُو يُعَرَّفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي  
الْمُنْحَارِبِينَ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ أَنَّ تُحْسَبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمِهِ أَحَدُهُمَا بِحِسَابِ الْجُمْلِ  
الْمُضْطَمِّلِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُبْجِدٍ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ أَحَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنٍ وَالْوُفَا  
فَإِذَا حُسِبَتِ الْأَسْمَاءُ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَاحْسِبِ اسْمَ الْآخَرِ كَذَلِكَ ثُمَّ اطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَاحْفَظْ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ أَنْظِرْ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ  
مِنْ حِسَابِ الْأَتَمِينَ فَإِنْ كَانَ الْعَدَدَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الْأَلْفِ مِنْهُمَا هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالْآخَرُ فَرْدًا  
فَصَاحِبُ الْأَكْثَرِ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ تَسَاوَيْنِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الْغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ يَتَنَانِ فِي  
هَذَا الْعَمَلِ اسْتَهْمَلَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْمُو أَقْلَهَا وَأَكْثَرَهَا عِنْدَ التَّحَالُفِ غَالِبُ

وَيُغْلَبُ مَطْلُوبُ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِثْنَاءِ الْفَرْدِ يُغْلَبُ طَالِبُ

ثُمَّ وَضَعُوا لِمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُرُوفِ بَعْدَ طَرَحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرَحِ  
تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْحُرُوفَ الدَّلَالَةَ عَلَى الْوَاحِدِ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ (أ)  
الدَّلَالَةُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ (ي) الدَّلَالَةُ عَلَى الْعَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَاتِ وَ (ق)  
الدَّلَالَةُ عَلَى الْمِائَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْمِثْنَيْنِ وَ (ش) الدَّلَالَةُ عَلَى الْأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَلْفِ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْحُرُوفِ لِأَنَّ التَّيْنِ فِي آخِرِ  
حُرُوفِ أُبْجِدٍ ثُمَّ رَتَّبُوا هَذِهِ الْأَحْرَفَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ فَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ (أَبِش) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ الدَّلَالَةَ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ  
وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الْأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُبْجِدٍ فَكَانَ جَمْعُ حُرُوفِ  
الْاثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ (ب) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْآحَادِ  
وَ (ك) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْعَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ (ر) الدَّلَالَةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمِثْنَيْنِ

وَهِيَ مِائَتَانِ وَصَبَرُوهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً ثَلَاثِيَّةٌ عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ وَهِيَ بَكَرُ ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ  
بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جُلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أُيُجِدُ  
وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ نِهَآةً عَدَدَ الْآحَادِ وَهِيَ اِبْقَشَ بَكَرَ جُلَسَ دَمَتَ هَنَتْ وَصَحَّ زَعَدُ  
حَنِظَ طَضَعَ مُرْتَبَةٌ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي هِيَ فِي مَرْتَبَتِهِ  
فَالْوَاحِدُ لِكَلِمَةِ اِبْقَشَ وَالْاِثْنَانِ لِكَلِمَةِ بَكَرَ وَالثَّلَاثَةُ لِكَلِمَةِ جُلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى التَّاسِعَةِ  
الَّتِي هِيَ طَضَعَ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْعَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأَسْمِ بِتِسْعَةِ نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
مِنْهُ فِي أَيْ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بَدَلًا مِنْ حُرُوفِ الْأَسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْعَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَقُولُونَ كَذَلِكَ بِالْأَسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجَيْنِ  
بِمَا قَدَّمَاهُ وَالسِّرِّ فِي هَذَا بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِي مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنْ عُقُودِ الْأَعْدَادِ يَطْرَحُ  
تِسْعَةً إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَكَأَنَّهُ يُجْمَعُ عَدَدُ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
الْعُقُودِ كَأَنَّهَا أَحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْعَشْرَيْنِ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اِثْنَانِ  
وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ وَالْثَلَاثُمِائَةُ وَالْثَلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فَوُضِعَتْ  
الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَالَّةٌ عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لَا غَيْرَ وَجُعِلَتْ الْحُرُوفُ الدَّالَّةُ عَلَى أَصْنَافِ  
الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْآحَادِ وَالْعَشْرَاتِ وَالْمِئِينَ وَالْأَلُوفِ<sup>(١)</sup> وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سِوَاهُ دَلٌّ عَلَى الْآحَادِ أَوْ الْعَشْرَاتِ أَوْ الْمِئِينَ  
فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عِوَضًا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَتُجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا قُلْنَا  
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمُنْدَاوَلُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِينَاهُ مِنْ شَيْوَحُنَا  
يَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةً مَكَانَ هَذِهِ وَمُتَوَالِيَةٌ كَتَوَالِيهَا وَيَقُولُونَ  
بِهَا فِي الطَّرْحِ بِتِسْعَةٍ مِثْلَ مَا يَقُولُونَهُ بِالْأُخْرَى سِوَاهُ وَهِيَ هَذِهِ اِرْبَ يَسْفَكُ جَزِلْطُ مَدُوصُ  
هَفُ تَحْذَنُ عَشْ خَعُ تَضْطُ تِسْعَ كَلِمَاتٍ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ فِيهَا الثَّلَاثِيُّ وَالرُّبَاعِيُّ وَالْثَّنَائِيُّ وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مُطَرِّدٍ كَمَا  
يَتَرَاهُ لَكِنْ كَانَ شَيْوَحُنَا يَقُولُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْمَغْرِبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السَّحِيَاءِ  
وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنَّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ النَّبَّاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهَذِهِ

(١) قولة المألوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه

الْكَلِمَاتِ فِي طَرَحِ حِسَابِ الْبَيْتِ أَسْعُ مِنْ أَعْمَلِ بِكَلِمَاتِ ابْقِش وَأَلَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ  
 ذَلِكَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَدَارِكُ الْغَيْبِ غَيْرَ مَعْرُوفٍ إِلَى أَرِسْطُو عِنْدَ الْمُتَحَقِّقِينَ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 الْآرَاءِ الْبَعِيدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ وَالْبَرْهَانِ بِشَهْدِكَ بِذَلِكَ تَصَفِّحْهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ  
 الزُّسُوحِ اهـ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الصَّنَاعِيَّةِ لَا سَخْرَاجَ الْغُيُوبِ فِيمَا يَرْتَعِمُونَ الزَّايِرَةَ  
 الْمُسَامَةَ بِزَايِرَةِ الْعَالَمِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ السَّبَّيْ فِي أَعْلَامِ  
 الْمُتَصَوِّفَةِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّادَةِ بِمَرَاكِشٍ وَلَعْدًا أَبِي بَعْقُوبَ الْمُتَّصِرِ  
 مِنْ مُلُوكِ الْمُوحِدِينَ وَهِيَ غَرِيبَةُ أَعْمَلِ صِنَاعَةٍ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاضِ يُوَلَّعُونَ بِإِفَادَةِ  
 الْغَيْبِ مِنْهَا بِعَمَلٍ الْمَعْرُوفِ الْمَكْفُوزِ فَحِرْضُونَ بِذَلِكَ عَلَى حَلِّ رَزْوِهِ وَكَشَفِ غَامِضِهِ  
 وَصُورَتِهَا الَّتِي يَقَعُ أَعْمَلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي دَاخِلِهَا دَوَائِرُ مُتَوَازِيَةٌ لِلْأَفْلَاقِ  
 وَالْعُنَاصِرِ وَالْمَكُونَاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ وَالْعُلُومِ  
 وَكُلُّ دَائِرَةٍ مَقْسُومَةٌ بِأَقْسَامٍ فَلِكُلِّهَا إِمَّا الْبُرُوجُ وَإِمَّا الْعُنَاصِرُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَخُطُوطُ  
 كُلِّ قِسْمٍ مَارَّةٌ إِلَى الْمَرْكَزِ وَيُسَمُّونَهَا الْأَوْتَارَ وَعَلَى كُلِّ وَتَرٍ حُرُوفٌ مُتَابِعَةٌ مُوضَعَةٌ  
 فِيهَا بِرُشُومٍ <sup>(١)</sup> الزَّمَامُ الَّتِي هِيَ أَشْكَالُ الْأَعْدَادِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوَاوِينِ وَالْحِسَابِ بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذَا أَلْهَدُ وَمِنْهَا بِرُشُومِ الْغُبَارِ الْمُتَعَارِفَةِ فِي دَاخِلِ الزَّايِرَةِ وَبَيْنَ الدَّوَائِرِ أَسْمَاءُ الْعُلُومِ  
 وَمَوَاضِعُ الْأَكْوَانِ وَعَلَى ظَاهِرِ الدَّوَائِرِ جَدُولٌ مُتَكَثِّرُ الْبُيُوتِ الْمُتَقَاطِعَةُ طَوَّلًا وَعَرْضًا  
 يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ نَيْتًا فِي الْفَرْضِ وَمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ فِي الطَّوْلِ جَوَانِبُ مِنْهُ  
 مَعْمُورَةُ الْبُيُوتِ تَارَةً بِالْعَدَدِ وَآخَرَى بِالْحُرُوفِ وَجَوَانِبُ خَالِيَةٌ الْبُيُوتِ وَلَا تَعْلَمُ نِسْبَةَ  
 تِلْكَ الْأَعْدَادِ فِي أَوْضَاعِهَا وَلَا الْقِسْمَةَ الَّتِي عَيَّنَتِ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةَ مِنَ الْخَالِيَةِ وَحَافَاتُ  
 الزَّايِرَةِ آيَاتٌ مِنْ عَرُوضِ الطَّوِيلِ عَلَى رَوِيِّ اللَّامِ الْمَنْصُوبَةِ اتَّضَعُ صُورَةُ أَعْمَلِ  
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَطْلُوبِ مِنْ تِلْكَ الزَّايِرَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْأَلْفَاظِ فِي عَدَمِ الْوُضُوحِ  
 وَالْجَلَاءِ وَفِي بَعْضِ جَوَانِبِ الزَّايِرَةِ نَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ مُنْسُوبٌ لِبَعْضِ أَكْبَرِ أَهْلِ الْخُدَّانِ  
 بِالْمَغْرِبِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ وَهَبٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَشْبِيلَةَ كَانَ فِي الدَّوْلَةِ اللَّثْنُونِيَّةِ وَبَصُّ الْبَيْتِ  
 سُؤَالٌ عَظِيمٌ خَلَقِي حَزَنٌ فَضُنْ إِذَنْ غَرَائِبُ شَكٍّ ضَبَطُهُ الْجِدُّ مَثَلًا  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَتَدَاوِلُ عِنْدَهُمْ فِي أَعْمَلِ لَاسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الزَّايِرَةِ

(١) قوله : يشدم اي موضوعة بضم راء جمع رشم باشين المججمة اهـ

وغيرها فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا إلى الزايرة ثم إلى الورى المكنن فيها بالبرج الطالع من أوله مارا إلى المركز ثم إلى محيط الدائرة بقالة الطالع فباخذون جميع الحروف المكنونة عليه من أوله إلى آخره والأعداد المرسومة بينهما وبصبرونها حروفا بحساب الجمل وقد يتقنون أحادها إلى العشرات وعشراتها إلى المئين والعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الورى المكنن بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والأعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتجاوزونه إلى المحيط ويتقنون بالأعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى الحروف الأخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضبرون عدد درج الطالع في أس البرج وأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب فإنه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضبرونه في عدد آخر يسمنونه الأس الأكبر والدور الأصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت ويتقنون منه ما يتقنون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمنونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتوالت على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك ابن وهيب المتقدم حسبا نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقون على استخراج الغيب منها تلك الأعمال ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافقي الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث اللفظ والتوافقي في الخطاب حتى يكون

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ  
الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ وَالْخُذُولِ فِي الْجَدُولِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ  
الْأَعْدَادِ الْمَفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْجَدُولِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمُعَاوَدَةُ  
ذَلِكَ فِي الْأَدْوَارِ الْمَعْدُودَةِ وَمُقَابَلَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ  
وَقَدْ بَقِيَ الْإِطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الْأَذْكِيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةُ  
الْمُجْهُولِ فَالتَّنَاسُبُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الْحُصُولِ عَلَى التَّحْقِيقِ مِنَ الْمَعْلُومِ الْخَاصِلِ  
لِلنَّفْسِ وَطَرِيقُ الْحُصُولِ سَيِّمًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً عَلَى الْقِيَاسِ وَزِيَادَةً  
فِي الْفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْلِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَنْسَبُونَ هَذِهِ الزَّائِرِجَةَ  
فِي الْغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَهِيَ مَنَسُوبَةٌ لِلْسَّبْتِ وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أُخْرَى مَنَسُوبَةٍ لِسَهْلِ  
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَآمَرِي إِنَّهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ وَالْمُعَانَاةِ الْعَجِيبَةِ وَالْجَوَابِ الَّذِي  
يَخْرُجُ مِنْهَا فَالسِّرُّ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّهُ هُوَ الْمُقَابَلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
وَلِهَذَا يَكُونُ النَّظْمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَبَدَلُ عَلَيْهِ أَنَا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
ذَلِكَ أَسْقَطُوا فِيهَا الْمُقَابَلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَخْرُجِ الْجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ  
عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيَّقُوا مَدَارِكُهُمْ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَفُتُوذِهِ  
إِلَى الْمَطْلُوبِ فَيُنْكِرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّخَيَّلَاتِ وَالْإِبْهَامَاتِ وَأَنْ صَاحِبَ  
الْعَمَلِ يَثْبُتُ حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي يَنْظِمُهُ كَمَا يُرِيدُ بَيْنَ أَثْنَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ  
وَيَفْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونٍ ثُمَّ يَجِيءُ بِالْبَيْتِ وَيُؤْمَرُ أَنْ أَعْمَلَ جَاءَ  
عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضَبِطَةٍ وَهَذَا الْحِسَابُ تَوْهُمٌ فَاسِدٌ حَمَلٌ عَلَيْهِ الْقُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالتَّفَاوُثِ بَيْنَ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ وَلَكِنْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
مُدْرِكٍ إِنْكَارُ مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِ إِدْرَاكُهُ وَبِكُفَيْنَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ الْعَمَلِ بِهَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَالْحَدْسُ الْقَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَرَّدٍ وَقَانُونٍ صَحِيحٍ لَا مَرَّةٍ فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
يُكَثِّرُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ ذِكَاةٌ وَحَدْسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُعَايَاةِ فِي الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ  
أَوْضَحُ الْوَاضِحَاتِ يَعْسرُ عَلَى الْفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِبُعْدِ النَّسَبَةِ فِيهِ وَخِفَائِهَا فَمَا ظَنُّكَ بِمِثْلِ  
هَذَا مَعَ خِفَاءِ النَّسَبَةِ فِيهِ وَغَرَابِهَا فَلَنْدَكُرُ مَسْئَلَةَ مِنَ الْمُعَايَاةِ بِتَضَيُّعِ لِكَ بِهَا شَيْءٌ مِمَّا  
ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عَدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ

الْفُلُوسُ ثُمَّ أَجْمَعَ الْفُلُوسُ إِلَيَّ أَخَذْتُ وَاشْتَرَيْتُ بِهَا طَائِرًا ثُمَّ اشْتَرَيْتُ بِالْدَّرَاهِمِ كُلَّهَا طَيْرًا  
يَسِيرُ ذَلِكَ الطَّائِرُ فَكَمْ الطُّيُورُ الْمُشْتَرَاةُ بِالْدَّرَاهِمِ الْجَوَابُ أَنِ أَقُولُ هِيَ تِسْعَةٌ لِأَنَّكَ  
تَعْلَمُ أَنَّ فُلُوسَ الدَّرَاهِمِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ ثَمَنُهَا وَأَنَّ عِدَّةَ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ  
ثَمَانِيَةٌ فَإِذَا جُمِعَتِ الثَّمَنُ مِنَ الدَّرَاهِمِ إِلَى الثَّمَنِ الْآخَرِ فَكَانَ كُلُّهُ ثَمَنَ طَائِرٍ فَهِيَ  
ثَمَانِيَةٌ طَيْرٌ عِدَّةُ أَثْمَانِ الْوَاحِدِ وَتَزِيدُ عَلَى الثَّمَانِيَةِ طَائِرًا آخَرَ وَهُوَ الْمُشْتَرَى بِالْفُلُوسِ  
الْمَأْخُودَةِ أَوَّلًا وَعَلَى سِعَرِهِ اشْتَرَيْتُ بِالْدَّرَاهِمِ فَتَكُونُ تِسْعَةٌ فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ خَرَجَ  
لَكَ الْجَوَابُ الْمَضْمُونُ بِسِرِّ التَّنَاسُبِ الَّذِي بَيْنَ أَعْدَادِ الْمَسْئَلَةِ وَالْوَقْمِ أَوَّلُ مَا يَلْقَى  
إِلَيْكَ هَذِهِ وَأَمَّا هَذَا إِنَّمَا يَجْعَلُهُ مِنْ قِبَلِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَظَهَرَ أَنَّ التَّنَاسُبَ  
بَيْنَ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ بِمَجْهُولِهَا مِنْ مَعْلُومِهَا وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْوَقَائِعِ الْخَاصَّةِ فِي  
الْوُجُودِ أَوِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْكَائِنَاتُ الْمُسْتَقْبَلَةُ إِذَا لَمْ تَعْلَمْ أَسْبَابُ وَقُوعِهَا وَلَا تَبَيَّنَ لَهَا  
خَبَرٌ صَادِقٌ عَنْهَا فَهُوَ غَيْبٌ لَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَالْأَعْمَالُ الْوَقَاعَةُ  
فِي الزَّائِرَةِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ الْفَاطِ السُّؤَالِ لِأَنَّهَا كَمَا رَأَيْتَ  
اسْتِنْبَاطَ حُرُوفٍ عَلَى تَرْتِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ بَعِيْنَهَا عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ وَمِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا  
هُوَ مِنْ تَنَاسُبٍ بَيْنَهُمَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ بَعْضُ دُونَ بَعْضٍ فَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ التَّنَاسُبَ تَبَسَّرَ عَلَيْهِ  
اسْتِخْرَاجُ ذَلِكَ الْجَوَابِ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ وَالْجَوَابُ بَدَلٌ فِي مَقَامٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ مَوْضُوعُ  
الْفَاطِ وَتَرَكَيبِهِ عَلَى وَقُوعِ أَحَدِ طَرَفِي السُّؤَالِ مِنْ تَقْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ  
الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَلْ إِنَّمَا يَرْجِعُ لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا فِي الْخَارِجِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى  
مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَلِ الْبَشَرُ مُحْجُوبُونَ عَنْهُ وَقَدْ اسْتَأْنَزَلَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ



## الفصل الثاني

في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات

### الفصل الاول

في ان احوال البدو والحضر طبيعية

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشط قبل الحاجة والكفاي فتمهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة ومنهم من يتجمل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل والودود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الخواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوة والكن والذف انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بقاء العيش من غير مزيد عليه للبحر عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتجملين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الافوات والملابس والتأني فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتخضر ثم تزايد احوال الرفه والدعة فتجني عوائد الترف البالغة مبالغها في التأني في علاج القوة واستجداد المطابخ وانتفاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والدياج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتها في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويملأون في صرحها وبياضها ويتخلفون في استجداد ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس او فراش او انية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتجمل في معاشه الصنائع ومنهم من يتجمل التجارة



وَتَكُونُ مَكَاسِبُهُمْ أَنْعَى وَأَرْفَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ وَمَعَاشُهُمْ عَلَى نِسْبَةٍ وَجَدِهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرَ طَبِيعَةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبعي<sup>٥</sup>

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُنْتَحِلُونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْقَلْحِ وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنْبَتِهِمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ الْأَنْوَاتِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْفَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرَ مُنْجَدٍ إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ الْأَسْتِظْلَالِ وَالْكُنْ لَا مَا وَرَاءَهُ وَقَدْ بَاوُونَ إِلَى الْغَيْرَانِ وَالْكُهُوفِ وَأَمَا أَقْوَانُهُمْ فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا بِسِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بِغَيْرِ عِلَاجٍ الْبَتَّةَ إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ فِي الزَّرْعَةِ وَالْقِيَامِ بِالْقَلْحِ كَانَ الْمَقَامُ بِهِ أَوَّلَى مِنَ الطَّغْنِ وَهَؤُلَاءِ سُكَّانُ الْمَدَرِ وَالْقَرْىِ وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبَرِّ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ فَهُمْ ظُعُونٌ فِي الْأَغْلِبِ لَا زِيَادَ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ لِحَيَوَانَاتِهِمْ فَالْتَقَلُّبُ فِي الْأَرْضِ أَصْلَحَ بِهِمْ وَيُسَمَّوْنَ شَاوِيَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُبْعَدُونَ فِي الْفَقْرِ لِفَقْدَانِ الْمَسَارِحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْبَرِّ وَالتَّرْكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ التَّرْكُمَانِ وَالصَّقَالِبَةِ وَأَمَا مَنْ كَانَ مَعَاشُهُمْ فِي الْأَيْلِ فَهُمْ أَكْثَرُ ظُعْنًا وَأَبْعَدُ فِي الْفَقْرِ مَجَالًا لِأَنَّ مَسَارِحَ التَّلُولِ وَتِبَاتَهَا وَشَجَرَهَا لَا يَسْتَعْنِي بِهَا الْأَيْلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَاعِي الشَّجَرِ بِالْفَقْرِ وَوُزُودِ مِيَاهِهِ الْمَلْحَةِ وَالتَّقَلُّبِ فَضَلَ الشَّاءِ فِي نَوَاحِيهِ فِرَارًا مِنْ أَدَى الْبَرِّ إِلَى دَفءِ هَوَائِهِ وَطَلَبًا لِمَا خِصَّ النَّتَاجُ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْأَيْلُ أَضْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فَصَالًا وَمَخَاضًا وَأَحْوَجَهَا فِي ذَلِكَ إِلَى الدَّفءِ فَاضْطَرُّوا إِلَى إِبْعَادِ الشَّجْعَةِ وَزُبْمَا زَادَتْهُمْ الْحُلُمِيَّةُ عَنِ التَّلُولِ أَيْضًا نَأَوْغَلُوا فِي الْقَفَارِ نَفَرَةً عَنِ الضَّعَةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَحُّشًا وَيَتَزَلُّونَ مِنَ أَهْلِ الْحَوَاضِرِ مِثْلَةَ الْوَحْشِ غَيْرَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمُقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانِ التَّجَمُّمِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعَرَبُ وَفِي مَعْنَاهُمْ ظُعُونُ الْبَرِّ وَزَنَاتُهُ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادُ وَالتَّرْكُمَانُ وَالتَّرْكُ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ نَجْمَةً وَأَشَدُّ بِدَاوَةً لِأَنَّهُمْ مُخْتَصُونَ بِالْقِيَامِ عَلَى

أَلَا بَلْ فَقَطْ وَمَوْلَاءَ يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَكُلَّى الشَّيْءِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِيلَ الْعَرَبِ طَبِيعِي لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْعُمُرَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران

والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدُوَّ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمُ الْعَاجِزُونَ عَمَّا فَوْقَهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَنُونَ بِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَالْكَمَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ وَسَابِقٌ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ وَالْكَمَالِيِّ فَرْعٌ نَاشِئٌ عَنْهُ فَلَبَدُوا أَصْلُ لِلْمَدْنِ وَالْحَضَرَ وَسَابِقٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَمَالِ وَالتَّرَفِ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيَّ حَاصِلًا فَخُشُونَهُ الْبِدَاوَةَ قَبْلَ رِقَّةِ الْحَضَارَةِ وَلِهَذَا نَجِدُ التَّمَدُّنَ غَايَةَ لِلْبَدْوِيَّ يَجْرِي إِلَيْهَا وَيَنْتَهِي بِسَبِيلِهِ إِلَى مُقْتَرَحِهِ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيَاشِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعْوَةِ وَأَمَكَّنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْقَبَائِلِ الْمُتَبَدِّلَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَتَشَوَّفُ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا أَوْ لِنَقْصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدُوَّ أَصْلُ لِلْحَضَرَ وَمُقَدِّمٌ عَلَيْهِ أَنَا إِذَا فَتَشْنَا أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوَّلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ الَّذِينَ يَنَاجِيهِ ذَلِكَ الْمِصْرُ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعْوَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي فِي الْحَضَرِ وَذَلِكَ بَدَلٌ عَلَى أَنَّ أَحْوَالِ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلُ لَهَا فَتَفْهَمُهُ ثُمَّ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَدُوِّ وَالْحَضَرَ مُتَّفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جِنْسِهِ قَرَبٌ حَتَّى أَعْظَمُ مِنْ حَتَّى وَقَبِيلُهُ أَعْظَمُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٌ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٌ أَكْثَرُ عُمُرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وُجُودَ الْبَدُوِّ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْمَدْنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلُ لَهَا بِمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَدْنِ وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ التَّرَفِ وَاللَّذَّةِ الَّتِي فِي مُتَأَخَّرَةٍ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وَسَبِيَهُ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى كَانَتْ مُنْهَبَةً لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَهُ أَوْ مَجَسَّسِيَهُ وَبِقَدْرِ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا مِنْ أَحَدِ الْخَلْقَيْنِ بَعْدَ عَنِ الْآخَرِ وَيَضَعُ عَلَيْهَا أَوْ كِتْسَابَهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ إِذَا سَبَقَتْ إِلَى نَفْسِهِ عَوَائِدُ الْخَيْرِ وَحَصَلَتْ لَهَا مَلَكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَصَعَبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَا صَاحِبُ الشَّرِّ إِذَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَيْضًا عَوَائِدُهُ وَأَهْلُ الْحَضَرِ لِكَثْرَةِ مَا يُعَانُونَ مِنْ فِتْنِ الْكَلَامِ وَعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْأَقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْتُ أَنْفُسَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ وَالشَّرِّ وَبَعُدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحَيَسَةِ فِي أَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي أَقْوَالِ الْفَحْشَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَانِهِمْ وَأَهْلِ حِمَارِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَازِعُ الْحَيَسَةِ لَمَّا أَخَذَتْهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ فِي التَّظَاهُرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَأَهْلُ الْبَدْوِ وَإِنْ كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمِقْدَارِ الضَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَدَوَاعِيهَا فَعَوَائِدُهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نَسَبَتِهَا وَمَا يُحْصَلُ فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ أَقْلٌ بِكَثِيرٍ فِيهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَابْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَفُجْيَا فَيَسْهُلُ عِلَاجُهُمْ عَنْ عِلَاجِ الْحَضَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ بَيَّنَّ فِيهَا بَعْدَ أَنْ الْخَضَارَةُ فِي نَهَايَةِ الْأَعْمُرَانِ وَخُرُوجِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَنَهَايَةِ الشَّرِّ وَابْعَدَ عَنِ الْخَيْرِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْأَعْرَابَ وَقد بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى سُكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ فَأَعْلَمْتُ أَنَّ النُّعْمَةَ أَقْتَرَضَتْ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُونَهُ وَيُظَاهِرُونَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَيَعْرِضُونَ لَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْأَعْرَابِ

أَهْلُ الْبَادِيَةِ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَمَسُّهُمْ مِنْ عَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَظَاهِرَةِ  
 وَالْحِرَاسَةِ مَا لَا يَمَسُّ غَيْرَهُمْ مِنْ بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ وَقَدْ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَسْتَعِيدُونَ بِاللَّهِ  
 مِنَ الْعَرَبِ وَهُوَ سُكْنَى الْبَادِيَةِ حَيْثُ لَا تَجِبُ الْهَجْرَةُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
 حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عِنْدَ مَرَضِهِ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هُجْرَتَهُمْ وَلَا  
 تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَمَعْنَاهُ أَنَّ يُوفَّقَهُمْ لِلْمُلَازِمَةِ الْمَدِينَةِ وَعَدَمِ التَّحَوُّلِ عَنْهَا فَلَا يَرْجِعُوا  
 عَنْ هُجْرَتِهِمْ الَّتِي ابْتَدَأُوا بِهَا وَهُوَ مِنْ بَابِ الرُّجُوعِ عَلَى الْعَقَبِ فِي السَّعْيِ إِلَى وَجْهِهِ مِنَ  
 الْوُجُوهِ وَقِيلَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَاصًّا بِمَا قَبْلَ الْفَتْحِ حِينَ كَانَتْ الْحَاجَةُ دَاعِيَةً إِلَى الْهَجْرَةِ  
 لِقَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ وَحِينَ كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَاعْتَزَلُوا وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ  
 بِالْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الْهَجْرَةَ سَاقِطَةٌ حِينَئِذٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ  
 الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ إِنْشَاؤها عَنْهُمْ يُسْلِمُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَقِيلَ سَقَطَ وَجُوبُهَا عَنْهُمْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ  
 قَبْلَ الْفَتْحِ وَالْكُلُّ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ الْوَفَاةِ سَاقِطَةٌ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَقْرَبُوا مِنْ يَوْمِئِذٍ  
 فِي الْأَفَاقِ وَانْتَشَرُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فَضْلُ السُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ هَجْرَةُ فَقُولِ الْحَجَّاجِ  
 لِسَلَمَةَ حِينَ سَكَنَ الْبَادِيَةَ ارْتَدَدَتْ عَلَى عَقِيكَ تَعَرَّبَتْ نَعَى عَلَيْهِ فِي تَرْكِ السُّكْنَى  
 بِالْمَدِينَةِ بِأَلَا شَارَةَ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ الَّذِي قَدَّمَاهُ وَهُوَ قَوْلُهُ لَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
 وَقَوْلُهُ تَعَرَّبَتْ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَارَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يُهَاجِرُونَ وَأَجَابَ سَلَمَةَ  
 بِإِنْكَارِ مَا أَلْزَمَهُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْنَى لَهُ فِي الْبَدْوِ وَيَكُونُ  
 ذَلِكَ خَاصًّا بِهِ كَشَهَادَةِ خُزَيْمَةَ وَعِنَاقِ أَبِي بُرْدَةَ أَوْ يَكُونُ الْحَجَّاجُ إِنَّمَا نَعَى عَلَيْهِ  
 تَرْكَ السُّكْنَى بِالْمَدِينَةِ فَقَطْ لِعِلْمِهِ بِسُقُوطِ الْهَجْرَةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ وَاجَابَهُ سَلَمَةُ بِأَنَّ  
 أَعْنَانَهُ لِإِذْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَى وَأَفْضَلُ فَمَا آثَرُهُ بِهِ وَأَخْصَصَهُ إِلَّا لِمَعْنَى  
 عَلَيْهِ فِيهِ وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى مَدَمَّةِ الْبَدْوِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّعَرُّبِ لِأَنَّ  
 مَشْرُوعِيَّةَ الْهَجْرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ كَمَا عَلِمَتْ لِمَظَاهِرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِرَاسَتِهِ  
 لَا لِمَدَمَّةِ الْبَدْوِ فَلَيْسَ فِي النَّعْيِ عَلَى تَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ دَلِيلٌ عَلَى مَدَمَّةِ التَّعَرُّبِ وَاللَّهُ  
 سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ الْقَوَا جُنُوبُهُمْ عَلَى مَهَادِ الرَّاحَةِ وَالِدَّةِ وَأَنْتَمَسُوا  
فِي النَّعِيمِ وَالْتَرَفِ وَوَكَلُوا أَمْرَهُمْ فِي الدِّفَاعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَالِيهِمْ وَالْحَاكِمِ  
الَّذِي يَسُوسُهُمْ وَالْحَامِيَةِ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَأَسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ  
وَالْحُرُزِ الَّذِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَمِيحُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَنْفِرُ لَهُمْ صَيْدٌ فَهُمْ غَارُونَ آمِنُونَ  
قَدْ الْقُوا السِّلَاحَ وَتَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْبَالُ وَتَنَزَّلُوا مَنْزِلَةَ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ  
هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَتَوَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لَتَفَرُّدِهِمْ  
عَنِ التَّجْتَمَعِ وَتَوْحُشِهِمْ فِي الصَّوَاخِي وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَامِيَةِ وَانْتِبَازِهِمْ عَنِ الْأَسْوَارِ  
وَالْأَبْوَابِ قَائِمُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَكْلُونَهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِهِمْ  
فَهُمْ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ وَتَلْفَتُونَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرِيقِ وَيَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْهُجُوعِ  
إِلَّا غَرَارًا فِي الْعَجَالِ وَعَلَى الرَّحَالِ وَفَوْقَ الْأَفْتَابِ وَيَتَوَجَّسُّونَ لِلنَّبَاتِ وَالْمَيْعَاتِ  
وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالْبِدَاءِ مُدْلِينَ بِأَنْفُسِهِمْ وَاثْقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَأْسُ خُلُقًا  
وَالشَّجَاعَةُ سَحِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَدْفَرَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمًا  
خَالَطُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحِبُوهُمْ فِي السَّفَرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ  
أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ وَمَوَارِدِ الْمِيَاهِ وَمَشَارِعِ  
السُّبُلِ وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَائِدِهِ وَمَأْوُفِهِ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ  
وَمَزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَهَ وَعَادَةً تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ  
وَالْحِلَّةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ تَجِدُهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهية بالمتنعة منهم  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذَا ارْتَوَسَاهُ وَالْأَمْرَاءُ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ  
النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ فَمِنْ الْقَالِبِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَهَ غَيْرِهِ وَلَا يَدْرِي  
فَإِنْ كَانَتِ الْمَلَكَهَ رَفِيقَةً وَعَادِلَةً لَا يَبْعَثُ مِنْهَا حُكْمًا وَلَا مَنَعَ وَصَدَّكَ أَنَّ النَّاسَ مِنْ تَحْتِ

يَدْعَاهُ مُدْلِينَ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ جُبْنٍ وَاتَّقِينَ بَعْدَ الْوِازِعِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ  
الْإِدْلَالُ حِيلَةً لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْمَأْكَةُ وَأَحْكَامُهَا بِالْقَهْرِ وَالسُّطُورَةِ  
وَالْإِخَافَةِ فَتَكْسِرُ حِينَئِذٍ مِنْ سَوَرَةٍ بِأَسْمِهِمْ وَتَذْهَبُ النِّعْمَةُ عَنْهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنَ  
التَّكَاسُلِ فِي النَّفْسِ الْمُضْطَّهِدَةِ كَمَا نَبَّيْنَاهُ وَقَدْ نَهَى عُمَرُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ  
مِثْلِهَا لَمَّا أَخَذَ زُهْرَةُ بْنُ حَوْبَةَ سَلَبَ الْجَالُوسِ وَكَانَتْ فِيهِ ثَمَنُ خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ  
الذَّهَبِ وَكَانَ أَنْعَجَ الْجَالُوسِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ فَأَنْتَزَعَهُ مِنْهُ سَعْدٌ وَقَالَ  
لَهُ هَلَّا أَنْتَظَرْتَ فِي اتِّبَاعِي إِذْنِي وَكُتِبَ إِلَيَّ عُمَرُ بِسَأْذِنِهِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ تَعَمُّدًا إِلَى  
مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمَا صَلَّى بِهِ وَبَقِيَ عَلَيْكَ مَا بَقِيَ مِنْ حَرْبِكَ وَتَكْسِرُ فَوْقَهُ وَتَنْفُسُ  
قَلْبَهُ وَأَمْضَى لَهُ عُمَرُ سَلَبَهُ وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْأَحْكَامُ بِالْعِقَابِ فَمُذْهِبُ اللَّبَاسِ بِالْكَلْبَةِ  
لِأَنَّ وَقُوعَ الْعِقَابِ بِهِ وَلَمْ يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ بِكُنْصِهِ الْمَذَلَّةَ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ سَوَرَةٍ بِأَسْمِهِ  
يَلَا شَكَّ وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْأَحْكَامُ تَأْدِيبِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَأَخَذْتَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا أَثَرَتْ  
فِي ذَلِكَ بَعْضَ النَّبِيِّ لِمَرْبَاهُ عَلَى الْخَفَافَةِ وَالِاتِّقَادِ فَلَا يَكُونُ مُدْلًا بِبَاسِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ  
الْمُتَوَحِّشِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْبَدْوِ أَشَدَّ بَاسًا مِمَّنْ تَأْخُذُهُ الْأَحْكَامُ وَتَجِدُ أَيْضًا الَّذِينَ  
يُعَانُونَ الْأَحْكَامَ وَمَلَكَتْهَا مِنْ لَدُنْ مَرْبَاهُمْ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالدِّيَّانَاتِ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ بَاسِهِمْ كَثِيرًا وَلَا يَكَادُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَادِيَةً  
يُوجِهِ مِنْ التَّوَجُّهِ وَهَذَا شَأْنُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَنَحِّلِينَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْأَخْذِ عَنِ الْمَشَاجِرِ  
وَالْأَيْمَةِ الْمُمَارِسِينَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ فِي مَجَالِسِ الْوُقُوفِ وَالْهَيْبَةِ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ  
وَذَهَابُهَا بِالنِّعَةِ وَالْبَاسِ وَلَا تَسْتَنْكِزُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي الْعَقَابَةِ مِنْ أَخْذِهِمْ بِأَحْكَامِ  
الَّذِينَ وَالشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ بَاسِهِمْ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَاسًا لِأَنَّ الشَّارِعَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ كَانَ وَارِعُهُمْ فِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَا  
نُفِيَ عَنْهُمْ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَلَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّمُ صِنَاعِي وَلَا تَأْدِيبَ تَعْلِيمِي إِنَّمَا  
هِيَ أَحْكَامُ الَّذِينَ وَادَابُهُ الْمُتَلَقَّاةُ تَقْلًا يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا بِمَا رَسَخَ فِيهِمْ مِنْ عَقَائِدِ  
الْإِيمَانِ وَالصَّدِيقِ فَلَمْ تَزَلْ سَوَرَةٌ بِأَسْمِهِمْ مُسْتَحْكِمَةً كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَغْدِشْهَا أَظْفَارُ  
التَّأْدِيبِ وَالْحُكْمِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الشَّرْعُ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حَرْصًا  
عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوِازِعُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَبَقِينَا بِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ

وَلَمَّا تَنَاقَصَ الدِّينُ فِي النَّاسِ وَأَخَذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَارِثَةِ ثُمَّ صَارَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً يُؤْخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّادِبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْخَضَارَةِ وَخُلِقَ الْإِنْقِيَادُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَقَصَّتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَاسِ فِيهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُفْسِدَةٌ لِلْبَاسِ لِأَنَّ الْوَارِثَ فِيهَا ذَاتِي وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ بِمَا تَوَثَّرَ فِي أَهْلِ الْحَوَاضِرِ فِي ضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَخَضَعِ الشُّوْكَ مِنْهُمْ بِمَعَانِيهِمْ فِي وَلِيدِهِمْ وَكُهُولِهِمْ وَالْبَدْوِ بِمَعْزَلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِبُعْدِهِمْ عَنْ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْآدَابِ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الْمُعَلِّمِينَ وَالتَّوَالِمِينَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدَّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقْلُهُ عَنْ شُرَيْحِ الْقَاضِي وَاجْتَنَبَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَأَ الْوَحْيُ مِنْ شَأْنِ الْفَطْرِ وَأَنَّهُ كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْفَطْرِ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِبُعْدِهِ عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارِفِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

### الفصل السابع

في ان سكتى البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصبية

إِعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ وَقَالَ فَالْتَمَسُوا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ أَطْلَالٍ إِلَيْهِ إِذَا أَهْمِلَ فِي مَرَعَى عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْدِهِ لِإِقْتِدَائِهِ بِالَّذِينَ وَعَلَى ذَلِكَ الْجَمْعُ الْفَعِيرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ أَخْلَاقِ الْبَشَرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَنَاعِرِ أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَارِثٌ كَمَا قَالَ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عَقَّةٍ فَلَعَلَّيْ لَا يَظْلِمُ  
فَأَمَّا الْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكْمُ وَالْدَّوْلَةُ بِمَا قَبَضُوا  
عَلَى أَيْدِي مَنْ تَخْتَنُ مِنْ الْكَافَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ يَعْدُو عَلَيْهِ فُهُمْ  
مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا  
الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاحُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْفَقْلَةِ أَوْ الْغُرَّةِ لَيْلًا  
أَوْ النَجْزِ عَنِ الْمُقَاوِمَةِ نَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ أَزْدِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ أَعْوَانِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ الْإِسْتِعْدَادِ  
وَالْمُقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَخْيَاهُ الْبَدْوِ فَيَزِعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مَشَاخِيْمُهُمْ وَكِبَرُؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نَفْسِ السَّكَاتَةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالْتَجَلَّةِ وَأَمَّا حَالُهُمْ فَإِنَّمَا يَدُودُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةٍ  
 الْحَيِّ مِنْ اتِّجَادِهِمْ وَفَتَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصْدُقُ دِفَاعُهُمْ وَدِيَادُهُمْ  
 إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ تَشَدَّدَ شَوْكَتُهُمْ وَيَخْشَى جَانِبُهُمْ  
 إِذْ نَعَزَهُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أَهْمٌ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّقَةِ  
 وَالشُّعْرِ<sup>(١)</sup> عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَفُرْبَاهُمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
 التَّعَاوُدُ وَالتَّنَادُرُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
 يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَيِّهِ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذْ لَاحْسِرُونَ  
 وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَوَهَّمُ الْعُدُوَانُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وَجُودِ الْعُصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمَتَفَرِّدُونَ فِي  
 أَنْسَابِهِمْ فَقَلٌّ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نَعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوُّ بِالشَّرِّ يَوْمَ  
 الْحَرْبِ نَسَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَغْيِ النِّجَاةِ لِنَفْسِهِ خِيفَةً وَاسْتِيحَاشًا مِنَ التَّخَالُفِ فَلَا  
 يَقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سُكْنَى الْفَقْرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَمِهُمُ مِنَ  
 الْأَئِمَّةِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي تَحْتَاجُ لِلْمُدَاعَفَةِ وَالْحِمَايَةِ فِيمِثْلِهِ  
 يَتَبَيَّنُ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهِ مِنْ نُبُوَّةٍ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذْ بُلُوغُ  
 الْغَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالْقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْإِسْتِعْصَاءِ وَلَا  
 بُدَّ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْعُصْبَةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا تَقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
 بَعْدَ وَ اللَّهِ الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصبة انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناها

وَذَلِكَ أَنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ طَبِيعِي فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَمِنْ صَلَاتِهَا النُّعْرَةُ عَلَى ذَوِي  
 الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَتَأَلَّمُوا ضَمًّا أَوْ تُصِيبَهُمْ هَلَكَةٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ  
 غَضَاضَةً مِنْ ظَلَمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعَدَاءُ عَلَيْهِ وَبُودٌ لَوْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ  
 وَالْمَهَالِكِ نَزْعًا طَبِيعِيَةً فِي الْبَشَرِ مَذْكَوًّا فَإِذَا كَانَ النَّسَبُ الْمُتَوَاصِلَ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
 قَرِيبًا جَدًّا بَحِثْ حَصَلَ بِهِ الْإِتِّمَادُ وَالْإِتِّعَامُ كَانَتْ الْوَصْلَةُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
 بِمَعْرِجَتِهَا وَوُضُوحِهَا وَإِذَا بَعُدَ النَّسَبُ بَعْضُ الشَّيْءِ قَرِيبًا تَنَوَّسِيَ بَعْضُهَا وَبَقِيَ مِنْهَا شَهْرَةٌ

(١) العرة والنعار: الضم فيهما والنمير الصراخ والصباح في حرب او شركا في القاموس



فَتَحْمِلُ عَلَى النُّصْرَةِ لِدَوِي نَسَبِهِ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَارًا مِنَ الْفَضَاةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُ فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مُتَسَوِّبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْخَلْفُ إِذْ تُعْرَفُ كُلُّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِ وَلَايَتِهِ وَحَلْفِهِ لِلْأَلْفَةِ الَّتِي تَلْقَى النَّفْسَ مِنْ أَهْضَامٍ جَارِهَا أَوْ قَرِيبَهَا أَوْ  
تَسِيلِبَهَا بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لَحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا  
تَصْلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَايَدَتْهُ هَذَا الْإِلْتِمَامُ الَّذِي يُوجِبُ صَلَةَ  
الْأَرْحَامِ حَتَّى تَنْفَعِ الْمُنَاصَرَةُ وَالشُّعْرَةُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ إِذِ النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِي  
لَا جَقِيقَةً لَهُ وَتَفْهَمُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوُصْلَةِ وَالْإِلْتِمَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا وَاضِحًا حَمَلَ  
النُّفُوسَ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ الشُّعْرَةِ كَمَا قُلْنَا هُوَ إِذَا كَانَ إِنَّمَا بِسْتِفَادٍ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعُفَتْ  
فِيهِ أَلْوَنُهُ وَذَهَبَتْ فَايَدَتْهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ مَجَانًا وَمِنْ أَعْمَالِ اللَّهِو الْمَنْهِي عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْإِعْتِبَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمُ النَّسَبُ عَلِيمٌ لَا يَنْفَعُ وَجْهَالَهُ لَا تَضُرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قِبَلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَايَدُهُ أَلْوَنُهُ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَانْتَفَتْ  
الشُّعْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْعَصِيَّةُ فَلَا مَنْفَعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب

ومن في معنهم

وَذَلِكَ لِمَا اخْتَصَوْا بِهِ مِنْ نَكْدِ الْعَيْشِ وَشَطَفِ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَلَتْهُمْ  
عَلَيْهَا الضَّرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْقِسْمَةَ وَهِيَ لِمَا كَانَ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْإِيلِ  
وَنِتَاجِهَا وَرِعَايَتِهَا وَالْإِيلِ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ لِرِعِيَّتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَنِتَاجِهَا فِي  
رِمَالِهِ كَمَا تَقْدَمُ وَالْقَفْرِ مَكَانُ الشُّطَفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمْ الْفَأُ وَعَادَةً وَرَبِيتَ فِيهِ  
أَجْبَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجِيلَةً فَلَا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْمِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْتِسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْبَالِ بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَأَمْنَكُهُ ذَلِكَ لِمَا تَرَكَهُ فَيُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ مَحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَاعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَيَاَنَهُ وَتَقِيفُ وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَذِيلٍ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ مِنْ خِرَازَةِ لِمَا كَانُوا أَهْلَ شَطَفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ

وَلَا خَرَجَ وَبَعْدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْأَدَمِ وَالْحُجُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَنْسَابُهُمْ مَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلَهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شَوْبٌ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِالْثَّلُولِ وَفِي مَعَادِنِ الْخَضِبِ الْمَرَاعِي وَالْعَيْشِ مِنْ حَبِيرٍ وَكَهْلَانٍ مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ  
 وَغَسَّانٍ وَطَيٍّ وَفَضَاعَةٍ وَإِبَادٍ فَأَخْتَلَطَتْ أَنْسَابُهُمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 يُوْتُهُمْ مِنَ الْخِلَافِ عِنْدَ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْجُمٍ وَخَالِطِيهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ الْحِفَاظَةَ عَلَى النَّسَبِ فِي يُوْتِهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَبِطِ السَّوَادِ إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرَبَةٍ كَذَا هَذَا أَيْ مَا حَقَّ هُوَ لَا الْعَرَبُ أَهْلُ الْأَرْيَافِ مِنَ الْأَزْدِ حَامٍ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمَرَاعِي الْخَضِيبَةِ فَكَثُرَ الْإِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْأَنْتِمَاءُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيُقَالُ جُنْدٌ قَسْرِيْنِ جُنْدٌ  
 دِمَشْقِي جُنْدٌ الْعَوَاصِمِ وَاتَّقَلَّ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِأَطْرَاحِ الْعَرَبِ أَمْرُ النَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لِاخْتِصَامِهِمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عُرِفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةً  
 زَائِدَةً عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيِّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَمْرَائِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْإِخْتِلَاطُ فِي الْخَوَاصِرِ مَعَ الْأَنْجُمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتْ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ ثَمَرَتُهَا مِنَ الْعَصْبِيَّةِ فَاطْرَحَتْ ثُمَّ تَلَاَشَتْ  
 الْقَبَائِلُ وَدَثِرَتْ فَدَثِرَتِ الْعَصْبِيَّةُ يَدُثُورُهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْأَبْدِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةِ  
 الْبَيْتِ أَوْ حِلْفٍ أَوْ وَلَاءٍ أَوْ لِقَارٍ مِنْ قَوْمِهِ بِبَيِّنَاتٍ أَصَابَهَا فِدْعِي بِنَسَبِ هُوَلَاءَ وَبَعْدُ  
 مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ الثَّمَرَةِ وَالْقُودِ وَحَمْلِ الدِّيَّاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وَجِلَتْ ثَمَرَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هُوَلَاءَ وَمِنْ هُوَلَاءَ إِلَّا جَرِيَانُ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ اتَّحَمَ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيَقْنِي عَلَى الْأَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ وَيَتَقِيمُ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْأَنْجُمِ . وَانْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ

أَلِ الْمُنْذِرِ وَغَيْرِهِمْ بَيِّنَ لَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُ شَأْنٌ بَيِّنَةٌ فِي عَرْجَةِ بْنِ هَرَثَمَةَ لَمَّا  
وَلَاهُ عُمَرُ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوهُ أَلَا عَفَاءَ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فِينَا لَزِيْقٌ أَيْ دَخِلٌ وَلَصِيْقٌ وَطَلَبُوا  
أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ جَرِيرًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَرْجَةُ صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا  
رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا فِي قَوْمِي وَلَحَقْتُ بِهِمْ وَأَنْظَرْتُ مِنْهُ كَيْفَ اخْتَلَطَ عَرْجَةُ بِبَيْعَةٍ  
وَلَيْسَ جِلْدُهُمْ وَدُعِي بِنَسَبِهِمْ حَتَّى تَرْتَحِلَ لِلرَّئِيسَةِ عَلَيْهِمْ لَوْلَا عِلْمُ بَعْضِهِمْ بِبُشَايْحِهِ  
وَلَوْ غَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَآمَنُوا الزَّمَنَ لَتَنَوَّسِي بِالْجُمْلَةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ وَمَذْهَبٍ فَافْهَمَهُ  
وَأَعْتَبَنِي سِرَّ اللَّهِ فِي خَلْقَتِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْعُهُودِ وَاللَّهُ  
الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِعَمَلِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

### (١) الفصل الحادي عشر

في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبة

إِعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ أَوْ بَطْنٍ مِنَ الْقَبَائِلِ وَإِنْ كَانُوا عَصَابَةً وَاحِدَةً لِنَسَبِهِمُ الْعَامِّ  
فَفِيهِمْ أَيْضًا عَصَبَاتٌ أُخْرَى لِأَنْسَابٍ خَاصَةٍ هِيَ أَشَدُّ اتِّحَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
عَشِيرٍ وَاحِدٍ أَوْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ إِخْوَةِ بَنِي أَبِي وَاحِدٍ لَا مِثْلُ بَنِي الْعَمِّ الْأَقْرَبِينَ أَوْ  
الْأَبْعَدِينَ فَهَذَا أَقْعَدُ بِنَسَبِهِمُ الْخُصُوصِ وَيُشَارِكُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَصَائِبِ فِي  
النَّسَبِ الْعَامِّ وَالْعَرَّةِ نَفَعُ مَنْ أَهْلُ نَسَبِهِمُ الْخُصُوصِ وَمِنْ أَهْلِ النَّسَبِ الْعَامِّ إِلَّا أَنَّهُ  
فِي النَّسَبِ الْخَاصِ أَشَدُّ اقْتِرَابُ اللَّحْمَةِ وَالرَّئِيسَةِ فِيهِمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي نَصَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
وَلَا تَكُونُ فِي الْكُلِّ وَلَمَّا كَانَتِ الرَّئِيسَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْغَلَبِ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ عَصَبَةً  
ذَلِكَ النَّصَابِ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْعَصَائِبِ لِيَقَعَ الْغَلَبُ بِهَا وَلْتَمِ الرَّئِيسَةُ لِأَهْلِهَا فَإِذَا وَجَبَ  
ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الرَّئِيسَةَ عَلَيْهِمْ لَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ الْخُصُوصِ بِأَهْلِ الْغَلَبِ  
عَلَيْهِمْ إِذْ لَوْ خَرَجَتْ عَنْهُمْ وَصَارَتْ فِي الْعَصَائِبِ الْأُخْرَى النَّازِلَةِ عَنْ عَصَابَتِهِمْ فِي  
الْغَلَبِ لَمَّا تَمَّتْ لَهُمُ الرَّئِيسَةُ فَلَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ مُتَنَافِلَةً مِنْ فُرُوعٍ مِنْهُمْ إِلَى  
فُرُوعٍ وَلَا تَنْتَقِلُ إِلَّا إِلَى الْأَقْوَى مِنْ فُرُوعِهِ لِمَا قُلْنَا مِنْ سِرِّ الْغَلَبِ لِأَنَّ الْأَجْتِمَاعَ  
وَالْعَصَبِيَّةَ بِمِثَابَةِ الْمَزَاجِ لِلْمَتَكُونِ وَالْمَزَاجِ فِي الْمَتَكُونِ لَا يَصْلُحُ إِذَا نَكَاتَتْ

الْعَصَائِرُ فَلَا بُدَّ مِنْ غَلَبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فَهَذَا هُوَ سِرُّ اشْتِرَاطِ الْغَلَبِ فِي الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِمْرَارُ الرَّئَاسَةِ فِي النِّصَابِ الْخُصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصية لا تكون في غير نسبهم

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّئَاسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْغَلَبِ وَالْغَلَبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَلَا بُدَّ فِي الرَّئَاسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِبَةٍ لِعَصِيَّائِهِمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحَسَّتْ بِغَلَبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَبُوا بِأَلَا ذَعَانَ وَالْإِتِّبَاعِ وَالسَّاقِطِ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنِّسْبِ إِنَّمَا هُوَ مُلْصِقٌ لِرِيقِ وَغَايَةِ الْعَصَبِ لَهُ يَأْتِي لَوْلَاءُ وَالْخِلْفِ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَهُ غَلَبًا عَلَيْهِمْ أَلْبَتَّ وَإِذَا قَرَضْنَا أَنَّهُ قَدْ اتَّحَمَ بِهِمْ وَاخْتَلَطَ وَتَوَسَّيَ عَهْدُهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعَايُهُمْ بِنَسَبِهِمْ فَكَيْفَ لَهُ الرَّئَاسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِتِّحَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلَفِهِ وَالرَّئَاسَةُ عَلَى الْقَوْمِ إِنَّمَا تَكُونُ مُتَّفَقَةً فِي مَنِتِّ وَاحِدٍ تُعَيَّنُ لَهُ الْغَلَبُ بِالْعَصِيَّةِ فَالْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا الْمُلْصِقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا التِّصَافَةُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَمَنْعَهُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرَّئَاسَةِ حِينَئِذٍ فَكَيْفَ تَنُوقِلَتْ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ الْإِلْتِصَاقِ وَالرَّئَاسَةُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ موزونةً عَنْ مُسْتَحَقِّهَا لِمَا قُلْنَاهُ مِنَ التَّغْلُبِ بِالْعَصِيَّةِ وَقَدْ يَتَشَوَّفُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ إِلَى أَنْسَابٍ يَلْتَهُجُونَ بِهَا إِمَّا لَخُصُوصِيَّةِ فَضِيلَةٍ كَانَتْ فِي أَهْلِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ ذِكْرِ كَيْفَ اتَّفَقَ قَبَائِلُهُمْ إِلَى ذَلِكَ النَّسَبِ وَيَتَوَرَّطُونَ بِالِدَّعَايِ فِي شُعُوبِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يُوقِعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقُدْحِ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَالطَّعْنِ فِي شَرَفِهِمْ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَدَّعِيهِ زَنَانَةُ جُمْلَةُ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْهُ أَدْعَاةُ أَوْلَادِ رَبَّابِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِجَازِيِّينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدِ شُعُوبِ رُغْبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ مِنَ الشَّرِيدِ مِنْهُمْ لِحَقِّ جَدِّهِمْ يَبْنِي عَامِرٌ تَجَارًا يَصْنَعُ الْخَرْجَانَ <sup>(١)</sup> وَاخْتَلَطَ بِهِمْ وَالنَّحْمُ بِنَسَبِهِمْ حَتَّى رَأَسَ عَلَيْهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْحِجَازِيَّ . وَمِنْ ذَلِكَ أَدْعَاةُ بَنِي عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ تَوْحِينَ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رُغْبَةٍ فِي هَذَا النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَغَلَطًا بِاسْمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَطِيَّةِ أَبِي عَبْدِ الْقَوِيِّ وَلَمْ يَعْلَمْ دُخُولَ أَحَدٍ

مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوَلَّتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعَلَوِيِّينَ أَغْدَانِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِنِطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ الْعَلَوِيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدْعِيهِ أَبْنَاءُ زِيَّانَ مُلُوكُ تُلُمَسَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا أَشْتَهَرُ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ الْقَاسِمِ . فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمُ الزَّنَاتِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيُّ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدْعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمُ  
 بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَقَابِلُ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ فَرَّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُتَجَبِّرًا بِهِمْ فَكَيْفَ نَعْمُ لَهُ أَلَّا نَأْسَهُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ مِنْ قَبْلِ  
 أَسْمِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْوُجُودِ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَهَّمُوا أَنَّ قَاسِمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 غَيْرُ مُتَحَاجِبِينَ لِلذَّكَاءِ فَإِنَّ مَنَالَهُمْ لِلْمَلِكِ وَالْعَزَّةِ إِنَّمَا كَانَ بَعْضِيَّتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَأْدَعَاءُ  
 عَلَوِيَّةٍ وَلَا عَبَّاسِيَّةٍ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى هَذَا الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِعِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَيَسْتَهْرُ حَتَّى يَبْعُدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْ يَغْمُرَاسَانَ بْنِ زِيَّانَ  
 مُؤْتَلِّ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ يُلَغِيهِ الزَّنَاتِيَّةُ مَا مَعْنَاهُ أَمَّا الدُّنْيَا  
 وَالْمَلِكُ فَلِنَاكِهِمَا يَسُوءُونَا لِأَهْلِ النَّسَبِ وَأَمَّا تَقَعُّمُهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَعْرُودٌ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَدْعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخُ بَنِي يَزِيدَ  
 مِنْ رُغْبَةِ أَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخُ بَنِي يَدَلْتَنَ  
 مِنْ تَوْجِينَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالزَّوَادَةُ شَيْخُ رِيَّاحِ أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مَهْنَأَ أَمْرَاءُ طَبِئَاءَ بِالْمَشْرِقِ يَدْعُونَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ آدَعَاءِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ نَعْنِي أَنَّ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصَبِيَّاتِهِ فَأَعْتَبِرْهُ وَاجْتَنِبِ الْمَعَالِطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلْ مِنْ  
 هَذَا الْبَابِ الْخَلْقَ مَهْدِيٍّ الْمُوَحِّدِينَ بِنَسَبِ الْعَلَوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنَاتِ  
 أَلَّا نَأْسَهُ فِي هَرْتَمَةِ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأَسَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَشْتَهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِدْبَارِ وَدُخُولِ  
 قِبَائِلِ الْمَصَامِدَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَابِتِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية

ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرَفَ وَالْحَسَبَ إِنَّمَا هُوَ بِالْخِلَالِ وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنْ يَبْعَدَ الرَّجُلُ فِي آبَائِهِ أَشْرَافًا مَذْكُورِينَ يَكُونُ لَهُ بِوِلَادَتِهِمْ إِيَّاهُ وَالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِمْ نَجَلَةٌ فِي أَهْلِ جِلْدَتِهِ لِمَا وَقَرَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ نَجَلَةِ سَلَفِهِ وَشَرَفِهِمْ بِخِلَالِهِمُ وَالنَّاسُ فِي نَسَبَتِهِمْ وَتَنَاسُلِهِمْ مَعَادُنُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسُ مَعَادُنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا فَمَعْنَى الْحَسَبِ رَاجِعٌ إِلَى الْأَنْسَابِ وَقَدْ يَبِينُ أَنَّ شَرَفَ الْأَنْسَابِ وَقَائِدَتَهَا إِنَّمَا هِيَ الْعَصَبِيَّةُ لِلشُّعْرَةِ وَالتَّنَاصُرِ فَحَيْثُ تَكُونُ الْعَصَبِيَّةُ مَرْهُوبَةً وَالْمَنْبَتُ فِيهَا زَكِيٌّ مُعْجِي تَكُونُ فَائِدَةُ النَّسَبِ أَوْضَحَ وَتَمَرَّتْهَا أَقْوَى وَتَعْدِيدُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْأَبَاءِ زَائِدٌ فِي فَائِدَتِهَا فَيَكُونُ الْحَسَبُ وَالشَّرَفُ أَصْلِيَيْنِ فِي أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ لَوْجُودِ شَرَفِ النَّسَبِ وَتَفَاوُتِ الْبُيُوتِ فِي هَذَا الشَّرَفِ بِتَفَاوُتِ الْعَصَبِيَّةِ لِأَنَّهُ سِرُّهَا وَلَا يَكُونُ لِلْمُفْرَدِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بَيْتٌ إِلَّا بِالْحِجَازِ وَإِنْ تَوَهَّمُوا فَرُخْرَفٌ مِنَ الدَّعَاوَى وَإِذَا أَعْتَبَرْتَ الْحَسَبَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَجَدْتَ مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يُعَدُّ سَلَفًا فِي خِلَالِ الْخَيْرِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ مَعَ أَرْثُكَونَ إِلَى الْعَافِيَةِ مَا اسْتَطَاعَ وَهَذَا مُغَايِرٌ لِسِرِّ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ شَرَفُ النَّسَبِ وَتَعْدِيدُ الْأَبَاءِ لَكِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ حَسَبٌ وَبَيْتٌ بِالْحِجَازِ لِعِلَاقَةٍ مَا فِيهِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ الْمُتَعَاقِبِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَمَسَالِكِهِ وَلَيْسَ حَسَبًا بِالْحَقِيقَةِ وَعَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا بِالْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ فَيَكُونُ مِنَ الْمَشْكُوكِ الَّذِي هُوَ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِهِ أَوَّلَى وَقَدْ يَكُونُ لِلْبَيْتِ شَرَفٌ أَوَّلٌ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالْخِلَالِ ثُمَّ يَسْلَخُونَ مِنْهُ لِدَهَابِهَا بِالْخِصَارَةِ كَمَا نَقَدَّمُ وَيَخْتَلِطُونَ بِالْغَمَارِ وَيَبْقَى فِي نَفْسِهِمْ وَسُوسُ ذَلِكَ الْحَسَبِ يَعُدُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَشْرَافِ الْبُيُوتِ أَهْلِ الْعَصَائِبِ وَلَيْسُوا مِنْهَا فِي شَيْءٍ لِذَهَابِ الْعَصَبِيَّةِ جَمْلَةً وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ النَّاشِئِينَ فِي بُيُوتِ الْعَرَبِ أَوْ النُّجُمِ لِأَوَّلِ عَهْدِهِمْ مُوسُوسُونَ بِذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَا رَسَخَ الْوَسْوَاسُ فِي ذَلِكَ لِيَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَ أَهْمُ بَيْتٍ مِنْ أَكْظَمِ بُيُوتِ الْعَالَمِ بِالْمَنْبَتِ أَوَّلًا لِمَا تَعَدَّدَ فِي سَلَفِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ لَدُنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُوسَى صَاحِبِ مِلَّتِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ ثُمَّ بِالْعَصَبِيَّةِ ثَانِيًا وَمَا

أَتَاهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ انْشَلَوْا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الَّذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ فِي الْأَرْضِ وَانْفَرَدُوا بِالْاِسْتِعَادِ لِلْكَفْرِ  
آلَافًا مِنَ السِّنِينَ وَمَا زَالَ هَذَا الْوَسْوَاسُ مُصَاحِبًا لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
مِنْ نَسْلِ بُوْشَعٍ هَذَا مِنْ عَقِبِ كَالِبٍ هَذَا مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُوحِ الذِّلِّ  
فِيهِمْ مِنْذُ أَحْقَابِ مُتَطَاوِلَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِينَ فِي أَنْسَابِهِمْ  
عَنِ الْعَصِيَّةِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْهَذْيَانِ . وَقَدْ غَلِطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
الْحَسْبَ فِي كِتَابِ الْخِطَابَةِ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسْبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
قَوْمٍ قَدِيمٍ نَزَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
قَدِيمُ نَزْلِهِ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَصَابَةٌ يُرْهَبُ بِهَا جَانِبُهُ وَتَحْمِلُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
مِنْهُ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَسْبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطْ مَعَ أَنَّ الْخِطَابَةَ إِنَّمَا هِيَ اسْتِمَالَةٌ مِنْ  
بُؤْرَةِ اسْتِمَالَتِهِ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَمَّا مَنْ لَا فِدْرَةَ لَهُ الْبَتَّةَ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا  
يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمَالَةِ أَحَدٍ وَلَا يُسْتَمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنَ الْخَضِرِ يَهْدُوهُ الْمَثَابَةُ إِلَّا  
أَنَّ ابْنَ رُشْدٍ رَبًّا فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يُمَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا أَنْسَا أحوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
الْبَيْتِ وَالْحَسْبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَرَاجِعْ فِيهِ  
حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَسِرِّهَا فِي الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف للوالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم  
وَذَلِكَ أَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الشَّرَفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةَ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا اصْطَنَعَ  
أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْفُوا الْعِبْدَانِ وَالْمَوَالِيَّ وَاتَّخَمُوا بِهِ كَمَا فَعَلْنَاهُ  
ضَرَبَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ الْمَوَالِيَّ وَالْمُصْطَنَعُونَ بِنَسَبِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلِيسُوا جِلْدَتَهَا  
كَأَنَّهَا عَصَبَتُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مُسَاهَمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى اصْطِنَاعٍ وَحَلَفَ  
وَلَيْسَ نَسَبٌ وَلَا دَرَجَةٌ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ هِيَ مَبَايِنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةُ ذَلِكَ  
النَّسَبِ مَفْقُودَةٌ لِذَهَابِ سِرِّهَا عِنْدَ اتِّخَامِ بِهَذَا النَّسَبِ الْآخِرِ وَفَقْدَانِهِ أَهْلَ عَصِيَّتِهَا  
فَيَصِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيَنْدَرِجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ يَنْتَسِبُ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وَلَائِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
 أَدُونُ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
 يَشْرَفُونَ بِالرُّسُوخِ فِي وَلَاءِ الدَّوْلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّ الْأَبَاءُ فِي وَلَائِهَا أَلَّا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
 الْأَنْزَالِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوحَيْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
 الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنُوا الْجِدَّ وَالْأَصَالَ بِالرُّسُوخِ فِي وَلَاءِ الدَّوْلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى  
 بْنِ خَالِدٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ يَتَنَبَّأُ وَشَرَفًا بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى وَلَاءِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِالْإِنْتِسَابِ  
 فِي الْفَرَسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمْ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوخِ  
 فِي وَلَائِهَا وَالْأَصَالَةِ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَبِضَحْلِ نَسَبِ الْأَقْدَمِ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَقَى مُلْكِي لَا  
 عِبْرَةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَبِحِدِّهِ وَإِنَّمَا الْمُعْتَبَرُ نَسَبُهُ وَلَوْلَا وَاصْطِنَاعُهُ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصِيَّةِ  
 الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبَنَائِهِ مِنْ بَنَائِهِمْ فَلَمْ  
 يَنْفَعُهُ نَسَبُ وَلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنَى مَجْدَهُ نَسَبُ الْوَلَاءِ فِي الدَّوْلَةِ وَلُحْمَةُ الْأَصْطِنَاعِ فِيهَا  
 وَالتَّرَبُّيَّةُ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ فِي لُحْمَةِ عَصَبَتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وَلَاؤُهُ  
 وَأَصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعَهُ الْأَوَّلَى لِلْهَابِ عَصَبَتِهَا وَاتَّقِعْ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودَهَا وَهَذَا  
 حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذَا الْمَنْقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفَرَسِ مِنْ سَدَنَةِ يُوبُتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
 وَلَكَمَا صَارُوا إِلَى وَلَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ أَغْنِيَاءَ وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 وَلَايَتُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَأَصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سَوَى هَذَا قَوْمُهُ تَوَسَّسُوا بِهِ الْفُتُوسَ الْجَائِعَةَ وَلَا  
 حَقِيقَةَ لَهَا وَالْوُجُودَ شَاهِدًا بِمَا قُلْنَا وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابا

اعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ الْعَنْصُرِيُّ بِمَا فِيهِ كَانَتْ فَاسِدٌ لَا مِنْ ذَوَاتِهِ وَلَا مِنْ أَحْوَالِهِ  
 وَالْمُكَوِّنَاتُ مِنَ الْمَعْدِنِ وَالْثَبَاتِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ كَانَتْ فَاسِدَةً  
 بِالْمُعَانَبَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَعْزُضُ لَهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَخُصُوصًا الْإِنْسَانِيَّةُ فَالْعُلُومُ تَنْشَأُ ثُمَّ  
 تُدْرَسُ وَكَذَا الصَّنَائِعُ وَأَمْثَالُهَا وَالْحَسَبُ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِدْمِيقِ فَهُوَ كَانَتْ  
 فَاسِدٌ لَا مَحَالَةَ وَلَيْسَ يُوجَدُ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْخَلْقَةِ شَرَفٌ مُتَّصِلٌ فِي آبَائِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ  
 إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَامَةً بِهِ وَحِطَابَةً عَلَى السَّيْرِ فِيهِ



وَأَوَّلُ كُلِّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةٌ كَمَا قِيلَ وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الرَّئَاسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الضَّعَةِ  
وَالْإِثْدَالِ وَعَدَمُ الْحَسَبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرَفٍ وَحَسَبٍ قَدَمُهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنُ كُلِّ  
مُحَدَّثٍ ثُمَّ إِنَّ نَهَابَتَهُ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَذَلِكَ أَنَّ بَابِي الْمَجْدِ عَالِمٌ بِمَا عَانَاهُ فِي بَنَائِهِ وَحَافِظٌ  
عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي فِي أَسْبَابِ كَوْنِهِ وَبَقَائِهِ وَأَبْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لِأَيِّهِ فَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ  
وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مُقَصِّرٌ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرَ السَّامِعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمُعَانِي لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ  
الثَّلَاثُ كَانَ حَظُّهُ الْإِفْتَاءَ وَالتَّقْلِيدَ خَاصَّةً فَقَصَّرَ عَنِ الثَّلَاثِي تَقْصِيرَ الْمُتَقَلِّدِ عَنِ الْمُجْتَهِدِ  
ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَّرَ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً وَأَضَاعَ الْخِلَالَ الْحَافِظَةَ لِبَنَاءِ مَجْدِهِمْ  
وَأَحْتَقَرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ الْبَيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمُعَانَاةٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَ  
لَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ النِّشَاءِ بِجُرْدِ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْعَجَلَةِ  
بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبَبُهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيَرَى بِنَفْسِهِ  
عَنِ أَهْلِ عَصَبَتِهِ وَيَرَى الْفَضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثَوَقًا بِمَا رُفِيَ فِيهِ مِنْ اسْتِنْبَاعِهِمْ وَجَهْلًا بِمَا  
أَوْجَبَ ذَلِكَ الْاسْتِنْبَاعُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّوَاضُّعُ لَهُمْ وَالْأَخْذُ بِحُكْمِهِمْ قُلُوبِهِمْ  
فَيَحْتَقِرُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْغَضُّونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيُدِيلُونَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْتَبِ  
وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِلْإِذْعَانِ لِعَصَبَتِهِمْ كَمَا قُلْنَا بَعْدَ الْوُثُوقِ بِمَا يَرْضَوْنَهُ  
مِنْ خِلَالِهِ فَنَسْمُو فُرُوعَ هَذَا وَتَدْوِي فُرُوعُ الْأَوَّلِ وَبَنَاهُمْ بَنَاءً يَتَنَبَّهُ هَذَا فِي الْمُلُوكِ  
وَهَكَذَا فِي يَبُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الْعَصَبَةِ أَجْمَعِ ثُمَّ فِي يَبُوتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
إِذَا انْحَطَّتْ يَبُوتُ نَشَأَتْ يَبُوتُ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ إِنْ يَشَأَ بُذْهِكُمْ وَبَيَّاتٍ  
بِمَخْلُقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَاشْتَرَاطُ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَحْسَابِ إِنَّمَا هُوَ فِي  
الْغَالِبِ وَالْأَقْدَقْدِ بِدَثْرِ الْبَيْتِ مِنْ دُونِ الْأَرْبَعَةِ وَبِتَلَاثِي وَبَتَهْدِيمٍ وَقَدْ بَصَلَ أَمْرُهَا إِلَى  
الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ إِلَّا أَنَّهُ فِي انْحِطَاطٍ وَذَهَابٍ وَاعْتِبَارُ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْيَالِ  
الْأَرْبَعَةِ بَانَ وَمُبَاشِرٌ لَهُ وَمُقَلَّدٌ وَهَادِمٌ وَهُوَ أَقَلُّ مَا يُمكنُ وَقَدْ اعْتَبِرْتَ الْأَرْبَعَةَ فِي  
نَهَابَةِ الْحَسَبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ وَالنِّشَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَارَةً  
إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ النَّفَاةَ مِنَ الْمَجْدِ وَفِي التَّوَرَاةِ مَا مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ طَائِقُ غِيُورٍ مُطَالِبٌ  
بِذُنُوبِ الْأَبَاءِ لِلْبَنِينَ عَلَى الثَّوَالِثِ وَالرُّوَابِعِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَعْقَابِ غَايَةٌ

فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَانِي أَنَّ كِسْرَى قَالَ  
لِلنُّعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تَنْشَرَفُ عَلَى قَبِيلَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا أَيُّ شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مُتَوَالِيَةً رُؤُسَاهُمْ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّاجِعِ فَأَلَيْتُ مِنْ قَبِيلَتِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَهُمْ يَتُّ قَيْسٍ وَآلُ ذِي الْجُدَيْنِ يَتُّ  
شَيْبَانَ وَآلُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ كِنْدَةَ وَآلُ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ وَآلُ قَيْسٍ بْنِ عَاصِمٍ  
الْمَنْقَرِيِّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَجْمَعُ هَؤُلَاءِ الرِّهْطَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمْ  
الْحُكْمَ وَالْعُدُولَ فَقَامَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ لِقِرَابَتِهِ مِنَ النُّعْمَانِ ثُمَّ  
بَسَطَامُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَخَطَبُوا وَتَرَدُّوا فَقَالَ  
كِسْرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْنَعُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ فِي الْمَذْكُورَةِ فِي الْعَرَبِ  
بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ يَتُّ بَنِي الدُّيَّانِ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبٍ الْيَمَنِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ بَدَلٌ  
عَلَى أَنَّ الْأَزْبَعَةَ الْآبَاءَ نِهَابَةَ فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية اقدر على التغلب من سواها

إِعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدَاوَةُ سَبَبًا فِي الشَّجَاعَةِ كَمَا فُتِنَتْ فِي الْمَقْدَمَةِ الثَّالِثَةِ لَا  
جَرَمَ كَانَ هَذَا الْجِيلُ الْوَحْشِيُّ أَشَدَّ شَجَاعَةً مِنَ الْجِيلِ الْآخِرِ فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى التَّغْلِبِ  
وَأَنْزَاعِ مَا فِي أَيْدِي سَوَاهِمٍ مِنَ الْأُمَمِ بَلِ الْجِيلُ الْوَاحِدُ يَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فِي ذَلِكَ  
بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ فَكُلَّمَا نَزَلُوا الْأَزْيَافَ وَتَفَقَّوْا النَّعِيمَ وَالْفُؤَادَ عَوَائِدَ الْخِصْبِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالنَّعِيمِ نَقَصَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ تَوْحُّشِهِمْ وَبِدَاوَتِهِمْ وَاعْتَبِرْ  
ذَلِكَ فِي الْحَوَائِثِ الْفُغَمِ بِدَوَاجِنِ الطَّبَّاءِ وَالْبَقَرِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْحُمُرِ إِذَا زَالَ تَوْحُّشُهَا  
بِمُحَالَّةِ الْأَدَمِيِّينَ وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا كَيْفَ يَخْتَلِفُ حَالُهَا فِي الْإِنْتِهَاسِ وَالشَّدَةِ حَتَّى فِي  
مِشْتَبَاهِ وَحْشٍ أَدِيمِهَا وَكَذَلِكَ الْأَدَمِيُّ الْمُتَوْحُّشُ إِذَا أُنِسَ وَأَلِفَ وَسَبَبَهُ أَنْ تَكُونَ  
السَّجَايَا وَالطَّبَائِعُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْعَوَائِدِ وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ لِلْأُنْمِ إِنَّمَا يَكُونُ  
بِالْأَقْدَامِ وَالْبَسَالَةِ فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْيَالِ أَعْرَقَ فِي الْبِدَاوَةِ وَكَثُرَ تَوْحُّشُهَا  
كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّغْلِبِ عَلَى سِوَاهُ إِذَا تَقَارَبَا فِي الْعُدَدِ وَتَكَافَا فِي الْقُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ وَانْظُرْ  
فِي ذَلِكَ شَأْنٌ مُضَرٌّ مَعَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ حَمِيرٍ وَكِهْلَانِ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَلِكِ وَالنَّعِيمِ وَمَعَ

رَبِيعَةَ الْمُتَوَطِّنِينَ أَرْبَابَ الْعِرَاقِ وَنَعِيمِهِ لَمَّا بَنَى مَضَرَ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَتَقَدَّمَهُمُ الْآخَرُونَ إِلَى خَضَبِ الْعَبَشِ وَغَضَارَةِ الْعَيْمِ كَيْفَ أَرْهَقَتِ الْبَدَاوَةُ حَدَّهُمْ فِي التَّغْلِبِ قُلُوبُهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طَيٍّ وَبَنِي عَامِرٍ بَيْنَ صَعْمَةَ وَبَنِي سُلَيْمٍ بَيْنَ مَنْصُورٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مَضَرَ وَالْيَمَنِ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْبَدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَخْلُفْهَا مَذَاهِبُ التَّرَفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ بِلَى نَعِيمًا وَعَيْشًا خَصِيًّا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرِ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرَ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ سَنَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ بِهَا تَكُونُ الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيَّينَ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَتَجَانَبُونَ فِي كُلِّ أَجْمَاعٍ إِلَى وَازِعٍ وَحَاكِمٍ يَزْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَالِبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ وَإِلَّا لَمْ نَنِمُ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمَلِكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرِّئَاسَةِ لِأَنَّ الرِّئَاسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودْدٌ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُ الْعَصَبِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتْبَةِ طَلَبٍ مَا فَوْقَهَا فَإِذَا بَلَغَ رُتْبَةَ السُّودْدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتَرَكُهُ لِأَنَّهُ مَطْلُوبٌ لِلنَفْسِ وَلَا يَتِمُّ أَقْدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُتَبَوِّعًا فَالتَّغْلِبُ الْمَلِكِيُّ غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا رَأَيْتُمْ ثُمَّ إِنَّ الْقَبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ يُونَاتٌ مُفْتَرِقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ فَلَا بُدَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَبِيدُهَا وَتَأْتِيهِمْ جَمِيعُ الْعَصَبِيَّاتِ فِيهَا وَتَصِيرُ كَأَنَّهَا عَصَبِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كَبِيرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُضْطَرِيُّ إِلَى الْإِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى قَوْمٍ طَابَتْ يَطْبِعُهَا التَّغْلِبُ عَلَى أَهْلِ عَصَبِيَّةٍ أُخْرَى بَعِيدَةٍ عَنْهَا فَإِنْ كَانَتْهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا أَقْنَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوَازِنِهَا

وَقَوْمَهَا شَأْنَ الْقَبَائِلِ وَالْأَمَمِ الْمُنْفَرِقَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَاسْتَبَعَتْهَا أَلْتَحَمَتْ بِهَا أَيْضًا  
وَزَادَتْ قُوَّةً فِي الْغَلَبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ الْغَلَبِ وَالْتَحَمَ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ  
الْأُولَى وَابْعَدَ وَهَكَذَا دَائِمًا حَتَّى تُكَافِيَ بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا  
مُضَاعَفَةٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا وَانْتَزَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدِهَا وَصَارَ  
الْمَلِكُ أَجْمَعُ لَهَا وَإِنْ أَنْتَهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يَقَارِنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتَهَا  
إِلَى الْإِسْظِهَارِ بِأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ أَنْتَظَمَتْهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا تَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى مَا يَعْثُرُ مِنْ  
مَقَاصِدِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَبِدِّ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ لِلتُّرْكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي  
الْعَبَّاسِ وَلِصَنْجَاةَ وَزَنَانَةَ مَعَ كِتَامَةَ وَلِبْنِي حَمْدَانَ مَعَ مُلُوكِ الشَّيْعَةِ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ  
فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى غَايَتِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ  
إِمَّا بِالْإِسْتِبْدَادِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ الْوَقْتُ الْمَقَارِنُ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَمَ  
عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَائِقُ كَمَا نَبَّيْنَاهُ وَقَفَتْ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القبيل في النعيم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصِيَّتِهَا بَعْضَ الْغَلَبِ اسْتَوَلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِمِقْدَارِهِ  
وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْخِصْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصِيمِهِمْ وَضَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ وَحِصَّةٍ  
بِمِقْدَارِ غَلَبِهَا وَاسْتَظْهِرَ الدَّوْلَةَ بِهَا فَإِنْ كَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ بَحِثَتْ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ  
فِي انْتِزَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مُشَارَكَتِهَا فِيهِ أَذَعَنَ ذَلِكَ الْقَبِيلُ لَوْلَايَتِهَا وَالْقَنُوعَ بِمَا يَسُوعُونَ  
مِنْ نِعْمَتِهَا وَيُشْرِكُونَ فِيهِ مِنْ جِبَابَتِهَا وَلَمْ تَسْمُ أَمَالُهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا  
أَسْبَابِهِ إِنَّمَا هَمُّهُمْ النِّعَمُ وَالْكَسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالسُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى  
الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَدَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَاهِي وَالْمَلَالِسِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنْ ذَلِكَ  
وَالْمَتَانِقِ فِيهِ بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيَاشِ وَالتُّرْفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَاجِعِ ذَلِكَ فَتَذْهَبُ  
خُشُونَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُ الْعَصِيَّةُ وَالْبَسَالَةُ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيمَا أَنَاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْبُسْطَةِ وَتَنْشَأُ  
بُنُومُهُمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الرَّفْعِ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوِلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ  
وَيَسْتَكْفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الصَّرُورِيَّةِ فِي الْعَصِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقًا لَهُمْ  
وَسَجِيَّةً فَتَقْصُرُ عَصِيَّتُهُمْ وَبَسَالَتُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ يَتَعَاقَبُهَا إِلَى أَنْ تَقْرُضَ الْعَصِيَّةُ

فَيَاذُنُونَ بِالْإِنْقِرَاضِ وَعَلَى قَدَرٍ تَرَفِّهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ فَضْلًا عَنْ  
الْمَلِكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِّ وَالْفَرَقِ فِي النِّعَمِ كَاسِرٌ مِنْ سَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّغْلِبُ  
وَإِذَا انْقَرَضَتِ الْعَصِيَّةُ قَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلًا عَنْ الْمُطَالَبَةِ  
وَأَلْتَمَّتْهُمْ الْأُمُّ سِوَاهُمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَائِقِ الْمَلِكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانتقيا الى سوام  
وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْقِيَادَ كَاسِرَانِ لِسَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ وَشَدِيدَتَا فَإِنَّ أَتْقِيَاءَهُمْ  
وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فِقْدَانِهَا فَمَا رَئِعُوا لِلْمَذَلَّةِ حَتَّى عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ  
عَاجِزًا عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَأَعْتَبَ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مَلِكُهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا  
إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا أَيْ يَخْرِجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا  
يَضْرِبُ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيَّتِنَا وَتَكُونُ مِنْ عُجْزَاتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ تَجَاوَزُوا  
وَأَرْتَكَبُوا الْعُصْيَانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أُنْشِئُوا مِنْ  
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ آيَةُ وَمَا يُؤَثِّرُ فِي تَفْسِيرِهَا  
وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ الْإِنْقِيَادِ وَمَا رَئِعُوا مِنَ الدَّلِّ الْقَبِيضِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتْ  
الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِحَقِّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ  
لَهُمْ وَأَنَّ الْعِمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرِيحَا فَرِسَتَهُمْ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ قَدَرُهُ لَهُمْ فَأَقْصَرُوا  
عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُطَالَبَةِ لَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ  
خُلُقِ الْمَذَلَّةِ وَطَعَنُوا فِيهَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَاعَابَهُمُ اللَّهُ بِأَلْتِيهِ  
وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهُوا فِي قَفْرِ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا  
الْعُمُرَانِ وَلَا تَزَلُوا مِصْرًا وَلَا خَالَطُوا بَشَرًا كَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ لِعِظَمَةِ الْعِمَالِقَةِ بِالشَّامِ  
وَالْقَبِيضِ بِمِصْرَ عَلَيْهِمُ لِعَجْزِهِمْ عَنْ مَقَاوِمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَيُظْهِرُ مِنْ مَسَاقِ آيَةِ وَمَقْهُومِهَا  
أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ أَلْتِيهِ مَقْصُودَةٌ وَهِيَ فَنَاءُ الْجَبِلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَبْضَةِ الدَّلِّ وَالْقَهْرِ  
وَالْقَوَّةِ وَتَخَلَّفُوا بِهِ وَأَفْسَدُوا مِنْ عَصِيَّتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ أَلْتِيهِ جَبَلٌ آخَرُ عَزِيزٌ لَا  
يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَنَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ أُخْرَى أَقْتَدَرُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَالْتِغَابِ وَيَظْهَرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَقَلُّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَتَاهُ  
جَبِلَ وَنَشَأَ جَبِلَ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٌ عَلَى شَأْنِ الْعَصِيَّةِ  
وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَأَنَّ مَنْ فَقَدَهَا عَجَزَ  
عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْفَصْلُ فِيمَا يُوْجِبُ الْمَدْلَةَ لِلْقَبِيلِ شَأْنُ الْمَغَارِمِ  
وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَبِيلَ الْمَغَارِمِينَ مَا أُعْطُوا الْيَدَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَدْلَةِ فِيهِ لِأَنَّ  
فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِمًّا وَمَدْلَةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفْسُ إِلَّا إِذَا اسْتَهْوَتْ عَنْ الْقَتْلِ  
وَالنَّافِ وَأَنَّ عَصَابَتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصَابَتُهُ لَا  
تُدْفَعُ عَنْهُ الضَّمُّ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمُقَاوَمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِتْقَانُ لِلذَّلِّ وَالْمَدْلَةُ  
عَائِقَةٌ كَمَا قَدْ مَنَاهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَمَّا رَأَى سِكَّةَ  
الْحِجْرَاتِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الذَّلُّ فَهُوَ دَلِيلُ  
صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَغْرَمَ مُوْجِبٌ لِلذَّلَّةِ هَذَا إِلَى مَا يَصْغُبُ ذُلَّ الْمَغَارِمِ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرِ  
وَالْخُدَيْعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَ الْقَهْرِ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رِبْقَةٍ مِنَ الذَّلِّ فَلَا  
تَطْمَعَنَّ لَهَا بِمُلْكٍ آخَرَ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلَطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ  
كَانُوا شَاوِيَةً يُودُّونَ الْمَغَارِمَ لَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَاظٌ فَاحِشٌ كَمَا  
رَأَيْتَ إِذْ لَوْ قَعَّ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَنْبَ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا تَمَّتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَانْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرُ بَرَّازُ  
مَلِكُ الْبَابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ رَبِيعَةَ لَمَّا أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَسَّالَ شَهْرُ بَرَّازُ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ  
يَكُونُ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرْحَبًا بِكُمْ وَبَارَكَ  
اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَجِزَيْنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرَ لَكُمْ وَالْقِيَامُ بِمَا تَحِبُّونَ وَلَا تَذِلُّونَا بِالْجِزْيَةِ فَتُوهُونَا  
لِعَدُوِّكُمْ فَأَعْتَبِزْ هَذَا فِيمَا قُلْنَا فَإِنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لَمَّا كَانَ الْمُلْكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةٍ الْأَجْتِمَاعِ كَمَا قُلْنَا وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ وَتَوَاتُرِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقَوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمُلْكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُمَا

لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِلْبَحْوَانِ فَإِذَا خَلَالَ الْخَيْرُ فِيهِ هِيَ الَّتِي تَنَاسَبُ السِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ إِذَا  
الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ كَرَرْنَا أَنَّ الْعَبْدَ لَهُ أَصْلٌ يُبْنَى عَلَيْهِ وَتَحَقُّقٌ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصِيَّةُ وَالْعَشِيرُ وَفَرَعُ يَتِمُّ وَجُودَهُ وَيُكْمِلُهُ وَهُوَ الْخِلَالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمُلْكُ غَايَةَ لِلْعَصِيَّةِ فَهُوَ غَايَةُ لِفِرْعُوعِهَا وَمَتَمِّمَاتِهَا وَهِيَ الْخِلَالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مَتَمِّمَاتِهِ  
كَوُجُودِ شَخْصٍ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ غُرْبَانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ  
فَقَطٌّ مِنْ غَيْرِ انْتَحَالَ الْخِلَالُ الْحَمِيدَةَ نَقَصًا فِي أَهْلِ الْبُيُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنُّكَ  
بِأَهْلِ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنَهَايَةُ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالسِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ  
هِيَ كِفَالَةُ الْخَيْرِ لِلْعَلَقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَنْفِذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرَهُ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمُقَدِّرُهُمَا إِذَا لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْكَفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأُوْنِسَتْ مِنْهُ  
خِلَالُ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةُ لِتَنْفِذِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكِفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحِيَّةُ لِدَلَالَةِ هَذَا الْبَرْهَانِ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مَبْنًى فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِ الْمُلْكِ لِمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْغَلَبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي وَالْأَمْرِ فَوَجَدْنَاهُمْ  
يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْكِرَمِ وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْفَرَى لِلضُّيُوفِ وَحَمْلِ الْكُلِّ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَدْلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْخَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يَحْدُدُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ مِنَ الْأَكْبَرِ وَالْمَسَاحِيحِ وَتَوْفِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِقْبَادِ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنْصَافِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِقْبَادِ لِلْحَقِّ وَالتَّوَاضُعِ لِلْمُسْكِينِ وَاسْتِنَاعِ شَكْوَى الْمُسْتَغِيثِينَ وَالتَّنَدُّنِ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى اسْتِبَاقِهَا وَالتَّجَانُّبِ عَنِ الْقُدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ  
وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلُقُ السِّيَاسَةِ قَدْ حَصَلَتْ لِنَبِيِّهِمْ وَاسْتَحَقُّوا بِهَا  
أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَافَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مُنَاسِبٌ لِعَصِيَّتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدَى فِيهِمْ وَلَا وَجَدَ عِثًّا مِنْهُمْ وَالْمَلِكُ أَنْسَبُ  
الْمَرَاتِبِ وَالْخِزَانِ لِعَصِيَّتِهِمْ فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأَذَّنَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ وَسَافَهُ إِلَيْهِمْ  
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقَاضِ الْمَلِكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى ارْتِكَابِ  
الْمَذْمُومَاتِ وَاتِّحَالِ الرَّدَائِلِ وَسُلُوكِ طُرُقِهَا فَتَفْقَدُ الْفَضَائِلُ السِّيَاسِيَّةَ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
تَزَالُ فِي اتِّقَاصٍ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ نَعِيًّا  
عَلَيْهِمْ فِي سَلْبٍ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ آتَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرِيبَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا فَنَسْقُوا فِيهَا حَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلَ فَدَسَرْنَاَهَا تَدْمِيرًا وَاسْتَقَرَّ  
ذَلِكَ وَتَبَعَهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ تَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا قُلْنَاهُ وَرَسَمْنَاهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ الْوَالْعَصِيَّةُ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَحْسَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
وَالْغُرَبَاءِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ وَالْعَشَائِرِ  
لِمَنْ يَبَاهُضُهُمْ فِي الشَّرَفِ وَيُعَاجِزُهُمْ حَبْلُ الْعَشِيرِ وَالْعَصِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
الْجَاهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَجْعَلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرَّغْبَةَ فِي الْجَاهِ أَوْ الْخِفَافَةَ مِنْ قَوْمِ  
الْمُكْرَمِ أَوْ الْتِلَاسَ مِنْهَا مِنْهُ وَأَمَّا مِثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصِيَّةٌ تَنْقُي وَلَا جَاهٌ  
يُرْتَبِحُ فَيَنْدَفِعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كِرَامَتِهِمْ وَيَتَحَصُّ الْقَصْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلتَّجِدِ وَاتِّحَالِ  
الْكَمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِفْكَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكَلْبَةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْنَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
ضَرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ الْخَاصَّةِ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظَرَائِهِ وَإِكْرَامُ الطَّارِئِينَ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ  
وَالْخُصُوصِيَّاتِ كَمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ لِلدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ لِلْعِجَائِ إِلَيْهِمْ فِي  
إِقَامَةِ مَرَامِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّجَارِ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى نَعْمَ الْمَنْفَعَةُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالْغُرَبَاءُ مِنْ  
مُكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فَيَعْلَمُ بِوُجُودِ  
ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ اتِّمَادُهُمْ لِسِّيَاسَةِ الْعَامَةِ وَهِيَ الْمَلِكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأَذَّنَ بِوُجُودِهَا  
فِيهِمْ لَوْجُودِ عِلَامَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلُ الْمَلِكِ إِذَا تَأَذَّنَ اللَّهُ  
تَعَالَى بِسَلْبِ مَلِكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامُ هَذَا الصَّنَفِ مِنْ أَخْلَاقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الذَّهَابِ عَنْهُمْ وَارْتَقَبَ زَوَالَ الْمَلِكِ  
مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ



## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْغَلَبِ وَالْإِسْتِدَارِ كَمَا قُلْنَا هَ وَأَسْتَعْبَادِ الطَّوَائِفِ  
لَقَدَّرْتَهُمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ وَلَأَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ مِنَ الْأَهْلِينَ مَنْزِلَةَ الْمَفْتَرِسِ مِنَ  
الْحَيَوَانَاتِ أَلْبَحْمِ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ الْعَرَبِ وَزَنَانَتُهُ وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْتَرَكُمَانَ  
وَأَهْلَ اللَّثَامِ مِنْ صَنَاهِجَةٍ وَأَيْضًا هَؤُلَاءِ الْمَتَوَحِّشُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ يَرْتَافُونَ مِنْهُ وَلَا  
بَلَدٌ يَجْتَنُونَ إِلَيْهِ فَنَسَبَةُ الْإِنْفَارِ وَالْمَوَاطِنِ إِلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ فَلِهَذَا لَا يَقْتَصِرُونَ عَلَى  
مِلْكَةٍ قُطْرِهِمْ وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَ حُدُودِ أَقْفِهِمْ بَلْ يَطْفُرُونَ إِلَى  
الْأَقَالِيمِ الْبَعِيدَةِ وَيَتَغَابُونَ عَلَى الْأُمَمِ النَّائِيَةِ وَأَنْظُرْ مَا يُعْكَسَى فِي ذَلِكَ عَنْ عُمَرِ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بُوِيعَ وَقَامَ يُخْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ إِنْ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ يَدَارُ  
إِلَّا عَلَى الذُّجَعَةِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ أَيْنَ الْقُرَاهُ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللَّهِ  
سَبَرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ كُمْ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمُوهَا فَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الَّذِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِحَالِ الْعَرَبِ السَّالِفَةِ مِنْ قَبْلُ مِثْلِ  
التَّبَاعَةِ وَحِمَرَ كَيْفَ كَانُوا يَمْخُطُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَّةً وَإِلَى الْعِرَاقِ وَالْهُنْدِ  
أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَبْرِ الْعَرَبِ مِنَ الْأُمَمِ وَكَذَا حَالُ الْمُتَمَتِّينَ مِنَ الْمَغْرِبِ لَمَّا  
نَزَعُوا إِلَى الْمَلِكِ طَفَرُوا مِنَ الْأَقَالِيمِ الْأَوَّلِ وَتَجَالَّتْهُمْ مِنْهُ فِي جِوَارِ السُّودَانِ إِلَى  
الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَالْخَالِيسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهَذَا شَأْنُ هَذِهِ الْأُمَمِ  
الْوَحْشِيَّةِ فَلِذَلِكَ تَكُونُ دَوْلَتُهُمْ أَوْسَعَ نِطَاقًا وَأَبْعَدَ مِنْ مَرَكَزِهَا نِهَابَةً وَاللَّهُ بِقَدْرِ  
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا شَرِيكَ لَهُ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ سُورَةِ الْغَلَبِ وَالْإِذْعَانِ لَهُمْ مِنْ  
سَائِرِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبَشِّرُونَ لِلْأَمْرِ الْحَامِلُونَ سِرِيرَ الْمَلِكِ وَلَا يَكُونُ

ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَصِيقُ عَنْهَا نِطَاقُ الْمُرَاحِمَةِ وَالْعَبِيرَةِ الَّتِي  
تَجْدَعُ أَنْوَفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَوِّلِينَ لِلرُّثْبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أُولَئِكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ أَنْفَعَسُوا  
فِي الْعَيْمِ وَغَرِقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالْخِصْبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجِلِيلِ وَانْقَطَعُوا  
فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعْدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبِجُوا عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي ظِلِّ  
مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنِسْبَتِهِمْ وَبِمَنْجَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ وَأَبَادَ غَضَاءَهُمْ الْهَرَمَ قَطَعَتْهُمْ الدَّوْلَةُ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ بِمَا أَزْهَفَ النِّعَمُ مِنْ حَدِّهِمْ وَاسْتَقَتَّ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَائِهِمْ وَبَلَغُوا  
غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغَلُّبِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كَدُودُ الْفَرَسِ يَنْسُجُ ثُمَّ يَفْنَى بِمَرْكَزِ تَسْجِهِ فِي الْإِنْعِكَاسِ

كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةُ الْآخِرِينَ مَوْفُورَةً وَسُورَةً عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَاسِرِ مَحْفُوظَةً وَشَارَتْهُمْ  
فِي الْعَلَبِ مَعْلُومَةً فَتَنَسَّوْا مَالَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِأَقْوَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ  
جِنْسِ عَصِيَّتِهِمْ وَتَرْتَفِعُ الْمُنَازَعَةُ لِمَا عُرِفَ مِنْ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصِيرُ  
الْيَهُمُ وَكَذَا يَتَفَقَّ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُنْتَبِذًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَّتِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمَلِكُ  
مُتَحِمًّا فِي الْأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَنْكَسِرَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْنَى سَائِرُ عَشَائِرِهَا سَنَةً اللَّهُ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَاعْتَبِرْ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْعَرَبِ لِمَا أَنْقَرَضَ  
مُلْكُ عَادٍ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ تَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمُ الْعَمَالِقَةُ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمُ التَّبَاعَةُ مِنْ حَمِيرَ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
الْأَذْوَاهُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ لِمُضَرَ وَكَذَا الْفُرْسُ لِمَا أَنْقَرَضَ أَمْرُ الْكِنِينَةِ مَلِكُ  
مِنْ بَعْدِهِمُ السَّاسَانِيَّةُ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِمْ أَجْمَعٍ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَانْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبِزْرُ بِالْمَغْرِبِ لِمَا أَنْقَرَضَ  
أَمْرُ مَغْرَاوَةِ وَكُنَامَةِ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْهَاجَةَ ثُمَّ الْمُلْتَمِثِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَآنَةَ وَهَكَذَا سَنَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ إِنَّمَا  
يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمَلِكُ يَخْلُقُهُ التَّرَفُ وَيُذْهِبُهُ كَمَا سَنَدَّ كُرُهُ  
بَعْدَ إِذَا أَنْقَرَضَتْ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرُ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصِيَّةٌ مَشَارِكَةٌ لِعَصِيَّتِهِمْ  
الَّتِي عُرِفَ لَهَا التَّلْسِيمُ وَالْإِتْقَادُ وَأَوْنَسُ مِنْهَا الْعَلَبُ لِجَمْعِ الْعَصِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُوْجَدُ

فِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَنَّ تَقَاوُتَ الْعَصِيَّةِ بِحَسَبِ مَا قَرُبَ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ الَّتِي هِيَ فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مِلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمُرَانِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ فَيُخَيِّدُ يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الْخَلِيلِ إِلَى الْخَلِيلِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُصْرَ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأَمَمِ وَالْدَوْلِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه  
ونخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَاتَّقَادَتِ إِلَيْهِ إِمَّا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَفَّرَ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنَّ اتِّقَادَهَا لَيْسَ لِقَلْبٍ طَبِيعِيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَتْ لَهَا أَعْتِقَادًا فَأَتَّخَلَّتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِفْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بِأَسٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا اتَّخَلَّتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْغَلَبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلْأَوَّلِ وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَزِينَتِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَاشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ يَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَعْتِقَادِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ فَطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيُّ الْحُلُمِيَّةِ وَجُنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ مُجَاوِرَةً أُخْرَى وَلَهَا الْغَلَبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ وَالْإِفْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَبْدِ مَعَ أَمْرِ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَثِيرِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُذُرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّأْظِرُ بَعَيْنِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيلَاءِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ وَتَأْمَلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمُ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِأَعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ أَعْتِقَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِهِمْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ مَرْءًا عَلَيْهَا  
وَصَارَتْ بِالِاسْتِعْبَادِ آلَةً لِسُوءِهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضْعُفُ التَّنَاسُلُ وَالِاغْتِنَاؤُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَّةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ الْعَصَبِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقَصَ عُمرَانِهِمْ وَتَلَاسَّتْ مَكَاسِبُهُمْ وَمَسَاعِيهِمْ وَتَجَزَّوْا عَنْ الْمُدَافَعَةِ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ بِمَا خَصَدَ الْغَلَبُ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُغْلِبِينَ لِكُلِّ مُتَغَلَّبٍ وَطَعْمَةً لِكُلِّ  
أَكَلٍ وَسُوءًا كَانُوا حَصَلُوا عَلَى غَابَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللهُ أَعْلَمُ سِرَّ آخِرِ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَيْسُ طَبْعِهِ يُقْتَضَى لِاسْتِخْلَافِ الَّذِي خَلَقَ لَهُ وَالرَّئِيسُ إِذَا غَلَبَ عَلَى  
رِئَاسَتِهِ وَكَبِجَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَبَعِ طَبْعِهِ وَرِي كَيْدِهِ وَهَذَا مُوجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمَفْتَرَسَةِ وَإِنَّهَا لَا تَسَافِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلَكَةِ الْأَدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَاضْمِحْلَالٍ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفُرْسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدَمَلَاتٍ  
أَلَعَالَمِ كَثْرَةً وَلَمَّا فَنِيَتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنَّ سَعْدًا أَحْصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رَبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَحَصَّلُوا فِي مَلَكَةِ الْعَرَبِ وَقَبْضَةِ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بَقَاؤُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَذَرَبُوا كَنْ لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِعَظَمَةِ نَزْلِ بِهِمْ أَوْ عُدْوَانِ  
شَتْلِهِمْ فَلَمَكَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْعَدْلِ مَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا غَلَبَ  
عَلَى أَمْرِهِ وَصَارَ آلَةً لَغَيْرِهِ وَلِهَذَا إِنَّمَا تُدْعَى لِلرَّقِ فِي الْغَالِبِ أُمَمُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْ عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَجَمِّمِ كَمَا قُلْنَا أَوْ مِنْ بَرَجُو بِانْتِظَامِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرَّقِ حُصُولِ رُتْبَةٍ أَوْ إِفَادَةِ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَالِكِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْعُلُوجِ مِنَ الْجَلَايِقَةِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بِاسْتِخْلَاصِ الدَّوْلَةِ لِيَوْمٍ فَلَا يَأْتُونَ  
مِنَ الرَّقِ لِمَا يَأْمُلُونَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالرُّتْبَةِ بِاضْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَمَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِطَبِيعَةِ التَّوَحُّشِ الَّذِي فِيهِمْ أَهْلُ أَنْتِهَابٍ وَعَيْثُ يَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُغَالَبَةٍ وَلَا رُكُوبِ خَطَرٍ وَيَقْرُونَ إِلَى مُتَجَعِّعِهِمْ بِالْقَنْزِ وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَرَاحَةِ وَالْتِحَارَةِ إِلَّا إِذَا دَفَعُوا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ مَعْقِلٍ أَوْ مُسْتَضْعَبٍ عَلَيْهِمْ فَهُمْ تَارِكُوهُ إِلَى مَا يَسْهُلُ عَنْهُ وَلَا يَعْزُونَ لَهُ وَالْقَبَائِلُ الْمُمْتَنِعَةُ عَلَيْهِمْ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَيْثِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَسَمَّوْنَ إِلَيْهِمْ الْهَضَابَ وَلَا يَرْكَبُونَ الصَّعَابَ وَلَا يُحَاوِلُونَ الْخَطَرَ وَأَمَّا الْبَسَائِطُ فَمَتَى اقْتَدَرُوا عَلَيْهَا بِفَقْدَانِ الْحَامِيَةِ وَضَعْفِ الدَّوْلَةِ فَهِيَ نَهْبٌ لَهُمْ وَطَعْمَةٌ لَا كَيْلَ لَهُمْ يُرَدِّدُونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ وَالزَّحْنَ لِسَهُولِهَا عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يَبْصَحَ أَهْلُهَا مُغْلَبِينَ لَهُمْ ثُمَّ يَتَعَاوَرُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ الْأَيْدِي وَانْتِحَافِ السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ يَقْرَضَ عُمَرَانُهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان امرع اليها الخراب

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَحْشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامِ عَوَائِدِ التَّوَحُّشِ وَأَسْبَابِهِ فِيهِمْ فَصَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَحِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلْدُودًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْحُكْمِ وَعَدَمِ الْأَنْتِقَادِ لِلْسِّيَاسَةِ وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَمُنَافِضَةٌ لَهُ فغَايَةُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ كُلِّهَا عِنْدَهُمُ الرِّحْلَةُ وَالتَّغْلِبُ وَذَلِكَ مُنَافِضٌ لِلسُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُمُرَانُ وَمُنَافٍ لَهُ فَالْتَجَرُّ مَثَلًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِنَصْبِهِ أَثَنًا فِي الْقَدْرِ فَيَنْقُلُونَهُ مِنَ الْمَبَانِي وَيُخْرِجُونَهَا عَلَيْهِ وَيَعُدُّونَهُ لَذًا وَالْخَشَبُ أَيْضًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِيَعْمُرُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَّخِذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِيُؤَيِّمَهُمْ فَيُخْرِجُونَ السَّقْفَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ فَصَارَتْ طَبِيعَةُ وَجُودِهِمْ مُنَافِيَةً لِلْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُمُرَانِ هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَيْضًا فَطَبِيعَتُهُمْ أَنْتِهَابُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَنْ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاحِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي اخْتِدَادِ أَمْوَالِ النَّاسِ حَدٌّ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ بَلْ كُلَّمَا أَمْتَلَتْ أَعْيُنُهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ أَنْتَهَبُوهُ فَإِذَا تَمَّ اقْتِدَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْتَّغْلِبِ وَالْمَلِكِ بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْعُمُرَانُ وَأَيْضًا فَلَا تَنْهَضُ

يُكْفُون عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخِرَافِ أَعْمَالُهُمْ لَا يَرَوْنَ لَهَا قِيمَةً وَلَا  
فِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالنَّعْمِ وَالْأَعْمَالُ كَمَا سَنَدُ كُرُهُ هِيَ أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَحَقِيقَتُهَا  
وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ مَجَانًا ضَعُفَتِ الْأُمَالُ فِي الْمَكْسَبِ وَانْقَبَضَتِ الْأَيْدِي  
عَنِ الْعَمَلِ وَابْدَعَرُ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمَرَانُ وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عَنَاءٌ بِالْأَحْكَامِ  
وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ نَهَبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ  
مِنْ تَسْدِيدِ أَحْوَالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَقَهَرُ بَعْضِهِمْ عَنْ أَغْرَاضِ الْمَفَاسِدِ وَرُبَّمَا  
فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِسْتِكْنَارِ مِنْهَا  
كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمَعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ  
ذَلِكَ زَانِدًا فِيهَا لِإِسْتِهَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْغَرَضِ فَتَبْقَى الرِّعَايَا فِي مَلَكَتِهِمْ  
كَأَنَّهَا قَوْضَى<sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمٍ وَالْقَوْضَى مَهْلِكَةُ الْبَشَرِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمَرَانِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ  
أَنْ وَجُودَ الْمَلِكِ خَاصَّةً طَبِيعِيَّةُ الْإِنْسَانِ لَا يَسْتَقِيمُ وَجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا  
وَتَقْدَمُ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَصْلِ وَأَيْضًا فَهُمْ مُتَنَافِسُونَ فِي الرِّئَاسَةِ وَقُلْ أَنْ يَسْلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَعَلَى كُرْهِهِ مِنْ  
أَجْلِ الْحَيَاءِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكْمُ مِنْهُمْ وَالْأُمَرَاءُ وَتَخْتَلِفُ الْأَيْدِي عَلَى الرِّعَايَةِ فِي الْحَيَاةِ  
وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمَرَانُ وَيَنْتَقِضُ قَالِ الْأَعْرَابِيُّ الْوَاثِقُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا  
سَأَلَهُ عَنِ الْحَجَّاجِ وَأَرَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ وَالْعُمَرَانُ فَقَالَ تَرَكْتُهُ يَظْلِمُ  
وَحَدَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنِ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقْوُضَ  
عُمَرَانُهُ وَاقْفِرْ سَاكِنُهُ وَبَدَلَتْ الْأَرْضُ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالْيَمَنُ قَرَارُهُمْ خَرَابٌ إِلَّا  
قَلِيلًا مِنَ الْأَمْصَارِ وَعِرَاقِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرِبَ عُمَرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفُرْسِ أَجْمَعَ  
وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ أَمَّا جَارُ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ  
أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَتَمَرَّسُوا بِهَا لِثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَعَادَتْ  
بَسَاطَتُهَا خَرَابًا كُلُّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرَّابِي كُلَّهُ عُمَرَانًا تَشْهَدُ  
بِذَلِكَ آثَارُ الْعُمَرَانِ فِيهِ مِنَ الْعَمَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَاللَّهِ

## الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا التَّوْحَشَ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيَادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلْغَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ وَبَعْدَ الْهَمَةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ فَقَلَمَا يَجْتَمِعُ أَهْوَاؤُهُمْ فَإِذَا كَانَ الَّذِينَ بِالنَّبُوءَةِ أَوْ الْوَلَايَةِ كَانَ التَّوَارِعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خُلُقُ الْكِبَرِ وَالْمُنَافَسَةِ مِنْهُمْ فَسَهَلَ انْقِيَادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَسْتَلْهُمُ مِنَ الدِّينِ الْمَذْهَبِ لِلْغَلْظَةِ وَالْأَنَفَةِ التَّوَارِعَ عَنِ التَّحَاكُمِ وَالتَّنَافُسِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ الْيَتِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتُ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَحْمُودِهَا وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمَلَكُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عَوَجِ الْفَلَكَاتِ وَبَرَاءَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ خُلُقِ التَّوْحَشِ الْقَرِيبِ الْمُعَانَاةِ الْمَتَّعِيَةِ يَقْبُولُ الْخَيْرَ بِقَبَالِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبَعْدِهِ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ وَسُوءِ الْمَلَكَاتِ فَإِنْ كَلَّ مَوْلُودٍ يُؤَلِّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

## الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ يَدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْفَقْرِ وَأَعْنَى عَنْ حَاجَاتِ التَّلَوُّلِ وَحُجُوبِهَا لِاعْتِيَادِهِمُ الشَّطَفَ وَخُشُونَةَ الْعَيْشِ فَاسْتَفْتَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ انْقِيَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِبْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَلِلتَّوْحَشِ وَرَأْسِهِمْ مُتَحَاجٌّ إِلَيْهِمْ غَالِبًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلَكَتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَاعَمَتِهِمْ لِئَلَّا يَخْتَلَّ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُ وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَاسَةُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَازِعًا بِالْقَهْرِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِمْ سِيَاسَتُهُ وَآيْضًا فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَتِهِمْ كَمَا قَدْ مَنَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالتَّجَافِي عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنْ

الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوا أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ جَعَلُوا غَايَةَ مُلْكِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ بَيْنَهُمْ وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْقُتُوبَاتِ عَلَى الْمَفَاسِدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْحَيَاةِ وَتَحْصِيلِ الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعًا بِحَسَبِ الْأَعْرَاضِ الْبَائِعَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ وَأَسْتِهَانَةٍ مَا يُعْطِي مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَنَتَمُو الْمَفَاسِدُ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَغْرِبُ الْعُمَرَانِ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا قُوَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ لَهَا عُمُرَانٌ وَتَغْرِبُ سَرِيعًا شَأْنُ الْقُوَّةِ كَمَا قَدَمْنَاهُ فَبَعْدَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِنَظَرِ كُلِّهِ عَنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِغَةِ دِينِيَّةٍ تَمَحُّوْذِ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ أَوَازِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دَفَاعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوْلَتِهِمْ فِي الْأَمَلَةِ أَمَّا شَيْدُ لَهُمُ الدِّينِ أَمْرُ السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعِيَةِ لِمَصَالِحِ الْعُمَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعِ فِيهَا الْخُلَفَاءُ عَظَمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقُوَّتِي سُلْطَانُهُمْ كَانَ رُسْمُ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أ كُلُّ عُمْرٍ كَيْدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدَّوْلَةِ أَجْيَالٌ بَنَدُوا الدِّينَ فَنَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى قَفَرِهِمْ وَجَهَلُوا شَأْنَ عَصِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يُبْعِدُهُمْ عَنِ الْإِنْقِيَادِ وَإِعْطَاءِ النِّصْفَةِ فَتَوَحَّشُوا كَمَا كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ اسْمِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ جِيلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَأُنْجِي رُسْمُهَا أَنْقَطَعَ الْأَمْرُ جُمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةِ قَفَارِهِمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمَلِكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْخَلِيقَةِ مَا كَانَ لِأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَدَوْلٍ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَالِقَةَ وَحَمِيرَ وَالتَّبَاعَةَ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ثُمَّ دَوْلَةُ مُضَرٍّ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا نَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَقَدْ يَحْضُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ غَلَبٌ عَلَى الدَّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَغَايَتُهُ إِلَّا تَغْرِيبَ مَا يَسْتَوُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ



## الفصل التاسع والعشرون

في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار  
 قَدْ نَقَدَّمْ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَارِئَةِ نَافِصٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَوَاصِرِ وَالْأَمَاصِرِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
 الْضَّرُورِيَّةَ فِي الْعُمَرَ بْنِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةً لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَإِنَّمَا تَوْجَدُ لَدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
 أُمُورٌ أَلْفَلَحَ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُهَا الصَّنَائِعُ فَلَا تَوْجَدُ لَدَيْهِمْ فِي الْكَلْبَةِ مِنْ تِجَارٍ  
 وَخِيَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يَقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فِي أَلْفَلَحٍ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
 الدَّنَائِيرُ وَالْدَّرَاهِمُ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا بِأَيْدِيهِمْ أَعْوَاضُهَا مِنْ مَعْلٍ الزَّرَاعَةِ وَأَعْيَانِ  
 الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَنَاتِ وَأَوْبَارًا وَأَشْعَارًا وَإِهَابًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمَاصِرِ فَيَعْوِضُونَ عَنْهُمْ  
 عَنْهُ بِالْأَنْبَارِ وَالْدَّرَاهِمِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمَاصِرِ فِي الضَّرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
 الْأَمَاصِرِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ فَهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى الْأَمَاصِرِ بِطَبِيعَةِ وَجُودِهِمْ  
 فَمَا دَامُوا فِي الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا أَسْنِيَّةٌ عَلَى الْأَمَاصِرِ فَهُمْ مُتَحَاجُونَ إِلَى  
 أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَلَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
 فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِعَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمِصْرِ مَلِكٌ  
 فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعِ اسْتِبدَادٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْتَقَضَ عُمُرَانُهُ  
 وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَحْمِلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْدُلُ الْمَالَ لَهُمْ ثُمَّ  
 يُبْدِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي مِصْرِهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمُرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
 إِنْ تَمَتَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالْإِغْرَابِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يَغَالِبُ بِهِ  
 الْبَاقِينَ فَيَضْطَرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِنَظَرِكَ مِنْ فِسَادِ عُمُرَانِهِمْ وَرَبَّمَا لَا يَسْعَمُ  
 مُفَارَقَةُ تِلْكَ النَّوَاحِي إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ الْجِهَاتِ مَعْمُورٌ بِالْبَدْوِ الَّذِينَ غَلَبُوا  
 عَلَيْهَا وَمَنْعُوهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هُؤُلَاءِ مَلْجَأً إِلَّا طَاعَةَ الْمِصْرِ فَهُمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
 لِأَهْلِ الْأَمَاصِرِ وَاللَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتمات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبة

وذلك انا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبة لما فيها من الثغرة والندامر واسماتة كل واحد منهم دون صاحبه . ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا . وكل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبة كما ذكرناه انما وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدولة منذ اولها وطال امد مرابهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يذكر كون اصحاب الدولة وقد استحكمت صبتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبة في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقي اولهم من المتاعب . دونه وخصوصا اهل الاندلس في نيسان هذه العصبة واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبة بما تلاشى وطنهم وخلا من العصاب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبة

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان الناس لم يألوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت اثر ناسة في اهل الصاب الخاص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك الصاب صبة اثر ناسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم

عَلَى أَمْرِهِمْ فَقَالَهُمْ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَخْتَارُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَائِدِهِ  
بَلْ كَانَ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يَوْضَعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِيمَانَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عُقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتَظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْخُصُوصَةِ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَمِّينَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّخِلِينَ فِي وَلَايَتِهَا وَمِثْلُ  
هَذَا وَقَعَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصَبِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُعْتَصِمِ وَأَبْنِهِ  
الْوَاتِقِ وَاسْتَظْهَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ النِّجْمِ وَالْتُرْكِ وَالْدَيْلَمِ وَالسُّلْجُوقِيَّةِ  
وَوَاقِظِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ النِّجْمُ الْأَوَّلِيَاءُ عَلَى النَّوَاحِي وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَعْدُو أَعْمَالُ  
بَغْدَادَ حَتَّى زَحَتْ إِلَيْهَا الدَّيْلَمُ وَمَلَكَوْهَا وَصَارَ الْخَلَائِقُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّلْجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَفَتْ آخِرُ النَّتَارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَحَمَوْا رِسْمَ الدَّوْلَةِ وَكَذَا صَنَاجِعُهَا بِالْمَغْرِبِ فَسَدَتْ عَصَبِيَّتُهُمْ مِنْذُ الْعَامَةِ  
الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِحَاجَةِ وَالْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثُغُورِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَرَبَّمَا تَنَزَّى بِشَلِكِ الثُّغُورِ مَنْ نَازَعَهُمُ الْمَلِكُ وَأَعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسَلِّمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِأَنْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمُوَحِّدُونَ بِقُوَّةٍ  
قَوِيَّةٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فِي الْمَصَادِمَةِ فَحَمَوْا آثَارَهُمْ وَكَذَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصَبِيَّتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوْلَى مُلُوكُ الطَّوَائِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَأَقْتَسَمُوا خِطْمَهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا بِمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَانْتَزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وَلَايَتِهِ وَشَمَخَ بِأَفْنِهِ وَبَلَّغَهُمْ  
شَأْنُ النِّجْمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَقَلَّبُوا بِالْقَابِ الْمَلِكِ وَلَبِسُوا شَارَتَهُ وَأَمْنُوا مِمَّنْ يَقْضُ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ بِدَارِ عَصَائِبٍ وَلَا قَبَائِلَ كَمَا سَنَذْكُرُهُ  
وَاسْتَمَرَّ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

مِمَّا يَزِيدُنِي فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْقَابُ مَمْلُوكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالِهَرِ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

فَاسْتَظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَمِّينَ وَالطَّرَاءَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ  
مِنْ قَبَائِلِ الْبَزِيرِ وَزَنَانَةَ وَغَيْرِهِمْ أَقْتَدَاءُ بِالْدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْاسْتَظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعُفَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَاسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلٌ عَظِيمَةٌ

اسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظُّ كَبِيرٍ مِنَ الْمَلِكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
الَّتِي اقْتَسَمُوهَا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَازَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ الْمُرَاطُوتُ أَهْلُ  
الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةَ فَاسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَكَزِهِمْ وَحَمَوُا أَنْتَارَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فِيهِدِهِ الْعَصِيَّةُ بِكُونِ تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ وَخِمَابَتِهَا مِنْ  
أَوَّلِهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدَّوْلِ بِإِطْلَاقِ هُمْ الْجُنْدُ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
مَعَ الْأَهْلِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَاهُ سِرَاجُ الْمُلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَنَاوَلُ تَاسِيْسَ  
الدَّوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَإِنَّمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِالدَّوْلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ وَاسْتِقْرَارِ  
الْمَلِكِ فِي النِّصَابِ وَاسْتِحْكَامِ الْعَصِيَّةِ لِأَهْلِهَا فَالْزَجَلُ إِنَّمَا أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
وَخَلَقَ جِدَّتِهَا وَرُجُوعِهَا إِلَى الْأَسْتِظْهَارِ بِالْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَخْدِمِينَ مِنْ  
وَرَائِهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَ دَوْلَ الطَّوَائِبِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
أُمَيَّةَ وَانْقِرَاضِ عَصِيَّتِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَاسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ بِقُطْرِهِ وَكَانَ فِي إِبَالَةِ الْمُسْتَعِينِ  
بَنِي هُودٍ وَأَبْنَاهُ الْمُظَفَّرُ أَهْلُ سِرْقِسْطَةِ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِأَسْبِيْلَاءِ  
الْتَرَفِ عَلَى الْعَرَبِ مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَزَلِ إِلَّا سُلْطَانًا مُسْتَبِدًّا بِالْمَلِكِ  
عَنْ عَشَائِرِهِ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ لَهُ صِبْغَةُ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَةِ الْعَصِيَّةِ فَهُوَ  
لِنَاكِ لَا يَنْزَاعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ فَاطْلُقِ الطَّرْطُوشِيُّ الْقَوْلَ  
فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَنْفَطِنْ لِكَيْفِيَةِ الْأَمْرِ مِنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
فَتَفَطَّنَ أَنْتَ لَهُ وَأَقْبَهُمْ مِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغي عن العصية  
وذلك انه اذا كان لعصية غلب كثير على الأمر والأجبال وفي نفوس القائمين  
بأمره من أهل القاصية إذعان لهم وانقياد فاذا نزع إليهم هذا الخارج وانتبد عن  
مقر ملكه ومنبت عزه اشتعلوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد  
دولته يزجون استقراره في نصابه وتناوله الأمر من يد أعيانه وجزاءه لهم على مظاهرتهم  
بأصطفائهم لزب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو ولاية تنفر ولا يطمعون في  
مشاركته في شيء من سلطانه تسلياً لعصيته وانقياداً لما استحكمت له ولقومه من

صَبَغَةَ الْغَلْبِ فِي الْعَالَمِ وَعَقِيدَةَ إِيْمَانِيَّةٍ اسْتَقَرَّتْ فِي الْأَذْعَانِ لَهُمْ فَلَوْ رَأَوْهَا مَعَهُ أَوْ  
 دُونَهُ لَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلدَّارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَالْعَبِيدِيْنَ  
 بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمِصْرَ لَمَّا أَتَبَذَ الطَّالِبِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْقَاصِيَةِ وَابْتَدَعُوا عَنْ مَقَرِّ  
 الْخِلَافَةِ وَسَمَوْا إِلَى طَلَبِهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتْ الصَّبْغَةُ لِبَنِي عَبْدِ  
 مَنَافٍ لِبَنِي أُمَيَّةٍ أَوَّلًا ثُمَّ لِبَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ نَفَرُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَوْا  
 لِنَفْسِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَابَرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرُثَهُ وَمَعِيلَهُ لِلدَّارِسَةِ وَكُتَامَةَ  
 وَصَنَهَاجَةَ وَهَوَازَةَ لِلْعَبِيدِيْنَ فَشَدُّوا دَوْلَتَهُمْ وَهَدُّوا بِعَصَائِبِهِمْ أَمْرَهُمْ وَأَقْطَعُوا مِنْ  
 مَمَالِكِ الْعَبَّاسِيَّيْنَ الْمَغْرِبِ كُلَّهُ ثُمَّ أَفْرِيقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَلَّصُ وَظِلُّ الْعَبِيدِيْنَ  
 يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَاسَمُوهُمْ فِي الْمَمَالِكِ إِلَّا سِلَاحِيَّةً شَقَّ  
 الْأُتْلُمَةَ وَهَوَازَةَ الْبَرَابَرَةَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِمْ مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِيْنَ أَمْرَهُمْ  
 مُذْعِنُونَ لِمَلِكِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرُّثْبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيماً لِمَا حَصَلَ مِنْ  
 صَبْغَةِ الْمَلِكِ لِبَنِي هَاشِمٍ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْغَلْبِ الْقُرَيْشُ وَمِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
 يَزَلِ الْمَلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَسْرِهَا وَاللَّهُ يُحْكِمُ لَامِعَقَبٍ حُكْمَهُ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة او دعة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْغَلْبِ وَالْغَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصَبَةِ وَاتِّفَاقِ  
 الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمَطَالِبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْلِفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
 قَالَ تَعَالَى لَوْ أَتَّفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفْلَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرُّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا  
 تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَشَا اخْتِلَافُ وَإِذَا انْصَرَفَتْ  
 إِلَى الْحَقِّ وَرَفُضَتِ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجِبَتْهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ  
 اخْتِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
 نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبَ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العvisية

التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَمْنَاهُ أَنَّ الصِّغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي فِي أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَتَفْرُدُ الْوُجْهَةَ إِلَى الْحَقِّ فَإِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْأَسْتَبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لَّانَّ الْوُجْهَةَ وَاحِدَةً وَالْمَطْلُوبُ مُتَسَاوٍ عِنْدَهُمْ وَهُمْ مُسْتَعِينُونَ عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُوهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ فَأَغْرَضَهُمْ مُتَبَايِنَةً بِالْبَاطِلِ وَتَخَاضَهُمْ لِنَقِيَّةِ الْمَوْتِ حَاصِلٌ فَلَا يُقَاوِمُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ عَلَيْهِمْ وَيَعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّرَفِّ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفُتُوحَاتِ فَكَانَتْ جَبُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالزَّبُورِ بِضِعْمَةِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مَعْسَكٍ وَجُمُوعُ فَارِسَ مِائَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ وَجُمُوعُ هَزَقِلَ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَهَزَمُوهُمْ وَغَلَبُوهُمْ عَلَى مَا بِيَدِيهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي دَوْلَةِ لِمَتُونَةَ وَدَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ كَانَ فَقَدْ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ مِمَّنْ يُقَاوِمُهُمْ فِي الْعَدَدِ وَالْعَصِيَّةِ أَوْ يَشْفُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْإِجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصِيَّتِهِمْ بِالْأَسْتَبْصَارِ وَالْإِسْمَانَةِ كَمَا فَلَنَاهُ فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ وَبَصِيرُ الْقَلْبِ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصِيَّةِ وَحَدَهَا دُونَ زِيَادَةِ الَّذِينَ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ نَحْتَ يَدِيهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافَةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلَبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصِيَّةً مِنْهَا وَأَشَدَّ بِدَاوَةً وَاعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوحِدِينَ مَعَ زَنَانَةِ لَمَّا كَانَتْ زَنَانَةُ أَبَدَى مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوَحُّشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَبَسُوا صِغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زَنَانَةِ أَوَّلًا وَاسْتَبَعَوْهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصِيَّةِ وَالْبِدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زَنَانَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَلَبَتْهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا نتم  
وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي  
الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في  
الأنبياء وهم أولى الناس بحزق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تحرق له العادة في  
القلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع الثقلين  
في التصوف ناز بالاندلس داعياً إلى الحق وسُمي أصحابه بالمرايطين قبيل دعوة  
المهدي فاستتب له الأمر قليلاً لشغل المتنونة بما دهمهم من أمر الموحدين ولم تكن  
هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على  
المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من مقله بخص أركش وأمكنهم  
من ثغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرايطين  
ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيراً  
من المتخلفين للعبادة وسلوك طرق الذين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من  
الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء في الثواب  
عليه من الله فيكثر أتباعهم والمتلثثون بهم من الغوغاء والدعماء ويغر ضون أنفسهم  
في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين لأن  
الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى  
الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسهه فإن لم  
يستطع فليقله وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا  
المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان  
حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم  
المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة  
والله حكيم عليهم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقق قصر به  
الاتِّراد عن العصبية فطاح في هوو الهلاك وأما إن كان من المتلثسين بذلك في

طَلَبَ الرِّئَاسَةَ فَاجْدَرُ أَنْ تَعُوْفَهُ الْعَوَانِي وَتَنْقَطِعَ بِهِ الْمَهَالِكُ لِأَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِرِضَاهُ وَإِعَاتِيهِ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ وَالنَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ وَأَوَّلُ أَبْدَاءِ هَذِهِ الزَّرْعَةِ فِي أَلْمَلَةِ بَغْدَادَ حَبِثَ وَقَعَتْ فِتْنَةُ طَاهِرٍ وَقَتْلُ الْأَمِينِ وَأَبْطَأَ الدَّامُونُ بِخِرَاسَانَ عَنْ مُقَدِّمِ الْعِرَاقِ ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الرِّضِيِّ مِنَ آلِ الْحُسَيْنِ فَكَشَفَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْ وَجْهِ النَّكِيرِ عَلَيْهِ وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ وَخَلَعَ طَاعَةَ الدَّامُونِ وَالْإِسْتِئْذَالَ مِنْهُ وَبُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَلْمَهْدِيِّ فَوَقَعَ الْهَرْجُ بِبَغْدَادَ وَأَنْطَلَقَتِ أَيْدِي الزَّرْعَةِ بِهَا مِنَ الشُّطَارِ وَالْحَرَبِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ وَالصُّوْفِ وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَأَمْتَلَاتِ أَيْدِيهِمْ مِنْ نَهَابِ النَّاسِ وَبَاعُوهَا عَلَانِيَةً فِي الْأَسْوَاقِ وَاسْتَعْدَى أَهْلُهَا الْحُكْمَ فَلَمْ يَبْدُوهُمْ قِتَوَاتِرَ أَهْلُ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ عَلَى مَنَعِ الْفَسَاقِ وَكَفِّ عَادِيَتِهِمْ وَقَامَ بِبَغْدَادَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِخَالِدِ الدُّرْيُوسِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاجَابَهُ خَلْقٌ وَقَاتَلَ أَهْلَ الزَّرْعَةِ فَعَلَبَهُمْ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِيهِمْ بِالضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ سَوَادِ أَهْلِ بَغْدَادَ يُعْرَفُ بِسَهْلِ ابْنِ سَلَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَبُكِنَى أَبَا حَاتِمٍ وَعَلَّقَى مُضْحَفًا فِي عُنُقِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَرَنَ دُونَهُمْ وَتَزَلَّ قَضَرُ طَاهِرٍ وَأَمَّا خَالِدُ الدُّرْيُوسِ وَطَافَ بِبَغْدَادَ وَمَنَعَ كُلَّ مَنْ أَخَافَ الْمَارَةَ وَمَنَعَ الْخِفَارَةَ لِأَوَّلَتِكَ الشُّطَارِ وَقَالَ لَهُ خَالِدُ الدُّرْيُوسِ أَنَا لَا أُعِيبُ عَلَى السُّلْطَانِ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لَكِنِّي أَقَاتِلُ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَتْهُمَا مِنْ كَانَ وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ وَجَهَّزَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَلْمَهْدِيِّ الْعَسَاكِرَ فَعَلَبَهُ وَأَسْرَهُ وَأَتَمَّلَ أَمْرَهُ سَرِيعًا وَذَهَبَ وَنَجَا بِنَفْسِهِ ثُمَّ أَقْتَدَى بِهَذَا الْعَمَلِ بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَسَّوسِينَ بِأَخْذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي إِقَامَتِهِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَلَا يَعْتَرُونَ بِعَبَّةِ أَمْرِهِ وَمَا أَوْلَاهِمُ وَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ إِمَّا الْمُدَاوَاةُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجُنُونِ وَإِمَّا التَّنْكِيلُ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ إِنْ أَحَدُوا هَرْجًا وَإِمَّا إِذَاعَةُ السُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ وَعَدُّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الصَّفَاعِينَ وَقَدْ يَنْسَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ إِمَّا بِأَنَّهُ هُوَ أَوْ بِأَنَّهُ دَاعٍ لَهُ وَلَيْسَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عِلْمِهِ مِنْ أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَلَا مَا هُوَ وَأَكْثَرُ الْمُنْتَظَرِينَ لِمِثْلِ هَذَا



يُحْدِثُهُمْ مُؤَسَّسِينَ أَوْ مُجَانِّينَ أَوْ مُلَبَّسِينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رِئَاسَةً أَمْثَلَاتٍ  
بِهَا جَوَانِحُهُمْ وَيَجْزُوا عَنْ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنْتَلِمُ فِيهِ مِنْ  
الْهَلَكَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ بِمَا يُحْدِثُونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوَةِ عَاقِبَةٍ مَكْرَهٍ وَقَدْ كَانَ  
لِأَوَّلِ هَذِهِ الْعَامَةِ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ يُدْعَى التَّوْبَذَرِيَّ عَمِدًا إِلَى  
مَسْجِدِ مَاسَةَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْقَاطِعِيُّ الْمُتَنْظَرُ تَلَيْسًا عَلَى الْعَامَةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْخُذْرَانِ بِأَنْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَافَتَ عَلَيْهِ طَوَائِفٌ مِنْ عَامَةِ الْبَزِيرِ تَهَافَتَ الْفَرَّاشِ ثُمَّ خَشِيَ زُؤُسًا وَهُمْ اتَّسَاعَ  
نِطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمَئِذٍ عُمَرُ السَّكْسِيوِيَّ مِنْ قَتْلِهِ فِي  
فَرَاشِهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي غِمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْعَامَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ  
وَأَدْعَى مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ بَعِيْقَهُ الْآرْذَلُونَ مِنْ سُفْهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَغْمَارِهِمْ  
وَزَحَّتْ إِلَى بَادِسٍ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَلَهَا عَنْوَةً ثُمَّ قِيلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَضَى فِي الْهَالِكِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْعَلَطُ فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ  
عَنْ أَعْتِبَارِ الْعَصِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلَيْسُ فَأُخْرَى أَنْ لَا يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَأَنْ  
يَبُوءَ بِإِيْمِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لِرَبِّ غَيْرُهُ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَهُ

### الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُعْهَدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِيْعِهِمْ حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالثُّغُورِ الَّتِي تُصِيرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا لِحِمَايَتِهَا مِنْ  
الْعَدُوِّ وَإِمْنَاءِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جَبَايَةِ وَرَدَعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَّعَتِ النِّصَابُ  
كُلُّهَا عَلَى الثُّغُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَادُرِ عَدَدِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَمَالِكُ حَيْثُ يُنْزِلُ إِلَى  
حَدِّ يَكُونُ نَفَرًا لِلدَّوْلَةِ وَتَخْمًا لَوَطَنِهَا وَنِطَاقًا لِمَرْكَزِ مُلْكِهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بَعْدَ  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا يَبْدُهَا بَقِيَ دُونَ حَامِيَةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِإِتْنِهَارِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالْعُجَاوِرِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَاسُرِ وَخَرْقِ سِيَاجِ الْهَيْبَةِ

وَمَا كَانَتْ الْعَصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَتَقَدَّ عَدَدُهَا فِي تَوَزُّعِ الْحَصَصِ عَلَى الثُّغُورِ وَالنَّوَاحِي  
بَقِيَ فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى تَنَاوُلِ مَا وَرَاءَ الْعَايَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نَظَافَتُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَنْعَالِ  
فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعْلِهَا وَالِدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ مِمَّا يَكُونُ فِي الْطَّرَفِ وَالنِّطَاقِ وَإِذَا  
انْتَهَتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْعَايَةُ عَجِزَتْ وَأَقْصَرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشْيَعَةِ وَالْأَنْوَارِ  
إِذَا اتَّبَعَتْ مِنَ الْمَرَائِكِزِ وَالِدَّوَائِرِ الْمُنْفَصِحَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ النُّقْرِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ وَالضُّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَاقُصِ مِنْ جِبَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَزَالُ الْمَرْكَزُ  
مَحْفُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُنْثِدُ يَكُونُ انْقِرَاضُ الْمَرْكَزِ  
وَإِذَا غَلِبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاؤُ الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَضْمَحِلُ لَوْفِهَا  
فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَالْقَلْبِ الَّذِي تَتَّبِعُهُ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غَلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمَلِكَ أَنْهَزَمَ جَمِيعُ  
الْأَطْرَافِ وَانْظُرْ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمَدَائِنُ فَلَمَّا غَلَبَ الْمُسْلِمُونَ  
عَلَى الْمَدَائِنِ انْقَرَضَ أَمْرُ فَارَسَ أَجْمَعُ وَلَمْ يَنْفَعْ يَزْدَجُرْدَ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْ أَطْرَافِ  
مَمْلَكَةٍ وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالشَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَغَلِبَهُمُ  
الْمُسْلِمُونَ بِالشَّامِ نَحَّيْزُوا إِلَى مَرْكَزِهِمُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَضُرَّهُمْ انْتِزَاعُ الشَّامِ مِنْ  
أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِ وَانْظُرْ أَيْضًا شَأْنَ  
الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ  
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ لِأَسْرَعِ وَقْتُ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السِّنْدِ وَالْحَبَشَةِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالثُّغُورِ وَنَزَلُواهَا  
حَامِيَةً وَتَقَدَّ عَدَدُهُمْ فِي تِلْكَ التَّوْزِيعَاتِ أَقْصَرُوا عَنِ الْفَتْوحَاتِ بَعْدَ وَانْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْحُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ وَعِنْدَ  
تَقَادُّ عَدَدِهِمُ بِالْتَّوْزِيعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْفَتْحُ وَالْإِسْتِبْلَاحُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها

في القلة والكثرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْحَامِيَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِمَمْلَكَاتِ الدَّوْلَةِ وَأَفْطَارَهَا وَيَنْقَسِمُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبِيلَهَا وَأَهْلُ عَصَائِبِهَا أَكْثَرَ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَمْلَكَاتِهَا وَأَوْطَانًا وَكَانَ مُلْكُهَا أَوْسَعَ لِذَلِكَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا أَتَتْ اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مِائَةِ أَلْفٍ وَعَشْرَةَ أَلْفٍ مِنْ مُضَرَ وَفُحْطَانَ مَا بَيْنَ فَارَسٍ وَرَاجِلٍ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمَى وَلَا وَرَرْ فَأَسْتَبِيحَ حِمَى فَارَسٍ وَأَرْثُومِ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ لِعَبْدِهِمُ وَالْتَرَكُ بِالْمَشْرِقِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْبَرْبَرُ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوطُ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطُّوا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى السُّوسِ الْأَقْصَى وَمِنَ الْيَمَنِ إِلَى التَّرَكِ بِأَقْصَى الشَّامِ وَأَسْتَوَلُوا عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةَ صَنَهَاجَةَ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كِتَابَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ أَكْثَرَ مِنْ صَنَهَاجَةَ وَمِنَ الْمَصَامِدَةِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكُوا أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ وَالشَّامَ وَمُضَرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةَ زَنَاتَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْمَصَامِدَةِ فَصَرَّ مَلِكُهُمْ عَنْ مَلِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدَدِهِمْ عَنْ عَدَدِ الْمَصَامِدَةِ مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ ثُمَّ اعْتَبِرْ بَعْدَ ذَلِكَ حَالِ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لَزَنَاتَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعَ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْغَلَبُ رَافِعًا بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنْ عَدَدَ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مُلْكِهِمْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا أَلْفًا إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالزَّفَرِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النَّسَبَةِ فِي أَعْدَادِ الْمُتَغَلِبِينَ لِأَوَّلِ الْمَلِكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طَوْلُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ النَّسَبَةِ لِأَنَّ عُمَرَ الْحَادِثِ مِنْ قُوَّةِ مَزَاجِهِ وَمَزَاجِ الدُّوَلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ الْعَصِيَّةُ قَوِيَّةً كَانَ الْعِزَاجُ نَائِبًا لَهَا وَكَانَ أَمْدُ النُّعْمِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَوُقُورِهِ كَمَا فَلَنَاهُ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَبْدُو فِي الدَّوْلَةِ مِنْ

الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمْلُوكًا كَثِيرَةً كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَنْ مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةً وَكُلُّ نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَتَكْثُرُ أَزْمَانُ النِّقْصِ لِكَثْرَةِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِصَاصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيَكُونُ أَمْدُهَا أَطْوَلُ الدُّوَلِ لَا بُدَّ لِلْعَبَّاسِ أَهْلِ الْمَرْكَزِ وَلَا بُدَّ لِبَنِي الْأُمَيَّةِ الْمُسْتَعِدِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ كَانَتْ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صَهْبَاجَةَ دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مُعِزِّ الدُّوَلَةِ أَمْرًا فَرِيقِيَّةً لِلْمَكِينِ بْنِ زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حِينَ اسْتِيلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَاعَةِ وَبِجَايَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَنَاهَزُ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَهَكَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والآهواء وآراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونهما فيكثُر الانقراض على الدولة والخروج عايتها في كل وقت وإن كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وأنظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ أول الإسلام ولهذا العهد فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الأول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الإفريقية شيئًا وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاضطحان من المسلمين فيهم ولما استقر الذين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بيد الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر أن أفرقة مفرقة لقلوب أهلها إشارة إلى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الإذعان والانتقاد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصنعة ولا الشام إنما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دهماء أهل مدن وأمصار فلما غلبهم المسلمون على الأمر وأنزعوهم من أيديهم لم يبق فيها ممانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن

تُحْصَى وَكُلُّهُمْ بِأَدْبَةٍ وَأَهْلُ عَصَائِبَ وَعَشَائِرَ وَكُلُّهَا مَلَكَتْ قَبِيلَةً عَادَتْ الْأُخْرَى  
مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالزَّدَةِ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَهْمِيدِ الدَّوْلَةِ بِوُطْنِ  
أَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
فَلَسْطِينِ وَكَعَمَانَ وَبَنِي عِصْوٍ وَبَنِي مَدِينٍ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِ وَالْعِمَاقَةِ وَأَكْرِيكَشَ  
وَالنَّبْطِ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ مَا لَا يُحْصَى كَثَرَةً وَتَنَوُّعًا فِي الْعَصَبَةِ فَصَعِبَ عَلَى  
بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهْمِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَرُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
وَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَأَخْلَفُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلِكٌ  
مُوَطَّدٌ سَائِرًا بِأَيِّهِمْ إِلَى أَنْ غَلِبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانُ ثُمَّ الرُّومُ أَخْرَجَ أَمْرَهُمْ عِنْدَ الْجَلَاءِ  
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبِهِ كُنْ هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانُ الْخَالِيَةُ مِنَ الْعَصَبِيَّاتِ يَسْهُلُ تَهْمِيدُ  
الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازِعًا لِقَلَّةِ الْخُرُجِ وَالْإِتْقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ فِيهَا إِلَى  
كَثِيرٍ مِنَ الْعَصَبَةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ هِيَ خُلُوٌّ مِنَ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصَبِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا قُلْنَا هُ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
لِقَلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلُ الْعَصَائِبِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَائِمَةٌ بِمُلُوكِ التَّرِكِ  
وَعَصَائِبِهِمْ يَتَغَابُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَنْتَقِلُ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنِيَّةٍ إِلَى مَنِيَّةٍ  
وَالْخِلَافَةُ مَسْمُومَةٌ لِلْعَبَاسِيِّينَ مِنْ أَغْقَابِ الْخُلَفَاءِ بَغْدَادَ وَكَذَلِكَ الشَّانُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ  
عَصَبَةَ ابْنِ الْأَحْمَرِ سُلْطَانَهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ قِيَوِيَّةً وَلَا كَانَتْ كَرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
أَهْلُ يَتٍّ مِنْ يَبُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ بِقُوَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَلَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
الْأَنْدَلُسِ لَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلَكَهُمْ الْبُزَيْرُ مِنْ لِمَتُونَةٍ وَالْمُوحِدِينَ  
سَمِعُوا مِلِكَتَهُمْ وَنَقَلَتْ وَطَنَهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتِ الْقُلُوبَ بَغْضًا لَهُمْ وَأَمَكَنَ الْمُوَحِدُونَ  
وَالسَّادَةُ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْحِصُونِ لِلطَّاعِيَةِ فِي سَبِيلِ الْأَسْتَظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
مِنْ تَمَلُّكِ الْحَضَرَةِ مَرَاكِشَ فَأَجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصَبَةِ الْقَدِيمَةِ مَعَادُونَ  
مِنْ يَبُوتِ الْعَرَبِ تَجَافَى بِهِمُ الْمَنِيَّةُ عَنِ الْحَاضِرَةِ وَالْأَنْصَارِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَرَسَّخُوا فِي  
الْعَصَبِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنِ مَرْدَنِيشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوَحِدِينَ  
فَنَبَذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ وَاسْتَقْلَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنُ

الْأَحْمَرِ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنُ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ فَدَعَا هُوْلَاءَ لِابْنِ أَبِي حَنْصٍ صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةٍ  
 مِنَ الْمُوْجِدِينَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بِعَصَابِيهِ قَرِيْبَةً مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَوِّنُ الرُّؤْسَاءَ وَلَمْ  
 يَتَخَجَّ لَا كَثَرُ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّمَا سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بِمَنْ يُعِزُّ إِلَيْهِ الْبَحْرَ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَانَةٍ فَصَارُوا مَعَهُ عُصْبَةً عَلَى  
 الشَّاعِرَةِ وَالرُّبَاطِ ثُمَّ بَمَا لَصَاحِبٍ مِنْ مُلُوكِ زَنَانَةٍ أَمَلُ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أَوَّلُكَ الْأَعْيَاصِ عَصَابَةُ ابْنِ الْأَحْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَأْتَلَ  
 أَمْرُهُ وَرَسَخَ وَآلَفَتْهُ النُّفُوسُ وَعَجَزَ النَّاسُ عَنْ مُطَالَبَتِهِ وَوَرِثَهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَقُنُّ  
 أَنَّهُ يَغْيِرُ عَصَابَةً فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بِعَصَابَةٍ إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنَّ فُطْرَ الْأَنْدَلُسِ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ يُغْنِي عَنْ كَثَرَةِ الْعَصِيَّةِ فِي الْغَلَبِ  
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُلُوكَ كَمَا قَدَّمَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ وَالْعَصِيَّةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عُصَبَاتٍ  
 كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى كُلُّهَا فَتَعْلَمُهَا وَتَسْتَوِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصِيرَهَا  
 جَمِيعًا فِي ضَمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِجْتِمَاعُ وَالْغَلَبُ عَلَى النَّاسِ وَاللُّدُولِ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصِيَّةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَبِيلِ هِيَ مِثْلُ الْمَزَاجِ لِلْمُتَكَوِّنِ وَالْمَزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعُنَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعُنَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مُتَكَافِئَةٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مَزَاجٌ أَصْلًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى يَجْمَعَهَا وَتُوَلِّفَهَا وَتُصِيرَهَا عَصِيَّةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لْجَمِيعِ الْعَصَائِبِ وَهِيَ مُوجُودَةٌ فِي ضَمْنِهَا وَتِلْكَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ لِقَوْمٍ أَهْلُ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رِئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رِئِيسًا لِلْعَصِيَّاتِ كُلِّهَا لِعَلْبِ مَنَبَتِهِ لْجَمِيعِهَا وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ فَيَنْ الطَّبِيعَةِ  
 الْحَيَوَانِيَّةِ خَلْقُ الْكَبِيرِ وَالْأَلْفَةِ فَإِنْفُ حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهَمَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي اسْتِنَابِهِمْ  
 وَالتَّحْكُمِ فِيهِمْ وَيَجِيئُ خَلْقُ التَّأَلُّهِ الَّذِي فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 انْفِرَادِ الْحَاكِمِ لِنَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكْمِ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتْ  
 فَتَجِدُ حِينَئِذٍ أَنْوَافَ الْعَصَبِيَّاتِ وَتَمْلَأُ شَكَائِهِمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي التَّحْكُمِ

وَتَفَرَّعُ عَصَبَتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَبِتَفَرُّدِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْقَى لَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَاقَةَ وَلَا جَمَلًا فَيَتَفَرَّدُ بِذَلِكَ التَّجِدُّ بِكُلِّيَّتِهِ وَبِدَقِّعِهِمْ عَنْ مُسَاهَمَتِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّالِثِ عَلَى قَدَرِ مُنَافَعَةِ الْعَصَبِيَّاتِ وَقُوَّهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الدُّوَلِ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَلَكَتْ مَا بِيَدَيْ أَهْلِ الْمُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاسَتُهَا وَنِعْمَتُهَا فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَجَاوِزُونَ ضَرُورَاتِ الْعَيْشِ وَخُشُونَتَهُ إِلَى نَوَافِلِهِ وَرِقَّتِهِ وَزِينَتِهِ وَبَذْهُونِ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لِنِلكَ النِّوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا وَتَبْزَعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الْأَحْوَالِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِيسِ وَالْفُرُشِ وَالْأَلْبَانَةِ وَتَفْخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَتُفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَلُبْسِ الْأَنْبَقِ وَزُكُوبِ الْفَارِهِ وَتَبَاغِي خَلْقُهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدَرِ مُلْكِهِمْ يَكُونُ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرْفُهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا يَحْصُلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَالَبَةِ وَالْمُطَالَبَةِ غَايَتُهَا التَّلَبُّ وَالْمُلْكُ وَإِذَا حَصَلَتِ الْغَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا (قال الشاعر)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ أَقْصَرُوا عَنِ الْمَتَاعِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهِ وَاتَّزَوْا الرِّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْأَمْنَانِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِيسِ فَيَبْنُونَ الْقُصُورَ وَيَجْرُونَ الْمِيَاهَ وَيَغْرِسُونَ الرِّيَاحَ وَبَسْتَمْتَعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤْتِرُونَ الرِّاحَةَ عَلَى الْمَتَاعِ وَتَبَاقُونَ فِي أَحْوَالِ الْمَلَابِيسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْأَلْبَانَةِ وَالْفُرُشِ مَا اسْتَطَاعُوا وَيَأْتُونَ ذَلِكَ وَيُورِثُونَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ

## الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

اقيات الدولة على الحرم

وَيَبَاطِنُهُ مِنْ وَجْهِهِ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْأَنْفِرَادَ بِالْعَجْدِ كَمَا فُلْنَاهُ وَمَهْمَا كَانَ  
الْعَجْدُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْعَصَابَةِ وَكَانَ سَعِيهِمْ لَهُ وَاحِدًا كَانَتْ هِمَمُهُمْ فِي التَّغَلُّبِ عَلَى الْغَيْرِ  
وَاللَّذْبِ عَنِ الْخَوْزَةِ أَسْوَةً فِي طُمُوحِهَا وَقُوَّةِ شَكَاكِمِهَا وَزَمَانُهَا إِلَى الْعَزِّ جَمِيعًا يَسْتَطِيعُونَ  
الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ تَجْدِيدِهِمْ وَيُؤْتِرُونَ الْمَلَكَ عَلَى نَسَائِدِهِ وَإِذَا انْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْعَجْدِ  
فَرَعَ عَصِيَّتَهُمْ وَكَبَّحَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَأَسْتَأْزَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَكَاسَلُوا عَنِ الْعَزِّ وَفُشِلَ  
رُجُوعُهُمْ وَزَعِمُوا الْمَذَلَّةَ وَالِاسْتِعْبَادَ ثُمَّ رُبِّيَ الْجِيلُ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَحْسِبُونَ مَا يَبَالُغُهُمْ  
مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَهُمْ عَنِ الْحِمَايَةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقُلَّ  
أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهْنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضًا مِنَ الشُّوْكَةِ  
وَتُقْبَلُ بِهِ عَلَى مَنَاحِي الضُّعْفِ وَالْهَرَمِ لِفَسَادِ الْعَصِيَّةِ بِذَهَابِ الْبَاسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي التَّرَفَ كَمَا قَدَّمَاهُ فَكَثُرَ عَوَائِدُهُمْ وَتَزِيدَ تَفَقُّهُنَّ  
عَلَى أَعْطِيَانِهِمْ وَلَا يَبْنِي دَخْلُهُمْ بِخَرْجِهِمْ فَالْفَقِيرُ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالْمُتَرَفُّ يَسْتَفْرِقُ عَطَاءَهُ  
يَتَرَفُّ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْبَالِهِمْ . الْمَتَأَخَّرَةُ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِ  
وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسُّهُمْ الْحَاجَةُ وَتَطَالِبُهُمْ مُلُوكُهُمْ يُجْصِرُ تَفَقُّاتِهِمْ فِي الْعَزِّ وَالْخُرُوبِ فَلَا  
يَجِدُونَ وَلِجَّةً عَنْهَا يُدْفِعُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ وَيَتَزَعُّونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْزِرُونَ  
بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤْتِرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيُضْعِفُونَهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَيُضْعَفُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ يَضْعِفُهُمْ وَأَيْضًا إِذَا كَثُرَ التَّرَفُ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
مُقْصَرًا عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَتَفَقُّاتِهِمْ . أَحْتَاجُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
فِي أَعْطِيَانِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيَزِيحَ عِلْلَهُمْ وَالْحَيَاةُ مِقْدَارُهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَزِيدُ وَلَا  
تَنْقُصُ وَإِنْ زَادَتْ يَمَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْمَكُوسِ فَيَصِيرُ مِقْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ تَعْدُودًا  
فَإِذَا وَزَعَتْ الْحَيَاةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يَمَا حَدَثَ مِنْ  
تَرَفِهِمْ وَكَثَرَتْ تَفَقُّاتِهِمْ نَقَصَ عَدَدُ الْحَمَايَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ



بِعَظْمِ التَّرَفِ وَتَكْثُرِ مَقَادِيرِ الْأَعْطِيَّاتِ لِذَلِكَ فَيَنْقُصُ عَدَدُ الْحَامِيَةِ وَتَأْثُلُ وَرَابِعًا إِلَى  
 أَنْ يَعُودَ الْعَسْكَرُ إِلَى أَقَلِّ الْأَعْدَادِ فَتَضَعُفُ الْحِمَايَةُ لِذَلِكَ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَتَجَاسَرُ  
 عَلَيْهَا مَنْ يَجَاوِزُهَا مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مِنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَيَأْذُنُ اللَّهُ  
 فِيهَا بِالْفِتَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقَتِهِ وَإِنِّصًا فَالْتَّرَفُ مُنْسِدٌ لِلتَّغْلُقِ بِمَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ  
 أَلْوَانِ الشَّرِّ وَالسَّفْسَفَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا بَأْثَى فِي فَصْلِ الْحِصَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلَالُ  
 الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عِلَامَةً عَلَى الْمَلِكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَبِتَصِفُونُ بِمَا بِنَافِضِهَا مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ  
 فَيَكُونُ عِلَامَةً عَلَى الْإِدْبَارِ وَالْإِنْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَلْقَتِهِ وَتَأْخُذُ  
 الدَّوْلَةُ بِمَادِي الْعَطَبِ وَتَنْضَعُضُ أَحْوَالُهَا وَتَنْزِلُ بِهَا أُمُرٌ مُزْمِنَةٌ مِنَ الْهَرَمِ إِلَى أَنْ  
 يُقْضَى عَلَيْهَا. الْوَجْهُ الثَّالثُ أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي الدَّعَى كَمَا ذَكَرْنَا وَإِذَا اخْتَدُوا  
 الدَّعَى وَالرَّاحَةَ مَا لَمْ نَأْمُرْ وَخُلُقًا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِيلَةً شَأْنُ الْعَوَائِدِ كُلِّهَا وَإِبْلَافُهَا  
 قَتَرَتِ أَجْبَالَهُمْ الْحَادِثَةُ فِي غَضَارَةِ الْعَيْشِ وَمِهَادِ التَّرَفِ وَالدَّعَى وَبِنَقْلِ خُلُقِ التَّوَحُّشِ  
 وَبِنَسْوَةِ عَوَائِدِ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْمَلِكُ مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَعَوُّدِ الْإِنْتِرَاسِ وَرُكُوبِ  
 الْبِيدَاءِ وَهَدَايَةِ الْقَفْرِ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الْخَضِرِ إِلَّا فِي الْفَقَافَةِ وَالشَّارَةِ  
 فَتَضَعُ حِمَايَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بَأْسُهُمْ وَتَخْفُضُ شَوْكَتَهُمْ وَيَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
 تُلْبَسُ مِنْ ثِيَابِ الْهَرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَلَوَّنُونَ بِعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْحِصَارَةِ وَالسُّكُونِ وَالدَّعَى  
 وَرِقَةِ الْخَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْرَالِهِمْ وَبِنَغْمَسُونَ فِيهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَتَعَدُّونَ عَنِ الْبِدَاوَةِ  
 وَالْحَشُونَةِ وَيَتَسَلَّخُونَ عَنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَتَسَوَّنَ خُلُقُ الْبَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ  
 حَتَّى يَعُودُوا عِيَالًا عَلَى حَامِيَةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي أَخْبَارُهَا  
 فِي الصُّحُوفِ لَدَيْكَ تَحْدِثُ مَا قُلْتُمْ لَكَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رَيْبَةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
 إِذَا طَرَفَهَا هَذَا الْهَرَمُ بِالْتَّرَفِ وَالرَّاحَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصَارًا وَشِيعَةً مِنْ غَيْرِ  
 جِلْدَتِهِمْ مِمَّنْ تَعَوَّدَ الْخَشُونَةَ فَيَتَخَذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْبَرَ عَلَى الْحَرْبِ وَأَقْدَرُ عَلَى مُعَانَاةِ  
 الشَّدَائِدِ مِنَ الْجُوعِ وَالشَّظْفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ  
 يَطْرُقَهَا حَتَّى يَأْذُنَ اللَّهُ فِيهَا بِأَمْرِ هَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوَاةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَإِنَّ غَالِبَ  
 جُنْدِهَا أَلْمَوَالِي مِنَ التُّرْكِ فَتَتَخَيَّرُ مُلُوكُهُمْ مِنْ أُولَئِكَ أَلْمَمَالِكِ أَلْمَجْلُوبِينَ إِلَيْهِمْ فَرَسَاتًا  
 وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَصْبَرَ عَلَى الشَّظْفِ مِنْ أُنْبَاءِ أَلْمَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَزُبُوا فِي مَاءِ النِّعَمِ وَالسُّلْطَانِ وَظَلَّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَانَةِ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْبِرُ مِنْهُمْ وَيَتْرُكُ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَعِيدُ الدَّوْلَةُ بِذَلِكَ عُمَرَاءَ آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهِ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص

إِعْلَمَ أَنَّ الْعُمَرَ الطَّبِيعِيَّ لِلْأَنْفَاصِ عَلَى مَا زَعَمَ الْأَطِبَّاءُ وَالْمُتَجَمِّعُونَ مِائَةً وَعِشْرُونَ  
سَنَةً وَهِيَ سِنُو الْعُمَرِ الْكُبْرَى عِنْدَ الْمُتَجَمِّعِينَ وَيَخْتَلِفُ الْعُمَرُ فِي كُلِّ جِيلٍ بِحَسَبِ  
الْقِرَانَاتِ فَيَزِيدُ عَنْ هَذَا وَيَقْصُرُ مِنْهُ فَيَكُونُ أَعْمَارُ بَعْضِ أَهْلِ الْقِرَانَاتِ مِائَةً تَامَةً  
وَبَعْضُهُمْ خَمْسِينَ أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَلَى مَا نَقَضِيهِ أُدْلَةُ الْقِرَانَاتِ عِنْدَ النَّاطِرِينَ فِيهَا  
وَأَعْمَارُ هَذِهِ الْعِلَّةِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى الْعُمَرِ  
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ مِائَةً وَعِشْرُونَ إِلَّا فِي الصُّورِ النَّادِرَةِ وَعَلَى الْأَوْضَاعِ الْغَرِيبَةِ مِنَ  
الْفَلَكَ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَلِيلٌ مِنْ قَوْمٍ عَادَ وَتَعَمُّدٌ وَأَمَّا أَعْمَارُ  
الدُّوَلِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقِرَانَاتِ إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي الْعَالَمِ لَا تَعْدُو  
أَعْمَارَ ثَلَاثَةِ أَجْبَالٍ وَالْجِيلُ هُوَ عُمَرُ شَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُمَرِ الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
أَرْبَعِينَ الَّذِي هُوَ أَنْتَهَاءُ النُّمُوِّ وَالنُّشُوءِ إِلَى غَايَتِهِ فَالْتَّعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشَدُّهُ وَبَلَغَ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ عُمَرَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ هُوَ عُمَرُ الْجِيلِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ  
فِي حِكْمَةِ التَّيْبِ الَّذِي وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ فَنَاءُ الْجِيلِ  
الْأَحْيَاءِ وَنَشَأُ جِيلٍ آخَرَ لَمْ يَعْهَدُوا الذَّلَّ وَلَا عَرَفُوهُ فَذَلَّ عَلَى اعْتِبَارِ الْأَرْبَعِينَ فِي  
عُمَرِ الْجِيلِ الَّذِي هُوَ عُمَرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ عُمَرَ الدَّوْلَةِ لَا يَبْعُدُ فِي الْعَالَمِ  
ثَلَاثَةَ أَجْبَالٍ لِأَنَّ الْجِيلَ الْأَوَّلَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ وَخُسُوفَتِهَا وَتَوَحُّشِهَا مِنْ  
شَطَطِ الْعَيْشِ وَالْبَسَاطَةِ وَالْأَفْرَاسِ وَالْأَشْتِرَاكِ فِي الْعَبَادَةِ فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ  
مَحْفُوظَةً فِيهِمْ فَحَدُّهُمْ مُرَهَفٌ وَجَانِبُهُمْ مُرْهُوبٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ مَعْلُوبُونَ وَالْجِيلُ الثَّانِي  
مَعْمُولٌ حَالَهُمْ بِالْمُلْكِ وَالتَّرَفِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمِنْ الشُّطْفِ إِلَى التَّرَفِ  
وَالْحَيْصِ وَمِنْ الْأَشْتِرَاكِ فِي الْعَبَادَةِ إِلَى انْفِرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ وَكَسَلِ الْبَاقِينَ عَنِ

السَّعْيِ فِيهِ وَمِنْ عَزِّ الْأَسْطَلَةِ إِلَى ذُلِّ الْأَسْتِكَانَةِ فَتَنْكَسِرُ سُورَةُ النَّصِيَةِ بَعْضُ  
الشَّيْءِ وَتُؤَسُّ مِنْهُمْ الْمَمَانَةُ وَالْخُضُوعُ وَيَبْقَى لَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ بَمَا أَدْرَكُوا الْجِيلَ  
الْأَوَّلَ وَبَاشَرُوا أَحْوَالَهُمْ وَشَهِدُوا اعْتِزَالَهُمْ وَسَعْيَهُمْ إِلَى الْعَجْدِ وَرَأَيْتُهُمْ فِي الْمُدَافَعَةِ  
وَالْحَيَاةِ فَلَا يَسْعُهُمْ تَرْكُ ذَلِكَ بِالْكَلِمَةِ وَإِنْ ذَهَبَ مِنْهُ مَا ذَهَبَ وَيَكُونُونَ عَلَى رَجَاءٍ  
مِنْ مُرَاجَعَةِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانَتْ لِلْجِيلِ الْأَوَّلِ أَوْ عَلَى ظَنٍّ مِنْ وَجُودِهَا فِيهِمْ وَأَمَّا  
الْجِيلُ الثَّلَاثُ فَيَنْسَوْنَ عَهْدَ الدَّوَاةِ وَالْخُسُونَةِ كَأَن لَمْ تَكُنْ وَيَقْدُونَ حَلَاوَةَ الْعِزِّ  
وَالنَّصِيَةِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكََةِ الْقَهْرِ وَيَبْلُغُ فِيهِمُ التَّرَفُ غَايَتَهُ يَمَّا تَبَنَّقُوهُ مِنَ النِّعَمِ  
وَعُضَارَةِ الْعَبَشِ فَيَصِيرُونَ عِيَالًا عَلَى الدَّوْلَةِ وَمِنْ جُمْلَةِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الْمُتَحَاجِينَ  
لِلْمُدَافَعَةِ عَنْهُمْ وَتَسْقُطُ الْعَصَبِيَّةُ بِالْجُمْلَةِ وَيَتَسَرَّنَ الْحَيَاةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَالْمُطَالَبَةُ  
وَيَلْبَسُونَ عَلَى النَّاسِ فِي الشَّارَةِ وَالزِّيِّ وَرُكُوبِ الْخَيْلِ وَحُسْنِ الثَّقَافَةِ يَوْمُونَ بِهَا وَهُمْ  
فِي الْأَكْثَرِ أَجَبْنَ مِنَ النِّسْوَانِ عَلَى ظُهُورِهَا فَإِذَا جَاءَ الْمُطَالِبُ لَهُمْ لَمْ يَقَاوُمُوا  
مُدَافَعَتَهُ فَيُحْتَاجُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَسْتَظْهَارِ بِسُوءِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعَجْدَةِ وَيَسْتَكْثِرُ  
بِالْمَوَالِي وَيَضْطَئِصُ مِنْ بَغْيِ عَنِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْغَنَاءِ حَتَّى يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِاتِّقَاضِهَا فَتَذْهَبَ  
الدَّوْلَةُ بِمَا حَمَلَتْ فَهَذِهِ كَمَا تَرَاهُ ثَلَاثَةُ أَجْيَالٍ فِيهَا يَكُونُ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَتُخْلَفُهَا  
وَلِهَذَا كَانَ اتِّقَاضُ الْحَسَبِ فِي الْجِيلِ الرَّابِعِ كَمَا مَرَّ فِي أَنْ الْعَجْدُ وَالْحَسَبُ إِنَّمَا هُوَ  
أَرْبَعَةُ آبَاءَ وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فِيهِ بِزَهْنٍ طَبِيعِي كَأَنَّ ظَاهِرَ مَبْنِيٍّ عَلَى مَا مَهَّدَنَاهُ قَبْلُ مِنْ  
الْمُقَدِّمَاتِ فَنَأْمَلُهُ فَلَنْ تَعْدُوَ وَجْهَ الْحَقِّ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ وَهَذِهِ الْأَجْيَالُ  
الثَّلَاثَةُ عُمُرُهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً عَلَى مِائَةٍ وَلَا تَعْدُو الدَّوْلُ فِي الْغَالِبِ هَذَا الْعُمُرُ بِتَقَرُّبِ  
قَبْلَةِ أَوْ بَعْدِهِ إِلَّا إِنْ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ آخَرُ مِنْ فَقْدَانِ الْمُطَالِبِ فَيَكُونُ لَهُمْ حَاصِلًا  
مُسْتَوِيلًا وَالْمُطَالِبُ لَمْ يَخْضَرْهَا وَلَوْ قَدْ جَاءَ الطَّالِبُ لَمَّا وَجَدَ مُدَافِعًا فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ  
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ فَهَذَا الْعُمُرُ لِلدَّوْلَةِ بِمَثَابَةِ عُمُرِ الشَّخْصِ مِنَ التَّزْيِيدِ  
إِلَى سِنِ الْوُقُوفِ ثُمَّ إِلَى سِنِ الرَّجُوعِ وَلِهَذَا يَجْرِي عَلَى السِّنَةِ النَّاسُ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّ  
عُمُرَ الدَّوْلَةِ مِائَةٌ سَنَةً وَهَذَا مَعْنَاهُ فَأَعْتَبِرْهُ وَاتَّخِذْ مِنْهُ قَانُونًا يُصَحِّحُ لَكَ عَدَدَ الْأَبَاءِ فِي  
عُمُودِ السَّيِّبِ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ إِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَرَبْتَ فِي  
عَدْدِهِمْ وَكَانَتْ السِّنُونَ الْمَاضِيَةُ مِنْذُ أَوَّلِهِمْ مُحْصَلَةً لَدَيْكَ فَقَدْ لِكُلِّ مِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآبَاءِ فَإِنْ تَفَدَّتْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ تَعَوُّدِ عَدَدِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ تَقَصَّتْ عَنْهُ  
بِجِبِلٍ فَقَدْ غَلَطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةِ وَاحِدٍ فِي عُمُودِ النَّسَبِ وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدُ السِّنِينَ مِنْ عَدَدِهِمْ إِذَا كَانَ مُحْصَلًا لَدَيْكَ فَتَأَمَّلْهُ نَجِدُهُ فِي الْغَالِبِ  
صَحِيحًا وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

إِعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَارَ طَبِيعِيَّةٌ لِلدُّوَلِ فَإِنَّ الْعَلَبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ  
بِالْعَصَبِيَّةِ وَبِمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَعَوُّدِ الْإِفْتِرَاسِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَالِبًا إِلَّا مَعَ  
الْبَدَاوَةِ فَطَوْرُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَوَّلِهَا بِدَاوَةٌ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ الْمَلِكُ تَبِعَهُ الرِّقَّةُ وَاتَّسَعَ الْأَحْوَالُ  
وَالْحَضَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَقَنُّنٌ فِي التَّرْفِ وَإِحْكَامِ الصَّنَائِعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وُجُوهِهِ وَمَذَاهِبِهِ  
مِنَ الْمَطَايِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْفُرُشِ وَالْأَنْبِيَةِ وَسَائِرِ عَوَائِدِ الْمَنْزِلِ وَأَحْوَالِهِ  
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَنَائِعٌ فِي اسْتِجَادَتِهِ وَالتَّائِقُ فِيهِ تَخَنُّصٌ بِهِ وَيَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا  
وَيَنْكَثِرُ بِاخْتِلَافِ مَا تَنْزِعُ إِلَيْهِ الدُّنُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذِّ وَالْتَنَعُمِ بِأَحْوَالِ  
التَّرْفِ وَمَا يُنْتَلَوْنَ بِهِ مِنَ الْعَوَائِدِ فَصَارَ طَوْرُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَلِكِ يَتَّبِعُ طَوْرَ الْبَدَاوَةِ  
ضَرُورَةً لِمُضْرُورَةٍ تَبِعِيَّةٍ الرَّفَّةِ لِلْمَلِكِ وَأَهْلِ الدُّوَلِ أَبَدًا يُقِلُّدُونَ فِي طَوْرِ الْحَضَارَةِ  
وَأَحْوَالِهَا لِلدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَهُمْ فَأَحْوَالُهُمْ يُشَاهِدُونَ وَمِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ بِأَخْذُونَ وَمِثْلُ هَذَا  
وَقَعَ لِلْعَرَبِ لَمَّا كَانَ أَقْفَحَ وَمَلَكَوا فَارِسَ وَالرُّومَ وَاسْتَعْدَمُوا بَنَاتِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَلَمْ  
يَكُونُوا لِذَلِكَ الْهَيْدِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَضَارَةِ فَقَدْ حَكَمِي أَنَّهُ قَدَّمَ لَهُمُ الْمَرْفَقُ فَكَانُوا  
يَحْسِبُونَهُ رِقَاءً وَعَزَّوْا عَلَى الْكَافُورِ فِي خَزَائِنِ كِسْرَى فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي عَجِيْبِهِمْ لِمَا وَمِثَالُ  
ذَلِكَ كَثِيرٌ فَلَمَّا اسْتَعْبَدُوا أَهْلَ الدُّوَلِ قَبْلَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوهُمْ فِي مِهْنِهِمْ وَحَاجَاتِ مَنَازِلِهِمْ  
وَأَخْتَارُوا مِنْهُمْ الْمَهْرَةَ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ وَالْقَوْمَةُ عَلَيْهِمْ أَقَادُوهُمْ عِلَاجَ ذَلِكَ وَالْقِيَامَ  
عَلَى عَمَلِهِ وَالتَّقَنُّنِ فِيهِ مَعَ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ اتِّسَاعِ الْعَيْشِ وَالتَّقَنُّنِ فِي أَحْوَالِهِ فَلَقَبُوا الْغَايَةَ  
فِي ذَلِكَ وَتَطَوَّرُوا بِطَوْرِ الْحَضَارَةِ وَالتَّرْفِ فِي الْأَحْوَالِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَايِخِ وَالْمَشَارِبِ  
وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْأَسْلِحَةِ وَالْفُرُشِ وَالْأَنْبِيَةِ وَسَائِرِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْزُورِ وَكَذَلِكَ  
أَحْوَالُهُمْ فِي أَيَّامِ الْمُبَاهَاةِ وَالْوَلَايَمِ وَلِيَالِي الْأَعْرَاسِ فَأَتَوْا مِنْ ذَلِكَ وَرَاءَ الْغَايَةِ وَأَنْظَرُوا

مَا نَقَلَهُ السَّمْعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَعْرَاسِ الْمَأْمُونِ بِبُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ  
 بْنِ سَهْلٍ وَمَا بَدَّلَ أَبُوهَا حَاشِيَةَ الْمَأْمُونِ حِينَ وَافَاهُ فِي خُطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِقَمِ الصُّلَحِ  
 وَرَكِبَ إِلَيْهَا فِي السَّنِينَ وَمَا أَتَقَى فِي أَمْلَاكِهَا وَمَا نَحَلَهَا الْمَأْمُونُ وَأَتَقَى فِي عَرَسِهَا  
 نَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْحَبِّ فَتَنَّهُ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَثَرَ يَوْمَ الْأَمْلَاكِ فِي الصَّبِيحِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةُ الْمَأْمُونِ فَتَنَرَ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بِنَادِقِ الْمَلِكِ مَلْئُوتَةً عَلَى  
 الرِّقَاعِ بِالصَّبَاغِ وَالْفَقَارِ مَسْوَعَةً لَعَنَ حَصَاتٍ فِي يَدِهِ يَبْقَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا  
 أَدَاهُ إِلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْبَحْثُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بَدْرَ الدَّنَائِبِ فِي كُلِّ بُدْرَةٍ عَشْرَةُ  
 آلَافٍ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّالثَةِ بَدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَتَقَى عَلَى مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ  
 بِدَارِهِ اضْغَافَ ذَلِكَ وَمِنَهُ أَنَّ الْمَأْمُونُ أَعْطَاهَا فِي نَهَارِهَا لَيْلَةً زَفَافَهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنَ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شَمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةَ مَنَ وَهُوَ رَطْلٌ وَثَلَاثُ (١)  
 وَبَسَطَ لَهَا فُرْشًا كَانَ الْخَصِيرُ مِنْهَا مَنَسُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 الْمَأْمُونُ حِينَ رَأَاهُ قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا نُوَاسٍ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِنَةِ الْخَمْرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبَخِ مِنَ الْحُطْبِ لِلَّيْلَةِ الْوَلِيمَةِ نَقْلَ مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ بَعْلًا مُدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفَنِي الْحُطْبِ لِلثَّلَاثِينَ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ يَحْبُونُ عَلَيْهِ الرِّبْتَ  
 وَأَوْعَزَ إِلَى الثَّوَابَةِ بِإِحْضَارِ السُّنَنِ لِأَجَازَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى  
 فُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَلِيمَةِ فَكَانَتِ الْحَرَفَاتُ (٢) الدَّعْدَةُ لِلذَّكَاءِ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أُخْرِيَاتِ نَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمثالِهِ وَكَذَلِكَ عَرَسُ  
 الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي الثُّونِ بِطَلْطَلَةِ نَقْلِهِ أَبْنِ سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنِ حَبَانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطَّوَرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ جُمْلَةً لِفَقْدَانِ أَسْبَابِهِ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاضَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ يُذَكِّرُ أَنَّ الْحَبَّاجَ أَوَّلَ فِي اخْتِنَانِ  
 بَعْضٍ وَلَدِهِ فَأَسْتَخْصَرَ بَعْضُ الدَّهَاقِينِ بِسَالُهُ عَنْ وَلَائِمِ الْفَرَسِ وَقَالَ أَخْبَرَنِي بِأَعْظَمِ  
 صَبِيحٍ شَهِدْتُهُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَهِدْتُ بَعْضَ مَرَاذِبَةٍ كَسَرَى وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلاثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التوسمية لذلك

(٢) المحركات بالفتح جمع حرافة سفينة فيها مراحي نار يرمي بها العدو اه مختار

فَارِسَ صَبِيحًا أَحْضَرَ فِيهِ صِغَاتِ الذَّهَبِ عَلَى أَخَوَاتِهِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَعْمَلُهُ  
 أَرْبَعُ وَصَائِفَ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا أَتَبِعُوا أَرْبَعَتُهُمُ الْمَائِدَةَ  
 بِصَحَائِفِهَا وَوُصَفَائِهَا فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا غُلَامُ انْخِرِ الْجُزُرَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيلُ  
 بِهِذِهِ الْأَهْلِيَّةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أُعْطِيَتْ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَارِئُهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهَا الْأَبِلَ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبِدَوَانِهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَارِئُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 وَالْعَبِيدِيَّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَحْمَالِ الْمَالِ وَنَحْوِ الثِّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِعَرَاكِهَا  
 وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كُنَامَةِ مَعَ الْأَعَالِيَةِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَكَذَا بَنِي طَفَّحٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمَتُونَةَ  
 مَعَ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَانَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُمَّ  
 جَرًّا تَنْتَقِلُ الْحِضَارَةُ مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدُّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ الْفَرَسِ لِلْعَرَبِ  
 بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمُوحِدِينَ وَزَنَانَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ حِضَارَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدَّيْلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
 إِلَى السَّجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ الْمَمَالِكِ بِمِصْرَ وَالتُّرْكِ بِالْعِرَاقَيْنِ وَعَلَى قَدَرِ عِظَمِ الدَّوْلَةِ  
 يَكُونُ شَأْنُهَا فِي الْحِضَارَةِ إِذَا أُمُورُ الْحِضَارَةِ مِنْ تَوَاعِيهِ التَّرَفِ وَالتَّرَفِ مِنْ تَوَاعِيهِ  
 الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ تَوَاعِيهِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارًا مَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ  
 فَعَلَى نِسْبَةِ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبَرَهُ وَتَفَهَّمَهُ وَتَأَمَّلَهُ تَجِدُهُ صَحِيحًا فِي الْعُمُرَانِ  
 وَآلَهُ وَارِثِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُ كَثُرَ التَّنَاسُلُ وَالْوُلْدُ  
 وَالْعُمُومِيَّةُ فَكَثُرَتِ الْعِصَابَةُ وَاسْتَكْتَرُوا أَيْضًا مِنَ الْعُمَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبَّيْتَ أَجْيَالَهُمْ  
 فِي جَوْزِ ذَلِكَ الْعَمِيمِ وَالرَّقْمِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةَ إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
 كَثَرَةِ الْعِصَابِ جَيْئِدٍ بِكَثَرَةِ الْعَدَدِ فَإِذَا ذَهَبَ الْجَيْلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَآخَذَتِ الدَّوْلَةُ  
 فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَقِلْ أُولَئِكَ الصَّنَائِعُ وَالْعُمَالِي بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ وَتَمْهِيدِ  
 مَلِكِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
 ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَقِلْ الْفَرْعُ بِالرُّسُوحِ فَيَذْهَبُ وَيَتَلَاشَى وَلَا تَبْقَى الدَّوْلَةُ عَلَى حَالِهَا

مِنَ الْقُوَّةِ وَاعْتَبَرْنَا هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ كَمَا قُلْنَا  
لِعَهْدِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَمَا يُقَارِبُهَا مِنْ مُضَرٍّ وَفُحْطَانٍ وَلَمَّا بَلَغَ التَّرَفُ  
مِثْلَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَقَّرَ نَعْمُهُمْ بِتَوَفُّرِ النِّعْمَةِ وَاسْتَكْتَرَ الْخَلْفَاءُ مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ  
بَلَغَ ذَلِكَ الْعَدَدُ إِلَى أَعْضَائِهِ يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ نَازَلَ عُمُورِيَّةً لَمَّا أَفْتَحَهَا فِي تِسْعِمِائَةِ  
أَلْفٍ وَلَا يَبْعُدُ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا إِذَا اعْتَبَرْتَ حَامِيَتَهُمْ فِي الثُّغُورِ الدَّائِنَةِ  
وَالْفَاصِيَةِ شَرْقًا وَغَرْبًا إِلَى الْجُنْدِ الْحَامِلِينَ سِرِيرَ الْمُلْكِ وَالْمَوَالِي وَالْمُضْطَاعِينَ وَقَالَ  
الْمَسْعُودِيُّ أَحْصَى أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً أَيَّامَ الْمَأْمُونِ لِلِلَّائِقِ تَقَاقُعِ عَلَيْهِمْ  
فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ ذِكْرَانٍ وَإِنَّا نَظَرْنَا بِمَا بَلَغَ هَذَا الْعَدَدُ لِأَقَلِّ مِنْ مِائَتَيْ سَنَةٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبَبَهُ الرِّفْقَةُ وَالنَّعِيمُ الَّذِي حَصَلَ لِلدَّوْلَةِ وَرَبِّي فِيهِ أَجْبَالُهُمْ وَإِلَّا فَعَدَدُ الْعَرَبِ  
لِلْأَوَّلِ الْفَتْحِ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل السابع عشر

فِي أَطْوَارِ الدَّوْلَةِ وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا وَخَلَقَ أَهْلُهَا بِاخْتِلَافِ الْأَطْوَارِ  
إِعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَتَقَلَّبُ فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ وَحَالَاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ وَيَكْتَسِبُ الْقَائِمُونَ  
بِهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ خُلُقًا مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الطَّوْرِ لَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الطَّوْرِ الْآخِرِ لِأَنَّ  
الْخُلُقَ تَابِعَ بِالطَّبَعِ لِمَزَاجِ الْحَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَحَالَاتِ الدَّوْلَةِ وَأَطْوَارُهَا لَا تَعْدُو فِي  
الْغَالِبِ خَمْسَةَ أَطْوَارٍ. الطَّوْرُ الْأَوَّلُ طَوْرُ الظُّفْرِ بِالْبَغْيَةِ وَعَلَبِ الْمُدَافِعِ وَالْمُضَامِنِ  
وَالِاسْتِدْلَاءِ عَلَى الْمُلْكِ وَانْتِزَاعِهِ مِنْ أَيْدِي الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ أَسْوَةٌ قَوْمِهِ فِي  
اِكْتِسَابِ التَّجَدُّدِ وَجَبَابَةِ الْمَالِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنِ الْحُوزَةِ وَالْحِمَايَةِ لَا يَنْفَرِدُ دُونَهُمْ بِشَيْءٍ  
لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْعَلَبُ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَعْدَ بَيَّانِهَا. الطَّوْرُ الثَّانِي  
طَوْرُ الْإِسْتِدْلَاءِ عَلَى قَوْمِهِ وَالْإِنْفِرَادِ دُونَهُمْ بِالْمُلْكِ وَكَبْخِيمِهِ عَنِ التَّطَاوُلِ لِلْمُسَاهَمَةِ  
وَالْمُشَارَكَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ مَعْنِيًا بِاصْطِنَاعِ الرِّجَالِ وَاتِّخَاذِ  
الْمَوَالِي وَالْعَنَائِعِ وَالِاسْتِكْتِنَانِ مِنْ ذَلِكَ لِجَدْعِ أَنْوَافِ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ وَعَشِيرَتِهِ الْقَائِمِينَ  
لَهُ فِي نِسْبَةِ الضَّارِبِينَ فِي الْمُلْكِ بِمِثْلِ سَهْمِهِ فَبُوَ يُدَاعِيهِمْ عَنِ الْأَمْرِ وَيَصُدُّهُمْ عَنِ  
مَوَارِدِهِ وَيَرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ أَنْ يَخْلُصُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَ الْأَمْرَ فِي نِصَابِهِ وَيُفَرِّدَ أَهْلَ  
بَيْتِهِ بِمَا يَبْنِي مِنْ تَجِدِهِ فَيُعَايِي مِنْ مُدَافَعَتِهِمْ وَمُعَالَبَتِهِمْ مِثْلَ مَا عَانَاهُ الْأَوَّلُونَ فِي طَلَبِ

الْأَمْرَ أَوْ أَشَدَّ لَانَ الْأَوَّلِينَ دَافَعُوا الْأَجَانِبَ فَكَانَ ظُهُرُهُمْ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ أَهْلَ  
النَّصِيبِ بِأَجْدِهِمْ وَهَذَا يُدَافِعُ الْأَقَارِبَ لَا يَظَاهِرُهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ  
الْأَبَاعِدِ فَبَزَكَبْ صَعْبًا مِنَ الْأَمْرِ. الطَّوْرُ الثَّلَاثُ طَوْرُ الْفَرَاغِ وَالِدَعَةُ لِتَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ  
الْمُلْكِ مِمَّا تَنْزِعُ طِبَاعُ الْبَشَرِ إِلَيْهِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ وَتَخْلِيدِ الْأَنْوَارِ وَبَعْدَ الصِّيَةِ  
فَيَسْتَفْرِغُ وَسَعَهُ فِي الْجِبَابَةِ وَضَبَطَ الدَّخْلَ وَالْخُرْجَ وَإِحْصَاءَ النِّفَقَاتِ وَالْقَصْدَ فِيهَا  
وَتَشْيِيدَ الْبَنَانِي الْخَادِلَةِ وَالْمَصَانِعِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَمْصَارِ الْمُتَسَعَةِ وَالْهَيَا كُلِّ الْمُزْتَمِعَةِ  
وَإِحَارَةَ الْوُفُودِ مِنْ أَشْرَافِ الْأُمَمِ وَوُجُوهِ الْقَبَائِلِ وَبَثَّ الْمَعْرُوفِ فِي أَهْلِهِ هَذَا مَعَ  
التَّوَسُّعَةِ عَلَى صَنَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ فِي أحوَالِهِمْ بِالْمَالِ وَتِلْجَاهِ وَاعْتِرَاضِ جُنُودِهِ وَإِدْرَارِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَإِنْصَانِهِمْ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ لِكُلِّ هِلَالٍ حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي مَلَأْسِهِمْ  
وَشُكْبِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ بِوَمِ الْزَيْتَةِ قِيَّاهِي بِهِمُ الدُّوْلُ الْمُسَالَمَةُ وَيَرْمِبُ الدُّوْلُ الْمُحَارَبَةُ  
وَهَذَا الطَّوْرُ آخِرُ الْأَوَارِ الْإِسْتِبْدَادِ مِنْ أَمْنِجَابِ الدُّوْلَةِ لِأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْأَوَارِ كَلَّهَا  
مُسْتَقْلُونَ بِأَرَائِهِمْ بَأَنْوُنٍ لِعَزِيمِهِمْ مُوضِحُونَ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْعُدُهُمُ. الطَّوْرُ الرَّابِعُ طَوْرُ  
الْقَنُوعِ وَالْمُسَالَمَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدُّوْلَةِ فِي هَذَا قَانِعًا بِمَا بَنَى أَوَّلُهُ سِلْمًا لِأَنْظَارِهِ  
مِنَ الْمُلُوكِ وَأَقْتَالِهِ مَقْلِدًا لِلْمَاضِينَ مِنْ سَلَفِهِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ حَذْوُ النَّمْلِ بِالنَّمْلِ وَيَقْتَنِي  
طَرِيقَهُمْ بِأَخْسَنِ مَنَاجِجِ الْإِفْتِدَاءِ وَيَرَى أَنَّ فِي الْخُرُوجِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فَسَادُ أَمْرِهِ وَأَنَّهُمْ  
أَبْصَرُ بِمَا بَنَوْا مِنْ مَجْدِهِ. الطَّوْرُ الْخَامِسُ طَوْرُ الْأَسْرَافِ وَالتَّبَذِيرِ وَيَكُونُ صَاحِبُ  
الدُّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ مُتْلِفًا لِمَا جَمَعَ أَوَّلُهُ فِي سَبِيلِ الشُّهُوَاتِ وَالْمَلَذِّ وَالْكَرَمِ عَلَى  
بَطَانَتِهِ وَفِي مَجَالِسِهِ وَاصْطِنَاعِ أَخْدَانِ السُّوءِ وَخَضْرَاءِ الدِّمَنِ وَتَقْلِيدِهِمْ عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ  
الَّتِي لَا يَسْتَقِلُّونَ بِمَحَامِلِهَا وَلَا يَبْعُرُونَ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مِنْهَا مُسْتَفْسِدَ الْكِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ  
مِنْ قَوْمِهِ وَصَنَائِعِ سَلَفِهِ حَتَّى يَفْطَعُونَهَا عَلَيْهِ وَيَتَخَذَلُوا عَنْ نُصْرَتِهِ مُضِيْعًا مِنْ جُنْدِهِ  
بِمَا أَتَقَى مِنْ أُعْطِيَاتِهِمْ فِي شُهُوَاتِهِ وَحُجْبِ عَنْهُمْ وَجْهَ مِبَاشَرَتِهِ وَتَقْنِيدِهِ فَيَكُونُ تَخَرُّبًا  
لِمَا كَانَ سَلَفُهُ يُوَسِّسُونَ وَهَادِمًا لِمَا كَانُوا يَبْنُونَ وَفِي هَذَا الطَّوْرِ تَحْضُلُ فِي الدُّوْلَةِ طَائِفَةٌ  
الْهَرَمُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْمَرَضُ الْمَزْمُنُ الَّذِي لَا تَكَادُ تَخْلُصُ مِنْهُ وَلَا يَكُونُ لَهَا مَعَهُ  
بُرْءٌ إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ كَمَا نَبِيذُهُ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي تَسْرِدُهَا وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ



## الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَارَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا  
يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَاقِي الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ  
الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنِمُّ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَاجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالْعَمَلِ  
فِيهِ فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَسَبَبَةُ الْجَوَانِبِ كَثِيرَةٌ الْمَالِكِ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ  
كَثِيرِينَ جِدًّا وَحُسْرُوا مِنْ أَفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَمَنْ الْعَمَلُ عَلَى أَعْظَمِ هِيَ كُلُّهَا لَا تَرَى  
إِلَى مَصَانِعِ قَوْمٍ عَادٍ وَتَمُودَ وَمَا قَصَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمَا وَانْظُرْ بِالْمُشَاهِدَةِ إِيَّوَانِ كِسْرَى  
وَمَا أَقْدَرُ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَتَخْرِيْبِهِ فَتَكَادَ عَنْهُ وَتَمَرَّعَ  
فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْفَجْزُ وَفَصَّه أَسْتَشَارَتْهُ لِيَحْيَى ابْنُ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةٌ فَإِنْظُرْ كَيْفَ  
تَقْتَدِرُ دَوْلَةٌ عَلَى بِنَاءٍ لَا تَسْتَطِيعُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ بَوْنِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ فِي السَّهُولَةِ  
تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ بَوْنَ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَانْظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْوَلِيدِ بِدِمَشْقٍ وَجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ  
بِقَرْطَبَةِ وَالْقَنْطَرَةِ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْحَنَابِلِ الْجَلِبِ الْمَاءِ إِلَى قَرْطَابَةِ بِفِ  
الْقَنَاءِ الرَّابِئَةِ عَلَيْهَا وَآثَارُ شَرْشَالٍ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامِ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ  
الْمَائِلَةِ لِلْعِيَانِ يُعْلَمُ مِنْهُ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ  
لِلْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِالْهَيْئَةِ وَاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ شَبِّهَتْ  
تِلْكَ الْأَيَّامُ كُلُّهَا وَالْمَصَانِعُ وَلَا تَتَوَهَّمُ مَا تَوَهَّمُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ أَجْسَامِ الْأَقْدَمِينَ  
عَنْ أَجْسَامِنَا فِي أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ بَوْنٌ كَمَا تَجِدُ بَيْنَ  
أَهْلِي كُلِّ وَالْآثَارِ وَقَدْ وَلِعَ الْقَصَاصُ بِذَلِكَ وَتَعَالَوْا فِيهِ وَسَطَرُوا عَنْ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ  
فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرِيقَةً فِي الْكَذِبِ مِنْ أَغْرِبِهَا مَا يَحْكُونُ عَنْ عَوْجِ بْنِ عَنَاقٍ <sup>(١)</sup> رَجُلٍ  
مِنَ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لَطُولُهُ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ  
مِنَ الْبَحْرِ وَيَسُوْبُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلِ بِأَحْوَالِ  
الْكَوَاكِبِ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّمْسِ حَرَارَةً وَأَنَّهَا شَدِيدَةٌ فِيمَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجيم دوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس

عنى بالنون قاله نصر المهور بني

اِنَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّ وَاَنَّ الضَّوَّ فِيمَا قَرُبَ مِنَ الْاَرْضِ اَكْثَرَ لِانْعِكَاسِ الْاَشِعَّةِ  
 مِنْ سَطْحِ الْاَرْضِ بِمِقَابِلَةِ الْاَضْوَاءِ فَتَضَاعَفَ الْحَرَارَةُ هُنَا لِاجْلِ ذَلِكَ وَاِذَا تَجَاوَزَتْ  
 مَطَارِحَ الْاَشِعَّةِ اَلْتَّعْكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَتَّى تَجَارِي السَّحَابَ  
 وَاَنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ وَاِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِيطٌ مُضِيٌّ لَا مِزَاجَ لَهُ  
 وَكَذَلِكَ عُوجُ بَنِي عِنَانٍ هُوَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ اَوْ مِنَ الْمَكْنَعَانِيَيْنِ الَّذِينَ  
 كَانُوا قَرِيبَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ فَتْحِهِمُ الشَّامَ وَأَطْوَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجِسْمَانِهِمُ لِلذَّكَ  
 الْعَهْدِ قَرِيبَةٌ مِنْ هَبَا كَلِمَا يَشْهَدُ لِنَاكَ اَنْبَوَاءُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنَّهَا وَإِنْ خُرِبَتْ  
 وَجُدِدَتْ لَمْ تَزَلِ الْمَحْفَظَةُ عَلَى أَشْكَالِهَا وَمَقَادِيرِ اَنْبَوَائِهَا وَكَيْفَ يَكُونُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ  
 عُوجٍ وَبَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِهَذَا الْقَدَارِ وَاِنَّمَا مَثَارُ غَلْطِهِمْ فِي هَذَا أَنَّهُمْ اسْتَغْطَمُوا آثَارَ  
 الْأُمَمِ وَلَمْ يَقْهَمُوا حَالَ الدُّوَلِ فِي الْأَجْتِمَاعِ وَالنَّعَاوُنِ وَمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ وَبِالْهَيْدَامِ مِنَ  
 الْآثَارِ الْعَظِيمَةِ فَصَرَّفُوهُ إِلَى قُوَّةِ الْأَجْسَامِ وَشِدَّتِهَا بِعَظَمِ هَبَا كَلِمَا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
 وَقَدْ زَعَمَ الْمَسْعُودِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ مَرْعَمًا لَا مُسْتَدَلَّ لَهُ إِلَّا التَّعَكُّمُ وَهُوَ أَنَّ  
 الطَّبِيعَةَ الَّتِي هِيَ جَبَلَةٌ لِلْأَجْسَامِ لَمَّا رَأَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَمَامِ الْكُرَّةِ وَنِهَابَةِ الْقُوَّةِ  
 وَالْكَمَالِ وَكَانَتْ الْأَعْمَارُ أَطْوَلُ وَالْأَجْسَامُ أَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ طُرُوءَ  
 الْمَوْتِ إِنَّمَا هُوَ بِإِخْلَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْأَعْمَارُ أَرْبَدَ فَكَانَ  
 الْعَالَمُ فِي أَوَّلِيَّةِ نَشْأَتِهِ تَامَ الْأَعْمَارُ كَامِلَ الْأَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَصُ لِنُقْصَانِ الْمَادَّةِ  
 إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَصُ إِلَى وَقْتِ الْإِخْلَالِ  
 وَاتَّقَرُّضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَأْيِي لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا التَّعَكُّمُ كَمَا تَرَامُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
 وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَتَحْتَ نَشَاطِدِ مَسَاكِينِ الْأَوَّلِينَ وَأَنْبَوَائِهِمْ وَطُرُقِهِمْ فِيمَا أَخَذُوهُ مِنْ  
 النَّبْيَانِ وَالْهَيَاكِلِ وَالذِّبَارِ وَالْمَسَاكِينِ كَدِيَارِ تَمُودَ الْمَحْجُونَةِ فِي الصَّلْدِ مِنْ مَا يَصْخَرُ يَوْمًا  
 صَغَارًا وَأَنْبَوَائِهَا ضَيْقَةً وَقَدْ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَعَى عَنْ اسْتِعْمَالِ  
 مِيَاهِهِمْ وَطَرَحَ مَا عُجِنَ بِهِ وَأُهْرِقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا  
 أَنْ تَكُونُوا بِأَكْبَنَ أَنْ يُصِيَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ أَرْضُ عَادٍ وَمِصْرُ وَالشَّامُ وَسَائِرُ  
 بَقَاعِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَالْحَقُّ مَا فَرَزَنَاهُ وَمِنْ آثَارِ الدُّوَلِ أَيْضًا حَالُهَا فِي الْأَغْرَاسِ  
 وَالْأَوَلَايِمِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وَلِيْمَةِ بُورَانٍ وَصَنِيعِ الْحَجَّاجِ وَأَبْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ

ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْ آثارِهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَتَمَّتْهَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَتِهَا وَيُظْهِرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ الْهَرَمَ الَّذِي لِأَهْلِ الدُّوَلَةِ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ مُلْكِهِمْ  
 وَعَالِيهِمْ لِلنَّاسِ وَالْهَرَمُ لَا تَزَالُ مُصَاحِبَةً لَهُمْ إِلَى اقْتِرَاضِ الدُّوَلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَجَازِ  
 ابْنِ ذِي يَزَنَ لَوْفِدِ قُرَيْشٍ كَيْفَ أُعْطُوا مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْأَعْبَدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرِشِ الْعَنْبَرِ وَاحِدَةً وَأَضَعْتَ ذَلِكَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَإِنَّمَا مُلْكُهُ يَوْمَئِذٍ قَرَارَةُ الْيَمَنِ خَاصَّةً تَحْتَ اسْتِبدَادِ فَارِسٍ وَإِنَّمَا حَمَلُهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةٌ نَفْسِهِ بِمَا كَانَ لِقَوْمِهِ التَّابِعَةِ مِنَ الْمُلْكِ فِي الْأَرْضِ وَالْقَلْبِ عَلَى الْأَمْرِ  
 فِي الْعِرَاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصَّنَاجِرُونَ بِأَفْرِيقَةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أُمَرَاءِ زَنَانَةِ الْوَأَفِدِينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطَوْنَهُمُ الْمَالَ أَحْمَالًا وَالْكِسَاءُ تَخُونًا تَمْلُوءَةً  
 وَالْحَمَلَاتِ جَنَائِبَ عَدِيدَةٍ وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الرَّفِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَا الْبَرَامِكَةِ وَجَرَائِزُهُمْ وَتَفَقَّاهُمْ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوَلَايَةُ  
 وَالتَّعْمَةُ آخِرُ الدَّهْرِ لَا الْعَطَاةَ الَّذِي يَسْتَنْدُهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَسْطُورَةٌ وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى نِسْبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ أَصْغَلِي الْكَاتِبِ  
 فَإِنَّ جَيْشَ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا ارْتَحَلَ إِلَى قَتَحٍ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنَ الْقَبِيرِ وَانِ بِأَنْبِ حِمْلٍ مِنْ  
 الْمَالِ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجِدَ يَخْطُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ  
 عَبْدِ الْحَمِيدِ عَمَلٌ يَمَّا يَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ يَبْغِدَادَ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ التَّوَاهِي  
 نَقَلَتْهُ مِنْ جَرَابِ الدُّوَلَةِ (غلات السواد) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْحِلَالِ الْبُجْرَانِيَّةِ مِائَتًا حَلَةً وَمِنْ طِينِ الْخْتَمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (كَكَر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسِتِّمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (كورد حلة)  
 عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَّةُ دِرْهَمٍ (حلوان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الاهواز) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنْ الشَّكْرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فارس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةٍ وَمِنْ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (كرمان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفِ  
 دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِائَتًا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْمَتَاعِ الْيَمَانِيِّ خَمْسُمِائَةَ تَوْبٍ وَمِنْ التَّمْرِ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مَكْران) أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السند وما يليه) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ

أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَمِنْ أَلْعُودِ الْإِنْدِي مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رِطْلًا  
 (مِجْهَان) أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْبَابِ الْمَعِينَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ ثَوْبٍ وَمِنْ  
 أَلْفَانِيْدٍ عَشْرُونَ رِطْلًا (خِرَاسَان) ثَمَانِيَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ نَقَرِ  
 أَلْفِضَةٍ أَلْفَا نَقْرَةً وَمِنْ أَلْبَرَاذِينِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَمِنْ الرِّقِيْقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْمَتَاعِ  
 عَشْرُونَ أَلْفَ ثَوْبٍ وَمِنْ الْإِهْلِيَالِجِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (جِرْجَان) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
 أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْإِبْرِيسِمِ أَلْفُ شَقَّةٍ (قَوْس) أَلْفُ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ  
 مِنْ نَقَرِ أَلْفِضَةٍ (طَبْرِسْتَان وَالرُّوْيَان وَهِنَاوَنْد) سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفٍ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ  
 وَمِنْ أَلْفَرَشِ الطَّابِرِيِّ سِتْمِائَةِ قِطْعَةٍ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ مِائَتَانِ وَمِنْ الْبَابِ خَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ  
 وَمِنْ أَلْمَنَادِيلِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَمِنْ أَلْجَمَامَاتِ ثَلَاثُمِائَةٍ (الرِّي) اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ عَشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (هَمْدَان) أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ وَمِنْ رُبِّ الرُّمَانِ أَلْفُ رِطْلٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ  
 (مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْمَكُوفَةِ) عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ  
 (مَا سَبْدَانِ وَالدِّيْنَارُ<sup>(١)</sup>) أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (شَهْرُ زُور) سِتَّةُ آلَافٍ  
 أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (الْمُوصِلُ وَمَا يَلِيهَا) أَرْبَعَةُ وَعَشْرُونَ أَلْفَ  
 أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْعَسَلِ الْأَبْيَضِ عَشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ رِطْلٍ (أَذْرِيْجَان) أَرْبَعَةُ  
 آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (الْحَزِيْرَةُ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَعْمَالِ الْفَرَاتِ) أَرْبَعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 أَلْفٍ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الرِّقِيْقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ أَلْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ زِقٍ وَمِنْ  
 أَلْبَزَاةِ<sup>(٢)</sup> عَشْرَةٌ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ عَشْرُونَ (أَرْمِينِيَّة) ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ أَلْبَسِطِ<sup>(٣)</sup> أَلْعَفْخُورِ عَشْرُونَ وَمِنْ أَلزَّقِمِ خَمْسُمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ رِطْلًا وَمِنْ  
 أَلْمَسَايِجِ السَّرِّ مَا هِيَ عَشْرَةُ آلَافٍ رِطْلٍ وَمِنْ أَلصُّونِجِ عَشْرَةُ آلَافٍ رِطْلٍ وَمِنْ  
 أَلْبَغَالِ مِائَتَانِ وَمِنْ أَلْمَهْرَةِ ثَلَاثُونَ (قَنْسَرِين) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَمِنْ الزَّيْتِ أَلْفُ  
 حِمْلٍ (دَمَشَق) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَعَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (الْأَرْدَنْ) سَبْعَةٌ  
 وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (فَلَسْطِين) ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفَ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ وَمِنْ

(١) قوله والدينار والظاهر انما الدينار وفي الترجمة التركية ما يدان وديناره (٢) قوله ومن  
 اجزاء في التركية ومن السكر عشرة صناديقه (٣) وفي نسخة النبط

الزيت ثلاثمائة ألف رطل ( مصر ) ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون  
 ألف دينار ( بركة ) ألف ألف درهم مرتين ( افرقية ) ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
 مرتين ومن البسط مائة وعشرون ( اليمن ) ثلاثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار  
 سوى المتاع ( الحجاز ) ثلاثمائة ألف دينار انتهى . وأما الأندلس فآلدي ذكره  
 التفات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خاف في يوت أمواله خمسة آلاف ألف  
 ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقطاير خمسمائة ألف فنطار .  
 ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن التحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف  
 فنطار وخمسمائة فنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا  
 تنكر ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلتك عند ملقط  
 الممكبات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة  
 بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجرد والعمران متفاوتة ومن  
 أدرك منها رتبة سنلي أو وسطي فلا يحضر الممدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما  
 يقبل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيدين وناسبتنا الصحيح من ذلك والذي  
 لا شك فيه بالذي نشاهد من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا  
 وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على  
 نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا إنكار ذلك عنها إذ كثير من هذه  
 الأحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها  
 المعان والمُشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول  
 في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية  
 المستظرفة وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين  
 رجل من مشيخة طنجة يعرف بأبن بطوطة<sup>(١)</sup> كان رحل منذ عشرين سنة قبلها  
 إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك  
 الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بمالكها لذلك العهد وهو فيروزجره وكان له منه  
 مكان واستعمله في خطبة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم أنقلب إلى المغرب

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهى أوهاشنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة ما كرر بسا

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رِجَالِهِ وَمَا رَأَى مِنْ أَلْجَائِبِ  
بِمَا لَكَ الْأَرْضُ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُعَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أَحْوَالِهِ  
بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنَّ مَلِكَ الْهِنْدِ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّيْرِ أَحْصَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تُدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمِهِ مَشْهُودٌ يَبْزُرُ فِيهِ النَّاسُ كَافَّةً إِلَى مَحَرِّ الْبَلَدِ  
وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مَتَجَنِّقَاتٌ عَلَى الظَّهْرِ تُرْمَى بِهَا شَكَاكِرُ  
الدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ ابْوَانُهُ وَأَمثالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَنَاحِي  
النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَبَا مُثْنٍ وَزِيرَ السُّلْطَانِ فَارِسَ بْنِ وَرْدَارِ الْبَعِيدِ أَصْبَتِ  
فَقَاوِضُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَيْتُهُ إِنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَنَاضَ فِي النَّاسِ  
مِنْ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ فَارِسُ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَنْكَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الدُّوَلِ  
بِمَا أَنْتَ لَمْ تَرَهُ فَكُنْ كَابْنِ الْوَزِيرِ النَّاشِئِ فِي السِّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا أَعْتَقَلَهُ  
سُلْطَانُهُ وَمَكَثَ فِي السِّجْنِ سِنِينَ رَبِي فِيهَا أَبْنَهُ فِي ذَلِكَ الْعَتَمِ فَلَمَّا أَدْرَكَ وَعَقَلَ  
سَأَلَ عَنِ اللَّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَغَذَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصِفُهَا  
لَهُ أَبُوهُ بِشَيْئَاتِهَا وَنُعُوتِهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَيْنَ الْغَنَمُ  
مِنْ الْفَارِ وَكَذَا فِي لَحْمِ الْأَيْلِ وَالْقِرِ إِذْ لَمْ يُعَايِنِ فِي تَحْسِيسِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
فَيَحْسِبُهَا كُلِّهَا أَبْنَاءَ جِنْسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَغْتَرِي النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يَغْتَرِيهِمْ  
الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْإِغْرَابِ كَمَا قَدَّمَاهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعِ  
الْإِنْسَانُ إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مُهْتِمًّا عَلَى نَفْسِهِ وَمُمَيِّزًا بَيْنَ طَائِفَةِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَنَبِّعِ  
بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَبْلَهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفْضُهُ  
وَلَيْسَ رَادُّنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمَطْلُوقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفْرَضُ حَدًّا بَيْنَ  
الْأَوْقَاعِ وَإِنَّمَا رَادُّنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
وَجَنْسَهُ وَصَفَتَهُ وَمِقْدَارَ عَظَمَتِهِ وَقُوَّتِهِ أَجْرَيْنَا الْمُحْكَمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ  
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
 اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فمن عصابته وظهراؤه  
 على شانه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم بقلة اعمال مملكته ووزارة دولته  
 وجباية امواله لانهم اعوانه على القلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته  
 هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
 عنهم والافتراء بالتعبد وادفعهم عنه بالمرح صاروا في حقيقة الامر من بعض  
 اعدائه واحتاج في مدافعهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من  
 غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم  
 واخص به قربا واصطناعا واولى ايثارا وجاها لما انهم يستميئون دونه في مدافعة  
 قومه عن الامر الذي كان لهم والرغبة التي افوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
 الدولة ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم  
 جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحجاية وما يخص به لنفسه وتكون  
 خالصة له دون قومه من القلب المملكة لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاؤه  
 الخاضعون وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد  
 العصبية التي كان بناء القلب عليها ومرص قلوب اهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة  
 السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع  
 في برئها من هذا الداء لانه ما مضى بنا كد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر  
 ذلك في دولة بني امية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم  
 برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سفيان  
 والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
 وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار ومثاليهم  
 من رجال الات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا  
 برجال العرب فلما صارت الدولة للافتراء بالتعبد وكبح العرب عن التطاول  
 للولايات صارت الوزارة للجحيم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنِي بُؤَيْهَ مَوَالِي التُّرْكِ مِثْلَ بَغَا وَوَصِيفٍ وَالْمِشَ وَبَاكِكَ وَابْنِ طُولُونَ  
وَأَبْنَاءِهِمْ وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ فَتَكُونُ الدَّوْلَةُ لِعَلِيٍّ مِنْ مَهْدَاهَا وَالْعِزُّ لِعَلِيٍّ مِنْ  
اجْتِلَاءِ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالى والمصطنعين في الدول

اعْلَمْ أَنَّ الْمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْإِلْتِمَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَتَفَاوَتُ  
قَدِيمُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ فِي الْإِلْتِمَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنَ  
الْمُدَافَعَةِ وَالْمُعَاقَبَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ التَّنَاصُرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالْقُرْبَى وَالْتِخَاطُلِ  
فِي الْأَجَانِبِ وَالْبُعْدَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَالْوَلَايَةُ وَالْتِخَالُطَةُ بِالرَّقِ أَوْ بِالْحَلْفِ تَنْزِلُ مَنْزِلَةً  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهْمِيٌّ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْإِلْتِمَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَطُولُ الْمُدَاسَرَةِ وَالصُّحْبَةُ بِالْعُرْبَى وَالرِّضَاعُ وَسَائِرُ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْإِلْتِمَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ النُّعْرَةُ وَالتَّنَاصُرُ وَهَلُمَّا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَاعْتَبَرُ مِثْلُهُ فِي الْأَصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يُحْدِثُ بَيْنَ الْمُصْطَنَعِ وَمَنْ أَصْطَنَعَهُ نِسَبَةً  
خَاصَةً مِنَ الْوَصْلَةِ تَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ وَتَوْكِدُ اللَّحْمَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَتَمَرَّاتُ  
النَّسَبِ مَوْجُودَةٌ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمَلِكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُرُوقُهَا أَوْشَجَّ وَعَقَائِدُهَا أَمَّحَ وَنَسَبُهَا أَمْرَحَ لَوْجَهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمَلِكِ أَسْوَدٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوَلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقْلِ مِنْهُمْ فَيَتَنَزَّلُونَ  
مِنْهُمْ مَنْزِلَةً ذَوِي قُرَابَتِهِمْ وَأَهْلُ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا أَصْطَنَعُوهُمْ بَعْدَ الْمَلِكِ كَانَتْ مَرَاتِبُهُ  
الْمَلِكِ مُمَرَّزَةً لِلسَّيِّدِ عَنِ الْمَوَالِي وَلِأَهْلِ الْقُرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ لِمَا  
نَقَضِيهِ أَحْوَالُ الرِّئَاسَةِ وَالْمَلِكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرُّتَبِ وَتَفَاوُثِهَا فَتَتَمَيَّزُ حَالَتُهُمْ وَيَتَنَزَّلُونَ  
مَنْزِلَةً الْأَجَانِبِ وَيَكُونُ الْإِلْتِمَامُ بَيْنَهُمْ أضعفَ وَالتَّنَاصُرُ لِلنَّاسِ أَعْبَدُ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
مِنْ الْأَصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمَلِكِ أَلْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ الْأَصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمَلِكِ يَبْعُدُ عَهْدُهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيُغْفِي شَأْنَ تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَظُنُّهَا فِي الْأَكْثَرِ النَّسَبُ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمَلِكِ فَيَقْرُبُ الْعَهْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَقْتَبِنُ  
اللَّحْمَةُ وَتَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتَضَعُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوَلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ



الدَّوْلَةَ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ وَالرَّئِيسَاتِ تَجِدُهُ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ قَبْلَ حُصُولِ  
الرَّئِيسَةِ وَالْمَلِكِ لِمُصْطَنِعِهِ تَجِدُهُ أَشَدَّ اتِّجَاعًا بِهِ وَأَقْرَبَ قَرَابَةً إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ مِنْهُ مُنْزَلَةٌ  
أَبْنَائِهِ وَإِخْوَانِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ وَمَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ بَعْدَ حُصُولِ الْمَلِكِ وَالرَّئِيسَةِ لِمُصْطَنِعِهِ  
لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَاللَّحْمَةِ مَا لِلأَوَّلِينَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى إِنْ الدَّوْلَةَ فِي  
آخِرِ عُمْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَجَانِبِ وَأَصْطِنَاعِهِمْ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَجِدٌ كَمَا بَنَاهُ  
الْمُصْطَنِعُونَ قَبْلَ الدَّوْلَةِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ حِينَئِذٍ بِأَوْلِيَّتِهِمْ وَشَارَفَةِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْإِنْقِرَاضِ  
فَيَكُونُونَ مُخْطِئِينَ فِي مَهَاوِي الضَّعْفِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْطِنَاعِهِمْ  
وَالْعُدُولِ إِلَيْهِمْ عَنْ أَوْلِيَائِهَا الْأَقْدَمِينَ وَصَنَائِعِهَا الْأَوَّلِينَ مَا يَتَعَرَّبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ  
الْعَزَّةِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَقِلَّةِ الْخُضُوعِ لَهُ وَنَظَرِهِ بِمَا يَنْظُرُهُ بِهِ قَبِيلُهُ وَأَهْلُ نَسَبِهِ إِنَّمَا كُنْ  
اللَّحْمَةِ مِنْذُ الْعُصُورِ الْمَتَطَاوِلَةِ بِالْمَرْبَى وَالْإِتِّصَالِ بِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَالْإِنْتِظَامِ مَعَ  
كِبَرَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَأَعِزَّازٌ فَيُنَافِرُهُمْ بِسَبَبِهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيَعْدِلُ عَنْهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ سِوَاهُمْ وَيَكُونُ عَهْدُ اسْتِغْلَادِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ قَرِيبًا فَلَا  
يَبْلُغُونَ رُتَبَ التَّجِدِ وَيَبْقَوْنَ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ الْخَارِجِيَّةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي آخِرِهَا  
وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ اسْمُ الْأَصْنَاعِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُحْدَثُونَ فَيُحْدِثُونَ  
وَأَعْوَانُ اللَّهِ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

## الفصل الحادي والعشرون

فبما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه

إِذَا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي نِصَابٍ مُعَيَّنٍ وَمُنْتِ وَاحِدٍ مِنَ الْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ  
وَأَقَرُّدُوا بِهِ وَدَفَعُوا سَائِرَ الْقَبِيلِ عَنْهُ وَتَدَاوَلَتْ بَنُوهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِحَسَبِ التَّرْشِيحِ  
فَرُبَّمَا حَدَثَ التَّغْلُبُ عَلَى الْمُنْصَبِ مِنْ وَرَثَتِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَسَبَبِهِ فِي الْأَكْثَرِ لَوْلَايَةِ  
صِغِيرٍ أَوْ مُضَعَفٍ مِنْ أَهْلِ الْمُنْتِ يَتَرَشَّحُ لِلْوَلَايَةِ بِعَهْدِ أَبِيهِ أَوْ بِتَرَشِيحِ ذَوِيهِ  
وَحَوْلِهِ وَيُوَاسِّسُ مِنْهُ الْتَجَرُّعُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْمَلِكِ فَيَقُومُ بِهِ كَأَنَّهُ مِنْ وَرَثَةِ أَبِيهِ وَحَاشِيَتِهِ  
وَمَوَالِيهِ أَوْ قَبِيلِهِ وَيُبْزِرِي بِحِفْظِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يُوَاسِّسَ مِنْهُ الْإِسْتِبْدَادُ وَيَجْعَلَ ذَلِكَ  
ذَرِيعةً لِلْمَلِكِ فَيَحْجُبُ الصِّغِيرَ عَنِ النَّاسِ وَيُعَوِّدُهُ إِلَيْهَا تَرْفَ أَحْوَالِهِ وَيَسِمُهُ فِي مَرَاغِبِهَا  
مَتَى أَمْكَنَهُ وَيَنْسِيهِ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ حَتَّى يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَا عَوَّدَهُ يَعْتَقِدُ

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّفَقَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ  
وَالْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحُلَّ وَالْحُلَّ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَمَبَاشَرَةَ الْأَحْوَالِ  
الْمُلُوكِيَّةِ وَتَقْدِيرُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجَيْشِ وَالْمَالِ وَالشُّعُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيُسَلِّمُ لَهُ فِي  
ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةَ الرِّئَاسَةِ وَالْإِسْتِدَادَ وَيَتَحَوَّلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ وَيُؤْتَرُ  
بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهِ وَالتُّرْكِ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ وَعَبِيدِهِمْ  
بِالْمَشْرِقِ وَالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَتَفَقَّنُ ذَلِكَ التَّحْجُورُ الْمَغْلَبُ لِنَاصِيهِ  
فِيحَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَجَرِ وَالْإِسْتِدَادِ وَيُرْجِعُ الْمَلِكُ إِلَى نِصَابِهِ وَيَضْرِبُ  
عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا بِقَتْلِ أَوْ بِرَفْعٍ عَنِ الرِّئَاسَةِ فَقَطْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ  
الْأَقْلَ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أَخَذَتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَمَرَّتْ لَهَا ذَلِكَ وَقَدْ أَنْ  
تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَنِشَاءِ أَبْنَاءِ الْمَلِكِ  
مُتَغَمِّسِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرُّجُولَةِ وَأَفْلَوْا أَخْلَاقَ الدَّيَّانَاتِ وَالْأَخْطَارِ وَزَبَوُا عَلَيْهَا  
فَلَا يَنْزِعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا هُمْ فِي الْقَنُوعِ بِالْأَهْوَ  
وَالنَّهْشِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلْمَوَالِي وَالْمُضْطَمِّنِينَ عِنْدَ  
اسْتِدَادِ عَشِيرِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفَرَادِهِمْ بِهِ دُونِهِمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ فَزُرُورِيٌّ  
كَمَا قَدَّمَاهُ وَهَذَانِ مَرَضَانِ لَا بُرَى لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ  
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك  
وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ حَصَلَ لِأَوْلِيَاهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ بَعْضِيَّةُ قَوْمِهِ وَعَصِيَّةُ  
الَّتِي اسْتَبَعَتْهُمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَلِقَوْمِهِ صِبْغَةُ الْمَلِكِ وَالتَّغْلِبِ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً  
وَبِهَا انْحَفَظَ رَسْمُ الدَّوْلَةِ وَبَقَاؤُهَا وَهَذَا الْمُتَغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ  
الْمَلِكِ أَوْ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ فَعَصِيَّتُهُ مِنْدَرِجَةٌ فِي عَصِيَّةِ أَهْلِ الْمَلِكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَيْسَ  
لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمَلِكِ وَهُوَ لَا يَحَاوِلُ فِي اسْتِدَادِهِ أَنْتَزَاعَ تَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ  
وَالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ يَوْمَ فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ  
مُنْفَذٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَزَرِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ فَهُوَ يَتَجَافَى عَنْ سِمَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ

وَأَلْقَاهُ جُجْدَهُ وَبُعِدَ نَفْسُهُ عَنِ الثَّمَعَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْأَسْتِئْذَارُ لِأَنَّهُ مُسْتَبَرٌّ فِي  
 اسْتِئْذَارِهِ ذَلِكَ بِالْحِجَابِ الَّذِي خَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوَّلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَبِيلِ مُنْذُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمَغَالِطَ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَنَفَسَهُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ  
 وَقَبِيلُ الْمَلِكِ وَحَاوَلُوا الْأَسْتِئْذَارَ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكِمِ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةً تَحْمِلُهُمْ  
 عَلَى التَّسَامِيحِ لَهُ وَالْإِنْقِيَادِ فِيهِ لَكُلِّ أَوَّلٍ وَهَلَّةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ  
 بْنِ مَنصُورٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلٍ يَتَنِيهِ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْعَ بِمَا قَبِعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْأَسْتِئْذَارِ بِالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَامِ الْمَتَابِعَةِ قَطْلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَلِيفَتِهِ أَنْ يَعْهَدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فَنَفَسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِابْنِ عَمِّ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابٌ دَوْلَةِ الْعَامِرِ بْنِ وَهْلَاكَ الْمُؤَيَّدِ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْتَبْدَلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَاخْتَلَتْ مَرَامِي مُلْكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمَكِّنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوتِهِمْ وَفَرُورِيَّاتِهِمْ وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى الْمُعَامَلَةِ وَأَقْضَاءِ الْحَاجَاتِ وَمَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهَا لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبُيُوعُهُ الْآخَرَ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ وَالْإِنْفَةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ يَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُفْضِي  
 إِلَى الْمَقَاتَلَةِ وَهِيَ تَوْدِي إِلَى الْهَرْجِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِذْ هَابَ النَّفْسُ الْمُفْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النَّوْعِ وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِالْحِفَافَةِ فَاسْتَحَالَ بَقَاؤُهُمْ قُوَّةً دُونَ  
 حَاكِمِهِ يَزْعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاحْتِاجُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى التَّوَازُعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 الْعَصِيَّةِ لِمَا قَدْ مَنَاهُ مِنْ أَنَّ الْمُطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَنُتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَوَجَّهَ نَحْوُهُ الْمُطَالِبَاتِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْمُدَافَعَاتِ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كخرج لم يره اهلا له ك في القاموس

مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَصِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَالْعَصِيَّاتُ مُتَفَاوِتَةٌ وَكُلُّ عَصِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَغْلِبُ  
عَلَى مَنْ يَلِيهَا مِنْ قَوْمِهَا وَعَشِيرَتِهَا وَلَيْسَ الْمَلِكُ لِكُلِّ عَصِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمَلِكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ  
لِمَنْ يَسْتَعِيدُ الرَّعِيَّةَ وَيَحْيِي الْأَمْوَالَ وَيَبْعَثُ الْبُعُوثَ وَيَحْمِي الثُّغُورَ وَلَا تَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ  
يَدٌ قَاهِرَةٌ وَهَذَا مَعْنَى الْمَلِكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْمَشْهُورِ فَمَنْ قَصَرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ عَنْ بَعْضِهَا  
مِثْلَ حِمَايَةِ الثُّغُورِ أَوْ جِبَايَةِ الْأَمْوَالَ أَوْ بَعَثِ الْبُعُوثِ فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَنْتِ حَقِيقَتُهُ كَمَا  
وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَرَبِ فِي دَوْلَةِ الْأَغَالِيَةِ بِالْقَبْرِوَانِ وَلِملُوكِ الْعَجَمِ صَدَرَ الدَّوْلَةِ  
الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْ قَصَرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ أَيْضًا عَنِ الْأَسْتِعْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَالضَّرْبِ  
عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي وَكَانَ فَوْقَهُ حُكْمٌ غَيْرُهُ فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَنْتِ حَقِيقَتُهُ وَهَذَا  
مِثْلُ أَمْرَاءِ الدَّوَّاحِي وَرُؤَسَاءِ الْجِهَاتِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ هَذَا  
فِي الدَّوْلَةِ الْمُتَمَسِّعَةِ النَّطَاقِ اعْنِي تُوْجَدُ مُلُوكٌ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي الدَّوَّاحِي الْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ  
بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي جَمَعَتْهُمْ مِثْلَ صَنْهَاجَةٍ مَعَ الْعَبِيدِيْنَ وَزَنَانَةَ مَعَ الْأُمَوِيِّينَ نَارَةَ وَالْعَبِيدِيْنَ  
نَارَةَ أُخْرَى وَمِثْلُ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِثْلُ مُلُوكِ الطَّوَائِبِ مِنَ الْفَرَسِ مَعَ  
الْإِسْكَنْدَرِ وَقَوْمِهِ الْيُونَانِيِّينَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ فَاعْتَبِرْهُ تَعَدُّهُ وَاللَّهُ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاق الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

اعْلَمْ أَنَّ مَصْلَحَةَ الرَّعِيَّةِ فِي السُّلْطَانِ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَحُسْمِهِ مِنْ حُسْنِ شَكْلِهِ  
أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ أَوْ عَظَمِ جُثْمَانِهِ أَوْ اتَّسَاعِ عِلْمِهِ أَوْ جُرْدَةِ خَطِّهِ أَوْ ثِقُوبِ ذَهَبِهِ وَإِنَّمَا  
مَصْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ وَهِيَ  
نِسْبَةُ بَيْنَ مَنْتَسِبِينَ حَقِيقَةُ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَالِكُ لِلرَّعِيَّةِ الْقَائِمُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ فَالسُّلْطَانُ  
مِنْ لَهُ رِعَاةٌ وَالرَّعِيَّةُ مِنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى  
الْمَلَكَةَ وَهِيَ كَوْنُهُ يَمْلِكُهُمْ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ وَتَوَابَعُهَا مِنَ الْجُودَةِ بِمَسْكَانِ  
حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَ ذَلِكَ  
مَصْلَحَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُتَعَسِّفَةً كَانَ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَالْأَكَاثِلُ وَيَعُودُ  
حُسْنُ الْمَلَكَةِ إِلَى الرَّفْقِ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِلًا بِالْعُقُوبَاتِ مُنْقِبًا عَنْ  
عَوَرَاتِ النَّاسِ وَتَعْدِيدِ ذُنُوبِهِمْ تَمْلِكُهُمُ الْخَوْفُ وَالذُّلُّ وَلَا دَوَا مِنْهُ بِالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ

وَالْخَدِيعَةَ فَتَحَقَّقُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَافُهُمْ وَرُبَّمَا خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
وَالْمُدَافَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحِمَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ وَرُبَّمَا أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ لِذَلِكَ فَتَفْسَدُ الدَّوْلَةُ  
وَيَغْرَبُ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَهَرُهُ فَسَدَتْ الْعَصَبِيَّةُ لِإِقْلَانِهِ أَوَّلًا وَتَسَدَّ السِّيَاحُ  
مِنْ أَصْلِهِ بِالْعِجْزِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ اسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
وَلَاذُوا بِهِ وَآثَرُوا نَجَبَتَهُ وَاسْتَمَاتُوا دُونَهُ فِي مُعَارَبَةِ أَعْدَائِهِ فَأَسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَالِكَةِ فَهِيَ النِّعَةُ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَانَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَانَعَةُ بِهَا  
تَنْتِزِعُ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُدَائِلِ الرَّفِيقِ بِهِمْ وَالنَّظَرُ  
لَهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كِبِيرٍ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلَمًا تَكُونُ مَلِكَةً  
الرِّفْقُ فِي مَنْ يَكُونُ يَقْطًا شَدِيدَ الذِّكَاءِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرِّفْقُ فِي  
الْغَفْلِ وَالْإِعْطَالِ وَقَلَّ مَا يَكُونُ فِي الْيَقِظِ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُ الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ لِنُفُوزِ  
نَظَرِهِ فِيهَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأَطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِيئِهَا بِالْعَمِيَّةِ فَيَهْلِكُونَ  
لِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سِرِّ أَوْضَعْتَكُمْ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
فِي الْحَاكِمِ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاءِ وَمَا خَذَهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ لَمَّا عَزَلَهُ  
عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْعِجْزُ أَمْ لِحَيَاتِهِ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
أَعَزَلْكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَتَمْلِقَ فَضْلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأَخَذَ مِنْ  
هَذَا أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَكُونُ مُفْرَطَ الذِّكَاءِ وَالْكَيْسِ مِثْلَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ وَتَعَمَّرُوا  
بِنِ الْعَاصِ إِمَّا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَسُوءِ الْمَالِكَةِ وَمِمَّا أُلْجِئُوا عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
طَبْعِهِ كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الدَّالِّكِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ  
وَالذِّكَاءَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانِ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِنَةِ إِنْسَانِيَّةٍ وَالتَّعَمُّودُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكَرَمِ  
مَعَ التَّبَذِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَذَا فِي الشَّجَاعَةِ مَعَ الْهَوَجِ وَالْجَوْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الصِّفَاتِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسِ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ فَيُقَالُ شَيْطَانٌ وَمُتَشَيْطِنٌ  
وَأَمثال ذلك والله يَفْقَهُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ أَنَّهُ الْإِجْتِمَاعُ الصُّرُورِيُّ لِلْبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ  
 اللَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً عَنِ  
 الْحَقِّ مُجْتَنِفَةً بَيْنَ تَحْتِ يَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحِمْلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْغَالِبِ عَلَى  
 مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهْوَاتِهِ وَيَتَخَلَّفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنَ التَّخَلُّفِ  
 وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرَ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجَمَّعَتِ الْعَصَايَةُ الْمُفْضِيَةُ إِلَى الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ فَوَجِبَ  
 أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَانِينِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ بِسَلَامَتِهَا الْكَافَّةِ يَنْقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا  
 كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَإِذَا خَلَّتِ الدَّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
 لَمْ يَسْتَبِأْ أَمْرُهَا وَلَمْ يَتِمَّ اسْتِيلَاؤُهَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فَإِذَا كَانَتْ  
 هَذِهِ الْقَوَانِينُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَرِ الدَّوْلَةِ وَبُصْرَانِهَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
 كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ بِشَارِعٍ يَقْرُظُهَا وَيُشَرِّعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطُّ فَإِنَّهَا كَلَّمَا عَبَثُ  
 وَبَاطِلٌ إِذْ غَايَتُهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَسْبُكُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا فَأَلْمَقْصُودُ  
 بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمَفْضِيُّ بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَاءَتْ الشَّرَائِعُ بِمَعْلُومٍ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَمِنْ  
 عِبَادَةٍ وَمُعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجْرَتُهُ عَلَى  
 مَنَاجِزِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ مُحَوَّطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى الْقَهْرُ وَالتَّغَلُّبُ  
 وَإِهْمَالُ الْقُوَّةِ الْعَصَايَةِ فِي مَرَعَاهَا فَجَوْرٌ وَعُدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
 الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ يُقْتَضَى السِّيَاسَةُ وَأَحْكَامُهَا مَذْمُومٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرُ  
 بِغَيْرِ نُورِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ  
 الْكَافَّةِ فِيهَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالِ الْبَشَرِ كُلِّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
 مَعَادِهِمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
 وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطُّ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
 وَمَقْصُودِ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحَ آخِرَتِهِمْ فَوَجِبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمْلُ الْكَافَّةِ

عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ  
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِ مَقَامُهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ  
وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى الْغَرَضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمَلُ  
الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةُ  
هِيَ حَمَلُ الْكَافَّةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمُ الْآخِرَوِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ الرَّاجِعَةِ  
إِلَيْهَا إِذَا أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَزَجَّجَ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى أَعْيَارِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي  
الْحَقِيقَةِ خِلَافَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ قَافِلَةٌ ذَلِكَ  
وَأَعْتَبِرْهُ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ وَآلَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وَإِذَا قَدْ يَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّهُ نِيَابَةٌ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ تُسَمَّى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا فَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ إِمَامًا  
فَتَشْبِيهًُا بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي أَتْبَاعِهِ وَالْإِقْدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَأَمَّا  
تَسْمِيَتُهُ خَلِيفَةً فَلِكَوْنِهِ يُخْلَفُ النَّبِيَّ فِي أُمْتِهِ فَيُقَالُ خَلِيفَةُ بِإِطْلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
وَأَخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَتِهِ خَلِيفَةُ اللَّهِ فَأَجَارَهُ بَعْضُهُمْ أَقْبِيَّاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لِلْأَدَمِيِّينَ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلِهِ جَعَلَكُمْ خُلَافَةً فِي الْأَرْضِ وَمَنْعَ  
الْجَمُودُ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْإِسْتِخْلَافَ إِنَّمَا هُوَ  
فِي حَقِّ الْغَائِبِ وَأَمَّا الْخَاصِرُ فَلَا تُحْتَاجُ إِبْنَ تَنْصِبِ الْإِمَامِ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي  
الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِعِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ  
وَفَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى يَتَعَهُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي  
كُلِّ عَصْرِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُتْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْيَارِ وَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ  
اجْتِمَاعًا دَالًّا عَلَى وَجُوبِ تَنْصِبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مَذْرُوعَهُ وَجُوبُهُ  
الْعَقْلُ وَأَنَّ الْاجْتِمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ مُحْكَمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجِبَ  
بِالْعَقْلِ لِمُضْرُورَةِ الْاجْتِمَاعِ لِلشَّرِّ وَاسْتِحَالَةِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُتَفَرِّدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم ألوازع أفضى ذلك إلى  
الخرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع  
الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر  
وقد تبيننا على فساده وأن إحدى مقدماته أن ألوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم  
له الكافة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مسلم لأن ألوازع قد يكون بسطوة الملك  
وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في أمم الجوس وغيرهم ممن ليس له  
كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بحريم  
الظلم عليه بحكم العقل فادعائهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع  
هناك ونصب الإمام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود  
الروساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والنظام فلا ينهض دليهم  
العقلي المبني على هذه المقدمة قدل على أن مدرك وجوبه إنما هو بالشرع وهو  
الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النص رأساً لا  
بالعقل ولا بالشرع منهم الأدم من المعترلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب  
عند هؤلاء إنما هو إمضاء الحكم الشرع فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ  
أحكام الله تعالى لم يحتاج إلى إمام ولا يجب نصبه وهؤلاء يخرجون بالاجماع  
والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة  
والغلب والاستمتاع بالدنيا كما رأوا الشريعة مبتلة بدم ذلك والنعي على أهله  
ومرغبة في رفضه وأعلم أن الشرع لم يدم الملك لذاته ولا خطر القيام به وإنما دُم  
المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفاسد  
مخطورة وهي من توابعه كما أتى على العدل والنصفة وإقامة مراسم الدين والذب  
عنه وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فإذا إنما وقع الدم للملك  
على صفة وحال دون حال أخرى ولم يدم لذاته ولا طالب تركه كما دُم الشهوة  
والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكيفية لدعاية الضرورة إليهما وأما  
المراد قصر فیهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه  
عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده



ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْفِرَارَ عَنِ الْمَلِكِ بَعْدَ وَجُوبِ هَذَا النَّصَبِ لَا يُغْنِيكُمْ شَيْئًا لِأَنَّكُمْ مُوَافِقُونَ عَلَى وَجُوبِ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَالشَّكْكِ وَالْعَصِيَّةُ مُقْتَضِيَةٌ بِطَبْعِهَا لِلْمَلِكِ فَيَحْصُلُ الْمَلِكُ وَإِنْ لَمْ يَنْصَبْ إِمَامٌ وَهُوَ عَيْنُ مَا قَرَرْتُمْ عَنْهُ وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ هَذَا النَّصَبَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعٍ فَهُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَرَاجِعٌ إِلَى اخْتِيَارِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحُلِّ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ نَصَبُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا طَاعَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَمَّا شُرُوطُ هَذَا الْمَنْصَبِ فَهِيَ أَرْبَعَةٌ الْعِلْمُ وَالْعَدَالَةُ وَالْكَفَايَةُ وَسَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِمَّا يُؤْثَرُ فِي الرِّأْيِ وَالْعَمَلِ وَاخْتَلَفَ فِي شَرْطِ خَلْسٍ وَهُوَ النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَأَمَّا اشْتِرَاؤُ الْعِلْمِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مُنْفَذًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْهَا لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ لَهَا وَلَا يَكْفِي مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا لِأَنَّ التَّقْلِيدَ نَقْصٌ وَالْإِمَامَةَ تَسْتَدْعِي الْكَمَالَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْعَدَالَةُ فَلِأَنَّهُ مَنْصِبٌ دِينِي يَنْظَرُ فِي سَائِرِ الْمَنَاصِبِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِيهَا فَكَانَ أَوْلَى بِاشْتِرَاطِهَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ فِي انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ فِيهِ بِفَسْقِ الْجَوَارِحِ مِنْ أَرْكَابِ الْحَظُورَاتِ وَأَمْثَالِهَا وَفِي انْتِفَائِهَا بِالْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ خِلَافٌ وَأَمَّا الْكَفَايَةُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ جَرِيئًا عَلَى إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاقْتِحَامِ الْحُرُوبِ بِصِيرَةٍ بِهَا كَفِيلًا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا عَارِفًا بِالْعَصِيَّةِ وَأَحْوَالِ الدُّعَاءِ قَوِيًّا عَلَى مُعَانَاةِ السِّيَاسَةِ لِيَصِحَّ لَهُ بِذَلِكَ مَا جُعِلَ إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ الْأَحْكَامِ وَتَدْبِيرِ الْمَصَالِحِ وَأَمَّا سَلَامَةُ الْخَوَاسِ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ النِّقْصِ وَالْعُطْلَةِ كَالْجَنُونِ وَالْعَمَى وَالصَّمِّ وَالْخَرَسِ وَمَا يُؤْثَرُ فَقَدُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْعَمَلِ كَقَدِّدِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْأَنْثَبَيْنِ فَتَشَرْطُ السَّلَامَةُ مِنْهَا كُلِّهَا لِتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي تِمَامِ عَمَلِهِ وَتِقَامِهِ بِمَا جُعِلَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَشِينُ فِي الْمَنْظَرِ فَقَطْ كَقَدِّدِ إِحْدَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَشَرْطُ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ كَمَالٍ وَيُلَاقِي بِفَقْدَانِ الْأَعْضَاءِ الْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَهُوَ ضَرْبَانِ ضَرْبٌ يُلَاقِي بِهِذِهِ فِي اشْتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطٌ وَجُوبٌ وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْعَجْزُ عَنِ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً بِالْأَسْرِ وَشِبْهِهِ وَضَرْبٌ لَا يُلَاقِي بِهِذِهِ وَهُوَ الْحَجَرُ بِاسْتِيلَاءِ بَعْضِ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِصْيَانٍ وَلَا مُسَافَقَةٍ فَيَنْتَقِلُ النَّظَرُ فِي حَالِ هَذَا الْمُسْتَوَلِيِّ فَإِنْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الدِّينِ وَالْعَدْلِ وَحَمِيدِ السِّيَاسَةِ جَازَ قَرَارُهُ وَإِلَّا اسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَفِضُ يَدُهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ عَلَيْهِ

حَتَّى يُنْفَذَ فِعْلُ الْخُلَافَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى ذَلِكَ  
 وَاحْتِجَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْأَنْصَارِ لَمَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ بَيْعَةَ سَعْدِ بْنِ عَادَةَ وَقَالُوا مَنَا أَمِيرٌ  
 وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَقُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَثَمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَوْصَانَا بِأَنْ نُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِكُمْ وَنَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ الْأُمَاةُ فِيكُمْ  
 لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ تَحْجُوا الْأَنْصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
 وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمَا بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِلذَّكَ وَثَبَّتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يَزَالُ هَذَا  
 الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ  
 قُرَيْشٍ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ بِمَا نَالَهُمْ مِنَ التَّرَفِ وَالنِّعَمِ وَبِمَا أَنْفَقْتَهُمُ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ حَمْلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
 وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَأَشْبَهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَقْبِيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
 وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرٍ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ وُلِّيَ  
 عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو رِيْبَةٍ وَهَذَا لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ مُخْرَجَ التَّمْثِيلِ  
 وَالْفَرْضِ لِلْمُبَالَاغَةِ فِي إِجْبَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى حَذِيفَةَ  
 حَيًّا لَوَلَيْتُهُ أَوْ لَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الظَّنُّ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ مَذْهَبَ  
 الصَّحَابَةِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةٌ أَوْلَى حَاصِلَةُ لِسَالِمٍ فِي قُرَيْشٍ  
 وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَغْطَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَهَا  
 مَفْقُودَةً فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمَفِيدِ  
 لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَذَرُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُرَاةُ النَّسَبِ فَرَأَاهُ غَيْرَ مُخْتَارٍ إِلَيْهِ إِذِ الْفَائِدَةُ  
 فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حَرْصًا مِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلَحُّقُهُ فِيهِ لَائِمَةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عِنْدَةٌ  
 وَمِنْ الْقَائِلِينَ بِنَفْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ لَمَّا أَدْرَكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
 قُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاقِي وَالْإِضْمِحْلَالِ وَاسْتِبْدَادِ مُلُوكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فَأَسْقَطَ شَرْطَ  
 الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَاقِفًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالِ الْخُلَفَاءِ لَعِنْدِهِ وَبَقِيَ  
 الْجُمْهُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاشْتِرَاطِهَا وَصَحَّةِ الْإِمَامَةِ الْقُرَشِيَّةِ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
 الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سُقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى أَمْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ

الشُّوْكَهُ بِدَهَابِ الْعَصِيَّةِ فَقَدْ ذَهَبَتِ الْكِفَايَةُ وَإِذَا وَقَعَ الْإِخْلَالُ يَشْرُطُ الْكِفَايَةُ  
تَطَرُّقُ ذَلِكَ أَيْضًا إِلَى الْعِلْمِ وَالَّذِينَ وَسَقَطَ أَعْيَارُ شُرُوطِ هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُوَ خِلَافُ  
الْإِجْتِمَاعِ وَلِتَتَكَلَّمَ الْآنَ فِي حِكْمَةِ اشْتِرَاطِ النَّسَبِ لِيَتَحَقَّقَ بِهِ الصَّوَابُ فِي هَذِهِ  
الْمَذَاهِبِ فَقُولُ: إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مَقَاصِدٍ وَحُكْمٍ تَشْتَمِلُ  
عَلَيْهَا وَتُشْرَعُ لِأَجْلِهَا وَنَحْنُ إِذَا بَحَثْنَا عَنْ الْحِكْمَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ الْقُرَشِيِّ وَمَقْصِدِ  
الْشَّارِعِ مِنْهُ لَمْ يَفْتَضِرْ فِيهِ عَلَى التَّبَرُّكِ بِوَصْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ فِي  
الْمَشْهُورِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْوَصْلَةُ مُوجُودَةً وَالتَّبَرُّكِ بِهَا حَاصِلًا لَكِنْ التَّبَرُّكِ لَيْسَ مِنْ  
الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا عَلِمْتَ فَلَا بُدَّ إِذَنْ مِنَ الْعَمَلَةِ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَهِيَ  
الْمَقْصُودَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا وَإِذَا سَبَرْنَا وَفَسَّنَا لَمْ نَجِدْهَا إِلَّا أَعْيَارَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي تَكُونُ  
بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُطَالَبَةُ وَبِرْتَقِعِ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةُ بِوُجُودِهَا لِصَاحِبِ الْمَنْصِبِ فَتَسْكُنُ  
إِلَيْهِ أَلَمَلَةٌ وَأَهْلُهَا وَيَنْتَظِمُ حُبُّ الْأَلْفَةِ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا عَصَبَةً مُضَرَّ وَأَصَاهُمْ  
وَأَهْلُ الْغَلَبِ مِنْهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَلَى سَائِرِ مُضَرٍ الْعَزَّةُ بِالْكَثَرَةِ وَالْعَصِيَّةُ وَالشَّرَفُ  
فَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَكِينُونَ لِعَاقِبَتِهِمْ فَلَوْ جُعِلَ الْأَمْرُ فِي سِرَاهُمْ  
لَتَوَقَّعَ اقْتِرَاقُ الْكَلِمَةِ بِمُخَالَفَتِهِمْ وَعَدَمُ انْقِيَادِهِمْ وَلَا يَقْدِرُ غَيْرُهُمْ مِنْ قِبَالِ مُضَرٍ  
أَنْ يَرُدُّهُمْ عَنِ الْخِلَافِ وَلَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْكُرَّةِ فَيَتَفَرَّقَ الْجَمَاعَةُ وَتَخْتَلِفَ الْكَلِمَةُ  
وَالشَّارِعُ مُحْذَرٌ مِنْ ذَلِكَ حَرِيصٌ عَلَى اتِّفَاقِهِمْ وَرَفَعِ التَّنَازُعَ وَالشَّتَاتَ بَيْنَهُمْ لِيَحْصَلَ  
اللُّحْمَةُ وَالْعَصِيَّةُ وَتَحْسُنَ الْحِمَايَةُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لَأَنَّهُمْ قَادِرُونَ  
عَلَى سَوْقِ النَّاسِ بَعْضًا الْغَلَبِ إِلَى مَا يَزَادُ مِنْهُمْ فَلَا يُخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ خِلَافِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا فُرْقَةٍ لَأَنَّهُمْ كَفِيلُونَ حِينَئِذٍ بِدَفْعِهَا وَمَنْعِ النَّاسِ مِنْهَا فَأَشْرُطَ نَسَبُهُمُ الْقُرَشِيُّ  
فِي هَذَا الْمَنْصِبِ وَهُمْ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي انْتِظَامِ أَلَمَلَةٍ وَاتِّفَاقِ  
الْكَلِمَةِ وَإِذَا انْتَضَمَتْ كَلِمَتُهُمْ انْتَضَمَتِ بِانْتِظَامِهَا كَلِمَةُ مُضَرٍّ أَجْمَعَ فَأَذْعَنَ لَهُمْ  
سَائِرُ الْعَرَبِ وَانْقَادَتِ الْأُمَمُ سِوَاهُمْ إِلَى أَحْكَامِ أَلَمَلَةٍ وَوُطِئَتْ جُنُودُهُمْ قَاصِيَةَ الْبِلَادِ  
كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ الْفُتُوحَاتِ وَاسْتَمَرَّ بَعْدَهَا فِي الدُّوَلَتَيْنِ إِلَى أَنْ أَضْحَلَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ  
وَنَلَّاشَتْ عَصِيَّةُ الْعَرَبِ وَيَعْلَمُ مَا كَانَ لِقُرَيْشٍ مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْغَلَبِ عَلَى بَطُونِ مُضَرٍ  
مَنْ مَارَسَ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَسِيرَهُمْ وَتَقَطَّنَ لِذَلِكَ فِي أَهْوَالِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ

فِي كِتَابِ السَّيْرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ أَشْرَاطَ الْقُرْشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ النَّكَارِعِ بِمَا كَانَ  
 لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْقَلْبِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يَخْصُ الْأَحْكَامَ بِجِيلٍ وَلَا عَصْرٍ وَلَا  
 أُمَّةٍ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْكِنَايَةِ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلْمَةَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى  
 الْمَقْصُودِ مِنَ الْقُرْشِيَّةِ وَهِيَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ فَاشْتَرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ  
 يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولَى عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ عَلَى مَنْ مَعَهَا لِعَصْرٍ مَا لِيَسْتَعِينُوا مِنْ سِوَاهُمْ  
 وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى حُسْنِ الْحِدَايَةِ وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْآفَاقِ كَمَا كَانَ فِي  
 الْقُرْشِيَّةِ إِذَا الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ  
 وَافِيَةً بِهَا فَعَلَبُوا سَائِرَ الْأُمَمِ وَإِنَّمَا يُخْصُ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلُّ قُطْرٍ يَمُنُّ تَكُونَ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ  
 الْعَالِيَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرًّا لِلَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ  
 نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيُرَدِّدَهُمْ عَنْ مَضَارِّهِمْ وَهُوَ  
 مُخَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يَخَاطَبُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ  
 ابْنُ الْخَطِيبِ <sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَنْتَهَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ جُلُنًا تَبَعًا  
 لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلْنَ فِي الْخُطَابِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلْنَ عِنْدَهُ بِالْقِيَاسِ وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ  
 يَكُنْ لهنَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ  
 أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَخَطَبْنَهُنَّ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ ثُمَّ إِنْ التَّوَجُّدُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ  
 فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْآيَرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا  
 لِلْأَمْرِ التَّوَجُّدِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

اعْلَمُ أَنَّ الشَّيْعَةَ لُغَةً هُمُ الصَّخْبُ وَالْإِتْبَاعُ وَيُطْلَقُ فِي عَرَفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ  
 مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذْهَبِهِمْ جَمِيعًا مُتَّفَقِينَ عَلَيْهِ  
 أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَفُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا  
 بِتَعْيِينِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنٌ أَلَدِينَ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِغْثَالُهُ وَلَا تَفْوِضُهُ إِلَى  
 الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْصُومًا مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ وَإِنْ

عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَيْنُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصِ يَقُولُهَا وَيُؤْمِلُهَا  
عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جِهَانِدَةُ السَّنَةِ وَلَا نَقْلَةَ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ أَوْ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَتَنْقِسُ هَذِهِ النُّصُوصُ عَنْهُمْ إِلَى  
جَلِّيٍّ وَخَفِيٍِّّ فَالْجَلِّيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَقُلِّي مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تُطْرَدْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
إِلَّا فِي عَلِيٍّ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأُولِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ  
بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ وَلِهَذَا  
كَانَ حُكْمًا فِي قِضْيَةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى  
رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يُبَايِعُهُ إِلَّا عَلِيٌّ وَمَنْ أَخْفَى عَنْهُمْ بَعَثَ  
الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ اقْرَأَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَنْزَلَتْ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
بِهَا أَوَّلًا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ لِيَلْبِغَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
الْقَارِءُ الْمُبْلَغُ قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَأَيْضًا فَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى  
عَلِيٍّ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاتَيْنِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ  
آخَرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدَلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَمِنْهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
وَتَشْخِصِهِ وَكَذَلِكَ تَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْإِمَامِيَّةُ وَتَبَرَّأُونَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ  
حَيْثُ لَمْ يَقْدِمُوا عَلِيًّا وَبَايَعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَبِغَمَضُونَ فِي إِمَامَتِهِمَا وَلَا يَلْتَفِتُ  
إِلَى نَقْلِ الْقَدَحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَاتِهِمْ فَهُوَ مَرْدُودٌ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
الْأَدَلَّةُ إِنَّمَا أَقْتَضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مُقْصِرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
الْوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمْ الزَّيْدِيَّةُ وَلَا تَبَرَّأُونَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ وَلَا يَغْمِضُونَ فِي إِمَامَتِهِمَا مَعَ  
قَوْلِهِمْ بَانَ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمْ يَجُوزُونَ إِمَامَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
أَخْتَلَفَتْ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الشَّيْخَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ  
بِالنِّصِّ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا يُدْكَرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
مَقَالَتِهِمْ بِاشْتِرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيمَانِ وَهِيَ أَصْلٌ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا  
فِي وَلَدِ فَاطِمَةَ لَكِنَّ بِالْإِخْتِيَارِ مَعَ الشُّبُوحِ وَاشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زَاهِدًا جَوَادًا شُجَاعًا وَيَخْرُجُ دَاعِيًا إِلَى إِمَامَتِهِ وَهُوَ لَا هُمْ الزَّيْدِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى صَاحِبِ  
 الْمَذْهَبِ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّيِّدِ وَقَدْ كَانَ يُنَازِرُ أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَى  
 أَشْرَاطِ الْخُرُوجِ فِي الْأَمَامِ فَيَلْزِمُهُ الْبَاقِرُ أَنْ لَا يَكُونَ أَبُوهُمَا زَيْنُ الْعَالِدِينَ إِمَامًا  
 لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ وَلَا تَعَرَّضَ لِلْخُرُوجِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ بَنَى عَلَيْهِ مَذَاهِبَ الْمُنْتَزِلَةِ وَأَخَذَهُ  
 أَيُّهَا عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ وَلَمَّا نَازَرَ الْأِمَامِيَّةَ زَيْدًا فِي إِمَامَةِ الشَّيْخَيْنِ وَرَأَوْهُ يَقُولُ  
 بِإِمَامَتِهِمَا وَلَا يَتَّبِعُ مِنْهُمَا رَفْضَهُ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَبِذَلِكَ مُنْهَو رَافِضَةً وَمِنْهُمْ  
 مَنْ سَاقَهُ بَعْدَ عَلِيِّ وَابْنَيْهِ السَّيِّدَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ  
 ثُمَّ إِلَى وَلَدِهِ وَهُمْ الْكَيْسَانِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى كَيْسَانَ مَوْلَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ اخْتِلَافَاتٌ  
 كَثِيرَةٌ تَرَكَّهَا اخْتِصَارًا وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يُسَمُّونَ الْغُلَاةَ تَجَاوَزُوا حَدَّ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ  
 فِي الْقَوْلِ بِالْوَهْبِيَّةِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ إِمَامًا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ أَوْ أَنَّ  
 الْإِلَهَ حَلَّ فِي ذَاتِهِ الْبَشَرِيَّةَ وَهُوَ قَوْلُ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَّارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَقَدْ حَرَّقَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ مَنْ ذَهَبَ فِيهِ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَخَطَ  
 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ الْخُتَّارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْهُ فَصَرَخَ بِالْعَنِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ  
 مِنْهُ وَكَذَلِكَ فَعَلَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِمَنْ بَلَغَهُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَقُولُ إِنَّ كَمَالَ الْأَمَامِ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ فَإِذَا مَاتَ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ  
 يَكُونُ فِيهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ وَهُوَ قَوْلُ بِالتَّنَاسُخِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ وَاحِدٍ  
 مِنَ الْأَئِمَّةِ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَسَبِ مَنْ يُعِينُ لَذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَهُوَ لَا هُمْ الْوَاقِفِيَّةُ  
 فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَسْتَشْهِدُونَ لَذَلِكَ  
 بِقِصَّةِ الْخُضْرِ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّهُ فِي السَّحَابِ وَالرَّعْدُ صَوْتُهُ  
 وَالْبَرْقُ فِي صَوْتِهِ وَقَالُوا مِثْلَهُ فِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَإِنَّهُ فِي جَبَلٍ رَضَوِي مِنْ أَرْضِ  
 الْحِجَازِ وَقَالَ شَاعِرُهُمْ

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ فُرَيْشٍ      وَلَا هِ الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهِ  
 عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاهِ  
 فَسَيْطُ سَيْطِ إِيْمَانٍ وَبَرٍّ      وَسَيْطُ غَيْبَتِهِ كَرَبْلَاهِ  
 وَسَيْطُ لَا يَدُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْحَيْشُ يَقْدُمُهُ الْوَاهِ

تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ  
 وَقَالَ مِثْلَهُ غُلَاةُ الْأُمَامَةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشْرَةَ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ  
 أَيْمَتِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَتَلَقَّبُوهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
 فِي الْحِلَّةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ أُعْتِقَلَ مَعَ أُمِّهِ وَغَابَ هُنَالِكَ وَهُوَ يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ  
 عَدْلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
 الْآنَ يَنْتَظِرُونَهُ وَبِسْمُونَهُ الْمُنْتَظَرِ لَذَلِكَ وَيَقْنُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِبَابِ  
 هَذَا السِّرْدَابِ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرْكَبًا فَيَنْتَفُونَ بِاسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلْخُرُوجِ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ  
 ثُمَّ يَنْفَضُونَ وَيَرْجِعُونَ الْأَرْضَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَيْدًا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
 الْوَاقِفَةِ يَقُولُ إِنَّ الْأِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَنْهَدُونَ لَذَلِكَ بِمَا  
 وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قُورَيْهِ وَقَتِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرُوا بِذَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمُهْجِزَةِ وَلَا يَصِحُّ الْأَسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدُ  
 الْحَمِيرِيُّ وَمِنْ شِعْرِهِ فِي ذَلِكَ

إِذَا مَا الْمَرْءُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ وَعَلَّلَهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخَضَابِ  
 فَقَدْ ذَهَبَتْ بَشَاشَتُهُ وَأَوْدَى فَقُمْ يَا صَاحِبَ نَبْكِ عَلَى الشَّبَابِ  
 إِلَى يَوْمٍ يَثُوبُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ  
 فَلَيْسَ بِعَابِدٍ مَا فَاتَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْآيَاتِ  
 أَدِينُ بِأَنَّ ذَلِكَ دِينُ حَقٍّ وَمَا أَنَا فِي الشُّوْرِ بِذِي أُرْتِيَابِ  
 كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَسٍ حَبُوءًا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي التُّرَابِ

وَقَدْ كَفَانَا مَوْثِقُهُ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةُ أَيْمَةُ الشَّيْعَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيُطْلَوْنَ أَخْتِجَابَتِهِمْ  
 عَلَيْهَا وَأَمَّا الْكَيْسَانِيَّةُ فَسَافُوا الْأُمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
 وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْهَاشِمِيَّةُ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا مِنْهُمْ مَنْ سَاقَاهُ بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَاةِ مَنْصَرِفًا مِنَ الشَّامِ  
 أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدًا إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْأَمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمَلَقَبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَلَقَبِ بِالْمَنْصُورِ وَانْتَقَلَتْ فِي وَلَدِهِ بِالنَّصِّ وَالْعَهْدِ وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهِمْ وَهَذَا مَذَهَبُ الْهَاشِمِيَّةِ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَكَانَ مِنْهُمْ  
أَبُو مُسْلِمٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ شِيعَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَزُبُرُهَا  
يَعْتَدُونَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَقَّهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَقَتَ  
الْوَفَاةِ وَهُوَ أَوَّلَى بِالْوَرَاثَةِ بِعَصَبِيَّةِ الْعُمُومَةِ وَأَمَّا الزُّبَيْدِيُّ فَسَأَلُوا الْأِمَامَةَ عَلَى مَذَهَبِهِمْ  
فِيهَا وَإِنَّمَا بِاخْتِيَارِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لَا بِالنَّصِّ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ عَلِيِّ ثُمَّ أَنَّهُ الْحَسَنِ ثُمَّ  
أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ أَنَّهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ صَاحِبُ هَذَا الْمَذَهَبِ وَخَرَجَ بِالْكُوفَةِ دَاعِيًا  
إِلَى الْأِمَامَةِ فَقُتِلَ وَصُلِبَ بِالْكِنَاسَةِ وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ بِإِمَامَةِ أَخِيهِ يَحْيَى مِنْ بَعْدِهِ فَمَضَى  
إِلَى خُرَاسَانَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانَ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَيُقَالُ لَهُ النَّسْ أَلِ الزُّكِّيَّةِ فَخَرَجَ بِالْحِجَازِ وَتَلَقَّبَ بِالْمُهْدِي وَجَاءَتْهُ عَسَاكِرُ  
الْمَنْصُورِ فَقُتِلَ وَعُهِدَ إِلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ بِالْبَصْرَةِ وَمَعَهُ عَيْسَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ  
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ عَسَاكِرَهُ فَهَرَمَ وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ وَعَيْسَى وَكَانَ جَعْفَرُ الصَّادِقِ أَخْبَرَهُمْ  
بِذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي كِتَابَاتِهِ وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الْأِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّسْ أَلِ الزُّكِّيَّةِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ هُوَ أَخُو زَيْدِ  
ابْنِ عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالطَّالِقَانِ فَقَضَى عَلَيْهِ وَسَبَقَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ لِحَاسِهِ  
وَمَاتَ فِي حَبْسِهِ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّبَيْدِيِّينَ أَنَّ الْأِمَامَ بَعْدَ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ هُوَ أَخُوهُ  
عَيْسَى الَّذِي حَضَرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قِتَالِهِ مَعَ مَنْصُورٍ وَتَقَالُوا الْأِمَامَةَ فِي عَقِبِهِ  
وَالِيهِ انْتَسَبَ دَعْوَى الزُّنَجَرِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الزُّبَيْدِيِّينَ إِنَّ  
الْأِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ الَّذِي فَرَّ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمَاتَ هُنَاكَ  
وَقَامَ بِأَمْرِهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ وَاخْتَطَّ مَدِينَةَ فَاسَ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ عَقِبُهُ مُلُوكًا بِالْمَغْرِبِ  
إِلَى أَنْ أَفْرَضُوا كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَبَقِيَ أَمْرُ الزُّبَيْدِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ مُنْتَظَمٍ  
وَكَانَ مِنْهُمْ الدَّاعِي الَّذِي مَلَكَ طَبْرِسْتَانَ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ  
أَبْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ قَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ  
فِي الدَّبْلَمِ النَّاصِرُ الْأَطْرُوشُ مِنْهُمْ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الْحُسَيْنِ  
أَبْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ أَخُو زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَكَانَتْ لِبَنِيهِ بِطَبْرِسْتَانَ دَوْلَةٌ وَتَوَصَّلَ



الدِّبْلَمُ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَالْإِسْتِبدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ بِغَدَادَ كَمَا نَذَرُ فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَافُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الرِّضَى إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا أَفْتَرَوْا فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ سَافَوْهَا إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَبَعَرُفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفِرْقَةٌ سَافَوْهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ وَهُمْ الْإِلَاقِيَّةُ عَشْرِيَّةٌ لِوُفُوفِهِمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْإِنَّمَةِ وَقَوْلِهِمْ بِغَيْبَتِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامَ بِالنَّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ وَقَائِدَةَ النَّصِّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدَمَاتٍ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقِبِهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوَّلُ  
 الْإِنَّمَةِ الْمَسْتُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَتِرُ وَتَكُونُ دُعَاؤُهُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شَوْكَةٌ ظَهَرَ وَأَظْهَرَ دَعْوَتُهُ قَالُوا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَسْتُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ فِي كِتَابِهِ وَتَتَابَعَ  
 النَّاسُ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ بِسِجْلَاسَةَ وَمَلَكَ الْفَيْرَوَانَ وَالْمَغْرِبَ وَمَلَكَ  
 بَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مِصْرَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ نِسْبَةً إِلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَةِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا بِالْبَاطِنِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَسْتُورِ وَيُسَمَّوْنَ  
 أَيْضًا الْمُلْحِدَةَ لِمَا فِي ضَمَنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْحَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَمَلَكَ حُصُونًا بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَزَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَ الْهَلَاكُ بَيْنَ مَلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ وَمُلُوكِ التَّتَرِ بِالْعِرَاقِ  
 فَاتَّقَرَضَتْ وَمَقَالَةُ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ \*  
 وَأَمَّا الْإِلَاقِيَّةُ عَشْرِيَّةٌ فَرُبَّمَا خُصُّوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ  
 مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لِوَفَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرٍ فَنَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الرِّضَا الَّذِي عَهْدَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَنْبَ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ التَّقِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْعَسْكَرِيِّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدَمْنَاهُ قَبْلَ وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ

هَذِهِ الْمَقَالَاتُ لِلشَّيْعَةِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ أَشْهُرُ مَذَاهِبِهِمْ وَمَنْ ارَادَ  
اَسْتِعْمَالَهَا وَمُطَاعَتَهَا فَعَلَيْهِ بِكِتَابِ الْمَلِكِ وَالْحَلِّ لَابْنِ حَزْمٍ وَالشَّهْرَسْتَانِي وَغَيْرِهِمَا فَبَيَّنَا  
بَيَانُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

## الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة الى الملك

إِعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ غَايَةُ طَبِيعِيَّةٍ لِلْعَصَبِيَّةِ لَيْسَ وَقُوتُهُ عَنْهَا بِاخْتِيَانٍ إِنَّمَا هُوَ بَصَرُورَةُ  
الْوُجُودِ وَتَرْتِيبُهُ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ الشَّرَائِعَ وَالذِّبَانَاتِ وَكُلَّ أَمْرٍ يَحُلُّ عَلَيْهِ  
الْجُمْهُورُ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ إِذِ الْمَطْلَبَةُ لَا تَنُتِمُ إِلَّا بِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ . فَالْعَصَبِيَّةُ  
عَرُورِيَّةٌ لِلْمِلَّةِ وَبُوجُودُهَا يَتِمُّ أَمْرُ اللَّهِ مِنْهَا وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ  
مِنْ قَوْمِهِ ثُمَّ وَجَدْنَا الشَّارِعَ قَدْ ذَمَّ الْعَصَبِيَّةَ وَنَدَبَ إِلَى أَطْرَاحِهَا وَتَرْكِهَا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ  
أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِيَّةً<sup>(١)</sup> الْجَاهِلِيَّةَ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ وَقَالَ  
تَعَالَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وَوَجَدْنَاهُ أَيْضًا قَدْ ذَمَّ الْمَلِكَ وَآهْلَهُ وَنَعَى  
عَلَى أَهْلِهِ أَحْوَالَهُمْ مِنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالْخِلَافِ وَالْإِسْرَافِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ وَالتَّنَكُّبِ  
عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ وَإِنَّمَا حَضَّ عَلَى الْإِلَافَةِ فِي الدِّينِ وَحَذَرَ مِنَ الْخِلَافِ وَالْفِرْقَةِ \* وَأَعْلَمُ  
أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا وَأَحْوَالَهَا مَطِيَّةٌ لِلْآخِرَةِ وَمَنْ فَقَدَ الْمَطِيَّةَ فَقَدَ الْوُصُولَ وَلَيْسَ مُرَادُهُ  
فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ أَوْ يَذْمُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبَشَرِ أَوْ يَنْدُبُ إِلَى تَرْكِهِ إِهْمَالَهُ بِالْكُلِّيَّةِ أَوْ  
اِقْتِلَاعَهُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَعْطِيلِ الْقَوَى الَّتِي يَنْشَأُ عَلَيْهَا بِالْكُلِّيَّةِ إِنَّمَا قَصْدُهُ تَضَرُّفُهَا فِي  
أَعْرَاضِ الْحَقِّ جِهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ حَتَّى تَصِيرَ الْمَقَاصِدُ كُلُّهَا حَقًّا وَتُتَّحَدَ الْوُجْهَةُ كَمَا  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ هُجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَمَنْ كَانَتْ هُجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهُجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَذُمَّ  
الْغَضَبُ وَهُوَ يَقْصِدُ نَزْعَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَوْ زَالَتْ مِنْهُ قُوَّةُ الْغَضَبِ لَفَقَدَ مِنْهُ الْإِتِّصَارُ  
لِلْحَقِّ وَبَطَلَ الْجِهَادُ وَإِعْلَاةُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَإِنَّمَا يَذَّمُ الْغَضَبُ لِلشَّيْطَانِ وَلِلْأَعْرَاضِ الذَّمِيمَةِ  
فَإِذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلذِّكْرِ كَانَ مَذْمُومًا وَإِذَا كَانَ الْغَضَبُ فِي اللَّهِ وَفِي اللَّهِ كَانَ مَمْدُوحًا وَهُوَ  
مِنْ شَمَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَا ذَمُّ الشَّهَوَاتِ أَيْضًا لَيْسَ الْمُرَادُ بِبَطَالِهَا بِالْكُلِّيَّةِ  
فَإِنَّ مَنْ بَطَلَتْ شَهْوَتُهُ كَانَ نَقْصًا فِي حَقِّهِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ تَضَرُّفُهَا فِيمَا أُيِّحَ لَهُ بِاشْتِمَالِهِ

(١) عجمه ضم العين وكسرهما وكسر الموحدة شدة وتشديد المنة انخبة الكبر والغر والغرورة قاموس

عَلَى الْمَصَالِحِ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَصَرِّفًا طَوْعَ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْعَصِيَّةُ حَيْثُ  
 ذَمَّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مِرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ نَجَانٌ مِنْ أَفْعَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرُ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْعَصِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَأَمْرٌ مَطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لَبَطَلَتِ الشَّرَائِعُ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ قُومَانُهَا إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ كَمَا فَلَنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ لَمَادَمَهُ الشَّارِعُ لَمْ يَذُمَّ  
 مِنْهُ الْقَلْبُ بِالْحَقِّ وَقَهَرَ الْكَافَّةَ عَلَى الدِّينِ وَرِعَاةِ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمُّهُ لِمَا فِيهِ مِنْ  
 اتِّغَابٍ بِالْبَاطِلِ وَتَضَرُّفٍ لِلْآدَمِيِّينَ طَوْعَ الْأَغْرَاضِ وَالنَّهَوَاتِ كَمَا فَلَنَاهُ فَلَوْ كَانَ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي عِلْمِهِ لِلنَّاسِ أَنَّ اللَّهَ وَلِحَمَائِمِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَمْعَزِلُ عَنِ الْبَاطِلِ فِي الْبُؤَةِ وَالْمَلِكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أُمِّيَّةِ الْمَلِكِ وَزِيَرِهِ مِنْ  
 الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَكْسَرُويَّةُ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَفَرُّجِهَا الْعُدُوِّ وَبَنَّا إِلَى مَبَادِيئِهِمْ بَيْنَهُ الْحَرْبُ وَالْجِهَادُ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يَخْطِئْهُ  
 لِمَا أَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَقْصَدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالَّذِينَ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضُ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يَقْنَعَهُ الْجَوَابُ فِي تِلْكَ الْكِسْرُويَّةِ وَاتَّعَالِيهَا بَلْ كَانَ يَخْرُضُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكِسْرُويَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارَسٍ فِي مُلْكِهِمْ مِنْ  
 ارْتِكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سُبُلِهِ وَالغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كِسْرُويَّةَ فَارَسَ وَبَاطِلُهُمْ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ بِهَا وَجْهٌ اللَّهُ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَنَسِيَانِ عَوَائِدِهِ حَذَرًا مِنَ التَّبَاسُخِ بِالْبَاطِلِ  
 وَلَمَّا اسْتَحْضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْضَاهُ النَّاسُ لِلْخِلَافَةِ وَهِيَ حَمْلُ الْكَافَّةِ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَخْرِ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّ مَطْنَةَ الْبَاطِلِ وَنَحْلَةَ بَوْمَيْدٍ لَأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَقَامَ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَبِعًا سَنَنْ صَاحِبِهِ وَقَاتِلَ أَهْلَ الرَّدْوَةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْنَى أَثَرَهُ وَقَاتَلَ الْأُمَمَ فَغَلِبَهُمْ وَأَذِنَ لِلْعَرَبِ بِاتِّزَاعِ

مَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْمَلِكِ فَعَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ وَانْتَزَعُوهُ مِنْهُمْ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ  
 عَفَّانٍ ثُمَّ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْكُلُّ مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمَلِكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طَرَفِهِ  
 وَكَكَدَ ذَلِكَ لَدَيْهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غَضَاةٍ إِلَّا سَلَامٌ وَبِدَاوَةَ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا أَبْعَدَ  
 الْأَثَمِ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَتَرَفَهَا لَا مِنْ حَيْثُ دِيْنُهُمُ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي النَّعِيمِ  
 وَلَا مِنْ حَيْثُ بَدَاوَتُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ وَشَطَطِهِ الَّذِي الْفُؤُةُ  
 فَلَمْ تَكُنْ أُمَّةً مِنَ الْأَثَمِ أَسْفَبَ عَيْشًا مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا كَانُوا بِالْحِجَازِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ  
 زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ وَكَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنَ الْأَرْيَافِ وَحُبُوبِهَا لِبُعْدِهَا وَاخْتِصَامِهَا بَيْنَ وَلِيَّهَا  
 مِنْ رِبِيعَةٍ وَالْيَمَنِ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَطَاوَلُونَ إِلَى خِصْبِهَا وَلَقَدْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ  
 الْعُقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَيَقْرُونَ بِأَكْلِ الْعَلَبَرِ وَهُوَ وَبَرُّ الْأَيْلِ بِمَهُونَةٍ بِالْحِجَازَةِ فِي الدَّمِ  
 وَيَطْغُونَهُ وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا كَانَتْ حَالُ قُرَيْشٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ  
 عَصِيَّةُ الْعَرَبِ عَلَى الدِّينِ بِمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَحَفُوا  
 إِلَى أَسَمِ فَارِسٍ وَالرُّومِ وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ يُوْعِدُ الصِّدْقُ فَاثْبَرُوا  
 مُلْكَهُمْ وَأَسْتَبَاحُوا دِيْنَهُمْ فَزَحَرَتْ بِحَارِ الرَّفَةِ لَدَيْهِمْ حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَاحِدُ يُقْسِمُ  
 لَهُ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوَهَا فَاسْتَوَلُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ  
 الْحَضَرُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُشُونَةِ عَيْشِهِمْ فَكَانَ عُمَرُ يُرْفَعُ ثَوْبُهُ بِالْجِلْدِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ  
 يَا صَفْرَاهُ وَيَا بَيْضَاهُ غَرِي غَيْرِي وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَجَافَى عَنْ أَكْلِ الدَّلَجِ لِأَنَّهُ لَمْ  
 يَعُدَّهَا لِلْعَرَبِ لِقِلَّتِهَا يَوْمئِذٍ وَكَانَتْ الْمَنَاحِلُ مَفْقُودَةً عِنْدَهُمْ بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ  
 الْحِنْطَةَ يَنْخَالُهَا وَمَكَايِبَهُمْ مَعَ هَذَا أَثَمٌ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ  
 فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ أَقْتَنَى الصَّحَابَةُ الصِّيَاعَ وَالْمَالُ فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ عِنْدَ خَارِنِهِ خَمْسُونَ  
 وَمِائَةً أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَفِيهِ ضِيَاعُهُ بِوَادِي الْقَرْيِ وَحُبْنٍ وَغَيْرِهِمَا  
 مَاثِمًا أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ إِبِلًا وَخَيْلًا كَثِيرَةً وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَاحِدِ مِنْ مَتْرُوكِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ  
 وَفَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ أَلْفِ فَرَسٍ وَأَلْفَ أُمَّةٍ وَكَانَتْ غَلَّةُ طَلْحَةَ مِنَ الْعِرَاقِ  
 أَلْفَ دِينَارٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرَّاءِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلَى رَبِطِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 بْنِ عَوْفٍ أَلْفُ فَرَسٍ وَلَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الْغَنَمِ وَبَلَغَ الرَّبْعُ مِنْ مَتْرُوكِهِ  
 بَعْدَ وَفَاتِهِ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَخَلْفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يُكْسَرُ

بِالْفُؤُسِ غَيْرَ مَا خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَبَنَى الزُّبَيْرُ دَارَهُ  
بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بِمِصْرَ وَالْكُوفَةَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
بِالْكُوفَةِ وَشَبَدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْجَنْصِ وَالْأَجْرَ وَالسَّاجَ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
وَقَاصُ دَارَهُ بِالْعَقِيقِ وَزَنَعَ مِنْهَا وَأَوْسَعَ فِضَاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَغْلَاهَا شُرُفَاتٍ وَبَنَى  
الْمُقْدَادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا نَحْصَةً الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ لِعَلِيِّ بْنِ مُنْبِيهِ خَمْسِينَ  
أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا فِيهِ ثَمَنُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ أَهْ كَلَامُ السَّعُودِيِّ  
فَكَانَتْ مَكَاسِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنَعِيًّا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
حَلَالٌ لِأَنَّهُمْ غَنَائِمٌ وَفُيُوءٌ وَلَمْ يَكُنْ تَصَرُّفُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا عَلَى قَصْدٍ فِي  
أَحْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَا هَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُومًا  
فَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَتْ  
حَالُهُمْ قَصْدًا وَتَفَقَّهَتْهُمْ فِي سُبُلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ كَانَ ذَلِكَ الْإِسْتِكْثَارُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى  
طُرُقِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتِ الْبِدَاوَةُ وَالْفَضَاضَةُ إِلَى نَهَائِهَا  
وَجَاءَتْ طَائِفَةُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا وَحَصَلَ التَّغْلِبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
حُكْمُ ذَلِكَ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ ذَلِكَ الرَّقِيقِ وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَبْصُرُوا  
ذَلِكَ التَّغْلِبَ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنْ مَقَاصِدِ الدِّيَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتِ  
الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْاجْتِهَادُ وَلَمْ  
يَكُونُوا فِي تَحَارُّبِهِمْ لِعَرَضِ دُنْيَوِيٍّ أَوْ لِإِبْتَارِ بَاطِلٍ أَوْ لِاسْتِشْعَارِ حَقْدٍ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ  
مَتَوَحِّمٌ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ مُلْحِدٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَفَهُ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَاقْتَسَلُوا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمَصِيبُ عَلِيًّا فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ قَائِمًا  
فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
اِقْتَضَتْ طَائِفَةُ الْمَلِكِ الْإِفْتِرَادَ بِالْحَجْدِ وَاسْتِشَارَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ  
يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ فَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِي سَاقَتِ الْعَصِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرَتْهُ بُنُوَامِيَّةٌ وَمَنْ  
لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِفَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَأَعْوَصُوا عَلَيْهِ وَاسْتَمَاتُوا  
دُونَهُ وَلَوْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِفْتِرَادِ بِالْأَمْرِ لَوُفَّعَ فِي  
اِقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعُهَا وَتَأْلِيفُهَا أَمُّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَرَاءَهُ كَبِيرٌ مُخَالَفَةٌ

وَقَدْ كَانَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِي  
أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُهُ اخْلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
كَانَ يَخْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُحَوِّلَ الْأَمْرَ  
عَنْهُمْ لِمَا نَفَعَ الْفُرْقَةَ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ  
فَالْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنْ الْوَاحِدَ اتَّفَقَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَكْبِيرٌ عَلَيْهِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ سُلَيْمَانُ وَأَبُوهُ دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمَلِكِ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا اقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِتِّفَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ التُّبُوهُ  
وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدُ مُعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عَهِدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ ظَنَّهُمْ  
كَانَ بِهِ صَالِحًا وَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ لِعَهْدِ إِلَيْهِ  
وَهُوَ يَتَّقِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمُعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانُ  
ابْنُ الْحَكَمِ وَأَبْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمَلِكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبِطَالَةِ  
وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مُتَحَرِّينَ لِمُقَاصِدِ الْحَقِّ جُهْدُهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَحْمِلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
مِثْلَ خَشْيَةِ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانُوا  
عَلَيْهِ مِنَ الْإِتِّبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلَفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمُقَاصِدِهِمْ فَقَدْ اخْتَفَى مَالِكٌ  
فِي الْمُوَطَّأِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّالِعِينَ وَعَدَّ التَّهْمُ  
مَعْرُوفَةً ثُمَّ تَدَرَّجَ الْأَمْرُ فِي وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
وَنُوسَطَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَزَعَّ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَزَبَةِ وَالصَّحَابَةِ جُهْدُهُ وَلَمْ  
يُجْعَلْ ثُمَّ جَاءَ خَلْفُهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَغْرَافِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمُقَاصِدِهِمْ وَنَسُوا  
مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَاعْتِمَادِ الْحَقِّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا  
دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعُوا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالِدَعْوَةِ الْعَبَاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوَلَّى رِجَالَهَا الْأَمْرَ  
فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمَلِكَ فِي وَجْهِهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَيْنِهِمْ  
فَأَعْطُوا الْمَلِكَ وَالتَّرَفَ حَقَّهُ وَانْتَمَسُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا وَتَبَدُّوا الدِّينَ وَرَأَاهُمْ ظَهْرِيًّا  
فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِمُحَرِّبِهِمْ وَاتِّزَاعِ الْأَمْرِ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكْنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا

يُظَلِّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَاخْتِلَافَهُمْ فِي تَحَرِّيِ الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَاهُ وَقَدْ حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَنْ  
 أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ وَقَدْ حَضَرَ عُمُومَتُهُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّارًا لَا يُبَالِي بِمَا صَنَعَ وَأَمَّا سُلَيْمَانُ فَكَانَ هَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمَّا عُمَرُ فَكَانَ أَعْوَرَ  
 بَيْنَ عُمَيَّانَ وَكَانَ رَجُلُ الْقَوْمِ هَشَامٌ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةٍ ضَايِطِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُمْ مِنَ  
 السُّلْطَانِ يَحْوِطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسَنُّهِمْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَرَفْضِهِمْ  
 دُنْيَانَهَا حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى آبَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمَّا لِمَكْرِهِ مَعَ أَطْرَاحِهِمْ صِبَاَنَهُ الْخِلَافَةَ  
 وَاسْتِخْفَافَهُمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَلِسَبِّهِمُ اللَّهُ الْعَزَّ وَالْبَسْهُمْ الدُّلَّ وَنَقَى  
 عَنْهُمْ النَّعْمَةَ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بَنَ مَرْوَانَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ التُّوْبَةِ لَمَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَاهُمُ السَّفَاحَ قَالَ أَقَمْتُ مَلِكًا ثُمَّ أَنَا بِي مَلِكُهُمْ فَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ  
 وَقَدْ بُسِطَ لِي فُرُشٌ ذَاتُ قِيَمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَى ثِيَابِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لِمَ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ مَحْرَمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ أَجْتَرَأُ عَلَى ذَلِكَ عِبِيدُنَا وَأَتْبَاعُنَا قَالَ فَلِمَ تَطْطُونُ  
 الزَّرْعَ بِدَوَابِكُمْ وَالْفَسَادَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلْ ذَلِكَ عِبِيدُنَا وَأَتْبَاعُنَا يَجْهَلُهُمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الذِّبَاجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ النِّجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكَرْهِ مِنَّا فَأُطْرَقَ  
 بَنُوكَ بِيَدِهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عِبِيدُنَا وَأَتْبَاعُنَا دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَتَيْتُمْ مَا عَنْهُ  
 نُهَيْتُمْ وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ فَلِسَبِّكُمْ اللَّهُ الْعَزَّ وَالْبَسْكُمْ الدُّلَّ يَذْنُوبِكُمْ وَاللَّهُ نَقِمَةٌ لَمْ  
 يُبْلَغْ غَايَتُهَا فَيْكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُجِلَّ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ بِلَيْدِي فَيَنَالَنِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الصِّيَافَةُ ثَلَاثُ فَرَزْدَدٍ مَا أَحْتَجُّ إِلَيْهِ وَأَزْجُلُ عَنْ أَرْضِي فَتَجَعَّبَ الْمَنْصُورُ وَأُطْرَقَ فَقَدْ  
 تَبَيَّنَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوَّلِهِ خِلَافَةً وَوَارِعُ  
 كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤْثِرُونَهُ عَلَى أُمُورِ دُنْيَاهُمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) قوله عبدالله كذا في النسخة التونسية وبعض النسخة وفي بعضها عبد الملك وأظنه تصحيفاً فإله نصر

هَلَاكِهِمْ وَحَدَّثَهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَبَهِدَا عُثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَثَلُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَعَ مِنْ سَلِّ السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ خِيفَةَ الْفُرْقَةِ وَحِفْظًا لِلْإِلفَةِ الَّتِي بَهَا حَفِظُوا الْكَلِمَةَ وَلَوْ أَدَّى إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّهُ أَشَارَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ بِاسْتِيقَاءِ الزُّبَيْرِ وَمُعَاوِيَةَ وَطَلْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَتُنْفَقَ الْكَلِمَةُ وَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فَرَارًا مِنَ الْعِشْرِ الَّذِي يُتَابِعُهُ إِلَّا سَلَامًا وَعَدًا عَلَيْهِ الْمُغِيرَةُ مِنَ الْغَدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ بِمَا أَشْرْتَ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى نَظَرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا رَأَيْتُهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ لَا وَاللَّهِ بَلْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَخُونَنِي بِالْأَمْسِ وَغَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَنَعَنِي مِمَّا أَشْرْتَ بِهِ زَائِدُ الْحَقِّ وَهَكَذَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِفَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَنَحْنُ

نُزِقُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيْقِ دِينِنَا فَلَا دِينَتَا بَقِيَ وَلَا مَا نُزِقُ

فَقَدْ رَأَيْتُ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَقِيَتْ مَعَالِي الْخِلَافَةِ مِنْ تَحْرِي الدِّينِ وَمَذَاهِبِهِ وَالْجُرْيِ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَطْهَرِ التَّغْيِيرُ إِلَّا فِي الْوَاوِزِ الَّذِي كَانَ دِينًا ثُمَّ انْقَلَبَ عَصِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالصَّدرِ الْأَوَّلِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وَلَدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَالِي الْخِلَافَةِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمُهَا وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ التَّغْلِبِ إِلَى غَايَتِهَا وَاسْتَعْمِلَتْ فِي أَغْرَاضِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالتَّقْلِبِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذِّ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لَوْلِي عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ بَاقِيًا فِيهِمْ لِقَاءَ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ فِي الطُّورَيْنِ مُلْتَمِسِينَ بَعْضُهُمَا بَعْضًا ثُمَّ ذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَانْتَرَاهَا يَذْهَابُ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءُ جِلْبِهِمْ وَتَلَاثِي أَحْوَالِهِمْ وَبَقِيَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْأَنْجَمِ بِالْمَشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخِلَافَةِ تَبَرُّكًا وَالْمَلِكُ يَجْمَعُ أَلْقَابَهُ وَمَنَاجِيَهُ لَهُمْ وَلَيْسَ لَخِلَافَتِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُلُوكُ زَنَاطَةِ الْمَغْرِبِ مِثْلَ صَنَاجِدِهَا مَعَ الْعَبِيدِيْنَ وَمَرْوَاةِ وَبَنِي يَفْرُتٍ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيْنَ بِالْقَيْرَوَانِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وَجَدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوَّلًا ثُمَّ التَّبَسُّتْ مَعَانِيهَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ انْفَرَدَ الْمَلِكُ حَيْثُ انْفَرَقَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهُ



## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة <sup>(١)</sup>

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْبَيْعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمُبَايَعُ يُعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُطِيعُهُ فِيمَا يُكَلِّفُهُ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْعَهْدِ فَأَشْبَهَ ذَلِكَ فِعْلَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فُسِّمِي بَيْعَةً مُضَدَّرَ  
بَاعَ وَصَارَتِ الْبَيْعَةُ مُصَاحَفَةً بِالْأَيْدِي هَذَا مَدْلُولُهَا فِي عَرَفِ الْأَلْفَةِ وَمَعْنَى الشَّرْعِ وَهُوَ  
الْعُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجَرَةِ وَحَيْثُمَا  
وَرَدَ هَذَا اللفظُ وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَحْلِفُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيُسْتَوْعِبُونَ الْأَيْمَانَ كُلِّهَا لِذَلِكَ فُسِّمِي هَذَا الْإِسْتِيعَابُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ وَكَانَ الْإِكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَغْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَقْبَى مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُقُوطِ بَعِيْنِ الْإِكْرَاهِ أَنْكَرَهَا  
الْوَلَاةُ عَلَيْهِ وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مَحَنَةِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكَسْرُ وَبَعْنُ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرِّجْلِ أَوْ الذَّنْبِلِ أَطْلُقُ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ بِجَازٍ لِمَا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَالزَّيَامِ الْآدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَغَلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عَرَفِيَّةً وَاسْتَغْنَى بِهَا عَنْ مُصَاحَفَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي  
الْأَصْلِ لِمَا فِي الْمُصَاحَفَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ التَّنَزُّلِ وَالْإِتِّدَالِ الْمُنَافِيَيْنِ لِلرَّئَاسَةِ وَصَوْنِ  
الْمَنْصِبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِمَّنْ يَقْصِدُ التَّوَاضُّعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَأَفْهَمَ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعَرَفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لِمَا بَلَّغَهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أَفْعَالُهُ عَشَاءً وَبَجَائَا  
وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الموحدة اما بكسرها على وزن شيعه يسكون الياء فيها فهي معبد النصارى ١٠

## الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

إِغْلَمَ أَتَانَقْدَمْنَا الْكَلَامَ فِي الْأَمَامَةِ وَمَشْرُوعِيَّتِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِيَدْرِيَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ وَلِيَهُمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيُقِيمَ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ يَتَوَلَّاهَا وَيَتَقَوَّنَ يَنْظُرُهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثَقُوا بِهِ فِيمَا قَبْلُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَانْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعُمَرَاءِ يَحْضَرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازُهُ وَأَوْجِبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَكَذَلِكَ عَهْدَ عُمَرَ فِي الشُّوْزَى إِلَى السَّنَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَوَّضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَجْتَهَدَ وَنَظَرَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُثْمَانَ وَتَوَلَّى عَلَيْهِ فَأَثَرُ عُثْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَوَاقِفِهِ إِيَّاهُ عَلَى لُزُومِ الْإِفْتِدَاءِ بِالشَّيْخَيْنِ فِي كُلِّ مَا يَعْنُ دُونَ اجْتِهَادِهِ فَأَنْعَقَدَ أَمْرُ عُثْمَانَ لِلذَّكَاءِ وَأَوْجِبُوا طَاعَتَهُ وَالْمَلَأُوا مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يَنْكُرُوا أَحَدٌ مِنْهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَاجْتِمَاعُ حُجَّةٍ كَمَا عُرِفَ وَلَا يَتَّبِعُهُ الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوَّلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبِعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِمَنْ قَالَ بِاتِّهَامِهِ فِي التَّوَلَّى وَالْوَالِدُ أَوْ لِمَنْ خَصَّصَ التَّهْمَةَ بِالتَّوَلَّى دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِثَارِ مَصْلَحَةٍ أَوْ تَوْفَعٍ مُفْسِدَةٍ فَتَنْفِي الظَّنِّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَعَلَ مُعَاوِيَةَ مَعَ وَفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ لِإِثَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مُرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِذْ بَنُو أُمَيَّةٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضَوْنَ سِوَاهُمْ وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعُ وَأَهْلُ الْقَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ يَمُنُّ بِظَنِّ أَنَّهُ أَوَّلَى بِهَا وَعَدَلَ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ حِرْصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ الْأَهْوَاءِ الَّذِي شَأْنُهُ أَهَمُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يُظُنُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرُ هَذَا فَعَدْلُهُ

وَصَحْبُهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ لِلذَّكَ وَسُكُونُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى انْتِفَاءِ الرَّيْبِ فِيهِ فَلْيَسُوا مِنْ بَأْخِذِهِمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَةً وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ مِنْ تَأْخِذِهِ الْعَزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَالَتُهُمْ مَانِعَةٌ مِنْهُ وَفَرَارُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مُحْمُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مُبَاحًا كَانَ أَوْ مُحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِلَافَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَتَدَوَّرَ الْخِلَافُ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَّاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ وَالرَّشِيدَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ عَرَفَتْ عَدَالَتَهُمْ وَحَسَنَ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرُ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِثَارُ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي ذَلِكَ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِ أُولَئِكَ الْخُلَفَاءِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْدَثْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَكَانَ الْوِزَارُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ قَهْدُوا إِلَى مَنْ يَرْضِيهِ الدِّينُ فَقَطَّ وَاثَرُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَّلُوا كُلَّ مَنْ يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَازِعِهِ وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ لُنِّ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتِ الْعَصِيَّةُ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى غَايَتِهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْوِزَارِ الَّذِي قَدْ ضَعُفَتْ وَأَحْتِجَ إِلَى الْوِزَارِ السُّلْطَانِي وَالْعَصْبَانِي فَلَزِمَ عَهْدُ إِلَى غَيْرِ مَنْ تَرْضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَرَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدُ وَأَنْتَقَضَ أَمْرُهُ سَرِيعًا وَصَارَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْإِخْلَافِ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كُنَّا وَالْبَيْنَ عَلَى مِثْلِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْغَدَ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَازِعِ الَّذِينَ أَفَلَا تَرَى إِلَى الْأُمَمِ لَمَّا عَهْدَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَسَمَاهُ الزُّضَا كَيْفَ أَنْكَرْتَ الْعَبَّاسِيَّةَ ذَلِكَ وَتَقَضُوا يَبْعَتَهُ وَيَابَعُوا لِعِمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ وَظَهَرَ مِنَ التَّوَجُّهِ وَالْخِلَافِ وَأَنْتَقَطَعَ السَّبِيلُ وَتَعَدَّدَ الثُّوَارُ وَالْخَوَارِجُ مَا كَادَ أَنْ يَصْطَلِمَ الْأَمْرُ حَتَّى بَادَرَ الْأُمَمُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادٍ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِمَعَاهِدِهِ فَلَا بَدَّ مِنْ اعْتِبَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ فَالْعَصُورُ تَخَلَّفَ بِاخْتِلَافٍ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَتَخَلَّفَ بِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حُكْمٌ يُخْصَصُ لَهَا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التَّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ

مِنْ اللَّهِ يَخْصُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَحْسَنَ فِيهِ النَّيَّةُ مَا أَمَكَّنْ خَوْفًا مِنْ  
 الْعَيْثُ بِالْمَنْاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالْمُلْكِ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أُمُورٌ تَدْعُو  
 الْضَّرُورَةَ إِلَى يَبَانَ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مِنَ الْفَسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَأَبَاكَ أَنْ تَنْظُرَ بِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ يَزِيدَ فَإِنَّهُ أَعْدَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلَ بَلْ كَانَ يَعْدُلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي سَمَاعِ الْغَنَاءِ وَبِنَهْأَةِ عَنْهُ وَهُوَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلَفَةً وَلَمَّا حَدَّثَ فِي يَزِيدَ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفَسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَتَقَضَّ يَبْعَتُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ أَتْبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ التَّجَزُّعِ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ يَزِيدَ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَسْتَبِيعُ عَصِيَّةَ مُضَرَ أَجْمَعَ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تَطَاقُ مُقَاوَمَتُهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ يَزِيدَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهَيْدَابِيَّتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفْلُ يُجْتَهَدُونَ وَلَا  
 يُنْكَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْبَرِّ وَتَحَرِّيِ الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَفَقْنَا اللَّهَ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدْعِيهِ  
 الشَّيْعَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصَحَّ وَلَا نَقْلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ النُّقْلِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاةِ وَالْفَرِطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ وَسُئِلَ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعْيَدَ فَقَدْ عَهْدَ مِنْهُ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي بَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَنْزَلَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مِنْهُ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي بَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْيِدْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ لِلْعَبَّاسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَأْلَانِهِ عَنْ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلِيٌّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَطْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوْصَ وَلَا عَهْدَ إِلَى أَحَدٍ وَشُبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ كَمَا يَزْعُمُونَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ الْمُفَوَّضَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يَسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يَشْتَهَرُ

كَمَا اَشْتَهَرَ اَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَاجُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِقِيَامِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
 فِي قَوْلِهِمْ اَرْضَاهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا اَقْلًا نَرْضَاهُ لِدِينَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
 اَنَّ الْوَصِيَّةَ لَمْ تَقَعْ وَيَبْدُلْ ذَلِكَ اَيْضًا عَلَى اَنَّ اَمْرَ الْاِِمَامَةِ وَالْعَهْدَ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمَا  
 كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَشَأْنُ الْعَصِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْاِفْتِرَاقُ فِي تَجَارِي الْعَادَةِ  
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ اِلْعْتِبَارٌ لِاَنَّ اَمْرَ الدِّينِ وَالْاِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ بِخَوَارِقِ الْعَادَةِ  
 مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَاسْتِمَاعَةِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ اَجْلِ الْاَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
 يَشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَيْرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خُطَابِ  
 اللهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُنْتَلَى عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَمْتَنِعْ اِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصِيَّةِ لِمَا شَمَلَ النَّاسَ مِنْ صِبْغَةِ  
 الْاَنْبِيَاءِ وَالْاِذْعَانِ وَمَا يَسْتَفْزِمُ مِنْ تَتَابُعِ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْاَحْوَالِ الْاِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ الْمَتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجَّهُوا مِنْهَا وَدُهِشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ اَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ  
 وَالْعَهْدِ وَالْعَصِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْاَنْوَاعِ مُتَدْرِجًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا اِنْحَصَرَ  
 ذَلِكَ الْمَدَدُ بِذَهَابِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ثُمَّ بَقِيَ الْقُرُونُ الَّذِينَ شَاهَدُوها فَاسْتَحَالَ تِلْكَ  
 الصِّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتِ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْعُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَبَرَ اَمْرُ  
 الْعَصِيَّةِ وَتَجَارِي الْعَوَائِدِ فِيمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَاصْبَحَ الْمَلِكُ وَالْخِلَافَةُ  
 وَالْعَهْدُ بِهِمَا مِنْهُمَا مِنَ الْمُهْمَاتِ الْاَكْبَدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ فَاَنْظُرْ  
 كَيْفَ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهْمَةٍ فَلَمْ يَعْهَدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
 الْاِهْمِيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةِ بَعْضُ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ اِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ وَالْجِهَادِ وَشَأْنُ  
 الرِّدَّةِ وَالْفَتْوَحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ  
 ثُمَّ صَارَتْ الْيَوْمَ مِنْ اَهَمِّ الْأُمُورِ لِلْاِِمَامَةِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَبِرْتَ فِيهَا  
 الْعَصِيَّةُ الَّتِي فِي سِرِّ الْوَارِعِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمِنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَافُقِ الْكَفِيلُ  
 بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَاحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ شَأْنُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْاِسْلَامِ  
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِعِينَ فَاعْلَمْ اَنَّ اخْتِلَافَهُمْ اِنْمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنِ  
 الْاجْتِهَادِ فِي الْأَدَلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنْ قُلْنَا  
 اِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادِفْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ  
 فَإِنْ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعٍ فَيَبْقَى الْكُلُّ عَلَى اَحْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ النُّخْطُ

مِنْهَا وَالْأَثِيمُ مَدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِجْمَاعًا وَإِنْ فَلْنَا إِنْ أَلْكَلُ حَقٌّ وَإِنْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ  
 مُصِيبٌ فَأَحْرَى بِنَفْيِ الْخَطِئِ وَالْأَثِيمِ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّالِعِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافٌ أَجْتَهَادِي فِي مَسَائِلِ دِينِيَّةٍ ظَنِّيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعُهُ عَلَى مَعَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةَ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةُ عَلَى فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُفْتَرِقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بِيَعَةَ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَاعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَتَّفِقُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَأَبْنِ عُمَرَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَقِدَامَةَ بْنِ مَطْعُونٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكَعْبَ  
 بْنِ مَالِكٍ وَالنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَحَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ وَفَضَالَهَ بْنَ عُبَيْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ  
 مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَلُوا عَنْ بَيْعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرَكُوا الْأَمْرَ فَوْضَى حَتَّى يَكُونَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُولُونَهُ وَظَنُّوا بِعَلِيٍّ  
 هَوَادَّةً فِي الشُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْعَمَلِ لَآءٍ عَلَيْهِ تَخَاشَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَلَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ إِذَا صَرَخَ بِمَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوجِّهَهَا عَلَيْهِ فِي سُكُوتِهِ فَقَطُّ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلِيٌّ أَنَّ بَيْعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَلَزِمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعٍ مَنْ اجْتَمَعَ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَاءِ الْأَمْرِ فِي  
 الْمَطْلَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَتِمَّ كُنْ حِينَئِذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بَيْعَتَهُ لَمْ تَنْعَقِدْ لِاقْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ بِالْأَفَاقِ وَلَمْ  
 يَخْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبَيْعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تُلْزَمُ بِعَقْدِ  
 مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ فَوْضَى قِطَابُونَ  
 أَوْلَا بِدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامٍ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مُعَاوِيَةُ وَعُمَرُو بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَأَبْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَأَبْنَةُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ  
 وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ الثَّانِي مِنْ بَعْدِهِمْ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ وَزُورِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَصَوِّبِ رَأْيِهِ فِيمَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِيبِ الْخَطِئِ مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ

وَأَرْبَبَ لَانْتِقَاضِهِمَا عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِيمَا نُقِلَ مَعَ دَفْعِ التَّائِيِبِ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالْشَّانِ فِي الْمُجْتَهِدِينَ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَلَقَدْ سُلِّ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلَى الْجَمَلِ وَصَفَيْنِ  
فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَفِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشِيرٍ إِلَى  
الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَيْبٌ فِي عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدَحٌ فِي  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مِنْ عَلِمْتَ وَأَقْوَاهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنْدَاتِ وَعَدَالَتِهِمْ  
مَقْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَزِلَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَالِيًا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْأَنْصَارِ عَذْرَتِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
الْإِخْلَافِ فِي عُثْمَانَ وَإِخْلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدُ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً ابْتَلَى اللَّهُ  
بِهَا الْأُمَّةَ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَذْوَهُمْ وَمَلَكَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَزَلُّوا  
الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصَرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
زَلُّوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُنَاحًا لَمْ يَسْتَكْبِرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
أَرْتَاضُوا بِخُلُقِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْخَفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالْفَخْرِ وَالْبُعْدِ عَنْ  
سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِحْجَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مِلْكَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَتَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَيَرْبِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْأَيْمَانِ فَاسْتَنْكَفُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لِمَا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَنْسَابِهِمْ  
وَكَثَرَتِهِمْ وَمُصَادَمَةِ فَارِسَ وَالرُّومِ مِثْلَ قِبَائِلِ بَكْرٍ بْنِ وَائِلَ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَيْعَةَ  
وَقِبَائِلِ كَدَّةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ مِنْ مِصْرَ فَصَارُوا إِلَى الْغَضِّ مِنْ قُرَيْشٍ  
وَالْإِنْفَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمْرِ بِيضٍ فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّلَلِّ فِي ذَلِكَ بِالنَّظْمِ مِنْهُمْ وَالْإِسْتِعْدَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَالظَّنِّ فِيهِمْ بِالْعِزِّ عَنِ السُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَنَشَتِ الْمَقَالَةُ  
بِذَلِكَ وَانْتَهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مِنْ عَلِمْتَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَبْلَغُوهُ عُثْمَانُ قَبِعَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبَرَ بَعَثَ ابْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأَمْثَالَهُمْ فَلَمَّ  
يُنْكِرُوا عَلَى الْأَمْرَاءِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَادَّوَا ذَلِكَ كَمَا عَلِمُوهُ فَلَمْ يَنْقَطِعِ  
الطَّعْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ الشَّنَاعَاتُ تَتَمُورُ وَرُمِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقِيَّةٍ وَهُوَ عَلَى  
الْكُوفَةِ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّ عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْأَلُونَ عَزْلَ الْعَمَالِ وَشَكَاوًا إِلَى عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَالْزُبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَعَزَلَ  
 لَهُمْ عُثْمَانُ بَعْضَ الْعَمَالِ فَلَمْ تَنْقَطِعْ بِذَلِكَ أَلْسِنَتُهُمْ بَلْ وَقَدْ سَمِعُوا بَنَ الْعَادِي وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ اعْتَرَضَهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَعْزُولًا ثُمَّ انْتَقَلَ الْخِلَافَ بَيْنَ  
 عُثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَتَقَمُّوا عَلَيْهِ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْعَزْلِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحَةٍ ثُمَّ نَقَلُوا النَّكْبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَهُوَ مَتَمَّسِكٌ بِالْإِحْتِهَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْفُجَرَاءِ وَجَافُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يَطْهَرُونَ طَلَبَ النَّصْفَةِ مِنْ عُثْمَانَ  
 وَهُمْ يَفْهَرُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبُصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يَحَاوِلُونَ تَسْكِينَ الْأُمُورِ وَرُجُوعَ عُثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَعَزَلَ لَهُمْ عَامِلٌ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ لَبَسُوا بِكِتَابِ مُدَلِّسٍ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ أَقْوَمُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلٍ مِصْرَ بِأَنْ يَقْتُلَهُمْ وَحَلَفَ عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا مَكِينًا  
 مِنْ مَرَوَانَ فَإِنَّهُ كَذَبُكَ خَلَفَ مَرَوَانَ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَحَاصِرُوهُ  
 بِدَارِهِ ثُمَّ يَتَوَهَّوْنَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَتْلُوهُ وَانْفَتَحَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَامْكُلْ مِنْ هَؤُلَاءِ  
 عَذْرَ فِيمَا وَقَعَ وَكُلُّهُمْ كَانُوا مُتَحَدِّينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يَضِيعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعَلُّقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الْوَاقِعِ وَاجْتَهَدُوا وَاللَّهُ مُطَالِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعَالِمٌ بِهِمْ وَتَحَنُّنٌ لَا نَظَرَ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَقَالَاتُ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فَسَقُ  
 يَزِيدٌ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شِيعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقُومُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدٍ مُتَعَيَّنٌ مِنْ أَجْلِ فَسَقِهِ لَا  
 سِيَمًا مِنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ وَظَنُّهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنَّ وَزِيَادَةً وَأَمَّا الشُّوْكَهُ فَغَلِطَ يَرْحُمُهُ اللَّهُ فِيهَا لِأَنَّ عَصَابَةَ مِصْرَ كَانَتْ فِي فُرَيْشٍ  
 وَعَصَابَةُ عَبْدِ مَنْفٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ فُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يُتَكْرَرُونَ وَإِنَّمَا نَسِيَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنَ الْأَهْوَالِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرُ الْوَسْخِ وَتَرَدُّدُ الْمَلَائِكَةِ لِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغْفَلُوا أُمُورَ عَوَائِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصَابَةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَنَازَعَهَا وَنُسِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصَابَةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدِفَاعِ  
 يُنْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَعْرُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهْوُولَةِ تَرَجَّعَ الْحُكْمُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلْعَوَائِدِ



فَعَادَتِ الْعَصِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمَنْ كَانَتْ وَأَصْبَحَتْ مُضْرُ أَطْوَعَ لِيَّيْ أُمِيَّةٍ مِنْ سِوَاهُمْ  
بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلَطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ لَا بَصِيرَةَ  
الْغَلَطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلَطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مَنُوطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ ظَنُّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى  
ذَلِكَ وَلَقَدْ عَدَّلَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَخُوهُ وَغَيْرُهُ  
فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يَزِيدَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
التَّابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يُجُوزُ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ  
الْهَرْجِ وَالْذِمَاءِ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا اتَّبَعُوهُ  
لِأَنَّهُ مُجْتَبَدٌ وَهُوَ أَسْوَأُ الْمُجْتَبِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنْ تَقُولَ يَتَابِعُهُ هُوَ لَا يُعْخَلَفُهُ  
الْحُسَيْنُ وَقُودُهُمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَسْتَشْهِدُ بِهِمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ وَيَقُولُ سَلُوا جَابِرَ بْنَ  
عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَمَسْلَمَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَلَهُمْ  
وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ قُودُهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ لِعَلِمِهِ أَنَّهُ عَنْ أَجْتِهَادٍ وَإِنْ  
كَانَ هُوَ عَلَى أَجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يُعَدُّ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَفِيُّ عَلَى شُرْبِ  
النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقِتَالَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَجْتِهَادٍ هُوَ لَا وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ  
عَنْ أَجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا أَفْرَدَ بِقِتَالِهِ يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ وَلَا تَقُولُونَ إِنْ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
وَلَمْ يُجِزْ هُوَ لَا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفُذُ مِنْ أَعْمَالِ  
الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالِ الْبَغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
وَهُوَ مَفْقُودٌ فِي مَسْئَلَتِنَا فَلَا يُجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ وَلَا لِيَزِيدَ بَلْ فِيهِ مِنْ فَعَلَاتِهِ  
الْمُؤَكَّدَةِ لِنَفْسِهِ وَالْحُسَيْنِ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌّ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَأَجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
كَانُوا مَعَ يَزِيدَ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَأَجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلَطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنْ الْحُسَيْنُ قُتِلَ  
بِشَرْعٍ جَدِّهِ وَهُوَ غَلَطَ حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ عَنْ اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ  
الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْآرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَغَلَطَهُ فِي أَمْرِ الشُّوْكَةِ أَعْظَمَ لِأَنَّ بَنِي أَسَدٍ

لَا يُقَاوِمُونَ بَنِي أُمَيَّةَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ. وَالْقَوْلُ يَتَعَيَّنُ الْخَطَاءُ فِي جِهَةِ مُعَاوِيَةَ مَعَ  
عَلَى لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْمَاعَ هُنَاكَ قَضَى لَنَا بِهِ وَلَمْ نَجِدْهُ هَاهُنَا. وَأَمَّا يَزِيدُ فَنَعَيْنُ  
خَطَأَهُ فِسْقَهُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَالَةً وَتَاهِيكَ بِعَدَالَتِهِ  
أَحْتِجَاجُ مَالِكٍ بِفِعْلِهِ وَعُدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَى يَتَعَيَّنُ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ نَتَعَقَّدْ  
لِأَنَّهُ لَمْ يَخْضُرْهَا أَهْلُ الْعَقْدِ وَالْحَلَّ كَيْسِيَّةَ مَرْوَانَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ وَالْكُلُّ  
مُجْتَهِدُونَ يَحْمِلُونَ عَلَى الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ فِي جِهَةِ مِنْهُمَا وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ  
بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا قَرَّرْنَاهُ يَجِيءُ عَلَى قَوَاعِدِ الْفَقْهِ وَقَوَائِينِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌ بِاعْتِبَارِ  
قَصْدِهِ وَتَحَرُّيهِ الْحَقُّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نُحْمَلَ عَلَيْهِ أَفْعَالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ  
وَالْتَابِعِينَ فَهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاهُمْ عُزَّةً لِلْقَدْحِ فَمَنْ الَّذِي يَخْصُصُ بِالْعَدَالَةِ  
وَالَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي ثُمَّ الَّذِينَ يَكُونُهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ  
يَفْسُقُوا الْكَذِبُ لَجَعَلَ الْخَيْرَةَ وَهِيَ الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةً بِالْفِرَنِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ فَإِيَّاكَ أَنْ  
تُعَوِّدَ نَفْسَكَ أَوْ لِسَانَكَ التَّعَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يَسُوءُ قَلْبَكَ بِالرَّبِّ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ  
مِنْهُمْ وَالتَّحَسُّنَ لَهُمْ مَذَاهِبُ الْحَقِّ وَطُرُقُهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا  
اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنْ بَيْنَةٍ وَمَا قَاتَلُوا أَوْ قَتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَاعْتَقَدَ مَعَ  
ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لِيَقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ  
وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَافْهَمْ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ وَاعْلَمْ  
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمَصِيرُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافة

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نَبَايَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ  
الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَصَرِّفٌ فِي الْأَمْرِينِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَيَمْتَقِضِي التَّكَالِيفَ  
الشَّرْعِيَّةَ الَّذِي هُوَ مَأْمُورٌ بِتَلْيِغِهَا وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَيَمْتَقِضِي رِعَايَتَهُ  
لِمَصَالِحِهِمْ فِي التَّعْمُرَانِ الْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا التَّعْمُرَانِ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ  
مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ لِئَلَّا يَفْسُدَ إِنْ أَهْمَلَتْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسَطَوْتُهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ  
الْمَصَالِحِ نَعَمْ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلُ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ

الْمَصَالِحَ فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْمَرِدُ إِذَا كَانَتْ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوُظَائِفُ تَابِعَةٍ  
 تُعَيِّنُ خَطَطًا وَتَنْوِزُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَظَائِفُ يَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوُظُوفِهِ حَسَبَ مَا يُعَيِّنُهُ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَهُ هَذَا الْإِعْتِبَارَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَصَرُّفُهُ  
 الدِّينِي بِمَخْتَصَرٍ بِمَخْطُوطٍ وَمَرَاتِبُ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ إِلَّا سَلَامِيَّيْنِ فَلَنْذَرُ الْآنَ الْخَطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ وَنَرْجِعُ إِلَى الْخَطَطِ الْمُلُوكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَطَ  
 الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلُّهَا مَنْدَرُجَةٌ تَحْتَ  
 أَلِيَمَامَةِ الْكُبْرَى الَّتِي فِي الْخِلَافَةِ فَكَانَتْهَا أَلِيَمَامُ الْكَبِيرُ وَالْأَصْلُ الْجَامِعُ وَهَذِهِ  
 كُلُّهَا مَفْتَرَعَةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا الْعُمُومُ نَظَرُ الْخِلَافَةِ وَتَصَرُّفُهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ وَتَنْفِيدُ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُمُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فَهِيَ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخَطَطِ كُلِّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِمُخْصَصِهِ الْمَنْدَرُجِ مَعَهَا تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَلَقَدْ  
 يَشْهَدُ لَذَلِكَ اسْتِدْلَالُ أَصْحَابِهِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْلِهِمْ أَرَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِدِينِنَا أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدِينَانَا فَلَوْلَا أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لَمَا صَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثَبَتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صِنْفَانِ مَسَاجِدُ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةٌ الْعَاشِيَةِ  
 مُعَدَّةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَلَيْسَتْ لِلصَّلَوَاتِ  
 الْعَامَّةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصِبُ لَهَا الْإِمَامَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْحُسُوفَيْنِ وَالْإِسْتِسْقَاءِ وَتُعَيَّنُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلَى وَالْإِسْتِحْسَانِ وَلَثَلَا يَفْتَاتُ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصْبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عَنْدَهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَبِيرَانِ  
 وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوَلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوَالِي فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَاوَزِدِيِّ وَغَيْرِهِ

فَلَا نَطُولُ بِذِكْرِهَا وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ لَا يُقْلِدُونَهَا لِقَبْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَأَنْظَرُ  
مَنْ طَعَنَ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرَصَّدَهُمْ لَذَلِكَ فِي أَوْقَاتِهَا  
يَشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ بِمَبَاشَرَتِهِمْ لَهَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلَفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتِثَارًا بِهَا وَاسْتِعْظَامًا لِزَيْتِهَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ  
أَنَّهُ قَالَ لِحَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ حِجَابَةً يَأْتِي إِلَّا عَنِ ثَلَاثَةِ صَاحِبِ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ  
بِالتَّأْخِيرِ وَالْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدُ فَإِنْ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادُ الْقَاصِيَةِ  
فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنَابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْذِنُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَةِ  
كَالْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَوْبِيحًا فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ  
صَدَرُوا وَلَهُمْ وَأَمَّا الْفَتْنَةُ فَلِلْخَلِيفَةِ تَصَحُّعُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّنْذِيرُ وَرَدُّ الْفِتْنَةِ إِلَى مَنْ  
هُوَ أَهْلُ لَهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهُمْ مِنْ مَصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَجَبَّ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لئَلَّا يَتَعَرَّضَ لَذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلَّ  
النَّاسَ وَالْمُدْرِسَ الْأَنْصَابَ لِعَلِّمِ الْعِلْمِ وَبَيْتِهِ وَالْجُلُوسُ لَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
مِنَ الْمَسَاجِدِ الْعِظَامِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَيْمَتِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
اسْتِئْذَانِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنٍ عَلَى أَنَّهُ  
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْتِينَ وَالْمُدْرِسِينَ زَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ يَمْنَعُهُ عَنِ  
التَّصَدِّي لِمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلَّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَرْشِدُ وَفِي الْأَثَرِ  
أَجْرًا كُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ أَجْرًا كُمْ عَلَى جَرَائِمِهِمْ جَهَنَّمَ فَلِلسُّلْطَانِ فِيهِمْ لَذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
مَا تَوَجَّهَ الْمَصْلَحَةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْ رَدٍّ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوُظَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَنْصِبُ الْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسَبًا لِلتَّدَاعِي وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ إِلَّا  
أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَلَفَّاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَكَانَ لَذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ  
الْخِلَافَةِ وَمُنْدرَجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يُبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
يَعْمَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَفَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ فَوَلَّى أَبَا الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شُرَيْحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ  
بِالْكُوفَةِ وَكُتِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَا

وَمِنْ مُسْتَوَافَةٍ فِيهِ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُجَبَّةٌ فَأَقْبَهُمْ  
 إِذَا أَدْلَى إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلُمٌ بِحَقِّ لَا تَقَاذُ لَهُ وَأَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَتَعْلَسِكَ  
 وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حِفْكَ وَلَا يَبَاسٌ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ أَلْبَيْتُهُ عَلَى مَنْ  
 أَدْعَى وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ  
 حَرَّمَ حَلَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضَيْتَهُ أَمْسٍ فَرَأَجَعْتَ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ  
 لِرُسْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
 الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ فِيمَا يَتَلَجَّجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَمْثَالَ  
 وَالْأَشْبَاهَ وَفَسِ الْأُمُورَ بِنَظَائِرِهَا وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
 فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَتَى لِلشَّكِّ  
 وَاجْلِيَ لِلْعَمَى الْمُسْلِمُونَ عُدُولُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمُجَوِّدٍ فِي حَدٍّ أَوْ يُجَرِّى عَلَيْهِ  
 شَهَادَةَ زُورٍ أَوْ ظَنِيًّا فِي نَسَبٍ أَوْ وَلَائٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَمَّا عَنِ الْإِيمَانِ وَدَرَأَ  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَيْكَ وَالْقَلْقُ وَالضَّجَرُ وَالنَّافُثُ بِالْخُصُومِ فَإِنَّ اسْتِقْرَارَ الْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ  
 الْحَقِّ يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجَرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذِّكْرَ وَالسَّلَامَ إِنَّتَهَى كِتَابُ عُمَرَ وَإِنَّمَا  
 كَانُوا يُقْلِدُونَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِقِيَامِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثْرَةِ  
 أَشْغَالِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ وَالْفَتْوحَاتِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
 غَيْرُهُمْ لِعِظَمِ الْعَنَابَةِ فَاسْتَحَقُّوا الْقَضَاءَ فِي الْوَأَفَاعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَاسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
 بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقْلِدُونَهُ أَهْلَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوَلَاءِ  
 وَلَا يُقْلِدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْتَظَبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
 فِي كُتُبِ الْفَقْهِ وَخُصُوصًا كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ أَفْكَاسِي إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
 فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَضْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُفِعَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
 التَّدَرُّجِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَاسْتَفْرَغَ مَنْتَظَبُ الْقَضَاءِ  
 آخَرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْمَعُ مَعَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ اسْتِيفَاءُ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْعَامَّةِ  
 لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْوَالِ الْحَبُورِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ  
 السُّفْهِ وَفِي وَصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَانِهِمْ وَتَرْوِيجِ الْأَيَامِي عِنْدَ قَدِّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ  
 وَاهٍ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرَفَاتِ وَالْأَبْنِيَّةِ وَتَصَفِّحِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالْأَنْوَابِ وَاسْتِيفَاءِ

الْعِلْمِ وَالْحَبْرَةِ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيَحْصَلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كُلُّهَا  
 مِنْ تَعْلَقَاتِ وَظِيفَتِهِ وَتَوَاجِعِ وَلَايَتِهِ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلُ يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظِيفَةٌ مُتَزَجَّةٌ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَانَةِ وَتَصَفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ نَفْعُ الْمَظَالِمِ مِنَ الْخُصَمَيْنِ وَتَزَجُّرُ الْمُتَعَدِّيِّ وَكَانَ يُنْفَضِي مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَبِثَ عَنْ إِمْضَائِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالْقَرِيرِ وَأَعْنَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِحْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمَلِ الْخُصَمَيْنِ عَلَى الصُّلْحِ وَاسْتِخْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يَبَاشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُهْتَدِيِّ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكَمَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ بِبُحَيِّ بْنِ أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِي قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطُّوَائِفِ وَكَانَ بِبُحَيِّ بْنِ أَكْثَمَ يُخْرِجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاسِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الْوُظَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مُفَوَّضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَعَلِّقٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظِيفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الْوُظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدَّوَلِ تَوْسِعُ النَّظَرَ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلتَّهْمَةِ فِي الْحُكْمِ تَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيَقِيمُ الْحُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَحَالِهَا وَيَتَحَكَّمُ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَيَقِيمُ  
 التَّعْزِيزَ وَالتَّلَادِيبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ الْجَرِيْمَةِ ثُمَّ تُنَوِّسُ شَأْنَهُ تَبَيَّنَ الْوُظَيْفَتَيْنِ  
 فِي الدَّوَلِ الَّتِي تُنَوِّسُ فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ فَصَارَ أَمْرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَانَ  
 لَهُ تَقْوِضُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَانْقَسَمَتْ وَظِيفَةُ الشَّرْطَةِ فِسْمَيْنِ مِنْهَا  
 وَظِيفَةُ التَّهْمَةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِتِلْكَ فِي هَذِهِ الدَّوَلِ حَاكِمٌ يَتَحَكَّمُ فِيهَا بِمُوجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ مُرَاجَعَةِ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى تَارَةً بِأَسْمِ الْوَالِي وَتَارَةً بِأَسْمِ الشَّرْطَةِ وَبَقِيَ فِسْمُ  
 التَّعَاذِيرِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرَفًا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مَعَ مَا نَقَدَّمَ وَصَادَ

ذَلِكَ مِنْ تَوَاجِعِ وَظِيفَةِ وَلَاجِبِهِ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
 الْوُظَيْفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَمَّا كَانَ خِلَافَةَ دِينِيَّةٍ وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مِنْ  
 مَرَامِ الْبَيْنِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْخِلَافِ  
 أَوْ بِالرَّقِ أَوْ بِالْأَصْطِنَاعِ مِمَّنْ يُؤْتَى بِكَفَائَتِهِ أَوْ غَنَائِهِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ وَلَمَّا أَتَوْا  
 شَأْنَ الْخِلَافَةِ وَطَوَّرَهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ الدِّينِيَّةُ  
 بِمِدَّةٍ عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَنَّهُا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَامِهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
 جُمْلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمَلِكُ لِسَوَامِهِمْ مِنْ أُمَّةٍ التُّرْكِ وَالْبُزْجِ فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ  
 الْخِلَافِيَّةُ بَعْدَ عَنْهُمْ بِمَعْنَاهَا وَعَصِيَّتُهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ  
 وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامُهُ وَشَرَائِعُهُ نَحْلَتُهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ وَطَرِيقُهُمْ  
 وَغَيْرُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَا دَانُوا بِالْمِلَّةِ فَقَطَّ قَصَارُوا  
 بِقُلُوبِهِمْ مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ مِمَّنْ كَانَ تَاهَلُ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالِفَةِ وَكَانَ أُولَئِكَ  
 الْمُنَافِلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ الدَّوْلِ مِنْذُ مِثْنِ مِنَ السَّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الْبِدَاوَةِ وَخُشُونَتَهَا  
 وَالتَّبَسُّؤَ بِالْخِضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعْنَهُمْ وَقِلَّةَ الْمُنَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
 الْخِطَّةُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُخْتَصَّةً بِهَذَا الصَّنَفِ مِنَ الْمُسْتَغْنَى فِي  
 أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ لِقِلَّةِ الْأَهْلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ  
 الْخِضَارَةِ فَحَقَّقَهُمْ مِنَ الْإِحْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْخَضِرَ الْمُغْنَمِينَ فِي التَّرَفِّ وَالِدَعَةِ الْبَدَاءِ عَنْ  
 عَصِيَّةِ الْمَلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ وَصَارَ اعْتِبَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَجْلِ فَيَاكُمَا  
 بِالْمِلَّةِ وَأَخَذَهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
 يَكُنْ يُتَارَكُ فِي الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِدَوَانِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَنْتَجِجُ مِنَ التَّجَعُّلِ  
 بِمُكَائِنِهِمْ فِي تَجَالِسِ الْمَلِكِ لِتَعْظِيمِ الرُّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْحِلِّ  
 وَالْقَدْرِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ فَخُضُّوهُ رِسْمِيًّا لَا حَقِيقَةً وَرَأَاهُ إِذْ حَقِيقَةُ الْحِلِّ وَالْقَدْرِ إِنَّمَا  
 فِي لَاهِلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حِلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَدَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَخَذُ  
 الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ عَنْهُمْ وَتَلَقَّى التَّنَازُلَ مِنْهُمْ فَتَمَّ وَأَنَّ الدُّوْفَقَ وَرُبَّمَا يَطُنُّ بَعْضُ  
 النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَرَأَاهُ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيهَا فَعْلُهُمْ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاةِ  
 مِنَ الشُّرُوعِ وَرَجُوعُهُ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَوَّاهُ الْأَنْبِيَاءُ فَاعْلَمْ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنُّهُ وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالشَّاطَانِ إِنَّمَا يَجْرَى عَلَى مَا تَقْضِيهِ طَبِيعَةُ  
 النُّمُرَانِ وَإِلَّا كَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ النُّمُرَانِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئًا  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحُلَّ وَالْقَدْرَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى حَلِّ  
 أَوْ عَقْدِ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِهٍ وَأَمَّا مَنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ  
 جَمَاعَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّورَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 اعْتِبَارِهِ فِيهَا أَلِلَّهُمَّ إِلَّا شُورَاهُ فِيمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْأَسْتِفَاءِ خَاصَّةً وَأَمَّا شُورَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِقُدَانِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْقِيَامَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِمَجْلِيلِ الْأَعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ انْتَسَبَ وَأَمَّا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْفُقَهَاءَ فِي الْأَغْلَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمَا اخْتَفَ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمُعَامَلَاتِ بِنُصُوحِهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَرِهِمْ وَلَا يَتَصَوَّنُونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلَ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفُ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنَ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَتِصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا أَتِصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ نَقْلِ  
 فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلُ أَهْلِ رِسَالَةِ الْقُسْبَرِيِّ وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلُ فُقَهَاءِ التَّائِبِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأَلَمَةِ الْأَزَبَةِ وَمَنْ أَقْنَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِمْ وَإِذَا انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَلَمَةِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَالْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرَثَ بَصِفَةِ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصُصُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ  
 عَصْرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

(المدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَصَرُّفِهِ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةِ الْقِيَامُ عَنْ إِذْنِ الْقَاضِي بِالْإِشْهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَعْمَلًا عِنْدَ  
 الْأَشْهَادِ وَأَدَاءَ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكُتِبَ فِي السَّجَلَاتِ تُحْفَظُ بِهِ حُقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلَا لَهُمْ  
 وَدُبُونُهُمْ وَسَائِرُ مُعَامَلَاتِهِمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعَدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْبَرَاءَةِ  
 مِنَ الْجَرْحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتْبِ السَّجَلَاتِ وَالْمَقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَانْظِمَامِ قُصُولِهَا وَمِنْ



جَهَةِ إِحْكَامِ شُرُوطِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَعُقُودِهَا فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْفَقْهِ  
وَلِأَجْلِ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمِرَانِ<sup>(١)</sup> عَلَى ذَلِكَ وَالْمَدَارَسَةِ لَهُ اخْتِصَاصٌ  
ذَلِكَ يَعْضُ الْمُدُولُ وَصَارَ الصِّنْفُ الْقَائِمُونَ بِهِ كَانَهُمْ مُخْتَصُونَ بِالْعَدَالَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
وَأِنَّمَا الْعَدَالَةُ مِنْ شُرُوطِ اخْتِصَاصِهِمْ بِالْوِظَافَةِ وَيَجِبُ عَلَى الْقَاضِي تَصَفُّحُ أَحْوَالِهِمْ  
وَالْكَشْفُ عَنْ سِيرِهِمْ رِعَايَةً لَشَرِطِ الْعَدَالَةِ فِيهِمْ وَأَنْ لَا يُهْمِلَ ذَلِكَ لِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ  
مِنْ حِفْظِ حُقُوقِ النَّاسِ فَالْعَهْدَةُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ ضَامِنٌ دَرَكُهُ وَإِذَا تَعَيَّنَ هَؤُلَاءِ  
لِهَذِهِ الْوِظَافَةِ عَمَتْ الْأَفَائِدَةُ فِي تَعْيِينِ مَنْ تَخَفَى عَدَالَتُهُ عَلَى الْقَضَاةِ بِسَبَبِ اتِّسَاعِ الْأَمْصَارِ  
وَأَشْتِبَاهِ الْأَحْوَالِ وَأَضْطِرَّارِ الْقَضَاةِ إِلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ بِالْبَيِّنَاتِ الْمَوْثُوقَةِ  
فَيَعْمَلُونَ غَالِبًا فِي الْوُثُوقِ بِهَا عَلَى هَذَا الصَّنْفِ وَلَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ دَكَاكِينٌ وَمَصَاطِبُ  
يَخْتَصُونَ بِالْجُلُوسِ عَلَيْهَا فَيَتَعَاهَدُهُمْ أَصْحَابُ الْمَعَامَلَاتِ لِلِاتِّهَادِ وَتَقْيِيدِهِ بِالْكِتَابِ  
وَصَارَ مَذْلُومٌ هَذِهِ الْفَلْظَةُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ هَذِهِ الْوِظَافَةِ الَّتِي تَبَيَّنَ مَذْلُومُهَا وَبَيْنَ الْعَدَالَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ اخْتُ الْجَرْحِ وَقَدْ يَتَوَارَدَانِ وَيَفْتَرِقَانِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الحسبة والسكة

إِمَّا الْحُسْبَةُ فَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ  
الَّذِي هُوَ فَرَضٌ عَلَى الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ يُعَيَّنُ لِذَلِكَ مَنْ يَرَاهُ أَهْلًا لَهُ فَيَتَعَيَّنُ فَرَضُهُ  
عَلَيْهِ وَيَتَخَذُ الْأَعْوَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَتَحْتُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَيُعَزِّزُ وَيُؤَدِّبُ عَلَى قَدَرِهَا  
وَيَحْتَمِلُ النَّاسُ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الْمَنْعِ مِنَ الْمُضَاقَةِ فِي الطَّرِيقَاتِ  
وَمَنْعِ الْحَمَالِينَ وَأَهْلِ السُّفُنِ مِنَ الْإِكْتِفَارِ فِي الْحَمْلِ وَالْحُكْمِ عَلَى أَهْلِ الْمَبَانِي  
الْمُتَدَاعِيَةِ لِلِسُقُوطِ بَهْمِهَا وَإِزَالَةِ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْ ضَرَرِهَا عَلَى السَّالِكِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي  
الْمُعْلِمِينَ فِي الْمَكَاثِبِ وَغَيْرِهَا فِي الْإِبْلَاحِ فِي ضَرَبِهِمْ لِلصِّبْيَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَلَا  
يَتَوَقَّعُ حُكْمُهُ عَلَى تَنَازُعٍ أَوْ اسْتِعْدَاءٍ بَلْ لَهُ النَّظَرُ وَالْحُكْمُ فِيمَا يَبْصُلُ إِلَى عِلْمِهِ  
مِنْ ذَلِكَ وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُ إِمضَاءُ الْحُكْمِ فِي الدَّعَاوِي مُطْلَقًا بَلْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفِشِّ  
وَالْتَدْلِيسِ فِي الْمَعَارِشِ وَغَيْرِهَا فِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ وَلَهُ أَيْضًا حَمْلُ الْمَطَاطِلِينَ  
عَلَى الْإِنْصَافِ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ سَمَاعٌ بَيْنَهُ وَلَا إِنْقَاذٌ حُكْمِهِ وَكَانَهَا أَحْكَامًا

(١) المِرَانُ بِكَسْرِ الْمِيمِ التَّعْمُرُ وَالْإِعْتِيَادُ عَلَى الشَّيْءِ ١٥

يَنْزُهُ الْقَافِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسُهُولَةِ أَغْزَائِهَا فَتَنْدَقِعُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوُضَيْفَةِ لِيَقُومَ بِهَا  
فَوْضَعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّ تَكُونُ خَادِمَةً لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
إِلَّا سَلَامِيَّةً مِثْلَ الْعَبِيدِيَّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأُمُورِ بَيْنَ الْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
وَلَايَةِ الْقَافِي بُولِي فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا أَتَفَرَّدَتْ وَضَيْفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَصَارَ  
نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ أُنْدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأُفِرِدَتْ بِالْوَلَايَةِ

وَأَمَّا السِّكَّةُ فَعِنِّي النَّظَرُ فِي الثُّقُودِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِظْهَا مِمَّا يَدْخُلُهَا  
مِنَ الْعِشْرِ أَوْ النِّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
جَمِيعِ الْأَعْتِبَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عِلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ الثُّقُودِ بِالْإِسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ  
بِرِسْمِ تِلْكَ الْعِلَامَةِ فِيهَا مِنْ خَاتَمٍ حَدِيدٍ اتَّخَذَ لِذَلِكَ وَنُقِشَ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
عَلَى الذِّبْيَارِ بَعْدَ أَنْ يَقْدَرَ وَيَضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تَرْمَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونُ  
عِلَامَةً عَلَى جُودَتِهِ بِحَسَبِ الْعِلَايَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السَّبْكُ وَالتَّخْلِيسُ فِي مُعَارِفِ أَهْلِ  
الْفُطُرِ وَمَذَاهِبِ الدُّوَلَةِ الْحَاكِمَةِ فَإِنَّ السَّبْكَ وَالتَّخْلِيسَ فِي الثُّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ  
وَإِنَّمَا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْأَجْتِهَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ أَفْقٍ أَوْ فُطْرٍ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيسِ  
وَقَفُّوا عِنْدَهَا وَسَمَّوْهَا إِمَامًا وَعِبَارًا يَعْتَبِرُونَ بِهِ ثُقُودَهُمْ وَبِتَشَقُّدِهَا بِمِثَالَتِهِ فَإِنْ نَقَصَ  
عَنْ ذَلِكَ كَانَتْ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوُضَيْفَةِ وَهِيَ رِبِّيَّةٌ بِهَذَا  
الْأَعْتِبَارِ فَتَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وَلَايَةِ الْقَافِي ثُمَّ أُفِرِدَتْ  
لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَبْشَةِ هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ فِي الْوُضَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَقِيَ مِنْهَا  
وُضَائِفٌ ذَهَبَتْ بِدَهَابٍ مَا يَنْظُرُ فِيهِ وَأُخْرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْضَيْفَةُ الْإِمَارَةِ وَالْوِزَارَةِ  
وَالْحَرْبِ وَالْخِرَاجِ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً تَنْصَكُّمُ عَلَيْهَا فِي أَمَّا كَيْفَا بَعْدَ وَضَيْفَةِ الْجِهَادِ وَوُضَيْفَةُ  
الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِظُلْمَانِهِ إِلَّا فِي قَائِلِ مِنَ الدُّوَلِ يُمَارِسُونَهُ وَيُدْرِجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِبًا فِي  
السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَلِكَ تَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
قَدْ بَطَلَتْ لِدُثُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ أُنْدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوُضَائِفُهَا فِي  
رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ

في القلب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمون خليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعده إليه كانوا بدعوه خليفه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استنقلوا هذا القلب بكثرتيه وطول إضافته وأنه  
يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى العجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا القلب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاصي والغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء  
بافتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير  
المؤمنين وسمعتها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوا علياً باسم الإمام تعالاه  
بالإمامة التي هي اخت الخلافة وتبريضاً بذهبهم في أنه أحق بالإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعونهم تحضوه بهذا القلب ولعن يسوفون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء  
حتى إذا استولون على الدولة يحولون القلب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شيعة بني العباس فإنهم ما زالوا يدعون اسمهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح بأمير المؤمنين  
وكذا الرافضة بأفريقيا فإنهم ما زالوا يدعون اسمهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى

أَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ وَلِأَنَّهُ أَبِي الْقَاسِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُمُ الْأَمْرُ دَعَا مِنْ بَعْدِهِمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةُ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يَلْقَوْنَ أَدْرِسَ بِالْإِمَامِ وَابْنَهُ أَدْرِسَ الْأَصْغَرَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا الْقَلْبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ سِمَةً لِمَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي فِي دِيَارِ الْعَرَبِ وَمَرَاكِزَ الدَّوْلَةِ وَأَهْلَ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحَ وَازْدَادَ  
 لَذَلِكَ فِي عُنُقِ الدَّوْلَةِ وَبَذَخِهَا لِقَبِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ بِتَمَيُّزٍ بِهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِشْرَاقِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحْدَثَ لِنَفْسِهِ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا لِأَسْمَائِهِمْ  
 الْأَعْلَامَ عَنْ أَمْنِيَّاتِهَا فِي أَلْسِنَةِ السُّوفَةِ وَصَوْنًا لَهَا عَنِ الْإِسْتِدَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّنَاحِ وَالْمَنْصُورِ  
 وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَاقْتَضَى أَتْرُجُهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدُونَ بِأَفْرِيقَةٍ  
 وَمَضَى وَتَجَافَى بَنُو أُمَيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْقَضَاةِ وَالسَّدَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تَفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْحَضَارَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّبُوا كَقَبْلِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مَلِكِ الْحِجَازِ أَصْلِ الْعَرَبِ وَالْمِلَّةِ وَالْبُعْدِ عَنْ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي فِي مَرَكِزِ الْعَصِيَّةِ  
 وَأَتْنَهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَاشْتَهَرَ مَا نَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْخَجَرِ وَاسْتِبْدَادِ الْمَوَالِي وَعَيْنِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقَةٍ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخَذَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذَهَبٌ لِقَنِ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ عَصِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعٍ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِي مِنَ الْأَنْجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعِ  
 عَلَى الْعَبِيدِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاجَهُ عَلَى أُمَرَاءِ أَفْرِيقَةٍ وَزَنَاتُهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَمُلُوكِ  
 الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَفْتَسَمُوهُ وَأَفْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَأَخْلَفَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْأَخْتِصَاصِ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَمَّوْا جَمِيعًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يَخْطُونُهُمْ بِالْأَلْقَابِ

تَشْرِيفِيَّةٍ حَتَّى يُسْتَشْعَرَ مِنْهَا أَنْفِيادُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وَلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعُضْدِ الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَنَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَنِظَامِ الْمَلِكِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةِ الْمَلِكِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدُونَ أَيْضًا يَخْضُونَ بِهَا أَمْرَاءَ صَنَاهِجَةٍ فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا عَلَى الْخِلَافَةِ قَنَعُوا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنِ الْأَقْبَابِ الْخِلَافَةِ أَدَبًا مَعَهَا وَعُدُولًا عَنْ سِمَاتِهَا الْخُصَصَةِ بِهَا شَأْنِ الْمُتَعَلِّينَ الْمُسْتَبَدِّينَ كَمَا قُلْنَا هُنا وَنَزَعَ الْمُنْتَخَرُونَ أَعَاجِمُ الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتِبْدَادُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَا كِبَرُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْعَفَتْ بِالْجُمْلَةِ إِلَى انْتِحَالِ الْأَلْقَابِ الْخِصَاصَةِ بِالْمَلِكِ مِثْلِ النَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْأَقْبَابِ يَخْضُونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْإِنْتِحَالِ مُشْعِرَةً بِالْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْوَلَاءِ وَالْأَصْطِنَاعِ بِمَا أَضَافُوهَا إِلَى الدِّينِ فَقَطُّ يَقُولُونَ صَلَاحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ نُورُ الدِّينِ وَأَمَّا مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ فَاقْتَسَمُوا الْأَقْبَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَزَعُوهَا قُوَّةَ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَيْهَا بِمَا كَانُوا مِنْ قَبْلِهَا وَعَصِيَّتِهَا فَتَلَقَّبُوا بِالْناصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ وَالْمُظَفَّرِ وَأَمْثَالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرْفٍ يَتَعَيَّ عَلَيْهِمْ

مَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ

أَقْبَابُ مُمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَلْهَرٍ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنَاهِجُهُ فَاقْتَصَرُوا عَنِ الْأَقْبَابِ الَّتِي كَانِ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدُونَ يَلْقَبُونَ بِهَا لِلتَّنْوِيهِ مِثْلَ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمَعَزِ الدَّوْلَةِ وَاتَّصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَالُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ بَعُدَتْ الشُّكَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَنَسُوا هَذِهِ الْأَقْبَابَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى أَسْمِ السُّلْطَانِ وَكَذَا شَأْنُ مُلُوكِ مَغْرَاوَةِ الْمَغْرِبِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْبَابِ إِلَّا أَسْمَ السُّلْطَانِ جَزْئًا عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالْقَضَاةِ وَلَمَّا مَجِي رِسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَعَطَّلَ دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَالِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ نَاشِفِينَ مَلِكُ لِمَعْتُونَةٍ فَلَمَّا كَانَتِ الْعُدُوتُ بَيْنَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِقْدَاءِ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَكْمِيلًا لِمَرَامِهِ دِينِهِ فَخَاطَبَ الْمُسْتَظْهَرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ يَعْتَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَزْزِيِّ وَأَبْنَهُ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِشْبِيلَةَ يَطْلُبَانِ تَوَلِيَّتَهُ إِذَاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْلِيدَهُ ذَلِكَ فَاتَّقَبَلُوا إِلَيْهِ بِعَهْدِ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَشْعَارِ زِيَمِهِمْ فِي لُبُوسِهِ وَزِينَتِهِ وَخَاطَبَتُهُ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفًا وَاخْتِصَاصًا فَاتَّخَذَهَا أَقْبَابًا وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ دُعَايَ لَهُ بِأَمِيرٍ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمُرَابِطُونَ مِنْ انْتِحَالِ  
 الدِّينِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَاهِ الْمَهْدِيِّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ  
 الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ التَّأْوِيلِ  
 لظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَمَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنَ التَّجْسِيمِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيَّةِ  
 وَسُمِّيَ أَتْبَاعُهُ الْمُؤَحِّدِينَ تَعْرِيفًا بِذَلِكَ النَّكِيرِ وَكَانَ يَرَى أَهْلَ الْبَيْتِ فِي  
 الْأِمَامِ الْمَعْصُومِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يُحْفَظُ بِوُجُودِهِ نِظَامُ هَذَا الْعَالَمِ فَسَمِّيَ  
 بِالْإِمَامِ لِمَا قُلْنَا أَوَّلًا مِنْ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ فِي الْقَابِ خُلَفَائِهِمْ وَأُزِدَ بِالْمَعْصُومِ  
 إِشَارَةً إِلَى مَذْهَبِهِ فِي عِصْمَةِ الْأِمَامِ وَتَنَزَّهَهُ عِنْدَ أَتْبَاعِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَذًا  
 بِمَذَاهِبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلِمَا فِيهَا مِنْ مُشَارَكَةِ الْأَعْمَارِ وَالْوِلْدَانِ مِنْ أَعْقَابِ  
 أَهْلِ الْخِلَافَةِ يَوْمَئِذٍ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ اتَّحَلَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ وَلِيُّ عَهْدِهِ الْقَبَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَجَرَى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ خُلَفَاؤُهُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَآلُ أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتِثْنَاءً بِهِ  
 عَمَّنْ سِوَاهُمْ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ شَيْخُهُمُ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَأَوْلِيَاؤُهُ مِنْ  
 بَعْدِهِ كَذَلِكَ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ لَاتَّقَاءَ عَصِيَّةٍ فُرِيضٍ وَتَلَاشِيهَا فَكَانَ ذَلِكَ دَائِبُهُمْ وَلَمَّا  
 انْتَقَضَ الْأَمْرُ بِالْمَغْرِبِ وَانْتَزَعُ زَنَانُهُ ذَهَبَ أَوْلَاهُمْ مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالسَّادَجَةِ وَاتَّبَعَ  
 لِمَعُونَةٍ فِي انْتِحَالِ الْقَبِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدْبَا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى طَاعَتِهَا  
 لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَوَّلًا وَلِبَنِي أَبِي حَفْصٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ نَزَعَ الْمُتَاخِرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَبِّ  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَانْتَحَلُوهُ لِهَذَا الْعَهْدِ اسْتِغْلَاغًا فِي مَنَازِعِ الْمُلُوكِ وَتَتَمِيمًا لِمَذَاهِبِهِ  
 وَسِمَانِهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعْلَمْ أَنَّ الْمِلَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ غَيْبَةِ النَّبِيِّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا  
 وَيَكُونُ كَخَلِيفَةِ فِيهِمْ لِلنَّبِيِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ وَالنُّوعِ الْإِنْسَانِي أَيْضًا بِمَا  
 تَقَدَّمَ مِنْ ضَرُورَةِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ لِلِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ شَخْصٍ يَحْمِلُهُمْ عَلَى  
 مَصَالِحِهِمْ وَيَزَعُهُمْ عَنْ مَقَاسِدِهِمْ بِالْقَهْرِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ وَالْمَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَمَّا  
 كَانَ الْجِهَادُ فِيهَا مَشْرُوعًا لِلْعُمُومِ الدَّعْوَةُ وَحَمْلُ السَّكَّافَةِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ

كُرْهًا اتَّخَذَتْ فِيهَا الْخِلَافَةَ وَالْمَلِكُ لَتَوَجُّهُ الشُّوْكَةُ مِنَ الْقَائِمِينَ بِهَا إِلَيْهَا مَعًا وَأَمَّا مَا سِوَى الْمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَةً وَلَا الْجِهَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا إِلَّا فِي الْمُدَافَعَةِ فَقَطْ فَصَارَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الَّذِينَ فِيهَا لَا بَعِيَهُ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا وَقَعَ الْمَلِكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعَرَضِ وَلِأَمْرِ غَيْرِ دِينِي وَهُوَ مَا أَقْبَضَتْهُ لَهُمُ الْعَصِيَّةُ لِمَا فِيهَا مِنَ الطَّلَبِ لِلْمَلِكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْعَلْبِ عَلَى الْأَمْرِ كَمَا فِي الْمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِذَلِكَ بَقِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا نَحْوًا أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَا يَحْتَسِبُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُمْ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فَقَطْ وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ يَنْتَهِي بِسَمِيِّ الْكُوهِنْ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُمُ لَهُمُ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَالْقِرْبَانِ وَيَشْرِطُونَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعْقِبْ ثُمَّ اخْتَارُوا لِإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ الَّتِي فِي اللَّبْسِ بِالطَّبَعِ سَبْعِينَ سَنَةً كَانُوا يَتْلُونَ أَحْكَامَهُمْ الْعَامَةَ وَالْكُوهِنْ أَعْظَمُ مِنْهُمْ رُتْبَةً فِي الدِّينِ وَابْعَدُ عَنْ شَعْبِ الْأَحْكَامِ وَأَبْصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْعَصِيَّةِ وَتَحَضَّتْ الشُّوْكَةُ لِلْمَلِكِ فَعَالَبُوا الْكَفَعَانِيِّينَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَوْزَعَهُمُ اللَّهُ يَتِ الْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَخَارَ بِهِمْ أُمُّ الْفِلِسْطِينِ وَالْكَفَعَانِيِّينَ وَالْأَرَمَنَ وَأُزْدَنَ وَعَمَّانَ وَقَارِبَ وَرَنَاسَتَهُمْ فِي ذَلِكَ رَاجِعَةً إِلَى شُبُوحِهِمْ وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ صَوْلَةُ الْمَلِكِ وَضَجَرُ بَنِي طَالُوتَ وَعُظْبُ الْأَمْرِ وَقَتْلُ جَالُوتَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِ ثُمَّ مَلِكُ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَفْعَلَ مُلْكُهُ وَأَمْتَدَّ إِلَى الْحِجَازِ ثُمَّ أَطْرَافِ الْيَمَنِ ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ أَفْتَرَقَ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ سُلَيْمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ وَالْآخَرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ غَلِبَهُمْ بَحْثُ نَصْرِ مَلِكِ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَوَّلًا الْأَسْبَاطُ الْعَشْرَةُ ثُمَّ ثَانِيًا بَنِي يَهُودَا وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ انْتِصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوًا أَلْفَ سَنَةٍ وَخَرَّبَ مَسْجِدَهُمْ وَأَخْرَقَ تَوَارَتَهُمْ وَأَمَكَاتَ دِينَهُمْ وَتَقَلَّهْمُ إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِلَادِ الْفِرَاقِ إِلَى أَنْ رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ الْكَلْبَانِيَّةِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَى يَتِ الْمَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ

خُرُوجِهِمْ فَبَنَوْا الْمَسْجِدَ وَأَقَامُوا أَمْرَ دِينِهِمْ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ لِلْكَهَنَةِ فَقَطَّ وَالْمَلِكُ  
لِلْفَرَسِ ثُمَّ غَلَبَ الْأِسْكَندَرُ وَبَنَى يُونَانَ عَلَى الْفَرَسِ وَصَارَ الْيَهُودُ فِي مَلِكِهِمْ ثُمَّ  
قَتَلَ أَمْرَ الْيُونَانِيِّينَ فَأَعَزَّ الْيَهُودَ عَلَيْهِمْ بِالْعَصَبَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْ الْأَسِيلَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَقَامَ بِمَلِكِهِمُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي وَقَاتَلُوا يُونَانَ حَتَّى  
أَفْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَعَلَيْهِمُ الرُّومُ فَصَارُوا تَحْتَ أَمْرِهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَفِيهَا  
بَنُو هِيرُودُسَ أَصْهَارُ بَنِي حَشْمَنَائِي وَبَقِيَتْ دَوْلَتُهُمْ مُخَاصَرُوهُمْ مَدَّةً ثُمَّ أَفْتَحُوهَا عَنْوَةً  
وَأَفْخَسُوا فِي الْقَتْلِ وَالْهَدْمِ وَالْتَحَرِيْقِ وَخَرَبُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَجْلَوْهُمُ عَنْهَا إِلَى رُومَةٍ وَمَا  
وَرَاءَهَا وَهُوَ الْخَرَابُ الثَّانِي لِلْمَسْجِدِ وَيُسَمِّيهِ الْيَهُودُ بِالْجَلْوَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ  
بَعْدَهَا مَلِكٌ لِفَقْدَانِ الْعَصَبَةِ مِنْهُمْ وَبَقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَلَكَةِ الرُّومِ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقِيمُ  
لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمُ الرَّئِيسَ عَلَيْهِمُ الْمُسَمَّى بِالْكُوهِنِ ثُمَّ جَاءَ الْمَسِيحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الدِّينِ وَالنَّسَخِ لِبَعْضِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ  
الْفَعْلِيَّةُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِخْيَاةِ الْمَوْتِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
وَأَمْنَوِيَا وَكَثُرَتْهُمْ الْخَوَارِثُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ وَبَعَثَ مِنْهُمْ رُسُلًا إِلَى  
الْأَفَاقِ دَاعِينَ إِلَى مِلَّتِهِ وَذَلِكَ أَبْنَامُ أَوْغُسْطُسَ أَوَّلِ مُلُوكِ الْقِيَاصِرَةِ وَفِي مَدَّةِ هِيرُودُسَ  
مَلِكِ الْيَهُودِ الَّذِي أَنْزَعَ الْمَلِكُ مِنْ بَنِي حَشْمَنَائِي أَصْهَارِهِ فَحَسَدَهُ الْيَهُودُ وَكَذَّبُوهُ  
وَكَتَبَ هِيرُودُسُ مَلِكُهُمْ مَلِكِ الْقِيَاصِرَةِ أَوْغُسْطُسَ يُغْرِيهِ بِهِ فَاذَنْ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ  
وَوَقَعَ مَا تَلَاهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَمْرِهِ وَافْتَرَقَ الْخَوَارِثُونَ شَيْعًا وَدَخَلَ أَكْثَرُهُمْ بِلَادَ الرُّومِ  
دَاعِينَ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَ بِطَرُسُ كَبِيرُهُمْ فَتَزَلَّ بِرُومَةٍ دَارَ مَلِكِ الْقِيَاصِرَةِ ثُمَّ  
كَتَبُوا الْإِنْجِيلَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَسَخِ أَرْبَعٍ عَلَى اخْتِلَافٍ  
رَوَايَاتِهِمْ فَكَتَبَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَنَقَلَهُ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي  
مِنْهُمْ إِلَى اللِّسَانِ اللَّاتِينِيِّ وَكَتَبَ لَوْقَا مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ إِلَى بَعْضِ أَكْبَارِ الرُّومِ  
وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدِي مِنْهُمْ إِنْجِيلَهُ بِرُومَةٍ وَكَتَبَ بِطَرُسُ إِنْجِيلَهُ بِاللَّاتِينِيِّ وَنَسَبَهُ  
إِلَى مَرْقَاصَ تَلْمِيزِهِ وَأَخْلَقَتْ هَذِهِ النُّسَخُ الْأَرْبَعُ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كُلُّهَا  
وَحِيدًا صِرَاقًا بَلْ مُشَوَّبَةٌ بِكَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِكَلَامِ الْخَوَارِثِيِّينَ وَكُلُّهَا مُوَاعِظُ  
وَقِصَصُ وَالْأَحْكَامُ فِيهَا قَلِيلَةٌ جَدًّا وَاجْتَمَعَ الْخَوَارِثُونَ الرُّسُلُ لِنِزَالِ الْعَهْدِ بِرُومَةٍ



وَوَضَعُوا قَوَانِينَ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَيَّرُوهَا بِيَدِ أَقْلِيَّةٍ نَطَسَ تَلْمِيزُ بَطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ الْقَدِيمَةِ الشَّوَرَاءُ وَهِيَ خَمْسَةُ  
أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يُوشَعَ وَكِتَابُ الْقَضَاءِ وَكِتَابُ زَاوُثَ وَكِتَابُ يَهُوذَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
أَرْبَعَةٌ وَسِتْرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمَقَابِيينَ لِأَنَّ كِرْيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عِزْرَا الْأَمَامِ  
وَكِتَابُ أُوشِيرَ وَفَصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ أُيُوبَ الصَّدِيقِ وَزَمِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
أَبْنَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
يُشَعُ بْنُ شَارِخَ وَزِيرِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُتَّفَاقَةُ مِنْ  
الْحَوَارِيِّينَ نُسْخُ الْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْقِتَالِيقُونَ سَبْعُ رِسَائِلٍ وَتَامِنُهَا الْإِبْرِيكْسِيُّ  
فِي فَصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَقْلِيْمَنْطُسَ وَفِيهِ الْأَحْكَامُ  
وَكِتَابُ أَبَوَا الْعِيسَى وَفِيهِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا بْنِ زَبْدِي وَاخْتَلَفَتْ شَأْنُ الْقِيَاسَةِ فِي الْأَخْذِ  
بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ تَارَةً وَتَعَظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرْكِهَا أُخْرَى وَالسَّاطِ عَلَيْهِمُ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
أَنْ جَاءَ قِسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدِّينِ وَالْمَقِيمُ  
لِمِرَاسِمِهِ يُسَمُّونَهُ الْبَطْرُكَ وَهُوَ رَئِيسُ الْمِلَّةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيحِ فِيهِمْ يَبْعَثُ  
نُوبَاءَهُ وَخُلَفَاءَهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُ مِنْ أَمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْأَسْقَفَ أَيْ نَائِبَ الْبَطْرُكِ  
وَيُسَمُّونَ الْأَمَامَ الَّذِي يَقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُقْتَرِبُهُمْ إِلَى الدِّينِ بِالْقِسْطِ وَيَسْهَوْنَ الْمُنْقَطِعَ  
الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ بِالرَّاهِبِ وَأَكْثَرُ خُلَوَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
بَطْرُسُ الرَّسُولُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيذِ بِرُومَةِ بَقِيْمٍ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
أَنْ قَتَلَهُ نِيرُونُ خَامِسُ الْقِيَاسَةِ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْبَطَارِيقِ وَالْأَسَاقِفَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
كُرْسِيِّ رُومَةِ أَرِيُوسُ وَكَانَ مَرْقَاسُ الْإِنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ دَاعِيًا  
سَبْعَ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَتَسَمَّى بِالْبَطْرُكِ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
اِثْنَيْ عَشَرَ قِسَالِيًّا أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرُكُ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ الثَّانِي عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
وَقَعَ الْإِخْلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بِنِيقَةَ أَيَّامَ قُسْطَنْطِينِ  
لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٌ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ فِي  
الدِّينِ فَكَتَبُوهُ وَسَمَّوْهُ الْإِمَامَ وَصَيَّرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيمَا كَتَبُوهُ أَنَّ

الْبَطْرِكَ الْقَائِمَ بِالَّذِينَ لَا يُرْجَعُ فِي تَعْيِينِهِ إِلَى اخْتِهَادِ الْأَقْسَةِ كَمَا فَرَّزَهُ حَتَابًا تَلْمِذُ  
مِرْقَاسٍ وَأَبْطَلُوا ذَلِكَ الرَّأْيَ وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ عَنْ بَلَاءٍ وَاخْتِيَارٍ مِنْ أُنْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَرُؤُسَائِهِمْ فَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَكَانَتْ لَهُمْ  
مُجْتَمَعَاتُ فِي تَقْرِيرِهِ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّصَلَ  
فِيهِمْ نِيَابَةُ الْأَسَافَةِ عَنِ الْبَطَارِكَةِ وَكَانَ الْأَسَافَةُ يَدْعُونَ الْبَطْرِكَ بِالْأَبِ أَيْضًا  
تَعْظِيمًا لَهُ فَاشْتَبَهَ الْأَنْسَمُ فِي أَغْصَارِ مُتَطَاوِلَةٍ يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرِكِيَّةٌ هَزَقُلَ بِاسْكَدْرِيَّةَ  
فَارَادُوا أَنْ يُمَيِّزُوا الْبَطْرِكَ عَنِ الْأَقْبِ فِي التَّعْظِيمِ فَدَعَوْهُ الْأَبَا وَمَعْنَاهُ أَبُو الْأَبَاءِ  
وظَهَرَ هَذَا الْأَنْسَمُ أَوَّلَ ظُهُورِهِ بِمِصْرَ عَلَى مَا زَعَمَ جَرِيْسُ بْنُ الْعَمِيدِ فِي تَأْرِيخِهِ ثُمَّ  
نَقَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الْكُرْسِيِّ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمْ وَهُوَ كُرْسِيُّ بَطْرُسَ الرَّسُولِ كَمَا قَدَّمَاهُ  
فَلَمْ يَزَلْ سِمَةً عَلَيْهِ حَتَّى الْآنَ ثُمَّ اخْتَلَفَ الْكُصَارَى فِي دِينِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِيمَا يَتَقَدُّونَهُ  
فِي الْمَسِيحِ وَصَارُوا طَوَائِفَ وَفِرَقًا وَاسْتَظْهَرُوا بِمُلُوكِ النُّصْرَانِيَّةِ كُلَّ عَلَى صَاحِبِهِ  
فَاخْتَلَفَ الْحَالُ فِي الْمُصَوِّرِ فِي ظُهُورِ فِرْقَةٍ دُونَ فِرْقَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتْ لَهُمْ ثَلَاثُ  
طَوَائِفَ فِي فِرْقَتِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى غَيْرِهَا وَهُمْ الْمُلْكِيَّةُ وَالْعُقُوبِيَّةُ وَالنَّسْطُورِيَّةُ ثُمَّ  
اخْتَصَّتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِبَطْرِكَ قَبَطْرِكَ رُومَةَ الْيَوْمِ الْمُسَمَّى بِالْأَبَا عَلَى رَأْيِ  
الْمُلْكِيَّةِ وَرُومَةَ لِلْإِفْرَنْجِيَّةِ وَمِلْكِيَّتِهِمْ قَائِمٌ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ وَبَطْرِكَ الْمُعَاهِدِينَ بِمِصْرَ  
عَلَى رَأْيِ الْعُقُوبِيَّةِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّتِهِمْ وَالْحَبْشَةِ يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ وَبَطْرِكَ مِصْرَ  
فِيهِمْ أَسَافَةُ يُتَوَبَّنُونَ عَنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ هُنَاكَ وَاخْتَصَّ اسْمُ الْأَبَا بِبَطْرِكَ رُومَةَ  
لِهَذَا التَّهْدِيدِ وَلَا تَسْمَى الْيَعَاقِبَةُ بَطْرِكُهُمْ بِهَذَا الْأَنْسَمِ وَضَبَطَ هَذِهِ الْفَلْظَةَ بِيَاءٍ بَيْنَ مَوْحَدَتَيْنِ  
مِنْ أَسْفَلِ وَالْثُلُثِي بِهَا مُفْجَعَةٌ وَالثَّانِيَّةُ مُشَدَّدَةٌ وَمِنْ مَذَاهِبِ الْأَبَا عِنْدَ الْإِفْرَنْجِيَّةِ أَنَّهُ  
يُخَصُّهُمْ عَلَى الْإِتْقَادِ لِمَلِكٍ وَاحِدٍ يَزْجَعُونَ إِلَيْهِ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَأَجْتِمَاعِهِمْ تَحَرُّجًا مِنْ  
افْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ وَبِشَرِّهِ بِهِ الْعَصِيَّةَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا مِنْهُمْ لَتَكُونَ بَدُهُ عَالِيَةً عَلَى  
جَمِيعِهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْإِنْبَرْدُورَ<sup>(١)</sup> وَحَرْنَهُ الْوَسْطَبَيْنِ النَّالِ وَالطَّاءُ الْمُجْتَمِعَيْنِ وَمُبَاشِيرُهُ  
يَضَعُ النَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ لِتَبَرُّكِهِ فَيُسَمَّى الْمُتَوَجَّ وَلَعَلَّهُ مَعْنَى لَفْظَةِ الْإِنْبَرْدُورِ وَهَذَا

(١) المشهور قديمًا إمبراطور بالطاء المهملة والراء نيس نقول إمبرور ومعناها عندهم ملك الملوك

مُلْكُ مَا أَوْرَدَنَاهُ مِنْ شَرْحِ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا أَلْبَابَا وَالْكُوهُنُ وَاللَّهُ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

## الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقباه

اعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ يُحْمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَنْبَاءِ  
جَنْسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةِ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ نَوْعِهِ  
وَمَنْ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حِمَايَةِ الْكَافَّةِ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كَفِّ عَدُوَّانٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِمْضَاءِ الْأَحْكَامِ الْوَازِعَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعَدُوَّانِ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَائِلَتِهِمْ وَإِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْمَهُمْ بِهِ الْبَلَوَى فِي مَعَاشِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ مِنْ تَفْقِيدِ الْمَعَاشِ وَالْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذَرًا مِنَ التَّطْفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ بِحِفْظِ الثُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْفِشْرِ  
وإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يَرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِقْتِيَادِ لَهُ وَالرِّضَى بِمَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَاتِّقَادِهِ  
بِالتَّجِدِّدِ دُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْعَابَةِ مِنْ مُعَانَةِ الْقُلُوبِ قَالَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُعَانَاةِ نَقْلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَاكِيهَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْأَسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأُولِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ التَّزْيِيَةِ أَوْ الْأَصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ لِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُجَانَسَةِ خَلْقِهِمْ لَخَلْقِهِ فَنَتِمَّ الْمَشَاكَلَةُ  
فِي الْأَسْتِعَانَةِ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي  
وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلَمِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ  
أَوْ بِحِمَايَةِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزْدَحِمُوا عَلَيْهِ فَيُسْغَلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مَسَائِلِهِمْ أَوْ يَدْفَعُ النَّظَرَ  
فِي الْمَلِكِ كُلِّهِ وَيُعَوِّلَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَأَضْطَلَاعِهِ فَلِذَلِكَ قَدْ تَوَجَّدُ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفَرَّقَ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَتَمَرَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَتَفَرَّعُ إِلَى قَلَمِ الرِّسَالِ وَالنَّخَاطِبَاتِ وَقَلَمِ الصُّكُوكِ وَالْإِفْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْحِمَايَةِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَايَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيَوَانِ الْجَيْشِ وَكَالسَيْفِ يَتَفَرَّعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْبِ

وَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ الثُّغُورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوُظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي هَذِهِ الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْدرَجَةٌ تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِاحْتِمَالِ مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا كَمَا قَدَّمَاهُ فَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مُعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِهَا وَمَوْجُودَةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي سَائِرِ وُجُوهِهَا لِعُمُومِ تَعَلُّقِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْفَقِيهَ يَنْظُرُ فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَشُرُوطِ تَقْلِيدِهَا اسْتِدْنَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانِ أَوْ تَعْوِضًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا بَيَّأْتُ فِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَمْوَالِ وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوُظَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ حِيَابَةٍ أَوْ وَلَايَةٍ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنْسَحَابِ حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ كَلَامَنَا فِي وُظَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَاءِ وَوُجُودِ الْبَشَرِ لَا يَمَّا يَخْصُهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا عَلِمْتَ فَلَا مَحْتَاجَ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَنَّهَا مُسْتَوْفَاةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرَدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ النُّقَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ اسْتِفَاءَهَا فَطَلِّعْ بِطُلْعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوُظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَاهَا لِنُمِيزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطَّ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا تَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِمَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَاءِ فِي الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

الوزارة \* وَهِيَ أُمُّ الْخَطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرُّتَبِ الْمُلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ الْإِعَانَةِ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَا أَخُوذُهُ إِمَّا مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوُزَرِ وَهُوَ التَّقْلِيلُ كَأَنَّهُ يَجْعَلُ مَعَ مَقَاعِلِهِ أَوْزَارَهُ وَأَثْقَالَهُ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ الْمَطْلُوقَةِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ أَنَّ أَحْوَالَ السُّلْطَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةً لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ حَيَاةِ الْكَافَّةِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجُنْدِ وَالسِّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمَعْتَارُ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ بِالشَّرْقِ وَلِهَذَا الْقَهْدُ بِالْمَغْرِبِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مَخَاطَبَاتِهِ لِنَبِّدَ عَنْهُ فِي

أُمُورِ جَبَايَةِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضْبُطَةٍ وَصَاحِبُ  
هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ وَإِمَّا أَنْ  
يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدْحُوا عَلَيْهِ فَيُشْغَلُوا عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْتَجُّهُ فَلَا تَعْدُوا أَحْوَالَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ بِوَجْهِهِ وَكُلَّ خِطَئِهِ  
أَوْ رُتْبَتِهِ مِنْ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْزَاقَ مِنْهَا مَا كَانَتْ الْإِعَانَةُ  
فِيهِ عَامَّةً فِيمَا تَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنَفِ إِذْ هُوَ يَقْتَضِي مُبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ دَائِمًا  
وَمُشَارَكَتَهُ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنْ أَحْوَالِ مُلْكِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
بِبَعْضِ الْجِهَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ نَعْرٍ أَوْ وَلَايَةِ جَبَايَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ  
النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطَّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ فَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا نَظَرٌ فِي  
أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبُهَا تَبَعًا لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعَامِّ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرُؤُوسَةً لِأُولَئِكَ  
وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْخِطَطُ كُلُّهَا بِذَهَابِ رِسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ بِالرَّأْيِ  
وَالْمُفَاوَضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُبَكَّنْ زَوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيُفَاوِضُهُمْ فِي مِهْمَاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخُصُّ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
بِمُخْصِصَاتٍ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلُ وَأَحْوَالَهَا فِي كُسْرَى وَقَبْصَرٍ  
وَالْحَاجِمِيِّ يَسْمُونُ أَبَا بَكْرٍ وَزِيرَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّهَابِ  
رُتْبَةِ الْمَلِكِ بِسَنَاجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَأَمَّا  
حَالُ الْجَبَايَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْحِسَابِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِرُتْبَةٍ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أُمِّيَّةً  
لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
مِنْ مَوَالِي النَّجْمِ مِمَّنْ يُجِيدُهُ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَأَمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَهُ  
لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ كَانَتْ صِفَتَهُمُ الَّتِي أَمْتَاوُا بِهَا وَكَذَا حَالُ الْمُخَاطَبَاتِ وَتَنْفِيدِ الْأُمُورِ لَمْ  
تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةٌ خَاصَّةٌ لِلْأُمِّيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كِتْمَانِ الْقَوْلِ  
وَتَأْدِيبِهِ وَلَمْ تَخْرُجِ السِّيَاسَةُ إِلَى اخْتِيَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمُلْكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنْ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيُسْتَجَادُ لِحَلِيفَةِ أَحْسَنِهَا لِأَنَّ  
الْكُلَّ كَانُوا يَعْبَرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِأَبْلَغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَطُّ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

يَسْتَنْبِ فِي كِتَابَتِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مَنْ يُعْمِنُهُ وَأَمَّا مُدَامَةُ ذَوِي الْحُلُجَاتِ عَنْ أَبِيهِمْ  
فَكَانَ مَحْظُورًا بِالْشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَقَعُوا فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابِلَةِ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ بُدِيَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّ دُونِ الْجُورِ بِمَا  
كَانُوا يَمْتَحِنُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ اغْتِيَالِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ  
وَعُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَرْحَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشَغْلِهِمْ بِهِمْ عَنِ  
الْمُهْمَاتِ فَاتَّخَذُوا مِنْ يَقَوْمٍ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَمَّوهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبَهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَلَيْتُكَ حِجَابَةَ بَابِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ أَلْوَظِنَ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
اللَّهِ وَصَاحِبُ الْبَرِيدِ فَأَمْرٌ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبُ الطَّعَامِ إِنَّمَا يَفْسُدُ ثُمَّ اسْتَحْجَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَاهَرَ الْمَشَاوِرَ وَالْعَمِينَ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَاسْتَنْثَلَهُمْ وَاطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ  
الْوَزِيرِ وَبَقِيَ أَمْرُ الْحِسْبَانِ فِي الْعَوَالِي وَالذَّمَمِينَ وَاتَّخَذَ لِلسَّجِلَاتِ كَاتِبٌ مَخْصُوصٌ  
حَوْطَةً عَلَى أَسْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَهَرَ فَتَفْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِمَثَابَةِ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أُخْبِجَ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْخَطُ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ اللِّسَانُ لِلذِّكْرِ الْعَمِيدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ أَوْزَارُهُ لَذَلِكَ أَرْزَقَ رُتَبَهُمْ  
يَوْمَئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ نَكَانَ النَّظَرُ لِلْوَزِيرِ عَامًّا فِي أَحْوَالِ التَّدْبِيرِ وَالْمُفَاوَضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاتِ وَالْهَطَالِبَاتِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّظَرِ فِي دِيْوَانِ الْجُنْدِ وَفَرْضِ الْعَطَاءِ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَحْجَلَ الْمَلِكُ وَعَظَّمَتْ مَرَاتِبُهُ  
وَأَزْدَفَتْ وَعَظَّمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ فِي إِتْقَانِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعَنْتَ لَهَا الْوُجُوهُ وَخَصَّصَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجُعِلَ لَهَا النَّظَرُ فِي دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ  
لَمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِطَّتُهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاةِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظَرِ فِي جَمْعِهِ وَتَفْرِيقِهِ  
وَأُضِفَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ ثُمَّ جُعِلَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْقَلَمِ وَالتَّرْسِيلِ لِصَوْنِ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لِمَا كَانَ اللِّسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمُهورِ وَجُعِلَ الْخَاتَمُ لِسَجِلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الذِّفَاعِ وَالشِّبَاعِ وَدُفِعَ إِلَيْهِ قَصَارُ اسْمِ الْوَزِيرِ جَامِعًا لِحِطَّتِي السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَعَانِي الْوُزَارَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ حَتَّى لَقَدْ دُعِيَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَبِقَامِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
الْحِجَابَةَ الَّتِي فِي الْقِيَامِ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لَاسْتِنْسَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي

الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاون فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان  
أخرى وصار الوزير إذا استبد محتاجاً إلى استنابة الخليفة إياه لذلك تصح الأحكام  
الشريعة وتجي على حالها كما تقدمت فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي  
حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه وإلى وزارة تنويض وهي حال ما يكون الوزير  
مستبداً عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك الأعجم وتعطل رتبهم اختلافه ولم  
يكن لأولئك المتغلبين أن يتنحلوا ألقاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء  
في الألقاب لأنهم خول لهم فقسموها بالأمارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى  
أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يحل به الخليفة من ألقابه كما تراه في ألقابهم  
وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاهم للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى  
آخر دولتهم وقد ألسن خلال ذلك كله وصارت صناعة يتنحلها بعض الناس  
فأمهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولأنهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من  
لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت حادمة للوزير وأخص  
اسم الأمير بصاحب الخروب والجند وما يرجع إليها ويده مع ذلك عالية على أهل  
الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبداداً واستمر الأمر على هذا ثم جاءت  
دولة الترك آخرًا بعصر قراوا أن الوزارة قد ابتدلت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن  
يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مروسة نافصة  
فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب  
الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في  
مدلوله وأخص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية وأما دولة بني أمية بالأندلس  
فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسوا خطته أضافاً وأفردوا لكل  
صنف وزيراً فجعلوا لحسبان المال وزيراً ولترسيل وزيراً والنظر في حوائج المظلمين  
وزيراً والنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش  
منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد بينهم وبين  
الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن

مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَزْنَعَتْ خِطَّةُ  
 الْحَاجِبِ وَمَرَّتْهُ عَلَى سَائِرِ الرُّبُحِ حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ يَنْتَحِلُونَ لِقَبَّهَا فَأَكْثَرُهُمْ  
 يَوْمِيذُ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَذَرُكُمْ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِقِيَّةٍ وَالْفَيْرَوَانَ وَكَانَ  
 لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُخٌ فِي الْبِدَاوَةِ فَأَغْفَلُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطِطِ أَوَّلًا وَتَفِيحَ أَسْمَائِهَا كَمَا  
 تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْفَلَتْ الْأَمْرَ  
 أَوَّلًا لِلْبِدَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى انْتِحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ اسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ ثُمَّ  
 اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمُويِّينَ وَقَلَّدُوهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ وَأَخْتَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ  
 يَحْجُبُ السُّلْطَانَ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُفُودِ وَالِدَاخِلِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي تَحِيَّتِهِمْ  
 وَخِطَائِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُفُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحَاجَبَةِ عَنْهُ مَا  
 شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَيُسَوِّنَ  
 هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالْأَنَاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي الْإِلْقَاءِ وَالنَّجِيَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانِ  
 وَالتَّقَدُّمِ بِالْوُفُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّوِيْدَارِ وَيُضَيِّنُونَ إِلَيْهِ اسْتِغْنَاعَ كَاتِبِ السِّرِّ وَأَصْحَابِ  
 الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَبِالْحَاضِرَةِ وَحَالِهِمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُوَلِّي الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

( الحجابة ) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ  
 وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُعَلِّقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى  
 قَدَرِهِ فِي مَوَاقِيْتِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مُنْزَلَةً يَوْمًا عَنِ الْخِطِطِ مَرُؤُوسَةً لَهَا إِذَا الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ  
 فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ قَبْلِي بِمَصْرَ مَرُؤُوسَةٌ  
 لِصَاحِبِ الْخِطَّةِ الْعَلِيَّا الْمُسَمَّى بِالنَّائِبِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ  
 الْحَاجَبَةُ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ  
 فَمَنْ دُونَهُمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَفِيعَةً غَايَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَبَنِ حَبِيدٍ وَغَيْرِهِ  
 مِنْ مَجَابِيهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْإِسْتِغْدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتَصَّ الْمُسْتَبْدُ بِأَسْمِ الْحَاجَبَةِ لِشَرَفِهَا  
 فَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَّوْا فِي مَظَاهِرِ الْمَلِكِ وَأَطْوَارِهِ  
 جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَلَمْ يَتَرَكُوا لِقَبَّهَا وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ شَرَفًا لَهُمْ وَكَانَ عَظَمَتُهُمْ  
 مُلْكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمَلِكِ وَأَسْمَائِهِ لِأَبْدَلِهِ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوِزَارَتَيْنِ



يَعْنُونَ بِهِ السِّيفَ وَالْقَلَمَ وَيَدُلُّونَ بِالنَّجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَلَمَةِ وَالْخَاصَّةِ  
وَيَذِي الْوِزَارَتَيْنِ عَنْ جَمْعِهِ لِحِطَّتِي السِّيفِ وَالْقَلَمِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلِ الْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقَةِ ذِكْرٍ لِهَذَا الْأَسْمِ لِلدَّوَاةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَرُبَّمَا يُوْجَدُ فِي دَوْلَةِ الْعَمِيدِيَّينِ  
يَمِصُّرَ عِنْدَ اسْتِعْظَامِهَا وَحَضَارَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُؤَحِّدِينَ لَمْ  
تَسْمَكُنْ فِيهَا الْخِصَارَةَ الدَّاعِيَةَ إِلَى اتِّحَالِ الْأَلْقَابِ وَتَمْيِيزِ الْخِطَطِ وَتَعْيِينِهَا بِالْأَسْمَاءِ  
إِلَّا آخِرًا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الرُّتَبِ إِلَّا الْوَزِيرُ فَكَانُوا أَوَّلًا يَخْصُونَ بِهَذَا الْأَسْمِ  
الْكَاتِبَ الْمُتَصَرِّفَ الْمُشَارِكَ لِلسُّلْطَانِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ كَابْنِ عَطِيَّةٍ وَعَبْدِ السَّلَامِ  
الْكُوتِي وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْحِسَابِ وَالْإِشْغَالِ الْمَالِيَّةِ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَسْمُ الْوَزِيرِ لِأَهْلِ نَسَبِ الدَّوَلَةِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ كَابْنِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَسْمُ  
الْحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ \* وَأَمَّا بَنُو أَبِي حَنْصَلٍ بِأَفْرِيقَةِ فَكَانَتْ الرِّئَاسَةُ  
فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا وَالْقَدَمُ لَوَزِيرٍ وَالرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ وَكَانَ يَخْصُ بِاسْمِ شَيْخِ الْمُؤَحِّدِينَ  
وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوِلَايَاتِ وَالْعَزَلِ وَقُدُورِ الْعَسَاكِرِ وَالْجُرُوبِ وَاخْتِصَّ الْحِسَابُ  
وَالدِّيَّانُ بِرُتْبَةٍ أُخْرَى وَيُسَمَّى مُتَوَلِّيَهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرَ الْمَطْلُوقَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ وَيَحْسَبُ وَيَسْتَخَاصُ الْأَمْوَالَ وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ  
أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ وَاخْتِصَّ عِنْدَهُمُ الْقَلَمُ أَيْضًا بِعَمَلِ الْتَرْسِيلِ وَيُؤْتَمَنُ  
عَلَى الْأَسْرَارِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُنْتَحَلِ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلُ لِبَلْسَانِهِمْ فَلَمْ  
يُشْتَرَطْ فِيهِ النَّسَبُ وَاجْتِنَاجُ السُّلْطَانِ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُؤْتَرَفِينَ بِدَارِهِ إِلَى  
قَهْرَمَانٍ خَاصٍّ يَدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُجْعِلُهَا عَلَى قَدَرِهَا وَتَرْتِيبِهَا مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاءٍ وَكُفُوفٍ  
وَنَفَقَةٍ فِي الْمَطَابِيخِ وَالْإِضْطِبَالَتِ وَغَيْرِهَا وَحَضَرَ الذَّخِيرَةَ وَتَنْفِذَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْحِجَابَةِ فَخْصَهُ بِاسْمِ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا أَضَافُوا إِلَيْهِ كِتَابَةَ الْعَلَمَةِ عَلَى  
السَّيْلَاتِ إِذَا اتَّفَقَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ لِعِزِّهِ وَاسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَى  
ذَلِكَ وَجَبَّ السُّلْطَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ قَصَارَ هَذَا الْحَاجِبِ وَاسْطَةً بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَهْلِ  
الرُّتَبِ كُلِّهِمْ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ آخِرُ الدَّوَلَةِ السِّيفُ وَالْحَرْبُ ثُمَّ الرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ فَصَارَتْ الْحِطَّةُ  
أَرْفَعَ الرُّتَبِ وَأَوْعَبَهَا لِلْخِطَطِ ثُمَّ جَاءَ الْأَسْتِيفَادُ وَالْخَيْرُ مَدَّةً مِنْ بَعْدِ السُّلْطَانِ الثَّانِي عَشَرَ  
مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِيدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَذْهَبَ آثَارُ الْخَيْرِ

وَالْأَسْنِدَادُ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابَةِ الَّتِي كَانَتْ سُلْمًا إِلَيْهِ وَبَاسَرُ أُمُورِهِ كُلِّهَا بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ  
أَسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَلَا لَأُفٍّ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرَيْنَ فَلَا أَثَرَ لَأَسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِئَاسَةُ الْحَرْبِ وَالسَّكْرِ فَهِيَ لِلْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرَّسَائِلِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُحْسِنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ اخْتَصَّتْ بَعْضُ الْيُوزِ الْمُصْطَفِيِّينَ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجَّتُهُ عَنِ الْعَامَةِ فَهِيَ رُتَبَةُ عِنْدَهُمْ فَيَسَّى  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمِزْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْجِنَادَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِكِبَرِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ وَتَصْرِيفِ عُقُوبَاتِهِ وَإِنْ زَالَ سَطْوَانُهُ وَحِظُ الْمُعْتَقِلِينَ فِي سَجُونِهِ وَالْعَرِيفُ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَالْكَبَابُ لَهُ وَأَخَذَ النَّاسُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَةِ رَاجِعُ  
إِلَيْهِ فَكَانَتْهَا وَزَارَةُ صُغْرَى. وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تَمَيِّزَ الْخِطَطِ لِيَدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَخْصُصُونَ بِأَسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْفَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانِ وَالسَّجِلَ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
بِعْتَمَتِهَا وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْخُصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيزِ حَالَ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ إِلَّا أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ التَّرْسِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى السَّيْلَاتِ كُلِّهَا فَلَيْسَ هُنَاكَ خِطَّةُ الْعَامَةِ كَمَا لَغِيْرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ بِمِصْرَ فَأَسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضُوعٌ لِحَاكِمِهِ مِنْ أَهْلِ الشُّوَكَةِ وَهُمْ التُّرْكُ  
يُنْفِذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوُضُفَةُ عِنْدَهُمْ تَحْتَ وَظِيفَةٍ  
النِّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ التَّوْلِيَةُ وَالْعَزْلُ  
فِي بَعْضِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْأَحْيَانِ وَيَقْطَعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيَبْنِيهَا وَتُنْفَذُ أَوَامِرُهُ  
كَمَا تُنْفَذُ الْأَمْرَاسُ السُّلْطَانِيَّةُ وَكَانَ لَهُ النِّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَالْحُجَابِ الْحُكْمَ فَقَطَّ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافُعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارُ مَنْ أَرَادَ الْإِقْبَادَ لِلْحُكْمِ وَوُزْنُهُمْ  
تَحْتَ طَوْرِ النِّيَابَةِ وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ هُوَ صَاحِبُ حِجَابَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جِزْيَةٍ ثُمَّ فِي تَصْرِيفِهَا فِي الْأَنْفَاقِ السُّلْطَانِيَّةِ

أَوْ الْحِرَابَاتِ الْمَقْدَرَةِ وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلُّيَةُ وَالْعَزَلُ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمُبَاثِيرِينَ لَهُدِهِ  
الْحَبَابِيَّةِ وَالتَّنْفِيدِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَصْنَافِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِطِ الْقَائِمِينَ عَلَى دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ وَالْحَبَابِيَّةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مَضَرٍّ مِنْهُ عَصُورٌ قَدِيمَةٌ وَقَدْ بَوَلَّيَهَا السُّلْطَانُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشُّوْكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْتُرْكِ أَوْ أَبْنَاءِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِذَلِكَ وَاللَّهُ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُضَرِّفُهَا بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والجبایات

إِغْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنَ الْوُظَائِفِ الصَّرُورِيَّةِ لِلْمَلِكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْحَبَابِيَّاتِ وَحِفْظِ حَقُوقِ الدَّوْلَةِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَمْنَانِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرْفِ أَعْطِيَاثِهِمْ فِي إِبَائَاتِهَا وَارْتِجَاعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَانِينِ الَّتِي يَرْتَبِهَا قَوْمَةُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفَهَارِمَةُ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَسْطُورَةٌ فِي كِتَابٍ شَاهِدٍ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ مَبْنِيٍّ عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْمَهَرَّةُ مِنْ أَهْلِ  
تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْدِيْوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْأَعْمَالِ  
الْمُبَاثِيرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كُتَابِ  
دِيْوَانِهِ وَهُمْ يَحْتَسِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُعَادِلُونَ فَقَالَ دِيْوَانُهُ أَيْ تَجَانِبِينَ بِلُغَةِ الْفَرَسِ  
فُسِّمِي مَوْضِعَهُمْ بِذَلِكَ وَحُدُثِ الْهَاءِ لِكثَرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ تَخْفِيفًا فَقِيلَ دِيْوَانٌ ثُمَّ نُقِلَ هَذَا  
الْأَسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْقَوَانِينِ وَالْحِسْبَانَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ أَسْمُ  
لِلشَّيَاطِينِ بِالْفَارْسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ تَقْوَظِهِمْ فِي قَهْرِ الْأُمُورِ وَوُقُوفِهِمْ عَلَى  
الْخَلْقِ مِنْهَا وَالْخَفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا قَبِلْنَاوَلْ أَسْمُ الدِّيْوَانِ كِتَابُ الرِّسَالِ وَمَكَانُ جُلُوسِهِ يَتَابِ السُّلْطَانُ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تَفَرَّدَ هَذِهِ الْوُظُفَةُ بِنَظَائِرٍ وَاحِدَةٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يُفَرَّدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَظَائِرٍ كَمَا يُفَرَّدُ فِي بَعْضِ الدَّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَاقْطَاعَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أَعْطِيَاثِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا قَرَّرَهُ أَوَّلُهَا . وَأَعْلَمُ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ فِي الدَّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْقَلْبِ وَالْإِسْنِيْلَاءِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَافِ الْمَلِكِ وَتُسَوِّنِ التَّهْمِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيْوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْأَوَّلِيَّةِ عُمَرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبِّ مَالٍ أَيْ بِأَبْوَهْرِ بَرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَأَسْتَكْبَرُوهُ  
 وَتَعَبُوا فِي قَسَمِهِ قَسَمُوا إِلَى إِحْصَاءِ الْأَمْوَالِ وَضَبَطِ الْعَطَاءِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
 الْوَلِيدِ بِالْدِّيَّانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يُدَوِّنُونَ فَقِيلَ مِنْهُ عُمَرُ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
 الْهَرَمِ زَانُ لَمَّا رَأَاهُ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ بَغِيرِ دِيَّانٍ فَقِيلَ لَهُ وَمَنْ بَعْلَمُ بِغَيْبِهِ مَنْ يَغِيبُ مِنْهُمْ  
 فَإِنْ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَ بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُطُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثَبَتْ لَهُمْ دِيَّانًا وَسَالَ  
 عُمَرُ عَنْ أَسْمِ الدِّيَّانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمُخَرَّمَةَ  
 ابْنِ نُوْفَلٍ وَجُبَيْرُ بْنُ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كُتَّابِ قُرَيْشٍ فَكَتَبُوا دِيَّانَ الْعَسَاكِرِ إِلَّا سَلَامِيَّةَ  
 عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قُرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
 فَأَلْفَاقَرُبُ هَكَذَا كَانَ ابْتِدَاءُ دِيَّانِ الْجَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْمُسَيَّبِ  
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَتْ فِي الْعُمْرِ سَنَةَ عَشْرِينَ وَأَمَّا دِيَّانُ الْأَخْرَاجِ وَالْجَبَايَاتِ فَبَقِيَ بَعْدَ  
 إِلَّا سَلَامَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيَّانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيَّانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
 وَكُتَّابِ الدَّوَّالِيْنَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْتَحَالَ  
 الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْتَقَلَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَاضَةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْنَقِ الْحَضَارَةِ وَمِنْ سَدَاجَةِ  
 الْأُمِّيَّةِ إِلَى حَذَقِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهَرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسَابِ  
 فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَلِمَانَ بْنَ سَعْدٍ وَابْنَ الْأَرْدَنِ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْقُلَ دِيَّانَ الشَّامِ إِلَى  
 الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ يَوْمِ ابْتِدَائِهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سَرْحُونُ كَاتِبُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
 لِكُتَّابِ الرُّومِ أَطْلُبُوا الْعَيْشَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيَّانُ  
 الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحُجَّاجُ كَاتِبَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
 وَلَقِنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ فَرُوخَ كَاتِبِ الْحُجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قِيلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ الْأَشْعَثِ اسْتَخْلَفَ الْحُجَّاجُ صَالِحًا هَذَا مَكَانَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْقُلَ الدِّيَّانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
 إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فَفَعَلَ وَرَغِمَ لَكَ كُتَّابُ الْفَرَسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَعْنَى يَقُولُ لَّهُ دَرُّ  
 صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مَنَّتَهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوُظُفَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ بَنِي نُوبَخْتِ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوُظُفَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا  
 يَخْتَصُّ بِالْجَيْشِ أَوْ يَتَّي الْمَالِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَتَمْيِيزِ التَّوَّاحِي بِالصَّلَحِ وَالْعُنُوءِ وَفِي تَقْلِيدِ

هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ لِمَنْ يَكُونُ وَشُرُوطِ النَّظَرِ فِيهَا وَالْكَاتِبِ وَقَوَائِنِ الْحِسْبَانَاتِ فَأَمْرٌ رَاجِعٌ  
إِلَى كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ وَهِيَ مَسْطُورَةٌ هُنَاكَ وَلَيْسَتْ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا تَكَلَّمُ  
فِيهَا مَنْ حَيْثُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ الْكَلَامِ فِيهِ وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ  
الْمَلِكِ بَلْ هِيَ ثَالِثُهُ أَرْكَانُهُ لِأَنَّ الْمَلِكَ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْجَنْدِ وَالْمَالِ وَالنَّخَابَةِ لِمَنْ غَابَ عَنْهُ  
فَأَحْتَاجُ صَاحِبُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَعْوَانِ فِي أَمْرِ السِّيفِ وَأَمْرِ الْقَلَمِ وَأَمْرِ الْمَالِ فَيَنْفَرِدُ  
صَاحِبُهَا لِذَلِكَ بِجُزْءٍ مِنْ رِئَاسَةِ الْمَلِكِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
وَالطَّوْائِفِ بَعْدَهُمْ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ فَكَانَ صَاحِبُهَا إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمُوحِدِينَ  
يَسْتَقِلُّ بِالنَّظَرِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا وَضَبْطِهَا وَتَعْقِبِ نَظَرِ الْوَلَاةِ وَالْعَمَالِ فِيهَا  
ثُمَّ تَنْفِيذِهَا عَلَى قَدَرِهَا وَفِي مَوَاقِفِهَا وَكَانَ يُعْرَفُ بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ وَكَانَ رُبَّمَا يَلِيهَا  
فِي الْجِهَاتِ غَيْرِ الْمُوحِدِينَ مِمَّنْ يُحْسِنُهَا وَلَمَّا اسْتَبَدَّ بَنُو أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَكَانَ شَأْنُ  
الْجَالِيَةِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ قَدِيمٌ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبُيُوتَاتِ وَفِيهِمْ مَنْ كَانَ يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْأَنْدَلُسِ  
مِثْلَ بَنِي سَعِيدٍ أَصْحَابِ الْقَلْعَةِ جَوَارِغِ نَاطَةِ الْمَعْرُوفِينَ بِبَنِي أَبِي الْحَسَنِ فَاسْتَكْفَوْا بِهِمْ  
فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوا لَهُمُ النَّظَرَ فِي الْأَشْغَالِ كَمَا كَانَ لَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ وَدَاوُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الْمُوحِدِينَ ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهَا أَهْلُ الْحِسْبَانِ وَالْكَتَابِ وَخَرَجَتْ عَنِ الْمُوحِدِينَ ثُمَّ كَلَّمَ  
اسْتَعْلَظَ أَمْرُ الْحَاجِبِ وَتَقَدَّرَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ تَعَطَّلَ هَذَا الرِّسْمُ  
وَصَارَ صَاحِبُهُ مَرُوءَسًا لِلْحَاجِبِ وَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَاةِ وَذَهَبَتْ نَتِجَةُ الرِّئَاسَةِ الَّتِي كَانَتْ  
لَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي مُزَيْنٍ لِهَذَا الْعَهْدِ حِسْبَانُ الْعَطَاءِ وَالْخَرَاجِ تَجْمُوعُ لَوَاحِدٍ  
وَصَاحِبُ هَذِهِ الرُّتْبَةِ هُوَ الَّذِي يُصَيِّحُ الْحِسْبَانَاتِ كُلَّهَا وَيَرْجِعُ إِلَى دِيَوَانِهِ وَنَظَرِهِ  
مُعَقَّبٌ يَنْتَظِرُ السُّلْطَانَ أَوْ الْوَزِيرَ وَخَطُّهُ مُعْتَبَرٌ فِي صَحَّةِ الْحِسْبَانِ فِي الْخَارِجِ وَالْعَطَاءِ  
هَذِهِ أَصُولُ الرُّتَبِ وَالْخَطِّ السُّلْطَانِيَّةِ وَهِيَ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ الَّتِي هِيَ عَامَّةُ النَّظَرِ وَمُبَاشَرَةُ  
السُّلْطَانِ وَأَمَّا هَذِهِ الرُّتْبَةُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ فَمُتَوَرِّعَةٌ وَصَاحِبُ دِيَوَانِ الْعَطَاءِ يُعْرَفُ  
بِنَظِيرِ الْجَيْشِ وَصَاحِبُ الْمَالِ مَخْصُوصٌ بِاسْمِ الْوَزِيرِ وَهُوَ النَّظِيرُ فِي دِيَوَانِ الْجَبَايَةِ الْعَامَّةِ  
لِلدَّوْلَةِ وَهُوَ أَعْلَى رُتَبِ النَّظِيرِينَ فِي الْأَمْوَالِ لِأَنَّ النَّظَرَ فِي الْأَمْوَالِ عِنْدَهُمْ يَتَنَوَّعُ إِلَى  
رُتَبٍ كَثِيرَةٍ لَا تَنْفَسِحُ دَوْلَتُهُمْ وَعَظَمَةُ سُلْطَانِهِمْ وَأَتَسَّاعُ الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ عَنْ  
أَنْ يَسْتَقِلَّ بِضَبْطِهَا الْوَاحِدُ مِنَ الرِّجَالِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْكِفَايَةِ مَبَالِغَهُ فَعَيْنٌ لِلنَّظَرِ الْعَامِ

مِنْهَا هَذَا الْخَصُوصُ بِأَسْمِ الْوَزِيرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ رَدِيفُ لِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي السُّلْطَانِ وَأَهْلُ عَصَبِيَّتِهِ وَأَرْبَابِ السُّيُوفِ فِي الدَّوْلَةِ يَرْجِعُ نَظْرُ الْوَزِيرِ إِلَى نَظَرِهِ وَيَجْتَهِدُ جُهْدَهُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَيُسَيِّعُ عَنْهُمْ أَسْتَاذُ الدَّوْلَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْأَمْراءِ الْأَكْبَرِ فِي الدَّوْلَةِ مِنَ الْجُنْدِ وَأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَيَتَّبِعُ هَذِهِ الْخِطَّةَ خِطَطُ عِنْدَهُمْ أُخْرَى كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْأُمُودِ وَالْحِسْبَانِ مَقْصُورَةٌ النَّظَرُ إِلَى أُمُورٍ خَاصَةٍ مِثْلَ نَظَرِ الْخَاصِ وَهُوَ الْمُبَاشِيرُ لِلْأُمُودِ السُّلْطَانِ الْخَاصَةِ بِهِ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِ أَوْ مُهْمَانِهِ مِنْ أُمُودِ الْخِرَاجِ وَبِلَادِ الْجَبَايَةِ بِمَا لَيْسَ مِنْ أُمُودِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ وَهُوَ تَحْتَ يَدِ الْأَمِيرِ أَسْتَاذِ الدَّارِ وَإِنْ كَانَ الْوَزِيرُ مِنَ الْجُنْدِ فَلَا يَكُونُ لَأَسْتَاذِ الدَّارِ نَظْرٌ عَلَيْهِ وَنَظْرُ الْخَاصِ تَحْتَ يَدِ الْخَازِنِ لِأُمُودِ السُّلْطَانِ مِنْ مَمَالِكِهِ الْمُسَمَّى خَازِنِ الدَّارِ لِاخْتِصَاصِ وَظِيفَتِهَا بِمَالِ السُّلْطَانِ الْخَاصِ . هَذَا بَيَانُ هَذِهِ الْخِطَّةِ بِدَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ بَعْدَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَرْهَائِهَا بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

### ديوان الرسائل والكتابة

هَذِهِ أَوْظِيفَةُ غَيْرِ ضَرُورِيَّةٍ فِي الْمَلِكِ لِاسْتِغْنَاءِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ عَنْهَا رَأْسًا كَمَا فِي الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبِدَاوَةِ الَّتِي لَمْ يَأْخُذْهَا تَهْذِيبُ الْحِصَارَةِ وَلَا اسْتِحْكَامُ الصَّنَائِعِ وَإِنَّمَا أَكْبَدُ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فِي الدَّوْلَةِ إِلَّا سَلَامِيَّةَ شَأْنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَابْتِلَاغَهُ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ الْمَقَاصِدِ فَقَصَارَ الْكِتَابِ يُؤَدِّي كُنْهَ الْحَاجَةِ بِأَبْلَغٍ مِنَ الْعِبَارَةِ اللَّسَانِيَّةِ فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَ الْكَاتِبُ لِلْأَمِيرِ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِ وَمِنْ عُظَمَاءِ قَبِيلِهِ كَمَا كَانَ لِلْخُلَفَاءِ وَأَمْراءِ الصَّخَّابَةِ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ لِعِظَمِ أَمَانَتِهِمْ وَخُلُوصِ أَسْرَارِهِمْ فَلَمَّا قَسَدَ اللِّسَانُ وَصَارَ صِنَاعَةً اخْتَصَّ بِمَنْ يُخَسِّنُهُ وَكَانَتْ عِنْدَ بَنِي الْعَبَّاسِ رَفِيعَةً وَكَانَ الْكَاتِبُ يُصَدِّرُ السِّجَلَاتِ مُطْلَقَةً وَيَكْتُبُ فِي آخِرِهَا اسْمَهُ وَيَخْتُمُ عَلَيْهَا بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ طَابِعٌ مَنقُوشٌ فِيهِ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ شَارَتْهُ يَفْعَسُ فِي طِينٍ أَحْمَرَ مُذَابٍ بِالْمَاءِ وَيُسَيِّ طِينِ الْخَتْمِ وَيُطْبِعُ بِهِ عَلَى طَرَفِي السِّجْلِ عِنْدَ طَيْبِهِ وَإِصَافِهِ ثُمَّ صَارَتْ السِّجَلَاتُ مِنْ بَعْدِهِمْ تُصَدَّرُ بِاسْمِ السُّلْطَانِ وَيَضَعُ الْكَاتِبُ فِيهَا عَلَامَتَهُ أَوَّلًا أَوْ آخِرًا عَلَى حَسَبِ الْإِخْتِيَارِ فِي مَحَلِّهَا وَفِي لَفْظِهَا ثُمَّ قَدْ تَنَزَّلَ فِي هَذِهِ الْخِطَّةِ بِأَرْتِنَاعِ الْمَكَانِ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِغَيْرِ صَاحِبِهَا مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ فِي الدَّوْلَةِ أَوْ اسْتِئْذَانِ وَزِيرٍ عَلَيْهِ فَتَصِيرُ عَلَامَةُ هَذَا الْكِتَابِ مُلْغَاءً الْحُكْمِ

بِعَلَامَةِ الرَّئِيسِ عَلَيْهِ يَسْتَدِلُّ بِهَا فَيَكْتُبُ صُورَةَ عَلَامَتِهِ الْمَعْبُودَةِ وَالْحُكْمَ لِعَلَامَةِ ذَلِكَ  
الرَّئِيسِ كَمَا وَقَعَ آخِرُ الدَّوْلَةِ الْخَفِصَةِ لَمَّا ارْتَفَعَ شَأْنُ النِّجَابَةِ وَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى التَّقْوِيسِ  
ثُمَّ الْأَسْتِئْذَانِ صَارَ حُكْمُ الْعَلَامَةِ إِلَى الْكَاتِبِ مُلغًى وَصُورَتُهَا ثَابِتَةً إِبْتِغَاءً لِمَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِهَا  
فَصَارَ الْحَاجِبُ يَرْسِمُ لِلْكَاتِبِ إِمضَاءَ كِتَابِهِ ذَلِكَ بِخَطِّ يَصْنَعُهُ وَيَتَخَيَّرُ لَهُ مَنْ صَبَغَ الْإِنْقَازِ  
مَا شَاءَ فَيَاْتُمِرُ الْكَاتِبُ لَهُ وَيَضَعُ الْعَلَامَةَ الْمَعْتَادَةَ وَقَدْ يَخْتَصُّ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ يَوْضِعَ  
ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَبْدًا بِأَمْرِهِ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَرْسِمُ الْأَمْرَ لِلْكَاتِبِ لِيَضَعَ عِلَامَتَهُ وَمِنْ  
خَطِّ الْكِتَابَةِ التَّوْقِيعُ وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ الْكَاتِبُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ  
وَقَصْلِهِ وَيُوقِعَ عَلَى الْقِصَصِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهَا أَحْكَامُهَا وَالْفُصُلِ فِيهَا مُتَلَقَّاةً مِنَ السُّلْطَانِ بِأَوْجَرِ  
لَفْظٍ وَأَبْلَغِهِ فَأَمَّا أَنْ تَصْدُرَ كَذَلِكَ وَأَمَّا أَنْ يَخْتَدُوَ الْكَاتِبُ عَلَى مِثَالِهَا فِي سَجِلٍ يَكُونُ بِيَدِ  
صَاحِبِ الْقِصَّةِ وَيَحْتَاجُ التَّوْقِيعَ إِلَى عَارِضَةٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ يَسْتَقِيمُ بِهَا تَوْقِيعُهُ وَقَدْ كَانَتْ  
جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يُوْقِعُ فِي الْقِصَصِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَيَرْسِي بِالْقِصَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا  
فَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُهُ يَتَنَافَسُ الْبُلَغَاءُ فِي تَحْصِيلِهَا لِلْوُقُوفِ فِيهَا عَلَى أَسَالِبِ الْبَلَاغَةِ وَتَوْنُهَا  
حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تَبَاعُ كُلُّ قِصَّةٍ مِنْهَا بِدِينَارٍ وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ الدُّوَلِ \* وَأَعْلَمُ  
أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْخِطَّةِ لَا يَدْرِي مَنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْفَعَ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلَ الْمَرْوَةِ  
وَالْحَشَمَةِ مِنْهُمْ وَزِيَادَةَ الْعِلْمِ وَعَارِضَةَ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُ مَعْرُوضٌ لِلنَّظَرِ فِي أُصُولِ الْعِلْمِ لِمَا  
يَعْرِضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاصِدُ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَشْرَةُ  
الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَدَابِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْفَضَائِلِ مَعَ مَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ  
مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَأَمْرَارِهَا وَقَدْ تَكُونُ الرُّبُوبَةُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مُسْتَنِدَةً  
إِلَى أَرْبَابِ السُّيُوفِ لِمَا يَفْتَضِيهِ طَبْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبَعْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سِدَاجَةِ  
الْعَصِيَّةِ فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِخَطِّ دَوْلَتِهِ وَسَائِرُ رُتَبِهِ يَقْبَلُ الدَّمَارَ وَالسَّيْفَ  
وَالْكِتَابَةَ مِنْهُمْ فَأَمَّا رُتَبَةُ السَّيْفِ فَتَسْتَعْنِي عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الدَّمَارُ وَالْكِتَابَةُ  
فَيَضْطَرُّ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَاغَةِ فِي هَدْيِهِ وَالْحَسْبَانِ فِي الْآخَرَى فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ  
مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَيُقْبَلُونَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَكُونُ يَدُ آخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً  
عَلَى يَدِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ مُنْصَرِّفًا عَنْ نَظَرِهِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْقَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَإِنَّ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ تَحْتَ يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أَهْلِ

عَصِيَّةِ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ بِالذَّوِّيدَارِ وَتَعْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُثُوقُهُ بِهِ وَأَسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقُ الْمَقَاصِدِ وَكُتْمَانُ الْأَسْرَارِ  
وغير ذلك من تَوَاعِيهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمَعْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي يَلَاظِمُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَانْتِقَائِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فَبَعِي كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكَتَّابِ وَهِيَ أَمَّا بَعْدُ حَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطْكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصَّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمُحَاوَلَاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ  
أَهْلُ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ بِكُمْ يَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ نَحَاسِنُهَا وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا  
وَيُصْلِحُ اللَّهُ لِلْعَالَمِ سُلْطَانَهُمْ وَتَعْمُرُ بِلَادُهُمْ لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْفِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْفِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي يَهْمُ بِسَمْعِهِمْ  
وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي يَهْمُ بِبَصَرِهِمْ وَالسَّنَتِمْ الَّتِي يَهْمُ بِتَنْطِقِمْ وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي يَهْمُ بِتَبْطِشِمْ فَاثْمَعُكُمْ  
اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضَاهَا مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْعَمُودَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكَتَّابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صَنِيتِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي  
بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ قَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ مُقْدِمًا  
فِي مَوْضِعِ الْأَفْدَامِ تُخِيمًا فِي مَوْضِعِ الْأَجْزَامِ مُؤَنِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كُنُومًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ التَّوَازِلِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطُّوَارِقَ فِي أَمَاكِنِهَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يَحْكَمْهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِعُقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بِغَرِيزَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ وَفَضْلِ تَجَرُّبِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وُرُودِهِ وَعَاقِبَتُهُ مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعُدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عِدَّتَهُ وَعِتَادَهُ وَهُيَّ لِكُلِّ وَجْهِهِ هَيْئَتَهُ  
وَعَادَتَهُ فَيَتَنَافَسُوا بِمَا مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَابِ وَتَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنِّكُمْ ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حَلِيَّةُ



كُتِبَ عَلَيْكُمْ وَأَرْزُوا الْأَشْعَارَ وَأَعْرِفُوا غَرَبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالنَّجْمِ وَأَحَادِيثَهَا  
وَسِيرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْأَلُونَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَا تُضِعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
فَإِنَّهُ قَوْمٌ كُتِبَ الْخُرَاجُ وَأَرْعَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ الْمَطَامِعِ سِنِيهَا وَدَنِيهَا وَسَفَسَافِ  
الْأُمُورِ وَتَحَاكَّرَهَا فَإِنَّهَا مُدْلَةٌ لِلرِّقَابِ مُسَدَّةٌ لِلْكِتَابِ وَنَزْهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ  
وَأَزْبَاوْا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَابَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلَاتِ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرِ  
وَالسَّخْفِ وَالْعِظَمَةِ فَإِنَّهَا عَادَاةٌ مُجْتَلَبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِخْنَةٍ وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْبَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالذُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنْ نَبَأَ الزَّمَانُ  
بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَأَسْوَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ وَيَتُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَقْعَدَ  
أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبَرُ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَرُزُّوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَاسْتَظْهَرُوا  
بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلْيَكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ  
حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحَاطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصِفُهَا إِلَّا إِلَى  
صَاحِبِهَا وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيُحْمَلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَلْيَحْذَرْ السَّقَطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ  
الْحَالِ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْقِرَاءَةِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهُمْ فَقَدْ  
عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مِنْ يَدِّهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ بِشَيْءٍ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبُ  
عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وَقَائِهِ وَشُكْرِهِ وَأَحْسَنَالِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكَيْفَانِ سِرِّهِ وَتَذْيِيرِ أَمْرِهِ  
مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّهِ وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ بِفَعَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْأَضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَشْعِرُوا  
ذَلِكَ وَفَقِّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحِرْمَانِ وَالْمَوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
وَالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ فَتَعَمَّتِ السَّيْمَةُ هَذِهِ مِنْ وَسْمِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
وُلِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْصِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ فَلْيُرَاقِبْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤْتِزْ  
طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ إِلَيْهِ  
أَرْزَقَهُمْ بِعِيَالِهِ ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفُقَرَاءِ مُؤَفِّرًا وَلِلْبِلَادِ  
عَامِرًا وَلِلرَّعِيَّةِ مَتَأَلِّفًا وَعَنْ أَدَائِهِمْ مُتَخَلِّفًا وَلْيَكُنْ فِي تَجَلُّسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي سِحْلَاتِ  
خُرَاجِهِ وَأَسْتِقْضَاءِ حُقُوفِهِ وَفِقَائِهَا إِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلَاتِقَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
حُسْنَهَا وَقُبْحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ وَأَحْثَالَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقُبْحِ  
بِالطَّفِ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهِيمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا بَسَّاسَتَهَا

أَلْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَجْعَلْهَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شَبُوبًا أَثَقَلَهَا  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُّوْدًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حُرُوقًا قَمَعَ  
 بِرِفْقِي هَوَاهَا فِي طَرَفِهَا فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَطْفَهَا بِسِيرٍ فَيَسْلُسُ لَهُ قِيَادُهَا وَفِي هَذَا الْوَصْفِ  
 مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْكَاتِبُ يُفَضِّلُ  
 أَدَبِيَهُ وَشَرِيفَ صُنْعَتِهِ وَلَطِيفَ حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُعَاوَرُهُ مِنَ النَّاسِ وَبِنَظَرِهِ وَيَقْبَهُمْ  
 عَنْهُ أَوْ يُخَافُ سَطْوَتَهُ أَوَّلَى بِالرَّفْقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ  
 الَّتِي لَا تُخْبِرُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَفْهَمُ خَطَابًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
 الرَّكَّابُ عَلَيْهَا أَلَا فَارْزُقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَأَعْمَلُوا مَا أُنْكَرَكُمْ فِيهِ مِنْ  
 الرُّوْبَةِ وَالْفَكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحَّبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ وَالْإِسْتِغْفَالَ وَالْجَفْوَةَ وَبَصِيرُ  
 مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَاقِفَةِ وَتَصَبَّرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاقِفَةِ وَالشَّفَقَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُعَاوَرَنَّ  
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةٍ تَجْلِسُ وَبَلْبَسُهُ وَمَرْكَبُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ وَبَنَاتُهُ وَخَدَمُهُ وَغَيْرَ  
 ذَلِكَ مِنْ فُتُونِ أَمْرِهِ قَدَرِ حَقِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ صَنِيعَكُمْ خَدَمَهُ  
 لَا تُحْمِلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحَفَظَةِ لِاتِّخْلَعُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبَذِيرِ  
 وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ وَاحْذَرُوا  
 مَتَالِفَ السَّرَفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيَذِلَّانِ الرَّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
 وَسَيِّمَا الْكِتَابَ وَأَرْبَابَ الْأَدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهَ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
 مُؤَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتُكُمْ ثُمَّ اسْأَلُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّنْذِيرِ أَوْصَحُهَا  
 حُجَّةً وَأَصْدَقُهَا حُجَّةً وَأَحْمَدُهَا عَاقِبَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّنْذِيرَ أَقْفَةٌ مُتَلَفَةٌ وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ  
 لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْقَازِ عِلْمِهِ وَرُوبَتِهِ فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي تَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَفَا فِي مَنْ  
 مَنَاقِبِهِ وَلْيُوجِزْ فِي أَتْدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِجَمَاعِهِ حُجَّجِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصَاحَةُ لِعِلْمِهِ  
 وَمَدْفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ عَنْ إِكْتِنَارِهِ وَلْيُضَرِّغْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةٍ تَوْفِيقِهِ وَإِمَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ وَمَخَافَةِ  
 وَفُوعِهِ فِي الْفَلْطِ الْمَضْرُوبِ بِيَدَيْهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانٌّ أَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ  
 الَّذِي يَرَزُ مِنْ حَيْلِ صُنْعَتِهِ وَثَوَّةٍ حَرَكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ يُفَضِّلُ حِيلَتَهُ وَحُسْنَ تَنْذِيرِهِ فَقَدْ  
 تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَاتِلَتِهِ إِلَى أَنْ يَكْلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ فَيَصِيرُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
 كَافٍ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَقِلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ

لِعِبَةِ التَّدْبِيرِ مِنْ مُرَافِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ  
 ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَوَى بِالْفُجْبِ وَرَأَى ظَهْرَهُ وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلَ مِنْهُ وَأَحْمَدُ فِي  
 طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ  
 اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ وَلَا تَزَكِيَةٍ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَانِزَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ  
 وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ وَالتَّحَدُّثِ  
 بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ تَلَزُّمِهِ النَّصِيحَةِ بِتَلَزُّمِ الْعَمَلِ  
 وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِذَلِكَ  
 جَعَلْتُهُ آخِرَهُ وَتَمَمْتُهُ بِهِ تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطُّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ بِمَا بَيَّوْتُ بِهِ مِنْ  
 سَبْقِ عِلْمِهِ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَدِيهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ  
 (الشرطة) \* وَيُسَمَّى صَاحِبُهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَفْرِيقَةِ الْحَاكِمِ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ  
 الْأَنْدَلُسِ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ الْوَالِي وَهِيَ وَطِيفَةُ مَرُوسَةِ لِصَاحِبِ السَّيْفِ  
 فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِي صَاحِبِهَا فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ وَكَانَ أَوَّلُ وَضْعِهَا فِي الدَّوْلَةِ  
 الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُقِيمُ أَحْكَامَ الْجَرَائِمِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوَّلًا ثُمَّ الْخُدُودَ بَعْدَ اسْتَيْقَافِهَا  
 فَإِنَّ التَّهَمَ الَّتِي تَعْرِضُ فِي الْجَرَائِمِ لَا تَنْظَرُ لِلشَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتَيْقَافِ حُدُودِهَا وَلِلسِّيَاسَةِ  
 النَّظَرُ فِي اسْتَيْقَافِ مُوجِبَاتِهَا بِإِفْرَازِ يُكْرَهُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ إِذَا اخْتَفَتْ بِهِ الْقَرَائِنُ لِمَا  
 تُوجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهَذَا الْاسْتِبْدَادِ وَبِاسْتَيْقَافِ الْحُدُودِ  
 بَعْدَهُ إِذَا تَنَزَّ عَنْهُ الْقَاضِي يُسَمَّى صَاحِبَ الشَّرْطَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْحُدُودِ  
 وَالْأَدْمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهَا مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي وَنَزَّهُوا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَقَلَّدُوهَا كِبَارَ الْقَوَادِرِ  
 وَعُظَمَاءِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةَ التَّنْفِيدِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَتْ  
 حُكْمُهُمْ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَأَهْلِ الرَّيْبِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الرِّعَاعِ وَالْفَجَرَةِ ثُمَّ عَقَمَتْ  
 نِبَاهَتَهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَنَوَعَتْ إِلَى شَرْطَةِ كُبْرَى وَشَرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ  
 حُكْمُ الْكُبْرَى عَلَى الْخَاصَّةِ وَالْأَدْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظُّلُمَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِ  
 وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بِالْعَامَّةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكُبْرَى كُرْسِيٌّ بِيَابِ دَارِ  
 السُّلْطَانِ وَرِجَالٌ يَتَّبِعُونَ الْمَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَصْرِيفِهِ وَكَانَتْ

وَلَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا كَآبِرٌ مِنْ رِجَالَاتِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلْوِزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ  
وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِالْمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حِظٌّ مِنَ التَّنْوِيهِ وَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهَا  
عَامَةً وَكَانَ لَا يَلِيهَا إِلَّا رِجَالَاتُ الْمُوحِدِينَ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّحْكُمُ عَلَى أَهْلِ  
الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ فَسَدَ الْيَوْمَ مَنْصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رِجَالِ الْمُوحِدِينَ وَصَارَتْ  
وَلَا يَتَّبِعُهَا لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنْ الْمُصْطَفِيِّينَ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
فَوَلَا يَتَّبِعُهَا فِي يَبُوتِ مَوَالِيهِمْ وَأَهْلِ أَصْطِنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فِي رِجَالَاتِ  
التُّرْكِ أَوْ أَغْقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكِ يَتَغَيَّرُونَهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ  
مِنَ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ لِقَطْعِ مَوَادِّ الْفَسَادِ وَحَسْمِ أَبْوَابِ الذَّعَارَةِ وَتَغْرِيْبِ  
مَوَاطِنِ الْفُسُوقِ وَتَفْرِيقِ مَجَالِمِهِ مَعَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا نَقَضِيهِ رِعَابَةً  
الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
(قيادة الاساطيل) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخِطَطِهَا فِي مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَافْرِيقَةِ  
وَمَرْؤَسَةِ إِيصَابِ السَّيْفِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبَهَا فِي  
عُرْفِهِمُ الْبَلَمَنْدُ بِتَفْخِيمِ الْأَمِّ مَقُولًا مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْطِلَاحِ لُغَتِهِمْ  
وَأَمَّا اخْتَصَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِمُلْكِ أَفْرِيقَةِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا جَمِيعًا عَلَى ضِفَةِ الْبَحْرِ  
الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادَ الْبَرْبَرِ كُلِّهِمْ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى  
الشَّامِ وَعَلَى عُدُوَّتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالرُّومِ إِلَى بِلَادِ  
الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالْبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُدُوَّتِهِ وَالسَّاكِنُونَ  
بِسَيْفِ هَذَا الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُدُوَّتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تَعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
الْحِجَارِ فَقَدْ كَانَتْ الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْقُوطُ بِالْعُدُوَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي السُّفُنِ فَكَانُوا مَهْرَةً فِي رُكُوبِهِ وَالْحَرْبِ فِي  
أَسَاطِيلِهِ وَلَمَّا أَسَفَ مِنْ أَسَفٍ مِنْهُمْ إِلَى مُلْكِ الْعُدُوَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ الرُّومِ إِلَى أَفْرِيقَةِ  
وَالْقُوطِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الْأَسَاطِيلِ وَمَلَكَوْهَا وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبَرْبَرِ بِهَا وَانْتَزَعُوا  
مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْرَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا الْمَدُنُ الْخَافِلَةُ مِثْلَ قَرْطَاجَنَةَ وَسَبِيْطَلَةَ وَجَلُولَاءَ وَمِرْنَاقَ  
وَشِرْنَشَالَ وَطَنْجَةَ وَكَانَ صَاحِبُ قَرْطَاجَنَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَارِبُ صَاحِبَ رُومَةَ وَيَبْعَثُ  
الْأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَسْحُوتَةً بِالْعَسَاكِرِ وَالْعَدِيدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا الْبَحْرِ

السَّاكِنَ حَفَافِهِ مَعْرُوفَةً فِي الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ وَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ مَضَرَ كَتَبَ عُمَرُ  
 ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ صِفَ لِي الْبَحْرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ  
 إِنَّ الْبَحْرَ خَلَقَ عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ ضَعِيفٌ دُودٌ عَلَى عُودٍ فَأَوْعَزَ حَبِيبُذِ بَنِي الْمُسْلِمِينَ  
 مِنْ رُكُوبِهِ وَلَمْ يَرْكَبْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مَنْ أَفْتَتَ عَلَى عُمَرَ فِي رُكُوبِهِ وَقَالَ مَنْ  
 عَقَابَهُ كَمَا فَعَلَ بِعَرْفَجَةَ بْنِ هُرَيْثَةَ الْأَزْدِيِّ سَيِّدَ بَجِيلَةٍ لَمَّا أَغْرَاهُ عَمَانُ بِلَاغَهُ غَزْوَهُ  
 فِي الْبَحْرِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ وَعَنْفَهُ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْغَزْوِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا  
 كَانَ لِعَهْدِ مُعَاوِيَةَ أَذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رُكُوبِهِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ  
 أَنَّ الْعَرَبَ لِبِدَاوَتِهِمْ لَمْ يَكُونُوا مَهْرَةً فِي ثِقَاتِهِ وَرُكُوبِهِ وَالرُّومُ وَالْأَفَرَنْجَةُ لِعِمَارَتِهِمْ  
 أَحْوَالَهُ وَمَرَبَاهُمْ فِي النُّقَابِ عَلَى أَعْوَادِهِ مَرْنُو عَلَيْهِ وَأَحْكَمُوا الدَّرَابَةَ بِثِقَاتِهِ فَلَمَّا  
 اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَشَمَّحَ سُلْطَانُهُمْ وَصَارَتْ أُمَمُ الْعَجَمِ خَوَلَا لَهُمْ وَتَحَتَ أَيْدِيهِمْ  
 وَتَقَرَّبَ كُلُّ ذِي صَنْعَةٍ إِلَيْهِمْ بِعِمْلِهِ صِنَاعَتِهِ وَاسْتَعْدَمُوا مِنَ التَّوَاتُؤَةِ فِي حَاجَاتِهِمْ  
 الْبَحْرِيَّةِ أُمَمًا وَتَكَرَّرَتْ مُمَارَسَتُهُمْ لِلْبَحْرِ وَثِقَاتُهُ وَاسْتَعْدَمُوا بَصْرَاءَ بِهَا فَفَسَرُوهَا إِلَى  
 الْجِهَادِ فِيهِ وَأَنْشَأُوا السُّفُنَ فِيهِ وَالشَّوَانِي وَشَخَّوُوا الْأَسَاطِيلَ بِالزَّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَأَمْلَطُوهَا  
 الْمَسَاكِرَ وَالْمَقَاتِلَةَ لِمَنْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ وَاخْتَصَمُوا بِذَلِكَ مِنْ مَمَالِكِهِمْ  
 وَتَغَوَّرَ مَا كَانَ أَقْرَبَ لِهَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى حَافَتِهِ مِثْلُ الشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ  
 وَأَوْعَزَ الْخُلَيْفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى حَسَّانَ بْنِ النُّعْمَانِ عَامِلِ أَفْرِيقِيَّةَ بِاتِّخَاذِ دَارِ صِنَاعَةِ  
 بَنِي سُلَيْمٍ لِإِنْشَاءِ آلَاتِ الْبَحْرِيَّةِ حِرْصًا إِلَى مَرَامِ الْجِهَادِ وَمِنْهَا كَانَ فَتْحُ صَقَالِيَةِ أَيَّامَ  
 زِيَادَةَ اللَّهِ الْأَوَّلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى يَدِ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ شَيْخِ الْفَتَا وَفَتْحُ  
 قُوسَرَةَ أَيْضًا فِي أَيَّامِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ أَغْرَى صَقَالِيَةَ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ  
 أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَفُتِحَتْ عَلَى يَدِ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَقَائِدِهِ أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ  
 وَكَانَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسَاطِيلُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسِ فِي دَوْلَةِ الْعَبْدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ تَعَاقَبُ  
 إِلَى بِلَادِهِمَا فِي سَبِيلِ الْفِتْنَةِ فَتَجَسَّسُوا خِلَالَ السَّوَاهِلِ بِالْإِفْسَادِ وَالْتَحَرِيبِ وَأَنْتَهَى  
 اسْطُولُ الْأَنْدَلُسِ أَيَّامَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ إِلَى مَا تَتَنَّى مَرْكَبُ أَوْ نَحْوَهَا وَاسْطُولُ  
 أَفْرِيقِيَّةَ كَذَلِكَ مِثْلُهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ قَائِدُ الْأَسَاطِيلِ بِالْأَنْدَلُسِ ابْنُ دُمَاحِشَ  
 وَمَرَقَاهَا لِلْحِطِّ وَالْإِفْلَاحِ بِجَاهَةِ وَالْمَرِيَّةِ وَكَانَتْ أَسَاطِيلُهَا تَجْتَمِعُ مِنْ سَائِرِ الْمَلِكِ

مِنْ كُلِّ بَلَدٍ نَحْنُدُ فِيهِ السُّنَّ اسْطُولُ يُرْجَعُ نَظَرُهُ إِلَى قَائِدٍ مِنَ التَّوَانِيَةِ بِدِيرٍ أَمْرَ حَرْبِهِ  
 وَسِلَاحِهِ وَمَقَاتِلَتِهِ وَرَأَيْسَ بَدِيرٍ أَمْرَ جَرَبَتِهِ بِالزَّيْعِ أَوْ بِالْحَجَادِفِ وَأَمْرَ إِزْسَائِهِ فِي  
 مَرْتَبِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَسَاطِيلُ لَغَزْوٍ وَمُحْتَفِلٍ أَوْ غَرَضٍ سُلْطَانِيٍّ مِنْهُمْ عَسْكَرَتْ بِمَرْفَقِهَا  
 الْمَعْلُومِ وَشَحَنَهَا السُّلْطَانُ بِرِجَالِهِ وَأَنْجَادٍ عَسَاكِرِهِ وَمَوَالِيهِ وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ أَمِيرٍ وَاحِدٍ  
 مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يُزْجِعُونَ كُلَّهُمْ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسْرِحُهُمْ لَوُجْهِهِمْ وَيَنْتَظِرُ  
 أَيَّاهُمْ بِالْفَتْحِ وَالْفَتْحِمْ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ غَلَبُوا عَلَى هَذَا  
 الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَعَظُمَتِ صَوْلَتُهُمْ وَسُلْطَانُهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلأَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ  
 قَبْلُ بِأَسَاطِيلِهِمْ بَشْيٌ مِنْ جَوَانِبِهِ وَامْتَطَوْا ظَهْرَهُ لَلْفَتْحِ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ فَكَانَتْ لَهُمْ  
 الْمَقَامَاتُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْفَتْحِ وَالْفَتْحِ وَمَلِكُ سَائِرِ الْجَزَائِرِ الْمُتَقَطَّعَةِ عَنِ السَّوَاهِلِ  
 فِيهِ مِثْلُ مَيُورَقَةِ وَمَنْوَرَقَةِ وَيَاسَةِ وَمِرْدَانِيَّةِ وَصَقِيلِيَّةِ وَقَوْصَرَةِ وَمَالِطَةِ وَأَفْرِيطَشَ  
 وَقَبْرُسَ وَسَائِرِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَالْأَفْرِنجِ وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْبِيُّ وَأَبْنَاؤُهُ يَغْزُونَ  
 أَسَاطِيلَهُمْ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ جَزِيرَةَ جَنُودَ فَتَنْقَلِبُ بِالظُّفْرِ وَالْفَتْحِمْ وَأَفْتَحَ مُجَاهِدُ الْعَامِرِيُّ  
 صَاحِبُ دَانِيَّةٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَانِفِ جَزِيرَةَ سِرْدَانِيَّةٍ فِي أَسَاطِيلِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 وَأَرْبَعِمِائَةٍ النَّصَارَى لَوْفَتْهَا وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ لُجَّةِ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَصَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِمْ جَانِبِيَّةً وَذَاهِبَةً وَالنَّسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجَبِّزُ الْبَحْرَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ مِنْ صَقِيلِيَّةٍ إِلَى الْبَرِّ الْكَبِيرِ الْمَقَابِلِ لَهَا مِنَ الْعُدُوَّةِ الشَّامِلَةِ تَقُوعُ بِمُلُوكِ  
 الْأَفْرِنجِ وَتُشْخِنُ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صَقِيلِيَّةِ الْقَائِمِينَ  
 فِيهَا بِدَعْوَةِ الْعَبِيدِينَ وَأَنْحَازَتْ أُمَمُ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْأَجَانِبِ الشَّامِلِي الشَّرْقِيِّ  
 مِنْهُ مِنَ السَّوَاهِلِ الْأَفْرِنجِيَّةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لَا يَدْعُوْنَهَا وَأَسَاطِيلُ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ صَرَبَتْ عَلَيْهِمْ ضِرَاءُ الْأَسَدِ عَلَى فَرِيَسَتِهِ وَقَدْ مَلَّتْ إِلَّا كَثُرَ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ  
 عُدَّةً وَعَدَدًا وَاخْتَلَفَتْ فِي طُرُقِهِ سِلْعًا وَحَرْبًا فَلَمْ تَنْظُرِ النَّصْرَانِيَّةُ فِيهِ أَلْوَاخَ حَتَّى إِذَا  
 أَدْرَكَ الدَّوْلَةُ الْعَبِيدِيَّةَ وَالْأُمُويَّةَ الْفُشْلُ وَالْوَهَنُ وَطَرَقَهَا الْأَعْتِلَالُ مَدَّ النَّصَارَى أَيْدِيَهُمْ  
 إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَ صَقِيلِيَّةِ وَأَفْرِيطَشَ وَمَالِطَةِ فَمَلَكُوْهَا ثُمَّ الْخَوَاعِثُ السَّوَاهِلِ الشَّامِ  
 فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَمَلَكُوا طَرَابُلُسَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَعَكَاةً وَاسْتَوْلُوا عَلَى جَمِيعِ الثُّغُورِ  
 بِالسَّوَاهِلِ الشَّامِ وَغَلَبُوا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبَنُو عَلَيْهِ كِبَسَةً لِمَظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَغَلَبُوا

بَنِي خَزْرُونَ عَلَى طَرَابُلُسُ ثُمَّ عَلَى قَائِسَ وَصَافِيسَ وَوَضَعُوا عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ ثُمَّ مَلَكَوا الْهَيْدَبَةَ مَقَرَّ  
مُلُوكِ الْعَيْدِيِّينَ مِنْ يَدِ أَغْقَابِ بَلَكِينِ بْنِ زَيْرِي وَكَانَتْ لَهُمْ فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ  
الْكُرَّةُ بِهَذَا الْبَحْرِ وَضَعَتْ شَأْنُ الْأَسَاطِيلِ فِي دَوْلَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ إِلَى أَنْ انْقَطَعَ وَلَمْ  
يَعْتَنُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْعَهْدِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُمْ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَيْدِيَّةِ عِنَايَةٌ تَجَاوَزَتْ  
الْحَدَّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ قَبْلَ رَسْمِ هَذِهِ الْوُضُفَةِ هُنَاكَ وَبَقِيَتْ  
بِأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ فَصَارَتْ مُخْتَصَّةً بِهَا وَكَانَ الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
مَوْفُورَ الْأَسَاطِيلِ ثَابِتَ الْقُوَّةَ لَمْ يَدْخِيقْهُ عَدُوٌّ وَلَا كَانَتْ لَهُمْ بِهِ كُرَّةٌ نَسْكَانَ قَائِدُ  
الْأَسْطُولِ بِهِ لِعَهْدِ لِمُتُونَةَ بَنِي مِيعُونَ رُؤَسَاءَ جَزِيرَةِ قَادِسَ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ أَخَذَهَا  
عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِتَسْلِيمِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَانْتَهَى عَدَدُ أَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْمِائَةِ مِنْ بِلَادِ  
الْعُدُونِ جَمِيعًا \* وَلَمَّا اسْتَحْلَمَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ فِي الْمِائَةِ السَّادِسَةِ وَمَلَكَوا  
الْعُدُونِ أَقَامُوا خُطَّةَ هَذَا الْأَسْطُولِ عَلَى أَتَمِّ مَا عُرِفَ وَأَعْظَمِّ مَا عُهِدَ وَكَانَ قَائِدُ  
أَسْطُولِهِمْ أَحْمَدُ الصَّقَلِيُّ صَلَّاهُ مِنْ صَدِّ غِيَارِ الْمُؤْطِنِينَ بِجَزِيرَةِ سِرُوكِشَ أَسْرَهُ النَّصَارَى  
مِنْ سَوَاحِلِهَا وَرَبَّى عَنْدهُمْ وَاسْتَخْلَصَهُ صَاحِبُ صِقْلِيَّةَ وَاسْتَكْفَاهُ ثُمَّ هَلَكَ وَوَلَّى ابْنُهُ  
فَأَسْخَطَهُ بَعْضُ الذِّعَاعَاتِ وَخَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَحِقَ بِتُونِسَ وَنَزَلَ عَلَى السَّيِّدِ بِهَا مِنْ بَنِي  
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَجَازَ مَرَائِشَ فَتَلَقَّاهُ الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَبْرَةِ  
وَالْكَرَامَةِ وَأَجْزَلَ الصَّلَاةَ وَقَلَّدَهُ أَمْرَ أَسَاطِيلِهِ فَجَلَّى فِي جِهَادِ أَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَتْ  
لَهُ آثَارٌ وَأَخْبَارٌ وَمَقَامَاتٌ مَذْكُورَةٌ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ \* وَانْتَهَتْ أَسَاطِيلُ  
الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِهِ فِي الْكُتْرَةِ وَالْإِسْتِجَادَةِ إِلَى مَا لَمْ تَبْلُغْهُ مِنْ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ فِيمَا  
عَهْدَنَاهُ وَلَمَّا قَامَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ مَلِكُ مِصْرَ وَالشَّامِ لِعَهْدِهِ بِاسْتِزْجَاعِ  
تُغُورِ الشَّامِ مِنْ يَدِ أَمْرِ النَّصْرَانِيَّةِ وَتَطْهِيرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَتَابَعَتْ أَسَاطِيلُهُمْ بِالْعَمْدِ  
لِتِلْكَ الثُّغُورِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَرِيبَةٍ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي كَانُوا قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ فَأَمْدُوهُمْ  
بِالْعَمْدِ وَالْأَفْوَاتِ وَلَمْ يُقَاوِمُوهُمْ أَسَاطِيلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ لِاسْتِمْرَارِ الْغَلَبِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ  
الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْبَحْرِ وَتَعَدَّدُ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِ وَضَعَفَ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ  
عَنْ مُمَانَعَتِهِمْ هُنَاكَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ قَبْلُ فَأَوْفَدَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى أَبِي يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ  
سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ لِعَهْدِهِ مِنَ الْمُوحِدِينَ رَسُولَهُ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ مُنْقِذٍ مِنْ بَنِي مُنْقِذٍ

مُلُوكٍ شَبِيرٍ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبْقَى عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ فَبَعَثَ عَبْدَ الصَّغِيرِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِيَحُولَ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَاهِمِ مِنْ أَمْدَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِغُورِ الشَّامِ وَأَصْحَبَةِ كِتَابِهِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّافِيِّ يَقُولُ فِي افْتِتَاحِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَنَاجِحِ وَالْمِيَامِ حَسْبَمَا  
 نَقَلَهُ الْعِمَادُ الْأَصْنَهَائِيُّ فِي كِتَابِ الْقِتْعَةِ الْقَيْسِيَّةِ فَنَقِمَ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ نَجَافِيَهُمْ عَنْ  
 خِطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَنَاجِحِ الْبَرِّ وَالْمَكْرَمَةِ وَرَدَّهُمْ  
 إِلَى مَرْسُلِهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 عِنَايَةِ الدُّوَلِ بِمَضَرِّ الشَّامِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ لَشَأْنِ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْأَسْطِغَادِ  
 مِنْهَا لِلدُّوَلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَاعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَاسْتَوْلَتْ أُمَمُ  
 الْجَلَالِقَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْجَاوِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَمَلَكَوا  
 الْجَزَائِرَ الَّتِي بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ قَوِيَتْ رِيحُهُمْ فِي بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ وَاسْتَدْتَتْ  
 شُوكَتُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمَسَاوَاةِ مَعَهُمْ  
 كَمَا وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ مَلِكِ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ  
 مَرَامِهِ الْجِهَادِ مِثْلَ عَدَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ أِضْعَافَ الدُّوَلَةِ وَنِسْبَانِ عَوَائِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْبَدَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَانْقِطَاعِ  
 الْعَوَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجَعَ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الدُّرْبَةِ فِيهِ وَالْمِرَانِ  
 عَلَيْهِ وَالْبَصَرِ بِأَحْوَالِهِ وَغَالِبِ الْأُمَمِ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمْ الْمِرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثْرَةً مِنَ الْأَنْصَارِ  
 وَالْأَعْوَانِ أَوْ قِلَّةً مِنَ الدُّوَلَةِ تَسْتَحِيشُ لَهُمْ أَعْوَانًا وَتَوْضِيعُ لَهُمْ فِي هَذَا الْغَرَضِ مَسَلَكًا  
 وَبَقِيَتْ الرُّثْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الدُّوَلَةِ الْغَرْبِيَّةِ تَحْفُوظَةً وَالرَّمَمُ فِي مُعَانَاةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ  
 وَالرُّكُوبِ مَعَهُدًا لِمَا عَمَاهُ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَغْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ  
 الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَمِيبُونَ الرِّيحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ مِنَ الْمُشْتَبَرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 عَنْ كُتُبِ الْحَبْدَانِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُرَّةِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَافْتِتَاحِ مَا وَرَاءَ  
 الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ



## الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا أَلَّةُ إِصْحَابِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّ  
الْحَاجَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى  
الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ فَقَطْ مُنْفَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ وَالسَّيْفُ شَرِيكٌ فِي  
الْمَعُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصِيَّتَهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا  
يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدِمْنَاهُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى  
الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّانُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمْهِيدِهَا  
فَيَكُونُ لِلْسَّيْفِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعُ جَاهًا  
وَأَكْثَرُ نِعْمَةً وَاسْنَى إِفْطَاءً وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينُ صَاحِبُهَا بِغَضِّ الشَّيْءِ عَنِ  
السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمْهَدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ هُمٌّ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمَلِكِ مِنَ الْحَيَاةِ  
وَالضَّبْطِ وَمُبَاهَاةِ الدُّوَلِ وَتَنْفِذِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الدَّعِي لُهُ فِي ذَلِكَ فَتَعَظُمُ الْحَاجَةُ  
إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ اعْتِمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنَابَتْ نَائِبَةٌ أَوْ  
دُعِيَتْ إِلَى سِدْرِ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سِوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا فَيَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي  
هَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْسَعُ جَاهًا وَأَعْلَى رُتَبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَتَرَوُهُ وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا  
وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خُلُوتِهِ نَجِيًّا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ أَلْتَهُ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ  
ثَمَرَاتِ مَلِكِهِ وَالنَّظَرُ إِلَى أَعْظَافِهِ وَتَنْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمُبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ  
الْوُزَرَاءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعِدِينَ عَنِ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذَرِ بْنِ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ  
بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا  
سَكَنَتِ الدَّهْمَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِلْسُّلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَحْوَالًَا اقْتَضَتْهَا الْأُبْهَةُ وَالْبَذْخُ فَيَخْتَصُّ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ

بَانْفَالِهَا عَنِ الرَّعِيَّةِ وَالْبِطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ فَلَنْذَكُرَ مَا هُوَ مُشْتَهَرٌ مِنِّيَا  
بِمَبْلَغِ الْمَعْرِفَةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

الآلة \* فَمِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ اخْتِذَاذُ الْآلَةِ مِنْ نَشْرِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّايَاتِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ  
وَالنَّفْعِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْقُرُونِ وَقَدْ ذَكَرَ أَرِسْطُو فِي الْكِتَابِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ  
أَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ إِزْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْمَائِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النَّفُوسِ  
بِالرَّوْعَةِ وَاتِّمَامِهَا إِنَّهُ أَمْرٌ وَجَدَانِي فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ يُعِدُّهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا  
السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ فَهُوَ صَحِيحٌ بَعْضُ الْأَعْتَابَاتِ \* وَأَمَّا  
الْحَقُّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَنَّ النَّاسَ عِنْدَ سَمَاعِ النِّعَمِ وَالْأَصْوَاتِ يَذَرُكُمَا الْفَرَحَ وَالطَّرَبُ بِلَا  
شَكٍّ قَيْصِبُ مِرَاجِ الرُّوحِ نَشْوَةٌ يَسْتَنِيهِلُ بِهَا الصَّعْبُ وَيَسْتَحْيِي فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ أَلْفَجَمِ بَانْفَعَالِ الْأَيْلِ بِالْحِدَاءِ وَالْخَيْلِ  
بِالصَّنِيرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْثِيرًا إِذَا كَانَتِ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِمَةً كَمَا  
فِي الْغَنَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَحْدُثُ لِسَامِعِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْلِ ذَلِكَ نَتَّخِذُ أَلْفَجَمَ فِي  
مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةَ <sup>(١)</sup> لَا طَبْلًا وَلَا بُوقًا فَيَحْدِقُ الْمَغْنُونُ بِالسُّلْطَانِ فِي  
مَوْكِهِ بِالْأَنهِمِ وَيَغْنُونُ فَيَجْرُكُونَ نَفُوسَ الشُّجْعَانِ بِضَرْبِهِمْ إِلَى الْإِسْتِمَاعَةِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي  
حُرُوبِ الْعَرَبِ مَنْ يَتَغَنَّى أَمَامَ الْمَوْكِبِ بِالشَّعْرِ وَيُطَرِبُ فَيُجِيشُ هُمُ الْأَبْطَالِ بِمَا فِيهَا  
وَيُسَارِعُونَ إِلَى نَجَالِ الْحَرْبِ وَيَبْتَغِي كُلُّ فَرَسٍ إِلَى فَرَسِهِ وَكَذَلِكَ زَنَانَةُ مِنْ أُمَّةِ الْمَغْرِبِ  
يَتَقَدَّمُ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصُّنُوفِ وَيَتَغَنَّى فَيَجْرُكُ بِغِنَائِهِ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي وَيَبْتَغِي عَلَى  
الْإِسْتِمَاعَةِ مَنْ لَا يَظُنُّ بِهَا وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ الْغَنَاءَ تَأْصُوكَايَةِ وَأَصْلُهُ كُلُّهُ فَرَحٌ يَحْدُثُ فِي  
النَّفْسِ فَيَتَبَعُ عَنْهُ الشُّجَاعُ كَمَا تَبْتَغِي عَنْ نَشْوَةِ الْحَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْفَرَحِ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَأَمَّا تَكْنِيَةُ الرَّايَاتِ وَتَلَوْنَهَا وَإِطَالَتُهَا فَالْقَصْدُ بِهِ التَّهْوِيلُ لِأَنَّ كَثْرَتَ وَرُبَّمَا تَحْدُثُ  
فِي النَّفُوسِ مِنَ التَّهْوِيلِ زِيَادَةٌ فِي الْأَقْدَامِ وَأَحْوَالِ النَّفُوسِ وَتَلَوْنَهَا غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ خَلَّاقُ  
الْعَالَمِ \* ثُمَّ إِنَّ الْمُلُوكَ وَالْأُدُولَ يَخْتَلِفُونَ فِي اخْتِذَاذِ هَذِهِ الشَّارَاتِ فَمِنْهُمْ مَكْثَرٌ وَمِنْهُمْ  
مُقَلِّلٌ يُحَسِّبُ اتِّسَاعَ الدَّوْلَةِ وَعَظَمَتَهَا فَأَمَّا الرَّايَاتُ فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحُرُوبِ مِنْ عَوْدِ الْخَلِيقَةِ

(١) قوله موسيقية وفي نسخة المرسية اري: وهي صحيحة لان الموسيقى بكسر الهمزة بين الغنيتين اسم للنغم  
والانحان وتوقعها ويقال فيها موسيقي وبقال لصارب الالة موسيقار انظار اول سبعة الشيخ محمد شهاب

وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ نَعَقِدُهَا فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْفُرُوقِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرْعُ الطُّبُولِ وَالنَّخْجِ فِي الْأَبْوَاقِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
الْعَمَلَةِ مُتَجَافِينَ عَنْهُ تَنْزَعًا عَنْ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفَضًا لِأَحْوَالِهِ وَاحْتِقَارًا لِأُيُوتِهِ الَّتِي لَبَسَتْ  
مِنَ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ مُلْكًا وَتَبَحُّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا وَلَابَسَهُمْ  
الْعُمَالِي مِنَ الْفَرَسِ وَالزُّرُومِ أَهْلُ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ وَأَرْوَمُ مَا كَانَ أَوَّلُكَ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
مَذَاهِبِ الْبَذَخِ وَالزَّرْفِ فَكَانَ مِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذُ آلَةٍ فَآخَذُوهَا وَأَذْنُوا لِعَمَالِهِمْ  
فِي اتِّخَاذِهَا تَنْوِيهَا بِالْمَلِكِ وَأَهْلِهِ فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ صَاحِبَ الثَّرَوَةِ أَوْ قَائِدَ الْجَيْشِ  
يَعْتَمِدُ لَهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوِ الْعَبِيدِيِّينَ لَوَاقِهِ وَيَخْرُجُ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ عَمَلِهِ مِنْ دَارِ  
الْخَلِيفَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوَكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرِّايَاتِ وَالْآلَاتِ فَلَا يُعَيِّرُ بَيْنَ مَوَكِبِ الْعَامِلِ  
وَالْخَلِيفَةِ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْأَلْوِيَةِ وَقِلَّتِهَا أَوْ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ لِرَايَتِهِ كَالسَّوَادِ  
فِي رَايَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ رَايَاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا حَزَنًا عَلَى شُهُدَائِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَنَعِيمًا  
عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِلَّذَلِكَ سُمُّوا الْمُسَوَّدَةُ \* وَلَمَّا اقْتَرَقَ أَمْرُ الْأَهَاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَهَبُوا إِلَى مُحَالَفَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَاتَّخَذُوا  
الرَّايَاتِ بَيْضًا وَسُمُّوا الْمَبْيُضَةُ لِذَلِكَ سَازَرُ أَيَّامِ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ وَدَاعِي صَعْدَةَ أَوْ مِنْ دَعَا إِلَى بِدْعَةِ الرَّاغِضَةِ  
مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْقَرَامِطَةِ وَلَمَّا نَزَعَ الْمَأْمُونُ عَنْ نُبْسِ السَّوَادِ وَشِعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
لَوْنِ الْخَضِرَةِ فَعَمَلُ رَايَتِهِ خَضِرَاءُ وَأَمَّا الْأَسْتِمْكَارُ مِنْهَا فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَقَدْ كَانَتْ  
آلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ أَمَّا خَرَجَ الْعَزِيزُ إِلَى قَتَمِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْبُيُودِ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ  
الْأَبْوَاقِ وَأَمَّا مُلُوكُ الْبَرَبَرِ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْهَاجَةٍ وَغَيْرِهَا فَلَمْ يُخْصُوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
وَشَوْهَا بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُوهَا مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ مُلَوَّنَةً وَأَسْتَمَرُّوا عَلَى الْأَذْنِ فِيهَا لِعَمَالِهِمْ  
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنَانَةِ قَصْرُوا آلَةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالْبُيُودِ  
عَلَى السُّلْطَانِ وَحَظَرُوهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عُمَالِهِ وَجَعَلُوا لَهَا مَوَكِبًا خَاصًّا يَتَّبِعُ أَثَرُ السُّلْطَانِ  
فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةِ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مَكْبَرٍ وَمُقَلٍّ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي ذَلِكَ  
فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبَرُّكَ بِأَسْبَعَةٍ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَبَنِي  
الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنَانَةِ وَقَدْ بَلَّغَتْ فِي

أَيَّامَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ فِيمَا أَدْرَكَنَاهُ مِائَةً مِنَ الطُّبُولِ وَمِائَةً مِنَ الْبُنُودِ مُلَوَّنةً  
بِالْحَرِيرِ مُنْسُوجَةً بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَبِأَذْنُونِ الْوَلَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْقَوَادِ فِي  
اتِّخَاذِ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الصِّكَّاتِ بِيَضَاءٍ وَطَبْلٍ صَغِيرٍ أَيَّامَ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوَزُونَ  
ذَلِكَ وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا  
خَصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الثَّالِثَ وَالْخَمْسَ وَهِيَ شَعَارُ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ تَتَعَدُّ  
الرَّايَاتُ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاقِقُ وَاحِدُهَا سَنَقَقٌ وَهِيَ الرَّايَةُ بِلِسَانِهِمْ. وَأَمَّا الطُّبُولُ فَيُبَالِغُونَ  
فِي الْأَصْنِيفَاتِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيُبَيِّنُونَ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدٍ عَسْكَرٍ أَنْ  
يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْخَيْزُرَ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ. وَأَمَّا الْجَلَالِقَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ  
أَمْرِ الْأَفْرَنْجِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتِّخَاذُ الْأَلْوِيَةِ الْقَلِيلَةِ ذَاهِبَةٍ فِي خَبَرٍ صَعْدًا  
وَمَعَهَا قَرَعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَائِيرِ وَتَفْخُ الْغَيْطَاتُ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبَ الْغِنَاءِ وَطَرِيقَهُ فِي مَوَاطِنِ  
حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِلْعَالَمِينَ

(السريز). وَأَمَّا الدَّرِيرُ وَالْمَنْبَرُ وَالتَّغْتُ وَالْكُرْسِيُّ فَيَحْيَا أَعْوَادُ مَنْصُوبَةٌ أَوْ أَرَاكُ  
مُنْصَدَّةٌ لِحُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا مُرْتَفَعًا عَنْ أَهْلِ تَجْلِسِهِ أَنْ يُسَاطِرَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ  
ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَسِرَةِ الذَّهَبِ  
وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كُرْسِيُّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مُغَشًى بِالذَّهَبِ  
إِلَّا أَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدُّوَلُ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِخْفَالِ وَالتَّرَفِ شَأْنِ الْأُيُتَمَةِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا  
وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدَّوَلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ  
مُعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ بَدَنْتُ فَأَذِنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ  
الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأُيُتَمَةِ وَلَقَدْ كَانَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِيِّ بِمِصْرَ يَجْلِسُ  
فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُقَوْقِسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
يَحْمُلُوهُ عَلَى الْأَيْدِي لِحُلُوسِهِ شَأْنِ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامَهُ وَلَا يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِ وَفَاءَهُ  
بِمَا اعْتَقَدَ مَعَهُمْ مِنَ الدِّيمَةِ وَاطَّرَاحًا لِأُيُتَمَةِ الْمُلْكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنِي الْعَبَّاسِ  
وَالْعَيْدِيِّينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْفًا وَغَرَبًا مِنَ الْأَسِيرَةِ وَالْمَنَائِرِ وَالنُّخُوتِ مَا عَفَا عَنْ  
الْأَكْثَرِ وَالْقَاصِرَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(السكة) هِيَ الْخَتَمُ عَلَى الدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ بِطَاعِ حَدِيدٍ يُنْقَشُ فِيهِ صُورٌ أَوْ كَلِمَاتٌ مَقْلُوبَةٌ وَبُضْرُبُ بِهَا عَلَى الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهِمِ فَتُخْرَجُ رُسُومُ تِلْكَ النُّقُوشِ عَلَيْهَا ظَاهِرَةً مُسْتَقِيمَةً بَعْدَ أَنْ يُعْتَبَرَ عِيَارُ النِّقْدِ مِنْ ذَلِكَ الْخَنْسِ فِي خُلُوصِهِ بِالسَّبَكِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَبَعْدَ تَقْدِيرِ اشْخَاصِ الدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ بِوِزْنٍ مُعَيَّنٍ صَحِيحٍ يُصْطَلَحُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ التَّعَامُلُ بِهَا عَدَدًا وَإِنْ لَمْ تُقَدَّرْ أَشْخَاصُهَا يَكُونُ التَّعَامُلُ بِهَا وَزَنًا وَلَفْظُ السَّيَكَةِ كَانَ أَمَّا لِلطَّاعِ وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي تُنْقَشُ عَلَيْهَا ذَلِكَ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى آتَرِهَا وَهِيَ النُّقُوشُ الْمَائِلَةُ عَلَى الدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْقِيَامِ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّظَرِ فِي اسْتِنَاءِ حَاجَاتِهِ وَشُرُوطِهِ وَهِيَ الْوُظَيْفَةُ فَصَارَ عِلْمًا عَلَيْهَا فِي عُرْفِ الدُّوَلِ وَهِيَ وَظَيْفَةُ ضَرُورِيَّةٍ لِلْمَلِكِ إِذْ بِهَا يَتَمَيَّزُ الْخَالِصُ مِنَ الْمَعْشُوشِ بَيْنَ النَّاسِ فِي النُّقُودِ عِنْدَ الْمُعَامَلَاتِ وَيَتَقَوَّنُ فِي سَلَامَتِهَا الْعِشُّ بِحُتْمِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا بِتِلْكَ النُّقُوشِ الْمَعْرُوفَةِ وَكَانَ مُلُوكُ الْعَجَمِ يَتَّخِذُونَهَا وَيَنْقُشُونَ فِيهَا تَمَائِيلَ تَكُونُ مُخْصُوصَةً بِهَا مِثْلَ تِمْنَالِ السُّلْطَانِ لِعَهْدِهَا أَوْ تَمَثِيلِ حُصْنٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ مَصْنُوعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الشَّأْنُ عِنْدَ الْعَجَمِ إِلَى آخِرِ أَمْرِهِمْ . وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَغْنَى ذَلِكَ لِسَادَةِ الدِّينِ وَبِدَاوَةِ الْعَرَبِ وَكَانُوا يَتَعَامَلُونَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَزَنًا وَكَانَتْ دَّنَانِيرُ الْفَرَسِ وَدَرَاهِمُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيُرَدُّونَهَا فِي مُعَامَلَتِهِمْ إِلَى الْوِزْنِ وَيَتَصَارَفُونَ بِهَا بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ تَفَاحَشَ الْعِشُّ فِي الدَّنَانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ لِعِثْلَةِ الدَّوْلَةِ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجُ عَلَى مَا نَقَلَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو الزَّيْنَادِ بِضْرُبِ الدَّرَاهِمِ وَتَمَيِّيزِ الْمَعْشُوشِ مِنَ الْخَالِصِ وَذَلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِصَرْفِهَا فِي سَائِرِ التَّوْحِي سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَكُتِبَ عَلَيْهَا اللَّهُ أَحَدُ اللَّهِ الْعَمَدُ ثُمَّ وَلِيَ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْعِرَاقَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَجَوَّدَ السَّيَكَةَ ثُمَّ بَلَغَ خَالِدُ الْقَسْرِيُّ فِي تَجْوِيدِهَا ثُمَّ يُوْسُفُ بْنُ عُمَرَ بَعْدَهُ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالْدَّرَاهِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْعِرَاقِ سَنَةَ سَبْعِينَ بِأَمْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَلِيَ الْحِجَازَ وَكُتِبَ عَلَيْهَا فِي أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ بَرَكَةُ اللَّهِ وَفِي الْآخَرِ أَسْمُ اللَّهِ ثُمَّ غَيَّرَهَا الْحَجَّاجُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ وَكُتِبَ عَلَيْهَا أَسْمُ الْحَجَّاجِ وَقَدَّرَ وَزَنَهَا عَلَى مَا كَانَتْ اسْتَقَرَّتْ أَيَّامَ عُمَرَ وَذَلِكَ أَنَّ الدِّرْهَمَ كَانَ وَزْنُهُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ سِتَّةَ دَوَانِقٍ وَالْمِثْقَالُ وَزْنُهُ دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٌ فَكَانَ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ بِسَبْعَةِ مِثْقَالٍ وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَوَّانَ الدِّرْهَمِ

أَيَّامُ الْفُرْسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمِثْقَالِ عِشْرُونَ فِرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أَحْبَبَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الزُّكَاةِ أَخَذَ الْوَسْطَ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ فِرَاطًا  
فَكَانَ الْمِثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعٍ دِرْهَمٍ وَقِيلَ كَانَتْ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ ثَمَانِيَةً دَوَانِقَ  
وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَوَانِقَ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَةً دَوَانِقَ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةَ دَوَانِقَ فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يُنْطَرَّ  
الْأَغْلَبُ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
دَوَانِقَ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعِهِ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا انْقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمِثْقَالِ كَانَ  
دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اخْتِذَاذَ السِّكَّةِ لِصِيَانَةِ الْقَدِينِ الْجَارِيَيْنِ فِي مُعَامَلَةِ  
الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْغَشِّ عَيْنَ مَقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ لِعَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صُورًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاحِيضَ وَأَظْهَرَهَا  
مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ بَنَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَمَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكَةِ كُلِّهَا  
وَكَانَ الدِّينَارُ وَالْدِرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
يُكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ أَمَّا اللَّهُ تَهْلِيلًا وَتَعْلِيدًا وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَفِي  
الْوَجْهِ الثَّانِي التَّأْرِيخُ وَأَسْمُ الْخَلِيفَةِ وَهَكَذَا أَيَّامُ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
وَأَمَّا صِنْفُهَا فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخَرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مُنْصَرِفٌ صَاحِبُ بَيْتَابَةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ  
ابْنُ حَمَادٍ فِي تَارِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْمُهْدِيُّ اخْتِذَاذُ  
سِكَّةِ الدِّرْهَمِ مُرَبَّعَ الشَّكْلِ وَأَنْ يُزَمَّ فِي دَائِرَةِ الدِّينَارِ شَكْلُ مُرَبَّعٍ فِي وَسْطِهِ  
وَيُمْلَأُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَعْلِيدًا وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ كُتِبَ فِي السُّطُورِ بِأَسْمِهِ  
وَأَسْمِ الْخَلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَّ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَلَقَدْ كَانَ الْمُهْدِيُّ فِيمَا يُنْقَلُ يُنْعَتُ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرَبَّعِ نَعْتَهُ بِذَلِكَ  
الْمُسْكَلِمُونَ بِالْحَدَّثَانِ مِنْ قَبْلِهِ الْمُخْبِرُونَ فِي مَلَاحِمِهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
إِهْدَاءَ الْعَهْدِ فَسَكَّتُهُمْ غَيْرَ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالْدَنَانِيرِ وَالْدَرَاهِمِ وَزَنًا بِالصَّبَاحَاتِ  
الْمُقَدَّرَةِ بَعْدَهُ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نَقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَأَسْمِ  
السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

وَلَتُخْتَمَ الْكَلَامُ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالْدِّينَارِ الشَّرْعِيَيْنِ وَيَبَانَ  
حَقِيقَةُ مَقْدَارِهِمَا

وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَارَ وَالذِّرْهَمَ مُخْتَلَفَا السِّكَّةِ فِي الْمِقْدَارِ وَالْمَوَازِينِ بِالْأَفَاقِ  
وَالْأَمْصَارِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالشَّرْعُ قَدْ تَعَرَّضَ لِدَرْهَمَيْهِمَا وَعَلَّقَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ  
بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ وَالْأَنْكَحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا فَلَا بُدَّ لَهُمَا عِنْدَهُ مِنْ حَقِيقَةِ وَمِقْدَارِ  
مَعْيُنٍ فِي التَّقْدِيرِ تَجْرِي عَلَيْهِمَا أَحْكَامُهُ دُونَ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ مِنْهُمَا فَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ  
مُنْعَقِدٌ مُنْذُ صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَعَهْدُ الصَّحَابَةِ وَالْبَاقِينَ أَنَّ الدِّرْهَمَ الشَّرْعِيُّ هُوَ الَّذِي تَزُنُ  
الْعَشْرَةُ مِنْهُ سَبْعَةُ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَوْفَى مِنْهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَهُوَ عَلَى هَذَا سَبْعَةُ  
أَعْشَارِ الدِّينَارِ وَوزن المِثْقَالِ مِنَ الذَّهَبِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ فَالدِّرْهَمُ  
الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ أَعْشَارِهِ تَمْسُونُ حَبَّةً وَخُمْسًا حَبَّةً وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْإِجْمَاعِ  
فَإِنَّ الدِّرْهَمَ الْجَاهِلِيَّ كَانَ يَنْتَهِي عَلَى أَنْوَاعٍ أَجْوَدَهَا الطَّبْرِيُّ وَهُوَ أَرْبَعَةُ دَوَانِقٍ وَابْنُ  
وَهُوَ ثَمَانِيَةُ دَوَانِقٍ لَجَعَلُوا الشَّرْعِيُّ بَيْنَهُمَا وَهُوَ سِتَّةُ دَوَانِقٍ فَكَانُوا يُوجِبُونَ الزَّكَاةَ  
فِي مِائَةِ دِرْهَمٍ بِغَلَّةٍ وَمِائَةِ طَبْرِيَّةٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًا وَقَدْ اخْتَلَفَتِ النَّاسُ هَلْ  
كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ إِجْمَاعِ النَّاسِ بَعْدُ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ .  
ذَكَرَ ذَلِكَ الْخَطَّاطُ فِي كِتَابِ مَعَالِمِ السُّنَنِ وَالْمَوَازِينِ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَأَنْكَرَهُ الْمُتَحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينَارُ وَالذِّرْهَمُ الشَّرْعِيَّانِ  
مَجْهُولَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ بَعْدِهِمْ مَعَ تَعَلُّقِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ  
وَالْأَنْكَحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا كَانَا مَعْلُومِي الْمِقْدَارِ فِي ذَلِكَ  
الْعَصْرِ لَجَرِيَانِ الْأَحْكَامِ يَوْمَئِذٍ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْحُقُوقِ وَكَانَ مِقْدَارُهُمَا غَيْرَ مُتَخَصِّصٍ  
فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارِفًا بَيْنَهُمْ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمِقْدَارِ فِي مِقْدَارِهِمَا  
وَزَنَتْهُمَا حَتَّى اسْتَفْجَلَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ وَدَعَتِ الْحَالُ إِلَى تَشْخِصِهِمَا فِي  
الْمِقْدَارِ وَالْوِزْنِ كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ كِلْفَةِ التَّقْدِيرِ وَقَارَنَ ذَلِكَ أَيَّامَ  
عَبْدِ الْمَلِكِ فَشَخَّصَ مِقْدَارَهُمَا وَعَيَّنَهُمَا فِي الْخَارِجِ كَمَا هُوَ فِي الذَّهْنِ وَنَقَشَ عَلَيْهِمَا  
السِّكَّةَ بِأَسْمِهِ وَتَأْرِيخِهِ أَثَرُ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ وَطَرَحَ الثُّقُودَ الْجَاهِلِيَّةَ رَأْسًا  
حَتَّى خَلَصَتْ وَنَقَشَ عَلَيْهَا سِكَّةً وَتَلَاثَى وَجُودَهَا فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ  
وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيارُ أَهْلِ السِّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمِقْدَارِ الشَّرْعِيِّ فِي  
الدِّينَارِ وَالذِّرْهَمِ وَاخْتَلَفَتْ فِي كُلِّ الْأَفْطَارِ وَالْأَفَاقِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَصَوُّرِ مَقَادِيرِهِمَا

الشَّرْعِيَّةُ ذَهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أَقْبَى يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقُّوقَ  
الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سِكَتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَأَمَّا وَزْنُ  
الَّذِي يَنَارُ بَاتْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسْطِ فَهُوَ الَّذِي تَقْلَهُ الْحَقُّوقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجَاعُ  
إِلَّا أَنْ يَحْزَمَ خَالَفَ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّ وَزْنَهُ أَرْبَعُ وَثَمَانُونَ حَبَّةً . تَقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي  
عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدَّهُ الْحَقُّوقُونَ وَعَدُوهُ وَهَمًّا وَعَلَطًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُعْفِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَوْفِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَتَعَارَفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمَتَعَارَفَةَ  
مُخْتَلَفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَفْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذَهْنًا لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

(الخاتم) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخَطِطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْوُضَائِفِ الْمَلُوكِيَّةِ وَالْخَتَمُ عَلَى  
الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ قَيْلٍ لَهُ إِنَّ الْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ  
كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ  
الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثَ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَصْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِنْهُ قَالَ  
وَنَخْتَمُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيَسَ وَكَانَتْ قَلِيلَةً  
الْمَاءُ فَلَمْ يَدْرِكْ قَعْرَهَا بَعْدُ وَاعْتَمَّ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ  
نَقْشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتَمِ بِهِ وَجْهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى آلَةِ اللَّهِ الَّتِي تَجْعَلُ فِي الْأَصْبَعِ وَمِنْهُ  
تَخْتَمُ إِذَا لَبِسَهُ وَيُطْلَقُ عَلَى النِّهَايَةِ وَالْتَّامِ وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ إِذَا بَلَغْتَ آخِرَهُ وَخَتَمْتُ  
الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي  
وَالدَّرَنَانِ وَيُقَالُ فِيهِ خِتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خِتَامُهُ مِسْكٌ وَقَدْ عَلِطَ مِنْ فَسْرَ ذَلِكَ بِالنِّهَايَةِ  
وَالْتَّامِ . قَالَ لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَاهِمِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ  
مِنْ الْخِتَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَتْمَ يَجْعَلُ لَهَا فِي الدَّنِّ سَدَادَ الطِّينِ أَوْ الْقَارِ يَحْفَظُهَا  
وَيُطَيَّبُ عَرْفَهَا وَذَوْقَهَا فَيُؤَلِّغُ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ  
عَرَفًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْبُودِينَ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا  
صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى آخِرِهَا النَّاسِيءِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نَقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ  
ثُمَّ غُمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَفْحِ الْقِرْطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ



فِي ذَلِكَ الصَّنْعِ وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمٍ آتَى كَالْتَمَعِ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مُرْتَسِمًا فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُهَا وَارْتَسَمَتْ فَقَدْ يَقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْبَسْرَى  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْأَسْفَلِ مِنَ الْيَمْنَى وَقَدْ يَقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيَمْنَى إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْبَسْرَى لِأَنَّ الْحَتْمَ يَقَابُ جِهَةَ الْخَطِّ فِي الصَّنْعِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ يَمِينٍ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْحَتْمُ بِهَذَا الْحَتْمِ بَعْنَسِهِ فِي الْمِدَادِ أَوْ الطِّينِ وَوَضَعِهِ  
 فِي الصَّنْعِ فَتَنْتَقِشَ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى النِّهَايَةِ وَالْإِتْمَامِ بِمَعْنَى صِحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتَوُضُّعِهِ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مُلغَى لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْحَتْمُ بِالْخَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 شَيْءٍ مِنْ نَعْوَتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلَامَةً عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ وَتَوُضُّعِهِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارِفِ عِلَامَةً وَيُسَمَّى خَتْمًا تَشْبِيهًُا لَهُ بِأَثَرِ الْخَاتَمِ الْأَصْفِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَاتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيْ عِلَامَتُهُ وَخَطُّهُ الَّذِي يُفَقِّدُ بِهِمَا أَحْكَامُهُ  
 وَمِنْهُ خَاتَمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْخَلِيفَةِ أَيْ عِلَامَتُهُ قَالَ الرَّشِيدُ لِيَعْنِي بِنِ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوَزَرَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَيُّهِمَا يَعْجَى يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أَحْوِلَ الْخَاتَمَ مِنْ يَمِينِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِيَ لَهُ بِالْخَاتَمِ عَنِ الْوِزَارَةِ لَمَّا كَانَتْ الْعِلَامَةُ  
 عَلَى الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مِنْ وَطَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَهْدِهِمْ وَبَشَهِدَ لَصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ عِنْدَ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصَّلْحِ صَحِيفَةً بَيَضَاءَ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَشْرَطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ  
 فَهُوَ لَكَ وَمَعْنَى الْحَتْمِ هُنَا عِلَامَةُ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِخَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُخْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمٍ لَيْتَن تَنْتَقِشُ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُزِمَ  
 وَعَلَى الْمُدَوِّعَاتِ وَهُوَ مِنَ السَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي الْوَجْهَيْنِ آثَارُ الْخَاتَمِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ  
 خَاتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْحَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيْ الْعِلَامَةَ مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ أَمَرَ لَعَمْرُ بْنُ الزُّبَيْرِ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَفَتَحَ الْكِتَابَ وَصَبَرَ الْمِائَةَ مِائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ  
 فَأَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةُ وَطَلَبَ بِهَا عُمَرَ وَجَسَّهُ حَتَّى قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَاتَّخَذَ مُعَاوِيَةُ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيُونَ الْخَاتَمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكُتُبَ وَلَمْ تَكُنْ

تَحْزُمُ أَيَّ جَعَلَ لَهَا السَّدَادَ وَدِيَوَانُ الْخَتْمِ عِبَارَةٌ عَنِ الْكِتَابِ الْقَائِمِينَ عَلَى إِنْقَازِ  
 صُكْبِ السُّلْطَانِ وَالْخَتْمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْهَلَامَةِ أَوْ بِالْحَزْمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيَوَانُ عَلَى مَكَانِ  
 جُلُوسِ هَؤُلَاءِ الْكِتَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي دِيَوَانِ الْأَعْمَالِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ يَكُونُ  
 إِمَّا بِدَسِّ الْوَرَقِ كَمَا فِي عُرْفِ كِتَابِ الْمَغْرِبِ وَإِمَّا بِإِصْطِقَ رَأْسِ الصَّحِيفَةِ عَلَى مَا  
 تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ كَمَا فِي عُرْفِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ يُجْعَلُ عَلَى مَكَانِ الدَّسِّ أَوْ  
 الْإِصْطِقِ هَلَامَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
 مَكَانِ الدَّسِّ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتِمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ يُفْتَشُ فِيهِ هَلَامَةٌ لِذَلِكَ فَيَرْتَسِمُ  
 النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي الْمَشْرِقِ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللَّصْقِ بِخَاتَمٍ  
 مَنقُوشٍ أَيْضًا قَدْ غُمِسَ فِي مَذَاقٍ مِنَ الطِّينِ مُعَدٍّ لِلْنَّكَ صِبْغُهُ أَحْمَرُ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
 النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ الْخَتْمِ وَكَانَ يُجْلَبُ مِنْ  
 سِرَافٍ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا الْخَاتَمُ الَّذِي هُوَ الْهَلَامَةُ الْمَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
 لِلْسَّدَادِ وَالْحَزْمُ لِلْكِتَابِ خَاصٌّ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلْوَزِيرِ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُرْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيَوَانُ الْكِتَابِ فِي الدُّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
 دُولِ الْمَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ الْخَاتَمُ لِلْإِصْبَعِ فَيَسْتَجِيدُونَ صَوْنَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَيَرْصُمُونَهُ بِالْقُصُوصِ مِنَ الْبَاقُوتِ وَالْقِرُورِ وَجِ وَالزُّمُرُودِ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
 شَارَةً فِي عُرْفِهِمْ كَمَا كَانَتْ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْمُظَلَّةُ فِي الدُّوَلَةِ  
 الْعَبِيدِيَّةِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ بِحُكْمِهِ

(الطراز) \* مِنْ أَهْلِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَذَاهِبِ الدُّوَلِ أَنْ تُزَيَّنَ أَسَاوُهُمْ أَوْ  
 عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أَثْوَابِهِمُ الْمَعْدَّةُ لِلْبَاسِيهِمْ مِنَ الْخَزِيرِ أَوْ الدِّيَاكِجِ أَوْ  
 الْأَبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَتُهُ خَطًّا فِي نَسْجِ الثَّوْبِ الْحَمَامِ وَإِسْدَاءُ بِخَيْطِ الذَّهَبِ أَوْ مَا يَخِلَافُ  
 لَوْنِ الثَّوْبِ مِنَ الْخِيُوطِ الْمَلُوكَةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ عَلَى مَا يُخَصِّمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
 وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ فَتَصِيرُ أَثْيَابُ الْمُلُوكَةِ مُعَلَّمةً بِذَلِكَ الطِّرَازِ قَصْدُ التَّنَوُّهِ  
 بِإِلَاسِهَا مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّنَوُّهِ بِمَنْ يَخْتَصُّ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
 تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ لِوَلَايَتِهِ لَوِطِيَّةً مِنْ وُظَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مُلُوكُ الْعَجَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ  
 يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطِّرَازَ بِصُورِ الْمُلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالٍ وَصُورٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ ثُمَّ

أَعْتَاضَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ بِكُتُبِ أَسْمَائِهِمْ مَعَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَجَرِّي بِجَرِّي  
الْقَالَ أَوْ التَّجَارَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أَمَةِ الْأُمُورِ وَأَفْخَمِ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ  
الدُّورُ الْمَعْدَةُ لِنَسْخِ أَنْوَالِهِمْ فِي قُصُورِهِمْ تَسْتَعِي دُورَ الطَّرَازِ لِدَلِكِ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
النَّظَرِ فِيهَا يَسْعَى صَاحِبُ الطَّرَازِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصِّبَاغِ وَالْآلَةِ وَالْحَاكَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَتَسْهِيلِ الْآتِيهِمْ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يَقْلُدُونَ ذَلِكَ لِحَوَاصِ دَوْلَتِهِمْ وَثِقَاتِ  
مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطُّوَائِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا ضَاقَ  
نِطَاقُ الدُّوَلِ عَنِ التَّرَفِ وَالْفَنَنِ فِيهِ لِيُضِيقَ نِطَاقَهَا فِي الْإِسْتِيلَاءِ وَتَعَدَّدَتْ الدُّوَلُ تَعَطَّلَتْ  
هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ وَالْوَلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدُّوَلِ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ  
بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَوَّلُ أَلَمَانَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لِمَا كَانُوا  
عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّدَاجَةِ الَّتِي لَقْنُوهَا عَنْ إِمَامِيهِمْ مُحَمَّدِ بْنِ تَوْمَرْتِ الْمَهْدِيِّ  
وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
مِنْهَا أَعْقَابُهُمْ آخِرَ الدَّوْلَةِ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ يَتْلُكُ النَّبَاهَةَ وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ فَأَدْرَكْنَا بِالْمَغْرِبِ  
فِي الدَّوْلَةِ الْمَرْبُوبَةِ لِعُقُوبَاتِهَا وَشُمُوحِهَا رَسْمًا جَلِيلًا لَقْنُوهَا مِنْ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَخْمَرِ مُعَاصِرِهِمْ  
بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلَحْجَةٍ شَاهِدَةٍ بِالْآثَرِ وَأَمَّا دَوْلَةُ  
الْتُرْكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْهَا مِنَ الطَّرَازِ تَجَرِّي آخِرُ عَلَى مَقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَعُمُرَانِ  
بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَصْنَعُ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ وَلَيْسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
يَنْسُجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صُنَاعِهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسَمَّوْنَهُ  
الْمَرْزُكَشَ لِقَطْعَةِ الْعَجْمِيَّةِ وَيُرْسَمُ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَيُعَدُّهُ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا  
يُعِدُّونَهُ لِلدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ الْإِلَاقَةِ بِهَا وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفساطيط والسياج

إِعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ وَتَرَفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْفَازَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
الْكُتَّانِ وَالصُّوفِ وَالْقُطْنِ فَيُبَاسِي بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَتَنْوَعُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ  
وَصَغِيرٍ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي الثَّرْوَةِ وَالْبَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ فِي يَوْمِهِمْ  
الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمُلْكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ

إِنَّمَا يَسْكُونُ يَوْمَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ التَّوْبَةِ وَالصُّوفِ وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِعَزَ وَاتِهِمْ وَحُرُوبُهُمْ يَطْعُونُهُمْ وَسَائِرِ  
 حُلَلِهِمْ وَأَحْيَاءِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ إِنْهَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِذَلِكَ كَثِيرَةً الْحُلَلِ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَفَرِّقَةً الْأَحْيَاءُ بَغِيبٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأُخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَخْتِاجُ إِلَى سَافَةِ  
 تَعَشُدُ النَّاسَ عَلَى أَنْتَرِهِ أَنْ يَقِيمُوا إِذَا طَعَنَ وَنَقَلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحِجَاجَ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ وَفَصَّتُهُمَا فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رَوْحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلٍ وَلَا يَبْنِيهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مُقِيمِينَ فِي يَوْمِ رَحِيلِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةً مَشْهُورَةً وَمِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةِ تُعْرَفُ  
 رُبَّةُ الْحِجَاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِزَادَتُهُمْ عَلَى الظُّعْنِ إِلَّا مَنْ بَأْمَنُ بَوَادِرِ  
 الشُّفَاءِ مِنْ أَحْيَائِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْخَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ اخْتَصَّ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهِذِهِ الرُّبَّةَ ثَقَةً بِغَنَائِهِ فِيهَا بِعَصَبِيَّتِهِ وَصِرَافَتِهِ فَلَمَّا تَنَنَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْحِضَارَةِ وَالْبَدَخِ وَزَلُّوا الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَانْتَقَلُوا مِنْ سُكْنَى الْخِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظَهَرِ الْخُفِّ إِلَى ظَهَرِ الْخَافِرِ اخْتَدَوْا لِلْسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ نِيَابَ الْكَتَّانِ  
 يَسْتَعْمِلُونَ مِنْهَا يَوْمًا مُخْتَلَفَةً الْأَشْكَالِ مَقْدَرَةَ الْأَمْثَالِ مِنَ الْقُرَوَاءِ وَالْمُسْتَطِيلَةِ وَالْمَرْبَعَةِ  
 وَيَحْتَفِلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْإِحْتِفَالِ وَالزِّيَّاتِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ لِلْعَسَاكِ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِ وَقَارَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاجًا مِنَ الْكَتَّانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبَزِيرِ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِ أَفْرَاكِ بِالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقَطْرِ لَا يَكُونُ  
 لِقَائِهِ وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ يَخْتِجُ الدَّعَاةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ إِلَى الْمَقَامِ بِقُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ تَخَفُ لِذَلِكَ ظَهَرُهُمْ وَتَقَارِبَتِ السِّيَاجُ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ فِي مُعَسَّكَرٍ وَاحِدٍ يَحْصُرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيطَةٍ  
 زَهْوًا أُنِيقًا لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَاسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَدَخِيَا وَتَرْفِيَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَانَةُ الَّتِي أَظَلَّتْنَا كَانَ سَفَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي يَوْمِ سُكْنَاهُمْ  
 قَبْلَ الْمَلِكِ مِنَ الْخِيَامِ وَالْقِيَاطِينَ حَتَّى إِذَا اخْتَدَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِّ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنَ  
 التَّرَفِّ بِمَكَانٍ إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِ بِهِ تَصِيرُ غَرْصَةً لِلنِّسَاءِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَسْلُمُهُمْ

فِيهِ الصِّحَّةُ وَلِحَفَّتِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ الَّذِينَ تَكُونُ الْأَسْمَانَةُ دُونَهُمْ فَيَجْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَحْفَظِ آخَرٍ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

### المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الْخَلَافِيَّةِ وَمِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ الْأِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرَفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ الْأِسْلَامِ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِمَصَلَّةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سِيَّاحًا عَلَى الْخُرَابِ فَيُجُوزُهُ وَمَا يَلِيهِ فَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَنِيَانَ حِينَ دَعَا الْخَارِجِيَّ وَالْقَصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْيَمَانِيُّ ثُمَّ أَخَذَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَمْيِيزِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ حُصُولِ التَّرَفِّ فِي الدَّوْلَةِ وَالْإِسْتِخْلَالِ شَأْنِ أَحْوَالِ الْأَيَّةِ كُلِّهَا وَمَا زَالَ الشَّأْنُ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْأِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّ الدَّوْلَةِ بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ اقْتِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّ لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَعْلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ ثُمَّ وَلَانَهُمْ عَلَى الْمَغْرِبِ مِنْ صَنَاهِجَةِ بَنُو بَادِيسَ بَقَاسَ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقَلْعَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوحِدُونَ سَائِرَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَنَحْوَ ذَلِكَ الرَّسْمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارَهُمْ وَلَمَّا اسْتَحْلَمَتِ الدَّوْلَةُ وَأَخَذَتْ بِحِطِّهَا مِنَ التَّرَفِّ وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مُلُوكِهِمْ فَأَخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةٌ لِمُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الدَّوْلَةِ سُنَّةً لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخِطْبَةِ فَكَانَ الشَّأْنُ أَوَّلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلَايَةِ الصَّلَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّرَضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الْمَنْبَرَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ لَمَّا بَنَى جَامِعَهُ بِمِصْرَ وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا لِلْخُلَفَاءِ عَلَى الْمَنْبَرِ أَبُو عَبَّاسٍ دَعَا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي خِطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلَ الْعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ وَبَعْدَ أَخَذَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَنْبَرَ بَلَّغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَنْبَرًا تَرْتَفِقُ بِهِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَقَبِكَ فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثَ الْأَيَّةُ وَحَدَّثَ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَانِعُ مِنَ الْخِطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنْبَاهُوا

فِيهِمَا فَكَانَ الْخَطِيبُ يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنِيرِ تَوْبِيهَا بِأَسْمِهِ وَدُعَاءَ لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْحَةَ الْعَالَمِ فِيهِ وَلَآنَ تِلْكَ السَّاعَةُ مَظْنَةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلِمَا ثَبَتَ عَنِ السَّالِفِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعَهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفَرِّدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِئْذَانُ صَارَ الْمُتَعَابِدُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يُشَارِكُونَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِأَسْمِهِمْ عَقِبَ اسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ يَذْهَبُ تِلْكَ الدُّوَلُ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْدُّعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنِيرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحُظِرَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ يَسْتَوْ  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفَلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرِّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 اسْتَوْبِ الْغَضَاةِ وَمَنَاحِي الْبِدَاوَةِ فِي التَّغَاوُلِ وَالْحُسُونَةِ وَيَقْنَعُونَ بِالْدُّعَاءِ عَلَى الْأَيْهَامِ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسَوِّنُ مِثْلَ هَذِهِ الْخَطْبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَنْحَى عَبَّاسِيَّةً يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَّاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَفَ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَحْفَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالْتِصَاحِ بِأَسْمِهِ يُخْصِي  
 أَنَّ يَغْمَرَسِينَ بْنَ زِيَّانَ عَاهِدَ دَوْلَةَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زُكْرِيَّاءَ يَحْيَى بْنُ  
 أَبِي حَنْصَلٍ عَلَى تَلْمِصَانَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطٍ شَرَطَهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ اسْمِهِ عَلَى مَنَابِرِ عَمَلِهِ فَقَالَ يَغْمَرَسِينَ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاءُوا  
 وَكَذَلِكَ يَقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهِدَ دَوْلَةَ بَنِي مُرِينَ حَضَرَهُ رَسُولُ الْمُنتَصِرِ الْخَلِيفَةِ  
 بُتُونِسَ مِنْ بَنِي أَبِي حَنْصَلٍ وَتَالَتْ مَلُوكُهُمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضُ أَيْامِهِ عَنْ تُهْمِهِمْ لِمَجْدَعَةٍ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لِحُلُولِ الْخَطْبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأَذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بَدَائِئِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْغَضَاةِ  
 وَالْبِدَاوَةِ فَإِذَا أَتَتْهُنَّ عِيُونَ سِيَاسَتِهِنَّ وَنَظَرُوا فِي أَعْطَافِ مَلِكِهِمْ وَاسْتَنْدَسُوا شَيْئَاتِ  
 الْحِضَارَةِ وَمَمَاقِي الْبَذَخِ وَالْأَهْبَةِ اتَّحَلُّوا جَمِيعَ هَذِهِ السِّمَاتِ وَفَتَنُوا فِيهَا وَتَجَارَوْا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَقْنَعُوا مِنَ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا وَجَزَعُوا مِنْ ائْتِقَادِهَا وَخَلُّوا دَوْلَتِهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 بُسْتَانٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها  
 اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تنزل واقعة في الخليفة منذ براهها الله واصلمها

إِرَادَةَ اِنْتِقَامِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَتَعَصَّبَ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلُ عَصِيَّتِهِ فَإِذَا تَدَامَرُوا لِذَلِكَ وَتَوَافَقَتْ أَطْفَافُهُمَا إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ اَلْاِنْتِقَامَ وَالْأُخْرَى تُدَافِعُ كَأَنَّ الْحَرْبَ وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ لَا تَخْلُوعُهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَسَبَبُ هَذَا اَلْاِنْتِقَامِ فِي الْآ كَثَرٍ إِمَّا غِيْرَةً وَمُنَافَسَةً وَإِمَّا عُدُوَانٌ وَإِمَّا غَضَبُ اللَّهِ وَلِدِينِهِ . وَإِمَّا غَضَبُ الْمَلِكِ وَسَعْيٌ فِي تَمْوِيدِهِ فَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ اَلْمَتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ اَلْمُتَنَازِرَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ اَلْعُدُوَانُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ اَلْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِينَ بِالْفَقْرِ كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكِ وَالتُّرْكُمَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ وَمَعَاهِمْ نِيْمًا بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ أَذْنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُغْيَةَ لَهُمْ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُبِيَّةٍ وَلَا مَلِكٍ وَإِنَّمَا هُمُومُهُمْ وَنُصْبُ أَعْيُنِهِمْ غَلْبُ الْأَسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالثَّالِثُ هُوَ اَلْمُسَمَّى فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجَبَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ اَلْخَارِجِينَ عَلَيْهَا وَاَلْمُتَنَازِعِينَ لِبَطَاعَتِهَا فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ الْحُرُوبِ اَلصِّفَتَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبٌ بَغْيِي وَفِتْنِيَّةٌ وَالصِّفَتَانِ الْآخِرَتَانِ حُرُوبُ جِهَادٍ وَعَدَلٍ وَصِفَةُ الْحُرُوبِ اَلْوَاقِعَةِ بَيْنَ أَهْلِ اَلْخَالِقَةِ مِنْذُ أَوَّلِ وُجُودِهِمْ عَلَى نَوْعَيْنِ نَوْعٍ بِالرَّحْفِ صُوفًا وَنَوْعٍ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ أَمَّا الَّذِي بِالرَّحْفِ فَهُوَ قِتَالُ الْجَحِمِ كُلِّهِمْ عَلَى تَعَاظٍ أَجْيَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِي بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ مِنَ أَهْلِ اَلْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الرَّحْفِ أَوْثَقُ وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكَرِّ وَالْفَرِّ وَذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ تُرْتَبُ فِيهِ الصُّوفُ وَتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُوفُ الصَّلَاةِ وَيَمْسُونَ بِصُوفِهِمْ إِلَى اَلْعَدُوِّ قُدَمًا فَلِذَلِكَ تَكُونُ أَثْبَتَ عِنْدَ اَلْمَصَارِعِ وَأَصْدَقَ فِي اَلْقِتَالِ وَأَرْهَبَ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّهُ كَالْحَائِطِ اَلْمُمْتَدِّ وَالْقَصْرِ اَلْمَشِيدِ لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ وَفِي اَلتَّنْزِيلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ أَيْ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِاَلثَّبَاتِ وَفِي اَلْحَدِيثِ اَلْكَرِيمِ اَلْمُؤْمِنُ اَلْمُؤْمِنُ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ إِجْبَابِ الثَّبَاتِ وَتَعَرُّمِ النُّوْلِ فِي الرَّحْفِ فَإِنَّ اَلْمَقْصُودَ مِنَ اَلصَّفِّ فِي اَلْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا هُ فَمَنْ وَلَّى اَلْعَدُوَّ ظَهْرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِاَلْمَصَافِرِ وَبَاءَ بِأَثْمَرِ اَلْمُرْجَمَةِ إِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَأَنَّهُ جَرَّمَا عَلَى اَلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا مَنْ مَكَنَ مِنْهُمْ عَدُوَّهُمْ فَعَظُمَ اَلذَّنْبُ لِعُمُومِ اَلْمُفْسَدَةِ وَتَعَدِّيهِهَا إِلَى الَّذِينَ يَخْرُجُ سِيَاحِهِ قَعْدٌ مِنَ اَلْكِبَارِ وَيَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ اَلْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ أَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَأَمَّا قِتَالُ الْكَرِّ وَالْفَرِّ فَلَيْسَ فِيهِ

مِنَ الشِّدَّةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْهَرَمَةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَخَذُونَ وَرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يَجْأُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَرْ وَالْقَرْ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامُ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 نَذَرَهُ بَعْدُ ثُمَّ إِنَّ الدُّوْلَةَ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُنُودِ الْمُتَسِعَةَ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجِيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونها كَرَادِيسَ وَيُسَوُّونَ فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ صُوفَةً وَسَبَبُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُنُودُهُمْ الْكَثِيرَةُ الْبَالِغَةُ وَحْشِدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النَّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي تَجَالِ الْحَرْبِ وَأَعْتَرَوْا مَعَ عَدُوِّهِمُ الطَّعْنَ  
 وَالضَّرْبَ فَيُخْشَى مِنْ تَدَاخُلِهِمْ فَبِمَا بَيْنَهُمْ لِأَجْلِ النُّكْرَاءِ وَجْهَلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْعَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَقْسِمُونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرْتَبِئُونَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ وَرَبِيسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ النُّعْبَةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالْدُّوْلَتَيْنِ وَصَدْرَ الْأَسْلَامِ فَيَعْمَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ عَسَاكِرًا مُتَرَدِّدَةً بِصُوفِهِ مَتَمِّيزًا بِقَائِدِهِ وَرَايَتِهِ وَشِعَارِهِ وَيُسَمُّونَ الْمَقْدَمَةَ  
 ثُمَّ عَسَاكِرًا آخَرَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى سَمْتِهِ يُسَمُّونَهَا الْمِيعَنَةَ ثُمَّ عَسَاكِرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشِّمَالِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهَا الْمَيْسِرَةَ ثُمَّ عَسَاكِرًا آخَرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسَاكِرِ  
 يُسَمُّونَهَا السَّافَةَ وَيَقِفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْقِفَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ التَّحَكُّمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصَرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرُهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسَاكِرَيْنِ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أَعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْقَلَّةِ وَالْكَثَرَةِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ النُّعْبَةِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفَتْوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدُّوْلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتْ الْعَسَاكِرُ لِعَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَتَخَلَّفُ  
 عَنْ رَجُلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي النُّعْبَةِ فَأَخْبِجْ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنِ ذَلِكَ الْجَنَاحُ  
 ابْنُ يُونُسَ كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدُّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ يَجْهَلُ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا أَدْرَكْنَا دَوْلًا قَائِلَةً بِالْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي تَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّنَاكُرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجِيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْعَلُهُمْ  
 لَدَيْنَا حَالَةً أَوْ مَدِينَةً وَيَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَرْنَهُ وَيُنَادِيهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِاسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَاسْتَفْتَى عَنْ تِلْكَ النُّعْبَةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكَرْ وَالْقَرْ فِي الْحُرُوبِ قَرْنُ الْمَصَافِ وَرَاءَ عَسَاكِرِهِمْ مِنْ



الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ أَنْعَمَ فَيَتَّخِذُونَهَا مَلْجَأً لِلْخَيْالَةِ فِي كَرِّهِمْ وَقَرِّهِمْ يَطْلُبُونَ بِهِ ثَبَاتَ  
الْمُقَاتِلَةِ لِيَكُونَ أَدْوَمَ لِلْحَرْبِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْقَلْبِ وَقَدْ بَقِيَ لَهُ أَهْلُ الرِّحْفِ أَيْضًا  
لِيَزِيدَهُمْ ثَبَاتًا وَشِدَّةً فَقَدْ كَانَ الْفَرَسُ وَهُمْ أَهْلُ الرِّحْفِ يَتَّخِذُونَ الْقَبِيلَةَ فِي الْحُرُوبِ  
وَيَعْمَلُونَ عَلَيْهَا أَتْرَاجًا مِنَ الْخَشَبِ أَمْثَالَ الصُّرُوحِ مَشْحُونَةً بِالْمُقَاتِلَةِ وَالسَّلَاحِ وَالرَّايَاتِ  
وَيَصِفُونَهَا وَرَاءَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ كَأَنَّهَا حِصُونٌ فَتَقْوَى بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ وَيَزْدَادُ وَثُوقُهُمْ  
وَأَنْظَرُ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقَادِسيَّةِ وَإِنْ فَارِسَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَشْتَدُّوا بِهِمْ عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَشْتَدَّتْ رِجَالَاتُ مِنَ الْعَرَبِ فَمَالَطُوهُمْ وَبَعَّجُوهُمْ بِالسِّيُوفِ عَلَى خَرَاطِيحِهَا  
فَنَفَرَتْ وَتَكَصَّتْ عَلَى أَغْصَانِهَا إِلَى مَرَابِطِهَا بِالْمَدَائِنِ فَجَفَأَ مَعْسُكُ فَارِسَ لِذَلِكَ وَانْهَزَمُوا  
فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ \* وَأَمَّا الرُّومُ وَمُلُوكُ الْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرُ النِّعَمِ فَكَانُوا يَتَّخِذُونَ  
لِذَلِكَ الْأَمِيرَةَ يَنْصُبُونَ لِلْعَمَلِكِ سَرِيرَهُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَيَعِثُّ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ وَحَاشِيَتِهِ  
وَجُنُودِهِ مِنْ هُوَ زَعِيمٌ بِالْإِسْتِثْنَاءِ دُونَهُ وَتَرْفَعُ الرَّايَاتُ فِي أَرْكَانِ السَّرِيرِ وَيُخَدِّقُ بِهِ سِنَاجُ  
آخَرُ مِنَ الرُّمَاءِ وَالرَّجَالَةِ فَيَعْظُمُ هَيْكَلُ السَّرِيرِ وَيَصِيرُ فِتْنَةً لِلْمُقَاتِلَةِ وَمَلْجَأً لِلْكَرِّ  
وَالْفَرِّ وَجَعَلَ ذَلِكَ الْفَرَسُ أَيَّامَ الْقَادِسيَّةِ وَكَانَ رُسْتُمُ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ نَصَبِهِ لِحُلُومِهِ  
حَتَّى اخْتَلَفَتْ صُفُوفُ فَارِسَ وَخَالَطَتِ الْعَرَبُ فِي سَرِيرِهِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْفَرَاتِ وَقُتِلَ \*  
وَأَمَّا أَهْلُ الْكُرِّ وَالْفَرِّ مِنَ الْعَرَبِ وَأَكْثَرُ الْأُمَمِ الْبَدَوِيَّةِ الرَّحَالَةُ فَيَصْطُونُ لِذَلِكَ  
إِبِلَهُمْ وَالظَّهْرَ الَّذِي يَحْمِلُ ظَهَائِنَهُمْ فَيَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ وَيُسَمُّونَهَا الْخَبُودَةَ وَلَيْسَ أَمَّةٌ  
مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حُرُوبِهَا وَتَرَاهُ أَوْتَقَى فِي الْجُبُولَةِ وَأَمَّنَ مِنَ الْفَرَةِ وَالْهَزِيمَةِ  
وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَقَدْ أَغْلَقْنَاهُ الدُّوْلَ لِعَهْدِنَا بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَاضُوا عَنْهُ بِالظَّهْرِ الْحَامِلِ لِلْأَثْقَالِ  
وَالْفَسَاطِيطِ يَجْعَلُونَهَا سَافَةً مِنْ خَلْفِهِمْ وَلَا تَغْنِي عَنْهُ الْقَبِيلَةُ وَالْإِبِلُ فَصَارَتْ الْعَسَاكِرُ  
بِذَلِكَ عُرْضَةً لِلْهَزَائِمِ وَمُسْتَشْعِرَةً لِلْفِرَارِ فِي الْمَوَاقِفِ \* وَكَانَ الْحَرْبُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ  
كُلَّهُ رَحَقًا وَكَانَ الْعَرَبُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْكُرَّ وَالْفَرَّ لَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلَ  
الْإِسْلَامِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يُقَاتِلُونَ رَحَقًا فَيُضْطَرُّونَ إِلَى مُقَاتَلَتِهِمْ  
بِمِثْلِ قِتَالِهِمْ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَعِثِينَ فِي جِهَادِهِمْ لِمَا رَغِبُوا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ وَلِمَا رَسَخَ  
فِيهِمْ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالزَّخْبِ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ أَقْرَبُ \* وَأَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ الصَّفَّ فِي الْحُرُوبِ  
وَصَارَ إِلَى التَّغْيِثَةِ كِرَادِيْسَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي قِتَالِ الصُّحَاكِ الْخَارِجِيِّ وَالْجُبَيْرِيِّ بَعْدَهُ

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْحَبِيرِيِّ قَوْلِي الْخَوَارِجُ عَلَيْهِمْ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الْيَشْكُرِيُّ وَيُلَقَّبُ أَبَا الْهَلْفَاءِ قَاتَلَهُمْ مَرَوَّانُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَيْهِ أَنْتَهَى. فَتَنُوسِي قِتَالُ الزَّخَفِ بِإِبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تَنُوسِي الصَّفَّ وَرَاءَ الْمُقَاتِلَةِ بِمَا  
 دَاخَلَ الْقَوْلَ مِنَ التَّرَفِّ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَئِذَا كَانَتْ بِدَوِيَّةٍ وَسَكَنَاهُمْ الْحَيَامُ كَانُوا  
 يَسْتَكْتَرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسَكَنَى النِّسَاءُ وَالْوُلَدَانُ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَلُوا عَلَى تَرْفٍ  
 الْمَلِكُ وَالْفُؤَاكِنُ الْقُصُورُ وَالْخَوَاصِرُ وَتَرَكُوا شَأْنَ الْبَادِيَةِ وَالْفَقْرَ نَسُوا لِذَلِكَ عَهْدَ الْإِبِلِ  
 وَالطَّعَامَيْنِ وَصَعِبَ عَلَيْهِمْ اتِّخَاذُهَا فَخَلَفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُنَّ الْمَلِكُ وَالتَّرَفُّ عَلَى اتِّخَاذِ  
 الْفَسَاطِيطِ وَالْأَخْيَةِ فَأَقْصَرُوا عَلَى الظَّهْرِ الْحَامِلِ لِلْإِثْقَالِ <sup>(١)</sup> وَالْأُتَيْتِ وَكَانَ ذَلِكَ صَنِيعَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يُبْقِي كُلُّ الْغَنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى الْأَسْمَانَةِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْأَهْلُ وَالْمَالُ فَيُخَفِّثُ  
 الصَّيْرُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَتَصْرِفُهُمُ الْهَيْعَاتُ وَتُخَفِّمُ صُفُوفُهُمْ. وَلَمَّا ذَكَرْنَا مِنْ فَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَاءَ الْعَسَاكِرِ وَتَأْكِيدِهِ فِي قِتَالِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مَلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنَ  
 الْإِفْرَنْجِ فِي جُنْدِهِمْ وَاخْتَصُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ أَهْلِ وَطَنِهِمْ كُلَّهُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانُ  
 يُتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِ ضَرْبُ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رَدُّهُ الْمُقَاتِلَةَ أَمَامَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مُتَعَوِّدِينَ لِلثَّبَاتِ فِي الزَّخَفِ وَالْإِجْفَالِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ  
 فَانْهَزَمَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ بِإِجْفَالِهِمْ فَاجْتَنَحَ الْمُلُوكُ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمُتَعَوِّدَةِ الثَّبَاتِ فِي الزَّخَفِ وَهُمْ الْإِفْرَنْجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمْ الْمُحَدِّقِينَ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنَ الْأَسْمَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَحْفَظُوا ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَا كَمَا مِنْ  
 تَخَوُّفِ الْإِجْفَالِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ وَالْإِفْرَنْجِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ  
 عَادَتَهُمْ فِي الْقِتَالِ الزَّخَفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أُمَمِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ وَقَاتِلَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ مُمَالَأَتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدْنَا سَبَبَهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ \* وَبَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّةَ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ قَاتَلَهُمْ مُنَاضِلَةً  
 بِالسَّهَامِ وَأَنَّ تَعَيُّنَهُ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَأَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَاءَ صَفٍّ وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيَقْرَعُونَ سِهَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاضَلُونَ

١ قوله للاقتال والابنية مراده بالابنية الحيام كابدل عليه قوله في فصل المحقق الا في قريبا اذا نزلوا وضربوا ابنيهم ا.

جُلُوسًا وَكُلُّ رِدْءٍ لِلَّذِي أَمَامَهُ أَنْ يَكْسِبَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّهَبَا النَّصْرَ لَا حُدَى الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْبَةٌ مُحْكَمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ حَفَرُ الْخَنَادِقِ عَلَى مُعَسْكِرِهِمْ عِنْدَ مَا يَتَقَارَبُونَ لِلرَّحْبِ حَذَرًا مِنْ مَعْرَكَةِ الْبَيَاتِ وَالنَّهْجِ عَلَى الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لِمَا فِي ظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ فَيَلُودُ الْجَيْشُ بِالْقِرَارِ وَتَجِدُ النَّفُوسَ فِي الظُّلْمَةِ سِرًّا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أَرْجَفَتِ الْعَسْكَرُ وَوَقَّتِ الْحَزِيمَةُ فَكَانُوا لِلذَّكَ يَحْتَفِرُونَ الْخَنَادِقَ عَلَى مُعَسْكِرِهِمْ إِذَا نَزَلُوا وَصَرَبُوا أُنْبِيَتِهِمْ وَيُدِيرُونَ الْحَفَائِرَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حِرْصًا أَنْ يُخَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبَيَاتِ فَيَتَخَذَلُوا وَكَانَتْ لِلدُّوَلِ فِي أَمْثَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ أَفْتِدَارٌ بِاخْتِسَادِ الرِّجَالِ وَجَمْعِ الْأَبْيَدِيِّ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْعُمَرَانِ وَتَخَامَةِ الْمَلِكِ فَلَمَّا خَرِبَ الْعُمَرَانُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدُّوَلِ وَقَلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ النُّعْلَةِ نُسِيَ هَذَا الشَّأْنُ جُمْلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَانْظُرْ وَصِيَّةَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَعْرِضُهُ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صَنِيعِ تَجِدَ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي كَلَامِهِ لَهُ فَسَوْا صُنُوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوصِ وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَآخِرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَصْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى السُّيُوفِ عَنْ الْهَامِ وَالتَّوَلَّوْا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَصَوْنٌ لِلْأَسِنَّةِ وَعَضُّوا الْأَنْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ النَّجَاشِ وَأَسْكَنُ الْقُلُوبِ وَأَخْفِئُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْقَشَلِ وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَأَسْعِينُوا بِالْصِّدْقِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ يُقَدِّرُ الصَّبْرُ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يَحْرُسُ الْأَزْدَ عَضُّوا عَلَى التَّوَاجِدِ مِنَ الْأَصْرَاسِ وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ وَشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمٍ مَوْتُورِينَ يَنْتَارُونَ بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ حِقَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدِّمُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ أَمَّا لَا يُسْبِقُوا يَوْمَ وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ شَاعِرُ لِمَتُونَةٍ وَاهِلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشِفِينَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ وَيَصِفُ ثَبَاتَهُ فِي حَرْبٍ شَهَدَهَا وَيَذْكُرُهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَحذِيرَاتٍ تَنْبِيهُكَ عَلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنْ سِيَاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَقَنَّعُ  
وَمَنْ الَّذِي غَدَرَ الْعَدُوَّ بِهِ دَجَى  
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْهَامُ الْأَرْوَعُ  
فَانْقُصْ كُلُّ وَهُوَ لَا يَنْزَعُ

تَمْضِي الْفَوَارِسُ وَالطَّعَانُ بَصْدَهَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ وَضْعِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ  
أَتَى فَرَعْنَمَ يَا بَنِي صَنْهَاجَةَ  
إِنْسَانُ عَيْنٍ لَمْ يُصْنِهَا مِنْكُمْ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَأْشِينِ وَإِنَّهُ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أُسُودُ خَفِيَّةٍ  
يَا تَأْشِفِينَ أَفَمِ لِحَيْتِكَ عُذْرُهُ

عَنْهُ وَيُذْمِرُهَا أَلَوْفَاهُ فَتَزَجُّ  
صُبْحُ عَلَى هَامِ الْجَبُوشِ بَلَمَعُ  
وَالْبِكْمُ فِي الرُّوْعِ كَانَ الْمَفْرَعُ  
حُضْنُ وَقَلْبُ أَسْلَدَتَهُ الْأَضْلَعُ  
لِعَقَابِهِ لَوْ شَاءَ فِيكُمْ مَوْضِعُ  
كُلِّ لِكُلِّ كَرِهِيَّةٍ مُسْتَطَلَعُ  
بِالْأَيْلِ وَالْعُذْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ

### ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ آدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ  
لَا إِنِّي أَذْرِي بِهَا لَكِنِّي  
وَالْبَسَ مِنَ الْخَلْقِ الْمُضَاعَفَةِ الْيُ  
وَالْمُتَدَوِّيِ الرَّقِيقِ فَإِنَّهُ  
وَأَزْكَبَ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةُ  
خَنْدِيقٍ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ تَحْلَةً  
وَالْوَادِ لَا تَعْبُرُهُ وَأَنْزِلْ عَنْهُ  
وَأَجْعَلْ مُنَاجَزَةَ الْجَبُوشِ عَشِيَّةُ  
وَإِذَا تَضَايَقَتِ الْجَبُوشُ بِمَعْرَكٍ  
وَأَصْدَمْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ  
وَأَجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ  
لَا تَسْمَعِ الْكَذَّابَ جَاءَكَ رُجُئًا

كَانَتْ مَلُوكُ الْفَرَسِ قَبْلَكَ تُولَعُ  
ذِكْرِي تَحْضُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَنْفَعُ  
وَصَى بِهَا صُنْعُ الصَّنَائِعِ تَبْعُ  
أَمْضَى عَلَى حَدِّ الدَّلَاصِ وَأَقْطَعُ  
حُصْنًا حَصِينًا لَيْسَ فِيهِ مِدْفَعُ  
سِيَّانٍ تَتَّبِعُ ظَافِرًا أَوْ تُتَّبَعُ  
بَيْنَ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ جَيْشِكَ يَقْطَعُ  
وَوَرَاءَكَ الصِّدْقُ الَّذِي هُوَ أَمْنٌ  
ضَنْكُ فَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ تُوسِعُ  
شَيْئًا فَأُظْهَارُ النُّكُولِ يُضَعِّعُ  
لِلصِّدْقِ فِيهِمْ شَيْعَةً لَا تُخْذَعُ  
لَا رَأْيَ لِلْكَذَّابِ فِيمَا يَصْنَعُ

قَوْلُهُ وَأَصْدَمْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ أَلَيْتُ مُخَالَفَ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدٍ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ لَمَّا وَلَاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْعِرَاقِ فَقَالَ لَهَا سَمِعَ  
وَأَطِيعَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرَكُهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا تَجِبِينَ مُسْرِعًا  
حَتَّى تَتَبَيَّنَ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيدُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
وَالْكَفَّ وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْنَعَنِي أَنْ أُوْمَرَ سَاطِطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ

وَفِي التَّسَرُّعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَنْ يَكَنْ ضِيَاعٍ وَاللَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لَكِنَّ الْحَرْبَ لَا  
يُصْلِحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّنَاقُلَ فِي الْحَرْبِ أَوَّلَى  
مِنَ الْخَفُوفِ حَتَّى يَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّيْرِيُّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ  
أَنَّ الصَّدَمَ بَعْدَ الْبَيَانِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَغْلَمُ \* وَلَا تُؤَوَّقُ فِي الْحَرْبِ بِالظَّفْرِ وَإِنْ  
حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ وَإِنَّمَا الظَّفَرُ فِيهَا وَالْغَلَبُ مِنْ قِبَلِ النَّبْتِ وَالْإِتْقَانِ  
وَيَكُنْ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلَبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْجَيُوشُ  
وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِعَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشُّجْعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صِدْقُ  
الْقِتَالِ وَمَا جَرَى بِجَرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَامٌ مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
الْإِرْجَافِ وَالنَّشَانِيعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَاكِينِ الْمُرْتَقِعَةِ لِيَكُونَ  
الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّمُ الْمُتَخَفِّضُ لِنِزَالِكَ وَفِي الْكُمُونِ فِي الْغِيَاضِ وَمُطْمَئِنِّ الْأَرْضِ  
وَالنَّوَارِي بِالْكَدَى حَوْلَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَتَدَاوُلَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّحُونَ  
إِلَى النِّجَاقِ وَمِثَالُ ذَلِكَ وَإِمَا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَمَوِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
لِلْبَشَرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا تَلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوْلِي الرَّهَبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَخْتَلُ مَرَكَزُهُمْ  
فَقَعُ الْهَزِيمَةِ وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ الْهَزَائِمُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ لِكثَرَتِهَا بِعَمَلٍ لِكُلِّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْغَلَبِ فَلَا بُدَّ مِنْ وَفُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
ضَرُورَةٌ وَلِلَّذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَمِنْ أَمْتَالِ الْعَرَبِ رَبَّ حِيلَةٍ  
أَنْقَعَ مِنْ قَبِيلَةٍ فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّ وَفُوعَ الْغَلَبِ فِي الْحُرُوبِ غَالِبًا عَنْ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
وَوُفُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى النَّبْتِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْيَنَهُ وَتَقَهَّمُ  
مِنْ وَفُوعِ الْغَلَبِ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَوِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَرْتُ  
بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ غَلَبِهِ لِلْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَغَلَبِ  
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفَتْوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفُلُ لِنَبِيِّهِ بِالْإِقَاءِ  
الرُّغْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَنْهَزُوا مُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرُّغْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفَتْوحَاتِ إِلَّا سَلَامِيَّةً كُلِّهَا إِلَّا  
أَنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْعَيُونِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلَبِ فِي الْحَرْبِ أَنْ  
تُفْضَلَ عِدَّةُ الْفَرَسَانِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الشُّجْعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى عَدِيدِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الْآخِرِ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْجَانِبَيْنِ فِيهِ عَشْرَةٌ أَوْ عِشْرُونَ مِنَ الشَّجَعَانِ الْمَشَاهِيرِ وَفِي  
 الْجَانِبِ الْآخَرِ ثَمَانِيَةٌ أَوْ سِتَّةٌ عَشَرَ فَالْجَانِبُ الزَّائِدُ وَلَوْ بِوَاحِدٍ يَكُونُ لَهُ الْقَلْبُ وَأَعَادَ  
 فِي ذَلِكَ وَابْدَى وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي قَدِمْنَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ  
 الْمَعْتَبَرُ فِي الْقَلْبِ حَالُ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَصِيَّةٌ وَاحِدَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّهِمْ  
 وَفِي الْجَانِبِ الْآخَرِ عَصَائِبُ مُتَعَدِّدَةٌ لِأَنَّ الْعَصَائِبَ إِذَا كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً بَقِيَ بَيْنَهَا مِنْ  
 التَّخَاذُلِ مَا يَقَعُ فِي الْوَحْدَانِ الْمُتَفَرِّقِينَ الْفَاقِدِينَ لِلْعَصِيَّةِ تَنْزُلُ كُلُّ عَصَابَةٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً  
 الْوَاحِدِ وَيَكُونُ الْجَانِبُ الَّذِي عَصَابَتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ لَا يَقَاوِمُ الْجَانِبَ الَّذِي عَصَابَتُهُ وَاحِدَةٌ لِأَجْلِ  
 ذَلِكَ فَتَهْتَمُّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ أَصَحُّ فِي الْأَعْيَارِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّرِطُوشِيُّ وَلَمْ يَجْعَلْهُ عَلَى ذَلِكَ  
 الْإِنْسِيَانِ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ فِي حُلَّةٍ وَبَلَدَةٍ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَ ذَلِكَ الدِّقَاقَ وَالْحِدَايَةَ وَالْمُطَابَقَةَ  
 إِلَى الْوَحْدَانِ وَالْجَمَاعَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُمْ لَا يُعْتَبَرُونَ فِي ذَلِكَ عَصِيَّةٌ وَلَا نَسَبًا وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ  
 أَوَّلَ الْكِتَابِ مَعَ أَنَّ هَذَا وَمِثَالَهُ عَلَى تَقْدِيرِ صِحِّهِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ  
 مِثْلُ اتِّفَاقِ الْجَيْشِ فِي الْعُدَّةِ وَصِدْقِ الْقِتَالِ وَكَثْرَةِ الْأَسْلِحَةِ وَمَا أَشَبَّهَا فَكَيْفَ يُجْعَلُ  
 ذَلِكَ كَدِيلًا بِالْقَلْبِ وَمَعْنَى قَدَرْنَا لَكَ الْآنَ أَنَّ شَيْئًا مِنْهَا لَا يُعَارِضُ الْأَسْبَابَ الْخَفِيَّةَ  
 مِنَ الْحَيْلِ وَالْخِدَاعِ وَلَا الْأُمُورَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخِذْلَانِ الْإِلَهِيِّ فَافْهَمْ وَتَهْتَمَّ  
 أَحْوَالُ الْكَوْنِ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ \* وَيُلْحَقُ بِمَعْنَى الْقَلْبِ فِي الْخُرُوبِ وَأَنَّ سَبَابَهُ  
 خَفِيَّةٌ وَغَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ حَالُ الشُّهْرَةِ وَالصِّبْتُ فَقُلْ أَنَّ تَصَادُفَ مَوْضِعًا فِي أَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ  
 النَّاسِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُعْتَمِلِينَ لِلْفَضَائِلِ عَلَى الْعُمُومِ وَكَثِيرٍ مِمَّنْ  
 اشتهَرَ بِالشَّرِّ وَهُوَ بِخِلَافِهِ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تَجَاوَزَتْ عَنْهُ الشُّهْرَةُ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَقَدْ  
 تَصَادَفَ مَوْضِعَهَا وَتَكُونُ طَبَقًا عَلَى صَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشُّهْرَةَ وَالصِّبْتَ إِنَّمَا  
 هُمَا بِالْإِخْبَارِ وَالْإِخْبَارُ يَدْخُلُهَا الدُّهُولُ عَنِ الْمَقَاصِدِ عِنْدَ التَّنَاقُلِ وَيَدْخُلُهَا النَّعْصُ  
 وَالتَّشْيِيعُ وَيَدْخُلُهَا الْأَوْهَامُ وَيَدْخُلُهَا الْجَهْلُ بِمُطَابَقَةِ الْحِكَايَاتِ لِلْأَحْوَالِ خِلَافِهَا  
 بِالْإِلْمِيسِ وَالتَّصَنُّعِ أَوْ لِحَيْلِ النَّاقِلِ وَيَدْخُلُهَا التَّقَرُّبُ لِأَصْحَابِ التَّجَلُّةِ وَالْمَرَاتِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ  
 بِالنِّبَاءِ وَالْمَدْحِ وَتَحْسِينِ الْأَحْوَالِ وَإِشَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ النِّبَاءِ  
 وَالنَّاسُ مُنْتَطَاوِلُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا مِنْ جَاهٍ أَوْ نَزْوَةٍ وَلَيْسُوا مِنَ الْأَكْثَرِ بِرَاضِينَ فِي  
 الْفَضَائِلِ وَلَا مُنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا وَأَيْنَ مُطَابَقَةُ الْحَقِّ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا فَتَخْتَلُ الشُّهْرَةُ عَنْ

أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْتَّجَتِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قلتها وكثرتها

اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلُ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً الْجُمْلَةُ وَآخِرُ الدَّوْلَةِ تَكُونُ  
كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً الْجُمْلَةُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ الَّذِينَ فَلَيْسَتْ  
تَقْتَضِي إِلَّا الْمَغَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْوَزَائِعُ لِأَنَّ مِقْدَارَ  
الرِّكَاهِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا رِكَاهُ الْحُبُوبِ وَالْمَاشِيَةِ وَكَذَا الْجَزْيَةُ وَالْخَرَاجُ  
وَجَمِيعُ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ حُدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سُنَنِ الثَّقَلِ وَالْعَصِيَّةِ  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَالْبِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَامَحَةَ وَالْمُكَارَمَةَ وَخَفَضَ  
الْخِجَاحِ وَالتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالْعَفْلَةَ عَنْ مَحْصِلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقُلُ لِذَلِكَ  
مِقْدَارُ الْوُظَيْفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوُزَيْعَةُ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ تَجْمُعِهَا وَإِذَا قَلَّتْ الْوَزَائِعُ  
وَالْوُظَائِفُ عَلَى الرِّعَايَا نَشَطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْأَعْتِمَارُ وَيَتَزَايَدُ الْحُصُولُ  
الْأَغْنِيَاءُ بِقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَإِذَا كَثُرَ الْأَعْتِمَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ  
فَيَكْثُرُ الْجَبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَتْ مَلُوكُهَا وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ وَاتَّصَفُوا بِالْكِبْسِ وَذَهَبَ سِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّذَاجَةِ وَخُلِقُوا مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالتَّجَافِي  
وَجَاءَ الْمَلِكُ الْمَغْضُوضُ وَالْحِصَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكِبْسِ وَتَخَلَّقَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ  
بِخُلُقِ التَّحَدُّقِ وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَّاجَتُهُمْ بِسَبَبِ مَا أَنْفَسُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ  
فَيَكْثُرُونَ الْوُظَائِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرِّعَايَا وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ  
الْمَغَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظَيْفَةٍ وَوُزَيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِتَكْثُرَ لَهُمُ الْجَبَايَةُ وَيَضَعُونَ  
الْمُكُوسَ عَلَى الْمُبَايَعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرْتُكُمْ بَعْدُ ثُمَّ تَنْدَرُجُ الزِّيَادَاتُ فِيهَا بِمِقْدَارِ  
بَعْدَ مِقْدَارٍ تَنْدَرُجُ عَوَائِدُ الدَّوْلَةِ فِي التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تَنْقَلِ  
الْمَغَارِمُ عَلَى الرِّعَايَا وَتَهْضُمَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةً مَقْرُوضَةً لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ تَنْدَرُجَتْ قَلِيلًا  
قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ مِنْ زَادَهَا عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا مَنْ هُوَ وَاضِعُهَا إِنَّمَا ثَبَتَ عَلَى الرِّعَايَا فِي  
الْأَعْتِمَارِ لِدَهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نَفْسِهِمْ بِقِلَّةِ النِّفْعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْعِهِ وَمَغَارِمِهِ وَبَيْنَ

ثَمَرُهُ وَقَائِدَتِهِ تَنْقُصُ كَثِيرٌ مِنَ الْإِبْدِي عَنِ الْإِعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَنْقُصُ جُمْلَةُ الْحَيَاةِ حِينَئِذٍ يَنْقُصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعُ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مَقْدَارِ الْوُظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النِّقْصَ فِي الْحَيَاةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقَصَ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيعَةٍ إِلَى غَايَةٍ لَيْسَ وَرَاءَهَا نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ لِكثَرَةِ الْإِنْفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْإِعْتِمَارِ وَكَثَرَةِ الْمَعَارِمِ وَعَدَمِ وَفَاءِ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِهِ فَلَا تَزَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصٍ وَمَقْدَارُ الْوَزَائِعِ وَالْوُظَائِفِ فِي زِيَادَةٍ لِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبَرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمُرَانِ يَنْهَابُ الْأَمَالُ مِنَ الْإِعْتِمَارِ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْإِعْتِمَارِ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْإِعْتِمَارِ تَقْلِيلُ مَقْدَارِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمَرِينَ مَا أَمَكَّنَ فَبِذَلِكَ تَبَسَّطُ النُّفُوسُ إِلَيْهِ لِيُثْقِتَهَا بِإِدْرَاكِ الْمَنْفَعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس اواخر الدولة

اعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا بِدَوِيَّةٍ كَمَا قُلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ لِعَدَمِ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا قَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْحَيَاةِ حِينَئِذٍ وَفَاءً بِأَزِيدٍ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنْ حَاجَاتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدَيْنِ الْخُضَارَةِ فِي التَّرَفِ وَعَوَائِدِهَا وَتَجْعَلَ عَلَى نَعْمِ الدَّوْلِ السَّابِقَةِ قَلْبًا فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ خَرَاجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْثُرُ خَرَاجُ السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثَرَةً بِالْغَةِ بِنَفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثَرَةَ عَطَائِهِ وَلَا تَقْبَلُ بِذَلِكَ الْحَيَاةُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْحَيَاةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَاكِمِيَّةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ النَّفَقَةِ فَيَزِيدُ فِي مَقْدَارِ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَاجُ وَالْحَاجَاتُ وَالتَّدْرِيجُ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَاكِمِيَّةِ وَيُذْرِكُ الدَّوْلَةَ الْهَرَمُ وَتَضَعُ عَصَائِهَا عَنْ حَيَاةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِيَةِ فَتَقِلُّ الْحَيَاةُ وَتَكْثُرُ الْعَوَائِدُ وَيَكْثُرُ بِكَثَرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَاةِ بِضَرِبِهَا عَلَى أَلْيَاسَاتٍ وَبِفَرَضِ لَهَا قَدَرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَثْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السَّلَاعِ فِي أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِنُكْثِ مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثَرَةِ الْعَطَاءِ مِنْ زِيَادَةِ الْجُيُوشِ وَالْحَاكِمِيَّةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْغَةِ فَتَكْثُرُ



الْأَسْوَاقُ لِقَادِ الْآمَالِ وَيُؤْذَنُ ذَلِكَ بِاخْتِلَالِ الْعُمَرَاءِ وَبَعْدُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ إِلَى أَنْ تَضْحَلَ وَقَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ بِأَمْصَارِ الْمَشْرِقِ فِي أُخْرِيَّاتِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْعَبِيدِيَّةِ كَثِيرٌ وَفُرِضَتْ الْمَغَارِمُ حَتَّى عَلَى الْحَاجِّ فِي الْمَوْصِمِ وَأَسْقَطَ صَلاَحُ الدِّينِ أَبُو بَنْتِكِ الرُّسُومَ جُمْلَةً وَأَعَاذَهَا بِأَثَارِ الْخَيْرِ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِعَهْدِ الطُّوَّائِفِ حَتَّى مَحَى رِسْمَهُ يُونُسُ بْنُ تَاشَفِينَ أَمِيرُ الْمُرَابِطِينَ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِأَمْصَارِ الْبُحْرَيْنِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ لِهَذَا الْعَهْدِ حِينَ اسْتَبَدَّ بِهَا رُؤَسَاؤُهَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الرابعون

في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا ومفسدة للحجاية

إِذْ عَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا ضَاقَتْ جِبَايَتُهَا بِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّرَفِ وَكَثُرَةِ الْفَوَائِدِ وَالنَّفَقَاتِ وَقَصُرَ الْخَاصِلُ مِنْ جِبَايَتِهَا عَلَى الْوَفَاءِ بِحَاجَاتِهَا وَنَفَقَاتِهَا وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَزِيدِ الْمَالِ وَالْحِجَايَةِ فَتَارَةً تَوْضَعُ الْمَكُوسُ عَلَى بِيَعَاتِ الرِّعَايَا وَأَسْوَاقِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَتَارَةً بَالِزِيَادَةِ فِي الْقَلْبِ الْمَكُوسِ إِنْ كَانَ قَدْ اسْتَحْدِثَ مِنْ قَبْلُ وَتَارَةً بِمُقَاَسَمَةِ الْعُمَالِ وَالْحِجَاةِ وَامْتِكَالِ عِظَامِهِمْ لِمَا يَرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى شَيْءٍ طَائِلٍ مِنْ أَمْوَالِ الْحِجَايَةِ لَا يَظْهَرُ الْخِسَابُ وَتَارَةً بِاسْتِحْدَاثِ التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ لِلسُّلْطَانِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْحِجَايَةِ لِمَا يَرُونَ التِّجَارَةَ وَالْفِلَاحِينَ يَحْصُلُونَ عَلَى الْفَوَائِدِ وَالْغَلَّاتِ مَعَ بَسَارَةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّ الْأَذْيَاحَ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فَيَاخُلُونَ فِي أَكْثِنَابِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ لِاسْتِغْلَالِهِ فِي شِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَالتَّعَرُّضِ بِهَا لِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَتَحْسِينِ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَارِ الْحِجَايَةِ وَتَكْثِيرِ الْفَوَائِدِ وَهُوَ غَلَطٌ عَظِيمٌ وَإِذَا خَالَ الضَّرَرُ عَلَى الرِّعَايَا مِنْ وَجْهِهِ مُتَعَدِّدَةً فَأَوَّلًا مَضَايِقَةُ الْفِلَاحِينَ وَالتِّجَارَةِ فِي شِرَاءِ الْحَيَوَانِ وَالْبَضَائِعِ وَتَنْسِيرِ أَسْبَابِ ذَلِكَ فَإِنَّ الرِّعَايَا مُمَكِّنُونَ فِي الْبَسَارِ مُتَقَارِبُونَ وَمُزَاحِمَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَنْتَهِي إِلَى غَايَةِ مَوْجُودِهِمْ أَوْ تَقَرُّبِ وَإِذَا رَاقَبَهُمُ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ وَمَالَهُ أَعْظَمُ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَحْصُلُ عَلَى عَرَضِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَاتِهِ وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفُوسِ مِنْ ذَلِكَ غَمٌّ وَتَكَدُّهُمْ إِنْ السُّلْطَانُ قَدْ يَنْزِعُ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ غَضًا أَوْ بِإِسْرَ ثَمَنٍ أَوْ لَا يَمِيدُ مِنْ يَنْقَاشِهِ فِي شِرَائِهِ فَيَنْجُسُ ثَمَنَهُ عَلَى بَائِعِهِ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ فَوَائِدُ الْفِلَاحَةِ وَمُعْطَا كُلِّهِ مِنْ زَرْعٍ أَوْ حَرْبٍ أَوْ عَسَلٍ أَوْ سَكَّرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ

الْغَلَّاتِ وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
 تَفَاقَ الْبَيَاعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالُفُ الدَّوْلَةِ فَيُكَلِّفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
 تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشِرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَنْمَانِهَا إِلَّا الْقِيمَ وَأَزِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
 فِي ذَلِكَ نَاصَ أَمْوَالِهِمْ وَبَقِيَ تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِأَيْدِيهِمْ عُرُوضًا جَامِدَةً وَيَبْكُثُونَ عَطْلًا  
 مِنَ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسِبَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الْفَرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ  
 فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السِّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنٍ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
 التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَذْهَبُ رَأْسَ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَيَتَعَدَّدُ ذَلِكَ وَيَتَكَرَّرُ  
 وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْغَنَةِ وَالْمُضَاقِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمَالَهُمْ عَنْ  
 السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فُسَادِ الْحَيَاةِ فَإِنَّ مُعْظَمَ الْحَيَاةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْفَلَاحِينَ  
 وَالتَّجَارِ وَلَا سِيمًا بَعْدَ وَضْعِ الْمَكُوسِ وَنُمُو الْحَيَاةِ بِهَا فَإِذَا انْتَقَبَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
 الْفَلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَارُ عَنْ التِّجَارَةِ ذَهَبَتِ الْحَيَاةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَهَا النِّقْصُ الْمُتَفَاحِشُ وَإِذَا  
 قَاسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْحَيَاةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحِطَّةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِيمَا  
 يُعَانِيهِ مِنْ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ يُوْجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَكْسُوسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
 تِلْكَ الصَّفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كُلِّهَا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْحَيَاةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
 عُمْرَانِهِ وَاخْتِلَالِ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَنَقْصِهِمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَشْمِيرِ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالْفَلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ نَقَصَتْ وَتَلَاشَتْ بِالنِّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَاُفُ أَخْوَالِهِمْ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ  
 وَكَانَ الْفَرَسُ لَا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ثُمَّ يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
 الْفَضْلِ وَالذِّينِ وَالْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ يَشْتَرِطُونَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
 الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صَنْعَةً فَيُضِرَّ بِمِجْرَانِهِ وَلَا يَتَاجَرَ فَيُجِبَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَضَائِعِ  
 وَأَنْ لَا يَسْتَخْدِمَ الْفَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لَا يُشِيرُونَ بِغَيْرِ وَلَا مَصْلَحَةٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
 يُنْبِئِي مَالَهُ وَلَا يَدْرُ مَوْجُودَهُ إِلَّا الْحَيَاةُ وَإِذَا رَازَهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
 وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ أَمَالُهُمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْآخِذِ فِي تَشْمِيرِ الْأَمْوَالِ  
 وَتَنْمِيتِهَا فَتَعْظُمُ مِنْهَا حَيَاةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ قَلْحٍ فَإِنَّمَا هُوَ مَضَرَّةٌ  
 عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفُسَادٌ لِلْحَيَاةِ وَنَقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ بَتَّهِيَ الْحَالُ بِهَؤُلَاءِ الْمُنْسَلِخِينَ لِلتِّجَارَةِ

وَالْفَلَاحَةَ مِنَ الْأَمْراءِ وَالْمُعْتَلِينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْغَلَّاتِ وَالسَّلَعِ مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بُلَدِهِمْ وَيَفْرِضُونَ لِدَلِكِ مِنَ الثَّمَنِ مَا يَشَاءُونَ وَيَسْمَعُونَهَا فِي وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرَّاغِبِينَ بِمَا يَفْرِضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلَى وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرِّعْيَةِ وَاجْتِلَالِ أَحْوَالِهِمْ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ يَدَاخِلُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَغْنَى التُّجَّارَ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا فِي صِنَاعَتِهِ الَّتِي تَشَأُ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ سِيَّسَتَهُمْ لِنَفْسِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى غَرْضِهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ سَرِيعًا وَلَا سِيَّيْمًا مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التُّجَّارَةِ بِلاَ مَغْرَمٍ وَلَا مَكْسٍ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِنُمُوِّ الْأَمْوَالِ وَأَسْرَعُ فِي تَنْمِيهِهِ وَلَا يَقْهَمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الضَّرَرِّ بِنَقْصِ حِبَابَتِهِ فَيَنْبَغِي لِلْسُّلْطَانِ أَنْ يَحْتَذِرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيُعْرِضَ عَنْ سَعَاتِيهِمْ الْمَضْرُوبَةِ بِحِبَابَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَاللَّهُ يَهْدِيهِمْ رُشْدًا أَنْفُسِنَا وَيَنْفَعَنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجَبَايَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تَنْوِزُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصْبَةِ بِمِقْدَارِ غَنَائِهِمْ وَعَصَبِيَّتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ فَرِيسَتُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَاوِ لُهُمْ عَمَّا يَسْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْبِنْدَادِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ عِزَّةٌ وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي سُهْمَانِهِ مِنَ الْجَبَايَةِ إِلَّا الْأَقْلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَجِدُ حَاشِيَتَهُ لِنَالِكِ وَأَذْيَالَهُ مِنَ الْوُزراءِ وَالْكَتَّابِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهَهُمْ مُتَقَلِّصُونَ لِأَنَّهُمْ مِنْ جَاهِ مَخْدُومِيهِمْ وَنِطَافُهُ قَدْ ضَاقَ بِمَنْ يُزَاحِمُهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَحْلَكَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَحَصَلَ إِصْحَابُ الدَّوْلَةِ الْأَسْبِنْدَادُ عَلَى قَوْمِهِ قَبْضُ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْجَبَايَاتِ إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي سُهْمَانِهِمْ وَنَقْلُ حُظُوظِهِمْ إِذْ ذَاكَ لِقَلَّةٍ غِنَائِهِمْ فِي الدَّوْلَةِ بِمَا أَنْكَجَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْفِيَّامِ بِالدَّوْلَةِ وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَتَفَرَّدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْجَبَايَةِ أَوْ مُعْظَمِهَا وَيَخْتَوِي عَلَى الْأَمْوَالِ وَيَحْتَجِجُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مِهْمَاتِ الْأَحْوَالِ فَتُكْثَرُ ثَرْوَتُهُ وَتَمْتَلِكُ خَزَائِنُهُ وَيَتَسَّعُ نِطَاقُ جَاهِهِ وَيَعْتَزُّ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَعْظُمُ حَالُ حَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ وَمَوْلَى وَشُرْطِيٍّ وَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَيَقْتَنُونَ الْأَمْوَالِ وَيَبْنِئُونَ لِنَفْسِهِمْ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي

أَلْهَمَ بِتِلَاثِي الْعَصِيَّةِ وَفَنَاءِ الْقَلِيلِ الْمُعَاهِدِينَ لِلدَّوْلَةِ أَحْتَاجَ صَاحِبُ الْأَمْرِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ لِكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ وَالْمَنَازِعِينَ وَالتَّوَارِ وَتَوْهَمِ الْإِنْتِقَاضِ فَصَارَ خَرَجُهُ لَظَهْرَانِهِ وَأَعْوَانِهِ وَهُمْ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَهْلُ الْعَصِيَّاتِ وَانْفَقَ خَزَائِنُهُ وَحَاصِلُهُ فِي مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّتْ مَعَ ذَلِكَ الْجَبَايَةُ لِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فَقِيلُ الْخَرَجُ وَتَشَدَّدَ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ فَيَتَقَلَّصُ ظِلُّ النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ عَنِ الْخَوَاصِ وَالنَّجَابِ وَالْكَتَابِ يَتَقَلَّصُ النِّجَاهُ عَنْهُمْ وَضَيْقُ نِطَاقِهِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَشَدَّدَ حَاجَةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ وَتُنْفِقُ أَبْنَاءُ الْبَطَانَةِ وَالْحَاشِيَةِ مَا تَأْتَلُهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا مِنْ إِعَانَةِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَبِقَبُولِنَ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَسَلَفُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَحَةِ وَيَرَى صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَكْسَبَتْ فِي دَوْلَةِ سَلَفِهِ وَبِحَاجَتِهِمْ فَيُضْطَلِمُهَا وَيَنْزِعُهَا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا فَشِيئًا وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى نِسْبَةِ رُبَّتِهِمْ وَتَنْكَرُ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ يَفْنَاءُ حَاشِيَتُهَا وَرَجَالُهَا وَأَهْلُ التَّرَوُّةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ بَطَانَتِهَا وَيَتَقَوَّضُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَبَانِي النِّجْدِ بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ أَهْلُهُ وَيَرْفَعُوهُ. وَانْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ لِوُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَنِي قَعْقَبَةَ وَبَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ وَبَنِي طَاهِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ ثُمَّ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْحِلَالِهَا أَيَّامَ الطَّوَانِفِ فِي بَنِي شَهِيدٍ وَبَنِي أَبِي عَبْدِ وَبَنِي حُدَيْرٍ وَبَنِي بُرْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَذَا فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي أَدْرَكَهَا لِعَهْدِنَا سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

فصل \* وَلِمَا يَتَوَقَّعُهُ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَاطِبِ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْزِعُونَ إِلَى الْفَرَارِ عَنِ الرُّتَبِ وَالنَّخْلِصِ مِنْ رِبْقَةِ السُّلْطَانِ بِمَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى قُطْرِ آخَرَ وَيَرَوْنَ أَنَّهُ أَهْنًا لَهُمْ وَأَسْلَمٌ فِي إِفْقَاقِهِ وَحُصُولِ تَمَرَّتِهِ وَهُوَ مِنَ الْإِغْلَاطِ الْقَاحِشَةِ وَالْأَنْهَامِ الْمُفْسِدَةِ لِأَخْوَالِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَلَاصَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدُ الْحُصُولِ فِيهِ عَسِيرٌ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ صَاحِبُ هَذَا الْفَرَضِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ نَفْسَهُ فَلَا تُمْكِنُهُ الرِّعْيَةُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَلَا أَهْلُ الْعَصِيَّةِ الْمُزَاجِمُونَ لَهُ بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَدْمٌ لِمُلْكِهِ وَإِنْلَافٌ لِنَفْسِهِ بِعِجَارِي الْعَادَةِ بِذَلِكَ لِأَنَّ رِبْقَةَ الْمَلِكِ يَغْسُرُ الْخَلَاصَ مِنْهَا وَلَا سِيَّامَا عِنْدَ اسْتِفْخَالِ الدَّوْلَةِ وَضَيْقِ نِطَاقِهَا وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الْبُعْدِ عَنِ النِّجْدِ وَالْخِلَالِ وَالتَّخْلُقِ بِالسَّرِّ وَأَمَّا إِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْفَرَضِ مِنْ بَطَانَةِ السُّلْطَانِ

وَحَاشِيَتُهُ وَأَهْلُ الرُّتَبِ فِي دَوْلَتِهِ فَقَالَ أَنْ يُغْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوَّلًا فَلَمَّا بَرَاهُ  
 الْمُلُوكُ أَنَّ ذَوَيْهِمْ وَحَاشِيَتَهُمْ بَلَّ وَسَاوَرُ رَعَايَاهُمْ مَمَالِكُ لَهُمْ مُطَاعُونَ عَلَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ  
 فَلَا يَسْمَعُونَ بِحُلِّ رِبْقَتِهِ مِنْ أَلْخِدْمَةِ ضِنًّا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَغَيْرَةٌ  
 مِنْ خِدْمَتِهِ لِسَوَاهِهِمْ وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْنَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِفَرِيضَةٍ  
 أَخْرَجَ لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ وَفُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يُجْعَ سَائِرُ آبَائِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبِيحَ الْخُرُوجُ لِأَهْلِ الدُّوَلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمُومَةِ وَرُجُوعِهَا  
 إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلَانْتَهَمَ وَإِنْ سَحَّحُوا بِحُلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَعُونَ بِاتِّجَاعِي عَنْ ذَلِكَ  
 أَلْمَالِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذْ لَمْ يَكْتَسِبْ  
 إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِهَا فَتَقُومُ تَقْوَاهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ أَلْمَالِ وَالْتِقَامِهِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
 مِنَ الدَّوْلَةِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمْنَا أَنَّهُ خُلِصَ بِذَلِكَ أَلْمَالِ إِلَى فُطْرٍ آخَرَ وَهُوَ فِي  
 النَّادِرِ الْأَقْلُ فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَبَتَرُوعُهُ بِالْأَرْهَابِ وَالتَّخَوُّفِ  
 تَعْرِضًا أَوْ بِالْقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَالُ الْحَيَاةِ وَالدُّوَلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلِاتِّفَاقِ فِي  
 الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالسَّارِ الْمُحْكَمِينَ مِنْ وَجْهِ  
 الْمَعَاشِ فَأُخْرِجَ بِهَا أَنْ تَمْتَدُّ إِلَى أَمْوَالِ الْحَيَاةِ وَالدُّوَلِ الَّتِي تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالشَّرْعِ  
 وَالْعَادَةِ وَلَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بَحَّيْ زَكَرِيَّا بْنُ أَحْمَدَ الْخَلِيفَانِي تَاسِعُ أَوْ عَاشِرُ مُلُوكِ  
 الْخَفَصِيِّينَ بِأَفْرِيقَةِ الْخُرُوجِ عَنْ عَهْدَةِ الْمُلْكِ وَالْحَقَاقِ بِمِصْرَ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
 الثُّغُورِ الْغُرَبِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لِعَزْوِ نُوسٍ فَاسْتَعْمَلَ الْخَلِيفَانِي الرَّحْلَةَ إِلَى ثَغْرِ دَرَابُلَسَ  
 يُورِي بِتَمَهِيدِهِ وَرَكِبَ السَّيْفِينَ مِنْ هُنَاكَ وَخَلَصَ إِلَى الْأَسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
 جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْنَ أَلْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخِزَانَتِهِمْ مِنْ  
 الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْجَوْهَرِ حَتَّى الْكَتَبِ وَاحْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ عَلَى  
 الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُنَ سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ مِنَ أَلْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ وَرَفَعَ  
 مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلَصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالْعَرِيضِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ  
 مَعَاشُ ابْنِ الْخَلِيفَانِي إِلَّا فِي جِرَائِيهِ الَّتِي قَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ  
 حَسَبًا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فَبَدَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ جُمْلَةِ أَلُوسُواسِ الَّذِي يَعْتَرِي أَهْلَ الدُّوَلِ  
 لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَإِنَّمَا يَخْلُصُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمْ الْخُلَاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فَغَلَطُوا وَهُمْ وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الظُّهْرَةِ بِخِدْمَةِ الدُّوَلِ كَافٍ فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْجَرَيَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْجَاهِ فِي انْتِحَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالْدُّوَلِ أَنْسَابٌ لَكِنْ

النَّاسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَعُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرِّزَاقُ وَهُوَ الْمُوفِيُّ بَعْدَهُ وَفَضْلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الحجابة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَانِ فَإِذَا احْتَجَّ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْحَيَاتِ أَوْ فَقِدَتْ فَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حِينَئِذٍ مَا بِيَدِي الْحَاشِيَةِ وَالْحَاطِيَةِ وَأَنْقَطَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ تَفَقَّاهُ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السُّوَادِ وَتَفَقَّاهُ أَكْثَرُ مَادَّةٍ لِلْأَسْوَاقِ مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ الْكَسَادُ حِينَئِذٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُ الْأَزْبَاحُ فِي الْمَتَاجِرِ يَقِلُّ الْخَرَجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْخَرَجَ وَالْحَيَاةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَتَفَاقُ الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ لِلْفَوَائِدِ وَالْأَزْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنِّقْصِ لِقَلَّةِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ يَقِلُّ الْخَرَجُ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أَمْ الْأَسْوَاقُ كُلُّهَا وَأَصْلُهَا وَمَادَّتُهَا فِي الدَّخْلِ وَالْخَرْجِ فَإِنْ كَسَدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَأَجِيزَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ أَنْ يَلْحَقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا حَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

## الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موذن بخراب العمران

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعُدُونَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَكَتْسَابِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرُهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي أَكْتِسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدَرِ الْأَعْتِدَاءِ وَنَسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِبَاضُ الرِّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْأَكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْأَعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقَعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِذِهَابِهِ بِالْأَمْوَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ

مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِهَا وَإِنْ كَانَ الْإِعْتِدَاءُ بِسِيرَاكَ أَلَا تَقْيَاضُ عَنِ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ  
 وَالْعُمُرَانِ وَوُفُورِهِ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكَاسِبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِينَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْمَعَاشِ وَانْتَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ  
 الْمَكَاسِبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمُرَانِ وَانْتَقَصَتْ الْأَحْوَالُ وَابْدَعَرَّ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِيَّالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فِيمَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَتْ سَاكِنُ الْقَطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَاخْتَلَّ بِاخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لِمَا أَنَّهَا صُورَةٌ  
 لِلْعُمُرَانِ تَقْسُدُ بِفَسَادِ مَادَّتِهَا خُرُورَةٌ وَانْظُرِي فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِي فِي أَخْبَارِ  
 الْفَرَسِ عَنِ الْمُؤَبَّدَانِ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامُ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ وَمَا عَرَضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي إِنْكَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْمِثَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْيَوْمِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فَهْمِ كَلَامِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ بَوْمًا  
 ذَكَرَ أَيْرُومُ نِكَاحُ بَوْمٍ أَتَتْهُ وَإِنَّهَا شَرِطَتْ عَلَيْهِ عَشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخُرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامٍ  
 فَقَبِلَ شَرْطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنْ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقْطَعْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَسهَلُ مَرَامٍ فَتَبَّهَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبَّدَانِ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْمَلِكَ  
 لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالنَّصْرِ بِتَحْتِ أَمْرِهِ وَتَهْنِئِهِ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالزَّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلزَّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمَنْصُوبُ  
 بَيْنَ الْخَلْقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتِ إِلَى الضِّيَاعِ  
 فَأَنْزَعْتَهَا مِنْ أَزْبَابِهَا وَعُمَارِهَا وَهَمَّ أَزْبَابُ الْخُرَاجِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْأَمْوَالَ وَأَقْطَعْتَهَا  
 الْحَاشِيَةَ وَالْخَدَمَ وَأَهْلَ الْبِطَالَةِ فَتَرَكُوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا يَصْلِحُ الضِّيَاعِ  
 وَسُوحُوا فِي الْخُرَاجِ لِقَرْبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْخَيْفُ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَزْبَابِ الْخُرَاجِ وَعُمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَنْجَلُوا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلُّوا دِيَارَهُمْ وَأَوُوا إِلَى مَا تَعَدَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُوا  
 فَقَلَّتِ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقَلَّتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُنُودُ وَالرَّعِيَّةُ وَطَمَعَ فِي  
 مَالِكَ فَارِسَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِعَلَمِهِمْ بِاتِّقَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا تَسْتَقِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مَلِكِهِ وَأَنْزَعَتِ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِي الْخَاصَّةِ وَرُدَّتْ عَلَى أَزْبَابِهَا وَحُمِلُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ السَّالِفَةِ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَفُورِي

مِنْ ضَعْفِ مِنْهُمْ فَعَمَرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جِبَاةِ الْخَرَّاجِ  
 وَقَوِيَتْ الْجُنُودُ وَقَطِيعَتْ مَوَادُّ الْأَعْدَاءِ وَشَبَّحَتِ الثُّغُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مُبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ تَحَسَّنَتْ أَيَّامُهُ وَاتَّظَمَ مَلِكُهُ فَتَفَهَّمُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ تَغْرِبُ لِلْعُمَرَاءِ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخَرَابِ فِي الْعُمَرَاءِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالْإِتْقَاضِ وَلَا تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ قَدْ يُوْجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي بِهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خَرَابٌ وَأَعْلَمَ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْمَضَرِّ فَلَمَّا كَانَ  
 الْمَضَرُّ كَبِيرًا وَعُمُرَانُهُ كَثِيرًا وَأَوْحَالُهُ مُتَسَعَةً يَمَالًا يَنْخَصِرُ كَانَ وَفُوعُ النِّقْصِ فِيهِ بِالْأَعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ يَسِيرًا لِأَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَعَ  
 الْأَعْمَالُ فِي الْمَضَرِّ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَّبَ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْمُعْتَدِيَةُ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خَرَابِ الْمَضَرِّ وَتَمَجَّى الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَتَرَقَّعَتْ بِجِدَّتِهَا وَتَجَبَّرَ النِّقْصُ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُصُولَ  
 النِّقْصِ فِي الْعُمَرَاءِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَقَعَ لَا يَدُّ مِنْهُ لِمَا قَدَّمَاهُ وَوَبَّالَهُ عَائِدَةُ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكُ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ عَوَظٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بِلِ الظُّلْمِ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ وَكُلٌّ مِنْ أَخْذِ مَلِكٍ أَحَدٍ أَوْ عَصَبَةٍ  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَائِفَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرَضٍ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرُضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجِبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُنْتَهَبُونَ لَهَا ظَلَمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَخُصَابُ الْأَمْلَاقِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلَمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَائِدَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخَرَابِ الْعُمَرَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا لِإِذْهَابِهِ الْأَمْالِ مِنَ أَهْلِهَا وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا بَنَشَأُ عَنْهُ مِنْ فُسَادِ الْعُمَرَاءِ وَخَرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَدِّنٌ بِانْقِطَاعِ النَّوعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُرَاعِيَةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الْفَرُوقِ مِنَ خِيْطِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتَ مُؤَدِّنًا بِانْقِطَاعِ النَّوعِ لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَغْرِيْبِ الْعُمَرَاءِ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجُودَةً فَكَانَ تَحْرِيمُهُ مِنْهُمَا وَادَّلَتْهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَضَرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوَضِعَ بِإِزَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِزَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلنَّوعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى



أَقْتَرَاهَا مِنْ الزَّيْنِ وَالْقَتْلِ وَالسُّكْرِ إِلَّا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
 إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيُؤْلَجُ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْرِيرِ الْوَعِيدِ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
 أَوْازِغٌ فِيهِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ يظْلَمُ الْعَبِيدَ وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ الْعُقُوبَةَ قَدْ وَضَعْتَ  
 بِأَرْزَاءِ الْحِرَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ الْقَادِرِ لِأَنَّ الْحَرْبَ زَمَنَ حِرَابَتِهِ قَادِرٌ فَإِنْ فِي  
 الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ طَرِيقَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَقْتَرِفُهُ مِنَ الْجَنَابَاتِ فِي نَفْسِ  
 أَمْوَالٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِجَنَابَتِهِ  
 وَمَا نَفْسُ الْحِرَابَةِ فِيهِ خُلُوفٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الْحَرْبُ لَا يُوَصَفُ  
 بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَعْنِي بِقُدْرَةِ الظَّالِمِ أَيْدِيَ الْمَسْوَطَةِ الَّتِي لَا تُعَارِضُهَا قُدْرَةٌ فِيهِ الْمُؤَذِّنُ  
 بِالْحَرْبِ وَمَا قُدْرَةُ الْحَرْبِ فَإِنَّمَا هِيَ إِخَافَةٌ يَجْعَلُهَا ذَرِيعَةً لِأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةِ  
 عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ الْقَدْرِ الْمُؤَذِّنِ بِالْحَرْبِ وَاللَّهُ  
 قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمِنْ أَشَدِّ الظَّلَامَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ الْعُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
 وَتَسْخِيرُ الرِّعَايَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قِبَلِ الْمُتَمَوَّلَاتِ كَمَا سَبَّحْنَا فِي  
 نَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمٌ أَعْمَالِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَإِذَا مَسَّاعِيهِمْ  
 وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَوَّلَاتٌ وَمَكَايِبُ لَهُمْ بَلْ لَا مَكَايِبَ لَهُمْ سِوَاهَا فَإِنَّ الرِّعِيَّةَ  
 الْمُتَعَمِّلِينَ فِي الْعِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَايِبُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كُنْتُمْ أَعْمَلُ  
 فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَاتَّخَذُوا سِغْرِيًّا فِي مَعَاشِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَأَغْثَصُوا قِيَمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
 وَهُوَ مُتَمَوَّلُهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنْ مَعَاشِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
 بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمَالَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنِ السَّعْيِ فِيهَا  
 جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ وَتَخَرُّبِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ  
 وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ الْعُمَرَانِ وَالِدَوْلَةِ التَّسَلُّطُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
 بِشِرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ثُمَّ فَرَضَ الْبَضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَرْزَعِ الْأَثْمَانِ عَلَى  
 وَجْهِ الْغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالتَّبِعِ وَزُبْدًا تَفْرَضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانُ عَلَى  
 التَّوَاحِي وَالتَّبَعِيلِ فَيَتَعَلَّلُونَ فِي تِلْكَ الْخِسَارَةِ الَّتِي تَلْحَقُهُمْ بِمَا تُحْدِثُهُمُ الطَّاعِمُ مِنْ جَبَرِ  
 ذَلِكَ بِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ الْبَضَائِعِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْفَلَاءِ إِلَى يَنْبِهَا بِأَبْخَسِ  
 الْأَثْمَانِ وَتَعَوُّدِ خِسَارَةٍ مَا بَيْنَ الصَّنَفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَبْغَى ذَلِكَ أَصْنَافُ

التَّجَارِ الْمُقْبِيْنَ بِالْمَدِينَةِ وَالْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ فِي الْبَضَائِعِ وَسَائِرِ الشُّوْفَةِ وَأَهْلُ  
 الدِّكَائِينَ فِي الْمَاكِيلِ وَالْفَوَاكِهِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ فِيمَا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ  
 فَتَشْمَلُ الْخِيسَارَةُ سَائِرَ الْأَصْنَافِ وَالطَّبَقَاتِ وَتَتَوَالَى عَلَى السَّاعَاتِ وَتُجْتَفِ بِرُؤُوسِ  
 الْأَمْوَالِ وَلَا يَجِدُونَ عَمَّا وَلِيَجَّةً إِلَّا الْقُعُودَ عَنِ الْأَسْوَاقِ لِهَاجِرِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي  
 جَبَرِهَا بِالْأَرْبَاحِ وَيَتَنَاقَلُ الْوَارِدُونَ مِنَ الْآفَاقِ لِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَيَبْعُهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
 فَتَكْسُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَبْطُلُ مَعَاشُ الرِّعَايَا لِأَنَّ عَامَتَهُ مِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَإِذَا كَانَتْ  
 الْأَسْوَاقُ عُطْلًا مِنْهَا بَطَلَ مَعَاشُهُمْ وَتَنْقُصُ جِبَايَةُ السُّلْطَانِ أَوْ تَفْسُدُ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا مِنْ  
 أَوْسَطِ الدَّوْلَةِ وَمَا بَعْدَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الدُّكُوسِ عَلَى الْبَيْعَاتِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَيُؤْوِلُ ذَلِكَ  
 إِلَى تَلَاثِي الدَّوْلَةِ وَفَسَادِ عُمَرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَطَرَّقُ هَذَا الْخَلَلُ عَلَى التَّدْرِيجِ وَلَا يُشْعَرُ  
 بِهِ هَذَا مَا كَانَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الذَّرَائِعِ وَالْأَسْبَابِ إِلَى اخْتِارِ الْأَمْوَالِ وَأَمَّا أَخْذُهَا مَجَانًا  
 وَالْعُدُونُ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَعْرَافِهِمْ فَهُوَ يُفْضِي  
 إِلَى الْخَلَلِ وَالْفَسَادِ دَفْعَةً وَتَنْقُصُ الدَّوْلَةَ سَرِيعًا بِمَا يَتَشَأُّ عَنْهُ مِنَ الْخُرْجِ الْمُفْضِي إِلَى  
 الْإِنْتِقَاضِ وَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ حَظَرَ الشَّرْعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَشَرَعَ الدُّكَايَسَةَ فِي  
 الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَحَظَرَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ سَدًّا لِلْأَبْوَابِ الْمَفَاسِدِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى  
 انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ بِالْخُرْجِ أَوْ بَطْلَانِ الْمَعَاشِ وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ  
 حَاجَةُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ إِلَى الْأَكْثَارِ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَعْزُضُ لَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فِي الْأَحْوَالِ  
 فَتَكْثُرُ نَفَقَاتُهُمْ وَيَعْظُمُ الْخُرْجُ وَلَا يَبْقَى بِهِ الدُّخْلُ عَلَى الْقَوَانِينِ الْمُعْتَادَةِ يَسْتَحْدِثُونَ  
 أَلْقَابًا وَوُجُوهاً يُوسِعُونَ بِهَا الْجِبَايَةَ لِيَفِي لَهُمْ الدُّخْلُ بِالْخُرْجِ ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّرَفُ يَزِيدُ  
 وَالْخُرْجُ يَسْبِيهِ يَكْثُرُ وَالْحَاجَةُ إِلَى أَمْوَالِ النَّاسِ تَشْتَدُّ وَيَطَاقُ الدَّوْلَةَ بِذَلِكَ يَزِيدُ  
 إِلَى أَنْ تُنْجِي دَائِرَتُهَا وَيَذْهَبَ بِرِسْمِهَا وَيَغْلِبَهَا طَالِبُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند المهرم  
 اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه  
 لانه لا تد لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلائها واليدأوة هي شعار  
 العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها

بِعِزِّ الْقَلْبِ فَقَطْ فَالِدَاوُدُ الَّذِي بِهَا يَحْصُلُ الْقَلْبُ بَعِيدَةٌ أَيْضًا عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ  
فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بِدَوِيَّةٍ كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى حَالِ الْغَضَاضَةِ وَالِدَاوُدُ  
وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسَهْوَةِ الْإِذْنِ فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْإِفْتِرَادِ بِنَفْسِهِ عَنِ  
النَّاسِ لِلْقِدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُؤْنِهِ لِمَا يَكْثُرُ جِنْدُ بِحَاشِيَتِهِ فَيَطْلُبُ  
الْإِفْتِرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا بَأْسَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِبًا لَهُ عَنِ النَّاسِ يُقِيمُهُ بِبَابِهِ لِهَذِهِ الْوُضُفَةِ ثُمَّ إِذَا اسْتَحْوَلَ الْمَلِكُ  
وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَازِعُهُ اسْتَحَالَتْ أَخْلَاقُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَهِيَ أَخْلَاقُ  
عَرَبِيَّةٍ مُخْصُوصَةٌ يَحْتَاجُ مُبَاشَرَتَهَا إِلَى مَدَارَاتِهَا وَمُعَامَلَتِهَا بِمَا يَحِبُّ لَهَا وَرَبْعًا جَبَلِ تِلْكَ  
الْأَخْلَاقِ مِنْهُمْ بَعْضٌ مَنْ يَبَاشِرُهُمْ فَوْقَ فِيمَا لَا يَرْضَاهُمْ فَتَسْخَطُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
مِنْهُ فَانْقَرَدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَابِ الْخَوَاصِّ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَجَبُّوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حِفْظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُعَانِيَةِ مَا يُسْخِطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ  
التَّعَرُّضِ لِعِقَابِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرُ أَخَصُّ مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ يُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُجَبِّدُ دُونَهُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الثَّانِي يُفْضِي إِلَى  
مَجَالِسِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُجَبِّدُ دُونَهُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الْأَوَّلُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ  
الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْحَاجِبُ جَزْئًا عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْتِقَاقِ الصَّحِيحِ  
ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتِ الدَّوْلَةُ مِنَ التَّرَفِّ وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
وَكَمَلَتْ خَلْقُ الْمَلِكِ عَلَى مَا يَحِبُّ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
أَخْضَ بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانَ لِلْعَبَّاسِيَّةِ دَارُ الْخَاصَّةِ وَدَارُ الْعَامَّةِ كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ  
فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوْلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَخَصُّ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحِجْرِ  
عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمَلِكِ إِذَا نَصَبُوا الْأَبْنَاءَ مِنَ الْأَعْقَابِ  
وَحَاوَلُوا الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبْدُ أَنْ يَحْجَبَ عَنْهُ بِطَانَةُ ابْنِهِ  
وَخَوَاصُّ أَوْلِيَائِهِ يَوْمَهُ أَنْ يَبَاشِرَتَهُمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
لَيَقْطَعَ بِذَلِكَ لِقَاءَ الْغَيْرِ وَيُعَوِّدُهُ مَلَاسَةً أَخْلَاقِهِ هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
يَسْتَحْكِمَ الْأَسْبِلَاءَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَائِعِهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي

الْغَالِبِ إِلَّا أَوَّخِرَ الدَّوْلَةَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي النَّجْدِ وَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى هَرَمِ الدَّوْلَةِ وَتَفَادٍ  
فُوتَهَا وَهُوَ مِمَّا يَخْشَاهُ أَهْلُ الدُّوَلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ يَتَعَاوَلُونَ عَلَى ذَلِكَ  
بِطَبَاعِهِمْ عِنْدَ هَرَمِ الدَّوْلَةِ وَذَهَابِ الْأَسْبَادِ مِنْ أَعْقَابِ مُلُوكِهِمْ لِمَا زَكِبَ فِي الْفُوسِ  
مِنْ مَحَبَّةِ الْأَسْبَادِ بِالْمَلِكِ وَخُصُوصًا مَعَ التَّرْشِيحِ لِذَلِكَ وَخُصُولِ دَوَائِهِ وَمُبَادِيهِ

## الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَقَعُ مِنْ آثَارِ الْهَرَمِ فِي الدَّوْلَةِ انْقِسَامُهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ عِنْدَمَا  
يَسْتَفْجِلُ وَيَبْلُغُ مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ إِلَى غَايَتِهَا وَيَسْتَبْدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِالْحَبْدِ  
وَيَتَفَرَّدُ بِهِ وَيَأْتِفُ حَيْثُ يُدْعَى عَنْ الْمَشَارَكَةِ وَيَصِيرُ إِلَى قَطْعِ أَسْبَابِهَا مَا اسْتَطَاعَ بِإِهْلَاكِ  
مَنْ اسْتَرَابَ بِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ الْمُرْتَحِينَ لِمَنْصِبِهِ قَرِيبًا أَرْتَابَ الْمُسَاهِمُونَ لَهُ فِي  
ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَتَزَعُّوا إِلَى الْقَاصِيَةِ إِلَيْهِمْ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِثْلَ حَالِمِ بْنِ الْأَغْثَرِ  
وَالْأَسْتَرِيَةِ وَيَكُونُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ قَدْ أَخَذَ فِي التَّضَايُحِ وَرَجَعَ عَنِ الْقَاصِيَةِ فَيَسْتَبْدُ ذَلِكَ  
النَّازِعُ مِنَ الْقَرَابَةِ فِيهَا وَلَا يَزَالُ أَمْرُهُ يَعْظُمُ بِتَرَاجُعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَقَامِمَ الدَّوْلَةَ  
أَوْ يَكَادُ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حِينَ كَانَ أَمْرُهَا حَرِيرًا مُجْتَمِعًا  
وَنِطَاقًا مُمْتَدًّا فِي الْإِتْسَاعِ وَعَصِيَّةً بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَاحِدَةً غَالِبَةً عَلَى سَائِرِ مُضَرٍّ فَلَمْ يَبْضُ  
عِرْقٌ مِنَ الْخِلَافَةِ سَائِرَ أَيَّامِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَدْعَةِ الْخَوَارِجِ الْمُسْتَمْتِعِينَ فِي شَأْنِ  
بِدْعَتِهِمْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِنِزَعَةِ مُلْكٍ وَلَا رِئَاسَةٍ وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُمْ لِمُزَاحَمَتِهِمْ الْعَصِيَّةَ  
الْقَوِيَّةَ ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَقْبَلَ بَنُو الْعَبَّاسِ بِالْأَمْرِ وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ  
قَدْ بَلَغَتِ الْغَايَةَ مِنَ الْقَلْبِ وَالتَّرَفِ وَادْنَتْ بِالْقُلُوصِ عَنِ الْقَاصِيَةِ تَزَعُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
الدَّخِلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ قَاصِيَةَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فَاسْتَحْدَثَ بِهَا مُلْكًا وَاقْطَعَهَا عَنْ دَوْلَتِهِمْ  
وَصَيَّرَ اللُّغْلُةَ دَوْلَتَيْنِ ثُمَّ تَزَعُّ أَذْرِيسُ إِلَى الْمَغْرِبِ وَخَرَجَ بِهِ وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَأَمَرَ ابْنَهُ  
مِنْ بَعْدِهِ الْبَرَابِرَةَ مِنْ أَوْرُبَّةَ وَمَغِيلَةَ وَزَنَانَةَ وَاسْتَوْلَى عَلَى نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِينَ ثُمَّ أَزْدَادَتْ  
الدَّوْلَةُ تَقْلُصًا فَأَضْطَرَّ الْأَغَايِبَةُ فِي الْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْعَةُ وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ كِتَامَةُ  
وَصَنَاهُجَةُ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَغَلَبُوا عَلَى الْأَدَارِسِ  
وَقَسَمُوا الدَّوْلَةَ دَوْلَتَيْنِ أُخْرَيْنِ وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ ثَلَاثَ دَوْلٍ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ

مَرْكَزِ الْقَرْبِ وَأَصْلَهُمْ وَمَادَّتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُجَدِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مُلْكُهُمُ الْقَدِيمُ وَخَلَائِفَتُهُمُ بِالْمَشْرِقِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ  
 وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَنْقَرَضَاهَا مُتَقَارِبًا أَوْ جَمِيعًا وَكَذَلِكَ انْقَسَمَتِ دَوْلَةُ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ بِدَوْلٍ أُخْرَى وَكَانَ بِالْقَاصِيَةِ بَنُو سَاسَانَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ وَالْعُلُوِيَّةَ  
 فِي الدَّلِيلِ وَطَبْرِسْتَانَ وَالْأَسْتِلاَةَ الدَّلِيلِ عَلَى الْعِرَاقِينَ وَعَلَى بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءَ  
 ثُمَّ جَاءَ السُّجُوفِيَّةُ فَمَلَكَوا جَمِيعَ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَسَمَتِ دَوْلَتُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْإِسْتَفْحَالِ كَمَا  
 هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَلِكَ أَعْتَبِرَهُ فِي دَوْلَةِ صِنَهَاةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةَ لَمَّا بَلَغَتْ  
 إِلَى غَايَتِهَا أَبَا بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ خَرَجَ عَلَيْهِ عَمَّهُ حَمَادٌ وَقَطَعَ مَا لِكَ الْعَرَبِ لِنَفْسِهِ  
 مَا بَيْنَ جَبَلِ أَوْرَاسَ إِلَى تَلْمُوسَانَ وَمَلُوبَةَ وَأَخْطَطَ الْقَلْعَةَ بِجَبَلِ كُنَامَةِ حِيَالِ الْمَسِيلَةِ وَنَزَلَهَا  
 وَاسْتَوَلَى عَلَى مَرْكَزِهِمْ أَشِيرَ بِجَبَلِ تِيطَرِي وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا آخَرَ قَسِيمًا لِمُلْكِ آلِ بَادِيسَ  
 وَبَقِيَ آلُ بَادِيسَ بِالْقَبْرِ وَانْ وَمَا إِلَيْهَا وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَ أَمْرُهَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ  
 دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ لَمَّا تَقَلَّصَ ظُهُمُهَا نَارَ بِأَفْرِيقِيَّةَ بَنُو أَبِي حَفْصٍ فَاسْتَقَلُّوا بِهَا وَاسْتَحْدَثُوا  
 مُلْكًا لِأَعْقَابِهِمْ بِوَحْدِيَّتِهَا ثُمَّ لَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْغَايَةِ خَرَجَ عَلَى الْمَلِكِ  
 الْغُرَبِيَّةَ مِنْ أَعْقَابِهِمُ الْأَمِيرُ أَبُو كَرِيْبَاءَ يَحْيَى ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ رَافِعَ خُلَفَائِهِمْ  
 وَاسْتَحْدَثَ مُلْكًا بِجَبَايَةَ وَقَنْطِينَةَ وَمَا إِلَيْهَا أَوْزَنَهُ بَنِيهِ وَقَسَمُوا بِهِ الدَّوْلَةَ فَيَسْتَمِينَ  
 ثُمَّ اسْتَوَلُوا عَلَى كَرْسِيِّ الْحَضْرَةِ بَنُو سَاسَانَ ثُمَّ انْقَسَمَ الْمُلْكُ مَا بَيْنَ أَعْقَابِهِمْ ثُمَّ عَادَ الْأَسْتِلاَةُ  
 فِيهِمْ وَقَدْ بَنَتْهُي الْإِنْقِسَامُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَوْلَتَيْنِ وَثَلَاثَ فِي غَيْرِ أَعْيَاصِ الْمُلْكِ مِنْ قَوْمِهِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُلُوكِ النِّجْمِ بِالْمَشْرِقِ وَفِي مُلْكِ صِنَهَاةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 فَقَدْ كَانَ لِأَخِيرِ دَوْلَتِهِمْ فِي كُلِّ حُصْنٍ مِنْ حُصُونِ أَفْرِيقِيَّةَ نَائِرٌ مُسْتَقِلٌّ بِأَمْرِهِ كَمَا أَتَقَدَّمَ  
 ذِكْرُهُ وَكَذَا حَالُ الْحَرْبِ وَالزَّابِ مِنَ أَفْرِيقِيَّةَ قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ كَمَا نَذَرُوهُ وَهَكَذَا شَأْنُ  
 كُلِّ دَوْلَةٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يَبْرُضَ فِيهَا عَوَارِضُ الْهَرَمِ بِالْتَرْفِ وَالِدَّةِ وَتَقْلُصُ ظِلَّ الْهَلَبِ فَيَنْقَسِمُ  
 أَعْيَاصُهَا وَمَنْ يَغْلِبُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهَا لِأَمْرٍ وَيَتَعَدَّدُ فِيهَا الدُّوَلُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبيننا أنها

تَحْدُثُ لِلدَّوْلَةِ بِالطَّبَعِ وَأَنَّهَا كُلُّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لَهَا وَإِذَا كَانَ الْهَرَمُ طَبِيعِيًّا فِي الدَّوْلَةِ  
كَانَ حُدُوثُهُ بِمِثَابَةِ حُدُوثِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا يَحْدُثُ الْهَرَمُ فِي الْمَرْجِ الْحَوْرَانِيِّ  
وَالْهَرَمُ مِنَ الْأَرْضِ الْمَزْمَنَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ دَوَائُهَا وَلَا ارْتِفَاعُهَا إِلَّا أَنَّهُ طَبِيعِيٌّ وَالْأُمُورُ  
الطَّبِيعِيَّةُ لَا تَبْدُلُ وَقَدْ يَنْبَغُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ مِنْ لَهْ بَقْطَةٍ فِي السِّيَاسَةِ فَيَرَى مَا  
نَزَلَ بِدَوَائِلِهِمْ مِنْ عَوَارِضِ الْهَرَمِ وَيُظَنُّ أَنَّهُ مُمَكِنُ الِارْتِفَاعِ فَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِتَلَايِ الدَّوْلَةِ  
وَأَصْلَاحِ مَزَاجِهَا عَنْ ذَلِكَ الْهَرَمِ وَيَحْسِبُهُ أَنَّهُ لِحَقِّهَا بِتَقْصِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ وَأَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ مِنْ تَلَايِهَا  
وَالْعَوَائِدُ مِزَلَةٌ طَبِيعِيَّةٌ أُخْرَى فَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَ مِثْلًا أَبَاهُ وَأَكْثَرَ أَهْلِي يَتَنَبَّهُ بِلِسُونِ  
الْحَرِيرِ وَالْدِّيَابِجِ وَيَتَحَلَّوْنَ بِالذَّمِّ فِي السَّلَاحِ وَالْمَرَائِبِ وَيَتَحَجَّبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي  
الْعَجَالِ وَالصَّلَواتِ فَلَا يُمْكِنُهُ مُخَالَفَةُ سَلَفِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْخُشُونَةِ فِي اللِّبَاسِ وَالزِّيِّ  
وَالْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ إِذَا الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتُقْبِحُ عَلَيْهِ مُرُكَّبَهُ وَلَوْ فَعَلَهُ لَرُبِّي  
بِالْحُجُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً وَخُشْيَ عَلَيْهِ عَائِدَةُ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي  
سُلْطَانِهِ وَانْظُرْ شَأْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي انْكَارِ الْعَوَائِدِ وَخُلَافَتِهَا لَوْلَا الذَّائِدُ الْإِلَهِيُّ وَالْعَصْرُ  
السَّمَاوِيُّ وَرُبَّمَا تَكُونُ الْعَصِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَذِكُّونَ الْأَبْهَةِ تَعَوُّضٌ عَنْ مَوَاقِعِهَا مِنْ  
النَّفُوسِ فَإِذَا أُرِيَتْ تِلْكَ الْأَبْهَةُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصِيَّةِ تَجَاسَّرَتْ الرِّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِذَهَابِ  
أَوْهَامِ الْأَبْهَةِ فَتَنْدَرِجُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأَبْهَةِ مَا أَمْكَنَهَا حَتَّى يَنْفَقِيَ الْأَمْرُ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ  
عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تَوْهَمُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْهَا وَيُوهَضُ ذُبَالُهَا إِبِمَاضَةِ الْخُحُودِ  
كَمَا يَقَعُ فِي الذُّبَالِ الْمُشْتَعِلِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مُقَارَبَةِ أَنْطِفَائِهِ يُوِيضُ إِبِمَاضَةً تَوْهَمُ أَنَّهَا اشْتِعَالٌ  
وَهِيَ أَنْطِفَاءٌ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَلَا تَغْفُلْ مِيرَاثَ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فِي أَطْرَادِ وَجُودِهِ عَلَى مَا  
قَدَّرَ فِيهِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

## الفصل السابع والاربعون

في كيفية طرق الخلل للدولة

إِعْلَمُ أَنَّ مَبْنَى الْمُلْكِ عَلَى أُسَاسَيْنِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا فَأَوَّلُ الشُّوْكَ وَالْعَصِيَّةُ وَهُوَ الْمَعْرِعَةُ  
بِالْجُنْدِ وَالثَّانِي الْمَالُ الَّذِي هُوَ قِيَامُ أَوْلِيكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ  
الْأَحْوَالِ وَالْخُلَلِ إِذَا طَرَقَ الدَّوْلَةُ طَرَقَهَا فِي هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ فَلَنْذَكُرَ أَوَّلَ طُرُقِ

الْخُلَّالِ فِي الشُّوْكَهَ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ نَزَّجَ إِلَى طُرُوفِهِ فِي أَلْمَالِ وَالْحَيَاةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ تَمْنِيْدَ  
الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا قُلْنَا هُيَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بَدْءَ مِنْ عَصِيَّةٍ كَثْرَى جَامِعَةٍ  
لِلْعَصَائِبِ مُسْتَنْبِغَةٍ لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتْ  
الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَعَ أَتُوفَ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُجْدَعُ أَتُوفَ  
عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهِ الْمُقَامِسِينَ لَهُ فِي أَسْمِ الْمَلِكِ فَيَسْتَيْدُ فِي جَدْعِ أَتُوفِهِمْ بِمَا بَلَغَ  
مِنْ سَوَادِهِمْ لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَرَبِ وَالْغَلَبِ فَيُعِيطُ بِهِمْ هَادِمَانِ وَهُمَا التَّرَفُ وَالْقَهْرُ  
ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُوحِ الْمَلِكِ لِصَاحِبِ  
الْأَمْرِ فَيَقْلِبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مُلْكِهِ فَيَأْخُذُهُمُ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَلْبِ  
النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا أَنْ كَثِيرَ مَنْهُ فِيهِلْكُونَ وَيَقْلُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَنْبِغُهَا فَتَنْحَلُّ  
عُرْوَتُهَا وَتَضَعُفُ شَكِيمَتُهَا وَتُسَبِّدَلُ عَنْهَا بِالْبِطَانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
وَتُتَّخَذُ مِنْهُمْ عَصِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَتْ مِثْلُ تِلْكَ الشَّدَةِ الشَّكِيمَةِ لِقُدَانِ الرَّحِمِ وَالْقَرَابَةِ  
مِنْهَا وَقَدْ كُنَّا قَدْ مَنَّا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَقُوَّتَهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
فِي ذَلِكَ فَيَنْقَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعِيَّةِ وَيُحْسِنُ بِذَلِكَ أَهْلُ  
الْعَصَائِبِ الْآخَرَى فَيَتَجَاسَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَطَانَتِهِ تَجَاسُرًا طَبِيعِيًّا فِيهِلْكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيَتَبَعُهُمْ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَقْلِدُ الْآخَرِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مُهْلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدْ مَنَّا فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِمُ الْهَلَاكُ بِالْتَّرَفِ  
وَالْقَتْلِ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيَفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَتَوَزَّتْهَا وَبَصِيرُوا أَوْجَرَ  
عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقْلُونَ لَذَلِكَ فَتَقِلَّ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْأَطْرَافِ وَالتُّغُورِ فَتَتَجَاسَرُ الرِّعَايَا  
عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيَبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حِينَئِذٍ مِنْ حُصُولِ غَرَضِهِمْ بِمُجَابَعَةِ أَهْلِ الْقَاصَةِ لَهُمْ  
وَأَمْنِهِمْ مِنْ وُصُولِ الْحِمَايَةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَاقُ حَتَّى  
تَصِيرَ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِنِ إِلَى مَرَكَزِ الدَّوْلَةِ وَرُبَّمَا انْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
ذَلِكَ بِدَوَلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا قُلْنَا وَبَقِيَتْ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
عَصِيَّتِهَا لَكِنْ إِذْ عَانَا لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَلِغَلَبِهِمُ الْمَعْهُودُ وَاعْتَبَرْنَا هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

إِلَى سَلَامٍ كَيْفَ أَنْتَهَتْ أَوَّلًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَكَانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةٍ نَافِذًا فِي جَمِيعِ  
 الْعَرَبِ بِعَصِيَّةِ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ حَتَّى لَقِدَ أَمْرَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقٍ بِقَتْلِ  
 عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِقَرْطَبَةَ فَقَتِلَ وَلَمْ يَرُدَّ أَمْرُهُ ثُمَّ تَلَا شَتْ عَصِيَّةُ بَنِي أُمَيَّةٍ  
 بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فَأَتَقَرَّضُوا وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ فَغَضُّوا مِنْ أَعْنَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَقَتَلُوا  
 الطَّالِبِينَ وَشَرَّدُوهُمْ فَأَتَحَلَّتْ عَصِيَّةُ عَبْدِ مَنَاةٍ وَتَلَا شَتْ وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ فَاسْتَبَدَّ  
 عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَاصِيَةِ مِثْلُ بَنِي الْأَغْلَبِ بِأَفْرِيقَةَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ وَأَنْقَسَمَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثُمَّ خَرَجَ بَنُو أَدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ وَقَامَ الْبَزْبُزُ بِأَمْرِهِمْ إِذْ عَانَا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُمْ  
 وَأَمَّا أَنْ تَصْلَحَ مُقَاتِلَةُ أَوْ حَامِيَةُ الدَّوْلَةِ فَإِذَا خَرَجَ الدُّعَاةُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 وَالْقَاصِيَةِ وَتَحْصُلُ لَهُمْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَمُلْكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتْ  
 الدَّوْلَةُ تَقْلُصًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ وَتَضَعُفُ الْبَطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا التَّرَفُ  
 فَتَهْلِكُ وَتَضَعُفُ الدَّوْلَةُ الْمُنْقَسِمَةُ كُلُّهَا وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَسْتَعْنِي  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الصَّبْغَةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ إِيَالَتِهَا وَهِيَ صِبْغَةُ الْإِتْقَادِ وَالتَّسْلِيمِ  
 مِنْذُ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ الَّتِي لَا يَعْطِلُ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْبَالِ مَبْدَأَهَا وَلَا أَوَّلِيَّتَهَا فَلَا يَقُولُونَ إِلَّا  
 التَّسْلِيمَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعْنِي بِذَلِكَ عَنْ قُوَّةِ الْعَصَائِبِ وَبِكُنْفَى صَاحِبِهَا بِمَا حَصَلَ  
 لَهَا فِي تَهْنِئَةِ أَمْرِهَا الْإِجْرَاءِ عَلَى الْحَامِيَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَزِقٍ وَيَعْضُدُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي  
 النَّفْسِ عَامَّةً مِنَ التَّسْلِيمِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ عُضْيَانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجَمُودُ  
 مُتَكِرُونَ عَلَيْهِ نَخَالَتُونَ لَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّي لِذَلِكَ وَلَوْ جَبَدَ جَبْدَهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ  
 الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمَنَازَعَةِ لِأَسْنَحْكَامِ صِبْغَةِ التَّسْلِيمِ وَالْإِتْقَادِ  
 لَهُمْ فَلَا تَكَادُ النَّفْسُ تَعُدُّ سِرًّا بِخِلَافَةِ وَلَا يَخْلُجُ فِي فَعْمِيرِهَا انْخِرَافٌ عَنْ  
 الطَّاعَةِ فَيَكُونُ أَسْلَمَ مِنَ الْهَرْجِ وَالْإِنْتِقَاصِ الَّذِي يَخْدُثُ مِنَ الْعَصَائِبِ وَالْعَشَائِرِ  
 ثُمَّ لَا يَزَالُ أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ وَهِيَ تَتَلَا شَى فِي ذَاتِهَا شَأْنَ الْحَرَارَةِ الْفَرِيزِيَّةِ فِي الْبَدَنِ  
 الْعَادِمِ لِلْغَدَاءِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِهَا الْمَقْدُورِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ  
 أَمَدٌ وَاللَّهُ بِقَدْرِ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَأَمَّا الْخَلَلُ الَّذِي يَطْرُقُ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَالِ فَاعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ بِدَوِيَّةٍ كَمَا مَرَّ فَيَكُونُ خَلْقُ الرِّفْقِ بِالرَّعَايَا  
 وَالْقَصْدُ فِي النِّفَقَاتِ وَالتَّعَفُّفُ عَنِ الْأَمْوَالِ فَتَنْجَبَى عَنِ الْإِمْنَعَانِ فِي الْجَبَابَةِ وَالتَّحَدُّثِ



وَالْكَيْسَ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحِسْبَانِ الْعُمَالِ وَلَا دَاعِيَةَ حِينَئِذٍ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي الْفَقَةِ  
فَلَا يَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِثْلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْعِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
إِلَى التَّرَفِ وَيَكْثُرُ إِلَّا تَفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ تَفَقَّاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى التَّعَمُّومِ  
بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَّاتِ الْجُنْدِ وَارْزَاقِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرَفُ فَيَكْثُرُ الْإِسْرَافُ فِي التَّفَقَّاتِ وَيَنْشُرُ ذَلِكَ فِي الرِّعْمَةِ  
لَأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مُلُوكِهَا وَعَوَائِدِهَا وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى ضَرْبِ الْمَكْسُوسِ عَلَى  
أَسْمَانِ الْبَيْعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِذْ رَارِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرَفِ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
بِالْزَّيَادَةِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ تَفَقَّاتِ سُلْطَانِهِ وَارْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِ  
فَلَا تَقْبِي بِهَا الْمَكْسُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْحَلَتْ فِي الْإِسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لَمَنْ تَحْتَ يَدِهَا  
مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ تَقْدِ  
فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشِبْهِهِ أَوْ بَعِيرِ شِبْهِهِ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى  
الدَّوْلَةِ بِمَا لِحَقَّهَا مِنَ الْفَشْلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصَبِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتُدَاوِي بِسَكِينَةِ  
الْعَطَايَا وَكَثْرَةِ الْإِتِّفَاقِ فِيهِمْ وَلَا تَجِدُ عَنْ ذَلِكَ وَابِجَةً وَتَكُونُ جَبَاهُ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
قَدْ عَظُمَتْ تَرْوُهُمْ فِي هَذَا الطَّوْرِ بِكَثْرَةِ الْجَبَايَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا اتَّسَعَ لَذَلِكَ  
مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِاخْتِجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَتَنْشُو السَّعَابَةَ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
مِنْ بَعْضٍ لِلْمَنَافَسَةِ وَالْحَقْدِ فَتَعْمَهُمُ النَّكَبَاتُ وَالْمُصَادَرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
تَذْهَبَ تَرْوُهُمْ وَتَتَلَاشَى أَحْوَالُهُمْ وَيُفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْبَةِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
أَصْطَلَمَتْ نَعْمَتُهُمْ تَهْجَازَتْهُمْ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ التَّرْوَةِ مِنَ الرِّعَايَا سِوَاهُمْ وَيَكُونُ الْوَهْنُ  
فِي هَذَا الطَّوْرِ قَدْ لَحِقَ الشُّوْكَهَ وَضَعُفَتْ عَنِ الْإِسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ فَتَنْصَرِفُ سِيَاسَةُ صَاحِبِ  
الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى مُدَارَاةِ الْأُمُورِ بِبَدْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعُ مِنَ السَّيْفِ لِقَلَّةِ غِنَائِهِ فَتَعْظُمُ  
حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى التَّفَقَّاتِ وَارْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَغْنَى فِيهَا بِرِيْدُ وَيَعْظُمُ الْهَرَمُ  
بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النُّوَاجِحِ وَالدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عُرَاهَا فِي كُلِّ طَوْرِ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
أَنْ تُفْضِيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَتَتَعَوَّضُ مِنَ الْأَسْتِثْلَاءِ الْكُلُّ فَإِنْ قَصَدَهَا طَالِبٌ انْتَرَعَهَا مِنْ  
أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَإِلَّا بَقِيَتْ وَهِيَ تَتَلَاشَى إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ كَالذُّبَالِ فِي السِّرَاجِ إِذَا  
فِي زَيْتِهِ وَطَفِيَّ وَاللَّهُ مَالِكُ الْأُمُورِ وَمُدِيرُ الْأَكْوَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وابتدائها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم ولا انتقاص  
تكون على نوعين إما بان يستبد ولادة الأعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتقلص  
ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصايه يرثه  
عنه أبنائه أو مواليه ويستفحل لهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويتزعم ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم  
وتقلص ظلمها عن القاصية واستبد بنو ساسان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام  
وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الأموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف  
الذين كانوا ولائها في الأعمال وانقسمت دولاً وملوكاً ووزئوها من بعدهم من  
قرايبهم أو مواليتهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرباً لأنهم  
مستقرون في رئاستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وإنما  
الدولة أدركها الهرم وتقلص ظلمها عن القاصية وحجرت عن الوصول إليها والنوع الثاني  
بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الأمم والقبائل إما بدعوة يتحمل الناس  
عليها كما أشرنا اليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبيراً في قومه قد استفحل أمره  
فيسمو بهم إلى الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة  
المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويصابون بها بالطلبة  
إلى ان يظفروا بها ويوزنون<sup>(١)</sup> كما تبين والله سبحانه وتعالى أعلم

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمانحة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الأطراف اذا  
تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر  
كما قدمناه لان فصارهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع

(١) موله ويزنون وفي نسخة ويرفون من الرفو بالراء والفاء اهـ

الدَّعَاةَ وَالْخَوَارِجَ عَلَى الدَّوْلَةِ وَهَؤُلَاءِ لَا يَدُلُّهُمْ مِنَ الْمَطَالِبَةِ لِأَن قُوَّتَهُمْ وَافِيَةٌ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ  
إِنَّمَا يَكُونُ فِي نَصَابٍ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْأَعْتَزَالِ مَا هُوَ كِفَالُهُ ذَلِكَ وَوَأَفَ بِهِ  
فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حُرُوبٌ سَجَالٌ تَنْكَوَرُ وَتَنْصَلُ إِلَى أَنْ يَقَعَ لَهُمْ  
الْإِسْتِيْلَاءُ وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي الْعَالِيَةِ ظَفَرٌ بِالْمُنَاجَزَةِ وَالسَّبَبِ فِي  
ذَلِكَ أَنَّ الظَّفَرَ فِي الْحُرُوبِ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا قَدَّمَ بَابُورُ تَقْسَانِيَّةً وَهَبِيَّةً وَإِنْ كَانَ  
الْعَدَدُ وَالسَّلَاحُ وَصِدْقُ الْقِتَالِ كَفِيْلًا بِهِ لَكِنَّهُ قَاصِرٌ مَعَ تِلْكَ الْأُمُورِ الْوَهْمِيَّةِ كَمَا  
مَرَّ وَلِذَلِكَ كَانَ الْخِدَاعُ مِنْ أَرْزَقِ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الظَّفَرُ بِهِ وَفِي  
الْحَدِيثِ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ قَدْ صَيَّرَتِ الْعَوَائِدَ الْمَأْلُوفَةَ طَاعَتَهَا ضَرْبَةً  
وَاجِبَةً كَمَا أُنْقَدَمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَتَكْثُرُ بِذَلِكَ الْعَوَائِقُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
وَيَكْثُرُ مِنْ هَمِّهِمْ أَتْبَاعُهُ وَأَهْلُ شَوْكَتِهِ وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي  
طَاعَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ إِلَّا أَنَّ الْأَخْرِينَ أَكْثَرُ وَقَدْ دَاخَلَهُمُ الْفُشْلُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ فِي التَّسْلِيمِ  
لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَيَحْصُلُ بَعْضُ الْفُتُورِ مِنْهُمْ وَلَا يَكَادُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يَرْجِعُ  
إِلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ حَتَّى يَبْضَحَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَتَضْحَلُ عَقَائِدُ النَّاسِ لَهَا  
مِنْ قُوَّتِهِ وَتَنْبَعِثُ مِنْهُمْ أَلْفُ لَيْمٍ لِيَصْدُقَ الْمَطَالِبَةُ مَعَهُ فَيَقَعُ الظَّفَرُ وَالْإِسْتِيْلَاءُ وَابْنُ  
فَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ كَثِيرَةُ الرِّزْقِ بِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ وَتَوَسَّعَ مِنَ النِّعَمِ  
وَاللَّذَاتِ وَأَخْضَوْا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ فَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ أَرْبَابُ الْخِيُولِ  
وَالسَّجَادَةِ الْأَسْلِحَةِ وَتَعْظُمُ فِيهِمُ الْأَبْهَةُ الْمَالَكِيَّةُ وَيَقْبِضُ الْعَطَاءُ بَيْنَهُمْ مِنْ مَلُوكِهِمْ  
أَخْيَارًا وَأَضْطَرَّارًا فَيَرْهَوْنُ بِذَلِكَ كُلَّهُ عَدُوَّهُمْ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ بِمَعَزَلٍ عَنْ  
ذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَحْوَالِ الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ فَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَوْهَامُ  
الرَّغْبِ بِمَا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَيُخْرَمُونَ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
فَيَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ حَتَّى تَأْخُذَ الْمُسْتَقَرَّةُ مَا خَذَهَا مِنَ الْحَرَمِ وَيَسْتَحْكِمَ  
الْخُلُقَ فِيهَا فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالْجَبَايَةِ فَيَنْتَهَرُ جَيْشُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ فُرْصَتَهُ فِي  
الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينٍ مُنْذُ الْمَطَالِبَةِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَابْنُ فَاهِلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ  
كُلُّهُمْ مُبَايِنُونَ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَنَاجِيهِمْ ثُمَّ هُمْ مُفَاخِرُونَ  
لَهُمْ وَمُنَابِذُونَ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ وَيُعْطِمُهُمْ فِي الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ فَتَنْتَهَكُنْ

الْمُبَاعَدَةِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ سِرًّا وَجَهْرًا وَلَا يَصِلُ إِلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ خَيْرَ عَن  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يُصِيبُونَ مِنْهُ غَرَّةٌ<sup>(١)</sup> بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَا يَقْطَاعُ الْمُدَاخَلَةَ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ  
 فَيَقِيمُونَ عَلَى الْمُطَالَبَةِ وَهُمْ فِي إِحْجَامٍ وَيَنْكَلُونَ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِزَوَالِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَفَنَاءِ عُمُرِهَا وَوُفُورِ الْخُلَالِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَاتَّضَحَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْهُمْ مِنْ مَرَمِهَا وَتَلَاشِيهَا وَقَدْ عَظُمَتْ قُوَّتُهُمْ بِمَا أَقْطَعُوهُ  
 مِنْ أَعْمَالِهَا وَتَقْصُوهُ مِنْ أَطْرَافِهَا فَتَنَبَّهَتْ هِمَمُهُمْ بِدَا وَاحِدَةٍ لِلْمُنَاجَزَةِ وَيَذْهَبُ مَا كَانَ  
 بَثٌّ فِي عَزَائِمِهِمْ مِنَ التَّوْشُّمَاتِ وَتَنْتَهِي الْمُطَاوَلَةُ إِلَى حَدِّهَا وَبَقِيَ الْأَسْنِيْلَاءُ آخِرًا  
 بِالْمُعَاجَلَةِ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ ظُهِرَ هَا حِينَ قَامَ الشَّيْعَةُ بِخُرَّاسَانَ  
 بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّعْوَةِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْمُطَالَبَةِ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ تَزِيدُ وَحِينَئِذٍ تَمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ  
 وَاسْتَوَلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْعُلُوِيَّةُ بِطَبْرِسْتَانَ عِنْدَ ظُهورِ دَعْوَتِهِمْ فِي الدَّلِيلِ  
 كَيْفَ كَانَتْ مُطَاوَلَتُهُمْ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثُمَّ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْعُلُوِيَّةِ وَسَمَا  
 الدَّلِيلُ إِلَى مُلْكِ فَارِسَ وَالْعِرَاقَيْنِ فَمَكَّشُوا سِنِينَ كَثِيرَةً يُطَاوِلُونَ حَتَّى أَقْطَعُوا  
 أَصْبَهَانَ ثُمَّ اسْتَوَلُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ وَكَذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ أَقَامَ دَاعِيَتَهُمْ بِالْمَغْرِبِ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ بَيْنِي كِتَامَةً مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَزِيدُ تَطَاوُلُ بَنِي الْأَغْلَبِ  
 بِأَفْرِيقِيَّةَ حَتَّى ظَفَرَ بِهِمْ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَسَمَّوْا إِلَى مُلْكِ مِصْرَ فَمَكَّشُوا  
 ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا فِي طَلِبِهَا يُجَيِّزُونَ إِلَيْهَا الْعَسَاكِرَ وَالْأَسَاطِيلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَمْعِيهِ  
 الْعَمَدُ لِمُدَافَعَتِهِمْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنْ بَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمَلَكُوا الْأَسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَيْسِيَّةَ  
 وَالصَّعِيدَ وَتَخَطَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْحِجَازِ وَأَقِيمَتِ بِالْحَرَمَيْنِ ثُمَّ نَازَلَ قَائِدُهُمْ  
 جَوْهَرُ الْكَاتِبِ بِعَسَاكِرِهِ مَدِينَةَ مِصْرَ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا وَقَتْلَعَ دَوْلَةَ بَنِي طُغْجٍ مِنْ صَوْلِهَا  
 وَاخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ فَجَاءَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ الْمُعْزِ لِدِينِ اللَّهِ فَزَلَّهَا لِسْتَيْنَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا مِنْذُ  
 اسْتِغْلَاظِهِمْ عَلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَكَذَلِكَ السُّلْجُوقِيَّةُ مُلُوكُ التُّرْكِ لَمَّا اسْتَوَلُوا عَلَى بَنِي سَاسَانَ  
 وَأَجَازُوا مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ مَكَّشُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُطَاوِلُونَ بَنِي سَبَكْتِكِيْنَ بِخُرَّاسَانَ  
 حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى دَوْلَتِهِ ثُمَّ رَحَلُوا إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَوَلُوا عَلَيْهَا وَعَلَى الْخَلِيفَةِ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ  
 مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَلِكَ التُّرْكُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَقَازَةِ عَامَ سَبْعَةِ عَشَرَ وَسِتِّمِائَةٍ فَلَمَّ  
 يَتَمَّ لَهُمُ الْأَسْنِيْلَاءُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ خَرَجَ بِهِ الْمُرَابِطُونَ مِنْ

لِمِثْنَةٍ عَلَى مَلُوكِهِ مِنْ مِغْرَاةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوَلَوْا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْوَحْدُونَ  
 يَدْعُوهُمْ عَلَى لِمِثْنَةٍ فَمَكَثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُحَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى  
 كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ وَكَذَا بَنُو مُرَيْنَ مِنْ زَنَاطَةَ خَرَجُوا عَلَى الْمُوَحِّدِينَ فَمَكَثُوا بِطَاوَلُونَهُمْ  
 نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوَلَوْا عَلَى فَاسَ وَاقْطَعُوهَا وَأَعْمَالَهَا مِنْ مُلْكِهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
 فِي مُحَارَبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَاكِشَ حَسْبَمَا نَذَرُ ذَلِكَ  
 كَلْمُهُ فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمُطَالَبَةِ  
 وَالْمُطَاوَلَةِ سَنَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
 الْفَتْوحَاتِ إِلَّا سَلَامِيَّةً وَكَيْفَ كَانَ اسْتِئْثَالُهُمْ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ لثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعٍ مِنْ  
 وَقَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا  
 سِرُّهَا اسْتِجَابَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِغَاةً بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
 عَدُوِّهِمْ مِنَ الرُّغْبِ وَالْتِخَاضِ فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ الْمَقْرَرَةِ فِي مُطَاوَلَةِ الدُّوَلِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
 الْمُتَعَارِفَ ظُهُورُهَا فِي الْعِلْمَةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً وَالْمُعْجَزَاتُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
 يُعَارِضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات  
 إِنْ أَعْلَمَ أَنََّّهُ قَدْ تَقَرَّرَ لَكَ فِيهَا سَلَفُ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الرَّفْعِ  
 فِي مَلَكْتِهَا وَالْأَعْدَالِ فِي إِبَالَتِهَا إِمَّا مِنَ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنَ  
 الْمَكَارِمَةِ وَالْحَسَنَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدُّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكَةُ  
 رَفِيقَةً مُحْسِنَةً انْبَسَطَتْ أَسَالُ الرِّعَايَا وَانْتَشَطُوا لِلْعُمَرَانِ وَأَسَابِيهِ فَتَوَفَّرَ وَيَكْثُرُ التَّنَاسُلُ  
 وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقْلِ وَفِي  
 انْقِصَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدَّوْلَةُ عَلَى نِهَابِ عُمْرِهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ الْعُمَرَانُ فِي  
 غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا تَقُولُنَّ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ يَكُونُ فِيهَا إِلَّا جَحَافٌ  
 بِالرِّعَايَا وَسُوءِ الْمَلَكَةِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَا لِأَنَّ الْأَجْزَالَ وَإِنْ حَدَثَ  
 حِينَئِذٍ وَقَلَّتِ الْجَبَابَاتُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدْرِيجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْمَوْتَانَ تَكْثُرُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْجَمَاعَاتُ فَلِقَبْضِ النَّاسِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْقُلْعِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ  
فِي آخِرِ الدُّوَلَةِ مِنَ الْعُدُونِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَا أَوْ الْفِتَنِ الْوَاقِعَةِ فِي انْتِقَاصِ الرِّعَايَا  
وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ لَهُمْ الدُّوَلَةُ فَيَقِلُّ احْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَتَمَرُّهُ  
بِمُسْتَعْمِرٍ أَوْ جَدٍ وَلَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضَعُفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالنِّعَامُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنَّ  
النَّاسَ وَائِقُونَ فِي أَقْوَانِهِمْ بِالْإِحْكَارِ فَإِذَا فَقِدُوا الْإِحْكَارَ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْجَمَاعَاتِ  
فَعَلَا الزَّرْعُ وَتَعَجَّرَ عَنْهُ أُولُو الْخُصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ الْإِحْكَارَ مَفْقُودًا  
فَشَمَلَ النَّاسُ الْجُوعُ وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِاخْتِلَالِ الدُّوَلَةِ فَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَفُوعُ التُّوْبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
الْغَالِبِ فِسَادُ الْهَوَاءِ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ لِكَثْرَةِ مَا يُخَالِطُهُ مِنَ الْعَفْنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاهُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِي وَمَلَابِسُهُ دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
مَزَاجِهِ فَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّئَةِ وَهَذِهِ هِيَ الطُّوَاعِينُ وَأَمْرَاضُهَا  
مَخْصُوصَةٌ بِالرِّئَةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفْنُ وَتَضَاعَفَ  
فَتَكْثُرُ الْحُمَمَاتُ فِي الْأَنْزِجَةِ وَتَمْرَضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفْنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمَرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرُ الدُّوَلَةِ لِمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ  
الْمَلَكَةِ وَرِفْقِهَا وَقِلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
تَخَلُّلَ الْخَلَائِ وَالْفَقْرِ بَيْنَ الْعُمَرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمَوُّجُ الْهَوَاءِ يَذْهَبُ بِمَا يَحْصُلُ فِي  
الْهَوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفْنِ بِمُخَالِطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهَوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنَّ  
الْمَوْتَانَ يَكُونُ فِي الْمَدُنِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كَمَصْرِ بِالْمَشْرِقِ  
وَقَاسٍ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها امره  
اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى  
العمران الذي نتكلم فيه وانه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرضون

إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ تَارَةً يَكُونُ مُسْتَنْدًا إِلَى شَرْعٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُوجِبُ أَتْقِيَادَهُمْ  
إِلَيْهِ إِيْمَانُهُمْ بِالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مَبْلَغُهُ وَتَارَةً إِلَى سِيَاسَةِ عَقْلِيَّةٍ يُوجِبُ  
أَتْقِيَادَهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ الْحَاكِمِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ فَالْأَوَّلَى  
يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ لِعِلْمِ الشَّارِعِ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَلِمُرَاعَاةِ نَجَاةِ  
الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنَ السِّيَاسَةِ  
الْمَدَنِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
وَاحِدٍ مِنَ أَهْلِ ذَلِكَ الْجُمُوعِ فِي نَفْسِهِ وَخَلْقِهِ حَتَّى يَسْتَعْنُوا عَنْ الْحُكْمِ رَأْسًا  
وَيُسَمُّونَ الْجُمُوعَ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ الْفَاصِلَةِ وَالْقَوَانِينِ  
الْمُرَاعَاةِ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدَنِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
الْاجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
بَعِيدَةٌ لَوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالْقَدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
الَّتِي قَدَّمَائِهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى الْغُمُومِ وَمَصَالِحُ  
السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مَلِكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفَرَسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
الْحِكْمَةِ وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْمِلَّةِ وَلَعَهْدِ الْخِلَافَةِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
مُغْنِيَةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ وَأَحْكَامُ الْمَلِكِ مُنْذِرَةٌ فِيهَا. أَلَوْجُهُ الثَّانِي  
أَنْ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمَلِكُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
الْمَصَالِحُ الْعَامَةُ فِي هَذِهِ تَبَعًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي لِيَسَائِرِ  
الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يَجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا نَقَضْتُهُ  
الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِحَسَبِ جِهَدِهِمْ فَقَوَانِينُهَا إِذَا جُمِعَتْ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَادَابِ  
خَلْقِيَّةٍ وَقَوَانِينِ فِي الْاجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ ضَرُورِيَّةٍ  
وَالْأَقْدَاءِ فِيهَا بِالشَّرْعِ أَوَّلًا ثُمَّ الْحُكْمَاءِ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي سِيرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأَوْدَعَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وَلَاهُ  
الْعَامُونَ الرِّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ طَاهِرٌ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ عَهْدَ إِلَيْهِ  
فِيهِ وَصَاةٌ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانَتِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحَثُّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَنَحَاسِ الشِّيمِ بِمَا لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مَلِكٌ

وَلَا سَوْفَةٌ . وَنَحْنُ الْكِتَابُ ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحِدَّةِ  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُزَابَلَةِ سُخْطِهِ وَاحْظَ رَعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَالزَّمِ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عِنْدَهُ  
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِدُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُجَنِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
عِقَابِهِ وَالْإِسْمَ عَدَائِهِ فَإِنَّ اللَّهَ مُبْجَاهَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ بَيْنَ أَسْتَرْغَاكَ  
أَنْزَلَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالِدْفَعَ  
عَنْ حَرَمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَنْفَ لِسِرِّيهِمْ وَإِذْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
وَمُؤَاخَذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْفِقَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثَبِّتَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ  
فَقَرِّغْ لِدَلِّكَ قَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَبَصْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَمِلَاكُ  
شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ فَعَلَّكَ  
الْمُؤَاظَنَةَ عَلَيَّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
قَبْلَكَ وَتَوَائِعِهَا عَلَى سُنَنِهَا مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
فِي قِرَاءَتِكَ وَتَدْمِكُنْ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدُكَ وَلْتَصْرِفْ فِيهِ رَأْيَكَ وَتَيْتَكَ  
وَأَحْضِضْ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مَعَهُ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَادَّبَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَتَّعَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَالْمُتَابَرَةِ عَلَى خِلَافَتِهِ وَافْتِنَاءِ أَثَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَرْوَا سَاعِنَ  
عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَادِ وَبَارُومٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ  
وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَنْتَاهِمَ مَا جَاءَتْ بِهِ إِلَّا تَارَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَدَيَّانَ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ  
مِنَ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْرَ وَأَهْلَهُ وَالَّذِينَ وَحَدَلَتْهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَامِلِينَ  
بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ الدَّرَجَةُ الْفَقْرُ فِي الدِّينِ وَالطَّائِبُ لَهُ وَلَحْتُ عَلَيْهِ وَالْمَعْرِفَةُ  
بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَدْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزِدُكَ أَلَمْرَهُ مَعْرِفَةً وَإِجْلَالًا  
لَهُ وَدَرَكَكَ لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظَهْرِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ وَالْهَيْبَةِ  
لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالنِّقَّةَ بِعَدْلِكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ



تَفْعًا وَلَا أَخْصًا أَمَّا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرَّشْدِ وَالرَّشْدُ دَائِلٌ عَلَى  
التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْإِقْتِسَادِ وَكَذَلِكَ فِي  
دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تَقْصُرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ  
وَمَعَالِمِ الرَّشْدِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطْلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ  
تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمِرَافَقَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا  
يُورِثُ الْعِزَّ وَيُبَحِّصُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَتَصَلَّحَ أُمُورَكَ  
بِأَفْضَلِ مَنْهَ قَانِهِ وَاهْتَدِ بِهِ نَتِمَ أُمُورَكَ وَتَزِدْ مَقْدَرَتَكَ وَتَصْلَحْ عَامَتَكَ وَخَاصَّتَكَ وَأَخْسِنِ  
ظَنَكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمَ لَكَ رَعِيَّتُكَ وَالتَّمَسَّيُ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِمُ  
بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُتِمِّنَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا نُؤَلِّيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ  
أَمْرُهُ فَإِنْ إِبْقَاعَ الثُّمِّ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَتَمَّ إِثْمُهُ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ  
الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَارْزُقْهُمْ فِيهِمْ يُعْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ  
وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ سُوءُ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يَنْقُصُ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ  
تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةً وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ  
النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ  
وَالرَّافَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئَلَةَ وَتَبْحَثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَحِبَاطَةِ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمَلِ مَوْنَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ  
فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَحْيَا لِلسَّنَةِ وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ  
تَقَرَّدُ مِنْ يَعلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَتَعْزِي بِمَا أَحْسَنَ وَمَوْأَخِذٌ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ وَأَسْلَكَ بِمَنْ تَسُوَّهُ وَتَرَعَاهُ  
نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى وَأَقَمَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ  
وَمَا اسْتَحَقُّوهُ وَلَا تُعْطَلُ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخَّرُ عِقُوبَةُ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنْ فِي  
تَقَرُّبِكَ فِي ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَأَعْتَزِّمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسَّنَنِ  
الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ بِسَلَامٍ لَكَ دِينُكَ وَنَقَمٌ لَكَ مُرُوءَتُكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ  
عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَشَدُّ لِسَانِكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغَضُ  
 أَهْلِ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِلِهَا تَقَرُّبُ الْكَذُوبِ وَالْجُرْأَةِ  
 عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَنَامِ وَالزُّورُ وَالنَّمِيمَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ النَّمِيمَةَ لَا  
 يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَائِلُهَا لَا يَسْلُمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَحِبُّ أَهْلِ الصَّلَاحِ  
 وَالصَّدْقِ وَأَعَزُّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ وَأَسْرُ الضُّعْفَاءِ وَصِلِ الرَّحِمَ وَأَبْغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَإِعْزِزْ أَمْرَهُ وَالْتَمِسْ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَأَجْنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ  
 وَأَصْرِفْ عَنْهُمْ رَأْيَكَ وَأَظْهَرِ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ وَأَنْعِمْ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
 وَتُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
 وَاتَّخِذِ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّبِشَ وَالْعُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
 أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ التَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَرُؤَتُهُ مِنْ يَشَاءُ  
 وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَنْ يَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّقْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حِمْلَةِ  
 النِّعْمَةِ مِنْ اصْتِحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدُّوَلَةِ إِذَا كَثُرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ  
 وَاسْتَبَالُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ وَلَمْ تَكُنْ ذَخَائِرَكَ  
 وَكُوزَكَ الَّتِي تَدْخُرُ وَتَكْزُرُ الْبِرَّ وَالْقَوَى وَاسْتَصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمُ وَالتَّقَدُّ  
 لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظَ لِيَمَانِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلِكُوهُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا كَثُرَتْ وَأُدْخِرَتْ  
 فِي الْخَزَائِنِ لَا تَنْمُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفَتْ الْأَذْيَةَ  
 عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَةُ وَتَرْتَّبَتْ بِهَا الْوِلَايَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَقِدَ  
 فِيهَا الْعَزْ وَالْمَنْفَعَةُ فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
 وَوَفْرٍ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقُهُمْ وَأَوْفٍ مِنْ ذَلِكَ حِصَصُهُمْ وَتَعَهَّدَ مَا  
 بُصِّلَ أُمُورُهُمْ وَمَعَانَشُهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبْتَ الْعَزِيدَ  
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ  
 وَكَانَ الْجَمِيعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِمَا عَنكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا  
 أَرَدْتَ وَأَجْهَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَكَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلْيَعْظُمْ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَنْتَقِي مِنَ  
 الْأَمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْرِفَ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَأَتَيْنَهُمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ

تُسَبِّحُكَ الدُّنْيَا وَغُرُورُهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ فَتَنَهَاوْنَ بِمَا يُعْطَى عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّهْلُوكَ يُورِثُ التَّغْرِيطَ  
وَالْتَّغْرِيطَ يُورِثُ الْبَوَارَ وَلَيْسَ كُنْ عَمَلُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْجَى الثَّوَابِ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سَمِيعُهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ بِرِذْكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَإِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَإِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَلَا  
تُحَقِّرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَزْنَحَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا وَلَا تُؤَالِجَنَّ فَاسِقًا وَلَا تُتِمِّعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تُحَمَّدَنَّ  
مُرَائِيًا وَلَا تُحَقِّرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَزُدَنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحْسِنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْهِكًا  
وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تَزْهَوَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تُبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلَا تُنْشِئَنَّ مَرَحًا  
وَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَلَا تَرْفَعْ لِلنَّمَامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضَنَّ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تُطْلِنَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثَرَ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَاسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي أَلْعُقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّفْقَةِ وَالْبُخْلِ وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فَسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعِيَّتِكَ مِنَ الشَّيْءِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ  
عَلَيْهِمْ وَابْتِدْئِ مَنْ صَافَاكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ وَاجْتَنِبِ  
الشَّيْءَ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانُ بِهِ رَبَّهُ وَإِنَّ الْعَاجِزَ بِمَنْزِلَةِ بَازِيٍّ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْئِكَ حَقًّا وَنَصيبًا وَاقْبَلْ أَنَّ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَأَعِدْهُ لِنَفْسِكَ  
خَلْقًا وَأَرْضَ يَهْ عَمَلًا وَمَذْهَبًا وَتَقَدَّرَ الْجُنْدُ فِي دَوَابِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ وَادَّرْ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ يُذْهِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ فَاغْتَنَمَ فَقَوَى لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَزِيدَ  
قُلُوبُهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحَيْطَتِهِ وَإِنْصَافِهِ وَعِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَبِرِّهِ  
وَتَوْسِعَتِهِ فَرَايِلَ مَكْرُوهِ أَحَدِ الْبَائِسِينَ بِاسْتِشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَلِزُومِ الْعَمَلِ بِهِ  
تَلَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَفَلَاحًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ

الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعْدُلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
 الْأَرْضِ وَبِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرِّعِيَّةِ وَتَأْمَنُ السُّبُلُ  
 وَتَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الدِّعْيَةُ وَيُودَى حَقُّ الطَّاعَةِ  
 وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَالِيَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيَقِيمُ الدِّينَ وَيُعْزِي السُّنَنَ وَالشَّرَائِعَ فِي تَجَارِبِهَا وَاشْتِدَّ  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعَ عَنِ النَّطْفِ وَأَمَضَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَقْبَلَ الْحِجْلَةَ وَأَبْعَدَ  
 عَنِ الصَّحْبِ وَالْقَلْقِ وَأَفْنَعَ بِالْقِسَمِ وَأَتَفَعَ بِتَجْرِيبِكَ وَأَنْبَتَ فِي صَمِيكَ وَأَسَدَدَ فِي مَنَظِقِكَ  
 وَأَنْصَفَ الْخَصْمَ وَقَفَّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ وَأَبْلَغَ فِي الْحِجَّةِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
 مُحَابَاةٌ وَلَا تَجَامَلَةٌ وَلَا لَوْمَةٌ لِأَمْرِ وَتَثَبَّتْ وَتَأَنَّنَ وَرَاقِبَ وَأَنْظَرَ وَتَنَكَّرَ وَتَدَبَّرَ وَاعْتَبَرَ  
 وَتَوَاضَعَ لِرَبِّكَ وَأَزْفَقَ بِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ وَسَاطَ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعْ إِلَى سَنَكِ  
 دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَمُكِّنُ عَظِيمَ أَنْتَهَا كَمَا لَمَّا بَغِيَرُ حَقِّهَا وَأَنْظُرْ هَذَا  
 الْخِرَاجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرِّعِيَّةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرَفْعَةً وَلِأَهْلِهِ  
 تَوْسِعَةً وَمِنْعَةً وَلِعُدُوهِ وَعَدُوهُمْ كِتَابًا وَغِيْظًا وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مُعَادِيهِمْ ذَلًّا وَصَغَارًا  
 فَوزْنُهُ بَيْنَ الْمُحَابِيهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْتِسْوِيَةِ وَالْعُمُومِ وَلَا تَدْعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
 لَشَرَفِهِ وَلَا عَنْ غَنِيِّ لْغِنَاهُ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لَكَ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَتِكَ وَلَا  
 تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْأَحْثَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ لِاتِّسَامِهِمْ وَالْزَمُ لِرِضَاءِ الْعَامَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ  
 حَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ فَخُذْ  
 مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَنَفَذْهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ وَاسْتَعْمِلْ  
 عَلَيْهِمْ أُولِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالتَّخْبِرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ وَوَسِّعْ  
 عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيهَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْكَ فَلَا  
 يُشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ  
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحُسْنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ وَاجْتَرَرْتَ بِهِ  
 الْحِجَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ وَفَسَتْ الْعِمَارَةُ  
 بِتَاجِيَتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
 أَرْيَاضِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكَانَتْ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ

مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ وَكَُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَهُ وَقُوَّةٌ وَعِدَّةٌ  
فَنَافَسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تَقْدِمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تُحَمَّدُ عَاقِبَةُ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَجْعَلْ فِي  
كُلِّ كُوزَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِيًّا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عُمَّالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِرِّهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ  
حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ  
فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ  
حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَارْاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ  
فِيهِ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ زُرْ بَمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدَرَهُ وَأَنَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعُوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ  
فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقُضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ  
وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثَرَ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ  
وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لَعْدِكَ وَأَكْثَرِ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ الْغَدَا مُورًا وَحَوَادِثَ  
تَهْلِكُ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخَّرْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا  
أَخَّرْتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ فَيَنْشَقُّكَ ذَلِكَ حَتَّى تَمْرُضَ مِنْهُ وَإِذَا أَمَضْتَ  
لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ  
وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ بِمَنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوْبَتِهِمْ وَشَهَدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ  
بِالنُّصْحِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلَصْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْيُونَتَاتِ بِمَنْ  
قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ وَأَحْسِنِ لِمُؤَنَّتِهِمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا لِحَالَتِهِمْ مَسًّا  
وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ  
وَالْمُحْتَقِرُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ فَاسْأَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْئَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمْنَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
مِنْ رِعْيَتِكَ وَمِنْهُمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيَمَا يَصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ  
وَتَعَاهَدَ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَابْتِئَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِنَاءً  
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَةِ لَهُمْ لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ  
عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَصْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَدِمَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ  
مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لِأَكْثَرِهِ فِي الْجَرَايَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْصِبْ لِمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دُورًا  
تَأْوِيهِمْ وَقَوْمًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفَهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُؤَدِّرْ  
ذَلِكَ إِلَى إِسْرَافٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حُقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيَتِهِمْ

لَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِيبْ أَنْفُسَهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَائِجِهِمْ إِلَى وُلاَتِهِمْ طَمَعًا فِي نَدَى  
الزِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرِّفْقِ مِنْهُمْ وَرَبَّمَا تَبَرَّمَ الْمُتَصَنِّعُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ  
وَيُسْغِلُ فِكْرَهُ وَذَهْنَهُ فِيهَا مَا يَنَالُهُ بِهِ مِنْ مَوْثِقَةٍ وَمَسْقَةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْقَدْرِ  
وَيَعْرِفُ مُحَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْآجِلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرُبُهُ إِلَّا  
اللَّهُ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرَ الْأَذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَمِعَكَ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بَشْرَكَ وَلَنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالنُّطْقِ  
وَأَعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَعْطِ بِسَاحَةِ وَطِيبِ نَفْسٍ وَالنَّيَّاسِ  
لِلصَّبِيحَةِ وَالْآخِرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتِنَانِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ تَكُنْ ذَلِكَ نِجَارَةً مَرْجُومَةً  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْتَبْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ الشُّطْرَانِ  
وَالزُّنَاسَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ أَعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُجَّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَنِهِ وَبِإِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبْ  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَلَّكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا وَكَثُرَ مَجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ  
وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَتَخَالُطِهِمْ وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السَّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِبْثَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دَخْلَاكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عِيًّا بِكَ لَمْ يَمْنَعْ  
هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْتِهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ فَإِنَّ أَوَّلِيكَ أَنْفَعُ  
أَوَّلِيَاكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَأَنْظُرْ عُمَلَّكَ الَّذِينَ يَحْضُرُكَ وَكُتَابُكَ فَوْقَ لِكُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفَتَا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُنْيَتِهِ وَمَوَاسِرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عُمَلَّكَ وَأُمُورِ الدُّوَلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُوْرَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَقْلَكَ وَكَثِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمُضِهِ وَاسْتَخْرِ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِلنَّكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالتَّنَبُّثِ فِيهِ وَلَا تَمْتَنِ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ نُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْقَامَةَ  
وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَنَهْمُ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْتُمْ النَّظَرُ فِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَاسْتَخِرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّالِحِ وَأَهْلِهِ وَلِيَكُنْ أَعْظَمُ سِرِّكَ وَأَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ رَضَى وَلَدَيْنِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكَّنَا وَلِلْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا وَأَنَا  
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكِلَاءَتَكَ وَالسَّلَامَ. وَحَدَّثَ الْأَخْبَارِيُّونَ  
أَنْ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ أُعْجِبَ بِهِ النَّاسُ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ فَلَمَّا قُرِئَ  
عَلَيْهِ قَالَ مَا أَقْبَى أَبُو الطَّيِّبِ بَعْنِي طَاهِرًا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَالنَّدْبِيرِ وَالرَّأْيِ  
وَالسِّيَاسَةِ وَصَلَاحِ الْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ وَحَنِظِ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ الْخُلَفَاءِ وَنَقُومِ الْخِلَافَةِ إِلَّا  
وَقَدْ أَحْكَمَهُ وَأَوْصَى بِهِ ثُمَّ أَمَرَ الْمَأْمُونُ فَكُتِبَ بِهِ إِلَى جَمِيعِ الْعَمَالِ فِي التَّوَاهِي  
لِيَقْتَدُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ هَذَا أَحْسَنُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك

اعْلَمَنَّ أَنْ فِي الْمَشْهُورِ بَيْنَ السَّكَافَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَعَرَةِ الْأَعْصَارِ أَنَّهُ لَا بَدْءَ  
فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ ظُهُورِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُؤَيِّدُ الدِّينَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَتَّبِعُهُ  
الْمُسْلِمُونَ وَيَسْتَوِلِي عَلَى الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيُسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ وَيَكُونُ خُرُوجُ  
الدَّجَالِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاءَةِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ عَلَى أَتْرِهِ وَأَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ مِنْ  
بَعْدِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ أَوْ يَنْزِلُ مَعَهُ فَيَسْأَلُهُ عَلَى قَتْلِهِ وَيَأْتُمُّ بِالْمَهْدِيِّ فِي صَلَاتِهِ وَيَتَحَنَّنُ  
فِي الشَّانِ بِأَحَادِيثَ خَرَجَهَا الْأَنُومَةُ وَكَكَلَّمَ فِيهَا الْمُنْكَرُونَ لِنَاكَ وَرُبَّمَا عَارِضُوهَا  
بِبَعْضِ الْأَخْبَارِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الْفَاطِمِيِّ طَرِيقَةً أُخْرَى وَتَوَخَّعَ مِنْ  
الْإِسْتِدْلَالِ وَرُبَّمَا يَتَعَمَّدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْكُشْفِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ طَرِيقَتِهِمْ. وَنَحْنُ  
الآن نَذْكُرُ هُنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الشَّانِ وَمَا لِلْمُنْكَرِينَ فِيهَا مِنَ الْمَطَاعِينَ  
وَمَا لَهُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ مِنَ الْمُسْتَنْدِثِ تَتَبِعُهُ بِذِكْرِ كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَرَأْيِهِمْ لِيُبَيِّنَ  
لَكَ الصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَنَقُولُ إِنْ جَمَاعَةً مِنَ الْأَنُومَةِ خَرَجُوا أَحَادِيثَ  
الْمَهْدِيِّ مِنْهُمْ التُّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَزْأَنِيُّ مَاجَةً وَالْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْقَى الْعَوْصَلِيُّ  
وَأَسْنَدُوهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ عَلِيٍّ وَآبِنِ عَبَّاسٍ وَآبِنِ عُمَرَ وَطَلْحَةَ وَآبِنِ  
مَسْعُودٍ وَآبِنِ هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَآبِنِ سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَأُمِّ حَبِيبَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَتَوْبَانَ وَفُرَّةَ  
آبِنِ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيٍّ الْأَهْلَائِيَّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ بِأَسَانِيدٍ رُبَّمَا يَعْزُضُ لَهَا

الْمُنْكَرُونَ كَمَا نَذَرُوهُ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
التَّعْدِيلِ فَإِذَا وَجَدْنَا طَعْنًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْأَسَانِيدِ بِقِلَّةٍ أَوْ بِسُوءِ حِفْظٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ  
سُوءِ رَأْيٍ تَطَرَّقَ ذَلِكَ إِلَى صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَأَوْهَنَ مِنْهَا وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ رُبَّمَا يَتَطَرَّقُ  
إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحِينَ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ قَدِ اتَّصَلَ فِي الْأَمَّةِ عَلَى تَلَقُّبِهِمَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ  
بِمَا فِيهِمَا وَفِي الْإِجْمَاعِ أَعْظَمُ حِمَايَةٍ وَأَحْسَنُ دَفْعًا وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحِينَ بِمِثْلَيْهِمَا  
فِي ذَلِكَ فَقَدْ تَجَدَّدَ مَجَالُ الْكَلَامِ فِي آسَانَيْهِمَا بِمَا نَقَلَ عَنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ.  
وَلَقَدْ تَوَعَّلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَلَى مَا نَقَلَ السَّهْلِيُّ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ لِلْإِحَادِيثِ  
الْوَارِدَةِ فِي الْمَهْدِيِّ فَقَالَ وَمِنْ أَغْرِبِهَا إِسْنَادًا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْكَافُ فِي قَوَائِدِ  
الْأَخْبَارِ مُسْتَنَدًا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَذَبَ بِالْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ كَذَبَ بِالْجَلَالِ فَقَدْ كَذَبَ  
وَقَالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلَ ذَلِكَ فِيمَا أَحْسِبُ وَحَسْبُكَ هَذَا غُلُوءًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِصِحَّةِ طَرِيقِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْكَافَ عِنْدَهُمْ مُتَّهَمٌ وَضَاعٌ.  
وَأَمَّا التَّرْمِذِيُّ فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُ دَاوُدَ بِسَنَدَيْهِمَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي  
الْجُودِ أَحَدِ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ إِلَى زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ  
رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي هَذَا لَفَظَ أَبِي دَاوُدَ  
وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِنَّ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ  
وَلَفَظَ التَّرْمِذِيُّ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي  
وَفِي لَفْظٍ آخَرَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَكِلَاهُمَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا  
مِنْ طَرِيقٍ مَوْفُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ الْحَاكِمُ رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَزَائِدَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ  
أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ وَطَرَقَ عَاصِمٌ عَنْ زُرَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ كَلِمًا صَحِيحَةً عَلَى  
مَا أَصْلَتْهُ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِأَخْبَارِ عَاصِمٍ إِذْ هُوَ إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ (انْتَهَى) إِلَّا  
أَنَّ عَاصِمًا قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا قَارَأَ الْقُرْآنَ خَيْرًا نَفَقَةً وَالْأَعْمَشُ  
أَحْفَظُ مِنْهُ وَكَانَ شُعْبَةُ يَحْتَارُ الْأَعْمَشَ عَلَيْهِ فِي تَثْبِيثِ الْحَدِيثِ وَقَالَ الْعِجْلِيُّ كَانَ يَخْتَلِفُ  
عَلَيْهِ فِي زُرَّارٍ وَأَبِي وَائِلٍ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رَوَايَتِهِ عَنْهُمَا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ



كَانَ ثَقَّةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ أَضْطَرَّ ابْنُ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِبْنِ أَبِي زُرْعَةَ يَقُولُ عَاصِمٌ ثَقَّةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ أَبِي عُلَيْيَةَ فَقَالَ كُلُّ مَنْ أَسْمَهُ عَاصِمٌ سَيِّئٌ الْخَفِظُ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصِّدْقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْخَافِظُ  
 وَاخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ النَّسَائِيِّ وَقَالَ ابْنُ حَرَّاشٍ فِي حَدِيثِهِ نَكَرَةٌ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْعَقِيلِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْخَفِظِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا أَسْمَهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْخَفِظِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي شُعْبَةَ  
 يَقُولُ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ فِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الذَّهَبِيُّ ثَبَتَ فِي  
 الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ اخْتَجَّ أَحَدُ بَنِي الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَاهُ فَتَقُولُ أَخْرَجَاهُ  
 مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رَوَايَةِ قُطَيْبِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِمَآلَاهَا  
 عَدْلًا كَمَا مَلِكْتُ جَوْرًا وَقُطَيْبُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثَقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى ابْنُ الْقَطَّانِ وَابْنُ  
 مُعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَّا أَنَّ الْعَقِيلِيَّ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْبُعٌ قَلِيلٌ وَقَالَ ابْنُ  
 مُعِينٍ رَوَى ثَقَّةً شَيْعِيًّا وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قُطَيْبٍ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا نَكْتُمُ عَنْهُ وَقَالَ مُرَّةٌ كُنْتُ أَمُرُّ بِهِ وَأَدْعُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ لَا يُخْجَعُ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الزَّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا لِسُوءِ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثَقَّةٍ أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 ابْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ النَّسَافِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ بِشِبْهِهِ فِي الْخُلُقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخُلُقِ بِمِثْلِ الْأَرْضِ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مَطْرِفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ هِلَالِ بْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنْصُورٌ يُوطِئُ  
 أَوْ يُمْكِنُ لَيْلٍ مُحَمَّدٌ كَمَا مَكَّنْتُ فَرِيضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ

عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ أَوْ قَالَ إِيَّابُهُ سَكَتَ أَبُو دَاوُدَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي  
 هَارُونَ هُوَ مِنْ وَلَدِ الشَّيْبَةِ وَقَالَ السُّلَيْمَانِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ  
 لَا بَأْسَ فِي حَدِيثِهِ خَطَأً وَقَالَ الْأَذْهَبِيُّ صَدَقَ لَهُ أَوهَامٌ وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبِيُّ وَإِنَّ  
 خَرَجَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَاتُهُ عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطِعَةٌ  
 وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمُعْبِرَةِ . وَأَمَّا السَّنَدُ الثَّانِي فَأَبُو الْحَسَنِ فِيهِ  
 وَهْلَالُ بْنُ عُمَرَ مَجْهُولَانِ وَلَمْ يُعْرِفْ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مِنْ رَوَايَةِ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْهُ  
 أَنَّهُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقٍ عَلِيَّ  
 ابْنَ قَبِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَذْكُرُ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ نَعَمْ هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ وَلَمْ يَتَّكِمْ عَلَيْهِ بِالصَّحِيحِ وَلَا  
 غَيْرِهِ وَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ وَقَالَ لَا يُتَابَعُ عَلِيُّ بْنُ قَبِيلٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ  
 وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ رَوَايَةِ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ صَاحِبٍ لَهُ عَنْ  
 أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا  
 إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُغَيِّرُ جُوهَهُ وَهُوَ كَارِهِ فَيَأْبِئُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ  
 فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخَفِّفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ  
 ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيَأْبِئُونَهُ ثُمَّ يَتَشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
 أَخْوَالَهُ كُلُّهُمْ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ وَالْخَبِئَةِ لَمْ تَلَمْ  
 بِشَهْدِ غَنِيمَةَ كُلِّهُمْ فَيُقْسِمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسَنَةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيُلْقِي إِلَّا سَلَامُ مُجَرَّاهُ عَلَى الْأَرْضِ فَيَلْبِثُ سَبْعَ سِنِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَوَاهُ  
 أَبُو دَاوُدَ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ  
 الْمُبْهَمُ فِي الْأَسْنَادِ الْأَوَّلِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحَيْنِ لَا مَطْعَنَ فِيهِمْ وَلَا مُتَمَرِّزٌ وَقَدْ  
 يُقَالُ أَنَّهُ مِنْ رَوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَقَتَادَةُ مُدَلِّسٌ وَقَدْ عَنَّتْهُ وَالْمُدَلِّسُ لَا يَقْبَلُ  
 مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَا صُرِّحَ فِيهِ بِالسَّمَاعِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ تَضَرُّعٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
 نَعَمْ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبْوَابِهِ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا وَتَابَعَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
 الْحَدَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ إِفْتَى

الْأَنْفَ يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتَ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ هَذَا لَفْظُ  
أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ أَثْمُ الْأَنْفِ أَقْنَى أَجَلِي  
يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئْتَ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعِيشَ دَمَكَا وَيَبْسُطُ يَسَارَهُ  
وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ بَيْعِنِهِ السَّبَابَةَ وَالْإِبْهَامَ وَعَقْدَ ثَلَاثَ قَالِ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ  
عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرِجْ جَاهُ ١٠٨٠. وَعُمَرَانُ الْقُطَّانُ مُخْتَلِفٌ فِي الْإِخْتِجَاجِ بِهِ إِنَّمَا أَخْرَجَ  
لَهُ الْجُبَّارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقُطَّانُ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ  
لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحًا  
الْحَدِيثُ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَقَالَ  
النِّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَجَرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
وَمَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَتَنَّى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ يَفْتَوِي شَدِيدَةً فِيهَا سَفَكُ الدِّمَاءِ وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ الْعَمِيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ  
الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ قَسَالَنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ وَيَبْعِشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ الشَّائِكُ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَاكَ  
قَالَ سَنِينَ قَالَ فَيَحْيَى إِلَيْهِ يَقُولُ يَا مَهْدِيَّ اعْطِنِي قَالَ فَيَحْثُلُهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
يَحْمِلَهُ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ أَبِي مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ إِنْ قَصَرَ  
فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتَسَعٌ فَتَنَعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةً لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ تَوَقَّى الْأَرْضَ أَكَلَهَا وَلَا  
يُدْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كَدُوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيَّ اعْطِنِي يَقُولُ خُذْ  
إِنْ تَهَيَّ وَزَيْدُ الْعَمِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الدَّارِقُطَنِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
وَرَادَ أَحْمَدُ إِنَّهُ فَوْقَ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ وَفَضْلُ بْنُ عَيْسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَا شَيْءَ وَقَالَ مَرَّةً  
يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ مُتَمَسِّكٌ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ وَإِذَا  
الْحَدِيثُ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَاكَ وَقَدْ حَلَّتْ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
وَقَالَ أَبُو عَدِيٍّ عَامَّةً مَا يَرْوِيهِ وَمَنْ يَرْوِي عَنْهُمْ ضَعْفًا عَلَيَّ أَنَّ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ

شُعْبَةَ لَمْ يَرَوْ عَنْ أَضَعَتْ مِنْهُ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ حَدِيثَ أَبِي مُدَيْيٍ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَكُونُ فِي آخِرِ أُمِّي خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْأَمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَهُ عَدَاٌ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْأَمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَهُ عَدَاٌ وَمِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْهُمَا قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْأَمْوَالَ وَلَا يَبْعُدُهُ أَنْتَهَى وَأَحَادِيثُ مُسْلِمٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمُهْدِيِّ وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ مِنْهَا وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُنْمَلَ الْأَرْضُ جُورًا وَظُلْمًا وَعَدَوَانًا ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ بَعْلَاهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ ظُلْمًا وَعَدَوَانًا وَقَالَ فِيهِ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ التَّبَيُّخِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمِّي الْمُهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا وَيُعْطِي الْمَالَ صَحَابًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ بَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا يَعْنِي حُجْبًا وَقَالَ فِيهِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ مَعَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عُبَيْدٍ لَمْ يُخْرِجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي التَّقَاتِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ أَحَدًا تَكَلَّمَ فِيهِ ثُمَّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُنْمَلُ الْأَرْضُ جُورًا وَظُلْمًا فَيُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ عَنَرَتِي فَيَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مِلْتُ جُورًا وَظُلْمًا وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَعَنْ شَيْخِهِ مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَمَّا شَيْخُهُ الْآخَرُ وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ فَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا مَتَّعَهُمُ بِالْكَذِبِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأَنْعَمَةِ فِي تَضَعِيفِهِ وَأَمَّا الرَّاوي لَهُ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فَهُوَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى يَلْقَبُ أَسَدَ السَّنَةِ وَإِنْ قَالَ الْبُخَارِيُّ مَشْهُورُ الْحَدِيثِ وَأَسْتَشْهَدُ بِهِ فِي صَحِيحِهِ وَأَخْتَجُّ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى ثِقَةً لَوْ لَمْ يُصَنَّفْ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ مُذَكَّرُ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْوَاوِيلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ وَاصِلٍ عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ

النَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخْرِجُ الْأَرْضُ بِرُكْنَيْهَا وَتَمْلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا  
مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَفْعَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ مِائِينَ وَيَنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَالَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي  
سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبَا الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا  
الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يُعْرِفْهُ بَأَكْثَرٍ مِمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ  
رَوَاتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةُ أَبِي الصَّدِّيقِ عَنْهُ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ إِنَّهُ تَجَوَّلَ  
لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ فَلَمْ  
يُخْرِجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ  
يُرْوَى عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَابُ بْنُ بُشَيْرٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الدُّنَيْنِ  
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ  
قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ فَنِيَّةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا  
رَأَوْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا نَزَلَ نَرَى  
فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّا أَهْلُ  
بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ  
رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَبَرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيَقَاتِلُونَ وَيُضْرَبُونَ فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا  
فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهُمْ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَأْتُهَا جَوْرًا  
فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى التَّلَجِّ أَنْتَهَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرَفُ  
عِنْدَ الْمُعَدِّينَ بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ . كَانَ رَفَاعًا  
بَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي مِنْ كِبَارِ أَيْمَةِ  
الشَّيْخَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَقَالَ مَرْوَةَ حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَحْيَى  
ابْنُ مُعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْأَعْلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِآخِرِهِ بَلَقْنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ  
بِكُتُبِ حَدِيثِهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ سَمِعْتُهُمْ  
يُضْعِفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

ابْنُ عَدِيٍّ هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُوبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِنْ مَقْرُونًا بِغَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَّحَ الْأَلِئْمَةُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرِّبَابِ وَقَالَ  
 وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرِّبَابِ لَوْ حَلَفْتُ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 أُسَامَةُ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَارْتَدَّ  
 الْعَقِيلِيُّ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الضُّعْفِ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ يَاسِينَ الْأَنْجَلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَيَاسِينَ الْأَنْجَلِيُّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ الْفَلْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قَوِيَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جِدًّا وَارْتَدَّ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثُ عَلَى وَجْهِهِ الْأَسْتِكَارُ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْبَيْهَقِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَا الْمَهْدِيَّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنَّا يَبْتَغِي اللَّهُ كَمَا بَنَّا فَتَحَ وَبَنَّا يَسْتَفْذُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَبَنَّا  
 يُؤَلَّفُ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةٍ يَنْتَهِي كَمَا بَنَّا أَلْفَ بَيْنٍ فُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشِّرْكِ قَالَ  
 عَلِيٌّ أُمُومُونُ أَمْ كَافِرُونَ قَالَ مَقْتُونٌ وَكَافِرٌ أَنْتَ . وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُهِيعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرٍ الْخَضَرِيُّ وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رُويَ عَنْ جَابِرٍ مِنْكَ كِبَرٌ وَبَلَغِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَةٍ وَقَالَ كَانَ ابْنُ  
 لُهِيعَةَ شَيْخًا أَحْمَقَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَخَاسُ مِنْهُ فَيُبْصِرُ  
 سَحَابَهُ فَيَقُولُ هَذَا عَلِيٌّ قَدْ مَرَّ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْصُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْصُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَلَا تَسْبُوا أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِنْ سَبُوا أَشْرَارَهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ  
 الْأَبْدَالَ يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ يَفْرِقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلْتَهُمُ النَّعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رِبَابَاتٍ الْمُكْثَرُ  
 يَقُولُ بِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْعَقْلُ يَقُولُ بِهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّا رُتَبُهُمْ أَمْتٌ يَلْقُونَ

سَبْعَ رَايَاتٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلِكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا وَيَرْدُّ اللَّهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَلْفَتَهُمْ وَنِعْمَتَهُمْ وَقَاصَتَهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ ١٠٠ هـ . وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ لَهْمَعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ صَحِيحُ الْأَسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي رِوَايَتِهِ ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرْدُّ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى الْفَتْهِمِ الخ وَابْنُ أَبِي طَرِيقَةَ ابْنُ لَهْمَعَةَ وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ مَهَبَاتٌ ثُمَّ عَقَدَ يَدَيْهِ سَبْعًا فَقَالَ ذَلِكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ اللَّهُ اللَّهُ فَنِلَ وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْمًا قَوْمًا كَقَرْعِ الصَّخَابِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ عَدُوَّهُمْ عَلَى عَدُوِّ أَهْلِ بَدْرٍ لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَتَرِيدُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْأَخَشَيْنِ قُلْتُ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ وَلَا أَدْعُهَا حَتَّى أَمُوتَ وَمَاتَ بِهَا بَعْضُ مَسْكَةٍ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ انْتَهَى وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ فَقَطْ فَإِنَّ فِيهِ عَمَارًا الدَّهْيِيَّ وَيُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ وَلَمْ يَخْرُجْ لُهُمَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيُّ وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ أَحْتِجَاجًا بَلِ اسْتِشْهَادًا مَعَ مَا بَنَصُّمُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَشْبِيعِ عَمَارَ الدَّهْيِيَّ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ قَطَعَ عُرْقُوبِيَّةَ قُلْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي النَّشِيعِ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ زِيَادٍ الْيَمَامِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَارٍ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَخْرُجُ وَلَدٌ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ انْتَهَى وَعِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ وَإِنْ أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَإِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ مُتَابِعَةٌ وَقَدْ ضَعَفَهُ بَعْضُ وَوَثَّقَهُ آخَرُونَ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ هُوَ مُدْلِسٌ فَلَا يَقْبَلُ إِلَى أَنْ يَصْرَحَ بِالسَّمْعِ عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ قَالَ الدَّهْيِيُّ فِي الْمِيزَانِ لَا تَذَرِي مَنْ هُوَ ثُمَّ قَالَ الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ زِيَادٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَإِنْ وَثَّقَهُ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ

مَعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَاهُ يُفْتِي فِي مَسَائِلَ وَيُغْطِي  
فِيهَا وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ كَانَ مِمَّنْ تَحَسَّ عَطَاؤُهُ فَلَا يُعْتَجَّ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ  
ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرْضَ كُتُبِ مَالِكٍ وَالنَّاسُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ  
هَهُنَا بِبَعْدَادَ لَمْ يُعْتَجَّ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَعَلَهُ الذَّهَبِيُّ مِمَّنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مَنْ تَكَلَّمَ  
فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْفُوفًا عَلَيْهِ قَالَ  
مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ  
فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سِتْرٍ لَا أَذْكَرُهُ لِمَنْ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ  
أَرْبَعَةٌ مَنَا السَّفَاحُ وَمَنَا الْمُنْدِرُ وَمَنَا الْمَهْدِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ بَيْنَ لِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قُتِلَ أَنْصَارُهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَّا الْمُنْدِرُ أَرَاهُ قَالَ  
فَأَنَّهُ يُعْطَى الْمَالُ الْكَثِيرَ وَلَا تَبْعَاظُ فِي نَفْسِهِ وَيُمْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَّا الْمَنْصُورُ  
فَأَنَّهُ يُعْطَى النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ  
وَأَمَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُوزًا وَتَأْمَنُ الْبَهَائِمُ السَّبَاعَ وَتُلْقَى  
الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَيْدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَادُ كَيْدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأُسْطُوَانَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْأِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجْ جَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ  
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ عَنْ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ  
فَالَا كَثُرُونَ عَلَى تَضَعِيفِهِ ١٠٠ هـ. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبَرِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّيَّاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا  
لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمْوهُمْ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ جَبَوا عَلَى التَّلَجِّ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ ١٠٠ هـ.  
وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحَّاحِينَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَبَا قِلَابَةَ الْجُرْنِيَّ وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ  
وَفِيهِ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالتَّدْلِيسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْنَ وَلَمْ يَبْصُرْ بِالسَّمَاعِ  
فَلَا يَقْبَلُ وَفِيهِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنُ هَمَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالتَّشْعِيرِ وَعَمِي فِي آخِرِ وَقْتِهِ فَخَلَطَ  
قَالَ بَنُ عَدِي حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَلَسَّبُوهُ إِلَى التَّشْعِيرِ  
إِنْتَهَى. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَرْءِ الزَّيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ



لِهَيْعَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ جَابِرٍ الْخَضِرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِنُونَ لِلْمَهْدِيِّ يَعْنِي سُلْطَانَهُ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لِهَيْعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثٍ عَلَيَّ الَّذِي خَرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ لِهَيْعَةَ ضَعِيفٌ وَأَنَّ شَيْخَهُ عُمَرَ بْنَ جَابِرٍ أَوْعَفُ مِنْهُ وَخَرَجَ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ فَنَسِيَ وَإِلَّا فَتَمَّانَ وَإِلَّا فَتَنَسَعَ تَعَمُّ فِيهَا أُمَّتِي نِعْمَةً لَمْ يَنْعَمُوا بِمِثْلِهَا تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَلَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْمَالِ كَذُوسُ يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي فَيَقُولُ خُذْ قَالَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَارُ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْعِجْلِيُّ زَادَ الْبَزَارُ وَلَا نَعْلَمُ أَنَّهُ نَابِغَةٌ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثَّقَاتِ وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ صَالِحٌ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ عِنْدِي بِذَلِكَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ الْعِجْلِيَّ حَدَّثَ بِأَحَادِيثٍ وَأَنَا شَاهِدٌ لَمْ تَكْتُبْهَا تَرَكْنَاهَا عَلَى عَمْدٍ وَكَتَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ كَأَنَّهُ ضَعْفُهُ وَخَرَجَهُ أَبُو يَعْنَى الْمُوصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ حَدَّثَنِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيُضَرِّبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَكَمْ يَمْلِكُ قَالَ خَمْسًا وَأَنْتَتَيْنِ قَالَ قُلْتُ وَمَا خَمْسًا وَأَنْتَتَيْنِ قَالَ لَا أَدْرِي ١٠٠. وَهَذَا السَّنَدُ غَيْرُ مُتَّحَجٍّ بِهِ وَإِنْ قَالَ فِيهِ يَشِيرُ بْنُ نَهْيَكٍ وَقَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ لَا يَحْتَجُّ بِهِ فَقَدْ أَحْتَجَّ بِهِ الشَّيْخَانُ وَوَثَّقَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلْتَمِزُوا إِلَى قَوْلِ أَبِي حَاتِمٍ لَا يَحْتَجُّ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ رَجَاءُ ابْنِ أَبِي رَجَاءٍ الْبَشْكِرِيُّ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ قَالَ أَبُو زُرْعَةَ وَثَّقَهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ضَعِيفٌ وَقَالَ مَرَّةً صَالِحٌ وَعَلَى لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ حَدِيثًا وَاحِدًا وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ قُرَّةَ بِنْتِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَإِذَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي آمَنَهُ أَسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ أَسْمُ أَبِي بِلَالٍ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا وَلَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا يَلْبَثُ فِيكُمْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا أَوْ تِسْعًا

بِعَنِي سَنِينَ ١٠. وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْحُبَّيِّ بْنِ الْحَرَمِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ بَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ  
تَلَا حَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جُورًا  
وِظْلَمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى السَّيِّئَةِ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رَابَةِ الْمَهْدِيِّ . انْتَهَى . وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُحَيْعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ ١٠. وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَشَاجَرَ جَانِبٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ أَمِيرَكُمْ فُلَانٌ .  
١٠. وَفِيهِ الْأَشْثَى بْنُ الصَّبَّاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَصَرُّعٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
وَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَبْوَابِهِ وَتَرْجَمَتِهِ أَسْتَنْتَسَا قَهْدِهِ جُمْلَةً الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَهَا  
الْأَلُئِمَةُ فِي شَأْنِ الْمَهْدِيِّ وَخَرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُمْ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا مِنْ  
النَّقْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرَبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُنْكَرُونَ لِشَأْنِهِ بِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدٍ الْجَنْدِيُّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَبَسَى بْنُ مَرْزَمٍ وَقَالَ يَعْجَبُ بْنُ  
مُعِينٍ فِي مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ نَقَّهَ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَأَخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ فَعَمْرَةٌ يَرْوُونَهُ كَمَا نَقَدْتُمْ وَنُسِبَ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةً يَرْوُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبَانَ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُتِّسَ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرَبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لَامَهْدِيَّ إِلَّا عَبَسَى أَيْ  
لَا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِيِّ إِلَّا عَبَسَى يُحَاوِلُونَ هَذَا التَّأْوِيلَ رَدَّ الْأَحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِحَدِيثِ جُرَيْجٍ وَمِثْلِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ . وَأَمَّا الْمَتَصَوِّفَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُنْقَدِمُونَ مِنْهُمْ يَخْوَضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ

بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْصُلُ عَنْهَا مِنْ نَتَائِجِ الْمَوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ  
 مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْصِيلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَادِّعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
 بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّيِّ مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ  
 ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ وَكَثُرَتِ التَّأْلِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
 الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْبِيَّةَ الْإِمَامَ بِتَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
 مِنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِتَوْعِ التَّنَاسُخِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَجَبِيٍّ مَنْ يَقْطَعُ بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ  
 وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدِ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهِمَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
 فِي الْكُشْفِ وَفِيَا وَرَاءَ الْحُسْنِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
 وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ يَقُولُهُمْ بِالْوَهْبِيَّةِ الْأَئِمَّةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
 وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَانَهُ يُحَاكِي مَذْهَبَ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
 وَالنَّبِيِّ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلُوا فِي الدِّيانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَّ طَرِيقِهِمْ  
 فِي لُبْسِ الْخُرْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
 بِالْإِزَامِ الطَّرِيقَةِ وَأَتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْحَبِيدِ مِنْ شُيُوخِهِمْ وَلَا يَعْلَمُ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ  
 وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
 أُسُوَّةٌ فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَفِي تَخْصِصِ هَذَا بِعَلِيٍّ دُونَهُمْ رَاجِعَةٌ مِنَ التَّشْيِيعِ قَوِيَّةٌ فِيهِمْ  
 مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلَهُمْ فِي التَّشْيِيعِ وَأَخْرَاطَهُمْ فِي سَلَكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمَثَلَاتُ كُتِبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الرَّافِضَةِ وَكُتِبَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
 الْمَنْصُوقَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْقَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُعَلِّمُهُ عَلَى بَعْضِ وَلِقَنَّهُ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ وَكَانَهُ مَبْنِيٍّ عَلَى أَصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
 الْمُتَجَمِّعِينَ فِي الْفَرَائِغِ وَهُوَ مِنْ تَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَا حِمٍ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا  
 فِي الْبَابِ الَّذِي بَيَّنَّا هَذَا وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَنْصُوقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
 الْقَاطِمِيِّ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْحَافِي فِي كِتَابِ عِنَقَاءِ مَغْرِبٍ وَأَبْنُ فَيْسِي فِي كِتَابِ خَلْعِ  
 النَّعْلَيْنِ وَعَبْدُ أَحَقِّ بْنُ سَبْعِينَ وَأَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيزُهُ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ  
 وَأَكْثَرُ كَلِمَاتِهِمْ فِي شَأْنِهِ أَلْفَاظُ وَأَمْثَالُ وَرُبَّمَا بَصَرِحُوا فِي الْأَقْلِ أَوْ بَصَرَحَ مُفَسِّرُو

كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النُّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
 وَالْهُدَى بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَعْقِبُ الْخِلَافَةَ الْمَلَكُ ثُمَّ يَعُودُ يُجَبِّرُ  
 وَتُكْبَرُ وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَمَّا كَانَ فِي الْمَعْبُودِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجِبَ  
 أَنْ يَحْيَا أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْحَقُّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ بِخِلَافَتِهَا ثُمَّ يَعْقِبُهَا الدُّجْلُ مَكَانَ الْمَلِكِ وَالتَّسْلُطِ  
 ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِحَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا إِمَّا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمَلِكِ  
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةُ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالِدُجْلُ بَعْدَهَا  
 كِتَابَةٌ عَنْ خُرُوجِ الدُّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكُفْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ عَلَى نِسْبَةِ  
 الثَّلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ  
 الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ إِنْ كَارَ مَنْ لَمْ يُزَوَّلْ عَلَيْهِ وَجِبَ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ هُوَ أَحْصَى  
 مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا ظَاهِرًا كَبْنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَإِمَّا بَاطِنًا مِمَّنْ  
 كَانَ مِنْ حَقِيقَةِ آلِ آلٍ وَآلٍ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَلْقَبْ مِنْ هُوَ آلُهُ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ  
 الْحَاتِمِيُّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عَقَاءَ مُغْرِبٍ مِنْ تَأْلِيْفِهِ خَاتِمَ الْأَوَّلِيَاءِ وَكَتَبَ عَنْهُ بِالْبُئَةِ  
 الْفُضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبَخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مَثَلِي فِي مَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَتْهُ بَيْتًا وَأَكْمَلَهُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ  
 إِلَّا مَوْضِعُ لُبْنَةٍ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ فَيُفْسِرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللُّبْنَةِ حَتَّى أَكْمَلْتُ الْبَيَانَ  
 وَمَعْنَاهُ الَّذِي الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النُّبُوَّةُ الْكَامِلَةُ وَبُمَثُلُونَ الْوِلَايَةَ فِي تَقَاوُثِ مَرَاتِبِهَا  
 بِالنُّبُوَّةِ وَيَتَعَلَّقُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوَّلِيَاءِ أَيْ حَازِرَ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
 الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ حَازِرًا لِمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النُّبُوَّةِ فَكُنَى الشَّارِحُ  
 عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةَ بِالْبُئَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَهُمَا عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ  
 فِيهِمَا فِي لُبْنَةٍ وَاحِدَةٍ فِي التَّمَثِيلِ فِي النُّبُوَّةِ لُبْنَةُ ذَهَبٍ وَفِي الْوِلَايَةِ لُبْنَةُ فِضَّةٍ لِلتَّفَاوُثِ  
 بَيْنَ الرُّتْبَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَتَعَلَّقُونَ لُبْنَةَ الذَّهَبِ كِتَابَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِبْنَةُ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنْ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَهَذَا خَاتِمُ الْأَوَّلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِيهِمَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
 الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُصَيِّبٍ خ ف ج مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَرَسَمَ حُرُوفًا ثَلَاثَةً يُرِيدُ عَدَدَهَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَهُوَ الْخَاءُ الْمُهْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ

فَوْقُ سِتِّمِائَةٍ وَآلِهَا أَخْتُ الْكَافِ بِشَمَائِينَ وَالْجَمِ الْعَمِجَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلُ ثَلَاثَةٌ  
وَذَلِكَ سِتِّمِائَةٌ وَثَلَاثُ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَهِيَ آخِرُ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا أَنْصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَمَلُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ لَهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلِدُهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلِدِهِ وَأَنَّ خُرُوجَهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّبْعِ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ الْإِمَامُ النَّاجِمُ مِنْ  
نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلِدُهُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةَ ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ  
وَسِتِّمِائَةٍ فَيَكُونُ عُمُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةَ ثَلَاثَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْيَوْمِ الْحُمْدِيِّ وَأَبْتَدَاهُ الْيَوْمُ الْحُمْدِيُّ  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَمَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ التَّعْلِيْفِ الْوَلِيِّ الْمُنْتَظَرِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمُشَارِ إِلَى مُحَمَّدٍ  
الْمَهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوَّلِيَاءِ وَلَيْسَ هُوَ بِنَبِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ وَلِيُّ أَتْبَعْتَهُ رُوحَهُ وَحَبِيبُهُ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالِمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَانِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبَشَرَى تَتَّبَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْحُمْدِيِّ إِلَى قُبُلِ الْخَمْسِمِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَتَأْكُتْ وَتَضَاعَفَتْ بِتَبَاشِيرِ الْمَشَائِخِ بِتَقَرُّبِ وَفْتِهِ وَأَزْدِلَافِ زَمَانِهِ مِنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلُمٍّ جَرًّا قَالَ وَذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيُعَدِّدُ إِلَّا سَلَامًا وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَقْبَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مَلِكُ الْأَرْضِ فَيَتَّقُوهُ  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو إِلَّا سَلَامًا وَيُظْهِرُ دِينَ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقْتُ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ وَقَالَ الْكِنْدِيُّ أَيْضًا  
الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْعَمِجَةِ يَعْنِي الْمَفْتُوحَ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةُ عَدَدِهَا سَبْعِمِائَةٌ  
وَثَلَاثُ وَأَرْبَعُونَ وَسَبْعٌ دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصَلِّحُ الدُّنْيَا  
وَتَمُشِي الشَّاةُ مَعَ الذَّنْبِ ثُمَّ مَبْلَغُ مَلِكِ النِّجْمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عِيسَى مِائَةٌ وَسِتُّونَ عَامًا  
عِنْدَ حُرُوفِ النِّجْمِ وَهِيَ قِيَامُ دَوْلَةِ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مَهْدِي إِلَّا عِيسَى فَمَعْنَاهُ لَا مَهْدِي تُسَاوِي هِدَايَتَهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى وَهَذَا مَذْفُوعٌ بِحَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً

بِعَنِي قُرْشِيًّا وَقَدْ أُعْطِيَ التَّوَجُّدُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 سَبَّكَوْنُ فِي آخِرِهِ وَقَالَ الْخُلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ أَوْ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتُّ وَثَلَاثُونَ  
 وَانْقِضَاؤُهَا فِي خِلَافَةِ الْحَسَنِ وَأَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ فَيَكُونُ أَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ خِلَافَةً أَخَذَهَا  
 بَأَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ فَهُوَ سَادِسُ الْخُلَفَاءِ وَأَمَّا سَابِعُ الْخُلَفَاءِ فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْباقُونَ  
 خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ ذُرِّيَةِ عَلِيٍّ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ إِنَّكَ لَدُو قُرَيْشِيَا يُرِيدُ الْأُمَّةَ أَيْ إِنَّكَ  
 لَخَلِيفَةُ فِي أَوَّلِهَا وَذُرِّيَّتِكَ فِي آخِرِهَا وَزَيْدًا أَسَدَلُ بِهِذَا الْحَدِيثُ الْقَائِلُونَ بِالرَّجْعَةِ  
 فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي تَقْسِي  
 بِيَدِهِ تَتَفَقَّحُ كَنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ اتَّفَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُوزَ كِسْرَى فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَالَّذِي يَهْلِكُ قَيْصَرٌ وَيَنْفِقُ كَنُوزُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْمُنْتَظَرُ حِينَ يَفْتَحُ  
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ كَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَمُدَّةُ حُكْمِهِ بَضْعٌ وَالْبَضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ وَقِيلَ إِلَى عَشْرِ وَجَاءَ ذِكْرُ  
 أَرْبَعِينَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ سَبْعِينَ وَأَمَّا الْأَرْبَعُونَ فَإِنَّهَا مُدَّةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ  
 الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَائِمِينَ بَأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ قَالَ وَذَكَرَ أَصْحَابُ  
 النُّجُومِ وَالْقُرَّانَاتِ أَنَّ مُدَّةَ بَقَاءِ أَمْرِهِ وَأَهْلٍ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا  
 فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَارِيًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْعَدْلِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ  
 فَتَكُونُ مُلْكًا أُنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي وَاصِلٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نَزُولُ عِيسَى  
 يَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنَ الْيَوْمِ الْخَمِيسِيِّ حِينَ تَمْضِي ثَلَاثَةٌ أَرْبَاعَةٍ قَالَ وَذَكَرَ  
 الْإِسْكَنْدَرِيُّ بِعُقُوبِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْقُرَّانَاتِ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ  
 الْقُرْآنُ إِلَى الثَّوْرِ عَلَى رَأْسِ فَخٍّ يَجْرُقَانِ الضَّادُ <sup>(١)</sup> الْمُهْجَمَةُ وَالْحَاءُ الْمُهْمَلَةُ يُرِيدُ ثَمَانِيَةً  
 وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةً مِنَ النَّجْمَةِ يَنْزِلُ الْمَسِيحُ فَيَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 قَالَ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْفِي دِمَشْقَ يَنْزِلُ بَيْنَ  
 مَهْرُودَتَيْنِ يَعْنِي حُلَّتَيْنِ مَرْغُورَتَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ مُصَصَّرَتَيْنِ وَاضِعًا كَنِيَّةً عَلَى أَجْنَةِ الْمَاءِ كَيْنِ  
 لَهُ لِمَةً كَانَمَا خَرَجَ مِنْ دِمَاسٍ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرٌ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمُحَانٌ

كَالْوَلَدِ كَثِيرٌ خِلَانِ الْوَجْهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ  
 وَفِي آخَرَ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ فِي الْغَرْبِ وَالْغَرْبُ دَلُّ الْبَادِيَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ مِنْهَا وَلَدُ زَوْجَتِهِ  
 وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَ أَنَّ عَيْسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ وَيُذْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ  
 ابْنِ الْخَطَّابِ وَجَاءَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ يُخْشَرَانِ بَيْنَ نَبِيِّنِ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاطِلٍ وَالشَّيْخَةُ  
 قَوْلُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَاحِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثَ لَا مَهْدِي إِلَّا عَيْسَى أَيْ لَا يَكُونُ مَهْدِي إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبْتُهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ نِسْبَةُ عَيْسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُؤَسَّسَةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمُ النَّسَخِ إِلَى كَلَامٍ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يَعْنُونَ فِيهِ الْوَقْتُ وَالرَّجُلُ وَالْمَكَانُ بِأَدِلَّةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحْكُمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَنْقُضِي الزَّمَانَ وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيِ آخَرَ مُتَّحِلٍ كَمَا  
 تَرَاهُ مِنْ مَقُومَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ تُجْهِمُ فِي هَذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مَجْدِدٍ لِأَحْكَامِ الْعِلْمِ وَمَرَامِ الْحَقِّ وَيَحْكُمُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قُرْبَ مِنْ عَصْرِنَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَمِعْنَاهُ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرُهُمْ أَبُو يَعْقُوبَ الْبَادِيسِيُّ  
 كَبِيرُ الْأَوَّلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْعِمَانَةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِدُهُ صَاحِبُنَا  
 أَبُو يَحْيَى زَكْرِيَاءُ عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَدْكَورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامٍ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَمَا أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفَيْنَا جَمِيعَهُ بِمَبْلَغِ طَاقَتِنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ  
 لَدَيْكَ أَنَّهُ لَا نَتِمُّ دَعْوَةَ مَنْ الدِّينِ وَالْمَلِكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصِيَّةٍ تُظَاهِرُهُ وَتُدَافِعُ  
 عَنْهُ مِنْ بَدَفِهِ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي  
 أَرَيْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصِيَّةُ الْفَاطِمِيَّةِ بَلْ وَفُرَيْشٍ أَجْمَعَ قَدْ تَلَاسَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 أَمْرُ آخَرُونَ قَدْ اسْتَعْلَتْ عَصِيَّتُهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ فُرَيْشٍ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَيَتَّبِعُ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنٍ وَبَنِي حُسَيْنٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَصَائِبُ بَدَوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَأَرَائِهِمْ يَتَلَفُّونَ  
 الْأَقَا مِنَ الْكَثَرَةِ فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى تَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةُ وَافِيَةٍ بِإِظْهَارِ

كَلِمَتِهِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلُ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَّةٍ وَلَا شَوْكَةٍ إِلَّا تَجَرَّدَ نِسْبَةً فِي أَهْلِ  
الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُمْكِنُ لِمَا أَسْلَفْتَاهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَلَامَةُ  
وَالْأَعْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مِمَّنْ لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يَهْدِيهِ فَيُجِيبُونَ  
ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ تَقْلِيدًا لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِي وَلَا يَعْلَمُونَ  
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا يَتَنَاهَوْنَ أَكْثَرُ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَطْرَافِ  
الْعُمُرَانِ مِثْلُ الرِّابِ بِأَفْرِيقَةِ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَنَجْدِ الْكَثِيرِ مِنْ ضَعْفَاءِ الْبَصَائِرِ  
يَقْصِدُونَ رِبَاطًا بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمَلْتَمِسِينَ مِنْ كِدَالَةٍ وَاعْتِقَادِهِمْ  
أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعْمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأَمْرِ وَبُعْدُهُمْ عَنْ  
يَقِينِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثَرَةٍ أَوْ قِلَةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ قُوَّةٍ وَلِبُعْدِ الْقَاصِيَةِ عَنْ مَنَالِ  
الدُّوَلَةِ وَخُرُوجِهَا عَنْ نِطَاقِهَا فَتَقْوَى عِنْدَهُمُ الْأَوْدَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ يُخْرُجُهُ عَنْ رِبْقَةِ  
الدُّوَلَةِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا عِصُولَ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْصُدُ ذَلِكَ  
الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ لِلتَّلَاسِ بِدَعْوَةِ يَمَّةٍ تَمَامِهَا وَسَوَاسُهَا وَحُفْمًا وَقَتْلَ  
كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَبْلِيُّ قَالَ خَرَجَ بِرِبَاطٍ مَاسَةٍ لِأَوَّلِ  
الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُتَعَلِّي التَّصَوُّفِ يَعْرِفُ  
بِالْثَوْبَرِيِّ نِسْبَةً إِلَى نُورِزٍ مُصَغَّرًا وَادَّعَى أَنَّهُ النَّاطِقِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكَرْوَلَةٍ وَعَظَمَ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَصَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ فَدَسَّ  
عَلَيْهِ السَّكْسُوسِيُّ مِنْ قَتْلِهِ بَتَاتًا وَاتَّخَلَ أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي غِمَارَةٍ فِي آخِرِ الْمِائَةِ  
السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التَّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يَعْرِفُ بِالْعَبَّاسِ وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
مِنْ غِمَارَةٍ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ عَنُودَةً وَحَرَّقَ أَسْوَاقَهَا وَارْتَحَلَ إِلَى بَلَدِ الْمَرْزَمَةِ فَقُتِلَ بِهَا  
غِيلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَدَكُورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا  
وَهُوَ أَنَّهُ صَحِبَ فِي حِجَّةٍ فِي رِبَاطِ الْعِبَادِ وَهُوَ مَدْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ فِي جَبَلٍ تَلَمَّسَانَ  
الْمُطَّلِ عَلَيْهِمَا رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَتَّبِعًا مُعْظَمًا كَثِيرَ التَّلْمِيزِ  
وَالْخُلَامِ قَالَ وَكَانَ الرِّجَالُ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتْلَقُونَهُ بِالنَّفَقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
وَتَا كَدَّتِ الْعُجْبَةُ يَتَنَا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا جَاهُوا



مِنْ مَوَاطِنِهِمْ بِكَرْبَلَاءَ لَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ وَاتَّخَلَ دَعْوَةَ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ فَلَمَّا عَايَنَ  
 دَوْلَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَيُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مُنَازِلَ تَلَمَّسَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرْجِعُوا فَقَدْ  
 أَرَزَى بَنَاءَ الْفَلْطِ وَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتَنَا وَبَدُلْ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى أَنَّهُ  
 مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الْمُكَافِئَةِ لِأَهْلِ الْاَوْفِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ  
 غَرِيبٌ فِي ذَلِكَ الْوَطَنِ وَلَا شَوْكَةَ لَهُ وَأَنَّ عَصِيَّةَ بَنِي مُرَيْنَ لِنَاكَ الْعَهْدِ لَا يَقَاوِمُهَا أَحَدٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ اسْتَكَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنَّ يَسْتَقِنَ  
 أَنَّ عَصِيَّةَ الْفَوَاطِمِ وَفُرَيْشٍ أَجْمَعَ قَدْ ذَهَبَتْ لَا سِيمَا فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنَّ التَّعَصُّبَ  
 لِسَانِهِ لَمْ يَتْرُكْهُ لِهَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَتْ بِالْمَغْرِبِ لِهَذِهِ  
 الْعُصُورِ الْقَرِيبَةِ نَزْعَةٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ لَا يَنْتَحِلُونَ فِيهَا دَعْوَةَ فَاطِمِيٍّ  
 وَلَا غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَنْزِعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ الْوَاحِدِ فَالْوَاحِدِ إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ  
 وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَيَعْنِي بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُعْنُونَ بِإِصْلَاحِ السَّالِبَةِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ فَسَادِ الْأَعْرَابِ فِيهَا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِهِمْ فَيَأْخُذُونَ فِي تَغْيِيرِ  
 الْمُنْكَرِ بِمَا اسْتَطَاعُوا إِلَّا أَنَّ الصِّغَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَمْ تُسْتَحْكَمْ لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ الْعَرَبِ  
 وَرَجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِقْصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالنَّهْبِ لَا يَقْلُونَ فِي تَوْبَتِهِمْ  
 وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى مَنَاحِي الدِّبَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا الْمَعْصِيَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْمَقْرَبَةِ وَمِنْهَا  
 تَوْبَتُهُمْ فَجَدُّ ذَلِكَ الْمُنْتَحِلِ لِلدُّعَاةِ وَالْقَائِمِ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ غَيْرَ مُتَعَمِّقِينَ فِي فُرُوعِ  
 الْإِفْتِدَاءِ وَالِاتِّبَاعِ إِنَّمَا دِينُهُمْ الْأَعْرَاضُ عَنِ النَّهْبِ وَالْبَغْيِ وَإِفْسَادِ السَّالِبَةِ ثُمَّ  
 الْأَقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَفْصَى جُهِدِهِمْ وَشَتَانِ بَيْنَ هَذَا الْأَجْرِ مِنْ إِصْلَاحِ  
 الْخَلْقِ وَمِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَاتَّقَاهُمَا مُمْتَنِعٌ لَا تُسْتَحْكَمْ لَهُ صِغَةُ فِي الدِّينِ وَلَا بِكَمَلٍ  
 لَهُ نَزُوعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَا يَكْثُرُونَ وَيَخْتَلِفُ حَالُ صَاحِبِ الدُّعَاةِ مَعَهُمْ فِي  
 اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوَلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ فَإِذَا هَلَكَ انْخَلَّ أَمْرُهُمْ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ  
 وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بِأَفْرِيقَةِ رَجُلٍ مِنْ كَتَبِ مِنْ سُلَيْمٍ يُسَمَّى قَالِمٍ بَنَ مَرَّةً بْنُ أَحْمَدَ فِي  
 الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرٌ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ مِنْ بَطْنِ مِنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلَمٍ  
 وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةً وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ  
 يَسْتَنْبِ أَمْرَ تَابِعِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَسَبًا بِأَنِّي ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قَبَائِلِ

سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَتَّبِعُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيَلْبِسُونَ  
فِيهَا وَيَتَحَلَّوْنَ أَمَّةَ السَّنَةِ وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلُ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ  
مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر

إِذْ عَلِمَ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَ مَا يَحْدُثُ  
لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيمَا الْحَوَادِثُ الْعَامَّةُ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ  
مُدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَقَاوُئِهَا وَالتَّلَطُّعُ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ مَحْبُوبُونَ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ  
النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكُفَّانِ لِمَنْ قَصَدَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ مَعْرُوفَةٌ وَلَقَدْ تَجِدُ فِي الْمُدُنِ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَلَّوْنَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ  
لِعَالِمِهِمْ بِمَعْزُصِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَنْتَصِبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْكَافِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِمَنْ  
يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَتَقْدُو عَلَيْهِمْ وَتَرْوَحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصِبَانُهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ  
يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي الْكُسْبِ وَالْجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمُعَاشِرَةِ وَالْمَدَاوِ وَآمَالِ  
ذَلِكَ مَا بَيْنَ خَطِّ فِي الرَّمْلِ وَيُسَمُّونَهُ الْمُنْجِمَ وَطَرِيقَ الْبَحْصِ وَالْحُجُوبِ وَيُسَمُّونَهُ الْحَاسِبَ  
وَنَظَرَ فِي الْعَرَايَا وَالْمِيَاهِ وَيُسَمُّونَهُ ضَارِبَ الْمَنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْقَاسِيَةِ فِي  
الْأَمْسَارِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مُحْجُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ  
أَظْلَمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ لَوَايَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ  
وَالْمُلُوكُ فِي أَمَادِ دَوْلَتِهِمْ وَلِذَلِكَ أَنْصَرَفَتِ الْعَنَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنْ  
الْأُمَمِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنْجِمٍ أَوْ وَلِيِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مُلْكٍ يَرْتَقِبُونَهُ أَوْ  
دَوْلَةٍ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَحْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَا حِمِّ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ  
الْمُلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَسْمَائِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلُ ذَلِكَ الْخُدَّانَ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكُفَّانُ  
وَالْعَرَّافُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ لِلْعَرَبِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْدَّوْلَةِ  
كَأَنَّ وَقَعَ لِسَقِ وَسَطِيعٍ فِي تَاوِيلِ رُؤْيَا رِبْعَةِ بْنِ نَصْرِ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ أَخْبَرَهُمْ بِمُلْكِ  
الْحَبَشَةِ بِأَدَمِهِمْ ثُمَّ رَجُوعِهَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمُلْكُ وَالْدَّوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَا

تَأْوِيلُ سَطِيحٍ لِرُؤْيَا الْمُؤْبَدَانِ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِهَا مَعَ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَأَخْبَرَهُمْ  
يُظْهِرُ دَوْلَةَ الْعَرَبِ وَكَذَا كَانَ فِي جَبَلِ الْبَرَبِ كَهَانٌ مِنْ أَشْهَرِهِمْ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ مِنْ  
بَنِي يَغْرَنَ وَيُقَالُ مِنْ عَمْرَةٍ لَهُ كَلِمَاتٌ حَدَّثَانِيَّةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الشَّعْرِ يَرْطَلْنَتِهِمْ وَفِيهَا حَدَّثَانٌ  
كَثِيرٌ وَمُعْظَمُهُ فِيمَا يَكُونُ لِرِثَانَةِ مِنَ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ وَهِيَ مَتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ  
أَهْلِ الْجَبَلِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ نَارَهُ أَنَّهُ وَلِيُّ نَارَةٍ أَنَّهُ كَاهِنٌ وَقَدْ يَزْعُمُ بَعْضُ مَزَاعِمِهِمْ أَنَّهُ  
كَانَ نَبِيًّا لِأَنَّ تَارِيخَهُ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْفُجْرَةِ بِكَثِيرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ يَسْتَدُّ الْجَبَلُ إِلَى  
خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ كَانَ لَهُمْ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَهُمُ الْمُتَعَقِّبِينَ فِيهِمْ  
كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمِثْلِهِ عِنْدَمَا يَخْتُونُهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَوَقَعَ  
مِنْهُ كَثِيرٌ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمَدَنِيَّاتِهَا عَلَى الْعُمُومِ وَفِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّوْلَةِ وَأَعْمَارِهَا  
عَلَى الْخُصُوصِ وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ فِي مَنْ صَدَرَ الْإِسْلَامُ لَا تَارَ مَنْقُولَةٍ عَنِ الصَّحَابَةِ  
وِخُصُوصًا مَسْلَمَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كُتُبِ الْأَحْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنِئِيهِ وَأَمَّا هُمَا وَرُبَّمَا  
أَقْبَسُوا بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ ظَوَاهِرِ مَا تُورِدُهُ وَتَأْوِيلَاتِ مُجْمَلَةٍ وَوَقَعَ لِحُجْفَرٍ وَأَمَّا هَلْ  
الْبَيْتُ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَدِّمٌ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْكَشْفُ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَايَةِ وَإِذَا  
كَانَ مِثْلُهُ لَا يَنْكُرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي ذَوْبِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ فِيكُمْ مُحَدِّثِينَ فَهُمْ أَوَّلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الرُّتَبِ الشَّرِيفَةِ وَالْكَرَامَاتِ  
الْمَوْهُوبَةِ وَأَمَّا بَعْدَ صَدْرِ الْمَلِكَةِ وَحِبِّ عِلْقِ النَّاسِ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ  
وَتُرْجِمَتِ كُتُبُ الْحُكَمَاءِ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ فِي ذَلِكَ كَلَامُ  
الْمُنْجِمِينَ فِي الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِنَ الْفِرَاقَاتِ وَفِي الْمَوَالِيدِ وَالْمَسَائِلِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخَاصَةِ مِنَ الطَّوَالِعِ لَهَا وَهِيَ شَكْلُ الْفَلَكَ عِنْدَ حَدُوثِهَا فَلَنْذُكُرُ الْآنَ  
مَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْآثَرِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ الْمُنْجِمِينَ أَمَّا أَهْلُ الْآثَرِ فَلَهُمْ فِي  
مُدَّةِ اللَّيْلِ وَبَقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السُّهَيْلِيِّ فَإِنَّهُ تَقَلَّ عَنِ الطَّبْرِيِّ مَا  
يَقْتَضِي أَنْ مَدَّةَ بَقَاءِ الدُّنْيَا مِنْذُ الْمَلِكَةِ خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ وَتَقْضَى ذَلِكَ بِظُهُورِ كَلْبِيهِ وَمُسْتَدُّ  
الطَّبْرِيِّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمُعِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ  
لِذَلِكَ دَلِيلًا وَسِرَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ تَقْدِيرُ الدُّنْيَا بِأَيَّامِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ سَبْعَةٌ  
ثُمَّ الْيَوْمُ بِأَنْفِ سَنَةِ لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي

الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ بُعِثَ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّابَةِ  
 وَالْوُسْطَى وَقَدَّرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَبْرُورَةِ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِيهِ يَكُونُ عَلَى التَّقْرِيبِ نِصْفُ سَبْعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوُسْطَى عَلَى السَّابَةِ فَكَوْنُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةِ نِصْفُ سَبْعٍ الْجُمُعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ خَمْسُمِائَةٍ سَنَةٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَن يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَلَّةِ  
 خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةٍ سَنَةٍ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِيهِ أَنَّهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتْمِائَةٍ سَنَةٍ أَغْنَى  
 الْمَاضِي وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّ مُدَّةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لشيءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ مَعَ وَتَوَعُّدِ الْوُجُودِ بِمُخَالَفَةٍ فَأَمَّا قَوْلُهُ لَن يُعْجِزَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخِّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَبِيَّ الزَّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ بُعِثَ  
 أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ فَانَّمَا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرِيعٌ غَيْرُ شَرِيعَتِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمَلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ آخِرِ لَوْ سَاعِدَهُ  
 التَّحْقِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمُكَرَّرِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ (الْمِ يَسْطَعُ نَصْحُ حَقِّ كَرِهٍ) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجَمَلِ فَكَانَ سَبْعِمِائَةً وَثَلَاثَةً<sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُنْقَضِي مِنَ الْأَلْفِ الْآخِرِ قَبْلَ بُعْثِهِ  
 فَهَذِهِ فِي مُدَّةِ الْمَلَّةِ قَالَ وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَقَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَبْعُدُ لَا يَقْتَضِي ظُهُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السَّيْرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُخْطَبٍ مِنْ أَجْبَارِ الْيَهُودِ  
 وَهُمَا أَبُو بَاسِرٍ وَأَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَا مِنَ الْأَخْرَفِ الْمُقْطَعَةِ أَلَمْ وَتَأَوَّلَاهَا عَلَى بَيَانِ  
 الْمُدَّةِ بِهَذَا الْحِسَابِ فَلَبِغَتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ فَقَالَ الْمَصُّ ثُمَّ اسْتَزَادَ الرَّثْمَ ثُمَّ اسْتَزَادَ الْمَرْءَ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَمْرٌكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا نَذَرِي أَقْلِيلًا أُعْطِيتَ أَمٌّ كَثِيرًا أَمْ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَاسِرٍ مَا يَذَرِيكُمْ  
 لَعَلَّهُ أُعْطِيَ عَدَدَهَا كُلُّهَا تِسْعِمِائَةً وَأَرْبَعٌ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ وَآخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ ١٠ وَلَا يَقُومُ مِنَ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى  
 تَقْدِيرِ أَلَمَلَةٍ بِهَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ دَلَالَتهُ الْخُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْدَادِ لَيْسَتْ طَبِيعِيَّةً وَلَا  
 عَقْلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ بِالتَّوَاضُّعِ وَالْإِصْطِلَاحِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ حِسَابَ الْجَمْعِ نَعَمْ إِنَّهُ قَدْ يَمُتُّ  
 مَشْهُورٌ وَقَدْ أَمَّا الْإِصْطِلَاحُ لَا يَصِيرُ حُجَّةً وَلَيْسَ أَبُو بَاسِرٍ وَأَخُوهُ حُجَّةً مِمَّنْ يُؤْخَذُ رَأْيُهُ  
 فِي ذَلِكَ دَلِيلًا وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَادِيَةً بِالْحِجَازِ غَفْلًا عَنِ الصَّنَائِعِ  
 وَالْعُلُومِ حَتَّى عَنْ عِلْمِ شَرِيعَتِهِمْ وَفَقْهِ كِتَابِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَإِنَّمَا يَتَقَفُّونَ مِثْلَ هَذَا الْحِسَابِ  
 كَمَا تَلَقَّفَهُ الْعَوَامُّ فِي كُلِّ مَلَّةٍ فَلَا يَنْهَضُ لِلْمُتَبَيَّنِّ دَلِيلٌ عَلَى مَا ادَّعَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ  
 فِي أَلَمَلَةٍ فِي حَدَّثَانِ دَوَّلَتِهَا عَلَى الْخُصُوصِ مُسْنَدٌ مِنَ الْأَثَرِ إجمالي في حَدِيثِ خُرَاجِهِ  
 أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَدِيثِ بْنِ الْيَمَانِ مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْنَى الدَّهْمِيِّ عَنْ سَعِيدِ  
 ابْنِ أَبِي مَرْزُومٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْوَجٍ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ بْنِ  
 ذُو بَيِّنٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ حَدِيثُهُ بْنُ الْيَمَانِ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أُنْسِي أَمْ تَنْسَاهُ  
 وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدٍ فَنِيَّةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا لَا يَبْلُغُ مِنْ  
 مَعَهُ ثَلَاثِينَ قَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ مَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَأَسْمَى أَبِيهِ وَنَبَاتِهِ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ  
 تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا كَانَ  
 صَحِيحًا فَهُوَ جَمْعٌ وَيُفْتَقَرُ فِي بَيَانِ إجماله وَتَعْيِينِ مُبْهَمَاتِهِ إِلَى آثَارٍ أُخْرَى يُجُودُ  
 أَسَانِيدُهَا وَقَدْ وَقَعَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ كِتَابِ السُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَوَقَعَ  
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ حَدِيثِهِ أَيْضًا قَالَ فَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُنَاقِضُ  
 فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَلَّتْ عَنْهُ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَنَسِيَهُ  
 مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ هُوَ ١٠ وَلَفْظُ الْبَخَارِيِّ مَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا  
 ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَا صَلَاةِ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ  
 إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ حِفْظُهُ مِنْ حِفْظِهِ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا نَعْمَةٌ عَلَى مَا  
 ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَحَادِيثِ الْفَتَنِ وَالْإِشْتِرَاطِ لِأَنَّ الْمَعْمُودُ مِنَ الشَّارِعِ صَلَواتُ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْعُمُومَاتِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَرَدَّدَتْ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي  
 هَذِهِ الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ مَعَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ اخْتَلَفُوا فِي رِجَالِهِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْزُومٍ فِي

ابْنُ فَرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مَنَّا كَبِيرُ وَقَالَ الْبُخَّارِيُّ يُعْرِفُ مِنْهُ وَيُنْكِرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَوَقَّعَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَّارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعَفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَخْبَدَ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُتَّخَذُ بِهِ وَأَبُو قَبِيصَةَ ابْنُ دُؤَيْبٍ يَجْهَلُ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوذِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 يَسْتَنْدُونَ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَفْرِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَنْبَاءِ وَالنُّجُومِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَغْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنْدَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ كِتَابَ الْجَفْرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنُ سَعِيدٍ الْفُجَيْيَ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزِّيَادَةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَرْوِيهِ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَقَعَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى  
 الْعُمُومِ وَبَعْضُ الْأَخْصَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَ ذَلِكَ لَجَعْفَرٍ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَشْفِ الَّذِي يَقَعُ لِمَثَلِيهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جَانِبِ ثَوْرٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْفُجَيْيَ وَكَتَبَهُ وَسَمَّاهُ الْجَفْرَ بِاسْمِ الْجَلَدِ  
 الَّذِي كُتِبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَفْرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْاسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ أَلْهَامِي مَرْوِيَّةٍ عَنْ جَعْفَرٍ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ يَنْصَلِ رِوَايَتُهُ وَلَا عُرِفَ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَوَاطِدُ مِنَ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَصْحَبُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعَمُ الْمُسْتَنْدِ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالٍ قَوْمِهِ فَهُمْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُعَذِّرُ بَعْضَ  
 قِرَائِنِهِ بِوَقَائِعٍ تَكُونُ لَهُمْ فَتَصِحُّ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَذَرَ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ مِنْ مَضَرِّهِ  
 وَعَصَاهُ فَنُجِّرَ وَقُتِلَ بِالْجَوْزِ جَانٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتِ الْكِرَامَةُ تُنْقَعُ لَغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَآثَارًا مِنَ التَّبَوُّةِ وَعِنَايَةٍ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِقُرُوعِهِ الطَّبِيعَةِ وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مَسْنُوبٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَانْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي لِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَهُمْ بِالْإِسْمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمِهِ أَنَّهُ دَعَاؤُهُ تَمَّ هُنَاكَ وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِغْثَالِ

دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقَةٍ قَالَ بَنَيْنَاهَا لِنَعْتَصِمَ بِهَا الْقَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْفِقَ صَاحِبِ  
 الْحِمَارِ أَبِي يَزِيدَ بِالْهَدْيَةِ وَكَانَ يَسْأَلُ عَنْ مُنْتَهَى مَوْفِقِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبَرُ يُلَوِّغُهُ إِلَى  
 الْمَكَانِ الَّذِي عَيْنُهُ جَدُّهُ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ فَأَبْقَى بِالظَّفَرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَرَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
 إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرُ بِهِ وَقَتْلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَيَسْتَنْدُونَ  
 فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلُ الْمَلِكِ وَالْأَمِيرِ  
 فَفِي الْقِرَاطَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلَوِّيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَوِّيِّينَ زُحَلَ وَالْمُشْتَرِيَّ يَقْتَرِنَانِ فِي  
 كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ آخَرٍ فِي تِلْكَ الْمُثْلَثَةِ مِنَ التَّثْلِيثِ  
 الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرٍ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمُثْلَثَةِ الْوَاحِدَةِ نَتْنِي عَشْرَةَ  
 مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحِهِ الثَّلَاثَةُ فِي سِتِينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ  
 ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمُثْلَثَةِ بِنَتْنِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعُ عَوَدَاتٍ فِي مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
 سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْأَيْمَنِ وَبِنَتْنِي مِنَ الْمُثْلَثَةِ إِلَى الْمُثْلَثَةِ  
 الَّتِي تَلِيهَا أَغْنِي الْبُرْجَ الَّذِي يَلِي الْبُرْجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمُثْلَثَةِ وَهَذَا  
 الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ أَجْنَاعُ  
 الْعُلَوِّيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِينَ سَنَةً مَرَّةً  
 وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ أَقْتِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ فِي كُلِّ مُثْلَثَةٍ أُنْتْنِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِثْلَتَيْنِ  
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مُثْلَثَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ أَقْتِرَانُ الْعُلَوِّيِّينَ فِي دَرَجَةٍ بُرْجٍ  
 وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً يَقْتَرِنَانِ فِي بُرْجٍ آخَرَ عَلَى تَثْلِيثِهِ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجَةٍ أَوْ دَقَاقِيهِ  
 مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعَ الْقِرَانُ بِكَوْنِ أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
 الْأَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِينَ  
 سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرُ الْقِرَانِ وَعَوْدَ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
 التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدَهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسْطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهُوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
 أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
 الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ  
 الْمُتَغَلِّبِينَ وَالطَّالِبِينَ لِلْمَلِكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالِدُّعَاةِ وَخَرَابِ الْمَدُنِ أَوْ  
 عُمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَاطَاتِ قِرَانُ الْخَمْسِينَ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سَنَةً مَرَّةً وَيُسَمَّى الرَّابِعُ وَبُرْجُ السَّرَطَانِ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ وَفِيهِ وَبَالُ زُحَلٍ وَهَبُوطُ  
الْمَرْجِ فَتَعْلَمُ دَلَالَةَ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفَنِّ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَظُهُورُ الْخَوَارِجِ  
وَحَرَكَةُ الْمَسَاكِرِ وَعِصَابَاتُ الْجُنْدِ وَالْوَبَاءُ وَالْقَحْطُ وَبِدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدَرِ  
السَّعَادَةِ وَالنُّحُوسَةِ فِي وَفْتِ قِرَانِهِمَا عَلَى قَدَرِ تَبْسِيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْحَاسِبِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ الْمَرْجِ إِلَى الْعَقَرِ لَهُ أَثَرُ  
عَظِيمٌ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا فَالْمَوْلِدُ النَّبِيُّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعُلُوبَيْنِ  
يُزَجُّ الْعَقَرُ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ  
الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُهُمْ وَرَبَّمَا أَهْدَمَ بَعْضُ بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ  
عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَوَّانٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَالْمُتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِذَا  
رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْأَحْكَامِ وَذَكَرَ شَادَانُ  
الْبَلْخِيُّ أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ وَقَالَ خِرَاشُ  
رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُنَجِّمِينَ أَخْبَرُوا كِسْرَى عَنْ مَلِكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النُّبُوَّةِ  
فِيهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةُ وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا فَيَبْقَى الْمَلِكُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِ الْقِرَانَاتِ الْقِسْمَةُ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحُوتِ فِيهَا  
شَرَفُ الزُّهْرَةِ وَوَقَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ يُزَجُّ الْعَقَرُ وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ  
دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَكَانَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَيَكُونُ قُوَّةُ مَلِكِهِ وَمُدَّتُهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرَفِ  
الزُّهْرَةِ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِتَقَرِيبٍ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتِّمِائَةٍ وَعِشْرُ  
سِنِينَ وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَ انْتِقَالِ الزُّهْرَةِ وَوُقُوعِ الْقِسْمَةِ أَوَّلَ الْحَمَلِ وَصَاحِبُ  
الْجِدِّ الْمُشْتَرِي وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّمِائَةٍ  
وِثَلَاثَ وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً  
وِثَلَاثِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحُوتِ فَالْبَاقِي إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانٍ عَشْرَةَ دَقِيقَةً وَدَقَائِقُهَا  
سِتُونَ فَيَكُونُ سِتِّمِائَةٍ وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ وَهَذِهِ مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُحْكَمَاءِ  
وَبَعْضُهُدُ الْحُرُوفِ الْوَانِعَةِ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ وَأَعْيَارِهِ بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
فُلْتُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّهْبِيُّ وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدُ الشَّهْبِيِّ فِيمَا نَقَلْنَاهُ



عَنْهُ قَالَ خِرَاشُ سَأَلَ هِرْمُزُ إِفْرِيدَ الْحَكِيمِ عَنْ مُدَّةِ أَرْدَشِيرَ وَوَلَدِهِ مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ فَقَالَ دَلِيلُ مُلْكِهِ الْمُشْتَرِي وَكَانَ فِي شَرْفِهِ فَبُعْطَى أَطْوَلُ السِّنِينَ وَأَجُودَهَا أَرَبَعُمِائَةٍ وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَزِيدُ الزُّهْرَةُ وَتَكُونُ فِي شَرْفِهَا وَهِيَ دَلِيلُ الْعَرَبِ فَيَمْلِكُونَ لِأَنَّ طَالِجَ الْقِرَانِ الْمِيزَانَ وَصَاحِبَهُ الزُّهْرَةَ وَكَانَتْ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي شَرْفِهَا فَدَلَّ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَزِيرَهُ بَزَرْجَهَرَ الْحَكِيمِ عَنْ خُرُوجِ الْمَلِكِ مِنْ فَارِسَ إِلَى الْعَرَبِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَائِمَ مِنْهُمْ يُوَلِّدُ لِحُمْسٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ دَوْلَتِهِ وَيَمْلِكُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَالْمُشْتَرِي بَعُوضُ إِلَى الزُّهْرَةَ وَبَتَقُلُ الْقِرَانُ مِنَ الْهَوَائِيَّةِ إِلَى الْقَرَبِ وَهُوَ مَاثِي وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ فَهَذِهِ الْأَدَلَّةُ تُفْضِي لِلْمَلَّةِ بِمُدَّةِ دَوْرِ الزُّهْرَةَ وَهِيَ أَلْفٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَسَأَلَ كِسْرَى أَبَرْوِزُ الْيُوسُ الْحَكِيمِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ بَزَرْجَهَرَ وَقَالَ تُوْفِيلُ الرُّوْمِيُّ أَلْمُخْجِمُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ إِنْ مَلَّةٌ إِلَّا سَلَامٌ تَبْقَى مُدَّةُ الْقِرَانِ الْكَبِيرِ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً فَإِذَا عَادَ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ الْقَرَبِ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْمَلَّةِ وَتَغَيَّرَ وَضْعُ الْكُوكِبِ عَنْ هَيْئَتِهَا فِي قِرَانِ الْمَلَّةِ فَيُخْبِتُذُ إِمَّا أَنْ يَفْتَرِ الْعَمَلُ بِهِ أَوْ يَتَجَدَّدَ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يُوجِبُ خِلَافَ الظَّنِّ قَالَ خِرَاشُ وَاتَّقُوا عَلَى أَنْ خَرَابَ الْعَالَمِ يَكُونُ بِأَسْبِيَاءِ الْمَاءِ وَالنَّارِ حَتَّى تَهْلِكَ سَائِرُ الْمُكُونَاتِ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَقْطَعُ قَلْبُ الْأَسَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَهِيَ حَدُّ الْمَرْجِ وَذَلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ تِسْعِمِائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَذَكَرَ خِرَاشُ أَنَّ مَلِكَ زَابُلِسْتَانَ بَعَثَ إِلَى الْمَأْمُونِ بِحَكِيمِهِ ذُو بَانَ أَنْخَفَهُ بِهِ فِي هَدْيَةٍ وَأَنَّهُ تَصَرَّفَ لِلْمَأْمُونِ فِي الْأَخْيَارَاتِ بِمُجْرُوبِ أَخِيهِ وَبَعَقِدِ الْإِلَواءِ لِطَاهِرٍ وَأَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْظَمَ حِكْمَتَهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مُدَّةِ مُلْكِهِمْ فَأَخْبَرَهُ بِأَنْقِطَاعِ الْمَلِكِ مِنْ عَقِبِهِ وَاتِّصَالِهِ فِي وَلَدِ أَخِيهِ وَأَنَّ الْعَجَمَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْخِلَافَةِ مِنَ الدَّلِيلِ فِي دَوْلَةِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ ثُمَّ يَسُوءُ حَالَهُمْ ثُمَّ تَظْهَرُ التَّرْكُ مِنَ شِمَالِ الْمَشْرِقِ فَيَمْلِكُونَ إِلَى الشَّامِ وَالْفَرَاتِ وَسِجُونِ وَسَيَمْلِكُونَ بِلَادَ الرُّومِ وَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا فَقَالَ مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَمِنْ أَحْكَامِ صَصَةَ بْنِ دَاهِرِ الْهِنْدِيِّ الَّذِي وَضَعَ الشُّطْرَنْجَ قُلْتُ وَالتَّرْكُ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَى ظُهُورِهِمْ بَعْدَ الدَّلِيلِ هُمُ السُّجُوفِيَّةُ وَقَدْ انْقَضَتْ دَوْلَتُهُمْ أَوَّلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ قَالَ خِرَاشُ وَاتَّقُوا الْقِرَانِ إِلَى الْمَثَلَةِ الْمِائِيَّةِ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ يَكُونُ سَنَةً ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ

لِيزْ دَجَرْدَ وَبَعْدَهَا إِلَى بُرْجِ الْعَقَرِ حَيْثُ كَانَ قُرْآنُ الْمِلَّةِ سَنَةً ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ قَالَ وَالَّذِي  
فِي الْحُوتِ هُوَ أَوَّلُ الْإِنْتِقَالِ وَالَّذِي فِي الْعَقَرِ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ دَلَالِيلُ الْمِلَّةِ قَالَ وَتَعْوِيلُ  
السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْقُرْآنِ الْأَوَّلِ فِي الْمَثَلَاتِ الْمَائِيَةِ فِي ثَانِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ  
وَتَمَامِيئَتِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَّا مُسْتَنَدُ الْمُتَجَمِّعِينَ فِي دَوْلَةِ عَلَى الْخُصُوصِ  
فَرَنْ الْقُرْآنِ الْأَوْسَطِ وَهَيْئَةُ الْفَلَكَ عِنْدَ وَقُوعِهِ لِأَنَّ لَهُ دَلَالَهَ عِنْدَهُمْ عَلَى حَدُوثِ الدَّوْلَةِ  
وَجِهَاتِهَا مِنْ الْأَنْمُرَانِ وَالْقَائِمِينَ بِهَا مِنَ الْأَنْمِ وَعَدَدِ مُلُوكِهِمْ وَأَمْنَانِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ  
وَأَدْبَانِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرَ أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِهِ فِي الْقِرَانَاتِ وَقَدْ تَوَجَّدَ هَذِهِ  
الدَّلَالَةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْأَصْغَرِ إِذَا كَانَ الْأَوْسَطُ دَالًّا عَلَيْهِ فَرَنْ هَذَا يُوجَدُ الْكَلَامُ فِي الدَّوَلِ  
وَقَدْ كَانَ بِعَقُوبِ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ مُنْجِمُ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ وَضَعَ فِي الْقِرَانَاتِ الْكَائِنَةَ  
فِي الْمِلَّةِ كِتَابًا سَمَّاهُ الشَّيْخَةُ بِالْجُفْرِ بِأَمْنِ كِتَابِهِمُ الْمُنْسُوبِ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَذَكَرَ  
فِيهِ فِيمَا يُقَالُ حَدَّثَنَا دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنَّهَا نَهَابَتْهُ وَأَشَارَ إِلَى أَنْقِرَاضِهَا وَالْحَادِثَةَ عَلَى  
بَعْدَادِ أَنَّهَا تَقَعُ فِي انْتِصَافِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ وَأَنَّهُ بِأَنْقِرَاضِهَا يَكُونُ أَنْقِرَاضُ الْمِلَّةِ وَلَمْ تَقَفْ  
عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْكِتَابِ وَلَا رَأْيًا مِنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَلَعَلَّهُ غَرِقَ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي طَرَحَهَا  
هَلَاكُ مَلِكِ التُّرْكِ فِي دَجَلَةِ عِنْدَ اسْتِيلَانِهِمْ عَلَى بَعْدَادِ وَقَتْلِ الْمُسْتَعَصِمِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ  
وَقَعَ بِالْمَغْرِبِ جُزْءٌ مُنْسُوبٌ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ يُسَمُّونَهُ الْجُفْرَ الصَّغِيرَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ لِبَنِي  
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِذِكْرِ الْأَوَّلِينَ مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ فِيهِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَطَبَاقَةٍ مِنْ تَقْدِيمِ عَنْ  
ذَلِكَ مِنْ حَدَّثَانِهِ وَكَذَّبَ مَا بَعْدَهُ وَكَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بَعْدِ الْكِنْدِيِّ مُنْجِمُونَ  
وَكُتُبٌ فِي الْخَدَنَانِ وَانْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّيْبِيُّ فِي أَخْبَارِ الْمُهَدِّيِّ عَنْ أَبِي بُدَيْلٍ مِنْ أَصْحَابِ  
صَنَائِعِ الدَّوْلَةِ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ الرَّابِعُ وَالْحَسَنُ فِي غَزَاتِهِمَا مَعَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ أَيَّهِ تَحْتِثُهُمَا  
جَوْفَ اللَّيْلِ فَإِذَا عِنْدَهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الدَّوْلَةِ يَعْنِي الْخَدَنَانِ وَإِذَا مَدَّةُ الْمُهَدِّيِّ فِيهِ  
عَشْرُ سِنِينَ فَقُلْتُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَخْفَى عَلَى الْمُهَدِّيِّ وَقَدْ مَضَى مِنْ دَوْلَتِهِ مَا مَضَى فَإِذَا  
وَقَفَ عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَدْ نَعَيْتُمْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ فَالَا فَمَا الْحَيَلَةُ فَاسْتَدْعَيْتُ عَنبَسَةَ الْوَرَّاقَ مَوْلَى  
أَبِي بُدَيْلٍ وَقُلْتُ لَهُ اسْخُفْ هَذِهِ الْوَرَقَةَ وَاسْكُتْ مَكَانَ عَشْرِ أَرْبَعِينَ فَفَعَلَ فَوَاللَّهِ لَوْلَا  
أَنِّي رَأَيْتُ الْعَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ مَا كُنْتُ أَشْكُ أَنَّهَا هِيَ ثُمَّ كَتَبَ  
النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي حَدَّثَانِ الدَّوَلِ مَنْظُومًا وَمَثُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ

وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُنْفَرَقَةً كَثِيرٌ مِنْهَا وَتُسَمَّى الْمَلَا حِمَ وَبَعْضُهَا فِي حَدَّثَانِ الْمَلَّةِ عَلَى النَّمُومِ  
وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَسْنُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا أَصْلٌ  
يُعْتَمَدُ عَلَى رَوَاتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَلَا حِمَ بِالْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ  
مُرَّانَةَ مِنْ بَجْرِ الطَّوِيلِ عَلَى رَوِي الرِّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَةُ أَنَّهَا مِنْ  
الْحَدَّثَانِ الْعَامِ فَيُطَاقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاوِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ شَيْخِنَا  
أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةٍ لِمَثُونَةٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَبِيلَ دَوَاتِهِمْ وَذَكَرَ فِيهَا أَسْدِيَاءَهُمْ عَلَى  
سَبْتَةٍ مِنْ يَدِ مَوَالِي بَنِي حَمُودٍ وَمُلْكِهِمْ لِعُدُوَّةِ الْأَنْدَلُسِ وَمِنْ الْمَلَا حِمَ يَدُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةُ تُسَمَّى التَّبَعِيَّةُ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرَبٌ وَقَدْ يَطْرَبُ الطَّائِرُ الْمَغْتَصَبُ  
وَمَا ذَاكَ مِنِّي لِلَّهِ أَرَاهُ وَلَكِنْ لَتَذَكَارَ بَعْضُ السَّبَبِ  
قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ نَيْتٍ أَوْ أَنْفٍ فِيمَا يُقَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَأَشَارَ  
فِيهَا إِلَى الْفَاطِمِيِّ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرِ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَمِنْ الْمَلَا حِمَ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا مَلْعَبَةٌ  
مِنَ الشَّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَسْنُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْفَرَانَاتِ لِعَصْرِهِ الْعَلَوِيِّينَ  
وَالْتَحْسِينَ وَغَيْرَهُمَا وَذَكَرَ مِيتَتَهُ قَتِيلًا بِفَاسَ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ وَأَوَّلُهُ  
فِي صَبْغِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرَفِهِ خِيَارًا فَافْتَحُوا بِاقُومِ هَذِيهِ الْإِشَارَا  
نَجْمُ زَحَلِ اخْبِرْ بِذِي الْعِلَامَا وَبَدَلِ الشُّكْلَا وَهِيَ سَلَامَا  
شَاشِيَةُ زَرْقَا بَدَلِ الْعِلَامَا وَشَاشِ الْأَزْرَقِ بَدَلِ الْفَرَا  
يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّذَا التَّجْنِيسُ لِنَاسَانِ يَهُودِي يَصْلُبُ فِي بَلَدَةِ فَاسَ فِي يَوْمِ عِيدِ  
حَتَّى يَحْيِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبُودَايِ وَقَتْلُهُ بِاقُومِ عَلَى الْفَرَادِ  
وَأَيَّانُهُ نَحْوُ الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْفَرَانَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَمِنْ مَلَا حِمَ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا قَصِيدَةُ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى رَوِي الْبَاءِ فِي حَدَّثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصِ  
بَتُونِسَ مِنَ الْمُوحِدِينَ مَسْنُوبَةٌ لِابْنِ الْأَبَّارِ وَقَالَ لِي قَاضِي فُسْطَاطِيَّةِ الْخَطِيبِ الْكَبِيرِ  
أَبُو عَلِيٍّ بَنُ بَادِسَ وَكَانَ بَصِيرًا بِمَا يَقُولُهُ وَلَهُ قَدَمٌ فِي التَّنْجِيمِ فَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا ابْنُ الْأَبَّارِ  
لَيْسَ هُوَ الْحَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْكَاتِبُ مَقْتُولُ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خِيَّاطٌ مِنْ أَهْلِ

نُوسَ تَوَاطَّاتٍ شُهْرَتُهُ مَعَ شُهْرَةِ الْحَافِظِ وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُنْسِدُ هَذِهِ  
الْآيَاتَ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعُهَا

عَلَيْرِي مِنْ زَمَنِ قَلْبٍ      يَبْرُؤُ يَبَارِقِهِ الْأَذْنِبُ  
وَيَبْعَثُ مِنْ جَيْشِهِ قَائِدًا      وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى رَقَبِ  
فَتَأْتِي إِلَى السُّنْبُحِ أَخْبَارُهُ      فَيُقْبَلُ كَلْجَمَلِ الْأَجْرَبِ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَدْلِهِ سِيرَةً      وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجَابِ

ومنها في ذكر احوال نوس على العموم

فَإِمَّا<sup>(١)</sup> رَأَيْتَ الرُّؤُومَ أَمَحَتْ      وَلَمْ يُزْعَ حَقٌّ لِلْيَسِ مَتَصِبِ  
نُحْذِي فِي التَّرَحُّلِ عَنْ نُوسِ      وَوَدَّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبِ  
فَسَوَتْ تَكُونُ بِهَا فِتْنَةٌ      تُضِيفُ الْبَرِيءَ إِلَى الدُّنْبِ  
وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةٍ أُخْرَى فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَنْصِ هَوْلَاءِ يُنُوسِ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي بَعْثَى الشَّهْرِ عَاشِرِ مَلُوكِهِمْ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْأَلِ شَقِيقُهُ      وَيُعْرِفُ بِالْوُثَابِ فِي سُخْرَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُعْنِي بِذَلِكَ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَدِينَ  
الْمَلَا حِمٍ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمَلْعَبَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْهُوثِي عَلَى لُغَةِ الْعَامَةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ

دعني بدعني الهتان      فترت الامطار ولم تقتر

واستقت كلها الويدان      واني تملى وتغدر

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ بَيْنَ عَامَةِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَالْعَالِبِ عَلَيْهَا الْوُضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصَحَّ مِنْهَا  
قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ تَحَرُّفُهُ الْعَامَةُ أَوْ الْحَارِفُ فِيهِ مَنْ يَتَّبِعُهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ  
عَلَى مَلْحَمَةٍ مُنْسُوبَةٍ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَلَامِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِهَ الْأَلْعَازَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا  
اللَّهُ لِنَعْلِهِ إِلَى أَوْفَاقٍ عَدَدِيَّةٍ وَرَمُوزٍ مَلْعُوزَةٍ وَأَشْكَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَامَةٍ وَرُؤُوسٍ مَقْطَعَةٍ  
وَتِمَائِلٍ مِنْ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رُويِ اللَّامِ وَالْعَالِبِ أَنَّهَا كُلُّهَا  
غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عَلِيٍّ مِنْ نِجَامَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

١ قوله فاما رايته ااصله فار. رايته زبدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما

رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية ١٠٠٠هـ قاله نصر

مَلَا حِمٍّ أُخْرَى مَنَسُوبَةٌ لِأَبْنِ سِينَاءَ وَأَبْنِ عُقَابٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْفَرَاتَانِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مِلْحَمَةٍ مِنْ حَدَثَانِ دَوْلَةِ التُّرْكِ مَنَسُوبَةٍ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجَرِيقِيَّ وَكَلَّمَهَا الْغَزَّ بِالْحُرُوفِ أَوَّلَهَا

إِنْ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سُوْلِي مِنْ عِلْمِ جَفْرِ وَمَوِيٍّ وَالِدِ الْحَسَنِ فَافْهَمْ وَكُنْ وَاعِيًا حَرَفًا وَجُمْلَةً وَالْوَصْفُ فَافْهَمْ كِفْعَلُ الْخَازِقِ الْفَطْنِ أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكُرُهُ لَكِنِّي أَذْكُرُ الْآتِي مِنَ الزَّمَنِ بِشَهْرِ بَيْبِزَسَ بَقِيَ بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِحَاءٌ مِمَّ بِطِيشُ نَامٍ فِي الْكُنَنِ شَيْنٌ لَهُ أَثَرٌ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ فَصَى أَيِ ذَلِكَ الْغِنَبِ فَصُرُ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرَبِيَّاتٌ فِي مُلْكٍ إِلَى الْيَمَنِ وَأَيَّامُهَا كَثِيرَةٌ وَالْغَالِبُ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صَنِعَتِهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرٌ

وَمَعْرُوفٌ الْإِنْعَالِ

حَكَى الْمُؤَرِّخُونَ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامُ الْمُقْتَدِرِ وَرَأَى ذِكْرِي يُعْرِفُ بِالْدَّانَالِيِّ بَيْلُ الْأَوْرَاقِ وَبِكْتَبُ فِيهَا بِحَطِّ عَتِيقٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يَعْرِفُ مِثْلُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الرِّفْعَةِ وَالْجَاهِ كَانَهَا مَلَا حِمٍّ وَيَحْصُلُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَاتِرِهِ مِيمًا مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحٍ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِحٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيَنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَصَبَ لِنِلكَ عَلَامَاتٍ يُعَمِّدُ بِهَا عَلَيْهِ قَبْدَلُ لَهُ مَا أَغْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوِزِيرِ أَبْنِ الْقَائِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا لِحُجَّاهُ بِأَوْرَاقٍ مِثْلَهَا وَذَكَرَ أَسْمَ الْوِزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبِعَلَامَاتٍ ذَكَرَهَا وَإِنَّهُ لِيَكِي أَلْوَزَارَةُ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءُ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا فِي أَيَّامِهِ وَاقَفْتُ مُفْلِحًا هَذَا عَلَى الْأَوْرَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَا حِمٍّ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِيمًا وَقَعَ وَمِيمًا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ جَمِيعَهُ إِلَى دَانَالٍ فَأَعْجَبَ بِهِ مُفْلِحٌ وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ وَاهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعَلَامَاتِ إِلَى أَبْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَوِزَارَتِهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرِيقَةِ فِي الْكَيْدِ وَالْجَهْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْغَازِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْمِلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسَبُوتُهَا إِلَى الْبَاجَرِيقِيَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ أَبْنِ

شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ الْأَجَمِّ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَعَنْ هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ الْبَاجِرِيُّ وَكَانَ عَارِفًا بِطَرَائِقِهِمْ فَقَالَ كَانَ مِنْ  
الْقَلَنْدَرِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حَلَقِ اللَّحْيَةِ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ بِطَرِيقِ الْكُشْفِ وَيُؤْمِي  
إِلَى رِجَالٍ مُعَيَّنِينَ عِنْدَهُ وَيُلْفِزُ عَلَيْهِمْ بِمُخْرُوفٍ يُعَيِّنُهَا فِي خَمِينِهَا لِمَنْ يَرَاهُ مِنْهُمْ وَرُبَّمَا  
يَظْهَرُ نَظْمُ ذَلِكَ فِي أَيْتَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَتَعَاهَدُهَا فَتَنَوَّلَتْ عَنْهُ وَوَلَعَ النَّاسُ بِهَا وَجَعَلُوهَا  
مَلْحَمَةً مَرْمُوزَةً وَزَادَ فِيهَا الْخَرَّاصُونَ مِنْ ذَلِكَ الْخَنَسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَشَغَلَ الْعَامَّةُ بِفِكَ  
رُمُوزِهَا وَهُوَ أَمْرٌ مُمْتَنِعٌ إِذَا الرَّمْزُ إِنَّمَا يَهْدِي إِلَى كَشْفِهِ فَأَنْتَوْنُ يُعْرِفُ قَبْلَهُ وَيُوضَعُ  
لَهُ وَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْخُرُوفِ فَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا تَخْصُوصَةٌ بِهَذَا النِّظْمِ لَا يَتَجَاوَزُهُ  
فَرَأَيْتُ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ شِفَاءً لِمَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ  
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال  
وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك  
وَيَكُنْهُ أَنَّ الْبِنَاءَ وَاخْطِاطَ الْمَنَازِلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْخِصَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
التَّرفُ وَالِدَّعَةُ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ ذَلِكَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبِدَاوَةِ وَمَنَازِعِهَا وَأَيْضًا فَالْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ  
ذَاتُ هِيََاكِلٍ وَأَجْزَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ لَا لِلْخُصُوصِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَيْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ الْفَرُودِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا  
الْبَلَاوَى حَتَّى يَكُونُ نَزْوُعُهُمْ إِلَيْهَا اضْطِرَارًا بَلْ لَا يَدَّ مِنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَسَوْفِيهِمْ  
إِلَيْهِ مُضْطَهِّدِينَ بَعْصَ الْمَلِكِ أَوْ مُرْعَبِينَ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الَّذِي لَا يَنِي بِكَثْرَتِهِ إِلَّا

الْمَلِكُ وَالِدَوْلَةَ فَلَا بَدَّ فِي تَعْيِيرِ الْأَمْصَارِ وَاخْتِطَاطِ الْمُدُنِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بُنِيَ الْمَدِينَةُ وَكُمِلَ تَشْيِيدُهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا وَبِمَا اقْتَضَتْ الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعُمِّرَ الدَّوْلَةُ حِينَئِذٍ عُمُرٌ لَهَا فَإِنْ كَانَ عُمُرُ الدَّوْلَةِ قَصِيرًا وَقَفَتْ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعَ عُمُرَانِهَا وَخَرِبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمُدَّتْهَا مُنْفِخَةٌ  
 فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُّ وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيْبَةُ تَكْثُرُ وَتَعْدُدُ وَنِطَاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَيَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تَنْسِعَ الْخِطَّةُ وَتَبْعَدَ الْمَسَافَةُ وَيَنْفَسِحَ ذَرْعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بِيَعْدَادِ وَأَمْثَالِهَا. ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَأْرِيجِهِ أَنَّ الْحَمَامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِيَعْدَادِ لِعَهْدِ  
 الْمَأْمُونِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مُدُنٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُتَقَارِبَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةٌ وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمُرَانِ وَكَذَلِكَ حَالُ  
 الْقَيْرَوَانِ وَفَرْطَبَةِ وَالْمَهْدِيَّةِ فِي الْعِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمَشِيدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لِصَوَاحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَارَبَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَةٌ بِمِدَّتِهَا الْعُمُرَانِ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لِوُجُودِهَا وَيَسْتَمُرُّ عُمُرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِقَاسٍ وَبِجَايَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبِعِرَاقِ  
 التَّجَمُّعِ مِنَ الْمَشْرِقِ الْمَوْجُودِ لَهَا الْعُمُرَانِ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الدَّوَاةِ إِذَا انْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَاتِهَا مِنَ الرِّفَةِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالشُّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَنْزِلُونَ الْمُدُنَ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَّلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِنَتَاكِ الْمَدِينَةِ الْمَوْسَسَةِ  
 مَادَّةٌ تُفِيدُهَا الْعُمُرَانِ بِزَادٍ السَّائِكِينَ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرَقًا  
 لِسِيَاجِهَا فَيَزُولُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقَصُ عُمُرَانِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَتَدَعَّرَ سَاكِنُهَا وَتَخْرُبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَعْدَادَ وَالْكُوفَةَ بِالشَّرْقِ وَالْقَيْرَوَانِ وَالْمَهْدِيَّةِ وَقَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمْثَالِهَا فَتَهْتَمُّ وَرُبَّمَا يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مُخْتَبِطِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرُ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَتَّخِذُهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ اخْتِطَاطِ مَدِينَةٍ يَنْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةُ سِيَاجَهَا وَتُزَادُ مَبَانِيهَا وَمَصَانِعُهَا بِتَزَايُدِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرْفُهَا  
 وَتَسْجِدُ بِعُمُرَانِهَا عُمُرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِقَاسٍ وَالْقَاهِرَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ اضْطَرُّوا لِلْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَمْصَارِ لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالرَّاحَةِ وَحَطَّ الْأَثْقَالُ وَاسْتِكْمَالَ مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أُمُورِ الْعُمَرَاءِ فِي الْبَدْوِ وَالثَّانِي دَفْعُ مَا يَتَوَقَّعُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ الْمَنَازِعِينَ وَالْمُشَاغِبِينَ لِأَنَّ الْمِصْرَ الَّذِي يَكُونُ فِي نَوَاحِيهِمْ رُبَّمَا يَكُونُ مَلْجَأً لِمَنْ يَرُومُ مُنَازَعَتَهُمْ وَالْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَاتِّزَاعَ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي سَمَوْا إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَيَعْتَصِمُ بِذَلِكَ الْمِصْرَ وَيُقَالِيهِمْ وَمُعَالَبَةُ الْمِصْرِ عَلَى نِهَايَةِ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْمِصْرُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَسَاكِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ وَنِكَايَةِ الْحَرْبِ مِنْ وَرَاءِ الْجُدُرَانِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ عَدَدٍ وَلَا عَظِيمٍ شَوْكَةٍ لِأَنَّ الشُّوْكَةَ وَالْعَصَابَةَ إِنَّمَا أَحْتِيجُ إِلَيْهِمَا فِي الْحَرْبِ لِلثَّبَاتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ بَعْدِ كُرَّةِ الْقَوْمِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ الْجَوْلَةِ وَتَبَاتِ هَؤُلَاءِ بِالْجُدُرَانِ فَلَا يَضْطَرُّونَ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ وَلَا عَدَدٍ فَيَكُونُ حَالُ هَذَا الْحَصْنِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِهِ مِنَ الْمَنَازِعِينَ مِمَّا يَبْقَى فِي عَصْدِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَرُومُ الْأَسْتِيْلَاءَ وَيَخْضُدُ شَوْكَةَ أَسْتِيْلَائِهَا فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ أَجْنَابِهِمْ أَمْصَارٌ أَنْظَمُوهَا فِي أَسْتِيْلَائِهِمْ لِلْأَمْنِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْإِنْخِرَامِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِصْرٌ اسْتَحْدَثُوهُ ضَرُورَةً لِيَتَكَمَّلَ غَمْرَانِهِمْ أَوْ لَا وَحَطَّ اثْقَالُهُمْ وَلَيْسَ كُونُ شَجَا فِي حَلْقٍ مِنْ يَرُومُ الْعِزَّةَ وَالْإِمْتِنَاعَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَائِفِهِمْ وَعَصَائِبِهِمْ فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمَلِكَ يَدْعُو إِلَى نَزُولِ الْأَمْصَارِ وَالْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

فَقَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي آثَارِ الدَّوَلَةِ مِنَ الْمَبَانِي وَغَيْرِهَا وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نَسْبَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ تَشْيِيدَ الْمَدُنِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاجْتِمَاعِ الْقَعْلَةِ وَكَثَرَتِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوَلَةُ عَظِيمَةً مُتَّسِعَةً أَلَمَّا لِكَ حَشْرِ الْقَعْلَةِ مِنْ أَطْفَارِهَا وَجُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى عَمَلِهَا وَرُبَّمَا اسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِالْهِنْدَامِ الَّذِي يُضَاعِفُ الْقُوَى وَالْقُدْرَ فِي حَمْلِ أَثْقَالِ الْبِنَاءِ



لِعَجْزِ الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْحَمَالِ وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا بَتَوْهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمُ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيْوَانِ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ وَحَنَابَا الْمَعْلُوقَةِ وَشَرْشَالِ بِالْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ بِقُدْرِهِمْ مَتَفَرِّقِينَ أَوْ مُجْتَمِعِينَ فَيَتَخِيلُ لَهُمْ أَجْسَامًا تَنَاسُبُ ذَلِكَ الْأَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ فِي طُولِهَا وَقُدْرَهَا لِنَتَاسُبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُنْقَلُ عَنْ شَأْنِ الْهِنْدَامِ وَالْحَمَّالِ وَمَا أَقْتَضَتْهُ فِي ذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْهِنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّبِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَاسْتِعْمَالِ الْحِجْلِ فِي نَقْلِ الْأَجْزَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ النِّجْمِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِمَا قُلْنَا هُ عَيَانًا وَكَثَرَا آثَارُ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ عَادِيَّةً نَسَبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِتَوْحِيدِهِمْ أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعِهِمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعَظَمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعَفَ قُدْرُهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَقَدْ تَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الَّذِينَ تُعْرِفُ مَقَادِيرَ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَهِيَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْعَظَمِ أَوْ أَكْبَرَ كِإِيْوَانِ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الشَّيْعَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالصَّنْهَاجِيِّينَ وَأَثَرُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةٍ قَلْعَةٍ بَنَى حَمَادٌ وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْأَغَالِيَةِ فِي جَامِعِ الْفَيَزَوَانَ وَبِنَاءُ الْمُوَحِّدِينَ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ وَرِبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِعَهْدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْمَنْصُورَةِ بِإِزَاءِ تَلَمَّسَانَ وَكَذَلِكَ الْحَنَابَا الَّتِي جَلَبَ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْطَاجَنَةَ الْكَلَاءِ فِي الْقَنَاقَةِ الرَّابِكَةِ عَلَيْهَا مَائِلَةٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي نَقَلَتْ إِلَيْنَا أَخْبَارَ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَتَقِينَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مَقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا رَأْيِي وَلَعِبٌ بِهِ الْقَصَاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَتَجِدُ يَبُوتَ تَمُودَ فِي الْحَجَرِ مَنْخُونَةً إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا يَوْمُهُمْ يَمُرُّ بِهَا الرِّكْبُ الْحِجَازِيُّ أَكْثَرَ السِّنِينَ وَيُشَاهِدُونَهَا لِاتِّزَادِ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَتَسْمُكِهَا عَلَى الْمُتَعَاهِدِ وَإِنَّهُمْ لَيُبَالِغُونَ فِيهَا بِعَتَقْدُونِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَوْجَ بَنِ عَنَاقٍ مِنْ جَبَلِ الْعَالِقَةِ كَانَ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيًّا فَيَشْوِيهِ فِي الشَّمْسِ يَزْعُمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ حَارَّةٌ فِيمَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَرَّ فِيمَا لَدَيْنَا هُوَ الضَّوُّ لَا نِعْكَاسُ الشَّلْعِ مُقَابَلَةً لِسَطْحِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا الشَّمْسُ فِي نَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ كَوْكَبٌ مُضِيٌّ لَا مِرَاجَ لَهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى نَسَبَةِ قَوْمِهَا فِي أَصْلِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يَرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل بينها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عِظَمِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِالْمُتَعَدِّدِ كَمَا قُلْنَا هُيَ فَيُحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَرْزَنِهِ مُتَعَايِفَةً إِلَى أَنْ تَتِمَّ فَيَتَدَيُّ الْأَوَّلُ مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَيَعْقِبُهُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَ شَأْنَهُ فِي حَضَرِ الْفَعْلَةِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمُلُ وَيَكُونُ مَائِلًا لِلْعِيَانِ يَظُنُّهُ مَنْ يَرَاهُ مِنَ الْآخَرِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْظُرْ فِي ذَلِكَ مَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ سِدِّ مَارِبَ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَا بْنُ يَشْجَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَعَاقَفَهُ الْمَوْتُ عَنْ إِنْتِمَائِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ وَمِنْهُ هَذَا مَا نُقِلَ فِي بِنَاءِ قَرْطَاجَةَ وَقَنَائِهَا الرَّابِثَةِ عَلَى الْحَنَائِي الْعَادِيَّةِ وَأَكْثَرَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْغَالِبِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا نَجِدُ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَسْرِعُ فِي اخْتِطَاطِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ أَثَرُهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي إِنْتِمَائِهَا بَقِيََتْ بِجَالِهَا وَلَمْ يَكْمُلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ نَجِزُ الدَّوْلَ عَنْ هَدْمِهَا وَتَخْرِبِهَا مَعَ أَنَّ الْهَدْمَ أَيْسَرُ مِنَ الْبِنَاءِ بِكَثِيرٍ لِأَنَّ الْهَدْمَ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالْبِنَاءُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُفُ قُوَّتُنَا الْبَشَرِيَّةُ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سُهُولَةِ الْهَدْمِ عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي أَسَّسَتْهُ مُفْرَطَةُ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا وَقَعَ لِلْعَرَبِ فِي إِيْوَانَ كِنَسْرَى لَمَّا اعْتَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ فِي مَحَبَسِهِ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَتَعَلَّ وَأَتْرُكْهُ مَائِلًا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عِظَمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لَاهِلِ ذَلِكَ أَلَمَيْكَ كُلِّ فَاتَّهَمَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَقَالَ أَخَذَنِي الشُّعْرَةُ لِلْعَجَمِ وَاللَّهُ لَأَصْرَعَنَّهُ وَتَسْرِعُ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَأَخَذَ لَهُ الْفُؤُسَ وَصَمَّاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْخَلَّ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَخَافَ الْقَضِيحَةَ بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي النَّجَافِي عَنْ الْهَدْمِ فَقَالَ لَا تَتَعَلَّ وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ لِيَثَلَّ بِقَالَ عَجْزُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكِ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصَانِعِ الْعَجَمِ فَعَرَفَهَا الرَّشِيدُ وَأَفْصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي بِمِصْرَ

وَجَمَعَ الْقَمَلَةَ لِهَدْمِهَا فَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي نَقْبِهِ فَأَنْتَهَوْا إِلَى جَوِّ بَيْنِ الْحَائِطِ وَالظَّاهِرِ  
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْخِطَانِ وَهَذَا كَانَ مُنْتَهَى هَدْمِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ مَفْدُ ظَاهِرُ  
وَيَزْعُمُ الزَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رِكَازًا بَيْنَ تِلْكَ الْخِطَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ حَنَابَا الْمُهَلَّقَةِ  
إِلَى هَذَا الْقَهْدِ تَعْتَاجُ أَهْلُ مَدِينَةِ تُونِسَ إِلَى انْتِخَابِ الْحِجَارَةِ لِبَنَاتِهِمْ وَتَسْتَجِدُّ الصَّنَاعُ  
حِجَارَةَ تِلْكَ الْحَنَابَا فَيَحْمِلُونَهَا عَلَى هَدْمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَسْقُطُ الصَّغِيرُ مِنْ جُذُرِهَا  
إِلَّا بَعْدَ عَصَبِ الرِّبِيِّ وَتَجْتَمِعُ لَهُ الْعَافِلُ الْمَشْهُورَةُ شَهِدَتْ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صِبَايَ  
كَثِيرًا وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فَمَا تَجِبُ مَرَاعَاتُهُ فِي أَوْضَاعِ الْمَدَنِ وَمَا يَحْدُثُ إِذَا غُفِلَ عَنِ الْمَرَاعَةِ  
إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْمَدُنَ قَرَارٌ يَتَّخِذُهُ الْأُمَمُ عِنْدَ حُصُولِ الْغَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ التَّرَفِّ وَدَوَائِعِهِ  
فَتُؤَثِّرُ الدَّعَاةُ وَالسُّكُونُ وَتَتَوَجَّهُ إِلَى اتِّخَاذِ الدَّائِلِ لِلْقَرَارِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْقَرَارُ  
وَالْمَأْوَى وَجَبَ أَنْ يُرَاعَى فِيهِ دَفْعُ الْمَضَارِّ بِالْحِمَايَةِ مِنْ طَوَارِقِهَا وَجَلْبُ الْمَنَافِعِ  
وَتَسْهِيلُ الْمَرَافِقِ لَهَا فَأَمَّا الْحِمَايَةُ مِنَ الْمَضَارِّ فَيُرَاعَى لَهَا أَنْ يَدَارَ عَلَى مَنَازِلِهَا جَمِيعًا  
سِيَّاحُ الْأَسْوَارِ وَأَنْ يَكُونَ وَضْعُ ذَلِكَ فِي مُتَنَعٍ مِنَ الْأَمْنِكَةِ إِمَّا عَلَى هَضْبَةٍ مُتَوَعَّرَةٍ  
مِنَ الْجَبَلِ وَإِمَّا بِاسْتِدَارَةِ بَحْرٍ أَوْ نَهْرٍ بِهَا حَتَّى لَا يُوَصَلَ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى جِسْرِ  
أَوْ قَطْرَةٍ فَيَصْعُبُ مَنَاقِلُهَا عَلَى الْعَدُوِّ وَيَتَضَاعَفُ امْتِنَاعُهَا وَحُصْنُهَا وَمِمَّا يُرَاعَى فِي ذَلِكَ  
لِلْحِمَايَةِ مِنَ الْآفَاتِ السَّلَاطِيَةِ طِيبُ الْهَوَاءِ لِلسَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَإِنَّ الْهَوَاءَ إِذَا كَانَ  
رَاكِدًا خَبِيثًا أَوْ مُجَاوِرًا لِلْمِيَاهِ الْقَاسِدَةِ أَوْ مَنَاقِعَ مُتَعَفِّتَةٍ أَوْ مُرُوجٍ خَبِيثَةٍ أَسْرَعَ إِلَيْهَا  
الْعَفْنُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا فَاسْرَعَ الْمَرَضُ لِلْعِيْوَانِ الْكَائِنِ فِيهِ لَا حِمْلًا وَهَذَا مُشَاهَدٌ وَالْمَدُنُ  
الَّتِي لَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ كَثِيرَةٌ الْأَمْرَاضِ فِي الْعَالِمِ وَقَدْ أَشْتَهَرَ بِذَلِكَ فِي قَطْرِ  
الْمَغْرِبِ بَلَدُ قَائِسَ مِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ بِأَفْرِيقِيَّةٍ فَلَا يَكَادُ سَاكِنُهَا أَوْ طَارِقُهَا يَخْلُصُ مِنْ  
حُمَّى الْعَفْنِ بِوَجْهِهِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ حَادَثٌ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ مِنْ قَبْلُ وَتَقَلَّ  
الْبُكَرِيُّ فِي سَبَبِ حَدُوثِهِ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا حَفَرٌ ظَهَرَ فِيهِ إِنَاءٌ مِنْ نَحَاسٍ مَخْتُمٌ بِالرِّصَاصِ  
فَلَمَّا فَضَّ خِتَامَهُ صَعِدَ مِنْهُ دُخَانٌ إِلَى الْجَوِّ وَانْقَطَعَ وَكَانَ ذَلِكَ مَبْدَأَ أَمْرَاضِ الْحُمَمَاتِ  
فِيهِ وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِنَاءَ كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِ الطَّلِسْمَاتِ لَوَبَائِهِ وَأَنَّهُ

ذَهَبَ مِرْهُ بِدَهَابِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهَا الْعَفْنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَّةِ وَمَبَاحِنِهِمُ  
 الرُّكِيَّةِ وَالْبَكْرِيِّ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَاسْتِنَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِمَيْتٍ يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا  
 أَوْ يَتَبَيَّنُ خَرَفَهُ نَفَقَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَلِهِ الْأَهْوِيَّةَ  
 الْعَفْنَةَ أَكْثَرُ مَا يُهَيِّئُهَا لِتَعْفِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَيَاتِ رُكُودُهَا فَإِذَا تَخَلَّلَتْهَا الرِّيحُ  
 وَتَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا مَيْئًا وَشَمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَفْنِ وَالْمَرَضِ الْبَادِي مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبَلَدِ  
 إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِينِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
 الرِّيحُ الْمُتَخَلِّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّاكِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْتِمَوجِ وَإِذَا خَفَّ  
 السَّاكِنُ لَمْ يَتَّيِدِ الْهَوَاءُ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوَّجِهِ وَبَقِيَ سَاكِدًا رَاصِدًا وَعَظُمَ عَفْنُهُ  
 وَكَثُرَ ضَرَرُهُ وَبَلَدٌ قَائِسٌ هَلِهِ كَانَتْ عِنْدَ مَا كَانَتْ أَفْرِيقِيَّةٌ مُسْتَجِدَّةٌ الْعُمُرَانِ كَثِيرَةً  
 السَّاكِينِ تَمَوَّجُ بِأَهْلِيهَا مُوجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوَّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطِرَابِهِ وَتَخْفِيفِ  
 الْأَذَى مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفْنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَ مَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكَدَ هَوَاؤُهَا  
 الْمُتَعَفِّنُ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَفْنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ  
 ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وَضَعَتْ وَلَمْ يُرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِينِ فَكَانَتْ  
 أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا أَثْقَلَ حَالُهَا عَنْ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِقَاسِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ أَلْمَسْمَى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَهْنِئَةُ تَهْنِئَةٍ مَا قُلْتُمْ لَكَ  
 وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا أَلْمَاءُ بَأَن يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
 نَهْرٍ أَوْ بِإِزَائِيهَا عِيُونٌ عَذْبَةٌ نَزَّةٌ فَإِنْ وُجِدَ أَلْمَاءٌ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يُسَهِّلُ عَلَى السَّاكِينِ  
 حَاجَةَ أَلْمَاءٍ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وُجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ وَمِمَّا يُرَاعَى  
 مِنَ الْمَرَافِقِ فِي الْمَدِينِ طِيبُ الْمَرَاعِي لِسَائِمَتِهِمْ إِذَا صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
 دَوْجِنِ الْحَيَوَانِ لِلنَّجَاحِ وَالضَّرْعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَرْعَى فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
 طَيِّبًا كَانَ ذَلِكَ أَرْزَقَ بِحَالِهِمْ لِمَا يَتَأَنُونَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي بُعْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
 الْمَزَارِعُ فَإِنَّ الْأَرْزُوعَ هِيَ الْأَفْوَاقُ فَإِذَا كَانَتْ مَزَارِعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
 اسْتِهْلًا فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبُ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالْبَنَاءِ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
 تَعْمُ الْبُلُوى فِي اتِّخَاذِهِ لَوْفُودِ الْبَرَّانِ لِلْأَصْطِلَاءِ وَالطَّبَخِ وَالْخَشَبِ أَيْضًا ضَرُورِي  
 لِسَفِينِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْخَشَبُ مِنْ ضَرُورِيَاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنْ

الْبَحْرَ لِتَسْهِيلِ الْحَاجَاتِ الْفَاصِيَةِ مِنَ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَثَابَةِ الْأَوَّلِ  
وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَفَاوِتَةٌ يَتَفَاوَتُ الْحَاجَاتُ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ السَّائِكِينَ وَقَدْ يَكُونُ الْوَاضِعُ  
غَافِلًا عَنْ حُسْنِ الْأَخْتِيَارِ الطَّبِيعِيِّ أَوْ إِنَّمَا يُرَاعِي مَا هُوَ أَهْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ وَلَا  
يَذْكُرُ حَاجَةَ غَيْرِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْعَرَبُ لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي أَخْطَطُوهَا  
بِالْعِرَاقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيهَا إِلَّا الْأَهْمَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَرَاعَى الْإِلَالِ وَمَا يَصْلُحُ  
لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ الْمَلَحِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْمَاءَ وَلَا الْمَزَارِعَ وَلَا الْحَطَبَ وَلَا مَرَاعَى  
السَّائِمَةِ مِنْ ذَوَاتِ الظُّلْفِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ كَالْقَابِرِوَانِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَأَمثالِهَا  
وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْخَرَابِ مَا لَمْ تُرَاعَ فِيهَا الْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ

وَمَا يُرَاعَى فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ أَنْ تَكُونَ فِي جَبَلٍ أَوْ تَكُونَ بَيْنَ  
أَمَةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَوْفُورَةٌ أَلَدَدٍ تَكُونُ مَرِيغًا لِلْمَدِينَةِ مَتَى طَرَفُهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِسَاحَتِهَا عُمُرَانُ  
لِلْقَبَائِلِ أَهْلِ الْعَصَائِكِ وَلَا مَوْضِعُهَا مُتَوَعِّرٌ مِنَ الْجَبَلِ كَانَتْ فِي غِرَّةِ لِيَّيَاتٍ وَسَهْلٍ طُرُوقِهَا  
فِي الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى عَدُوِّهَا وَتَحْفُهُ لَهَا لِمَا يَأْمَنُ مِنْ وَجُودِ الدَّرِيخِ لَهَا وَأَنَّ  
الْحَضَرَ الْمُتَوَعِّرَ دِينَ لِلدَّعَةِ قَدْ صَارُوا عِيَالًا وَخَرَجُوا عَنْ حُكْمِ الْمُقَاتَلَةِ وَهَذِهِ  
كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَطَرَابُلُسَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبُونَةَ وَسَلَامَتِي كَانَتْ الْقَبَائِلُ  
وَالْعَصَائِبُ مُوْطِنِينَ بِقُرْبِهَا بِحَيْثُ يَبْلُغُهُمُ الصَّرِيخُ وَالنَّعِيرُ وَكَانَتْ مُتَوَعِّرَةً الْمَسَالِكَ عَلَى  
مِنْ يَرُومُهَا بِأَخْطَاطِهَا فِي هَضَابِ الْجِبَالِ وَتَلَى أَسْنَمَتِهَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ مَنَعَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
وَيَسْتَوِي طُرُوقُهَا لِمَا يَكْبِدُونَهُ مِنْ وَعَرِهَا وَمَا يَتَوَعَّرُونَهُ مِنْ إِجَابَةِ صَرِيخِهَا كَمَا فِي  
سَبْتَةِ وَبِحَاجَةِ وَبَلَدِ الْقُلَّ عَلَى صَغَرِهَا فَافْتَنَمَ ذَلِكَ وَاعْتَبَرَهُ فِي اخْتِصَاصِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ  
يَأْتِي النَّفَرُ مِنَ لَدُنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَعَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مِنْ وَرَائِهَا بَرَقَةٌ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَإِنَّمَا عَتَبَرُ  
فِي ذَلِكَ التَّخَافَةَ الْمُتَوَقَّعَةَ فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ لِسَهُولَةِ وَضْعِهَا وَلِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ طُرُوقُ الْعَدُوِّ  
لِلْإِسْكَندَرِيَّةِ وَطَرَابُلُسَ فِي الْمِلَّةِ مَرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم  
إِلَّمَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضْلُ مِنَ الْأَرْضِ بَقَاعًا اخْتَصَمَهَا بِتَشْرِيفِهِ وَجَعَلَهَا مَوَاطِنَ

لِعِبَادَتِهِ بِضَاعٍ فِيهَا الثَّوَابُ وَيَتَمَوَّيْهَا الْأَجُورُ وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلَى أَلْسِنِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ  
لُفْظًا بِعِبَادِهِ وَتَسْهِيلًا لَطَرُقِ السَّعَادَةِ لَهُمْ. وَكَانَتْ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَفْضَلُ بَقَاعِ  
الْأَرْضِ حَسَبًا نَبَتْ فِي الصَّحَّاحِينَ وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ أَمَّا الْبَيْتُ  
الْحَرَامُ الَّذِي بِمَكَّةَ فَهُوَ بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ بِنَبَائِهِ وَأَنْ  
يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ فَبَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا نَصَّهُ الْقُرْآنُ وَقَامَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ  
فِيهِ وَسَكَنَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ مَعَ هَاجَرَ وَمَنْ نَزَلَ مَعَهُمْ مِنْ جُرْهُمٍ إِلَى أَنْ قَبَضَهُمَا اللَّهُ وَدَفِنَا  
بِالنَّجْرِ مِنْهُ. وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ بَنَاهُ دَاوُدُ وَسَلِيمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمْرُهُمَا اللَّهُ بِنَبَائِهِ  
مَسْجِدِهِ وَنَصَّبَ هَبَاكِلَهُ وَدَفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْلَ إِلَيْهِ.  
وَالْمَدِينَةُ مُهَاجَرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّجْمَةِ إِلَيْهَا  
وَأَقَامَهُ دِينَ الْإِسْلَامِ بِهَا فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا وَكَانَ مَلْعَدُهُ الشَّرِيفُ فِي تَرْبَتِهَا  
فَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قِرَّةٌ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْوَى أَفْتِدْنِهِمْ وَعَظْمَةُ دِينِهِمْ وَفِي الْأَثَارِ  
مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مُجَاوَرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ فَلَنُشِيرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ  
الْخَبَرِ عَنْ أَوْلِيَةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَذَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كَمُلَ ظَهْرُهَا  
فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا مَكَّةُ فَأَوْلِيَّتُهَا فِيمَا يُقَالُ أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَنَاهَا فَبَالَتْ الْبَيْتُ  
الْمَعْمُورُ ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ بِعَوْلٍ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَقْبَسُوهُ  
مِنْ مَحْمِلِ آيَةٍ فِي قَوْلِهِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ  
إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجَرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَأَوْحَى  
اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَذْكُرْ أَبْنَاهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ بِالنَّفْلَةِ فَوَضَعَهُمَا فِي مَكَانِ الْبَيْتِ وَسَارَ  
عَنْهُمَا وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا مِنَ اللَّطْفِ فِي نَبْعِ مَاءٍ زَمَزَمَ وَمُرُورِ الرُّثْقَةِ مِنْ جُرْهُمٍ  
بِهَا حَتَّى اخْتَمَلُوهُمَا وَسَكَنُوا إِلَيْهِمَا وَنَزَلُوا مَعَهُمَا حَوْلَ زَمَزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ  
فَأَتَمَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا بِأَوِي إِلَيْهِ وَادَارَ عَلَيْهِ سِيَاجًا مِنَ الرَّدَمِ وَجَعَلَهُ  
زَرْبًا لِقَنْمِهِ وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَرَارًا لِيُبَارِكَهُ مِنَ الشَّامِ أَمْرًا فِي آخِرِهَا  
بِنَبَأِ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الرَّزْبِ فَبَنَاهُ وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
حَجِّهِ وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ وَلَمَّا فُيْضَتْ أُمُّهُ هَاجَرَ وَقَامَ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ  
مَعَ أَخْوَالِهِمْ مِنْ جُرْهُمٍ ثُمَّ الْعَمَالِيقُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ

إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ دُنَا  
 أَوْ نَأَى فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَحْجُّ الْبَيْتَ وَتُعْظَمُهُ وَأَنَّ تَبْعًا كَسَاهَا أَلْمَلَاءُ  
 وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْهِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مِفْتَاحًا وَنُقِلَ أَيْضًا أَنَّ الْفُرْسَ كَانَتْ تَحْجُّهُ وَتُقَرِّبُ  
 إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَايَ الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ اخْتَفَرَ زَمْزَمَ كَانَا مِنْ  
 قُرَايْنِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لُجُزُهُمُ الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خَوْلَتِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 خَرَجَتْ خِزَاعَةٌ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ وَانْتَشَرُوا وَاشْتَبَهُوا إِلَى  
 كِنَانَةٍ ثُمَّ كِنَانَةٌ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وَلَايَةُ خِزَاعَةٍ فَعَلَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَآخِرُ جُورِهِمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ فَصَيَّ بَنُ كِلَابٍ بَنَى الْبَيْتَ وَسَقَفَهُ بِخَشَبٍ  
 اللَّوْغِ وَجَرِيدِ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَقْتُ بَنُو بِي رَاهِبَ الدَّوْرِ وَالْيَاقِي بَنَاهَا فَصَيَّ وَالْمِضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ  
 ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَهْدَمُ وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النِّفْقَةَ لِنَازِلِكَ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ وَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَةُ بِسَاحِلِ جَدَّةَ فَأَشْرَرُوا خَشَبَهَا لِلْسَّقْفِ وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ  
 الْقَامَةِ فَعَمَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ فَعَمَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لِمَثَلًا  
 تَدْخُلُهُ السُّيُولُ وَقَصَّرَتْ بِهِمُ النِّفْقَةُ عَنْ إِتِمَامِهِ فَقَصَّرُوا عَنْ قَوَاعِيدِهِ وَتَرَكُوا مِنْهُ سِتًّا  
 أَذْرُعَ وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ الْحَجَرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
 الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحْصَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَرَحَنَتْ إِلَيْهِ جُبُوشُ يَزِيدَ  
 بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةً أَذْبَعَ وَسَتِينَ فَأَصَابَهُ  
 حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
 أَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الصَّخَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكَفَرٍ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِيدِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْفِيًّا وَغَرِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَ عَنْ أَاسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَعَ  
 الْوُجُوهَ وَالْأَكْبَارَ حَتَّى عَابُوهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْتَّحْرِى فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
 فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْحُشْبَ وَنَصَبَ مِنْ قَوْفِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صَنْعَاءَ  
 فِي الْفُضَّةِ وَالْكُنُسِ فَعَمَلَهَا وَسَالَ عَنْ مَقْطَعِ الْعِجَارَةِ الْأَوَّلِ لَجَمَعَ مِنْهَا مَا أَحْتَاجُ  
 إِلَيْهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أَاسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ

ذَرَاةً وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لاصِقَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ فَرْشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالرَّخَامِ وَصَاغَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَنَّاخَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحُجَّاجُ لِحِصَارِهِ أَبَامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ وَرَبَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمَنْجَنِيقاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ  
 بِأَبْنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِهَدْمِهِ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ قُرَيْشٍ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ وَيُقَالُ إِنَّهُ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ صِحَّةَ رَوَايَةِ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُ أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبَنَائِهِ  
 مَا تَحْمَلُ فَهَدَمَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا سِتَ أَذْرُعٍ وَشَبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أَسَاسِ قُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْغَرْبِيَّ وَمَا تَحْتَ عَتَبَةِ بَيْتِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يَغَيِّرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بِنَاءُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبَنَاءُ الْحُجَّاجِ فِي الْحَائِطِ صَلَةُ  
 ظَاهِرَةُ الْعِيَانِ لِحُجَّةِ ظَاهِرَةِ بَنِ الْبِنَاءِ بَنِ الْبِنَاءِ مُمَيِّزٌ عَنِ الْبِنَاءِ بِمِقْدَارِ اصْبَعَ شِبْهٍ  
 الصَّدْعِ وَقَدْ لَحِمَ وَيَعْرِضُ هُنَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُنَافَاتِهِ لِمَا يَقُولُهُ النُّقَّاهُ فِي أَمْرِ الطُّوُوفِ  
 وَيَعْتَدُّ الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرَوَانَ الدَّائِرِ عَلَى أَسَاسِ الْجُدُرِ مِنْ أَسْفَلِهَا فَيَقَعَ  
 طَوَافُهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجُدُرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضُهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ الشَّاذِرَوَانَ وَكَذَا قَالُوا فِي تَقْيِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بَدْنَ مِنْ رُجُوعِ الطَّائِفِ مِنَ  
 التَّقْيِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا لَثَلًا يَقَعَ بَعْضُ طَوَافِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدُرَانِ  
 كُلُّهُمَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا مَخْلَصَ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْحُجَّاجُ هَدَمَ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِالْإِتِّحَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَاءِ بَنِ وَتُمَيِّزُ أَحَدٍ  
 الشَّقَّيْنِ مِنْ أَعْلَاهُ عَلَى الْآخَرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ حِجَابَتِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطْ لِيَدْخُلَهُ فِيهِ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا يَحْصُنُ مِنْ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فِضَاءً لِلطَّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدُرٌ أَبَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَاشْتَرَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَامَةِ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ بِعُمْدِ



الرَّحَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنْصُورُ وَأَبْنُ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَّعَتِ الزِّيَادَةُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَتَشْرِيفُ اللَّهِ إِيَّاهَا أَلَيْتَ وَعَيْنَاهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهِيظًا لِلرَّحِي وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شَرَائِعَ النِّجَاحِ وَمَنَاسِكَهِ وَأَوْجَبَ لِحَرَمِهِ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَالْحَقِّ مَا لَمْ يُوجِبْهُ لغيرِهِ فَمَتَّعَ كُلَّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ التَّخَيُّطِ إِلَّا إِذَا رَأَى بَسْتَرَهُ وَحَمَى الْعَائِدَ بِهِ وَالرَّائِعَ فِي مَسَارِحِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْآفَاتِ فَلَا يُرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا بَصَادُ لَهُ وَخَشْيٌ وَلَا يُحْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ . وَحَدُّ الْحَرَمِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِدِهِ الْحَرَمَةُ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ إِلَى التَّنْعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطَعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ نَمْرَةٍ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطَعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبَرُهَا وَتُسَمَّى أُمُّ الْقُرَى وَتُسَمَّى الْكَعْبَةُ لِغُلُوبِهَا مِنْ أَسْمِ الْكَعْبِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِيَّاهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاهُ بَكَّةَ أَبْدَلُوهَا مِيمًا كَمَا قَالُوا لَارِبُ وَلَا زِمَ لِقُرْبِ الْخَرْجَنِ وَقَالَ الْخُغَيُّ بِأَنْبَاءٍ وَبِالْمِيمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الزُّهْرِيُّ بِأَلْبَاءٍ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ وَبِالْمِيمِ لِلْحَرَمِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعَظِّمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مِثْلَ كِسْرَى وَغَيْرِهِ وَقِصَّةُ الْأَسْيَافِ وَغَزَا إِلَى الذَّهَبِ اللَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَخْفَرَ زَمْزَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَتَحَ مَكَّةَ فِي الْحُجْبِ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ يَهْدُونَ لِلَيْتِ فِيهَا أَلْفُ أَلْفٍ دِينَارٍ مُكْرَرَةً مَرَّتَيْنِ بِمِائَتَيْ فَنطَارٍ وَزَنًا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَعْنَتَ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرَبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُعْرِكْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْرَقِيُّ وَفِي الْبَحَارِ . يُسْنَدُهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَاءَتْهُ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ وَقَالَ جَلَسَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَنْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَقْعَلْهُ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا اللَّذَانِ يَقْتَدِي بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَالُ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَفْطَسِ وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمْدًا إِلَى

الْكُفَّةَ فَأَخَذَ مَا فِي خَزَائِنِهَا وَقَالَ مَا تَصْنَعُ الْكُفَّةُ بِهَذَا أَلَمَالٌ مَوْضُوعًا فِيهَا لَا يَنْتَفَعُ بِهِ  
 نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى حَرْبِنَا وَأَخْرَجَهُ وَتَصَرَّفَ فِيهِ وَبَطَلَتِ الذَّخِيرَةُ مِنَ الْكُفَّةِ  
 مِنْ يَوْمَئِذٍ . ( واما بيت المقدس ) وَهُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى فَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ أَيَّامَ الصَّابِئَةِ  
 مَوْضِعَ الزُّهْرَةِ وَكَانُوا يَقْرَبُونَ إِلَيْهِ الزَّيْتُ فِيمَا يَقْرَبُونَهُ بِصُبُونِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ  
 ثُمَّ دُنِيَ ذَلِكَ الْهَيْكَلُ وَاتَّخَذَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ مَلَكُوهَا قَبْلَهُ لِصَلَاتِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ  
 مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا خَرَجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لِنَعْمَلِكِهِمْ بَيْتَ الْقُدْسِ كَمَا  
 وَعَدَ اللَّهُ آبَاءَهُمْ إِسْرَائِيلَ وَأَبَاهُ إِسْحَاقَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَقَامُوا بِأَرْضِ أَلْتِيهِ أَمْرَهُ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ  
 قُبَّةٍ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ عَيْنَ بِالْوَحْيِ مَقْدَارَهَا وَصِفَتَهَا وَهِيَ كُلُّهَا وَتَمَائِيلُهَا وَأَنْ يَكُونَ  
 فِيهَا النَّابُوتُ وَمَائِدَةٌ بِصَحَافِهَا وَمَنَارَةٌ بِقَنَادِيلِهَا وَأَنْ يَصْنَعَ مَذْبَحًا لِلْقُرْبَانِ وَصَفَ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ فِي التَّوْرَةِ أَكْمَلَ وَصَفَ فَصْنَعَ الْقُبَّةَ وَوَضَعَ فِيهَا تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ النَّابُوتُ  
 الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ الْمَصْنُوعَةُ عِوَضًا عَنِ الْأَلْوَاحِ الْمُنْزَلَةِ بِالْكَلِمَاتِ الْعَشْرِ لَمَّا تَكَسَّرَتْ  
 وَوَضَعَ الْمَذْبَحَ عِنْدَهَا . وَعَهَدَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَكُونَ هَارُونُ صَاحِبَ الْقُرْبَانِ وَنَصَبُوا  
 تِلْكَ الْقُبَّةَ بَيْنَ خِيَامِهِمْ فِي أَلْتِيهِ يُصَلُّونَ إِلَيْهَا وَيَقْرَبُونَ فِي الْمَذْبَحِ أَمَامَهَا وَيَتَعَرَّضُونَ  
 لِلْوَحْيِ عِنْدَهَا . وَلَمَّا مَلَكُوا الشَّامَ وَبَقِيَ تِلْكَ الْقُبَّةُ قِبَلَتَهُمْ وَوَضَعُوهَا عَلَى الصَّخْرَةِ  
 بَيْتَ الْقُدْسِ وَأَرَادَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءَ مَسْجِدِهِ عَلَى الصَّخْرَةِ مَكَانَهَا فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ  
 ذَلِكَ وَعَهَدَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سُلَيْمَانَ فَبَنَاهُ لِأَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ وَقَاتِهِ  
 مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتَّخَذَ عُمْدَةً مِنَ الصُّنْبُورِ وَجَعَلَ بِهِ صَرْحَ الزُّجَاجِ وَعَشَى أَبْوَابَهُ  
 وَحِيطَانَهُ بِالذَّهَبِ وَصَاغَ هِيَ كُلُّهَا وَتَمَائِيلُهَا وَأَوْعَيْتَهُ وَمَنَارَتَهُ وَفَتَاحَتَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَجَعَلَ  
 فِي ظَهْرِهِ قَبْرًا لِيَضَعَ فِيهِ تَابُوتَ الْعَهْدِ وَهُوَ النَّابُوتُ الَّذِي فِيهِ الْأَلْوَاحُ وَجَاءَ بِهِ مِنْ  
 صِهْيُونَ بَلَدِ أَبِيهِ دَاوُدَ تَعْمَلُهُ الْأَسْبَاطُ وَالْكَهَنُوتُ حَتَّى وَضَعَهُ فِي الْقَبْرِ وَوَضِعَتِ الْقُبَّةُ  
 وَالْأَوْعِيَةُ وَالْمَذْبَحُ كُلُّ وَاحِدٍ حَيْثُ أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَقَامَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ  
 خَرَبَهُ بَحْتٌ نَصَرَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ سَنَةٍ مِنْ بِنَائِهِ وَأَخْرَقَ التَّوْرَةَ وَالْعَصَا وَصَاغَ الْهَيْكَلَ وَنَدَرَ  
 الْأَحْجَارَ ثُمَّ لَمَّا أَعَادَهُمْ مُلُوكُ الْفَرَسِ بَنَاهُ عَزِيزُ نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِعْهَدَهُ بِإِعَانَةِ بَهْمَنْ  
 مَلِكِ الْفَرَسِ الَّذِي كَانَتْ الْوِلَادَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ مِنْ سَبِي بَحْتٍ نَصَرَ وَحَدَّ لَهُمْ فِي  
 بِنَائِهِ حُدُودًا دُونَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ثُمَّ تَدَاوَلَتْهُمْ

مُلُوكُ يُونَانَ وَالْقُرْسِ وَالرُّومِ وَاسْتَفْحَلَ الْمَلِكُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ لِبْنِي  
 حَشَمَنَائِي مِنْ كَهَنَتِهِمْ ثُمَّ أَصْهَرَهُمْ مِيرُودُسَ وَلَبْنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَبَنَى مِيرُودُسُ بَيْتَ الْقُدُسِ  
 عَلَى بَنَاءِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَأَقَّقَ فِيهِ حَتَّى أَكْمَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ فَلَمَّا جَاءَ طَيْطِشُ  
 مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَغَايِبُهُمْ وَمَلِكُ أَمْرُهُمْ خَرَبَ بَيْتَ الْقُدُسِ وَمَسْجِدَهَا وَأَمَرَ أَنْ يَزْرَعَ  
 مَكَانَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرُّومُ بِيَدَيْنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانُوا بِعَظْمِيهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ حَالُ  
 مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَجْدِ بِيَدَيْنِ الدَّصَارَى نَارَةً وَتَرَكَهُ أُخْرَى إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ  
 وَتَنَصَّرَتْ أُمُّهُ لِهَيْلَانَةَ وَارْتَضَتْ إِلَى الْقُدُسِ فِي سَلْبِ الْخَشْبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ  
 بِزَعْمِهِمْ فَأَخْرَجَهَا الْقَسَاوِسَةُ بِأَنَّهُ رُمِيَ بِخَشَبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَتَى عَلَيْهَا الْقَهَامَاتُ وَالْقَادُورَاتُ  
 فَأَسْفَغَرَجَتِ الْخَشْبَةَ وَبَنَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَهَامَاتِ كِبَيْسَةَ الْقَهَامَةِ كَانَهَا عَلَى قَبْرِهِ بِزَعْمِهِمْ  
 وَهَرَبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ الزُّبُلِ وَالْقَهَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى  
 غَطَّاهَا وَخَفِيَ مَكَانُهَا جَزَاءُ بِزَعْمِهَا لِمَا فَعَلُوهُ بِقَبْرِ الْمَسِيحِ ثُمَّ بَنَوْا بِإِزَاءِ الْقَهَامَةِ بَيْتَ لَحْمٍ  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وَلَدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ  
 وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْقُدُسِ وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَأَرَى مَكَانَهَا وَقَدْ عَلَاهَا الزُّبُلُ  
 وَالتُّرَابُ فَكَشَفَ عَنْهَا وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبِدَاوَةِ وَعَظَّمَ مِنْ شَأْنِهِ مَا أَذِنَ اللَّهُ  
 مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَا سَبَقَ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ فِي فَضْلِهِ حَسْبَمَا ثَبَتَ ثُمَّ أَحْفَلَ الْوَلِيدُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سُنَنِ مَسَاجِدِ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْفَالِ  
 كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَفِي  
 مَسْجِدِ دِمَشْقٍ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ بِالْأَطِ الْوَلِيدِ وَالزَّمَّ مَلِكِ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ الْفَعْلَةَ  
 وَالْمَلَّالَ لِبَنَاءِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَأَنْ يَنْقُوَهَا بِالْفَسَيْسَاءِ فَاطَاعَ لِذَلِكَ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى  
 مَا اقْتَرَحَهُ ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَغْوَامَ الْحُمَيْمَانَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي آخِرِهَا  
 وَكَانَتْ فِي مَلَكَ الْعَبِيدِيَّينَ خُلَفَاءُ الْقَاهِرِ مِنَ الشَّيْعَةِ وَأَخْلَأَ أَرْهَمُ زَحَفَ الْقَرْنَجَةَ  
 إِلَى بَيْتِ الْقُدُسِ فَمَلَكُوهُ وَمَلَكُوا مَعَهُ عَامَةً تُغَوِّرُ الشَّامَ وَبَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ الْمَقْدَسَةِ  
 مِنْهُ كِبَيْسَةً بَكَنُوا بِعَظْمُونَهَا وَيَفْتَحِرُونَ بِنَائِهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّ صَالِحُ الدِّينِ بْنُ  
 أَيُّوبَ الْكُرْدِيَّ بِمَلِكِ مِصْرَ وَالشَّامَ وَمَحَا أَثَرَ الْعَبِيدِيَّينَ وَبَدَعَهُمْ زَحَفَ إِلَى الشَّامِ  
 وَجَاهَدَ مَنْ كَانَ بِهِ مِنَ الْقَرْنَجَةِ حَتَّى غَلِبَهُمْ عَلَى بَيْتِ الْقُدُسِ وَعَلَى مَا كَانُوا مَلَكُوهُ

مِنْ ثُغُورِ الشَّامِ وَذَلِكَ لِنَحْوِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْعَجُزَةِ وَهَدَمَ تِلْكَ الْكِنِيسَةَ  
 وَأَظْهَرَ الصَّخْرَةَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَعْزُضُ  
 لَكَ إِلَّا شَكَاكُ الْمَعْرُوفِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ  
 أَوَّلِ يَتِّ وَضِعَ فَقَالَ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ بَنَاءِ يَتِّ الْمَقْدِسِ قِيلَ فَكَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ  
 سَنَةً فَإِنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ بَنَاءِ مَكَّةَ وَبَيْنَ بَنَاءِ يَتِّ الْمَقْدِسِ بِمِقْدَارِ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَسَلِيمَانَ  
 لِأَنَّ سُلَيْمَانَ بَانِيَهُ وَهُوَ يُنْفِذُ إِلَى الْأَلْفِ بِكَثِيرٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ  
 لَيْسَ الْبِنَاءُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَوَّلُ يَتِّ عَيْنِ الْعِبَادَةِ وَلَا يَبْغُذُ أَنْ يَكُونَ يَتِّ الْمَقْدِسِ عَيْنَ  
 الْعِبَادَةِ قَبْلَ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بِعَثَلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ الصَّابِئَةَ بَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ مَيْسَلًا  
 الزُّهْرَةَ فَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَضَعُ الْأَصْنَامَ وَالْعَتَائِلَ  
 حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَفِي جَوْفِهَا وَالصَّابِئَةُ الَّذِينَ بَنَوْا هَيْكَلَ الزُّهْرَةِ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَبْعُدُ مُدَّةُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ يَتِّ الْمَقْدِسِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بِنَاءٌ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى يَتِّ الْمَقْدِسِ سُلَيْمَانُ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَهْنِئَةٌ فِيهِ حَلَّ هَذَا الْإِشْكَالِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَهِيَ الْمَسْمُومَةُ بِتَرْبٍ  
 قَعِيٍّ مِنْ بَنَاءِ يَثْرِبَ بْنِ مِهْلَئِيلَ مِنَ الْعَالِقَةِ وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيمَا  
 مَلَكَوهُ مِنْ أَرْضِ النَّجَازِ ثُمَّ جَاوَرَهُمْ بَنُو قَيْلَةَ مِنْ عَسَّانَ وَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَعَلَى حَصُونِهَا .  
 ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا لَمَّا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فَجَازَ إِلَيْهَا  
 وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ وَنَزَلَ بِهَا وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَيُوتَى فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ  
 قَدْ أَعَدَّ لِدَلِّكَ وَشَرَفَهُ فِي سَابِقِ أَرْزَلِهِ وَأَوَاهِ أُنْبَاءِ قَيْلَةَ وَنَصَرُوهُ فَلِذَلِكَ سُمُّوا الْأَنْصَارَ  
 وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَغَلَبَ عَلَى قَوْمِهِ وَفَتَحَ  
 مَكَّةَ وَمَلَكَهَا وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ فَأَهْمَهُمْ ذَلِكَ فَخَاطَبَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَوِّلٍ حَتَّى إِذَا فُيْضَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُلْحَدُهُ الدَّرِيفُ بِهَا وَجَاءَ فِي فَضْلِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . لَا اخْتِفَاءَ  
 بِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْمَلِكِ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ثَبَتَ  
 عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ عَنْ رَفِيعِ بْنِ مُخَدَّجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ ثَقُلَ ذَلِكَ أَبُو الْوَهَّابِ فِي الْمَعُونَةِ إِلَى أَحَادِيثِ أُخْرَى

تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَفَتْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِي . وَأَصْبَحَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَانِيَةً  
 أَلَمَسِجِدَ الْحَرَامِ وَجَنَحَ إِلَيْهَا الْأُمَمُ بِأَفْئِدَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَانْظُرْ كَيْفَ تَدَرَّجَتْ  
 الْفَضِيلَةُ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الْمُعْظَمَةِ لِأَسْبَقِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ لَهَا وَتَفَهَّمْ مِرَّ اللَّهِ فِي الْكُونِ  
 وَتَدْرِجَةِ عَلَى تَرْتِيبِ مُحْكَمٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا . وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ  
 فَلَا نَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا يُقَالُ مِنْ شَأْنِ مَسْجِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَرِنْدِيبَ مِنْ  
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ لِكُنْهَ لَمْ يَبْتَ فِيهِ شَيْءٌ يُعُولُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ فِي الْقَدِيمِ مَسَاجِدُ  
 يُعْظِمُونَهَا عَلَى جِهَةِ الدِّيَانَةِ بِزَعْمِهِمْ مِنْهَا يُوتُ النَّارُ لِلْفَرَسِ وَهِيَ كُلُّ يُونَانَ وَيُوتُ الْعَرَبُ  
 بِالْحِجَازِ أَلَيْ أَمَرَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِيهَا فِي غَزْوَاتِهِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ مِنْهَا  
 يُونَنَا لَسْنَا مِنْ ذِكْرِهَا فِي شَيْءٍ إِذْ هِيَ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ وَلَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ دِينِي وَلَا يُلْتَفُ  
 إِلَيْهَا وَلَا إِلَى الْخَبَرِ عَنْهَا وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي النُّوَارِيجِ فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْأَخْبَارِ  
 فَعَلَيْهِ بِهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

### الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافرقية والمغرب قليلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْطَارَ كَانَتْ لِلْبَزِيرِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَكَانَ عُمَرَانُهَا كُلُّهُ بَدَوِيًّا وَلَمْ تَسْتَعِرْ فِيهِمْ الْحَضَارَةُ حَتَّى تُسْتَكْمَلَ أَحْوَالُهَا وَالذُّلُ  
 أَلَيْ مَلَكْتُهُمْ مِنَ الْأَفْرِجَةِ وَالْعَرَبِ لَمْ يَطُلْ أَمَدُ مَلِكِيهِمْ فِيهِمْ حَتَّى تَرْتِخَ الْحَضَارَةُ  
 مِنْهَا فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْبِدَاوَةِ وَشُؤُونُهَا فَكَانُوا إِلَيْهَا أَقْرَبَ فَلَمْ تَكُنْ مَبَانِيهِمْ وَأَيْضًا  
 فَالْصَّنَائِعُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَزِيرِ لِأَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَالصَّنَائِعِ مِنْ تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ وَإِنَّمَا  
 نَحْنُ الْمَبَانِي بِهَا فَلَا بَدَّ مِنَ الْخَلْقِ فِي تَعْلُمِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْبَزِيرِ انْتِحَالُ لَهَا لَمْ يَكُنْ  
 لَهُمْ تَشَوُّقٌ إِلَى الْمَبَانِي فَضَلَّ عَنْ الْمَدُنِ وَأَيْضًا قَهْمُ أَهْلِ عَصِيكَاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا يَخْلُو  
 عَنْ ذَلِكَ جَمْعُ مِنْهُمْ وَالْأَنْسَابُ وَالْعَصِيَّةُ أَجَنَحَ إِلَى الْبَدْوِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدُنِ  
 اللَّعْنَةُ وَالسَّكُونُ وَبَصِيرُ سَاكِنِهَا عِيَالًا عَلَى حَامِيَتِهَا فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ ذَلِكَ يَسْتَكْفُونَ  
 عَنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْإِقَامَةِ بِهَا فَلَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّرَفُ وَالْعَنَى وَقَلِيلٌ مَا هُوَ  
 فِي النَّاسِ فَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرَانُ أَفْرِيقَةَ وَالْمَغْرِبِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدَوِيًّا أَهْلُ خِيَامٍ  
 وَظَوَاعِنَ وَقِيَاظِنَ وَكَثَنَ فِي الْجِبَالِ وَكَانَ عُمَرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى

وَأَمْصَارًا وَرَسَاتِيقَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقَ النَّجْمِ وَأَمْثَالَهَا لَا تَنْجُمُ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَّبِعُونَ فِي مُرَاحَتِهَا وَالتَّجَافُهَا إِلَّا فِي الْأَقَلِّ وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ عَصِيَّتُهُ كَذَلِكَ وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَافِي عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالنَّبَسَةِ وَبُصَيْرُهُ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فَافْهَمَهُ وَقَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرِّ بِعَيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضًا أَعْرَقُ فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَيُّضًا كَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْمَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَلَمَّا تَمَلَّكُوهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رُسُومَ الْحِضَارَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَغْنَوْا بِمَا وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيُّضًا فَكَانَ الَّذِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعًا مِنَ الْعُمَالَةِ أَوْ الْبُنْيَانِ وَالْإِسْرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَعْمَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ أَحَدٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيْكَاتٍ وَلَا تَطَالُوا فِي الْبُنْيَانِ وَالزَّمُوا السَّنَةَ تَلْزَمُكُمْ الدَّوْلَةُ وَعَهْدٌ إِلَى الْوَفْدِ وَلَقَدْ مَ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَزْعُمُوا بُنْيَانًا فَوْقَ الْقَدَرِ قَالُوا وَمَا الْقَدَرُ قَالَ لَا يَقْرَبُكُمْ مِنَ السَّرَفِ وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمَّا بَعْدَ الْعَهْدِ بِالَّذِينَ وَالتَّخْرِجُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ وَعَلَّتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَالتَّرَفِ وَاسْتَخْدَمَ الْعَرَبُ أُمَّةَ الْفُرْسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَوْهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَجِئَتْ شِدَّةُ الْعَبَانِي وَالْمَصَانِعِ وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيبًا بِانْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ لِكَثْرَةِ الْبِنَاءِ وَأَخْطَاطِ الْمُدُنِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَالْفُرسُ طَالَتْ مُدُنُهُمْ أَلْفًا مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقُبُطُ وَالنَّبَطُ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادَ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَالتَّبَاعَةَ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا وَبَقِيَ عَلَى الْأَيَّامِ أَثَرًا وَاسْتَبْصِرَ فِي هَذَا تَجَدُّدِهَا كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْبِدَاوَةِ وَالْبَعْدُ عَنِ الصَّنَائِعِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَلَا تَكُونُ الْمَبَانِي  
وَنَبْقَةً فِي تَشْيِيدِهَا وَلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَمْسُ بِهِ وَذَلِكَ قَلَّةٌ مُرَاعَاهِمُ لِحُسْنِ  
الْإِخْتِيَارِ فِي اخْتِطَاطِ الْمَدُنِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمَكَانِ وَطِيبِ الْهَوَاءِ وَالْمِيَاءِ وَالْمَزَارِعِ  
وَالْمَرَاعِي فَإِنَّهُ بِالْتَفَاوُتِ فِي هَذَا انْتَفَاوَتْ جُودَةُ الْمَصْرِ وَرَدَّاهُ مِنْ حَيْثُ الْعُمَرَانُ  
الطَّبِيعِيُّ وَالْعَرَبُ يَمْعَزِلُ عَنْ هَذَا وَإِنَّمَا يُرَاعُونَ مَرَاعِي إِيْلَهُمْ خَاصَّةً لَا يُبَالُونَ بِأَلْمَاءِ  
طَابَ أَوْ خَبَثَ وَلَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ وَلَا يَسْأَلُونَ عَنْ زَكَاةِ الْمَزَارِعِ وَالْمَنَابِتِ وَالْأَهْوِيَةِ  
لَا انْتِفَالِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَتَقْلِيمِ الْحُبُوبِ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ وَأَمَّا الرِّيحُ فَالْفَقْرُ مُخْتَلِفٌ لِلْمَهَابِ  
كَثَلَهَا وَالظَّنُّ كَقِيلَ لَهُمْ طَبِيعُهَا لِأَنَّ الرِّيحَ إِنَّمَا تَحْبُثُ مَعَ الْقَرَارِ وَالشُّكْنِ وَكَثَرَةِ  
الْفَضَلَاتِ وَانْظُرْ لِمَا اخْتَطَوْا الْكَرُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالْقَيْرَ وَإِنْ كَيْفَ لَمْ يُرَاعُوا فِي اخْتِطَاطِهَا  
إِلَّا مَرَاعِي إِيْلَهُمْ وَمَا يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ وَمَسَالِكِ الظَّنِّ فَكَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْوَضْعِ  
الطَّبِيعِيِّ لِلْمَدُنِ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا مَادَّةٌ تُمَدُّ عُمرَانَهَا مِنْ بَعْدِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا أَنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
الْعُمَرَانِ فَقَدْ كَانَتْ مَوَاطِنُهَا غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ لِلْقَرَارِ وَلَمْ تَكُنْ فِي وَسْطِ الْأُمَمِ فَيُعْمَرُهَا النَّاسُ  
فَلَأَوَّلَ وَهَلْكَ مِنْ انْخِلَالِ أُمُورِهِمْ وَذَهَابِ عَصَبِيَّتِهِمْ الَّتِي كَانَتْ سِبَاجًا لَهَا أُنَى عَلَيْهَا الْخُرَابُ  
وَالْإِنْخِلَالُ كَانَ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

## الفصل العاشر

في مبادي الخراب في الامصار

اعْلَمْ أَنَّ الْأَمْصَارَ إِذَا اخْتَطَّتْ أَوَّلًا تَكُونُ قَلِيلَةً الْمَسَاكِنِ وَقَلِيلَةً آلَاتِ الْبِنَاءِ  
مِنْ النَّجْرِ وَالْخَيْرِ وَغَيْرِهَا مَا يُعَالَى عَلَى الْحِطَّانِ عِنْدَ التَّائِي كَالزُّجْرِ وَالرَّخَامِ وَالزُّجْرِ  
وَالزُّجَارِ وَالْأَفْسِيفَسَاءِ وَالْأَصْدَفِ فَيَكُونُ بِنَاؤُهَا يَوْمئِذٍ بَدْوِيًّا وَالْأَتْنَاهُ فَاسِدَةً فَإِذَا عَظُمَ  
عُمَرَانُ الْمَدِينَةِ وَكَثُرَ سَاكِنُهَا كَثُرَتْ آلَاتُ الْبِنَاءِ بِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ حِينَئِذٍ وَكَثُرَتْ الصَّنَائِعُ  
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا مِنْ ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بِشَأْنِهَا فَإِذَا تَرَاجَعَ عُمَرَانَهَا وَخَفَّتْ سَاكِنُهَا  
قَلَّتِ الصَّنَائِعُ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَفُقِدَتِ الْإِجَادَةُ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِحْكَامُ وَالْمَعَالَاةُ عَلَيْهِ بِالتَّنْمِيقِ  
ثُمَّ نَقِلَ الْأَعْمَالُ لِعِدَمِ السَّاكِنِ فَيَقِلُّ جَلْبُ آلَاتِ الْبِنَاءِ مِنَ النَّجْرِ وَالرَّخَامِ وَغَيْرِهِمَا

فَفَقِدُوا وَبَصِيرَ بَنَائِهِمْ وَتَشِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَنْقُلُونَهَا مِنْ مَّصْنَعٍ إِلَى مَّصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِقَلَّةِ الْعُمَرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوَّلًا ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يَفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جَمْلَةً فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبَى عَوَضًا عَنِ النِّجَارَةِ وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيْقِ بِالْكَلِمَةِ فَيَعُودُ بِنَاؤُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدَرِ وَتُظْهَرُ عَلَيْهَا سِيمَاءُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَابَتِهَا مِنَ الْحَرَابِ إِنْ قُدِّرَ لَهَا بِهِ سَنَةٌ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تناضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتْ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقْلِلٍ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمُرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَشْتَدُّ ضَرُورَةُ الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أَضْعَافًا فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخِطْطَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصَّتِهِ مِنْهُ وَإِذَا أُنْتَدِبَ لِتَحْصِيلِهِ السِّتَّةُ أَوْ الْعَشْرَةُ مِنْ حَدَادٍ وَنِجَارٍ لِلآلَاتِ وَقَامُوا عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السُّبُلِ وَسَائِرِ مَوْاسِدِ الْفَلَاحِ وَتَوَزَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّاتٍ فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مَضَرٍّ إِذَا وَزَعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ أَكْتَفَى فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتْ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةً عَلَى الضَّرُورَاتِ فَتُضَرَفُ فِي حَالَاتِ التَّرَفِّ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَنْصَارِ وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاذِهِ وَفِيهِمْ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حِظٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي

الفصل الخامس في باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هي قيمُ الأعمال فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعوتهم أحوال الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرَفِّ وَحَاجَاتِهِ مِنَ التَّائِقِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْآلِيَةِ وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخُدَمِ وَالْمَرَآكِبِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِقِيَمِهَا وَيَخْتَارُ الْمَهْرَةُ فِي صِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا فَتَنْفَقُ أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَيَكْثُرُ دَخْلُ الْمِصْرِ



وَحَرَجُهُ وَيَحْصُلُ الْبَسَارُ لِمَنْحَلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمَرَانُ زَادَتِ الْأَعْمَالُ  
ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرَفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتْ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَاسْتَنْبَطَتِ الصَّنَائِعُ  
لِتَحْصِيلِهَا فَزَادَتْ فِيْمَهَا وَتَضَاعَفَتِ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَتَفَقَّتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
بِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الرَّائِدَةَ كُلَّهَا  
تُخْتَصُّ بِالتَّرَفِ وَتَلْفَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمِصْرُ إِذَا  
فُضِلَ بِعُمَرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضْلُهُ بِزِيَادَةِ كَسْبٍ وَرَفْعِهِ بِعَوَائِدٍ مِنَ التَّرَفِ لَا تُوجَدُ فِي الْآخَرِ  
فَمَا كَانَ عُمَرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرَفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ  
الْمِصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالتَّاجِرِ مَعَ  
التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوْقِيِّ مَعَ السُّوْقِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مَثَلًا بِحَالِ فَاسٍ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِهِ مِثْلَ بَجَايَةِ  
وَتَلَمْسَانَ وَسَنَةِ تَجِدَ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
بِفَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلَمْسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صَنْفٍ مَعَ صَنْفٍ أَهْلِهِ وَكَذَا  
أَيْضًا حَالُ تَلَمْسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطَّ وَبَقِصَرُونَ عَنْهَا وَمَا  
ذَلِكَ إِلَّا لِنَقَاوَتِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكَانَتْهَا كُلُّهَا أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالْخُرْجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
نِسْبَتِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسٍ دَخَلَهُ كِفَاؤُ خَرْجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلَمْسَانَ وَحَيْثُ الدُّخْلُ وَالْخُرْجُ  
أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِفَاسٍ أَكْثَرُ لِنِفَاقِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
التَّرَفُ فَالْأَحْوَالُ أَضْحَمُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفُسْطَاطِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةٍ حَتَّى  
تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُوفِّي أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعَدُّ فِي الْأَمْصَارِ إِذَا  
هِيَ مِنْ قِبَلِ الْفَرَى وَالْمَدَرِ فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضِعْفًا الْأَحْوَالِ  
مُقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا بِفَضْلِ مَا يَتَأَثَّلُونَهُ  
كَسْبًا فَلَا تَنْمُو مَكَاسِيَهُمْ وَهُمْ لِذَلِكَ مَسَاكِينُ مُحَاجِبُونَ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السَّائِلَ بِفَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السَّائِلِ بِتَلَمْسَانَ  
أَوْ وَهْرَانَ وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسٍ السُّؤَالَ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ اثْنًا صَحَابَاؤُهُمْ وَرَأَيْتُهُمْ  
يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَأَقْتِرَاحِ الْمَاكِ كُلِّ مِثْلِ سُؤَالِ الْحَمِّ وَالسَّمَنِ

وَعِلَاجِ الطَّيْحِ وَالْمَلَايسِ وَالْمَاعُونِ كَالْفَرَبَالِ وَالْأَيْنَةِ وَلَوْ سَالَ سَائِلٌ مِثْلَ هَذَا  
 بِتِلْكَ سُنَانٍ أَوْ هَرَمَانٍ لَأَسْتَنْكَرَ وَعَنَفَ وَزَجَرَ وَيَأْمُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ  
 وَمَصْرٍ مِنَ التَّرَفِ وَالْفَنَى فِي عَوَالِدِهِمْ مَا يَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
 بِالْمَعْرَبِ يَنْزِعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرٍ لِذَلِكَ وَلِمَا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَنَّ شَأْنَ الرِّفَةِ بِمِصْرٍ  
 أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِيبَادَةِ الْإِثَارِ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
 عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالٍ مُحْتَزَنَةٍ لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِبَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ مِصْرٍ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرُ مِنْ  
 عُمَرَ بْنِ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَعَظُمَتْ لَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ. وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ  
 فَمُتَكَافٍ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الْخُرْجُ وَبِالْمَعْكَسِ وَمَتَى عَظُمَ  
 الدَّخْلُ وَالْخُرْجُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ السَّاكِنِ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْلُغُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
 فَلَا تُنْكِرْهُ وَاعْتَبِرْهُ بِكَثَرَةِ الْعُمَرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثَرَةِ الْمَكْسَبَةِ الَّتِي  
 يَسْهُلُ بِسَبِيلِهَا الْبَدَلُ وَالْإِثَارُ عَلَى مِثْلِهِ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ بُيُوتِ الْمَدِينَةِ  
 الْوَاحِدَةِ وَكَيْفَ تَغْنَمُ أَحْوَالُهَا فِي هِجْرَانِهَا أَوْ غَشْيَانِهَا فَإِنَّ بُيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالرِّزْوَةِ  
 وَالْعَوَائِدِ الْخَصِصَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَقْنَبَتِهَا يَنْتَرِ الْحُبُوبُ وَسَوَاقِطُ الْفَتَاتِ فَيَزِدُّ حِمُّ  
 عَلَيْهَا غَوَاشِي النَّمْلِ وَالْخَشَاشِ وَيَلْحَقُ فَوْقَهَا عَصَابُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانًا وَتَمْلَأُ شِبَعًا  
 وَرَبًّا وَبُيُوتَ أَهْلِ الْخَصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءِ الْكَاسِدَةِ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
 يُحَلِّقُ بِجَوِّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَائِجِ يَوْمِهِمْ فَارَةٌ وَلَا هَرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

تَسْقُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ م وَتَغْنَمُ مَنَازِلَ الْكُرَمَاءِ

فَتَأْمَلُ مِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَاعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْأَنَامِيِّ بِغَاشِيَةِ الْعُجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَفَتَاتِ  
 الْعَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَمُحْوَلَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْدُلُهَا لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
 لَوْجُودِ أَمْثَالِهَا لَدَيْهِمْ وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثْرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرَانِ تَابِعٌ لِكَثَرَتِهِ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدْلَمُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل الثاني عشر

في اسعار المدن

اعْلَمْ أَنَّ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى حَاجَاتِ النَّاسِ فَمِنْهَا الصَّرُورِيُّ وَهِيَ الْأَقْوَاتُ

مِنَ الْخُطَّةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَلْبَالَاءَ وَالْبَصَلِ وَالْثُومِ وَأَشْبَاهِهِ وَبَيْنَهَا الْحَاجِي وَالْكَمَالِي  
 مِثْلُ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَالْمَلَّاسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَائِبِ وَسَائِرِ الْمَصَانِعِ وَالْمَبَانِي فَأَذَا  
 اسْتَجَرَ الْمِصْرَ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رَخِصَتْ أَسْعَارُ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَغَلَتْ  
 أَسْعَارُ الْكَمَالِيِّ مِنَ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعَفَ  
 عُمُرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْقُوتِ فَتَوَفَّرَ  
 الدَّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَهْدِلُ قُوتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوتَ مَنْزِلِهِ لِشَهْرِهِ أَوْ سَنَتِهِ  
 فَيَعْمُ اتِّخَاذُهَا أَهْلُ الْمِصْرِ أَجْمَعُ أَوْ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ أَوْ فِيهَا قُرْبَ مِنْهُ  
 لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَتَّخِذٍ لِقُوتِهِ فَتَفَضَّلَ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ يَتِيهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تُسَدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ فَتَفَضَّلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ  
 فَيَرْخِصُ أَسْعَارُهَا فِي الْغَالِبِ إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ آَلَاتِ السَّمَاءِ وَلَوْلَا  
 اخْتِكَارُ النَّاسِ لَهَا لِمَا يَتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ آَلَاتِ لَبَدَّلَتْ دُونَ ثَمَنِ وَلَا عَوْضَ لِكَثْرَتِهَا  
 يَكْثَرَةُ الْعُمُرَانِ . وَأَمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْأَدَمِ وَالْقَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمُ بِهَا  
 الْبِلَوَى وَلَا يَسْتَفِرُّ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالُ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ وَلَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنَّ  
 الْمِصْرَ إِذَا كَانَ مُسْتَجِرًّا مُتَوَفِّرًا الْعُمُرَانِ كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرَفِ تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ مِنْهَا كُلُّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ قُصُورًا بِالْعَلَا وَبِكَثْرَةِ الْمُسْتَأْمُونِ لَهَا وَبِهَا قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَزِدُّ أَهْلُ الْأَغْرَاضِ  
 وَبَدَّلُ أَهْلُ الرِّفَةِ وَالتَّرَفِ أُنْمَانَهَا بِإِسْرَافٍ فِي الْعَلَاءِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْعَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ . وَأَمَّا الصَّنَائِعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمُرَانِ  
 فَسَبَبُ الْعَلَاءِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرَفِ فِي الْمِصْرِ بِكَثْرَةِ  
 عُمُرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِزَازُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِحُدُومَتِهِمْ وَامْتِنَانُ أَنْفُسِهِمْ لِسَهُولَةِ الْعَمَاشِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَاتِهَا وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ الْمُتَرَفِّينَ وَكَثْرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى أَمْنِهِانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مِثْلِهِمْ فَيَبْذُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مُزَاحِمَةً وَمُنَافَسَةً فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِهَا فَيَعْتَزُّ الْعَمَالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَتَقْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ . وَأَمَّا الْأَمْصَارُ الصَّخِيرَةُ وَالْقَلِيلَةُ  
 السَّاكِنِ فَأَقْوَاتُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقَلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوتِ

فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَتَحَكَّرُونَهُ فَيَعِزُّ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَبْلُغُوا ثَمَنَهُ عَلَى مُسْتَأْمِرِهِ وَأَمَّا مُرَافِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةُ بَقْلَةِ السَّاكِنِ وَضَعْفُ الْأَحْوَالِ فَلَا تَتَفَقَّحُ لَدَيْهِمْ سُوقُهُ فَيَخْتَصُّ بِالرُّخْصِ فِي سِعَرِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةُ مَا يَبْعُضُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَكُوسِ وَالْمَغَارِمِ لِلسُّلْطَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابِ الْخَفْرِ وَالْحَيَاةِ فِي مَنَافِعِ وَصُولِهَا عَنِ الْبُيُوعَاتِ لِمَا يَمَسُّهُمْ وَبِذَلِكَ كَانَتِ الْأَسْعَارُ فِي الْأَمْصَارِ أَغْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذِ الْمَكُوسُ وَالْمَغَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَكَثَرَتْهَا فِي الْأَمْصَارِ لَا سِيَّمَا فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ قِيَمَةُ عِلَاجِهَا فِي الْقَلْعِ وَيُحَافَظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا الْجَاءَهُمُ النَّصَارَى إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعَّرَةِ الْخَبِيثَةِ الزَّارِعَةِ النَّكِدَةَ النَّبَاتِ وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الزَّاكِيَةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ الْمَوَارِعِ وَالْقُدْرَةِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَفَلَحِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْعِلَاجُ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادٍّ مِنَ الزَّيْلِ وَغَيْرِهِ لَهَا مَوْنَةٌ وَصَارَتْ فِي فَلَاحِهِمْ نَفَقَاتٌ لَهَا خَطَرٌ فَأَعْتَبَرُوهَا فِي سِعَرِهِمْ وَأَخْصَصُوا فُطْرَ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَلَاءِ مِنْذُ اضْطَرَّ لَهُمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا النِّعْمُورِ بِالْإِسْلَامِ مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْتَسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بَغْلَاءَ الْأَسْعَارِ فِي فُطْرِهِمْ أَنَّهَا لِقَلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ النِّعْمُورِ فَلَمَّا فِيمَا عَلِمْنَاهُ وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقَالَ أَنْ يَخْلَوْا مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنْ فِدَانٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ قَلْعٍ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِهْنِ أَوْ الطَّرَاءِ عَلَى الْوُطَنِ مِنَ الْفَرَاةِ الْجَاهِلِينَ وَلِهَذَا يَخْتَصُّهُمْ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَهِيَ أَقْوَانُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ فِي غَلَاءِ سِعْرِ الْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرْبَرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فِي زَكَاةِ مَنَافِعِهِمْ وَطَيِّبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ أَلْمُونَ جُمْلَةً فِي الْقَلْعِ مَعَ كَثَرَتِهِ وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ يَلْدُهُمُ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث عشر

في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ الْعُمُرَانَ يَكْثُرُ تَرَفُهُ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَتَكْثُرُ

حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِإِزْدِحَامِ الْأَغْرَاضِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَيَا لِمَعَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْيَاعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي فِيمِ الْبَيْعَاتِ وَيَعْظُمُ فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الدَّرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَكَثُرَ لِنَازِلِكِ نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بِالْعَلَّةِ عَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهِ وَيَعْظُمُ خَرْجُهُ فَيَنْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوَاقِفِهِمْ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا يُمْكِنُ كَسَادُ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي فِي سَبَبِ الْكَسْبِ فَلَمْ يَتَأَثَّرْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سُكْنَى الْمَصْرِ الْكَبِيرِ لِقَلَاءِ مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلَّتَهُ بِأَقْلٍ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَلِيلٌ عَوَائِدِ التَّرَفِ فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَوَاقِفِهِ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَنْشَوُّ إِلَى الْمَصْرِ وَسُكْنَاهُ مِنَ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَفْتَضِحُ فِي اسْتِطَاعَتِهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِمُ مِنْهُمْ تَأَثُّلُ الْمَالِ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْهُ قُوَّةُ الْحَاجَةِ وَيَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمُرَانِ مِنَ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَيَنْتَهِدُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَصْرِ وَبِنْتَظُمُ حَالِهِ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ وَتَرْفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ بَدَايَةِ عُمْرَانِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ

### الفصل الرابع عشر

في أثر الاختلاف في أحوالها بالرفه والفقير مثل الأمصار

إِعْلَمُ أَنَّ مَا تَوَفَّرَ عُمْرَانُهُ مِنَ الْأَفْطَارِ وَتَعَدَّدَتِ الْأَنْفُ فِي جِهَانِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمِمَّا لَكُمْ مِنْ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَمَا سَبَّأَ فِي ذِكْرِهِ مِنْ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلثَّرْوَةِ بِمَا يَفْضُلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالْفَرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثْرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَثَّلُونَهُ حَسْبَمَا تَذَكَّرُ ذَلِكَ فِي فَصْلِ الْمَعَاشِ وَيَكُنِ الرِّزْقُ وَالْكَسْبُ فَيَزِيدُ الرِّفَةَ لِنَازِلِكِ وَتَنْسُجُ الْأَحْوَالُ وَيَجِيئُ التَّرَفُ وَالْفَنَى وَتَكْثُرُ الْجَبَايَةُ لِلدَّوْلَةِ بِتَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فَيَكْثُرُ مَالُهَا وَيَشْتَعُ سُلْطَانُهَا وَتَنْتَفِنُ فِي اخْتِزَاقِ الْمَعَاظِلِ وَالْحُصُونِ وَاخْتِطَاطِ الْمَدُنِ وَتَسْتَبِيدُ الْأَمْصَارُ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ بِأَفْطَارِ الْبَشَرِ قِ مِثْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَنَاحِيَةِ الشَّعَالِ كُلِّهَا

وَأَفْطَارَهَا وَرَأَى الْبَحْرَ الرُّومِيَّ لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ أَلْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ  
دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَدَنُهُمْ وَخَوَاضِرُهُمْ وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ وَأَخْوَالُهُمْ فَأَلْزَمِي نَشَاهِدُهُ  
لِهَذَا الْهَيْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارَةِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ سِوَى  
رِفْقِهِمْ وَأَتَسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
الْأَفْقَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَكْفِيْنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّقَّةِ غَرَائِبُ  
تَعْبِيرِ الرُّكْبَانِ بِجَدِيشِهَا وَزَيْبَمَا تُنْقَلَى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ وَيَحْتَسِبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ  
الْعَالَمَةِ أَنَّ ذَلِكَ لِرِيَادَةِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضَّةَ أَكْثَرَ بِأَرْضِهِمْ  
أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَفْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْثَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَمَعْدِنُ  
الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَفْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ فَإِنَّمَا يَجْلِبُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتِّجَارَةِ فَلَوْ  
كَانَ أَلْمَالُ عَتِيدًا مَوْفُورًا لِيَهَيِّمَ لَمَّا جَلِبُوا بِضَائِعَهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ يَتَخَوَّنَ بِهَا الْأَمْوَالُ وَلَا  
اسْتَفْنَوْا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُمْلَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْمُتَحِمُونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفْرَبُوا  
مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِ أَهْلِهَا بِإِنْ عَطَايَا الْكُوَاكِبِ  
وَالسِّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرُ مِنْهَا حِصَصًا فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ  
صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا فَلَنَاهُ وَهُمْ  
إِنَّمَا أُعْطُوا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ النُّجُومِيِّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا  
ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْعُمْرَانِ وَاخْتِصَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَفْطَارِهِ وَكَثَرَةِ الْعُمْرَانِ  
فَقَدْ كَثُرَ الْكَسْبُ بِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي فِي سَبِيلِهِ فَلِذَلِكَ اخْتَصَّ الْمَشْرِقُ بِالرِّقَّةِ  
مِنْ بَيْنِ الْأَفَاقِ لِأَنَّ ذَلِكَ لِيَجْرِدَ الْأَثَرُ النُّجُومِيَّ فَقَدْ فُهِمَتْ مِمَّا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ  
لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَأَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمْرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ  
وَأَعْتَبِرْ حَالَهُ هَذَا الرَّقْفَةِ مِنَ الْعُمْرَانِ فِي قَطْرِ أَفْرِيقَةِ وَبَرَقَةِ لَمَّا خَفَّ سَكْنُهَا وَتَنَاقَصَ  
عُمْرَانُهَا كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهَا وَانْتَهَوْا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَضَعُفَتْ جَيَابَتُهَا  
فَقَلَّتْ أَمْوَالُ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلُ الشَّيْعَةِ وَصَنَاهَا جَهًا عَلَى مَا بَلَغَكَ مِنَ الرَّقْفَةِ  
وَكَثَرَةِ الْحَبَابَاتِ وَاتَّسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطِيَانِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ  
تُرْفَعُ مِنَ الْفَقْرِ وَإِنْ إِلَى صَاحِبٍ مُضِرٍّ لِحَاجَاتِهِ وَمُهْمَانِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالُ الدَّوْلَةِ بِحَيْثُ حَمَلُ

جَوَهَرَ الْكَاتِبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى قَتَحٍ مِصْرَ أَلْفِ حِمْلٍ مِنَ الْمَالِ يَسْتَعِدُّ بِهَا لِأَرْزَاقِ  
الْجُنُودِ وَأَعْطَانَهُمْ وَتَفَقَّاتِ الْغَزَاةِ وَقَطُرِ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ أَفْرِيقِيَّةَ  
قَلَمَ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوحِدِينَ مُنْسَمَةً وَجَبَانُهُ مَوْفُورَةً  
وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَفْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمُرَانِ فِيهِ وَتَنَاقُصِهِ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمُرَانِ  
الْبَرْبَرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ وَتَقْصُرَ عَنْ مَعْبُودِهِ تَقْصَا ظَاهِرًا تَحْسُوسًا وَكَادَ أَنْ يَحْقُقَ فِي أَحْوَالِهِ  
بِمِثْلِ أَحْوَالِ أَفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمُرَانُهُ مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الزُّومِي إِلَى بِلَادِ  
السُّودَانِ فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَفْصَى وَرَفَّةَ وَهِيَ الْيَوْمَ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا فَضَاءٌ  
وَحَلَاةٌ وَصَحَارَى إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسِيفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا بِقَارِبُهُ مِنَ التَّلُولِ وَاللَّهُ وَارِثُ  
الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الخامس عشر

في تائل العقار والضباع في الامصار وحال فوئدها ومستغلاتها

إِعْلَمَنَّ أَنَّ تَائِلَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ الْكَثِيرَةَ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً  
وَاحِدَةً وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الزَّوْءِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلَاقُ  
الَّتِي تَخْرُجُ فِيمَتَهَا عَنْ الْحَذِّ وَلَوْ بَلَّغَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الرِّفَةِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
مُلْكُهُمْ وَتَأْتِيهِمْ لَهَا تَذَرِيحًا أَوْ بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ حَتَّى تَنَادَى أَمْلَاقُ  
الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ أَوْ أَنْ يَكُونُ بِمَحْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّ الْعَقَارَ  
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْأُخْرَى عِنْدَ فَنَاءِ الْحَامِيَةِ وَخَرَقِ السِّبَاجِ وَتَدَاعِي الْمِصْرِ إِلَى  
الْخُرَابِ نَقْلُ الْغُبْطَةِ بِهِ لِقِلَّةِ الْمَنَنْعَةِ فِيهَا بِتِلَاشِي الْأَحْوَالِ فَتَرْخُصُ فِيهَا وَتُسَمِّكُ  
بِالْأَتْمَانِ السَّيْرَةِ وَتُخَطِّي بِالْمِيرَاثِ إِلَى مَلِكٍ آخَرَ وَقَدْ أَمْسَجَدَ الْمِصْرُ شَبَابَهُ بِاسْتِحْثَالِ  
الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَانْتَضَمَتْ لَهُ أَحْوَالُ رَائِقَةٍ حَسَنَةٍ تَحْصُلُ مَعَهَا الْغُبْطَةُ فِي الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ  
لِكَثَرَةِ مَنَافِعِهَا حِينَئِذٍ فَتَمُظُّ فِيهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَوَالَةِ  
فِيهَا وَبُصِيحَ مَالِكِهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعِيهِ وَأَكْتِسَابِهِ إِذْ قُدْرَتُهُ  
تَفْجُرُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ . وَأَمَّا قَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ فَهِيَ غَيْرُ كَفِيَّةٍ لِمَالِكِهَا فِي حَاجَاتِ  
مَعَايِشِهِ إِذْ هِيَ لَا تَنِي بِعَوَائِدِ الثَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْغَالِبِ لِسِدِّ الْخَلَّةِ وَضَرُورَةِ  
الْمَعَاشِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ مُشِيخَةِ الْبُلْدَانِ أَنَّ الْقَصْدَ بِاِقْتِنَاءِ الْمَلِكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ

إِنَّمَا هُوَ الْخَشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرَكَ خَلْفَهُ مِنَ الذَّرِيَّةِ الضَّعْفَاءِ لِيَكُونَ مَرَبِّاهُمْ بِهِ وَرِزْقُهُ فِيهِ وَتَشْوُهُمْ بِفَائِدَتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنْ الْاِكْتِسَابِ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكْسَبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوُلَدِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْاِكْتِسَابِ لضعف فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْمَعَاشِي فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قَوْمًا لِحَالِهِ هَذَا قَصْدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي أَقْنَانِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِّينَ فَلَا وَقَدْ يُحْصَلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِمَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي جِنْسِهِ وَقِيَمَتِهِ فِي الْمِصْرِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رُبَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأَمْرَاءِ وَالْوَلَاةِ وَاعْتَصَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى يَنَعِهِ مِنْهُمْ وَنَالَتْ أَهْوَابُهُ مِنْهُ مَضَارٌّ وَمَعَاطِبٌ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَضِرِيَّ إِذَا عَظُمَ تَمَوُّلُهُ وَكَثُرَ لِلْعَقَارِ وَالضَّبَاعِ تَأْتَلُهُ وَأَصْبَحَ أَغْنَى أَهْلَ الْمِصْرِ وَرَمَقَتْهُ أَعْيُنُ بَذَلِكَ وَانْقَسَحَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِّ وَالْعَوَائِدِ زَاخِمٌ عَلَيْهَا الْأَمْرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَغَضُّوا بِهِ وَلِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ تَمْتَدُّ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا بِيَدِهِ وَيُنَافِسُونَهُ فِيهِ وَتَحْمِلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمَكِّنٍ حَتَّى يُحْصِلُوهُ فِي رِبْقَةٍ حُكْمٍ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمَوَاحِذَةِ ظَاهِرٍ يَنْتَزِعُ بِهِ مَالَهُ وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِزَةٌ فِي الْغَالِبِ إِذَا الْعَدْلُ انْحَضَ إِنَّمَا هَرُ فِي اخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْاَثَرُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعُودُ مُلْكًا عَضُوضًا فَلَا بَدَّ حِينَئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالنَّرْوَةِ الْكَهْمِيَّةِ فِي الْعُمَرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَدُودُ عَنْهُ وَجَاهٍ يَنْسَحِبُ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمَلِكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصَبِيَّةٍ يَتَحَامَاهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَرْتَعُ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ النِّعْدِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهَبًا يُوْجُوهُ التَّخْيَلَاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكَامِ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها والسبب في ذلك أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ أَحْوَالٌ عَادِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِ



النمران زيادة تتفاوت وتتفاوت الرِّفَة وتتفاوت الأثَر في القِلَّةِ وَالكَثْرَةِ تَفَاوُتًا غَيْرَ  
 مُنْحَصِرٍ وَتَفَعُّ فِيهَا عِنْدَ كَثْرَةِ التَّفَنُّنِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
 وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَوْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهَرَّةِ فِيهِ وَبِقَدَرِ مَا يَتَزَيَّدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
 تَتَزَيَّدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْجَلِيلُ بِهَا وَمَتَى انْصَلَّتِ الْآيَاتُ وَتَعَايَنَتِ تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ  
 حَقَّقُوا تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْيَادُ بِطُولِهَا وَأَنْفِسَاحِ أَمْدِهَا  
 وَتَكَرَّرَ أَمْثَالُهَا تَزِيدُهَا اسْتِخْصَامًا وَرُسُوحًا وَأَكْثَرُ مَا يَفَعُّ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ لَا اسْتِخْصَارِ  
 النُّعْمَانِ وَكَثْرَةُ الرِّفَةِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجْعِي مِنْ قَبْلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
 تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرِّعْيَةِ وَتَنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَتَنْسِعُ أَحْوَالَهُمْ بِأَجْلِهَا أَكْثَرَ مِنْ  
 اتِّسَاعِهَا بِالْعَمَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنَ الرِّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
 مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ وَهُمْ أَكْثَرُ فَتَعْظُمُ لَذَلِكَ ثَرْوَتُهُمْ وَيَكْثُرُ غَنَاهُمْ وَتَتَزَيَّدُ  
 عَوَائِدُ التَّرَفِ وَمَذَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكِمُ لَدَيْهِمُ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فُنُونِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحِضَارَةُ .  
 وَلِهَذَا تَجِدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِيَةِ وَلَوْ كَانَتْ مَوْفُورَةً النُّعْمَانِ تَعْلَبُ عَلَيْهَا أَحْوَالُ الْبِدَاوَةِ  
 وَتَتَبَعْدُ عَنِ الْحِضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَذَاهِبِهَا بِخِلَافِ الْمَدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي هِيَ  
 مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقَرُّهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِجَوَازَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفَيْضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَلِمَاءُ  
 يُخَضَّرُ مَا قَرُبَ مِنْهُ فَمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْجُفُوفِ عَلَى الْبَعْدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا  
 أَنَّ السُّلْطَانَ وَالِدَ الدَّوْلَةِ سَوْقُ لِلْعَالَمِ فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا  
 أَبْعَدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْتَقِدَتِ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا انْصَلَّتِ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَايَنَتِ  
 مَلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَحْكَمَتِ الْحِضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوحًا  
 وَاعْتَبَرْتَ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا طَالَ مُلْكُهُمْ بِالشَّامِ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ رَسَخَتْ  
 حَضَارَتُهُمْ وَحَذَقُوا فِي أَحْوَالِ الْمَعَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالتَّفَنُّنِ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ  
 وَالْمَلَابِسِ وَسَائِرِ أَحْوَالِ الْمَنْزِلِ حَتَّى إِنَّهَا لَتَتَوَخَّذُ عَنْهُمْ فِي الْغَالِبِ إِلَى الْيَوْمِ وَرَسَخَتْ  
 الْحِضَارَةُ أَبْنَاءَ وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ فَكَانُوا  
 فِي غَلِيَةِ الْحِضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقَبْطُ دَامَ مُلْكُهُمْ فِي الْخَلِيفَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ  
 فَرَسَخَتْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ فِي بِلَادِهِمْ مِصْرَ وَأَعْقَبَهُمْ بِهَا مُلْكُ الْيُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مُلْكُ  
 الْإِسْلَامِ النَّاسُخُ لِلْأَكْلِ فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ بِهَا مُتَّصِلَةً وَكَذَلِكَ أَيْضًا رَسَخَتْ

عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والنباعة الآفا  
من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة البطح والفرس  
بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الآفا من السنين فلم  
يكن على وجه الأرض لهذا العهد أخضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضاً  
رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط  
ثم ما أعقبها من ملك بني أمية الآفا من السنين وكلتا الدولتين عظمة فارتفعت فيها  
عوائد الحضارة واستحكمت. وأما أفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام  
ملك ضخم إنما قطع الإفريقية إلى أفريقية البحر وماكوا الساحل وكانت طاعة  
البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوقار وأهل المغرب  
لم تجاوزهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر ولما جاء  
الله بالإسلام وملك العرب أفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب إلا قليلاً  
أول الإسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بأفريقية والمغرب  
لم يجد بهما من الحضارة ما يقد فيه من سلفه إذ كانوا برابر متغصنين في البداوة  
ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب اليهود على يد مبصرة المطفري أيام هشام  
ابن عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا  
لأدريس فلا تعدد دولته فيهم عربية لأن البرابر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب  
فيها كثير عدد وبقيت أفريقية للأغالبية ومن إليهم من العرب فكان لهم من الحضارة  
بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان وورث  
ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعائة سنة  
وانصرفت دولتهم واستحالت صيغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب  
بدو العرب الهلاليين عليها وخرّبوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا  
العهد يونس سلف له بالقلعة أو القبروان أو المهديّة سلف فتجد له من الحضارة  
في شؤون منزله وعوائد أحواله آثاراً ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا  
في أكثر أمصار أفريقية وأيس كذلك في المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بأفريقية  
أكثر أمداً منذ عهد الأغالبية والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة

الْمُوحِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْخِصَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَ  
لِدَوْلِهِمْ مِنَ الْإِسْتِیْلَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا  
وَكَرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النَّطَاقِ مَا عَلِمَتْ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْخِصَارَةِ  
وَاسْتَحْكَمَتْهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
النَّصَارَى إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَيَأْمُصَارِهَا مِنَ الْخِصَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا بَنُو نَسِ  
أَمْتَزَجَتْ بِخِصَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ الْمُسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقِيَّةِ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْخِصَارَةِ عِنِّي عَلَيْهِ الْخَلَاءُ وَرَجَعَ إِلَى أَغْقَابِهِ وَعَادَ الْبَزِيرُ  
بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْخُشُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ ثَارَ الْخِصَارَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
أَكْثَرُ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ بَا تَدَاوَلَ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَغْرِبِ  
وَلِقُرْبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرَدِّدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَفْطَنُ لِهَذَا  
السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ وَعَلِمَ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَهِيَ حَالُ الدُّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
وَالضَّعْفِ وَكَثْرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ وَعِظَمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثْرَةِ النِّعْمَةِ وَالْبِسَارِ  
وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلَةَ وَالْمُلْكَ صُرَّةَ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمُرَانِ وَكُلُّهَا مَادَّةٌ لَهُمَا مِنَ الرِّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْجَبَايَةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْأَغَالِبِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ  
وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِيهَا أَنْبَتَتْ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
فَعَبِي ذَاهِبَةٌ عَنْهُمْ فِي الْجَبَايَةِ وَالْخَرَاجِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَعَلَى نِسْبَةِ حَالِ الدُّوَلَةِ  
يَكُونُ يَسَارُ الرِّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ يَسَارِ الرِّعَايَا وَكَثْرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدُّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
كُلُّهُ الْعُمُرَانُ وَكَثْرَتُهُ فَاغْتَبَزَهُ وَتَأَمَّلَهُ فِي الدُّوَلِ نَجْدَهُ وَاللَّهُ بِحُكْمِهِ وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان الخسارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها موزنة بفساده  
قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا سَلَفَ أَنَّ الْمُلْكَ وَالدُّوَلَةَ غَايَةُ الْعَمَلِيَّةِ وَأَنَّ الْخِصَارَةَ غَايَةُ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
الْعُمُرَانَ كُلَّهُ مِنْ بِدَاوَةٍ وَخِصَارَةٍ وَمُلْكَ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمُرٌ مُحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
اشْتِخَاصِ الْمَكُونَاتِ عُمُرًا مُحْسُوسًا وَبَيَّنَّ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِنْسَانِ  
غَايَةٌ فِي تَزَايُدِ قُوَّاهُ وَنُمُوِّهَا وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ سِنَ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَتِ الطَّبِيعَةُ عَنْ أَثَرِ الشُّؤْءِ  
وَالنُّمُوِّ بُرْهَةً ثُمَّ تَأْخُذُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِنْخِطَاطِ فَلْتَعَلَّمَ أَنَّ الْخِصَارَةَ فِي الْعُمُرَانِ أَيْضًا

كَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَايَةُ لَا مَزِيدَ وَرَاءَهَا وَذَلِكَ أَنَّ التَّرَفَ وَالنَّعْمَةَ إِذَا حَصَلَ لِأَهْلِ الْعُمَرَانِ  
دَعَاهُمْ بِطَبْعِهِ إِلَى مَذَاهِبِ الْحَضَارَةِ وَالنَّخْلِ بِعَوَائِدِهَا وَالْحَضَارَةِ كَمَا عَلِمْتَ هِيَ الْفَنَنُ  
فِي التَّرَفِ وَاسْتِجَادَةِ أَحْوَالِهِ وَالْمَكْلَفِ بِالصَّنَائِعِ الَّتِي تُؤْتِي مِنْ أَصْنَافِهِ وَسَائِرِ فُنُونِهِ  
مِنْ الصَّنَائِعِ الْمُهَيَّئَةِ لِلْمَطَايِخِ أَوِ الْمَلَاسِ أَوِ الْمَبَافِي أَوِ الْقُرْشِ أَوِ الْإِنْيَةِ وَلِسَائِرِ  
أَحْوَالِ الْمَنْزِلِ وَاللَّائِقِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ صَنَائِعُ كَثِيرَةٌ لَا يُعْتَاجُ إِلَيْهَا عِنْدَ  
الْيَدَاوَةِ وَعَدَمِ الدَّائِقِ فِيهَا وَإِذَا بَلَغَ الدَّائِقُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْمَنْزِلِيَّةِ الْغَايَةَ تَبِعَهُ طَاعَةُ  
الشُّهُوتِ فَتَتَلَوَّنُ النَّفْسُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَائِدِ بِأَلْوَانٍ كَثِيرَةٍ لَا يَسْتَقِيمُ حَالُهَا مَعَهَا فِي دِينِهَا  
وَلَا دُنْيَاهَا أَمَّا دِينُهَا فَلَا تَسْخَرُكُمْ صِبْغَةُ الْعَوَائِدِ الَّتِي يَغْسِرُ نَزْعُهَا وَأَمَّا دُنْيَاهَا فَلِكثَرَةُ  
الْحَاجَاتِ وَالْمُؤَنَاتِ الَّتِي تَطْلُبُ بِهَا الْعَوَائِدُ وَيُجْزُ وَيُكَبُّ عَنِ الْوَفَاءِ بِهَا وَيَأْنَهُ أَنْ  
الْمِصْرَ بِالتَّفَنُّ فِي الْحَضَارَةِ تَعْظُمُ نَفَقَاتُ أَهْلِهَا وَالْحَضَارَةُ تَنْفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الْعُمَرَانِ فَتَتَى  
كَانَ الْعُمَرَانُ أَكْثَرَ كَانَتْ الْحَضَارَةُ أَكْمَلَ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الْمِصْرَ الْكَثِيرَ  
الْعُمَرَانِ يَخْتَصُّ بِالْعِلَاءِ فِي أَسْوَاقِهِ وَأَسْعَارِ حَاجَتِهِ ثُمَّ تَزِيدُهَا الْمَكُوسُ غَلَاءً لِأَنَّ  
الْحَضَارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ فِي اسْتِفْحَالِهَا وَهُوَ زَمَنُ وَضْعِ الْمَكُوسِ فِي  
الدُّوَلِ لِكثَرَةِ خَرْجِهَا حِينَئِذٍ كَمَا تَقْدَمُ وَالْمَكُوسُ تَعُودُ إِلَى الْبَيَاعَاتِ بِالْعِلَاءِ لِأَنَّ  
السُّوْقَةَ وَالتَّجَارَةَ كُلَّهُمْ يَحْتَسِبُونَ عَلَى سِلْعِهِمْ وَبَضَائِعِهِمْ جَمِيعَ مَا يَنْفَقُونَهُ حَتَّى فِي مُؤَنَةِ  
أَنْفُسِهِمْ فَيَكُونُ الْمَكْسُ لِلِذَلِكَ دَاخِلًا فِي قِيَمِ الْبَيَاعَاتِ وَأَتَمَّهَا فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ أَهْلِ  
الْحَضَارَةِ وَتَخْرُجُ عَنِ الْقَصْدِ إِلَى الْإِسْرَافِ وَلَا يَجِدُونَ وَلِيْمَةً عَنْ ذَلِكَ لِمَا مَلَكَهُمْ مِنْ  
أَثَرِ الْعَوَائِدِ وَطَاعَتِهَا وَتَذَهَبُ مَكَايِدُهُمْ كُلُّهَا فِي النِّفَقَاتِ وَيَتَتَابِعُونَ فِي الْإِمْلَاقِ  
وَالْخَاصَّةِ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْفَقْرُ وَيَقِلُّ الْمُسْتَأْمُونُ لِلْمَبَائِعِ فَيَمْكُسُدُ الْأَسْوَاقُ وَيَفْسُدُ  
حَالُ الْمَدِينَةِ وَدَاعِيَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ إِفْرَاطُ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ وَهَذِهِ مُفْسِدَاتُ فِي الْمَدِينَةِ  
عَلَى الْعُمَمِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْعُمَرَانِ وَأَمَّا نَسَادُ أَهْلِهَا فِي ذَاتِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا عَلَى الْخُصُوصِ  
فَمِنْ الْكَدِّ وَالنَّعْبِ فِي حَاجَاتِ الْعَوَائِدِ وَالتَّلَوُّنِ بِأَلْوَانِ الشَّرِّ فِي تَخْصِيلِهَا وَمَا يَعُودُ عَلَى  
النَّفْسِ مِنَ الضَّرَرِ بَعْدَ تَخْصِيلِهَا بِمُحْصُولِ لَوْ أَنَّ آخَرَ مِنَ الْوَانِهَا فَلِذَلِكَ يَكْثُرُ مِنْهُمْ الْفِسْقُ  
وَالشَّرُّ وَالسَّفْسَفَةُ وَالْأَحْجَلُ عَلَى تَخْصِيلِ الْمَعَاشِ مِنْ وَجْهِهِ وَمِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَتَنْصَرِفُ  
النَّفْسُ إِلَى الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ وَالْفُوقِ عَلَيْهِ وَاسْتِجْمَاعِ الْحِيلَةِ لَهُ فَيَجِدُهُمْ أَجْرِبَاءَ عَلَى

الْكُذْبَ وَالْمُقَامَرَةَ وَالْفَيْسَ وَالْخِلَافَةَ وَالسَّرْقَةَ وَالْفُجُورَ فِي الْإِيمَانِ وَالزُّبَانَ فِي الْبَيِّنَاتِ  
 ثُمَّ تَجِدُهُمْ أَنْبَصَرَ بِطُرُقِ الْفُسْقِ وَمَذَاهِبِهِ وَالْمُجَاهِرَةَ بِهِ وَبِدَوَاعِيهِ وَأَطْرَاحِ الْحُشْمَةِ  
 فِي الْخُوضِ فِيهِ حَتَّى بَيْنَ الْأَقَارِبِ وَذَوِي الْحَرَامِ الَّذِينَ تَقْضِي الْبِدَاوَةَ الْحَيَاءُ مِنْهُمْ  
 فِي الْأَقْدَاعِ بِذَلِكَ وَتَجِدُهُمْ أَيْضًا أَنْبَصَرَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ يَدْفَعُونَ بِذَلِكَ مَا عَسَا أَنْ يَبَالَهُمْ  
 مِنَ الْقَهْرِ وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى تِلْكَ الْقَبَائِحِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ عَادَةً وَخُلُقًا  
 لَا كَثَرَهُمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَيَمُوجُ بِحَرِّ الْمَدِينَةِ بِالسَّفَلَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ  
 وَبِجَارِهِمْ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ نَاشِئَةِ الدَّوْلَةِ وَلِدَانِهِمْ مِمَّنْ أَهْمِلَ عَنِ التَّأْدِيبِ وَعَلَبَ عَلَيْهِ  
 خُلُقُ الْجَوَارِ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ أَنْسَابٍ وَيُوتَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ بَشَرٌ مُتَمَاتِلُونَ وَإِنَّمَا  
 تَفَاضَلُوا وَتَمَيَّزُوا بِالْخُلُقِ وَكَتَسَابِ الْقَضَائِلِ وَاجْتِنَابِ الرِّذَائِلِ فَمَنْ اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ  
 لَمْ يَنْفَعَهُ زَكَاةُ نَسَبِهِ وَلَا طِيبُ مَنْتَبِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ أَعْقَابِ الْبُيُوتِ وَذَوِي  
 الْأَحْسَابِ وَالْأَصَالَةِ وَأَهْلِ الدُّوَلِ مُنْطَرِحِينَ فِي الْعُغْمَارِ مُنْتَجِلِينَ لِلْجُحْرِ الدُّنْيَةِ فِي  
 مَعَاشِهِمْ بِمَا فَسَدَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَمَا تَلَوَّنُوا بِهِ مِنْ صِبْغَةِ الشَّرِّ وَالسَّفَسَةِ وَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ  
 فِي الْمَدِينَةِ أَوْ الْأُمَّةِ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِمُخْرَابِهَا وَأَنْقَرَضَهَا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ  
 نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ۖ وَوَجَّهُهُ حِينَئِذٍ  
 أَنْ مَكَاسِبِهِمْ حِينَئِذٍ لَا تَنِي بِجَحَالَتِهِمْ لِكثَرَةِ الْعَوَائِدِ وَمُطَالَبَةِ النَّفْسِ بِهَا فَلَا تَسْتَقِيمُ  
 أَحْوَالُهُمْ وَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ وَاحِدًا وَاحِدًا اخْتَلَّ نِظَامُ الْمَدِينَةِ وَخَرَبَتْ  
 وَهَذَا مَعْنَى مَا يَقُولُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْخَوَاصِّ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَثُرَ فِيهَا غَرَسُ النَّارَنْجِ  
 تَأَذَّنَتْ بِالْخُرَابِ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَةِ يَتَحَامَى غَرَسُ النَّارَنْجِ بِالْدُّورِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ  
 ذَلِكَ وَلَا أَنَّهُ خَاصِيَّةٌ فِي النَّارَنْجِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَسَاتِينَ وَإِجْرَاءَ الْعِمَاهِ هُوَ مِنْ  
 تَوَابِعِ الْحِضَارَةِ ثُمَّ إِنَّ النَّارَنْجَ وَاللَّيْلَةَ وَالسَّرَوَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِمَّا لَا طَعْمَ فِيهِ وَلَا مَنَفَعَةَ  
 هُوَ مِنْ غَايَةِ الْحِضَارَةِ إِذْ لَا يُقْصَدُ بِهَا فِي الْبَسَاتِينَ إِلَّا أَشْكَالُهَا فَقَطْ وَلَا تُغْرَسُ إِلَّا بَعْدَ  
 التَّفْنِ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَهَذَا هُوَ الطُّورُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ هَلَاكُ الْمِصْرِ وَخُرَابُهُ كَمَا  
 قُلْنَا هَ لَقَدْ قِيلَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الدِّفْلَى وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ إِذَا الدِّفْلَى لَا يُقْصَدُ بِهَا إِلَّا  
 تَلَوْنُ الْبَسَاتِينَ بِتَوْرِهِمَا مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَهُوَ مِنْ مَذَاهِبِ التَّرَفِ ۖ وَمِنْ مَفَاسِدِ  
 الْحِضَارَةِ لِأَنَّهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَالْأَسْتِرْسَالِ فِيهَا لِكثَرَةِ التَّرَفِ فَيَقَعُ التَّفْنُ فِي شَهَوَاتِ

الْبَطْنِ مِنَ الْمَا كُلِّ وَالْمَلَاذِ فَيُفْضِي ذَلِكَ إِلَى فَسَادِ النَّوعِ فَأَقْبَهُمْ ذَلِكَ وَاعْتَبَرَهُ  
 أَنْ غَايَةَ الْعُمْرَانِ هِيَ الْحَضَارَةُ وَالتَّرَفُ وَأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ غَايَتَهُ انْقَلَبَ إِلَى الْفَسَادِ وَأَخَذَ فِي  
 الْمُرَمِّ كَالْأَعْمَارِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْحَيَوَانَاتِ بَلْ تَقُولُ إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْخَاصَّةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ  
 هِيَ عَيْنُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِإِقْدَارِهِ عَلَى جَلْبِ مَنَافِعِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ  
 وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ حَاجَاتِهِ إِمَّا عَجْزًا لِمَا  
 حَصَلَ لَهُ مِنَ الدَّعَةِ أَوْ تَرَفًا لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَرْبَى فِي النِّعَمِ وَالتَّرَفِ وَكَلَّا الْأَمْرَيْنِ  
 دَمِيمٌ وَكَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ وَاسْتِقَامَةِ خُلُقِهِ لِلسَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَالْحَضَرِيُّ بِمَا  
 قَدْ فَقَدَ مِنْ خُلُقِهِ لَا يُنْصَرِفُ إِلَى التَّرَفِ وَالنِّعَمِ فِي قَهْرِ التَّادِيْبِ فَهُوَ بِذَلِكَ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ  
 الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ أَيْضًا غَالِبًا بِمَا فَسَدَتْ مِنْهُ الْعَوَائِدُ وَطَاعَتُهَا وَمَا تَلَوَّنَتْ بِهِ  
 النَّفْسُ مِنْ مَكَانَتِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَإِذَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ فِي قُدْرَتِهِ  
 عَلَى أَخْلَاقِهِ وَدِينِهِ فَقَدْ فَسَدَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ وَصَارَ مَسْخًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَبِهَا الْأَعْيَانُ كَانَتْ  
 الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ عَلَى الْحَضَارَةِ وَخُلُقِهَا مُوجِدُونَ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَضَارَةَ هِيَ  
 سَبَبُ الْوُقُوفِ لِعُمْرِ الْعَالَمِ فِي الْعُمْرَانِ وَالِدَوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
 لَا يَسْغُلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ

### الفصل التاسع عشر

فِي أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي تَكُونُ كَرَامِي لِلْمَلِكِ تَحْرِبُ مَخْرَابَ الدَّوْلَةِ وَانْقِرَاضَهَا  
 قَدْ اسْتَفْرَيْنَا فِي الْعُمْرَانِ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا اخْتَلَّتْ وَانْتَقَضَتْ فَإِنَّ الْمِصْرَ الَّذِي  
 يَكُونُ كُرْسِيًّا لِسُلْطَانِهَا يَنْقُضُ عُمْرَانَهُ وَرُبَّمَا يَنْتَهِي فِي انْتِقَاضِهِ إِلَى الْخُرَابِ وَلَا يَكَادُ  
 ذَلِكَ يَخْلُفُ وَالسَّبَبُ فِيهِ أُمُورٌ أَوَّلُهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ لَا بَدَّ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ الْمُقْتَضِيَةِ  
 لِلْمُجَافِي عَنْ أُمُالِ النَّاسِ وَالْبَعْدُ عَنْ التَّحَدُّثِ وَبَدَعُو ذَلِكَ إِلَى تَخْفِيفِ الْجَبَابَةِ وَالْمَعَارِمِ  
 الَّتِي مِنْهَا مَادَّةُ الدَّوْلَةِ فَتَقِلُّ التَّفَقَّاتُ وَيَقِلُّ التَّرَفُ فَإِذَا صَارَ الْمِصْرُ الَّذِي كَانَ كُرْسِيًّا  
 لِلْمَلِكِ فِي مَلَكَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ وَتَقَضَتْ أحوَالُ التَّرَفِ فِيهَا تَقْصُرُ التَّرَفُ  
 فَيَمْنُ تَحْتَ أَيْدِيهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ لِأَنَّ الرِّعَايَا تَبِعَ لِلدَّوْلَةِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى خُلُقِ الدَّوْلَةِ  
 إِمَّا طَوْعًا لِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنْ تَقْلِيدِ مَتَّبِعِيهِمْ أَوْ كَرْهًا لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ خُلُقُ الدَّوْلَةِ  
 مِنَ الْإِنْتِقَاضِ عَنِ التَّرَفِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَقِلَّةِ الْفَوَائِدِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْعَوَائِدِ فَتَقْصُرُ

لَتلكَ حِصَارَةُ الْمِصْرِ وَيَذْهَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ مِنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَهُوَ مَعْنَى مَا نَقُولُ فِي خَرَابِ  
 الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّانِي أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهَا الْمَلِكُ وَالْأَسْبَلَاءُ بِالْعَلْبِ وَإِنَّمَا  
 يَكُونُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُرُوبِ وَالْعِدَاوَةُ تَقْتَضِي مُنَاقَاةَ بَيْنِ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ وَتَكْثُرُ  
 أَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَغَلَبَ أَحَدُ الْمُتَنَافِئِينَ يَذْهَبُ بِالْمُنَافِي  
 الْآخَرَ فَتَكُونُ أَحْوَالُ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ مُنْكَرَةً عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَمُسْتَبْشَعَةً وَبِصِحَّةٍ  
 وَخُصُوصًا أَحْوَالُ التَّرَفِّ فَتَقْصِدُ فِي عُرْفِهِمْ بِنَكِيرِ الدَّوْلَةِ لَهَا حَتَّى تَنْشَأَ لَهُمْ بِالتَّنْذِيرِ  
 عَوَائِدُ أُخْرَى مِنَ التَّرَفِّ فَتَكُونُ عَنْهَا حِصَارَةٌ مُسْتَأْنَفَةً وَبَيْنَا بَيْنَ ذَلِكَ فُصُورُ الْحِصَارَةِ  
 الْأُولَى وَتَقْصُهَا وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ الْعُمَرَانِ فِي الْمِصْرِ . الْأَمْرُ الثَّالِثُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَا  
 يَدُلُّهُمْ مِنْ وَطَنِ وَهُوَ مَشَاطِمُ وَمِنْهُ أَوَّلِيَّةُ مُلْكِهِمْ وَإِذَا مَلَكَوا مُلْكًا آخَرَ صَارَ تَبَعًا  
 لِلأَوَّلِ وَأَمْصَارُهُ تَابِعَةٌ لِأَمْصَارِ الْأَوَّلِ وَاسْتَعْنِطَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَدُّ مِنْ تَوْسِطِ  
 الْكُرْمِيِّ تَحْوِمُ الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ لِأَنَّهُ شَبَّهِ الْمَرْكَزَ لِلنِّطَاقِ فَيَبْعُدُ مَكَانَهُ عَنْ  
 مَكَانِ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ وَتَهْوِي أَفْنِدَةُ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ  
 الْعُمَرَانُ وَيَخْفُتُ مِنْ مِصْرِ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ وَالْحِصَارَةُ إِنَّمَا هِيَ تَوْفُّرُ الْعُمَرَانِ كَمَا  
 قَدِمْنَا فَتَنْقُصُ حِصَارَتُهُ وَتَمْدُدُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِهِ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلشُّلُوبِيَّةِ فِي عَدُولِهِمْ  
 بِكَرْسِيهِمْ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَلِلْعَرَبِ قَبْلَهُمْ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ  
 وَالبَصْرَةِ وَلِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْعُدُولِ عَنْ دِمَشْقَ إِلَى بَغْدَادَ وَلِبَنِي مُرِّينَ بِالْقَرْبِ فِي  
 الْعُدُولِ عَنْ مَرَّكِشَ إِلَى فَاسَ وَبِالْجَمَلَةِ فَأَتَخَذُوا الدَّوْلَةَ الْكُرْمِيَّةَ فِي مِصْرِ  
 يُخْلِ بَعْمَرَانِ الْكُرْمِيِّ الْأَوَّلِ . الْأَمْرُ الرَّابِعُ أَنَّ الدَّوْلَةَ الثَّانِيَةَ لَا يَدُّ فِيهَا مِنْ تَبَعٍ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ وَأَشْيَاعُهَا بِتَحْوِيلِهِمْ إِلَى قَطْرِ آخَرٍ يُؤْمِنُ فِيهِ غَائِلَتُهُمْ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمِصْرِ الْكُرْمِيِّ أَشْيَاعُ الدَّوْلَةِ إِمَّا مِنَ الْحَامِيَةِ الَّذِينَ نَزَلُوا بِهِ أَوَّلَ  
 الدَّوْلَةِ أَوْ أَعْيَانِ الْمِصْرِ لِأَنَّهُمْ فِي الْغَالِبِ مُحَالَطَةٌ لِلدَّوْلَةِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَنَوُّعِ أَصْنَافِهِمْ  
 يَلُ أَكْثَرُهُمْ نَاشِئٌ فِي الدَّوْلَةِ فَهُمْ شَبَّعٌ لَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا بِالشُّوْكَةِ وَالْعَصْبِيَّةِ فَهُمْ  
 بِالْمِلِّ وَالنَّحْبَةِ وَالْعَقِيدَةِ وَطَبِيعَةِ الدَّوْلَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ مَحْوُ أَثَارِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ فَيَنْقَلِبُ  
 مِنْ مِصْرِ الْكُرْمِيِّ إِلَى وَطَنِهَا الْمُتَمَكِّنِ فِي مَلَكَتِهَا فَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ التَّغْرِيبِ  
 وَالْحَبْسِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى نَوْعِ الْكِرَامَةِ وَالنُّلُوفِ بَحِثُ لَا يُوَدِّي إِلَى الْفَرَةِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي

مِصْرَ الْكَرْمِيِّ إِلَّا الْبَاعَةَ وَالْهَمْلُ مِنْ أَهْلِ الْقَلْعِ وَالْعِبَارَةِ وَسَوَادُ الْعَامَةِ يَنْزِلُ مَكَانَهُمْ  
حَامِيَتَهَا وَأَشْيَاعُهَا مَنْ يَسْتَدُّ بِهِ الْمِصْرَ وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِصْرِ أَعْيَانُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ  
سَاكِنُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمَرَانُ آخَرَ فِي ذِلِّ الدَّوْلَةِ  
الْمُجْدِيْدَةِ وَتَحْصُلَ فِيهِ حِصَاةٌ أُخْرَى عَلَى قَدْرِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِعَثَابَةٍ مِنْ لَهُ يَتَّ عَلَى  
أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ فَأَظْهَرَ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ  
وَيَقْتَرِحُهُ فَيَحْزَبُ ذَلِكَ الْبَيْتُ ثُمَّ يَعْبُدُ بِنَاءً ثَانِيًا وَقَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي  
هِيَ كُرَاسِي الْمُلْكِ وَشَاهِدَاتُهُ وَعِلْمَاتُهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّبَبَ الطَّبِيعِيَّ الْأَوَّلُ  
فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمُلْكَ لِلْعُمَرَانِ بِمَثَابَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَّةِ وَهُوَ الشَّكْلُ الْخَافِظُ  
بَنُوْعِهِ لَوْجُودِهَا وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْتِكَاءُ أَحَدِيْهَا عَنِ الْآخَرِ  
فَالدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمَرَانِ لَا تُصَوَّرُ وَالْعُمَرَانُ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمُلْكُ مُتَعَدِّدٌ لِمَا فِي طَبَايِعِ  
الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ الدَّاعِي إِلَى الْأَوَارِعِ فَتَتَعَيَّنُ السِّيَاسَةُ لِذَلِكَ إِمَّا الشَّرْعِيَّةَ أَوِ الْمُلْكِيَّةَ  
وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ وَإِذَا كَانَا لَا يَنْفَكَّانِ فَاخْتِلَالُ أَحَدِيْهَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ  
كَمَا أَنَّ عَدَمَهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَدَمِهِ وَالْخُلُلُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خِلَالِ الدَّوْلَةِ الْكُلِّيَّةِ  
مِثْلَ دَوْلَةِ الرُّومِ أَوْ الْفَرَسِ أَوْ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ بَنِي الْأَبَّاسِ كَذَلِكَ  
وَأَمَّا الدَّوْلَةُ الشَّخْصِيَّةُ مِثْلَ دَوْلَةِ أُنُوشِرْوَانَ أَوْ هِرْفِلِ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ  
الرَّشِيدِ فَأَشْخَاصُهَا مُتَعَابِقَةٌ عَلَى الْعُمَرَانِ حَافِظَةٌ لَوْجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَفَرِيْقَةُ الشَّيْبِ بَعْضُهَا  
مِنْ بَعْضٍ فَلَا تُؤَثِّرُ كَثِيرُ اخْتِلَالِ الدَّوْلَةِ بِالْحَقِيقَةِ الْفَاعِلَةَ فِي مَادَّةِ الْعُمَرَانِ إِنَّمَا  
هِيَ الْعَصَبِيَّةُ وَالشُّوْكَةُ وَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى أَشْخَاصِ الدَّوْلَةِ فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا  
عَصَبِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الْعُمَرَانِ ذَهَبَتْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ بِأَجْدَعِهِمْ وَعَظُمُ الْخُلُلُ كَمَا  
قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض

وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا لِمَا فِي طَبِيعَةِ  
الْعُمَرَانِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنَ الْأَعْمَالِ يَخْتَصُّ بِبَعْضِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَيَقُومُونَ عَلَيْهِ  
وَيَسْتَبْصِرُونَ فِي صِنَاعَتِهِ وَيَخْتَصُّونَ بِوُظَائِفِهِ وَيَجْعَلُونَ مَعَاشَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَهُمْ مِنْهُ لِعُمُومِ



الْبَلْوَى بِهِ فِي الْمِصْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَسْتَدْعِي فِي الْمِصْرِ يَكُونُ غُفْلًا إِذَا لَا فَائِدَةَ  
لِمُنْتَحِلِهِ فِي الْاِخْتِرَافِ بِهِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنْ ذَلِكَ لِضَرُورَةِ الْمَعَاشِ فَيُوجَدُ فِي كُلِّ مِصْرٍ  
كَالْحَبَاطِ وَالْحُدَادِ وَالنَّجَارِ وَأَمْثَالِهَا وَمَا يَسْتَدْعِي لِعَوَائِدِ التَّرَفِّ وَأَحْوَالِهِ فَإِنَّمَا يُوْجَدُ  
فِي الْمُدُنِ الْمُسْتَجْبِرَةِ فِي الْعَامَةِ الْآخِذَةِ فِي عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَالْحِضَارَةِ مِثْلَ الرِّجَاجِ  
وَالصَّانِعِ وَالْذَّهَانِ وَالطَّبَّاحِ وَالصَّفَّارِ وَالْفَرَّاشِ وَالذَّبَّاحِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ  
وَيَقْدَرُ مَا تَزِيدُ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ وَتَسْتَدْعِي أَحْوَالَ التَّرَفِّ تُعَدُّ صَنَائِعُ ذَلِكَ النَّوعِ  
فَتُوجَدُ بِذَلِكَ الْمَصْرُدُونَ غَيْرُهُ وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ الْحَمَامَاتِ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي الْأَمْصَارِ  
الْمُسْتَحْضِرَةِ الْمُسْتَجْبِرَةِ الْعُمُرَانِ لَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ وَالْغِنَى مِنَ التَّنْعَمِ وَلِذَلِكَ  
لَا تَكُونُ فِي الْمُدُنِ الْمُتَوَسِّطَةِ وَإِنْ نَزَعَ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا فَيَخْطُبُهَا  
وَيُغَيِّرُ أَحْوَالَهَا إِلَّا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةٌ مِنْ كَأَنَّهُ النَّاسُ فَسْرَعَانِ مَا تُغَيِّرُ وَتُغَيِّرُ  
وَتَقِرُّ عَنْهَا الْقَوْمَةُ لِقَلَّةِ فَائِدَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ مِنْهَا وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْسُطُ

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض  
مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ الْإِتِّحَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدَمْنَاهُ أَضْعَفُ مِمَّا يَكُونُ بِالنَّسَبِ وَأَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا  
تَحْصُلُ بِالنَّسَبِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مُلْتَحِمُونَ بِالْمِصْرِ يُجَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى  
أَنْ يَكُونُوا لَحْمًا وَلَحْمًا وَفَرَاةً وَفَرَاةً وَتُجَدُّ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلَهُ فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا وَعَصَائِبَ فَإِذَا نَزَلَ الْهَرَمُ بِالْدَوْلَةِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ  
الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَاصِيَةِ أَحْتَاَجَ أَهْلُ أَمْصَارِهَا إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمُ وَالنَّظَرِ فِي حِمَايَةِ بِلَدِهِمْ  
وَرَجَعُوا إِلَى الشُّوَرَى وَتَمَيَّزَ أَلْبَانِيَّةُ عَنِ السَّفَلَةِ وَالنُّفُوسُ بِطِبَاعِهَا مُتَطَوِّلَةٌ إِلَى الْغَلَبِ  
وَأَلْزَامِ نَاسَةٍ فَتَطْمَحُ الْمَشِيخَةُ خِلَافَ الْجَوِّ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْإِسْتِبْدَادِ  
وَيُنَازِعُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَسْتَوْصِلُونَ بِالْأَنْبَاءِ مِنَ الْمَوَالِي وَالشَّيْعِ وَالْأَحْلَافِ وَيَبْدُلُونَ  
مَا فِي أَيْدِيهِمْ لِلْإِثْرَادِ وَالْأَوْثَابِ فَيَعْصُوبُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَتَعَيَّنُ الْغَلَبُ لِبَعْضِهِمْ فَيَعْطِفُ  
عَلَى كَمَانِهِ لِيَقْصَنَ مِنْ أَعْتَبِهِمْ وَيَتَبَعَهُمْ بِالْقَتْلِ أَوِ التَّغْرِيْبِ حَتَّى يَخْضَعَ مِنْهُمْ الشُّوَكَاتُ  
النَّافِذَةُ وَيَقْلَمُ الْأَطْفَارُ الْخَادِشَةَ وَيَسْتَبِدُّ بِمِصْرِهِ أَجْمَعَ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَعْظَتْ مُلْكًا

يُورثُهُ عَقَبَهُ فَيَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْمَلِكِ الْأَصْغَرِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْ عَوَارِضِ  
الْجِدَّةِ وَالْهَرَمِ وَرُبَّمَا يَسْمُو بَعْضُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَنَازِعِ الْمُلُوكِ الْأَعَاظِمِ أَصْحَابِ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَشَائِرِ وَالْعَصَبِيَّاتِ وَالزُّخُوفِ وَالْخُرُوبِ وَالْأَفْطَارِ وَالْمَمَالِكِ فَيَتَحَالُونَ بِهَا مِنَ الْجُلُوسِ  
عَلَى السَّرِيرِ وَاتِّخَاذِ آلَاتِهِ وَإِعْدَادِ الْمَوَاقِبِ لِلسَّيْرِ فِي أَفْطَارِ الْبِلَدِ وَالنَّخْمِ وَالسَّيْبَةِ  
وَالْخُطَابِ بِالتَّمْوِيلِ مَا يَنْخُرُ مِنْهُ مَنْ يَشَاهِدُ أَحْوَالَهُمْ لَمَّا انْتَحَلُوهُ مِنْ شَارَاتِ الْمُلُوكِ الَّتِي  
لَبَسُوا لَهَا بَاهِلًا إِنَّمَا دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ تَقْلُصُ الدَّوْلَةِ وَالنِّعَامُ بَعْضُ الْقَرَابَاتِ حَتَّى صَارَتْ عَصَبِيَّةً  
وَقَدْ تَنَزَّهَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَجْرِي عَلَى مَذْهَبِ السَّادَةِ فِرَارًا مِنَ التَّعَرُّيْضِ بِنَفْسِهِ لِلشُّخْرِيَّةِ  
وَالْعَبَثِ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا بِأَفْرِيقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الْخَفْصِيَّةِ لِأَهْلِ بِلَادِ الْجَرِيدِ  
مِنْ طَرَابُلُسَ وَقَابِسَ وَتُوزَرَ وَتَقَطَّةَ وَقَفْصَةَ وَسِكْرَةَ وَالزَّابِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ سَمَوْا إِلَى  
مِثْلَهَا عِنْدَ تَقْلُصِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مِنْذُ عَقُودٍ مِنَ السَّنِينَ فَاسْتَعْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ  
وَأَسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْجَبَايَةِ وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفَقَةً  
مُحَرَّضَةً وَأَقْطَعُوا جَانِبًا مِنَ الْمَلَائِنَةِ وَالْمَلْطَفَةِ وَالْإِقْبَادِ وَهُمْ يَمْعَزِلُ عَنْهُ وَأَوْرَثُوا  
ذَلِكَ أَعْقَابَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَحَدَّثَ فِي خَلْفِهِمْ مِنَ الْعِلَظَةِ وَالتَّجْبُرِ مَا يَحْدُثُ لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ  
وَحَلْفِهِمْ وَنَظَمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السَّلَاطِينِ عَلَى قُرْبِ عَيْنِهِمْ بِالسُّوقَةِ حَتَّى نَحَا ذَلِكَ  
مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَانْتَزَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَرَ فِي  
أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَاسْتَقَلَّ بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ  
أَهْلُهَا وَاسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ حَتَّى انْتَزَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَيْخُ الْمُؤَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ  
بْنُ عَلِيٍّ وَتَقَلَّهْمُ كُلُّهُمْ مِنْ إِمَارَاتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ وَنَحَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ أَنَاثُهُمْ كَمَا  
نَذَرَ فِي أَخْبَارِهِ وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ لِآخِرِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ  
غَالِبًا فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْبَيُوتَاتِ الدُّرُشَيْنِ لِلْمَشِيشَةِ وَالرَّثَاسَةِ فِي الْمِصْرِ وَقَدْ يَحْدُثُ  
التَّغْلِبُ لِبَعْضِ السَّفَلَةِ مِنَ الْفُجَّاءِ وَالْدُهَمَاءِ وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَصِيبَةُ وَالْإِلْتِحَامُ بِالْأَوْعَادِ  
لِأَسْبَابِ يَجْرُمُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ فَيَتَغْلَبُ عَلَى الْمَشِيشَةِ وَالْعَلِيَّةِ إِذَا كَانُوا فَاقِدِينَ لِلْعَصَابَةِ وَاللَّهُ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

## الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

إِغْلَمْ أَنَّ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِنَّمَا تَكُونُ بِلِسَانِ الْأُمَّةِ أَوْ لِجِيلِ الْغَالِبِينَ عَلَيْهَا أَوْ  
 الْمُخْتَطِطِينَ لَهَا وَلِذَلِكَ كَانَتْ لُغَاتُ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ عَرَبِيَّةٌ وَإِنْ كَانَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمَضْرِي قَدْ فَسَدَتْ مَلَكَتُهُ وَتَغَيَّرَ إِعْرَابُهُ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْغَلَبِ عَلَى الْأُمَمِ وَالَّذِينَ وَالْمِلَّةِ صُورَةُ  
 لِلْوُجُودِ وَالْمَلِكِ وَكُلُّهَا مَوَادُّ لَهُ وَالصُّورَةُ مُقَدِّمَةٌ عَلَى الْمَادَّةِ وَالَّذِينَ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنْ  
 الشَّرِيعَةِ وَهِيَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ لِمَا أَنَّ الْأَبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَبِيٌّ فَوَجَبَ هَجْرُ مَا سِوَى  
 اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنَ الْأَلْسُنِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ فِي نَهْيِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 عَنْ بَطَانَةِ الْأَعَاجِمِ وَقَالَ إِنَّهَا خِيبٌ أَيْ مَكْرٌ وَخُدَيْعَةٌ فَلَمَّا هَجَرَ الَّذِينَ الْأَلْسُنَ الْأَعْجَمِيَّةَ  
 وَكَانَ لِسَانُ الْفَائِزِينَ بِالْدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَرَبِيًّا هُجِرَتْ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهَا لِأَنَّ  
 النَّاسَ تَبَعَ لِلسُّلْطَانِ وَعَلَى دِينِهِ فَصَارَ اسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ  
 وَطَاعَةِ الْعَرَبِ وَهَجَرَ الْأُمَمُ لُغَاتِهِمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالْمَمَالِكِ وَصَارَ اللِّسَانُ  
 الْعَرَبِيُّ لِسَانَهُمْ حَتَّى رَسَخَ ذَلِكَ لُغَةً فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ وَمَدَنِيهِمْ وَصَارَتْ الْأَلْسِنَةُ  
 الْأَعْجَمِيَّةُ دَخِيلَةً فِيهَا وَعَرَبِيَّةٌ ثُمَّ فَسَدَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ بِمُخَالَطَتِهَا فِي بَعْضِ أَحْكَامِهِ وَتَغَيَّرَ  
 أَوَاخِرُهُ وَإِنْ كَانَ بَقِيَ فِي الدَّلَالَاتِ عَلَى أَصْلِهِ وَسُمِّيَ لِسَانًا حَضَرِيًّا فِي جَمِيعِ أَمْصَارِ  
 الْإِسْلَامِ وَأَيْضًا فَكَثُرَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فِي الْمِلَّةِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَعْقَابِ الْعَرَبِ الْمَالِكِينَ  
 لَهَا الْهَالِكِينَ فِي تَرْفِهَا بِمَا كَثُرُوا أَلْجَمَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَوَرِثُوا أَرْثَهُمْ وَدَيَارَهُمْ وَاللُّغَاتُ  
 مُتَوَارِثَةٌ فَبَقِيََتْ لُغَةُ الْأَعْقَابِ عَلَى حِيَالِ أَغَةِ الْأَبَاءِ وَإِنْ فَسَدَتْ أَحْكَامُهَا بِمُخَالَطَةِ  
 الْأَعْجَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَسُمِّيَتْ لُغَتُهُمْ حَضَرِيَّةً مَنَسُوبَةً إِلَى أَهْلِ الْحَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ بِخِلَافِ  
 لُغَةِ الْبَدْوِ مِنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَغْرَقَ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَلَمَّا تَمَلَّكَ الْعَجَمُ مِنَ الدَّيْلَمِ  
 وَالسُّلْجُوقِيَّةِ بَعْدَهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَزَنَانَهُ وَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ وَصَارَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالْإِسْتِغْلَاةُ  
 عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَسَدَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ لِذَلِكَ وَكَادَ يَذْهَبُ لَوْلَا مَا حَفَظَهُ  
 مِنْ عَتَابَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ اللَّذَيْنِ بِهِمَا حَفِظَ الَّذِينَ وَسَارَ ذَلِكَ مُرْجَحًا  
 لِبَقَاءِ لُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَضْرِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا بِالْأَمْصَارِ فَلَمَّا مَلَكَ التُّتْرُ

وَالْمُعُولُ بِالْمَشْرِقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْجَجُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَمَمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِيبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلًا يَقَعُ تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيًّا بِالْقَوَانِينِ  
 الْمُتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحَنِظَ كَلَامُهُمْ لِمَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِذَلِكَ وَزُبَّ مَا بَقِيََتِ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُضَرِّيَّةُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الَّذِينَ طَلَبُوا لَهَا  
 فَأَتَمَحَفَّتْ بَعْضُ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنْ كُنْتُ الْعُلُومَ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ النِّجْمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيصُهُ فِي الْجَبَالِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله

من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُفْتَقِرًا بِالطَّبْعِ إِلَى مَا يَقُونَهُ وَيَعْمُونَهُ فِي حَالَانِهِ وَأَطْوَارِهِ مِنْ لَدُنْ نَشْؤِهِ  
 إِلَى أَشْدِهِ إِلَى كِبَرِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي الْعَالَمِ لِلْإِنْسَانِ  
 وَأَمَّنْ بِهِ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
 مِنْهُ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ وَكَثِيرٌ مِنْ شَوَاهِدِهِ وَيدُ  
 الْإِنْسَانِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَسْتِغْلَافِ وَأَيْدِي الْبَشَرِ مَبْسُورَةٌ  
 فَهِيَ مُشْتَرِكَةٌ فِي ذَلِكَ وَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ يَدُ هَذَا أَمْتَنَ عَنِ الْآخِرِ إِلَّا بِعَوَضٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَتَى  
 أَقْدَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَجَاوَزَ الضَّعْفَ سَعَى فِي أَقْتِنَاءِ الْمَكْسَبِ لِيُنْفِقَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْهَا  
 فِي تَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ وَضَرُورَاتِهِ بِدَفْعِ الْأَعْوَاضِ عَنْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَتَبَعُوا عِنْدَ اللَّهِ

الرِّزْقَ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُصْلِحِ لِلزَّرْعَةِ وَآمَالِهِ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا  
تَكُونُ مُعَيَّنَةً وَلَا بُدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا يَأْتِي فَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكْسَبُ مَعَاشًا إِنْ  
كَانَتْ بِمِقْدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِبَاشًا وَمَتَمَوْلًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ  
الْحَاصِلُ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مِنْعَتُهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَلَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ مِنْ إِنْقَافِهِ فِي مَصَالِحِهِ  
وَحَاجَاتِهِ سَمِيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ  
فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ  
وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَوْلَ مِنْهُ جَبْنٌ يُدْعَى بِسَعْيِ الْعَبْدِ  
وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ التَّرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَالِكِ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى  
رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مُنْتَفَعٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى انْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةُ  
مُسَمَّى الرِّزْقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُعْتَزِلُ فِي تَسْمِيَةِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ  
يَصِحُّ تَمْلُكُهُ وَمَا لَا يَتَمَلَّكَ عَنْدهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا الْغُصُوبَاتِ وَالْحَرَامَ كُلَّهُ  
عَنْ أَنْ يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْهَا رِزْقًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ الْغَاصِبَ وَالظَّالِمَ وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ  
بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجْجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ بَسْطِهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ  
الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْاِتِّبَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى التَّحْصِيلِ فَلَا بُدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ  
سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيُ  
إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَامِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الْإِنْسَانِيَةِ فِي كُلِّ مَكْنُوبٍ وَمَتَمَوْلٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا بِنَفْسِهِ مِثْلَ الصَّنَاعِ فَظَاهِرٌ  
وَإِنْ كَانَ مُقْتَنَى مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنبَاتِ وَالْمَعْدِنِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا  
تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْحَجَرَيْنِ الْمَعْدَنِيَّيْنِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قِيمَةً يَكُلُّ مُتَمَوْلٍ وَهُمَا الدَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَّةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْغَالِبِ  
وَإِنْ أَقْتَنَى سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ لِقَصْدِ تَحْصِيلِهَا بِمَا يَقَعُ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا يَمْرُلُ فَهِيَ أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَالْقَنِيَّةِ وَالْدَّخِيرَةِ وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا  
كُلُّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَا يُفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتَنِيهِ مِنَ الْمُتَمَوْلَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَاعِ  
فَالْمَقَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ قِيمَةُ عَمَلِهِ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَّةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَلَيْسَ  
بِمَقْصُودٍ بِنَفْسِهِ لِلْقَنِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَاعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ الْجِبَارَةِ وَالْحِلْيَةِ كَقَدِ

مَعَهُمَا الْخَشَبُ وَالْغَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهِمَا أَكْثَرُ فَعِيمَتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
 الصَّنَائِعِ فَلَا يَدُّ مِنْ قِيَمَةِ ذَلِكَ الْمَقَادِ وَالْقَنِيَةِ مِنْ دُخُولِ قِيَمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
 بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ فَنِيَّتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
 فَتَحْصُلُ لَهُ حِصَّةٌ مِنَ الْقِيَمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
 الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَعْيَارَ الْأَعْمَالِ وَالنَّفَقَاتِ فِيهَا مَلَا حِظُ فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ لِكُنْهِ خَفِيِّ فِي الْأَقْفَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفَلَاحِ فِيهَا وَمَوْتُهُ بَسِيرَةٌ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
 الْقَلِيلُ مِنَ أَهْلِ الْفَلَاحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادَاتِ وَالْمَكْتَسَبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا إِنَّمَا فِي  
 قِيَمِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَتَبَيَّنَ مَعْنَى الرِّزْقِ وَأَنَّهُ الْمَنْتَفَعُ بِهِ فَقَدَبَانِ مَعْنَى الْكَسْبِ  
 وَالرِّزْقِ وَشَرَحَ مُسَاهِمًا وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا فَقِدْتَ الْأَعْمَالَ أَوْ قَلَّتْ بِانْتِقَاصِ الْعُمُرَانِ  
 تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْأَنْزَى إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ أَلَا كَيْفَ يَقِلُّ الرِّزْقُ  
 وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدُ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمُرَانُهَا  
 أَكْثَرُ يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالًا وَأَشَدَّ رَفَاهِيَةً كَمَا قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَقُولُ  
 الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمُرَانُهَا إِنَّمَا قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنَّ الْأَنْهَارَ وَالْعِيُونَ  
 يَنْقَطِعُ جَزْئُهَا فِي الْقَفْرِ لَمَّا أَنَّ قُوَّةَ الْعِيُونِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاتِ وَالْأَمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
 بِالْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَمَا لَمْ يَكُنْ إِنْبَاتٌ وَلَا أَمْتِرَاءٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ  
 بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَحِفُّ الصَّرْعُ إِذَا تَرَكَ أَمْتِرَاؤُهُ وَانْظَرُهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُعْهَدُ فِيهَا الْعِيُونَ  
 لِأَيَّامِ عُمُرَانِهَا ثُمَّ يَا نِي عَلَيْهَا الْخُرَابُ كَيْفَ تَعُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَانَتْ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
 مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ  
 الْعَيْشِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَيْشُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَذِهِ جُعِلَتْ مَوْضِعًا لَهُ عَلَى  
 طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ ثُمَّ إِنْ تَحْصِيلُ الرِّزْقِ وَكَسْبُهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ يَدِ الْغَيْرِ  
 وَانْتِزَاعِهِ بِالْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونِ مُتَعَارِفٍ وَيُسَمَّى مَقْرَمًا وَجَبَابَةً وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ  
 مِنَ الْحَيَوَانِ الْوَحْشِيِّ بِاقْتِرَاسِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ النَّبْرِ أَوْ الْجَعْرِ وَيُسَمَّى أَصْطِيَادًا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فُضُولِهِ الْمُنْصَرَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
مَنَافِعِهِمْ كَالَّذِينَ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دَوْدِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
فِي الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرَتِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كُلُّهُ فَلْعًا وَإَمَّا  
أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مُعَيَّنَةٍ وَتُسَمَّى الصَّنَائِعُ مِنْ كِتَابَةِ  
وَفَجَارَةِ وَخِيَاطَةِ وَحَيَاكَةِ وَفُرُوسِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
الْأَنْتِهَانَاتِ وَالنَّصْرَفَاتِ وَإَمَّا أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْبَضَائِعِ وَإِعْدَادِهَا لِلْأَعْوَاضِ  
إِمَّا بِالْقَلْبِ بِهَا فِي الْبِلَادِ وَاحْتِكَارِهَا وَارْتِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَتُسَمَّى هَذِهِ تِجَارَةً  
فَهِيَ وَجْهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
كَالْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفَلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ قَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
الْجَبَايَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفَلَاحَةُ وَالصَّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجْهُ  
طَبِيعِيٍّ لِلْمَعَاشِ أَمَّا الْفَلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِالذَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ  
فَطَرِيقَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تُنْسَبُ فِي الْخَلْقَةِ إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
مُعَلِّمُهَا وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَقْدَمُ وَجْهُ الْمَعَاشِ وَأَنْسَبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
الصَّنَاعَةُ فَهِيَ تَأْنِيَّتُهَا وَمُتَأَخَّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَّفُ فِيهَا الْأَنْكَارُ وَالْإِنْظَارُ  
وَلِهَذَا لَا يَجُودُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْخَضِرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٌ عَنْهُ وَمِنْ هَذَا  
الْمَعْنَى نُسِبَتْ إِلَى أَذْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْخَلْقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَنْبِطُهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
بِالتَّوْحِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَالْأَكْثَرُ مِنْ  
طُرُقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحِيلَاتٌ فِي الْحَصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ فِي الشَّرَاءِ وَالتَّبَيْعِ  
لِتَحْصُلَ فَايِدَةُ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفَضْلَةِ وَلِذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمُكَاسَبَةَ لِمَا أَنَّهُ  
مِنْ بَابِ الْمُقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِمَالِ الْغَيْرِ مَجَانًّا فَلِهَذَا اخْتَصَّ بِالشَّرْوَعيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اِتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمُلْكِ  
الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ

غَنَاءَهُ فِيهِ وَيَتَكَفَّلُ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنْ يَتِّبَ مَالِهِ وَهَذَا كُلُّهُ مُنْدرَجٌ فِي الْإِمَارَةِ وَمَعَالِشِهَا  
 إِذْ كُلُّهُمْ يَتَسَبَّبُ عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكُ الْأَعْظَمُ هُوَ يَتَّبِعُ جَلَّاءِ لِيَوْمِهِ وَأَمَّا مَا  
 دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْخِدْمَةِ فَسَبَبُهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُتَرَفِّينَ يَتَرَفَّعُونَ عَنْ مُبَاشَرَةِ حَاجَاتِهِ أَوْ يَكُونُ  
 عَاجِزًا عَنْهَا لِمَا زِيَّيَ عَلَيْهِ مِنْ خُلُقِ النِّعَمِ وَالتَّرَفِّ فَيَتَّخِذُ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ وَيَقْطَعُهُ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا مِنْ مَالِهِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ غَيْرُ مُعْدُودَةٍ بِحَسَبِ الرُّجُولِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ إِذِ الْفِتْنَةُ  
 بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ وَلَئِنْهَا تَزِيدُ فِي الْأَوْظَافِ وَالْخُرُجِ وَتَدُلُّ عَلَى الْفُتْنَةِ وَالْخُلُقِ الَّذِي يَنْبَغِي  
 فِي مَذَاهِبِ الرُّجُولِيَّةِ الْكَثْرَةُ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ تَقْلِبُ طِبَاعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَوْفَهَا فَهُوَ  
 أَتَمُّ عَوَائِدِهِ لَا أَتَمُّ نَسَبِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَالْخُدِيمُ الَّذِي يُسَمِّكُنِي بِهِ وَيُوَثِّقُ بَغَائَتِهِ كَالْمُقْقُودِ  
 إِذْ الْخُدِيمُ الْقَائِمُ بِذَلِكَ لَا يَبْغِي أَنْ يَزِيحَ حَالَاتٍ إِمَّا مُضْطَلِعٌ بِأَمْرِهِ وَلَا مَوْثُوقٌ فِيمَا يَحْصُلُ  
 بِيَدِهِ وَإِمَّا بِالْعَكْسِ فِي إِحْدَاهُمَا فَقَطْ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ مُضْطَلِعًا غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَوْ مَوْثُوقًا غَيْرَ  
 مُضْطَلِعٍ فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْمُضْطَلِعُ الْمَوْثُوقُ فَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا اسْتِعْمَالُهُ بِوَجْهِهِ إِذْ  
 هُوَ بِأَضْطِلَاعِهِ وَثِقَتِهِ غَنِيٌّ عَنْ أَهْلِ الرُّتَبِ الدِّينِيَّةِ وَتَحْتَقِرُ لِعِثَالِ الْأَجْرِ مِنَ الْخِدْمَةِ  
 لِاقْتِدَارِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا الْأُمَرَاءُ أَهْلُ الْجَاهِ الْعَرِيشِ الْمُعَمَّومِ  
 الْحَاجَةِ إِلَى الْجَاهِ وَأَمَّا الصَّنْفُ الثَّانِي وَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ بِمُضْطَلِعٍ وَلَا مَوْثُوقٍ فَلَا يَنْبَغِي  
 لِمَعَالِفِ اسْتِعْمَالِهِ لِأَنَّهُ يُنْجَحِفُ بِخُدُومِهِ فِي الْأَمْرَيْنِ مِمَّا يَفْضِيحُ عَلَيْهِ لِعَدَمِ الْأَصْطِنَاعِ  
 نَارَةً وَيَذْهَبُ مَالُهُ بِالْخِلَافَةِ الْآخَرَى فَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كُلُّهُ عَلَى مَوْلَاهُ فَهَذَانِ الصَّنِفَانِ لَا  
 يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْتِعْمَالُ الصَّنِفَيْنِ الْآخَرَيْنِ مَوْثُوقٍ غَيْرَ مُضْطَلِعٍ  
 وَمُضْطَلِعٍ غَيْرَ مَوْثُوقٍ وَلِلنَّاسِ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَهُمَا مَذْهَبَانِ وَلِكُلِّهِ مِنَ التَّرْجِيحَيْنِ وَجْهٌ  
 إِلَّا أَنَّ الْمُضْطَلِعَ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَرْجَحُ لِأَنَّهُ يُؤْمَنُ مِنْ تَضْيِيعِهِ وَيَعَاوَلُ عَلَى التَّحَرُّزِ  
 مِنْ خِيَانَتِهِ جُهْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ وَأَمَّا الْمُضْطَلِعُ وَلَوْ كَانَ مَأْمُونًا فَضَرَرُهُ بِالتَّضْيِيعِ أَكْثَرُ مِنْ  
 نَفْعِهِ فَأَعْلَمُ ذَلِكَ وَاسْتَغْنَاهُ قَانُونًا فِي الْأَلَيْسَ كُنَاءَ بِالْخِدْمَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكوز ليس بعماش طبيعي  
 اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول في الالمصار يعرضون على استغراج الاموال من



تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَتَّبِعُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ مُخْتَزَنَةٌ  
كُلُّهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مَخْتُومٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطَلَاسِمِ سِحْرِيَّةٍ لَا يَبْضُ خَتَمُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَثَرَ  
عَلَى عِلْمِهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ النُّجُومِ وَالْذُّعَاءِ وَالْقُرْبَانِ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيقَةٍ يَرَوْنَ  
أَنَّ الْأَفْرِيقَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي  
الْصُّخْرِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ  
يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَمَمِ الْقَبِطِ وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشَبِّهُ حَدِيثَ  
خُرَافَةٍ مِنْ أَنْتَهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِلذِّكْرِ إِلَى حَنْزَرٍ مَوْضِعِ الْمَالِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طِلْسَمَهُ  
وَلَا خَبْرَهُ فَيَجِدُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالذِّبْدَانِ أَوْ يَشَاهِدُ الْأَمْوَالَ وَالْجُوهَرَ مَوْضُوعَةً  
وَالْحَرَسُ دُونَهَا مُنْتَصِبِينَ سِوَاهُمْ أَوْ تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ حَتَّى يَطْلُغَهُ خَسْفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ  
مِنْ الْمَهْدَرِ وَيَجِدُ كَثِيرًا مِنْ طَلَبَةِ الْبَزِيرِ بِالْمَغْرِبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ  
وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْرَاقِ الْمَخْتَرَمَةِ الْحَوَاشِي إِمَّا بِمُخْطُوطٍ عَجْمِيٍّ أَوْ  
بِمَا تُرْجِمُ بِزَعْمِهِمْ مِنْهَا مِنْ خُطُوطِ أَهْلِ الدِّقَانِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِيهَا  
يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْعَثُونَهُ عَلَى الْحَفْرِ وَالطَّلَبِ وَيُعَوِّهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا  
حَمَلْنَاهُمْ عَلَى الْإِسْتِمَاعَةِ بِهِمْ طَلَبِ النِّجَاحِ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَثَالِ الْحُكْمِ وَالْعُقُوبَاتِ وَرَبَّمَا  
تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ يُعَوِّدُ بِهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا  
بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ بِمَعزُولٍ عَنِ السِّحْرِ وَطَرَفِهِ فَتَوَلَّى كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ يَجْمَعُ  
الْأَبْيَدِي عَلَى الْإِحْتِفَارِ وَالتَّسَتُّرِ فِيهِ يَظْلِمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرَّقَبَاءِ وَعِيُونَ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا  
لَمْ يَعْثُرُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطِّلْسَمِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ  
يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنْ إِخْفَاقِ مَطْلَمِهِمْ وَالَّذِي يَحْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ زِيَادَةً  
عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ النُّجُزُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنَ  
النَّجَارَةِ وَالْقَلْعِ وَالصَّنَاعَةِ فَيُطْلَبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمَعْرِفَةِ وَعَلَى غَيْرِ الْحِجْزِ الطَّبِيعِيِّ مِنْ  
هَذَا وَأَمثالِهِ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ وَرُكُونًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ  
وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَأَكْنَسَابِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِتِّبَاعِ ذَلِكَ مِنْ  
غَيْرِ وَجْهِهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجُهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
لِلنَّالِ الْعُقُوبَاتِ وَرَبَّمَا يَحْتَمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةُ التَّرَفِ وَعَوَائِدُهُ وَخُرُوجُهَا

عَنْ حَدِّ النَّهَايَةِ حَتَّى تُقْصَرَ عَنْهَا وَجُوهُ الْكَسْبِ وَهَذَاهِيهِ وَلَا تَنِي بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
عَنِ الْكَسْبِ بِالْعَجْزِ الطَّيِّبِ لَمْ يَجِدْ وَلِجَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا التَّوْبَتِي لَوْجُودِ الْعَمَالِ الْعَظِيمِ  
دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كِلَانَةٍ لِيَنِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَمْرِهَا فَيُخْرُصُ عَلَى ابْتِغَاءِ ذَلِكَ  
وَيَسْتَعِي فِيهِ جُودَهُ وَلِهَذَا فَأَكْثَرُ مَنْ تَرَاهُمْ يَخْرُصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمْ الْمَتَرِفُونَ مِنْ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ الْمُنْسَعَةِ الْأَحْوَالِ مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي  
مَعْنَاهَا فَجِدُ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ مُغْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ وَهَسَاءَ لَهُ الرُّكْبَانُ عَنْ شَوَادِهِ  
كَمَا يَخْرُصُونَ عَلَى الْكَيْمِيَاءِ هَكَذَا بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مُنَاقَضَةٍ مِنْ بَلَقُونَهُ مِنْ  
طَلَبَةِ الْمَغَارِبَةِ لَعَلَّهُمْ يَعْرِضُونَ مِنْهُ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ وَيَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ التَّجَسُّعَ عَنْ  
تَغْوِيرِ الْمِيَاهِ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كُلَّهَا فِي تَجَارِي النِّيلِ وَأَنَّهُ أَعْظَمُ  
مَا يَسْتَرُ دَفِينًا أَوْ تُخْتَرَنًا فِي تِلْكَ الْأَفَاقِ وَيُعْمَوُهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ الدَّفَاتِرِ الْمُفْتَغَلَةِ  
فِي الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجُرْيَةِ النِّيلِ تَسْرًا بِذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ حَتَّى يَحْصَلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ فَيُخْرُصُ سَامِعٌ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُصُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخِرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مِثْغَاهُ  
مِنْ هَذِهِ كَلَفًا بِشَأْنِ السَّخِرِ مُتَوَارِنًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوَّلِيهِ لَعَلَّوْهُمْ السَّخِرِيَّةُ وَأَنَارُهَا  
بَاقِيَةٌ بِأَرْضِهِمْ فِي الْبَرَارِي وَغَيْرِهَا وَقِصَّةُ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ بِإِخْصَاءِهِمْ بِذَلِكَ  
وَقَدْ تَنَاقَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قِصِدَةً يَنْسِبُونَهَا إِلَى حُكَمَاءِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ  
الْعَمَلِ بِالتَّغْوِيرِ بِصِنَاعَةِ سَخِرِيَّةٍ حَسَبًا تَرَاهُ فِيهَا وَهِيَ هَذِهِ

يَا طَالِبَ السِّرِّ فِي التَّغْوِيرِ  
دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ صَنَعُوا فِي كُتُبِهِمْ  
وَأَسْنَعُ لِيَصِدَقَ مَقَالِي وَتَصِحِّي  
فَإِذَا أَرَدْتَ تَغْوَرَ الْبُيُوتِ الَّتِي  
صَوَّرَ كُصُورُكَ الَّتِي أَوْقَفْتَهَا  
وَيَدَاهُ مَا سَكَنَ لِلْعَجَلِ الَّذِي  
وَيَصْدَرُهُ هَاهُ كَمَا عَابَتْهَا  
وَيَطَّأُ عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مُلَامِسٍ  
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ خُطٌّ دَائِرٌ  
إِسْتَمِعْ كَلَامَ الصِّدِّيقِ مِنْ خَيْرٍ  
مِنْ قَوْلِ بُهْتَانٍ وَلَقَطِ غُرُورٍ  
إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ لَا يَرَى بِالزُّورِ  
حَارَتَ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ  
وَالرَّأْسُ رَأْسُ الشَّيْلِ فِي التَّغْوِيرِ  
فِي الدَّلْوِ يَنْشَلُ مِنْ قَرَارِ الْبِيرِ  
عَدَدُ الطَّلَاقِ أَخَذَ مِنَ التَّكْرِيرِ  
مَشِيِ الْأَلْيَبِ الْكَتَيْسِ النَّخْرِيرِ  
تَرْيِيعُهُ أَوَّلِي مِنَ التَّكْوِيرِ

وَأَذْمَجَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالنَّحْلَ بِهِ  
بِالسَّنْدَرُوسِ وَبِالْأَبَانِ وَمِيعَةٍ  
مِنْ أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرَ لَا أَرْقَى  
وَيَسْنُدُهُ خَيْطَانُ صُوفٍ أَيْضًا  
وَالطَّالِعُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَنُوتُوا  
وَالْبَذْرُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدِ عَطَارِدٍ فِي يَوْمِ سَبْتِ سَاعَةِ التَّنْذِيرِ

يَعْنِي أَنَّ تَكُونِ الطَّاءَاتِ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَيْهَا وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ  
تَمَوِّهَاتِ الْمُتَخَرِّفِينَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَأَصْطِلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ وَتَنْتَهِي التَّخْرِيفَةُ  
وَالْكَذِبُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ الْمَشْهُورَةَ وَالْذُّورَ الْمَعْرُوفَةَ لِمِثْلِ هَذِهِ  
وَيُخَفِّرُونَ الْخَفَرَ وَيَضَعُونَ الْمَطَابِقَ فِيهَا وَالشَّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَائِفِ كَتَبِهِمْ  
ثُمَّ يَقْصِدُونَ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَائِفِ وَيَعْتُونَ عَلَى كِبَرَاءِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ  
وَسُكْنَاهُ وَيُوهَمُونَ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ لَا يَبْعُرُ عَنْ كَثْرَتِهِ وَبَطَالِيُونُ بِالْمَالِ لِاشْتِرَاءِ  
الْعَقَاقِيرِ وَالْبُخُورَاتِ لِحُلِّ الطَّلَاسِمِ وَيَعِدُونَهُ يَظْهَرُ الشَّوَاهِدُ الَّتِي قَدْ أَعْدَوْهَا هُنَاكَ  
بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فَعْلِهِمْ فَيَنْبَغُ لِمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَشْعُرُ وَيَنْتَهَمُ فِي ذَلِكَ أَصْطِلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يَلْتَسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ لِيُغْفَى عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِمْ  
فِيمَا يَتْلُونَهُ مِنْ حَفَرٍ وَبُخُورٍ وَذَنْجٍ حَيَوَانٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ فَلَا أَضِلُّ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَلَا خَيْرَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُنُوزَ وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ لَكِنَّهَا  
فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتِّفَاقِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَعْمُ  
بِهِ الْبُلُوى حَتَّى يَدْخُرَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَخْتُمُونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ لَا  
فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ وَالزُّكْرُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَفَرَضَهُ الْفُقَهَاءُ وَهُوَ دَفِينُ  
الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا يُوجَدُ بِالْعُتُورِ وَالْإِتِّفَاقِ لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ وَأَيْضًا قَمِنَ اخْتِزَنَ مَالَهُ وَحَتَمَ  
عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ فَقَدْ بَالَعَ فِي إِخْفَائِهِ فَكَيْفَ يَنْصُبُ عَلَيْهِ الْأَدَلَّةَ وَالْأَمَارَاتِ  
لِمَنْ يَتَّبِعُهُ وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَائِفِ حَتَّى يَطَّلَعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْأَفَاقِ  
هَذَا يَنَاقِضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ وَأَيْضًا فَأَفْعَالُ الْعُقَلَاءِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ لِعَرَضٍ مَقْصُودٍ  
فِي الْإِتِّفَاقِ وَمَنْ اخْتَزَنَ الْمَالَ فَإِنَّهُ يَخْتَرِنُهُ لَوْلَاهُ أَوْ قَرِيبُهُ أَوْ مَنْ يُؤْتِرُهُ وَأَمَّا أَنْ

يَقْصِدُ اخْتِائَهُ بِالْكَلِمَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
بِالْكَلِمَةِ مِمَّنْ سَيَأْتِي مِنَ الْأُمَمِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقَلَاءِ بِوَجْهِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
أَيْنَ أَمْوَالُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا وَمَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثَرَةِ وَالْوُفُورِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنْ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْتَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَاسِبُ مِثْلُ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ  
وَالرَّصَاصِ وَسَائِرِ الْعُقَارَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمُرَانُ يُظَهِّرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَيَزِيدُ  
فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا انْتَقَلَ مِنْ  
فُطُرٍ إِلَى فُطُرٍ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ اغْتِرَاضِهِ وَالْعُمُرَانُ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنْ  
نَقَصَ الْمَالُ فِي الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِهِ فَلَمْ يَنْقُصْ بِلَادَ الصَّقَالِيَةِ وَالْإِفْرِنجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ الْآلَاتُ وَالْمَكَاسِبُ وَالْعُمُرَانُ  
يُوقِرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يَدْرِكُهَا الْبَلَاءُ كَمَا يَدْرِكُ سَائِرَ أَلْهَ وَجُودَاتِ  
وَيُسْرِعُ إِلَى اللُّوْلُؤِ وَالْجَوْهَرِ اعْظَمَ مِمَّا يَسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ  
وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْفَصْدِيرُ بِئَالِهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتٍ  
وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكُذُورِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكَةِ الْقَبْطِ  
مُنْذُ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السِّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يُدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
وَالْجَوْهَرِ وَاللَّالِئِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلِ فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقَبْطِ وَمَلَكَ  
الْفَرَسُ بِلَادَهُمْ تَقَرَّوْا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
كَالْأَهْرَامِ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
مَظَنَّةً لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَمْدِ وَيُعْتَرَى عَلَى الدِّفْنِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَدْفَنُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدِّفْنِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَابِيَتْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
مُعَدَّةٌ لِذَلِكَ فَصَارَتْ قُبُورُ الْقَبْطِ مِنْذُ آلَافٍ مِنَ السِّنِينَ مَظَنَّةً لُجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
عَنِي أَهْلُ مِصْرَ بَالْتِمَحُّ عَنِ الْمَطَالِبِ لُجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ ضَرَبَتْ  
الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ آخِرَ الدَّوْلَةِ ضَرَبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ ضَرْبَةً عَلَى مَنْ  
يَسْتَعْلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَمَى وَالْمُهَوِّسِينَ فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاطُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
الدَّرِيئَةَ إِلَى الْكُشْفِ عَنْهُ وَالذَّبْحِ بِاسْتِخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخُبْيَةِ فِي جَمِيعِ  
مَسَاعِيهِمْ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْوَسْوَاسِ وَأَبْتَلِي بِهِ أَنْ

يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَتَصَرَّفَ عَنْ طُرُقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِالْمَحَالَّاتِ وَالْمَكَاذِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْحُطُوءَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ يَسَارًا وَثَرَوَةً مِنْ فَاقِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ يَتَخَذُومُ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّرَافُفِ وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَالْأَنَاسُ مُعِينُونَ لَهُ بِالْأَعْمَالِ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي فَتَحْصُلُ فِيمَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلُّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ يَسْتَعْمِلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ فَتَتَوَقَّرُ فِيمَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ فَهُوَ بَيْنَ فِيمَ لِلْأَعْمَالِ يَكْتَسِبُهَا وَفِيمَ أُخْرَى تَدْعُوهُ الْفَرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَتَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتَقْدِرُ الْغَنَى لِأَقْرَبِ وَقْتٍ وَيَزْدَادُ مَعَ الْآبَاءِ يَسَارًا وَثَرَوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ الْإِمَارَةُ أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَفَاقِدِ الْجَاهِ بِالْكَلِيَّةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ مَالٍ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا هُمْ أَكْثَرُ التَّجَارِ وَلِهَذَا نَجِدُ أَهْلَ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَسْرَرَ بِكَثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِنَاكَ أَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ التَّقْهَاءِ وَأَهْلَ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اشْتَهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَاعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مُعَامَلَةَ اللَّهِ فِي إِزْدَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْأَعْمَالِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَسْرَعَتِ إِلَيْهِمُ الثَّرَوَةُ وَأَصْبَحُوا مَيَاسِيرَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ فِيمَ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتِ الْمَعُونَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ وَرَأَيْنَا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَادًا فِي الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ وَفِي الْبَدْوِ يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْفُلُوحِ وَالتَّجَرِّ وَكُلُّهُ هُوَ قَاعِدٌ يَمُزِلُهُ لَا يَبْرَحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْمُو مَالُهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغَنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَتَعْجَبُ مَنْ لَا يَفْطِنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي حَالِ ثَرَوَتِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتملق

وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَ لَنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ قُدِّرَ أَحَدٌ عَطِلٌ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ فَاقِدَ الْكَسْبِ بِالْكَلِمَةِ وَعَلَى قَدَرِ عَمَلِهِ وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدَرُ فَيْدِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُمُو كَسْبِهِ أَوْ تَقْصَانُهُ وَقَدْ يَنْبَغُ اتِّقَانُ الْجَاهِ بِفَيْدِ الْمَالِ لِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ مَالٍ عَوْضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَفَيْدِهَا أَمْوَالٌ وَتَرْوُهُ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالْيَسَارَ لِأَقْرَبِ وَقْتٍ ثُمَّ إِنْ الْجَاهُ مُتَوَزِعٌ فِي النَّاسِ وَمُتَرَتِّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ يَنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ فَوْقَهُمْ بَدٌّ عَالِيَةٌ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا بَيْنَ أَهْلِ بَنِي جَنَسِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشُهُمْ وَلِتَبَسَّرَ مَصَالِحُهُمْ وَيَتِمَّ بَقَاؤُهُمْ لِأَنَّ النَّوعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ إِلَّا بِالْتَعَاوُنِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ فَقَدْ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَفْرُوضَةٍ لَا يَصُحُّ بَقَاؤُهُ ثُمَّ إِنْ هَذَا التَّعَاوُنُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْأَكْرَامِ عَلَيْهِ لِحَالِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النَّوعِ وَلِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْيَارِ وَأَنَّ أَفْعَالَهُمْ إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرَّيَّةِ لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حُمْلُهُ عَلَيْهَا فَلَا بُدَّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرِهُهُ أَهْلُ النَّوعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِيَتِمَّ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي بَقَاءِ هَذَا النَّوعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِغْرَبًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُهُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْجَاهَ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَامِلَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَهْلِ جَنَسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسْلُطِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ لِيَعْمَلَهُمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعَنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالذَّاتِ وَالْثَّانِي دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشُّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ وَجُودُ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرٍّ يَسِيرٍ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَقَعُ

عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْبَسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَفُوعِ الظُّلْمِ فِي الْخَلِيقَةِ فَفَهَّمَهُ ثُمَّ إِنَّ  
كُلَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ الْعُمْرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مَنْ دُونَهَا مِنْ  
الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَعِذُّ بِذِي أَلْبَاهِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
وَيَزِدَادُ كَسْبُهُ تَصَرُّفًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَعِذُّ مِنْهُ وَالْجَاهُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ وَيَنْهَعُ وَيَضِيقُ بِمَسَبِّ الطَّبَقَةِ وَالطُّورِ الَّذِي فِيهِ  
صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ الْجَاهُ مُنْسَبًا كَانَ الْكَسْبُ النَّاسِي عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيْقًا فَلَيْلًا  
قَتْلُهُ وَفَاقِدَ الْجَاهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ بِسَارِهِ إِلَّا بِعَقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
سَبْعِهِ ذَاهِبًا وَآيَا فِي تَنَمُّيَتِهِ كَأَكْثَرِ النُّجَارِ وَأَهْلِ الْفَلَاحَةِ فِي الْغَالِبِ وَأَهْلِ الصَّنَائِعِ  
كَذَلِكَ إِذَا فَقِدُوا الْجَاهَ وَاقْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَأَنْتَهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى الْفَقْرِ  
وَالْخِصَاصَةِ فِي الْأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ ثَرَوَةٌ وَإِنَّمَا يُرْمَقُونَ الْغَيْشَ تَرْمِيقًا وَيُدْفَعُونَ  
ضَرُورَةَ الْفَقْرِ مُدَافَعَةً وَإِذَا تَفَرَّرَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْجَاهَ مُتَفَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالْخَيْرَ مُقْتَرِنَانِ  
مُحْصُولُهُ عِلْمَتْ أَنَّ بَذْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَجْلَبَهَا وَأَنَّ بَاذِلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُنْعَمِينَ  
وَإِنَّمَا يَبْذُلُهُ إِمْنٌ تَحْتَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ بَذْلُهُ بِيَدِ عَالِيَةٍ وَعِزَّةٌ فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى  
خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْمُلُوكُ وَالْأَفْتَعْدَرُ حُصُولَهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّ  
الْخُضُوعَ وَالتَّمَلُّقَ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا الْجَاهِ الْمُحْتَمِلِ لِلْسَّعَادَةِ وَالْكَسْبِ وَإِنْ  
أَكْثَرَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهَذَا التَّمَلُّقِ وَلِهَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفِّعِ  
وَالنَّسَمِ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ الْجَاهِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسِبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْكِبْرَ وَالتَّرَفُّعَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
مِنْ تَوْفَرِ الْكَمَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بَضَاعَتِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالْعَالِمِ الْجَبَّارِ  
فِي عِلْمِهِ وَالْكَاتِبِ الْمُجِيدِ فِي كِتَابَتِهِ أَوْ الشَّاعِرِ الْبَلِغِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُحْسِنٍ فِي  
صِنَاعَتِهِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ لِمَا يَبْدِيهِ فَيَحْدُثُ لَهُ تَرْفُّعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهَّمُ  
أَهْلُ الْأَنْسَابِ مِمَّنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مَشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طَوْرِ يُعِيرُونَ بِهِ بِمَا  
وَأَوْهُ أَوْ سَمُومَهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
إِلَيْهِمْ وَوَرَاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مَتَمَسِّكُونَ فِي الْحَاضِرِ بِالْأَمْرِ الْمَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
الْحِيلَةِ وَالْبَصْرِ وَالنَّجَارِ بِالْأُمُورِ قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِجَابًا

إِلَيْهِ وَيَجِدُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافَ كُلَّهُمْ مُتَرَفِّعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَغْضِرُونَ مِنْ سِوَاهُمْ لِاعْتِقَادِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَنْكِفُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَيَعْدُهُ مَذَلَّةً وَهُوَ أَنَا وَسَنَهَا وَيُعَاسِبُ النَّاسَ فِي مَعَامَلَتِهِمْ إِيَّاهُ بِعِمْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَعْتَدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَهَّمُهُ مِنْ ذَلِكَ وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُمُومُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَعْرِ فِي عَنَاءٍ عَظِيمٍ مِنْ إِيْجَابِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِيْبَابِهِ النَّاسَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْصُلُ لَهُ الْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ لِمَا فِي طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ النَّالِ وَقُلْ أَنْ يَسْلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَحَدٍ فِي الْكَمَالِ وَالْتِرَفِّ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي ضَمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَقْقُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقْتَهُ النَّاسُ بِهَذَا التَّرَفِّعِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَظٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفُقِدَ الْجَاهُ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ الْمَقْتِ وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُودِ عَنْ تَعَاهُدِهِمْ وَعَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَفَسَدَ مَعَاشُهُ وَبَقِيَ فِي خِصَاصَةٍ وَقَفَرُ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَأَمَّا الثَّرْوَةُ فَلَا تَحْصُلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا اشتهر بين الناس أَنَّ الْكَلِيلَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ مِنَ الْحَظِّ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رَزَقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَاقْتُطِعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَظِّ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خُلِقَ لَشَيْءٍ يُسْرَهُ وَهُوَ اللَّهُ الْمُقَدِّرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ بَقِيَ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْمَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَبَرْتَفَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلِيَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلِ إِذَا بَلَغَتْ نَهَايَتَهَا مِنَ التَّغْلِبِ وَالْإِسْطِطَالَةِ انْفَرَدَ مِنْهَا مَنِيبُ الْمَلِكِ بِمُلْكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيَبْسُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبِ دُونَ رَتَبَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَانَهُمْ خَوْلٌ لَهُ فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدُّوَلَةُ وَشَمَخَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حِينُنْدِي الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلِّ مَنْ أَتَمَّى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِعِنَانِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مِهْمَاتِهِ فَجَدَّ كَثِيرًا مِنَ السُّوْقَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِحِدَّةٍ وَنُضْجَةٍ وَيَتَرَفُّعُ إِلَيْهِ بِوُجُوهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظِيمٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّمَلُّقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلِ نَسَبِهِ حَتَّى يَرْتَبِحَ قَدَمَهُ مَعَهُمْ وَيَنْظُمَهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ لِيَحْصُلَ لَهُ بِذَلِكَ حَظٌّ عَظِيمٌ مِنْ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمَ فِي عَدَدِ أَهْلِ الدُّوَلَةِ وَنَاشِئَةِ الدُّوَلَةِ حِينُنْدِي مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ ذَلُّوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهْدُوا أَكْفَانَهُمْ مُغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ لَمْ



تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِإِثَارِهِ وَيَجْزُونَ فِي مِضْمَارِ الدَّوْلَةِ بِسَبِّهِ  
فَيَمَقْتُهُمُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَيُبَاعِدُهُمْ وَيَمِيلُ إِلَى هَوْلَاءِ الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقَوْلِهِمْ وَلَا يَذْمُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِنَّمَا دَأُّهُمْ الْخُضُوعُ لَهُ وَالتَّمَلُّقُ وَالْإِعْتِمَالُ فِي  
عَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَبَّحُ جَاهَهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاطِرُ  
بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ وَيَقْنَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ  
التَّرَفُّعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالتَّعْدِيمِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بُعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَوْلَاءِ  
الْمُصْطَفِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَقْرَضَ الدَّوْلَةُ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ  
الْمُصْطَفِينَ فِي الْغَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان

ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ النِّكَسَبَ كَمَا قَدَّمَاهُ فِيمَا الْأَعْمَالِ وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَاءِ عَامَّةٍ الْكُلَى بِهِ كَانَتْ فِيمَتِهَا  
أَعْظَمُ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّينِيَّةِ لَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَّةُ الْخَلْقِ  
وَأِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِمَّنْ أَقْبَلَ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَحْتِجَّ إِلَى الْفَتَا وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَضْطِرَارِ وَالْعُمُومِ فَيَقَعُ الْأَسْتِغْنَاءُ عَنْ هَوْلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَأِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَامِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حَقًّا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي قَرَنَاهُ لَا يُسَاوِيهِمْ بِأَهْلِ  
الشُّوْكَهْ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّينُ وَالْأَمْرَامُ الشَّرْعِيَّةُ لِكُنْهَ يَقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُمُومِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَاءِ فَلَا يَبْصَحُ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لِشَرَفِ  
بَضَائِعِهِمْ أَعِزَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهُ حَقًّا  
يَسْتَدْرُونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَقْرَعُ أَوْفَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهَذِهِ الْبَضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسْتَدَالُّ أَنْفُسُهُمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لِشَرَفِ بَضَائِعِهِمْ فَهُمْ يَمْعَزِلُ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ وَلَقَدْ  
بَاحَثْتُ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوْقَ يَدَيَّ أَوْزَاقٌ مُخَرَّجَةٌ مِنْ حِسَابَاتِ الدَّوَاوِينِ

بِدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدُّخْلِ وَالْخُرْجِ وَكَانَ فِيمَا طَاعَتْ فِيهِ أَرْزَاقُ الْقَضَاءِ وَالْأَيْمَةِ وَالْمُؤَذِّنِينَ قَوِّفَتْهُ عَلَيْهِ وَعِلِمٌ مِنْهُ صِحَّةُ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعُجْبَ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ وَاللَّهُ الْخَاطِي الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحه من معاش المتضعين واهل العافيه من البدو

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَضِرِ فِي الْغَالِبِ وَلَا مِنَ الْمُتَرَفِينَ وَيَخْتَصُّ مُنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السَّيِّئَةَ بَعْضَ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُ الدُّلُّ وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَسْتِثْنَاءِ مِنْهُ وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ بَابٌ مَا يَحْذَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأَشْتِغَالِ بِالْأَرْضِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ الْمَغْضِيِّ إِلَى التَّحْكُمِ وَالْبِدْعِ الْعَالِيَةِ فَيَكُونُ الْغَارِمُ ذَلِيلًا بَائِسًا بِمَا تَنَاقَلُوهُ أَيْدِيهِ الْقَهْرُ وَالْأَسْطِطَالَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الرِّسَالَةُ مَغْرَمًا إِشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْمُضْطُوعِ النَّاعِرِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ التَّسَلُّطُ وَالْجُورُ وَنِسَانُ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَتَمَوَّلَاتِ وَاعْتِبَارُ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمَلِكِ وَالِدَوْلِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعْلَمْ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةُ الْكَسْبِ بِتَنْمِيَةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السَّاعِ بِالرُّخْصِ وَيَبْعُهَا بِالْغَلَاءِ أَيَّامَ كَانَتِ السِّلْعَةُ مِنْ دَقِيقِ أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ قَمَاشٍ وَذَلِكَ الْقَدْرُ النَّاسِي بِسَمَى رِبْحًا فَالْمُحَاوَلُ لِنِزَالِ الرِّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَرِنَ السَّاعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ مِنَ الرُّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَإِمَّا بِأَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَنْفَقُ فِيهِ تِلْكَ السِّلْعَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التَّجَارِ لَطَلَبُ الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلَمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتَرَاهُ الرُّخْصِ وَيَبْعُ الْغَالِي فَقَدْ حَصَلَتِ التِّجَارَةُ إِشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي قَرَّرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مَعْنَى التِّجَارَةِ تَنْمِيَةُ الْمَالِ بِشِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَمُحَاوَلَةِ يَبِعِهَا بِأَعْلَى مِنْ  
 ثَمَنِ الشِّرَاءِ إِمَّا بِاتِّظَارِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ أَوْ تَقْلَبًا إِلَى بَلَدٍ هِيَ فِيهِ أَتَقَى وَأَعْلَى أَوْ يَبِعُهَا  
 بِالْفَلَاءِ عَلَى الْأَجَالِ وَهَذَا الرَّبْحُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ الْمَالِ بِسَبِيلٍ إِلَّا أَنَّ الْمَالَ إِذَا  
 كَانَ كَثِيرًا عَظُمَ الرَّبْحُ لِأَنَّ الْقَلِيلَ فِي الْكَثِيرِ كَثِيرٌ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي مُحَاوَلَةِ هَذِهِ  
 التَّنْمِيَةِ مِنْ حُصُولِ هَذَا الْمَالِ بِأَيْدِي الْبَاعَةِ فِي شِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَيَبِعِهَا وَمُعَامَلَتِهِمْ فِي  
 تَقَاضِي أَدْيَانِهَا وَأَهْلُ النِّصْفَةِ قَلِيلٌ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَشْرِ وَالنِّصْفِ الْعَجِيفِ بِالْبَضَائِعِ  
 وَمِنْ الْمَطْلِ فِي الْأَثْمَانِ النُّجْيفِ بِالرَّبْحِ كَتَعْطِيلِ الْمُحَاوَلَةِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَبِهَا نَمَاؤُهُ  
 وَمِنْ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ الْمُنْعَتِ لِرَأْسِ الْمَالِ إِنْ لَمْ يَتَّقِدْ بِالْكِتَابِ وَالشَّهَادَةِ  
 وَغَنَى الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ قَلِيلٌ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الظَّاهِرِ فَيُعَانِي التَّاجِرُ مِنْ ذَلِكَ  
 أَحْوَالًا صَعْبَةً وَلَا يَكَادُ يَحْصُلُ عَلَى ذَلِكَ التَّائِهِ مِنَ الرَّبْحِ إِلَّا بِعِظَمِ الْعَنَاءِ وَالْمُسَقَّاةِ  
 أَوْ لَا يَحْصُلُ أَوْ يَتَلَاشَى رَأْسَ مَالِهِ فَإِنْ كَانَ جَرِيئًا عَلَى الْخُصُومَةِ بِصِرًا بِالْحِسَابِ شَدِيدَ  
 الْمُحَاحَكَةِ مَقْدَمًا عَلَى الْحُكْمِ كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَهُ إِلَى النِّصْفَةِ بِجُرْأَتِهِ مِنْهُمْ  
 وَمُمَاحَكَتِهِ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَاهٍ يَدْرَعُ بِهِ يُوَفِّقُ لَهُ أَلْمِيَّةَ عِنْدَ الْبَاعَةِ وَيَحْمِلُ  
 الْحُكْمَ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ مُعَامِلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ النِّصْفَةُ فِي مَالِهِ طَوْعًا فِي الْأَوَّلِ  
 وَكُرْهًا فِي الثَّانِي وَأَمَّا مَنْ كَانَ فَاقِدًا لِلْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ مِنْ نَفْسِهِ فَاقْدِ الْجَاهِ مِنَ الْحُكْمِ  
 فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْتِيبَ الْإِحْتِرَافَ بِالتِّجَارَةِ لِأَنَّهُ يُعْرِضُ مَالَهُ لِلضَّيَاعِ وَالْهَلَاكِ وَبَصِيرَ  
 مَا كُلَّهُ لِلْبَاعَةِ وَلَا يَكَادُ يَنْتَصِفُ مِنْهُمْ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي النَّاسِ وَخُصُوصًا الرَّعَاعُ وَالْبَاعَةُ  
 شَرُّهُنَ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ سِوَاهُمْ مُتَوَثِّبُونَ عَلَيْهِ وَلَوْلَا وَازِعُ الْأَحْكَامِ لَأَصْبَحَتْ  
 أَمْوَالُ النَّاسِ نَهَبًا وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ

### الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والمالوك  
 وَذَلِكَ أَنَّ الشُّجَارَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ إِنَّمَا يُعَاوَنُونَ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ

الْمُكَابَسَةِ ضَرُورَةً فَإِنْ أَقْصَرَ عَلَيْهَا أَقْصَرَتْ بِهِ عَلَى خُلُقِهَا وَحِجِّي أَعْنِي خُلُقَ الْمُكَابَسَةِ  
بَعِيدَةً عَنِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي تَخْلُقُ بِهَا الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ وَأَمَّا إِنْ أَسْتَزِدَّ خُلُقَهُ بِمَا يَتَّبِعُ  
ذَلِكَ فِي أَهْلِ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْهُمْ مِنَ الْمُمَاحَكَةِ وَالْعِشْرِ وَالْخِلَابَةِ وَتَعَاهُدِ الْإِيمَانِ  
النَّكَاذِبَةِ عَلَى الْأَثْمَانِ رَدًّا وَقَبُولًا فَاجْذِرْ بِذَلِكَ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ الْمَدَلَّةِ لِمَا  
هُوَ مَعْرُوفٌ وَلِذَلِكَ يَحْدُ أَهْلُ الرِّئَاسَةِ بِتَحَامُونِ الْأَخْرَافِ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ لِأَجْلِ مَا يَكْسِبُ  
مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَقَدْ يُوْجَدُ مِنْهُمْ مَنْ يَسْلُمُ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ وَيَتَحَامَاهُ لِشَرَفِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ  
جَلَالِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي النَّادِرِ بَيْنَ الْوُجُودِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَهُوَ رَبُّ  
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التَّاجِرُ الْبَصِيرُ بِالتِّجَارَةِ لَا يَنْقُلُ مِنَ السِّلَعِ إِلَّا مَا تَعْمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ  
وَالسُّلْطَانِ وَالسُّوقَةِ إِذْ فِي ذَلِكَ تَفَاقُ سَاعَتِهِ وَأَمَّا إِذَا اخْتَصَّ نَقْلَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَعْضُ  
فَقَطُّ فَقَدْ يَتَعَدَّرُ تَفَاقُ سَاعَتِهِ حِينَئِذٍ بِإِعْوَازِ الشَّرَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ لِعَارِضٍ مِنَ الْعَوَارِضِ  
فَتَكْسُدُ سُوقُهُ وَتَفْسُدُ أَرْبَاحُهُ وَكَذَلِكَ إِذَا نَقَلَ السِّلْعَةَ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فَإِنَّمَا يَنْقُلُ  
الْوَسْطَ مِنْ صِنْفِهَا فَإِنَّ الْعَالِيَّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ السِّلَعِ إِنَّمَا يُخْتَصُّ بِهِ أَهْلُ التَّرْوَةِ  
وَحَاشِيَةُ الدَّلَّةِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاسُ أَسْوَةً فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْوَسْطِ مِنْ كُلِّ  
صِنْفٍ فَلْيَتَحَرَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ فَيَهْدُ تَفَاقُ سِلْعَةٍ أَوْ كَسَادُهَا وَكَذَلِكَ يُنْقَلُ السِّلَعُ مِنَ الْبَلَدِ  
الْبَعِيدِ الْمَسَافَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ فِي الطَّرِيقَاتِ يَكُونُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ لِلتَّجَارِ وَأَعْظَمُ  
أَرْبَاحًا وَأَكْفَلُ بِجَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ السِّلْعَةَ الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مَعُوزَةً  
لِبُعْدِ مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْفَرَسِ فِي طَرِيقِهَا فَيَقِلُّ حَامِلُهَا وَيَعِزُّ وَجُودُهَا وَإِذَا قَلَّتْ وَعَزَّتْ  
غَلَّتْ أَثْمَانُهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ وَالطَّرِيقُ سَائِلًا بِالْأَمْنِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ  
يَكْثُرُ نَاقِلُهَا فَتَكْثُرُ وَتَرْخُصُ أَثْمَانُهَا وَلِهَذَا يَحْدُ التَّجَارُ الَّذِينَ يُؤْمَلُونَ بِالْخُلُوعِ إِلَى  
بِلَادِ السُّودَانِ أَرْقَةَ النَّاسِ وَأَكْثَرُهُمْ أَمْوَالًا لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ وَاعْتِرَاضِ الْمَقَارَةِ  
الصَّعْبَةِ الْخَطَرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ لَا يُوْجَدُ فِيهَا أَلْمَاءٌ إِلَّا فِي أَمَا كُنْ مَعْلُومَةٍ يَهْتَدِي  
إِلَيْهَا أَدِلَّاهُ أَرْكَبَانِ فَلَا يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبَعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ فَتَحْدُ

سِلْعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةٌ لَدَيْنَا فَتُخْتَصُّ بِالْعَلَاءِ وَكَذَلِكَ سَاعِنَا لَهُمْ فَيَتَعَفَّفُ بَضَائِعُ التِّجَارِ مِنْ تَنَافُلِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْمُسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ لِبَعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمُرْتَدُّونَ فِي أَفْئِي وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبَلَدَانِهِ فَقَالَتْهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَزْوَاجُهُمْ تَأْفَهُ لِكثرة السِّلْعِ وَكَثْرَةِ نَاقِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

## الفصل الثالث عشر

### في الاحتكار

وَمِمَّا اشْتَهَرَ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَرِ وَالتَّجَرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنَّ احْتِكَارَ الزَّرْعِ تَحْبِيقُ أَوْقَاتِ الْعَلَاءِ مَشْهُومٌ وَأَنَّهُ يَبْعُدُ عَلَى فَائِدَتِهِ بِالْتَلَفِ وَأَخْصِرَانِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُّونَ إِلَى مَا يَبْدُلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَالِ اضْطِرَارًا فَتَبْقَى النَّفُوسُ مُتَعَلِّقَةً بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ النَّفُوسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ تَجَانًا وَلَعَلَّهُ الَّذِي أَعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَجَانًا فَالنَّفُوسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعَذْرِ فَهُوَ كَالْمُكْرَمِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ وَالْمَأْكُولَاتِ مِنَ الدَّيْعَاتِ لَا اضْطِرَارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا التَّغْنِي فِي الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْدُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِاخْتِيَارٍ وَحَرَصٍ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أُعْطَوْهُ فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عُرِفَ بِالِاخْتِكَارِ يَجْتَمِعُ الْقَوَى النَّفْسَانِيَّةُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَلْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَفْسُدُ رِجْلُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيمَا يُنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ طَرِيفَةً عَنْ بَعْضِ مَشِيخَةِ الْعَرَبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَاضِي بِقَاسٍ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَكَلِّيُّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يُخْتَارَ بَعْضُ الْأَلْقَابِ الْخِزْنِيَّةِ لِحِرَابَتِهِ قَالَ فَأُطْرُقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ مِنْ مَكْنَسِ الْحُمْرِ فَاسْتَضَحَكَ الْحَادِمُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَجِبُوا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَبَابَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا فَأَخْتَارَ مِنْهَا مَا لَا تُتَابَعُهُ نَفْسٌ مُعْطِيهِ وَالْحَدَرُ قَلَّ أَنْ يَبْدُلَ فِيهَا أَحَدٌ مَالَهُ إِلَّا وَهُوَ طَرِبٌ مَسْرُورٌ بِوُجُودَاتِهِ غَيْرُ أَسَفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مُلَاحَظَةٌ غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الصُّدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمختارين بالرخص

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ وَالْمَعَاشَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالصَّنَاعِ أَوْ التِّجَارَةِ  
وَالْتِّجَارَةِ هِيَ شِرَاءُ الْبَضَائِعِ وَالسَّلْعِ وَأَدَّ خَارُهَا يَحْتَجُّ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ بِالزَّرِيادَةِ فِي  
أَنْمَانِهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا وَيَحْصُلُ مِنْهُ الْكَسْبُ وَالْمَعَاشُ لِلْمُخْتَرِفِينَ بِالتِّجَارَةِ دَائِمًا فَإِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصُ فِي سَاعَةٍ أَوْ عَرَضٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَلْبُوسٍ أَوْ مَتَمَوْلٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَلَمْ يَحْصُلْ لِلتَّاجِرِ حَوَالَةُ الْأَسْوَاقِ فَسَدَ الرِّبْحُ وَالنِّمَاءُ يَطُولُ تِلْكَ الْعُمْدَةُ وَكَسَدَتْ  
سُوقُ ذَلِكَ الصَّنَفِ فَفَقَدَ التَّجَارُ عَنْ السَّعْيِ فِيهَا وَفَسَدَتْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ  
أَوَّلًا بِالزَّرْعِ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَدِيمَ رُخْصَةً يَفْسُدُ بِهِ حَالُ الْمُخْتَرِفِينَ بِسَائِرِ أَطْوَارِهِ مِنْ  
الْفُلْحِ وَالزَّرْعَةِ لِقَلَّةِ الرِّبْحِ فِيهِ وَتَذَارِيهِ أَوْ فَقْدِهِ فَيَفْقِدُونَ النِّمَاءَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ  
يَعْدُونَهُ عَلَى قَلَّةٍ وَيَعُودُونَ بِالْإِتِّفَاقِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ فَسَادُ حَالِ الْمُخْتَرِفِينَ أَيْضًا بِالطَّغْنِ وَالْخَبْزِ وَسَائِرِ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِالزَّرْعَةِ مِنَ الْحَرْثِ إِلَى صَيُورَتِهِ مَا كُولا وَكَذَا يَفْسُدُ حَالُ الْمُجْدِّ إِذَا كَانَتْ  
أَرْزَاقُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْفُلْحِ زَرْعًا فَإِنَّهَا تَقْلُ جِيَابَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَعْجِزُونَ عَنْ  
إِقَامَةِ الْمُجْدِيَةِ الَّتِي هِيَ بِسَبَبِهَا وَمُطَالَبُونَ بِهَا وَمُنْقَطِعُونَ أَيْهَا فَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَكَذَا إِذَا  
اسْتَدِيمَ الرَّخْصُ فِي السُّكْرِ أَوْ الْعَسَلِ فَسَدَ جَمِيعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَقَعَدَ الْمُخْتَرِفُونَ عَنْ  
التِّجَارَةِ فِيهِ وَكَذَا الْمَلْبُوسَاتُ إِذَا اسْتَدِيمَ فِيهَا الرَّخْصُ فَإِذَا الرَّخْصُ الْمَفْرُطُ يُخَفِّفُ  
بِمَعَاشِ الْمُخْتَرِفِينَ بِذَلِكَ الصَّنَفِ الرَّخْصُ وَكَذَا الْفَلَاةُ الْمَفْرُطُ أَيْضًا وَإِنَّمَا مَعَاشُ  
النَّاسِ وَكَسْبُهُمْ فِي التَّوَسُّطِ مِنْ ذَلِكَ وَسَرَعَةِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَعَلِمَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْقَوَائِدِ الْمُتَقَرَّرَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ وَإِنَّمَا يُعْمَدُ الرَّخْصُ فِي الزَّرْعِ مِنْ بَيْنِ الْمَبِيعَاتِ  
لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَاضْطِرَارِ النَّاسِ إِلَى الْأَنْوَاتِ مِنْ بَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْمَالَةِ مِنَ  
الْخَلْقِ هُمْ الْأَكْثَرُ فِي الْعُمَرَانِ فَيَعْمُ الرِّفْقُ بِذَلِكَ وَيَرْجِعُ جَانِبُ الْقَوْتِ عَلَى جَانِبِ  
التِّجَارَةِ فِي هَذَا الصَّنَفِ الْخَاصِّ وَاللَّهُ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَمِيمَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروء ساء وبعيدة من المروءة  
 قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مذفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد  
 والأرباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمما حكة والتخاذي وممارسة الخصومات واللباج  
 وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف نقص من الذكاء والمروءة وتبرجح فيها لأن  
 الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعود بإثارة الخير والتركاء  
 وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترتفع إن سبقت وتكررت وتنفص  
 خلال الخير إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المملكات  
 الناشئة عن الأفعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن  
 كان منهم سافل الطور محالفا لأشرار الباعة أهل الغش والخلاية والتجور في الأمان  
 إقرارا وإنكارا كانت رداءة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن  
 المروءة واكتسابها بالجملة وإلا فلا بد له من تأثير المكايسة والمما حكة في  
 مروءته وفقدان ذلك منه في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل  
 قبله أنهم يدرعون بالمجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر  
 وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل  
 يته فحصل له ثروة تبعته على الاتصال بأهل الدولة ونكسبه ظهورا وشهرة بين أهل  
 عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه  
 ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره وإخافه فيبعدونه عن  
 تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فكون مروءتهم أرتج  
 وأبعد عن تلك الحاجة إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فإنهم  
 يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ورفاقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يدرون  
 من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

## الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم  
 اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري ويكونه عمليا هو جسماني

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ الْحَسُوسَةُ فَقُلُوبُهَا بِالنَّمْبَاشَةِ أَوْعِبَ لَهَا وَأَكْمَلُ لِأَنَّ  
 النَّمْبَاشَةَ فِي الْأَحْوَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْحَسُوسَةِ أَتَمُّ فَائِدَةً وَالْمَلَكَةُ صِفَةٌ رَاسِخَةٌ تَحْصُلُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَتَكَرَّرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرْتَعَ صُورَتُهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقُلُّ الْمَعَابِيَةِ أَوْعِبَ وَأَتَمُّ مِنْ تَقُلُّ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ قَالَتُ الْمَلَكَةُ الْخَالِصَةُ  
 عَنْ الْخَبَرِ عَلَى قَدَرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَائِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمَرْكَبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمَرْكَبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمُ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِبَسَاطَتِهِ  
 أَوَّلًا وَلِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيِّ الَّذِي تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى قَلْبِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَمَرَكَبَاتِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالْإِسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى تَكْمُلَ وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يَحْصُلُ  
 فِي أَزْمَانٍ وَأَجَالٍ إِذْ خُرُوجُ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيَّمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهُ إِذْنٍ مِنْ زَمَانٍ وَلِهَذَا تَجِدُ الصَّنَائِعَ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوْجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَزَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورُ التَّرَفِ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَائِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَائِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يَخْتَصُّ  
 بِأَمْرِ الْمَعَاشِ ضَرُورِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرِ ضَرُورِيٍّ وَإِلَى مَا يَخْتَصُّ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصِيَّةُ  
 الْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنْ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةُ وَالْجِزَازَةُ وَالنَّجَارَةُ  
 وَالْحِدَادَةُ وَأَمْثَالُهَا وَمِنْ الثَّانِي الْوَرَاثَةُ وَهِيَ مَعَانَاةُ الْكُتُبِ بِالْإِنْتِسَاخِ وَالْتَجْلِيدِ وَالْعِنَاءِ  
 وَالشَّعْرُ وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الثَّلَاثِ الْجُنْدِيَّةُ وَأَمْثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

في ان الصنائع انما تكمل بكال العمران الحضري وكثرته  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يَسْتَوْفِ الْعُمَرَانُ الْحَضَرِيَّ وَتَتِمَدَّنُ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَعَاشِ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْخَنْطَةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّنَتِ الْمَدِينَةُ وَتَزَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَفَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرَافُ الزَّائِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَمَالَاتِ مِنَ الْمَعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالْعِلْدَانِيَّةُ فَهُوَ



مَقْدَمُ لَضَرُورِيَّتِهِ عَلَى الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَهِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الضَّرُورِيِّ وَعَلَى مِقْدَارِ غُمُرَانِ  
 الْبَلَدِ تَكُونُ جُودَةُ الصَّنَائِعِ لِلتَّائِقِ فِيهَا حِينَئِذٍ وَاسْتِجَادَةً مَا يُطْلَبُ مِنْهَا بِمَحِثٍ تَتَوَقَّرُ  
 دَوَاعِي التَّرَفِّ وَالثَّرْوَةِ وَأَمَّا الْعُمُرَانُ الْبَدَوِيُّ أَوِ الْقَلِيلُ فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا  
 الْبَسِيطَ خَاصَّةً الْمُسْتَعْمَلِ فِي الضَّرُورِيَّاتِ مِنْ نَجَارٍ أَوْ حَدَادٍ أَوْ خِيَاطٍ أَوْ حَاكٍ أَوْ  
 جَزَّارٍ وَإِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ بَعْدَ فَلَا تُوجَدُ فِيهِ كَامِلَةً وَلَا مُسْتَجَادَةً وَإِنَّمَا يُوجَدُ مِنْهَا بِمِقْدَارِ  
 الضَّرُورَةِ إِذْ هِيَ كُلُّهَا وَسَائِلٌ إِلَى غَيْرِهَا وَلَيْسَتْ مَقْصُودَةً لِنَاتِهَا وَإِذَا زَخَرَ بَحْرُ الْعُمُرَانِ  
 وَطُلِبَتْ فِيهِ الْكَمَالَاتُ كَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا التَّائِقُ فِي الصَّنَائِعِ وَاسْتِجَادَتِهَا فَكَمَلَتْ  
 بِجَمِيعِ مُتَعَمِّاتِهَا وَتَزِيدَتْ صَنَائِعُ أُخْرَى مَعَهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ التَّرَفِّ وَأَحْوَالُهُ مِنْ  
 جَزَّازٍ وَدَبَّاحٍ وَخَرَّازٍ وَصَانِعٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَنَبَّهِيَ هَذِهِ الْأَصْنَافُ إِذَا اسْتَجَرَّ الْعُمُرَانُ  
 إِلَى أَنْ يُوجَدَ مِنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالتَّائِقُ فِيهَا فِي الْغَايَةِ وَتَكُونُ مِنْ وَجُوهِ الْمَعَاشِ  
 فِي الْمَضَرِّ لِمُنْتَعِلِهَا بَلْ تَكُونُ فَائِدَتُهَا مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ الْأَعْمَالِ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرَفُّ  
 فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الدَّهَانِ وَالصَّفَارِ وَالْحَمَائِيِّ وَالطَّبَّاخِ وَالشَّمَاعِ وَالْهَرَّاسِ وَمُعَلِّمِ الْفَنَاءِ  
 وَالرَّقْصِ وَفَرْعِ الطُّبُولِ عَلَى التَّوْفِيعِ وَمِثْلَ الْوَرَّاقِينَ الَّذِينَ يُعَانُونَ صِنَاعَةَ انْتِسَاخِ  
 الْكُتُبِ وَتَجْلِيدِهَا وَتَضَخُّجِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ فِي الْمَدِينَةِ  
 مِنَ الْأَشْتَغَالِ بِالْأُمُورِ الْفِكْرِيَّةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ تَخَرَّجُ عَنْ الْحَدِّ إِذَا كَانَ الْعُمُرَانُ  
 خَارِجًا عَنِ الْحَدِّ كَمَا بَلَغْنَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْلَمُ الطُّبُورَ أَنْفِجَمَ وَالْحُمْرَ  
 الْأَنْسِيَّةَ وَتَخْيُلُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِإِيَّاهُمْ قَلْبُ الْأَعْيَانِ وَتَعْلِمُ الْحِدَاءَ وَالرَّقْصِ  
 وَالْمَسَى عَلَى الْخُيُوطِ فِي الْهَوَاءِ وَرَفَعَ الْأَثْقَالَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْحِجَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ  
 الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تُوجَدُ عِنْدَنَا بِالْمَغْرِبِ لِأَنَّ عُمُرَانَ أَمْصَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ عُمُرَانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ  
 أَدَامَ اللَّهُ عُمُرَاتِهَا بِالْمُسْلِمِينَ

### الفصل الثامن عشر

فِي ان رِسُوحِ الصَّنَائِعِ فِي الْأَمْصَارِ إِنَّمَا هُوَ بِرِسُوحِ الْحَضَارَةِ وَطُولِ أَمَدِهِ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا عَوَائِدُ الْعُمُرَانِ وَالْأَوَانِ وَالْعَوَائِدُ إِنَّمَا  
 تَزْخُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَطُولِ الْأَمَدِ فَتَسْتَحْكِمُ صِبْغَةَ ذَلِكَ وَتَزْخُ فِي الْأَجْيَالِ  
 وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الصَّبْغَةُ عَسِرَ نَزْعُهَا وَلِهَذَا نَجِدُ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي كَانَتْ اسْتَجَرَّتْ فِي

الْحِصَارَةَ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمَرَانَهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَّتُ فِيهَا أَنَارٌ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا  
 مِنَ الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمَرَانِ وَلَوْ بَلَّغَتْ مَبَالِغَهَا فِي الْوُفُورِ وَالْمَكْنَزَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا  
 لِأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمَرَانِ مُسْتَحْكِمَةٌ رَاسِخَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
 وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ تَبْلُغْ الْغَايَةَ بَعْدُ وَهَذَا كُلُّهَا فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
 فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
 أَنْصَارِهَا كَالْمَبْنِيِّ وَالطَّبِيخِ وَأَصْنَافِ الْغَنَاءِ وَاللَّهْوِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَوَانِ وَالرَّانِصِ  
 وَتَنْضِيدِ الْقُرْشِ فِي الْقُصُورِ وَحُسْنِ الدَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصَوْنِ الْآيَةِ مِنْ  
 الْمَعَادِنِ وَالْخَزْفِ وَجَمِيعِ الْمَوَاعِينِ وَإِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
 يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُّ وَعَوَائِدُهَا فَتَجِدُهُمْ أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَتَجِدُ صَنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
 لَهُمْ فَهُمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحَظٌّ مُتَمَيِّزٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
 عُمَرَانُهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمَرَانُ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُوَّةِ وَمَا ذَاكَ  
 إِلَّا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ رُسُوحِ الْحِصَارَةِ فِيهِمْ بِرُسُوحِ الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ دَوْلَةِ  
 الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطَّوْائِفِ وَهَلُمَّ جَرًّا فَبَلَّغَتْ الْحِصَارَةُ فِيهَا مَبَالِغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي قَطْرِ  
 إِلَّا مَا يُنْقَلُ عَنِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَيَصْرُ أَيْضًا لِطُولِ أَمَادِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
 الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْأَسْجَادِ وَالتَّنْمِيقِ وَبَقِيَّتْ صِبْغَتُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
 الْعُمَرَانِ لَا تَفَارِقُهُ إِلَى أَنْ يَنْقُضَ بِالْكَلْبَةِ حَالُ الصَّبْغِ إِذَا رَسَخَ فِي الثَّوْبِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ ثَوْنِهَا فِيمَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحِصَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّهَابِيَّةِ وَالْمُوحِدِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَحْكَمَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
 دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَاعِفٌ بِرُسُومِهَا مِنْهَا تُنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ لِقُرْبِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا  
 وَتَزْدِدُ الْمَسَافِرِينَ مِنْ قَطْرِهَا إِلَى قَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
 عُسُورًا فَيَنْقُلُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَتَحْكُمَ صَنَائِعُهُمْ مَا يَقَعُ لَهُمْ مَوْجِعَ الْأَسْتِحْسَانِ  
 فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُتَشَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ سَاكِنِيهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ الْجَلَاءِ لِعَهْدِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالُ وَإِنْ كَانَ عُمَرَانُهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ  
 إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا تَحْوُلُ إِلَّا بِزَوَالِ مَحَلِّهَا وَكَذَا نَجِدُ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَرَاكِشَ وَقَلْعَةَ

أَبْنِ حِمَادٍ أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا الْيَوْمَ خَرَابًا أَوْ فِي حُكْمِ الْخَرَابِ  
وَلَا يَتَفَتَّحْنَ لَهَا إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ النَّاسِ فَيَحْدُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ أَثَارًا تَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ بِهَا  
كَأَثَرِ الْخَطِّ الْمَحْذُوقِ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبيها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَمَحُّ بِعَمَلِهِ أَنْ يَقَعَ حِجَابًا لِأَنَّهُ كَسِبَهُ  
وَمِنْهُ مَعَاشُهُ إِذْ لَا فَائِدَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا فِيمَا لَهُ  
قِيَمَةٌ فِي مَصْرِهِ لِيَعُودَ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ وَإِنْ كَانَتْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا النِّفَاقُ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ الصَّنَاعَةُ بِمَثَابَةِ السَّاعَةِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتُجَلَّبُ لِلْبَيْعِ فَتَجْتَنِدُ النَّاسُ فِي  
الْمَدِينَةِ لِتَعْلَمَ تِلْكَ الصَّنَاعَةُ لِيَكُونَ مِنْهَا مَعَاثُهُمْ وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً لَمْ  
تَنْفَقْ سُوقُهَا وَلَا يُوَجَّهْ قَصْدٌ إِلَى تَعْلَمِهَا فَأَخْصَتْ بِالْتَرَكِ وَفَقِدَتْ لِلْإِهْمَالِ وَلِهَذَا يُقَالُ  
عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ بِمَعْنَى أَنْ صِنَاعَتَهُ هِيَ قِيَمَتُهُ أَيْ  
قِيَمَةُ عَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعَاشُهُ وَأَيْضًا فَهِيَ سِرٌّ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَإِجَادَتَهَا إِنَّمَا  
تَطْلُبُهَا الدَّوْلَةُ فَهِيَ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتُوَجَّهُ الطَّالِبَاتُ إِلَيْهَا وَمَا لَمْ تَطْلُبْهُ الدَّوْلَةُ وَإِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا غَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِ فَلَيْسَ عَلَى نِسْبَتِهَا لِأَنَّ الدَّوْلَةَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ وَفِيهَا  
نَفَاقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ فِيهَا عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ فَمَا تَنَقَّى مِنْهَا كَانَ أَكْثَرِيًّا  
ضَرُورَةً وَالسُّوقُ وَإِنْ طَلَبُوا الصَّنَاعَةَ فَلَيْسَ طَلِبُهُمْ بِعَامٍ وَلَا سُوقُهُمْ بِدَاقِقَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى قَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ

### الفصل العشرون

في ان الامصار اذا فاربت الخراب انتقضت منها الصنائع  
وَذَلِكَ لِأَنَّا بَيْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تُسْتَجَادُ إِذَا أُحْتِجَّ إِلَيْهَا وَكَثُرَ طَالِبُهَا وَإِذَا ضَعُفَتْ  
أَحْوَالُ الْمَصْرِ وَاحْتَدَى فِي الْهَرَمِ بِانْتِقَاضِ عُمْرَانِهِ وَقَلَّةِ سَاكِينِهِ تَنَاقَصَ فِيهِ التَّرَفُ وَرَجَعُوا  
إِلَى الْإِفْتِسَارِ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فَتَقَلَّ الصَّنَائِعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَاجِعِ التَّرَفِ لِأَنَّ  
صَاحِبَهَا حِينَئِذٍ لَا يَصِحُّ لَهُ بِهَا مَعَاشُهُ فَيَقِرُّ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ يَمُوتُ وَلَا يَكُونُ خَلْفٌ مِنْهُ

فَيَذْهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جُمْلَةً كَمَا يَذْهَبُ الْقَاشُونَ وَالصُّوَاغُ وَالْكَتَّابُ وَالنَّسَاجُ وَأَمْثَلُهُمْ  
مِنَ الصَّنَائِعِ لِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَلَا تَرَالُ الصِّنَاعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضْحَلَ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

## الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا وَالتَّجَمُّعُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِ النُّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ النُّجَرِ الرُّومِيِّ  
أَقْوَمُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ أَغْرَقُوا فِي الْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمُرَانِهِ حَتَّى  
إِنْ الْأَيْلَ الَّتِي أَذَانَتِ الْعَرَبُ عَلَى التَّوَحُّشِ فِي الْقَفْرِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَفْقُودَةٌ مَرَاغِبًا وَأَلَزَمَ مَالُ الْمَيْسَةِ لِنَتَاجِهَا وَلِهَذَا نَجِدُ أَوطَانَ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكَوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلَ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى يُجْلِبَ إِلَيْهِ مِنْ فُطُرٍ آخَرَ وَأَنْظُرَ بِإِلَادِ الْعَجَمِ  
مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضِ التُّرْكِ وَأُمَمِ النُّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْبَرَتْ فِيهِمِ الصَّنَائِعُ  
وَأَسْتَحْلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَتَجَمُّعُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْبَرْبَرِ مِثْلَ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِرُسُوخِهِمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مِنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السِّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ فَلَةُ الْأَنْصَارِ يَقْطُرُهُمْ كَمَا قَدَّمَائِهِ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِلذِّكْرِ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنِ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسِجِهِ وَالْجِلْدِ فِي خَزَرِهِ وَدَبِغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا الْمَبَالِغَ لِعُمُومِ الْبُلُوْىِ بِهَا  
وَكَوْنِهِ هَذَيْنِ أَغْلَبَ السَّلَاحُ فِي فُطُرِهِمْ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِ مِنْذُ مَلِكِ الْأُمَمِ الْأَفْدَمِينَ مِنَ الْفَرَسِ وَالتَّبَطِّ وَالْقَبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومِ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَسَخَتْ فِيهِمْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَائِهِ فَلَمْ يَنْجِ رَسْمُهَا وَأَمَّا الْيَمَنُ وَالْيَمَنُ وَالْعُمَانُ وَالْحِزْرَةُ وَإِنْ مَلَكَتْ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مَلَكَتْهُ أَلْفًا مِنَ السِّنِينَ فِي أُمَمٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَاسْتَخْطَوْا  
أَمْصَارَهُ وَمُدْنَهُ وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ مِثْلَ عَادَ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَمِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمِ وَالتَّبَايَعَةَ وَالْأَذْوَاءَ فَطَالَ أَمَدُ الْمَلِكِ وَالْحَضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ صَنِيعَتُهَا وَتَوَفَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلْ بِلَى الدَّوْلَةِ كَمَا قَدَّمَائِهِ بَقِيَّتْ مُسْتَعِدَّةٌ حَتَّى الْآنَ وَاسْتَخَصَّتْ بِذَلِكَ  
الْوَطَنَ كَصِنَاعَةِ الْوُشِيِّ وَالْعَصَبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوَكِ الثِّيَابِ وَالْحَرِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ

## الفصل الثاني والعشرون

فيمَن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى  
ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورَسَخَتْ في نفسه فلا  
يجيد من بعدها ملكة التجارة أو البناء إلا أن تكون الأولى لم تستحکم بعد ولم  
تَرَمَحْ صِغَتَهَا والسَّبَبُ في ذلك أَنَّ الْمَلَكَاتِ صَنَاتُ النَّفْسِ وَالْوَانُ فَلَا تَزِدْجِمُ دَفْعَةً  
وَمَنْ كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ كَانَ أَسْهَلَ لِقَبُولِ الْمَلَكَاتِ وَأَخْسَنَ اسْتِعْدَادًا لِحُصُولِهَا فَإِذَا  
تَلَوَّنَتِ النَّفْسُ بِالْمَلَكَةِ الْأُخْرَى وَخَرَجَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ ضَعُفَتْ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ بِاللَّوْنِ  
الْحَاصِلِ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَكَانَ قَبُولُهَا لِلْمَلَكَةِ أَضْعَفَ وَهَذَا بَيِّنٌ يَشْهَدُ لَهُ الْوُجُودُ  
فَقُلْ أَنْ يَجِدَ صَاحِبُ صِنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا ثُمَّ يُنَحِّكُمُ مِنْ بَعْدِهَا أُخْرَى وَيَكُونُ فِيهِمَا مَعًا  
عَلَى رُتْبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِجَادَةِ حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَلَكَتَهُمْ فِكْرِيَّةٌ فِيهِمْ يَهْدِيهِ  
الْمُنَابَةِ وَمَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَلَكَةِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَأَجَادَهَا فِي الْعَالِيَةِ فَقُلْ أَنْ يَجِدَ  
مَلَكَةَ عِلْمٍ آخَرَ عَلَى نِسْبَتِهِ بَلْ يَكُونُ مُقْصِرًا فِيهِ إِنْ طَلَبَهُ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ النَّادِرِ مِنَ  
الْأَحْوَالِ وَمِنْ سَبَبِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ وَتَلَوُّنِهِ بِلَوْنِ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ فِي  
النَّفْسِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة الى امهات الصنائع

إِعْلَمْ أَنَّ الصَّنَائِعَ فِي النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ كَثِيرَةٌ لِكَثَرَةِ الْأَعْمَالِ الْمَتَدَوِّلَةِ فِي  
الْعُمُرَانِ فَبِمِثْلِ تَشْدُّعٍ عَنِ الْخَصْرِ وَلَا يَأْخُذُهَا الْعَدُّ إِلَّا أَنْ مِنْهَا مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ  
فِي الْعُمُرَانِ أَوْ شَرِيفٌ بِالْمَوْضِعِ فَتَخْصُصُهَا بِالذِّكْرِ وَتَتْرُكُ مَا سِوَاهَا فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ  
فَالْفَلَاحَةُ وَالْبِنَاءُ وَالْخِيَاطَةُ وَالتِّجَارَةُ وَالْحَيَاكَةُ وَأَمَّا الشَّرِيفُ بِالْمَوْضِعِ فَكَالتَّوْلِيدُ  
وَالْكِتَابَةُ وَالْوَر\_اقَةُ وَالْفَنَاءُ وَالطِّبُّ فَأَمَّا التَّوْلِيدُ فَإِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ  
وَعَامَةٌ الْبَلَوِ إِذْ بِهَا تَحْصُلُ حَيَاةُ الْمَوْلُودِ وَتَنْمُو غَالِبًا وَمَوْضُوعُهَا مَعَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُونَ  
وَأَمَّا الطِّبُّ فَهُوَ حِفْظُ الصِّحَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَدَفْعُ الْعَرَضِ عَنْهُ وَتَقَرُّعُ

عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَمَوْضُوعِهِ مَعَ ذَلِكَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ  
الْوَرَقَةِ فَعِي حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجَتَهُ وَمُقَيِّدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ وَمُبَلِّغَةٌ خَمَائِرَ  
النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ وَتُخَلِّدُ نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الْأَصْحَافِ وَرَافِعَةٌ رُتَبَ  
الْوُجُودِ لِلْمَعَانِي وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَهُوَ نِسْبُ الْأَصْوَاتِ وَمَظْهَرُ جَمَالِهَا لِلِالْتِمَاعِ وَكُلُّ هَذِهِ  
الصَّنَائِعِ الثَّلَاثُ دَاعٍ إِلَى تَخَالُطِ الْمُلُوكِ الْأَعَاضِلِ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَتَجَالِسِ أُنْسِهِمْ فَلَهَا  
بِذَلِكَ شَرَفٌ لَيْسَ لغيرِهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَتَابِعَةٌ وَمُتَمَتِّنَةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَغْرَاضِ وَالِدَوَاعِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَصَوَابِ

### الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تَعَرِّفُهَا اتِّخَاذُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ بِالْقِيَامِ عَلَى إِنَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا  
أَزْدِرَاعِيهَا وَعِلَاجُ نَبَاتِهَا وَتَعْدِيدُهُ بِالسَّقْيِ وَالتَّنْمِيَةِ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ ثُمَّ حِصَادِ سُبُلِهِ  
وَأَسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غُلَافِهِ وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لِلذِّكِّ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ وَدَوَائِعِهِ وَهِيَ  
أَقْدَمُ الصَّنَائِعِ لِمَا أَنَّهَا حَصَلَةُ الْقُوَّةِ الْمَكْمَلَةِ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَالِبًا إِذْ يُمَكِّنُ وَجُودَهُ  
مِنْ دُونَ الْقُوَّةِ وَلِهَذَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِالْبَدَنِ إِذْ قَدَّمَ أَنَّهْ أَقْدَمُ مِنَ الْحَضَرِ  
وَسَابِقُ عَلَيْهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِذَلِكَ بَدَوِيَّةً لَا يَقُومُ عَلَيْهَا الْحَضَرُ وَلَا يَعْرِفُونَهَا لِأَنَّ  
أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَّةٌ عَلَى الْبَدَوَةِ فَصَنَائِعُهُمْ ثَانِيَّةٌ عَنْ صَنَائِعِهَا وَتَابِعَةٌ لَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى مَقِيمُ الْعِبَادِ فِيمَا أَرَادَ

### الفصل الخامس والعشرون

في صناعة البناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صَنَائِعِ الْغَمْرَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَعْمَلِ فِي اتِّخَاذِ  
الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ لِلْكِنِ وَالْمَأْوَى لِلْأَبْدَانِ فِي الْمَدُنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا جَبَلَ  
عَلَيْهِ مِنَ الْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِ لَا يَدَّ أَنْ يَفْكِرَ فِيمَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى مِنَ الْحَرِّ  
وَالْبَرْدِ كَاتِّخَاذِ الْبُيُوتِ الْمَكْنَنَةِ بِالسَّقْفِ وَالْحِيطَانِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا وَالْبَشَرُ يَخْتَلِفُ  
فِي هَذِهِ الْحِيلَةِ الْفِكْرِيَّةِ فَمِنْهُمْ الْمُعْتَدِلُونَ فِيهَا فَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ بِإِعْتِدَالِ أَهَالِي الثَّانِي  
وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدَنِ فَيَعْبُدُونَ عَنْ اتِّخَاذِ ذَلِكَ لِقُصُورِ

أَفْكَارِهِمْ عَنْ إِذْ رَأَوْا الصَّنَاعَ الْبَشَرِيَّةَ فَيَاذِرُونَ الْغَيْرَانَ وَالْكُفُوفَ الْمُعْتَدَةَ مِنْ غَيْرِ  
عِلَاجٍ ثُمَّ الْمُعْتَدِلُونَ الْمُتَخَذُونَ لِلْمَأْوَى قَدْ يَتَكَثَّرُونَ فِي الْبَسِيطِ الْوَاحِدِ يَحْتِ  
يَتَنَازِلُونَ وَلَا يَتَعَارَفُونَ فَيَخْشَوْنَ طَرِيقَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَحْتَاجُونَ إِلَى حِفْظِ مُجْتَمَعِهِمْ بِإِدَارَةِ  
مَاءٍ أَوْ أَسْوَارٍ يَحُوطُهُمْ وَيَصِيرُ جَمِيعًا مَدِينَةً وَاحِدَةً وَمِصْرًا وَاحِدًا وَيَحُوطُهُمُ الْحَكْمُ  
مِنْ دَاخِلٍ يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَقَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَيَتَخَذُونَ الْمُعَاقِلَ  
وَالْعَصُونَ لَهُمْ وَلَعَنَ نَجَّتْ أَيْدِيهِمْ مِثْلَ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَكِبَارِ  
الْقَبَائِلِ فِي الْمَدُنِ كُلِّ مَدِينَةٍ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ وَيَصْطَلِحُونَ عَلَيْهِ وَيُنَاسِبُ مَزَاجَ هَوَاهِمِهِمْ  
وَأَخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ وَكَذَا حَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
يَتَخَذُ الْقُصُورَ وَالْمَصَانِعَ الْعَظِيمَةَ السَّاحَةَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى عِدَّةِ الدُّورِ وَالْبُيُوتِ وَالْعُرُفِ  
الْكَبِيرَةِ لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ وَتَابِعِهِ وَيُؤَسِّسُ جُذُرَانَهَا بِالْحِجَارَةِ وَيُلْقِي بَيْنَهَا  
بِالْكَسْلِ وَبُعَالِي عَلَيْهَا بِالْأَضْيَعَةِ وَالْخِصِّ وَيَبَالِغُ فِي ذَلِكَ بِالْتَّجِيدِ وَالتَّشْيِيقِ إِظْهَارًا  
لِلْبَسْطَةِ بِالْعِنَايَةِ فِي شَأْنِ الْمَأْوَى وَيَهَيِّئُ مَعَ ذَلِكَ الْأَسْرَابَ وَالْمَطَامِيرَ لِلَاخْتِرَانِ  
لَأَقْوَاتِهِ وَالْإِسْطَبَالَاتِ لِرَبْطِ مُقَرَّبَاتِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُودِ وَكَثْرَةِ الْعَالِيَةِ وَالْحَاشِيَةِ  
كَالْأَمْرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِي الدُّوْرَةَ وَالْبُيُوتَ لِنَفْسِهِ وَسَكَنِهِ وَوَلَدِهِ لَا  
يَتَنَبَّيْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِقُصُورِ حَالِهِ عَنْهُ وَأَقْصَارِهِ عَلَى الْكُنْ طَبِيعِيٍّ لِلشَّرِّ وَبَيْنَ  
ذَلِكَ مَرَاتِبُ غَيْرُ مُنْخَصِرَةٍ وَقَدْ يَحْتَاجُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَيْضًا عِنْدَ تَأْسِيسِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ  
الدُّوْرِ الْمَدُنِ الْعَظِيمَةِ وَأَهْلِ كُلِّ الْمُرْتَفَعَةِ وَيُبَالِغُونَ فِي إِنْقَانِ الْأَوْضَاعِ وَعُلُوِّ الْأَجْرَامِ  
مَعَ الْأَحْكَامِ لِتَبْلُغَ الصَّنَاعَةُ مَبَالِغَهَا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ الَّتِي يُحْصَلُ الدُّوْعَايُ لِلذِّكْرِ وَكَثُرُ  
مَا تَكُونُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ مِنَ الرَّابِعِ وَمَا حَوْلَيْهِ إِذَا الْأَقَالِيمُ الْمُتَحَرِّفَةُ  
لَا بِنَاءَ فِيهَا وَإِنَّمَا يَتَخَذُونَ الْبُيُوتَ حِطَائِرَ مِنَ الْقَصَبِ وَالطِّينِ وَإِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْأَقَالِيمِ  
الْمُعْتَدِلَةِ لَهُ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا مُتَفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ الْبَصِيرُ الْمَاهِرُ وَمِنْهُمْ  
الْقَاغِرُ ثُمَّ هِيَ تَنْوَعُ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً فَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْحِجَارَةِ الْمُنَجَّدَةِ بِقَامٍ بِهَا الْجُدْرَانِ  
مُلَصَّقًا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالطِّينِ وَالْكَسْلِ الَّذِي يُعْقَدُ مَعَهَا وَالتَّحْمُ كَأَنَّهَا جِسْمٌ وَاحِدٌ  
وَمِنْهَا الْبِنَاءُ بِالْطُّرَابِ خَاصَّةً يَتَخَذُ لَهَا لَوْحَانٍ مِنَ الْخَشَبِ مُقَدَّرَانِ طُولًا وَعَرْضًا بِأَخْتِلَافِ  
الْعَادَاتِ فِي التَّقْدِيرِ وَأَوْسَطُهُ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ فَيَنْصَبَانِ عَلَى أَسَاسٍ وَقَدْ بُوْعِدَ

مَا بَيْنَهُمَا بِمَا يَرَاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرَعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
يُرْبِطُ عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ وَالْجُدُرِ وَيُسَدُّ الْجِهَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِلَوْحَيْنِ  
آخَرَيْنِ صَغِيرَيْنِ ثُمَّ يَوْضَعُ فِيهِ الثَّرَابُ مُخْلَطًا بِالْكِلْسِ وَيُرَكِّزُ بِالْمَرَكَزِ الْمَعْدَةِ  
حَتَّى يَتَمَّ رَكَوْهُ وَيَخْتَلِطُ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يَزَادُ الثَّرَابُ ثَانِيًا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمْتَلِئَ ذَلِكَ الْخَلَاءُ  
بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الْكِلْسِ وَالثَّرَابِ وَصَارَتْ جِسْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يُعَادُ  
نَصْبُ اللَّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكِّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَبِنَظْمِ الْأَلْوَاحِ كُلِّهَا سَطْرًا مِنْ  
فَوْقِ سَطْرِ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْحَائِطُ كُلُّهُ مُلْتَحِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّايِبَةُ  
وَصَانِعُهُ الطَّوَابُ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ تُجَلَّلَ الْحِيطَانُ بِالْكِلْسِ بَعْدَ أَنْ يُحَلَّ  
بِالْمَاءِ وَيُغَمَّرُ أُسْبُوعًا أَوْ أُسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرِ مَا يَبْتَغِي مَرَاغُهُ عَنْ إِفْرَاطِ النَّارِ بِمُفْسِدَةٍ  
لِللَّحْمِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَاهُ مِنْ فَوْقِ الْحَائِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ وَمِنْ  
صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ يُمَدَّ الْخَشَبُ الْحَكْمَةُ الْجَوَارِجُ أَوْ السَّاجِدَةُ عَلَى حَائِطِي  
الْبَيْتِ وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةٌ بِالْدَسَائِرِ وَيَصُبُّ عَلَيْهَا الثَّرَابُ وَالْكِلْسُ  
وَيُسَبَّطُ بِالْمَرَكَزِ حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَبُعَالَى عَلَيْهَا الْكِلْسُ كَمَا بُعَالَى  
عَلَى الْحَائِطِ وَمِنْ صِنَاعَةِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ كَمَا يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ  
الْحِيطَانِ الْأَنْشُكَالُ الْجُصْمَةُ مِنَ الْجِصِّ يُغَمَّرُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
الْبَلَلِ فَيُشَكَّلُ عَلَى التَّنَاسُبِ نَحْوًا بِمِثْقَابِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرَوَّاءٌ  
وَرُبَّمَا عُولِي عَلَى الْحِيطَانِ أَيْضًا يَقِطَعُ الرِّخَامَ وَالْأَجْرَ وَالْخَزْفَ أَوْ بِالصِّدْفِ أَوْ  
السَّبَجِ يَفْصَلُ أَجْزَاءَ مُجَانِسَةٍ أَوْ مُخْتَلَفَةٍ وَتَوْضَعُ فِي الْكِلْسِ عَلَى نِسْبٍ وَأَوْضَاعٍ  
مُقَدَّرَةٍ عِنْدَهُمْ يَدُوهُ بِهِ الْحَائِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّبَاضِ الْمُنْمَنَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
مِنْ بِنَاءِ الْحَبَابِ وَالصَّهَارِيجِ لِيَسْفَحَ الْمَاءُ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرِّخَامِ الْقَوَارِ  
الْحَكْمَةُ الْخُرْطُ بِالْقَوَاهِ فِي وَسْطِهَا لِيَتَّبِعَ الْمَاءُ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِيجِ يُعَلَّبُ إِلَيْهِ مِنْ  
خَارِجِ الْقَنَوَاتِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأُمَثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتَخْتَلِفُ الصَّنَاعَةُ فِي  
جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحِذْقِ وَالْبَصَرِ وَبِعَظَمِ عُمُرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَسَمَّى فَيَكُونُونَ وَرُبَّمَا  
يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَؤُلَاءِ فِيمَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
فِي الْمَدْنِ لِكَثْرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمُرَانِ يَتَشَاوَحُونَ حَتَّى فِي الْقَضَاءِ وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى



وَالْأَسْفَلُ وَمِنْ الْإِنْتِفَاعِ بِظَاهِرِ الْبِنَاءِ مِمَّا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الضَّرَرِ فِي الْخِيطَانِ فَيَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَافِدِ لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ وَالْفَضَالَاتِ الْمُسَرَّبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدْعِي بَعْضُهُمْ حَقَّ بَعْضٍ فِي حَاطِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَنَاتِهِ لِتَصَابِقِ الْجُودَارِ أَوْ يَدْعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اخْتِلَالَ حَاطِطِهِ خَشْيَةَ سَقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ يَهْدِمُهُ وَدَفَعَ ضَرَرَهُ عَنْ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ لِمَنْفَعَتِهَا وَأَمثالُ ذَلِكَ وَيَتَخَفَى جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَحْوَالِهِ الْمُسْتَدْلِينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَارِفِ وَالْقَمُطِ وَمَرَاكِزِ الْخَشَبِ وَمِثْلِ الْخِيطَانِ وَأَعْدِدَالِهَا وَقِسَمِ الْمَسَاكِينِ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِيبِ الْمِيَاهِ فِي الْقَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً بِحَيْثُ لَا تَضُرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْخِيطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ الْبَصَرُ وَالْخَبِيرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرِهِمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ بِالْجُودَةِ وَالْقُصُورِ فِي الْأَجْبَالِ بِاعْتِبَارِ الدُّوَلِ وَقُوَّاتِهَا فَإِنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَا لَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ الْخِصَابَةِ وَكَثَرَتِهَا بِكَثَرَةِ الطَّالِبِ لَهَا فَلِذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ بَدْوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَقْتَفِرُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى غَيْرِ قُطْرِهَا كَمَا وَقَعَ لِلْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ أَجْمَعَ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ وَمَسْجِدِهِ بِالْأَشَامِ فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةِ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ غَرَضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْهَنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْوِيَةِ الْخِيطَانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْمِيَاهِ بِأَخْذِ الْإِنْتِفَاعِ وَأَمثالِ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَصَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَنْتِقَالِ بِالْهَنْدَامِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ إِذَا شِيدَتْ بِالْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَعِجُزُ قُدْرُ الْفَعْلَةِ عَنْ رَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنَ الْحَاطِطِ فَيَتَحِيلُ لِلتَّكْ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحِجْلِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِقِ مِنْ أَتْقَابٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى نِسْبِ هَنْدَسِيَّةٍ تُصَيِّرُ الثَّقِيلَ عِنْدَ مُعَانَاةِ الرَّفْعِ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ لِفْغَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَصُولِ هَنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءُ الْهَيْكَلِ الْمَائِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَبدَانَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي الْعَظَمِ الْجَسَدِيَّةِ فِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحِيلِ الْهَنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَتَفَهَّمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران وما دعتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدبني في كل مكنون من المكنونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا بنيت وأول منافعها أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للآتيكاء والنود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما ينشئ به من أبنائهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والخضر فأما أهل البدو فيخذون منها العمدة والأوتاد لحياهم والحدوج لظعانهم والزمامح والقسي والسهام لسلحهم وأما أهل الخضر فالسقف أيوبهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً إما بخشب أصغر منه أو ألواح ثم تركيب تلك الأجزاء بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول يصنعه إعداد تلك التفاصيل بالانظام إلى أن تصير أعضاء ذلك الشكل الخصوص والقيام على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عود حدث التأنق في صناعة ذلك واستجدته بغيرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهذيب القطع من الخشب بصناعة الخراط يخدم برزها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالأسائر فتبدو لرأي العين متحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب النجيرية ذات الألواح والدرج وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الخوص واعتبار سنجي في الماء بقوادمه وكذلك يكون ذلك الشكل أعون

لَهَا فِي مُضَادَّةِ الْمَاءِ وَجُعِلَ لَهَا عَوْضَ الْحَرَكَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لِلْسَّكَ تَحْرِيكُ الرِّيحِ  
وَرُبَّمَا أُعِينَتْ بِحَرَكَةِ الْمَقَادِيفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلَابِ مُتَحَاجَةٍ  
إِلَى أَصْلٍ كَبِيرٍ مِنَ الْهَنْدَسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ مُتَحَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا  
وَتَنَاسُبُ الْمَقَادِيرِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمَهَنْدِسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أَيْمَةُ الْهَنْدَسَةِ  
الْيُونَانِيُّونَ كُلُّهُمْ أَيْمَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أَوْفَلِيدُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأُصُولِ فِي  
الْمَهَنْدَسَةِ تَجَارًا وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ وَكَذَلِكَ أَيْلُونِيوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْخُرُوطَاتِ وَمِيلَاوُشُ  
وغيرُهُمْ وَفِيمَا يُقَالُ أَنَّ مُعَلِّمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أَنْشَأَ  
سَفِينَةَ الْجَاوِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُعْجَزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ مُمَكَّنًا أَعْنِي  
كَوْنُهُ تَجَارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ النُّقْلِ عَلَيْهِ لِيُعَدَّ  
الْآمَادُ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةُ إِلَى قِدَمِ التَّجَارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا  
قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُجِعِلَ كَأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَفَهَّمُ أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي  
الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

هَاتَانِ الصَّنَاعَتَانِ صَرُورَتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَتَحَاجُّ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرَّفِيعِ فَالْأَوَّلَى  
إِنْسَاجُ الْعَزْلِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكُتَّانِ وَالْقُطْنِ إِسْدَاءٌ فِي الطُّولِ وَالْحُمَامَا فِي الْعَرْضِ  
لِلتَّكِ النَّسِجِ بِالْإِتِّحَامِ الشَّدِيدِ فَيَتِمُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ فَيُنْهَى الْأَكْسِيَةُ مِنَ الصُّوفِ  
لِلْإِسْتِثَالِ وَمِنْهَا الثِّيَابُ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكُتَّانِ لِلْبَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَةُ لِقُدْرَةِ الْمَنْسُوجَاتِ  
عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تُفَضَّلُ بِالْمِقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ  
تُلْعَمُ تِلْكَ الْقِطْعُ بِالْخِيَاطَةِ الْخُحْكَمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْبِيْثًا أَوْ تَفْسُخًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ  
الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخَصَرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدَنِ يَسْتَعْنُونَ عَنْهَا  
وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ الْأَثَوَابَ أَشْيَا لَا وَإِنَّمَا تَفْضِيلُ الثِّيَابِ وَتَقْدِيرُهَا وَالْحُمَامَا بِالْخِيَاطَةِ  
لِلْبَاسِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحِصَارَةِ وَنُتُونِهَا وَتَفْهَمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَحْرِيمِ الْخُحْطِ فِي النَّحْجِ لِمَا  
أَنَّ مَشْرُوعِيَةَ النَّحْجِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَبْدِ الْعَلَانِيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يُعَلِّقَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طَبِيبًا وَلَا نِسَاءً وَلَا مَخِيطًا وَلَا خُفًا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَهُ مَعَ أَنَّهُ يَفْقَدُ مَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةٌ وَإِنَّمَا يَجِيئُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْحَشْرِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ إِخْلَاصُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ دُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ سُبْحَانَكَ مَا أَرْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ . وَهَاتَانِ الصَّنَعَتَانِ قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلْقَةِ لِمَا أَنَّ الدِّفْعَ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُعْتَدِلِ وَأَمَّا الْمُنْخَرِفُ إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دَفْعٍ وَلِهَذَا يُبْلَغُنَا عَنْ أَهْلِ الْأَقْلَامِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ أَنَّهُمْ عُرَاةٌ فِي الْعَالِيَةِ وَلِقَدِمَ هَذِهِ الصَّنَاعُ بِنِسْبَتِهَا الْعَالِمَةُ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُبَّمَا يَنْسُبُونَهَا إِلَى هِرْمِسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هِرْمِسَ هُوَ أَدْرِيسُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ

### الفصل الثامن والعشرون

#### في صناعة التوليد

وَهِيَ صِنَاعَةٌ يَعْرِفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنَ الرَّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يُصْلِحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ عَلَى مَا نَذَكَّرُ وَهِيَ مَخْتَصَةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّهِنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوَارِثِ بَعْضٍ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَائِلَةُ اسْتَعِيرَ فِيهَا مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَالْقَبُولِ كَأَنَّ النَّفْسَاءَ تُعْطِيهَا الْجَنِينَ وَكَأَنَّهُمَا تَقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارُهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِمَكْنَتِهِ هِيَ تِسْعَةٌ أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَوْلُودِ مِنَ التَّزْوِجِ لِنَلِكِ وَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْمَنَفَذُ فَيَعْسُرُ وَرُبَّمَا مَرَّقَ بَعْضُ جَوَانِبِ الْفَرْجِ بِالضَّغْطِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ بَعْضُ مَا كَانَ مِنَ الْأَغْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا الْآمُ يَنْشُدُ بِهَا التَّوَجُّعَ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلْقِ فَتَكُونُ الْقَائِلَةُ مُعِينَةً فِي ذَلِكَ بِبَعْضِ الشَّيْءِ بِغَمَزِ الظَّهْرِ وَالتَّوْرِكِينَ وَبِإِجَادِي الرَّحِمِ مِنَ الْأَسَافِلِ تَسَاقُ بِذَلِكَ فَعِلَ الدَّافِعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينَ وَتُسَهِّلُ مَا يَصْعُبُ مِنْهُ بِمَا يُمْكِنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُسْرَةٍ ثُمَّ إِنْ أُخْرِجَ الْجَنِينَ بَقِيََتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوُضَلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَغَدَّى مِنْهَا مُتَّصِلَةً مِنْ سُرَّتِهِ بِمِجَاهِ وَتِلْكَ

أَوَّلُ صَلَوةٍ عُضْوٌ فَضِلُّ لِلتَّغْدِيَةِ الْمَوْلُودِ خَاصَّةً فَتَقَطَعُهَا الْقَائِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَتَعَدَّى مَكَانَ  
 الْفَضْلَةِ وَلَا تُضَرُّ بِمَعَاةٍ وَلَا بِرَحِمٍ أُمِّهِ ثُمَّ تَدْمِلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَفِّ أَوْ بِمَا  
 تَرَاهُ مِنْ وَجْهِهِ أَلْيَدَيْهِ ثُمَّ إِنْ أَلْجَيْنَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّفْعِ الْبَقِيَّ وَهُوَ رَطْبُ  
 الْعِظَامِ سَهْلُ الْإِنْطِطَافِ وَالْإِثْنَاءِ فَرُبَّمَا تَتَغَيَّرُ أَشْكَالُ أَعْضَائِهِ وَأَوْضَاعُهَا اقْرُبِ  
 التَّكْوِينَ وَرُطُوبَةُ الْمَوَادِّ فَيَتَنَوَّلُ الْقَائِلَةُ بِالْعَمَزِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ إِلَى  
 شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضْعِهِ الْمَقْدَرُ لَهُ وَيَرْتَدُّ خَلْقُهُ سَوِيًّا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرْاجِعُ النِّفْسُ  
 وَتُحَادِّثُهَا بِالْعَمَزِ وَالْمُلَانِيَةِ خُرُوجِ أَغْشِيَةِ الْجَيْنِ لَأَنَّهَا رُبَّمَا تَنَازَعَتْ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا  
 وَيَحْشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تَرْاجِعَ الْمَاسِكَةَ حَالَهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ خُرُوجِ الْأَغْشِيَةِ  
 وَهِيَ قُصَلَاتٌ فَتَقَعُ وَيَسْتَعْيِزُ عَفْئًا إِلَى الرَّحِمِ فَتَقَعُ الْمَلَكَ فَتُعَادِرُ الْقَائِلَةَ هَذَا وَتُعَاوَلُ  
 فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ تِلْكَ الْأَغْشِيَةُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ  
 فَتَمْرُخُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَدْهَانِ وَالذَّرُورَاتِ الْقَائِضَةِ لِنَشْدِهِ وَتُجَفِّفُ رُطُوبَاتِ الرَّحِمِ  
 وَتُخَفِّفُ لِرَفْعِ لَهَا تَهْوِيلَ وَتُسْعِطُهُ لَاسْتِفْرَاجِ نَطُوفِ دِمَاغِهِ وَتُغْرِغُهُ بِاللَّعُوقِ لِدَفْعِ السَّدِّ  
 مِنْ مَعَاةٍ وَتَجَوِّفُهَا عَنِ الْإِلْتِصَاقِ ثُمَّ تَدَاوِي النِّفْسَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَمَنِ الَّذِي أَصَابَهَا  
 بِالطَّلَقِ وَمَا لَحِقَ رَحِمِهَا مِنَ أَلَمِ الْإِنْفِصَالِ إِذَا الْمَوْلُودُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عُضْوًا طَبِيعِيًّا فَحَالُهُ  
 التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ صَبْرَتُهُ بِالْإِنْتِمَاعِ كَالْعُضْوِ الْمُتَّصِلِ فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انْفِصَالِهِ أَلَمٌ  
 يَقْرُبُ مِنَ أَلَمِ الْقَطْعِ وَتَدَاوِي مَعَ ذَلِكَ مَا يَلْحَقُ النَّزَجَ مِنَ أَلَمٍ مِنْ جِرَاحَةِ التَّمْزِيقِ  
 عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ وَمِنْهُ كُلُّهَا أَدْوَاءُ تُجَدُّ هَؤُلَاءِ الْقَرَابِلُ أَبْصَرَ بِدَوَائِهَا وَكَذَلِكَ  
 مَا يَبْعَثُ لِلْمَوْلُودِ مَدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حِينِ الْفِصَالِ تُجَدُّ عَنْ أَبْصَرِهَا  
 مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنُ إِنْسَانِيٍّ  
 بِالْقُوَّةِ فَقَطُّ فَإِذَا جَاوَزَ الْفِصَالُ صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا بِالْقِلِّ فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ  
 أَشَدَّ مِنْهُ الصَّنَاعَةِ كَمَا تَرَاهُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَانِ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ لَا يَتِمُّ كَوْنُ  
 أَشْخَاصِهِ فِي الْغَالِبِ دُونَهَا وَتَدْبَعُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ النَّوْعِ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ إِمَّا بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مُعْجَزَةٌ وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَوْ بِإِلْهَامٍ وَهْدَايَةٍ بِهِمْ لَهَا الْمَوْلُودُ وَبُفْطَرٍ عَلَيْهَا فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ  
 مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأَمَّا شَأْنُ الْمُعْجَزَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا وَمِنْهُ مَا رَوَيْنَا أَنَّ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ مَسْرُورًا مَخْتُونًا وَاضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا بَصَرَهُ  
إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يُنْكَرُ  
وَإِذَا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ أَلْعَجَمُ تُخَصُّ بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَالْحِلِّ وَغَيْرِهَا فَمَا ظَنُّكَ  
بِالْإِنْسَانِ الْمُفْضَلِ عَلَيْهَا وَخُصُوصًا بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْأَقْبَالِ عَلَى التَّدْيِ أَوْضَحُ شَاهِدٍ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
الْعُنَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ بُلْطَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءُ  
الْأَنْدَلُسِ فِيمَا اخْتَجَوْا بِهِ لِعَدَمِ انْقِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَأَسْتَحَالَةِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ  
وَخُصُوصًا فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَالُوا أَوْ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لَأَسْتَحَالَ وَجُودُهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
لِتَوْفِيقِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتَهَا إِلَى حِينِ الْفَصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودُ الصَّنَائِعِ دُونَ  
الْفِكْرِ مُمْتَنِعٌ لِأَنَّهَا تَمَرُّهُ وَتَابِعُهُ لَهُ وَتَكَلَّفُ ابْنُ سِينَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِخِلَافَتِهِ  
إِيَّاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوَّذَهُ ثَانِيًا  
لِانْقِضَاءِهَا فَلِكَيْهِنَّ وَأَوْضَعَ غَرِيْبَةً تَنْذُرِي فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَقْضِي تَغْيِيرَ طَبَقَتِهِ مُنَاسِبَةً  
لِعِزِّاجِهِ بِحَرَارَةٍ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ الْإِلَهَامُ لِتَرْبِيَّتِهِ  
وَالْحَنُوقِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَجُودُهُ وَفَصَالُهُ وَأَطْنَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرَّسَالَةِ الَّتِي مِمَّاهَا  
رِسَالَةٌ حَتَّى نَبِّ يَقْظَانُ وَهَذَا الْأَسْبَدَالُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مُبْنِيٌّ عَلَى إِسْنَادِ الْأَنْعَالِ إِلَى الْعِلَّةِ  
الْمَوْجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْأَفْعَالِ الْخُفْيَةِ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَاسِطَةَ عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْخُفْيَةِ  
بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا التَّكَلُّفِ ثُمَّ لَوْ سَأَلْنَاهُ جَدًّا فَعَايَةُ  
مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وَجُودِ هَذَا الشَّخْصِ بِخَلْقِ الْإِلَهَامِ لِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
الْفَرُورَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ  
خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا قَرَرْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقُ الْإِلَهَامِ فِي شَخْصٍ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
خَلْقِهِ فِيهِ لِمَصَالِحِ غَيْرِهِ فَكَلَّا الْمَذْهَبَيْنِ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبُلْطَانِ فِي مَنَاجِيهِمَا  
لِمَا قَرَرْنَاهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار ودون البادية

هذه الصناعات ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائديها فان تمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم وأعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء البردة فأما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الداء فالحمية الجوع وهو الاحتياج من الطعام والمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية وأما قوله أصل كل داء البردة فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم هضم الأول وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دماً ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذه النامية فينقلب لحماً وعظماً ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الفريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن وتفسيره أن الغذاء إذا حصل في الفم ولا كنهه الأشداق أثرت فيه حرارة الفم طبخاً يسيراً وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة إلى أن يصير كيموساً وهو صنو ذلك المطبوخ وترسله إلى الكبد وترسل ما راسب منه في المعى ثملاً ينفذ إلى المخزجنين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس إلى أن يصير عبيطاً وتطفو عليه رغو من الطبخ في الصفراء وترسب منه أجزاء باسنة هي السوداء وبقصر الحار الفريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول يأخذها طبخ الحار الفريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون لحماً ثم غليظه عظماً ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والنخاط والدغ هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة إلى الفعل لحماً ثم إن أصل الأمراض ومُعظمها في

الْحُمَمَاتُ وَسَبَبُهَا أَنَّ الْحَارَّ الْفَرِيزِيَّ قَدْ يَضْمُرُ عَنْ تَمَامِ النَّضْجِ فِي طَبْعِهِ فِي كُلِّ طَوَرٍ  
 مِنْ هَذِهِ فَيَبْقَى ذَلِكَ الْغِذَاءُ دُونَ نَضْجِهِ وَسَبَبُهُ غَالِبًا كَثَرَةُ الْغِذَاءِ فِي الْمَعِدَةِ حَتَّى  
 يَكُونَ أَغْلَبَ عَلَى الْحَارِّ الْفَرِيزِيِّ أَوْ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِلَى الْمَعِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ طَبْعُ  
 الْأَوَّلِ فَيَسْقُطَ بِهِ الْحَارُّ الْفَرِيزِيُّ وَيَبْرُكُ الْأَوَّلُ بِحَالِهِ أَوْ يَتَوَرَّعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ  
 تَمَامِ الطَّبْخِ وَالنَّضْجِ وَتُرْسِلُهُ الْمَعِدَةُ كَذَلِكَ إِلَى الْكَبِدِ فَلَا تَقْوَى حَرَارَةُ الْكَبِدِ  
 أَيْضًا عَلَى إِنْصَاحِهِ وَرُبَّمَا يَبْقَى فِي الْكَبِدِ مِنَ الْغِذَاءِ الْأَوَّلِ فَضْلُهُ غَيْرُ نَاصِحَةٍ وَتُرْسِلُ  
 الْكَبِدُ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُرُوقِ غَيْرِ نَاصِحٍ كَمَا هُوَ فَإِذَا أَخَذَ الْبَدَنُ حَاجَتَهُ الْمَلَأَمَةَ  
 أَرْسَلَهُ مَعَ الْفَصَلَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْعَرَقِ وَالِدَّمْعِ وَالْعَلَابِ إِنْ اقْتَدَرَ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا  
 يَنْعِزُ عَنِ الْكَبِدِ مِنْهُ فَيَبْقَى فِي الْمُرُوقِ وَالْكَبِدِ وَالسَّعِدَةِ وَتَتَزَايَدُ مَعَ الْأَيَّامِ وَكُلُّ  
 ذِي رُطُوبَةٍ مِنَ الْمُتَمَزِّجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ الطَّبْخُ وَالنَّضْجُ يَعْقُرُ فَيَتَعَفَّنُ ذَلِكَ الْغِذَاءُ  
 غَيْرُ النَّاصِحِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخِلْطِ وَكُلُّ مُتَعَفِّنٍ فِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْمَاةُ فِي  
 بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِالْحُمَى وَاخْتَبَرْتُ ذَلِكَ بِالطَّعَامِ إِذَا تَرَكْتُ حَتَّى يَتَعَفَّنَ وَفِي الزَّيْلِ إِذَا  
 تَعَفَّنَ أَيْضًا كَيْفَ تَنْبَعَثُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَا خَذَهَا فِهَذَا مَعْنَى الْحُمَمَاتِ فِي الْإِبْدَانِ  
 وَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَهَذِهِ الْحُمَمَاتُ عِلَاجُهَا يَقْطَعُ الْغِذَاءُ  
 عَنِ الْعَرِضِ أَسَابِيعَ مَعْلُومَةٍ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْأَغْذِيَةَ الْمَلَأَمَةَ حَتَّى يَتِمَّ بَرُوذُهُ وَذَلِكَ فِي  
 حَالِ الصَّحَةِ عِلَاجٌ فِي التَّخَفُّظِ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يَكُونُ  
 ذَلِكَ الْعَفْنُ فِي عُضْوٍ مُخْصُوصٍ فَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَرَضٌ فِي ذَلِكَ الْعُضْوِ وَيَعْدُثُ جِرَاحَاتٌ فِي  
 الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا وَقَدْ يَمْرُضُ الْعُضْوُ وَيَعْدُثُ عَنْهُ مَرَضٌ  
 الْقَوَى الْمَوْجُودَةُ لَهُ هَذِهِ كُلُّهَا جُدَاعُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهَا فِي الْغَالِبِ مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَهَذَا  
 كُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى الطَّيِّبِ وَوُقُوعُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ فِي أَهْلِ الْخَصْرِ وَالْأَمْصَارِ أَكْثَرُ  
 لِحُصْبِ عَيْنِهِمْ وَكَثَرَةِ مَا كُلُّهُمْ وَقَلَّةِ انْتِصَارِهِمْ عَلَى فَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَعَدَمِ  
 تَوْقِينِهِمْ لِنَتَائِلِهَا وَكَثِيرًا مَا يَغْلُطُونَ بِالْأَغْذِيَةِ مِنَ التَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْفَوَاكِهِ رَطْبًا وَبَاسًا  
 فِي سَبِيلِ الْعِلَاجِ بِالطَّبْخِ وَلَا يَقْتَصِرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى نَوْعٍ أَوْ أَنْوَاعٍ قَرِيبًا عَدَدًا فِي  
 الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنَ التَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ أَوْ نَوْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ فَيَصِيرُ لِلْغِذَاءِ رِزَاجٌ  
 غَرِيبٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ غَرِيبًا عَنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَجْزَائِهِ ثُمَّ إِنَّ الْأَهْوِيَةَ فِي الْأَمْصَارِ



تَسُدُّ بِمُخَالَطَةِ الْأَنْجَرَةِ الْعَفَنَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْفَضَلَاتِ وَالْأَهْوِيَةِ مُنْشِطَةً لِلزَّادِ وَالْمَقْوِيَةِ  
 بِنَشَاطِهَا الْأَثَرُ الْخَارِ الْفَرِيزِي فِي الْهَضْمِ ثُمَّ الرِّيَاضَةُ مَقْقُودَةٌ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ إِذْ هُمْ  
 فِي الْعَالِ وَادِعُونَ سَاكُونَ لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الرِّيَاضَةُ شَيْئًا وَلَا تُؤْثِرُ فِيهِمْ أَثَرًا فَكَانَ  
 وَقُوعُ الْأَمْرَاضِ كَثِيرًا فِي الْمَدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَعَلَى قَدَرِ وَقُوِهِ كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَمَا كَوَّلَهُمْ قَلِيلٌ فِي الْعَالِ وَالْجُوعُ أَغْلَبَ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ الْحُبُوبِ  
 حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً وَرُبَّمَا يُظَنُّ أَنَّهَا جِيلَةٌ لِاسْتِمْرَارِهَا ثُمَّ الْأَدَمُ قَلِيلَةٌ لَهُمْ  
 أَوْ مَقْقُودَةٌ بِالْجُمْلَةِ وَعِلَاجُ الطَّبَخِ بِالْتَوَابِلِ وَالْفَوَاكِهِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَرْفِ الْخِصَارَةِ  
 الَّذِينَ هُمْ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ فَيَتَنَوَّلُونَ أَغْذِيَتَهُمْ بِسَيْطَةٍ بَعِيدَةٍ عَمَّا يُخَالِطُهَا وَيَقْرُبُ مَرَاجِعَهَا  
 مِنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَمَّا أَهْوِيَتُهُمْ فَقَلِيلَةٌ الْعَفْنِ لِقَلَّةِ الرُّطُوبَاتِ وَالْعُفُونَاتِ إِنْ كَانُوا  
 ظُلُوعِينَ ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ لِكَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْحَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ  
 طَلَبِ الْحَاجَاتِ لِمَعْنَى أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيَقْدُرُ  
 إِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ فَتَكُونُ أَمْرُجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَابْعَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَتَقِلُّ حَاجَتُهُمْ  
 إِلَى الطَّبِّ وَلِهَذَا لَا يُوْجَدُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بِوَجْهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِلْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ إِذْ  
 لَوْ أَحْتِيجَ إِلَيْهِ لَوُجِدَ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ فِي الْبَدْوِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى سَكْنَاهُ سَنَةَ اللَّهِ  
 فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا

### الفصل الثلاثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية  
 وَهُوَ رُسُومٌ وَأَشْكَالٌ حَرْفِيَّةٌ تُدَلُّ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمَسْمُوعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ  
 فَهُوَ ثَانِي رُتْبَةٍ مِنَ الدَّلَالَةِ الَّلُغَوِيَّةِ وَهُوَ صَنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ إِذِ الْكِتَابَةُ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ  
 الَّتِي يُمَيِّزُ بِهَا عَنِ الْحَيَوَانِ وَأَيْضًا فَهِيَ تُطْلَعُ عَلَى مَا فِي الصَّمَائِرِ وَتَنَادِي بِهَا الْأَعْرَاضُ  
 إِلَى الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ فَتَقْضِي الْحَاجَاتِ وَقَدْ دَفَعَتْ مَوْنَهُ أَمْبَاشَرَةً لَهَا وَتُطْلَعُ بِهَا عَلَى الْعُلُومِ  
 وَالْمَعَارِفِ وَصَحْبُ الْأَوَّلِينَ وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فَهِيَ شَرِيفَةٌ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ  
 وَالْمَنَافِعِ وَخِرُوجُهَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّعْلِيمِ وَعَلَى قَدَرِ  
 الْأَجْتِمَاعِ وَالْتِمَرَانِ وَالْتَنَاقِي فِي الْكِمَالَاتِ وَالطَّلَبِ لِذَلِكَ تَكُونُ جُودَةُ الْخَطِّ فِي  
 الْمَدِينَةِ إِذْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا شَأْنُهَا وَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْعُمَرَانِ وَلِهَذَا

يَجِدُ أَكْثَرَ الْبَدْوِ أُمِّيِّينَ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ  
خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ فَرَّاءَهُ غَيْرَ نَائِذَةٍ وَيَجِدُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ غُمْرَانَهَا عَنْ  
الْحَدِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ وَأَسْهَلَ طَرِيقًا لِاسْتِحْكَامِ الصَّنْعَةِ فِيهَا تَمَا يَخْشَى لَنَا عَنْ مَضَرِّ  
لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَنَّ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ يُقَوِّنُونَ عَلَى التَّعْلِيمِ قَوَانِينَ وَأَحْكَامًا  
فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيَزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ أَلْفَ بَاشِرَةٍ بِتَعْلِيمِ وَضْعِهِ فَتَعْتَصِدُ لَدَيْهِ رِثَةً الْعِلْمِ  
وَالْحَسَنِ فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَلَكَتُهُ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُودِ وَإِنَّمَا أَنَّى هَذَا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ  
وَوُفُورِهَا بِكَثْرَةِ الْعُمَرَاءِ وَانْتِسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بِالْغَالِغِ مَبْلَغَهُ  
مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ التَّيَابِعَةِ بَا بَلَّغَتْ مِنَ الْخِصَارَةِ وَالْتَرَفِ وَهُوَ  
الْمُسَمَّى بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَاتَّقَلَّ مِنْهَا إِلَى الْخَيْرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الْمُنْذِرِ  
نُسْبَاءِ التَّيَابِعَةِ فِي الْعَصْبَةِ وَالْعَبْدِ دِينَ لِمَلِكِ الْعَرَبِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ  
مِنَ الْإِجَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ التَّيَابِعَةِ لِقُصُورِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتْ الْخِصَارَةُ وَتَوَابِعُهَا  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنْ ذَلِكَ وَمِنَ الْخَيْرَةِ لِقَبْلِهِ أَهْلُ الطَّائِفِ وَقُرَيْشٌ فِيمَا ذَكَرَ  
وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْخَيْرَةِ هُوَ سَفْيَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ  
وَأَخَذَهَا مِنْ أَسْلَمَ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلُ مُحْكِنٍ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا  
مِنْ إِبَادِ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَدِيدًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ  
وَهُوَ قَوْلُ بَعِيدٍ لِأَنَّ إِبَادَ وَإِنْ نَزَلُوا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ  
وَالْخَطِّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْخِصْرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَاحِيهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لَقُّوْهَا  
مِنَ الْخَيْرَةِ وَلَقُّنَهَا الْخَيْرَةُ مِنَ التَّيَابِعَةِ وَحَمِيرٌ هُوَ الْأَلْقَى مِنَ الْأَنْوَالِ وَكَانَ الْحَمِيرُ كِتَابَةً  
نُسِيَ الْمُسْتَدَّ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةً وَكَانُوا يَمْنَعُونَ مِنْ تَعْلُمِهَا إِلَّا بِأَذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيرٍ تَعَلَّمَتْ  
مَضَرُّ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُجِيدِينَ لَهَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَّتْ بِالْبَدْوِ  
فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِتْقَانِ وَالْتَمِيقِ لَيُونِ مَا بَيْنَ الْبَدْوِ  
وَالصَّنَاعَةِ وَاسْتَفْنَاءِ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتْ كِتَابَةُ الْعَرَبِ بَدْوِيَّةً مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ

أَقْرَبُ إِلَى الْحُضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَوَّلِ وَأَمَّا مُضَرٌّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَابْعَدَ  
عَنِ الْخَضِرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْغَالِيَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِنْفَانِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لِمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْوَحْشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنْظَرُوا مَا وَنِعَ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رُسُمِهِمُ الْمُصْحَفَ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّحَابَةُ بِخُطُوطِهِمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِجَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا أَقْفَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ أَقْنَى النَّاسُ  
مِنَ السَّنَنِ رُسُمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكَ كَمَا بِمَا رَسَمَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَبِرَ  
أَخْلَقِي مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَقَوْنَ لَوْحِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يَقْتَضِي هَذَا الْقَهْدُ خَطُّ وَلِي  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكَ كَمَا وَتَبَعُ رُسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَيْنَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا كَتَبُوهُ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَأُثْبِتَ رُسْمًا وَتَبَّهَ الْعُلَمَاءُ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَلَا تَلْتَفَتَنَّ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمُغْتَلِبِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكِمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا يُتَخِيلُ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خُطُوطِهِمْ لِأَصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا يُتَخِيلُ بَلْ لِكُلِّهَا وَجْهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَلْبِ فِي لَا أَذْبَحَنَّهُ إِنَّهُ تَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الدَّبْحَ لَمْ يَقَعْ وَفِي زِيَادَةِ الْبَاءِ فِي بَابِيَدَ  
إِنَّهُ تَنَبَّهَ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمثال ذَلِكَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا التَّحْكُمُ  
الْمَحْضُ وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلصَّحَابَةِ عَنْ تَوْهُمِ  
النَّقْصِ فِي قِلَّةِ إِجَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالٌ فَزَعَوْهُمُ عَنْ نَقْصِهِ وَنَسَبُوا إِلَيْهِمُ  
الْكَمَالَ بِإِجَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْدِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ مِنْ رُسْمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذِ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدْنِيَّةِ الْمَعَاشِيَةِ  
كَمَا رَأَيْتُهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِي بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذْ لَا يَبْعُدُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الَّذِينَ وَلَا فِي الْخِلَالِ وَإِنَّمَا يَبْعُدُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ الْفُتْرَانِ وَالْعَمَلِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لِشَرَفِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي فِي  
أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَالْفُتْرَانِ كُلِّهَا وَلَيْسَتْ الْأَمِيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا نَحْنُ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَنَحْنُ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنِ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومُ الْإِصْطِلَاحِيَّةُ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَنْزِيهُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِمُخَالَفَتِنَا ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ لِلْعَرَبِ وَقَعُوا

الْأَمَصَارَ وَمَلَكَوا أَلْهَمَالِكَ وَنَزَلُوا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَأَخَاجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكُتَابَةِ  
 اسْتَمْعَلُوا الْخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمُوا وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَفَّتِ الْأَجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ وَبَلَغَ  
 فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ رُتْبَةً مِنَ الْأَيْقَانِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْغَايَةِ وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ  
 مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْهَمَالِكَ وَافْتَتَحُوا أَفْرِيقِيَّةَ  
 وَالْأَنْدَلُسَ وَأَخْطَطَ بَنُو الْعَبَّاسِ بَغْدَادَ وَتَرَفَّتِ الْخُطُوطُ فِيهَا إِلَى الْغَايَةِ لَمَّا اسْتَبْجَرَتْ فِي  
 الْعُمُرَانِ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرَّزَ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةَ وَكَانَ الْخَطُّ الْبَغْدَادِيُّ مَعْرُوفَ  
 الرَّسْمِ وَتَبِعَهُ الْأَفْرِيقِيُّ الْمَعْرُوفُ وَرُسْمُهُ الْقَدِيمُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الْخَطِّ  
 الْمَشْرِقِيِّ وَتَمَيَّزَ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ بِالْأُمُورِ بَيْنَ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالصَّنَائِعِ  
 وَالْخُطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خُطِّهِمُ الْأَنْدَلُسِيُّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَطَمَأَ بَحْرُ  
 الْعُمُرَانِ وَالْحِضَارَةِ فِي الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قَطْرٍ وَعَظُمَ الْمُلْكُ وَتَفَقَّتْ أَسْوَاقُ  
 الْعُلُومِ وَانْتَسَخَتْ الْكُتُبُ وَأُجِيدَ كِتَابُهَا وَتَجَلِيدُهَا وَمِلَّتْ بِهَا الْقُصُورُ وَالْخَزَائِنُ  
 الْمُلُوكِيَّةُ بِمَا لَا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الْأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَنَافَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا انْحَلَّ نِظَامُ  
 الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتْ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَجْمَعُ وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الْخِلَافَةِ  
 فَأَنْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الْخَطِّ وَالْكُتَابَةِ بَلْ وَالْعِلْمِ إِلَى مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ فَلَمْ تَزَلْ أَسْوَاقُهَا بِهَا  
 نَاقِقَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ بِهَا مُعَلِّمُونَ يَرْسُمُونَ لِعَلَامِهِمُ الْحُرُوفَ بِقَوَانِينٍ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
 مَتَعَارِفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ الْمُتَعَلِّمُ أَوْ يُحْكَمُ أَشْكَالُ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَوْضَاعِ  
 وَقَدْ لَقِنَهَا حَسَنًا وَحَذِقَ فِيهَا دُرْبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَانِينُ عِلْمِيَّةٍ فَنَجَّيَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَقْتَرَفُوا فِي الْأَقْطَارِ عِنْدَ تِلَاشِي مُلْكِ الْعَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنَ  
 الْبَرَبَرِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمْ أُمَمُ النُّصْرَانِيَّةِ فَأَنْتَشَرُوا فِي عُدُوَّةِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ مِنَ لَدُنِ  
 الدَّوْلَةِ الْأُمْتُونِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ الْعُمُرَانِ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
 بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خُطُّهُمْ عَلَى الْخَطِّ الْأَفْرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَسَيَّ خُطُّ الْقَيْرَوَانِ  
 وَالْمَهْدِيَّةِ يَنْسَبَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خُطُوطُ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ كُتَابًا عَلَى الرَّسْمِ  
 الْأَنْدَلُسِيِّ بَنُوسَ وَمَا إِلَيْهَا اتَّوَفَّرَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الْجَالِيَّةِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمٌ بِلَادِ الْجَرْيدِ الَّذِينَ لَمْ يَخَالِطُوا كُتَابَ الْأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَسُّوا بِحُجُورِهِمْ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَغْدُونَ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ بَنُوسَ فَصَارَ خُطُّ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خُطُوطِ

أَهْلِي الْأَنْدَلُسِ حَتَّى إِذَا تَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ الْمُوَحَّدِيَّةِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَتَرَاجَعَ أَمْرُ الْخِصَارَةِ  
وَالْتَرَفَ بَتَرَجَعِ الْعُمَرَانُ نَقَصَ جِنْدُ حَالِ الْخَطِّ وَقَسَدَتْ رُسُومُهُ وَجْهَلَ فِيهِ وَجْهُ  
التَّعْلِيمِ بِفَسَادِ الْخِصَارَةِ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ وَبَقِيَتْ فِيهِ آثَارُ الْخَطِّ الْأَنْدَلُسِيِّ تَشْهَدُ بِمَا  
كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الصَّنَائِعَ إِذَا رَسَخَتْ بِالْخِصَارَةِ فَيَعْسُرُ مَحْوُهَا  
وَحَصَلَ فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لَوْ أَنَّ الْخَطَّ الْأَنْدَلُسِيَّ  
لِقُرْبِ جِزَارِهِمْ وَسُقُوطِ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى فَارِسَ قَرِيبًا وَاسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُمْ سَائِرَ  
الدَّوْلَةِ وَلَيْسِي عَهْدَ الْخَطِّ فِيمَا بَعْدَ عَنْ سُدَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفَ قَصَارَتِ الْخَطُوطِ  
بِأَفْرِيقَةِ وَالْمَغْرِبِيِّينَ مَائِلَةً إِلَى الرَّدَاءَةِ بَعِيدَةً عَنِ الْجُودَةِ وَصَارَتْ الْكُتُبُ إِذَا  
أَنْتَسَخَتْ فَلَا فَائِدَةَ تَحْصُلُ لِمُتَصَفِّحِيهَا مِنْهَا إِلَّا الْعَنَاءُ وَالْمَشَقَّةُ كَثَرَتْ مَا يَبْقَى فِيهَا مِنْ  
الْفَسَادِ وَالتَّخْفِيفِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ الْخَطِّيَّةِ عَنِ الْجُودَةِ حَتَّى لَا تَسْكَدَ نُقْرًا إِلَّا بَعْدَ  
عُسْرِ وَوَقَعُ فِيهِ مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ بِنَقْصِ الْخِصَارَةِ وَفَسَادِ الدُّوَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الحادي والثلاثون

#### في صناعة الوراقة

كَانَتْ الْعِنَايَةُ قَدِيمًا بِالذَّوَابِنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالسَّيْلَاتِ فِي تَنْحِيهِهَا وَتَجْلِيدِهَا وَتَضْفِيفِهَا  
بِالزَّوَايَةِ وَالضَّبْطِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ ضَخَامَةِ الدَّوْلَةِ وَتَوَابِعِ الْخِصَارَةِ وَقَدْ ذَهَبَ  
ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُ فِي الْعِلَّةِ إِلَّا سَلَامِيَّةُ  
بَحْرٍ زَاخِرٍ بِالْعِرَاقِ وَالْأَنْدَلُسِ إِذْ هُوَ كُلُّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْعُمَرَانِ وَاتِّسَاعِ نِطَاقِ الدَّوْلَةِ  
وَتَفَاقِ اسْوَاقِ ذَلِكَ لَدَيْهِمَا فَكَثُرَتْ التَّالِيفَاتُ الْعِلْمِيَّةُ وَالذَّوَابِنُ وَحَرَصَ النَّاسُ عَلَى  
تِنَاقُلِهَا فِي الْأَفَاقِ وَالْأَعْصَارِ فَانْتَسَخَتْ وَجِلْدَتْ وَجَاءَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَقَيْنِ الْعُمَانَيْنِ  
لِلْإِنْتِسَاخِ وَالتَّضْفِيفِ وَالتَّجْلِيدِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْكُتُبِيَّةِ وَالذَّوَابِنِ وَاخْتَصَّتْ بِالْأَمْصَارِ  
الْعَظِيمَةِ الْعُمَرَانُ وَكَانَتْ السَّيْلَاتُ أَوَّلًا لِإِنْتِسَاخِ الْعُلُومِ وَكُتِبَ الرِّسَالُ السُّلْطَانِيَّةُ  
وَالْإِفْطَاعَاتُ وَالصُّكُوكُ فِي الرُّفُوقِ الْمُهَيَّأَةِ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْجِلْدِ لِكَثَرَةِ الرِّفَةِ وَقِلَّةِ  
الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالصُّكُوكِ مَعَ ذَلِكَ فَاقْتَصَرُوا عَلَى الْكِتَابِ فِي الرِّقِّ تَشْرِيفًا  
لِلْمَكْتُوباتِ وَمِيَالًا بِهَا إِلَى الصِّحَّةِ وَالْإِثْقَانِ ثُمَّ طَمَحَ بَحْرُ التَّالِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَكَثُرَ  
تَرْسِيلُ السُّلْطَانِ وَصُكُوكُهُ وَضَاقَ الرِّقُّ عَنْ ذَلِكَ فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ بَيْعِي بِصِنَاعَةِ

الكَافِدِ وَصَنَعَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصُكُوكَهُ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ  
صُحُفًا لَمَكْنُو بَاتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ وَبَلَّغَتْ أَلَا جَادَةً فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ ثُمَّ وَقَفَتْ  
عَنَابَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهُمْ أَهْلُ الدُّوَلِ عَلَى ضَبْطِ الدَّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَفْحِيحِهَا بِالرِّوَايَةِ  
الْمُسْنَدَةِ إِلَى مُؤَلِّفِهَا وَوَاضِعِهَا لِأَنَّهُ الشَّأْنُ الْأَمُّ مِنَ التَّفْحِيحِ وَالضَّبْطِ فَبِذَلِكَ تُسَنَدُ  
الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا وَالتَّفْتِيَا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا التَّجْتِهْدُ فِي طَرِيقِ اسْتِنَابِهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ  
تَصْحِيحُ الْمُتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مُدُونِهَا فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلِ لَهُمْ وَلَا قُتِيَا وَهَكَذَا كَانَ  
شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتْهُ فِي الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ الصِّنَاعَةِ  
الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ قَطُّ إِذْ ثَمَرَتْهَا الْكِبَرَى مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ  
وَحُسْنِهَا وَمُسْنَدِهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا وَمَوْفُوفِهَا مِنْ مَوْضُوعِهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَتَحْصَصَتْ زُبْدَةٌ  
فِي ذَلِكَ الْأَمْهَاتُ الْمُتَلَفَّةُ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأَمَّةِ وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لِقَوَامِ الْعَمَلِ  
وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةُ الرِّوَايَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِهَا إِلَّا فِي تَفْحِيحِ تِلْكَ الْأَمْهَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ وَسِوَاهَا  
مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ الْفَنِّيَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّلَايِفِ الْعِلْمِيَّةِ وَاتِّصَالَ سُنَدِهَا  
بِمُؤَلِّفِهَا لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
مُعَبَّدَةً الطَّرِيقَ وَاضِحَةً الْمَسَالِكَ وَلِهَذَا تَجِدُ الدَّوَاوِينَ الْمُنْتَسَخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ  
عَلَى غَايَةِ مِنَ الْأَثْقَانِ وَالْإِحْكَامِ وَالصَّحَّةِ وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ  
أُصُولٌ عَنِيْقَةٌ تَشْهَدُ بِبُلُوغِ الْعَايَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآلَتِ  
وَيَسُدُّونَ عَلَيْهَا يَدَ الضَّنَانَةِ وَلَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ لِهَذَا الْعَهْدِ جُمْلَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَهْلِهِ  
لِانْقِطَاعِ صِنَاعَةِ الْخَطِّ وَالضَّبْطِ وَالرِّوَايَةِ مِنْهُ بِانْتِقَاصِ عُمَرَانِهِ وَبِدَاوَةِ أَهْلِهِ وَصَارَتْ  
الْأَمْهَاتُ وَالِدَّوَاوِينَ تُنَسَخُ بِالْخُطُوطِ الْيَدَوِيَّةِ تَنْسَخُهَا طُلَبَةُ الْبَزْرِ صَحَائِفُ مُسْتَعْمِلَةٍ بِرَدَاءَةِ  
الْخَطِّ وَكَثْرَةِ الْفَسَادِ وَالتَّضْيِيفِ فَتَسْتَعْلِقُ عَلَى مُتَصَفِّحِهَا وَلَا يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ إِلَّا فِي الْأَتَلِ  
النَّادِرِ وَأَيْضًا فَقَدْ دَخَلَ الْخَلَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفَنِّيَا فَإِنَّ غَالِبَ الْأَقْوَالِ الْمَعْرُوءَةِ غَيْرُ مَرْوِيَةٍ  
عَنْ أَيْمَةِ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا تُنْتَقَى مِنْ تِلْكَ الدَّوَاوِينَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَتَبَعَ ذَلِكَ أَيْضًا مَا  
يَتَصَدَّى إِلَيْهِ بَعْضُ أَيْمَتِهِمْ مِنَ التَّلَايِفِ لِقَلَّةِ بَصَرِهِمْ بِصِنَاعَتِهِ وَعَدَمِ الصَّنَاعَةِ الْوَاقِفَةِ  
بِمِقَاصِدِهِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الرُّنْمِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَّا إِثَارَةٌ خَفِيَّةٌ بِالْأَحْيَاءِ وَهِيَ الْإِضْحَالُ  
فَقَدْ كَادَ الْعِلْمُ يَنْقَطِعُ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ

أَنَّ صِنَاعَةَ الرَّوَابَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَتَصْحِيحُ الدَّوَابِّ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى مُبْتَدِئِهِ لِذَنَاقِ أَسْوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَذَرْنَاهُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنَ الْإِلْجَادَةِ فِي الْإِتْسَاحِ هُنَاكَ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّجَمُّعِ وَفِي خُطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِمِصْرَ فَفَسَدَ كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ تَلْحِينُ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسَبٍ مُنْتَظِمَةٍ مَعْرُوفَةٍ يُوَفَّقُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْفِيقًا عِنْدَ قِطْعِهِ فَيَكُونُ نِعْمَةً ثُمَّ تَوَافَتْ تِلْكَ النِّعَمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسَبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَلَيْذُ مَعَافَا لَأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَتَنَاسَبُ فَيَكُونُ صَوْتٌ نِصْفُ صَوْتٍ وَرُبْعٌ آخَرُ وَخُمْسٌ آخَرُ وَجُزْءٌ مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرَ وَاخْتِلَافٌ هَذِهِ النِّسَبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ يُغْرِجُهَا مِنَ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرَكَيبٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا أَهْلُ عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ بَسَّوْهُ ذَلِكَ التَّلْحِينَ فِي النِّعَمَاتِ الْغَنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْحَمَادَاتِ أَمَّا بِالْقَرْعِ أَوْ بِالنَّفْخِ فِي الْأَلَاتِ لِنَتَّخِذَ ذَلِكَ قَرَنِي لَهَا لَدَّةً عِنْدَ السَّمْعِ فَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَصْنَافٌ مِنْهَا مَا يُسَمُّونَهُ الشَّبَابَةَ وَهِيَ قِصْبَةُ جَوْفَاءَ بِأَبْجَاسٍ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّتُ فَيُخْرِجُ الصَّوْتُ مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْجَاسِ وَيَقْطَعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْجَاسِ وَضَعًا مُتَعَارَفًا حَتَّى تَحْدُثَ النِّسَبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتُتَّصَلَ كَذَلِكَ مُنَاسِبَةً فَلَيْذُ السَّمْعُ بِإِذْرَاكِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جِنْسِ هَذِهِ الْأَلَةِ الْمَزْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الزَّلَامِيَّ وَهُوَ شَكْلُ الْقِصْبَةِ مَخُونَةً الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ جَوْفَاءَ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لَأَجْلِ ائْتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُتَفَرَّدَتَيْنِ كَذَلِكَ بِأَبْجَاسٍ مَعْدُودَةٍ يُنْفَخُ فِيهَا بِقِصْبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوصَلُ فَيَنْفِذُ النَّفْخُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّتُ بِنِعْمَةٍ حَادِيَةٍ يُجْرَى فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْجَاسِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يَجْرَى فِي الشَّبَابَةِ وَمِنْ أَحْسَنِ آلَاتِ الزَّمْرِ لِهَذَا الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ بُوقٌ مِنْ نَحَاسٍ أَجْوَفٌ فِي مِقْدَارِ

الذراع يَسْعُ إِلَى أَنْ يَكُونَ اقْتِرَاجٌ مَخْرُجُهُ فِي مِقْدَارِ دُونَ الْكَفِّ فِي شَكْلِ بَرِي  
الْقَلَمِ وَيُنْفَخُ فِيهِ بِقَصَبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوْدِي الرِّيحَ مِنَ الْقَلَمِ إِلَيْهِ فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ نَحْبَةً دَوْبًا  
وَفِيهِ ابْتِغَاشٌ أَيْضًا مَعْدُودَةٌ وَتُقَطَّعُ نَعْمَةٌ مِنْهَا كَذَلِكَ بِالْأَصَابِعِ عَلَى التَّنَاسُبِ فَيَكُونُ  
مَلْدُودًا وَمِنْهَا آلَاتُ الْأَوْتَارِ وَهِيَ جَوْفَاءُ كُلُّهَا إِمَّا عَلَى شَكْلِ قِطْعَةٍ مِنَ الْكُرَةِ مِثْلُ  
الْمَرْبِطِ وَالرَّبَابِ أَوْ عَلَى شَكْلِ مُرَبَّعٍ كَالْقَانُونِ تَوْضَعُ الْأَوْتَارُ عَلَى بَسَاطِطِهَا مَشْدُودَةٌ  
فِي رَأْسِهَا إِلَى دُسْرِ جَانِلَةٍ لِيَأْتِيَ شَدُّ الْأَوْتَارِ وَرِخْوُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ بِإِدَارَتِهَا ثُمَّ  
تُقَرَّعُ الْأَوْتَارُ إِمَّا بَعْدَ آخَرٍ أَوْ بِوَتَرٍ مَشْدُودٍ بَيْنَ طَرَفَيْ قَوْسٍ يَعْرِضُ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ  
يُطْلَى بِالسَّخَرِ وَالْكَثَرِ وَيُقَطَّعُ الصَّوْتُ فِيهِ بِخَفِيفِ الْيَدِ فِي إِزْرَارِهِ أَوْ تَقْلِهِ مِنْ  
وَتَرٍ إِلَى وَتَرٍ وَالْيَدُ الْبَسْرَى مَعَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ آلَاتِ الْأَوْتَارِ تَوْقِعُ بِأَصَابِعِهَا عَلَى  
أَطْرَافِ الْأَوْتَارِ فِيمَا يُقَرَّعُ أَوْ يَحُكُّ بِالْوَتَرِ فَتَحْدُثُ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً مَلْدُودَةٌ  
وَقَدْ يَكُونُ الْقَرَعُ فِي الطُّسُوتِ بِالْقُضْبَانِ أَوْ فِي الْأَعْوَادِ بَعْضُهَا يَبْعُضُ عَلَى تَوْقِيعٍ مُنَاسِبٍ  
يَحْدُثُ عَنْهُ التَّدَادُّ بِالْمَسْمُوعِ وَلِتَبَيَّنَ لَكَ السَّبَبُ فِي اللَّذَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْغِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ  
اللَّذَّةَ كَمَا تَقَرَّرُ فِي مَوْضِعِهِ هِيَ إِدْرَاكُ الْمَلَامِ وَالنَّحْسُوسُ إِنَّمَا تُدْرِكُ مِنْهُ كَيْفِيَّةُ  
فَإِذَا كَانَتْ مُنَاسِبَةً لِلْمُدْرِكِ وَمِلَّةً كَانَتْ مَلْدُودَةٌ وَإِذَا كَانَتْ مُنَافِيَةً لَهُ مُنَافِرَةٌ  
كَانَتْ مُؤَلَّةً فَالْمَلَامُ مِنَ الطَّعْمِ مَا نَاسَبَتْ كَيْفِيَّتُهُ حَاسَةً الذَّوْقِ فِي مَزَاجِهَا وَكَذَا  
الْمَلَامُ مِنَ الْمَلْمُوسَاتِ وَفِي الرِّوَائِحِ مَا نَاسَبَ زِجَاجَ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ الْخَارِيِّ لِأَنَّهُ  
الْمُدْرِكُ وَإِلَيْهِ تُوْدِي الْحَاسَةُ وَلِهَذَا كَانَتْ الرِّيَاحِينَ وَالْأَزْهَارُ الْعَطْرِيَّاتُ أَحْسَنَ  
رَاحَةً وَأَشَدَّ مِلَّةً لِلرُّوحِ لِعَلْبَةِ الْحَرَارَةِ فِيهَا الَّتِي هِيَ مَزَاجُ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَأَمَّا  
الْمَرْئِيَّاتُ وَالْمَسْمُوعَاتُ فَالْمَلَامُ فِيهَا تَنَاسُبُ الْأَوْضَاعِ فِي أَشْكَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا فَهُوَ  
أَنْسَبُ عِنْدَ النَّفْسِ وَأَشَدُّ مِلَّةً لَهَا فَإِذَا كَانَ الْمَرْئِيُّ مُتَنَاسِبًا فِي أَشْكَالِهِ وَمَخَاطِطِهِ  
الَّتِي لَهُ بِحَسَبِ مَادَّتِهِ يَحْبُثُ لَا يَخْرُجُ عَمَّا نَقَضِيهِ مَادَّتُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ كَدَالِ الْمُنَاسَبَةِ  
وَالْوَضْعِ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ فِي كُلِّ مُدْرِكٍ كَانَ ذَلِكَ حِينَئِذٍ مُنَاسِبًا  
لِلنَّفْسِ الْمُدْرِكَةِ فَتَلَذُّ بِإِدْرَاكِ مِلَّتِهَا وَلِهَذَا تَجِدُ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَهْتَرِينَ فِي الْحُبَّةِ  
يُعَبَّرُونَ عَنْ غَايَةِ حُبِّهِمْ وَعَشْفِهِمْ بِامْتِزَاجِ أَرْوَاحِهِمْ بِرُوحِ الْحُبُّوبِ وَفِي هَذَا سِرٌّ  
تَقْهَمُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهُ وَهُوَ اتِّحَادُ الْمَبْدَأِ وَإِنْ كَانَ مَا سِوَاكَ إِذَا نَظَرْتَهُ وَتَأَمَّلْتَهُ



وَأَيَّتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اتِّحَادًا فِي الْبِدَاءِ يَشْهَدُ لَكَ بِهِ اتِّحَادُ كَمَا فِي الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
وَجْهِ آخِرٍ أَنَّ الْوُجُودَ يُشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا يَقُولُهُ الْحُكَمَاءُ فَنُودُ أَنْ يَمْزَجَ  
بِشَاهِدَاتٍ فِيهِ الْكَمَالُ لِيَتَّحِدَ بِهِ بَلْ تَرُومُ النَّفْسُ حِينَئِذٍ الْخُرُوجَ عَنِ الْوُجْهِ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّحَادُ الْمَبْدِ وَالْكَوْنِ وَلَمَّا كَانَ أَنْسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
إِلَى أَنْ يَذَرِكَ الْكَمَالُ فِي تَنَاسُبِ مَوْضُوعِهَا هُوَ شَكْلَةُ الْإِنْسَانِي كَانَ إِدْرَاكُهُ لِلْجَمَالِ  
وَالْحُسْنِ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَيَلْمِجُ كُلُّ  
إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ أَوِ الْمَسْمُوعِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْحُسْنُ فِي الْمَسْمُوعِ أَنْ  
تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَنَافِرَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْهَمْسِ  
وَالْجَهْرِ وَالرَّخَاوَةِ وَالشَّدَةِ وَالْقَلْقَلَةِ وَالضَّعْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
لَهَا الْحُسْنَ فَأَوْلَا أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدَى دَفْعَةٍ بَلْ يَتَدَرِجُ ثُمَّ يَرْجِعُ كَذَلِكَ  
وَهَكَذَا إِلَى الْمِثَالِ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ تَوْسُطِ الْمَغَايِرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأَمَّلْ هَذَا مِنْ أَفْتِنَاحِ  
أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكِبِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ أَوِ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
وَتَأْنِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلَ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نَصْبِهِ أَوْ ثَلَاثِهِ أَوْ  
جُزْءٍ مِنْ كَذَا مِنْهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ التَّنْقُلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مُلَائِمَةً  
مَلْدُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِطًا وَيَكُونُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
لَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صِنَاعَةٍ كَمَا نَجِدُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشَّعْرِيَّةِ وَتَوْقِيعِ  
الرَّقِصِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَةُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةُ بِالْمَضْمَرِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ يَهْدِيهِ  
الْمَثَابَةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيُجِدُونَ فِي تَلَاَحِينِ أَصْوَاتِهِمْ كُنْهًا الْمَزَامِيرِ فَيُطْرِبُونَ  
بِحُسْنِ مَسَاقِيمِهِمْ وَتَنَاسُبِ نَغَمَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَحْدُثُ بِالْتَّرَكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطَّبَاعِ تَوَافِقُ صَاحِبَهَا فِي التَّعَمُّلِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا نَشْرَحُهُ بَعْدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَالِكُ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرَّاءَةَ بِالْتَّلْحِينِ وَأَجَازَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَلْحِينَ  
الْمَوْسِيقَى الصَّنَاعِي فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي حَظِّهِ إِذَا صَنَاعَةُ الْغَنَاءِ مُبَايَنَةٌ لِلْقُرْآنِ  
بِكُلِّ وَجْهِ لِأَنَّ الْقُرَّاءَةَ وَالْآدَاءَ تَحْتَاجُ إِلَى مِقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لِيَعَيْنَ آدَاءَ الْحُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ اتَّبَاعُ الْحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمَقْدَارِ الْمَدِّ عِنْدَ مَنْ يُطْلِقُهُ أَوْ يُقْصِرُهُ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ وَالْتَحِينُ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قُلْنَاهُ فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارُ أَحَدِهَا قَدْ يُغْلُ بِالْآخِرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقَدَّمَ الرَّوَايَةُ مُتَعَيَّنٌ  
 مِنْ تَغْيِيرِ الرَّوَايَةِ الْمَنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمْكِنُ أَجْمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءِ الْمُعْتَبَرِ فِي  
 الْقُرْآنِ بِوَجْهِهِ وَإِنَّمَا مُرَادُهُمُ التَّلْحِينُ الْبَسِيطُ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَضْمَارِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ فَيَرِدُّ أَصْوَاتَهُ تَرْدِيدًا عَلَى نَسَبٍ يُذَكِّرُهَا الْعَالِمُ بِالْفَنَاءِ وَغَيْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 بِوَجْهِهِ كَمَا قَالَه مَالِكٌ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنْ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ تَحَلُّ خُشُوعٍ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامُ التَّنَادُّ بِإِدْرَاكِ الْحُسْنِ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أَوْتِيَ بِزَمَارٍ مِنْ زَمَائِرِ  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدُ وَالتَّلْحِينُ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حُسْنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ الْقِرَاءَةِ  
 وَالْإِبَانَةُ فِي خَارِجِ الْحُرُوفِ وَالنُّطْقِ بِهَا وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْفَنَاءِ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي الْعُمُرَانِ إِذَا تَوَفَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الضَّرُورِيِّ إِلَى الْحَاجِيِّ ثُمَّ إِلَى الْكَمَالِيِّ وَتَنَمَّنُوا  
 فَتَحْدُثُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ فَرَّغَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ  
 وَالْمُهِمَّةِ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الْفَارِغُونَ عَنْ سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ  
 تَقَنَّنًا فِي مَذَاهِبِ الْمَلَكُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ النُّجْمِ قَبْلَ الْمَلَكَةِ مِنْهَا بَعْرٌ زَاخِرٌ فِي  
 أَمْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ وَبُولَعُونَ بِهِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ لِمُلُوكِ  
 الْفَرَسِ اهْتِمَامٌ بِأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَجَمَاعَتَهُمْ وَيَعْتَوْنَ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ النُّجْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي كُلِّ أَقْفٍ مِنْ أَقْفَائِهِمْ وَمَمْلَكَةِ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا الْعَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوَّلًا قَبْلَ الشَّعْرِ بُولَعُونَ فِيهِ الْكَلَامَ أَجْزَاءَ  
 مُتَسَاوِيَةٍ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنِهَا فِي عِدَّةِ حُرُوفِهَا الْمُنَحَرَكَةِ وَالسَّاكِنَةِ وَيَفْصِلُونَ الْكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الْأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِأَلَا فَاذَةً لَا يَتَعَطَّفُ عَلَى الْآخِرِ  
 وَيُسَمُّونَهُ الْبَيْتَ فَتَلَامِ الطَّبِيعَ بِالْعَجَزَةِ أَوَّلًا ثُمَّ بِتَنَاسُبِ الْأَجْزَاءِ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَبَادِي  
 ثُمَّ بِتَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَتَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَلَهَجُوا بِهِ فَا مَنَازَ مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 يَحْطَرُ مِنَ الشَّرَفِ لَيْسَ لغيرِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَعَلُوهُ دِيْوَانًا لِأَخْبَارِهِمْ

وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَتَحَكُّمًا لِقُرَائِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِجَادَةِ الْأَسَالِبِ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْمَحَرِّكَ وَالْيَاكُنِ مِنَ الْحُرُوفِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مِنْ تَنَاسُبِ الْأَصْوَاتِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْمُوسِيقَى إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَنْتَحِلُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةً وَكَانَتِ الْبِدَاوَةُ أَغْلَبَ فِعْلِهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ الْخِدَاءُ مِنْهُمْ فِي حِدَاءِ إِيْلِهِمْ وَالْفَتْنَانُ فِي فِضَاءِ خُلُوتِهِمْ فَرَجَعُوا الْأَصْوَابَ وَتَرَنَّمُوا وَكَانُوا يُسَمِّنُونَ التَّرَنُّمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءٌ وَإِذَا كَانَ بِالْفَهْلِيلِ أَوْ نَوْعِ الْقِرَاءَةِ تَغْيِيرًا بِالْعَيْنِ الْمُتَجَمِّعَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّهَا أَبُو اسْتِخْقَ الرَّجَاجِ بِأَنَّهُا تَذَكُّرُ بِالْغَايِرِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيْ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ التَّغْمَاتِ مُنَاسَبَةً بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رَشِيْقٍ آخِرَ كِتَابِ الْعُمْدَةِ وَغَيْرُهُ وَكَانُوا يُسَمِّنُونَ السِّنَادَ وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَفِيفِ الَّذِي يُرْقَصُ عَلَيْهِ وَيُمَشَى بِالْدَفِّ وَالْمِزْمَارِ فَيَضْطَرِبُ وَيَسْتَفِثُ الْحُلُومَ وَكَانُوا يُسَمِّنُونَ هَذَا الْهَرَجَ وَهَذَا الْبَسِيطُ كُلُّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَنْفَطِنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ شَأْنِ الْبَسَاطَةِ كُلِّهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنُ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَاسْتَوَلُوا عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْأَجَمِّ وَغَلِبُوا عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْقَضَاضَةِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْفَرَاغِ وَمَا لَيْسَ بِنَافِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عَنْهُمْ إِلَّا تَرْجِيعُ الْقِرَاءَةِ وَالتَّرَنُّمِ بِالشَّعْرِ الَّذِي هُوَ دِينُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ التَّرَفُ وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْأَثَمِ صَارُوا إِلَى نَضَارَةِ الْعَبَسِ وَرِفْقَةِ الْحَاشِيَةِ وَاسْتِخْلَاءِ الْفَرَاغِ وَافْتَرَقَ الْمَغْنُونُ مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ وَغَنُوا جَمِيعًا بِالْعِيدَانِ وَالطَّنَائِيرِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمِزْمَارِ وَتَمِيعَ الْعَرَبِ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ فَلَحْنُوا عَلَيْهَا أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ نَشِيطُ الْفَارِسِيِّ وَطُوْبُسُ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عَيْنِدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَتَحَنُّوهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُنَا ثُمَّ أَخَذَ عَنْهُمْ مَعْبُدٌ وَطَبَقَتْهُ وَأَبْنُ شُرَيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تَنْدَرُّجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامُ بَنِي الْعَبَّاسِ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ وَأَبْنِ اسْتِخْقَ وَأَبْنِ حَمَادٍ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي دَوْلَتِهِمْ يَتَغَادَا مَا تَبِعَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَهُ بِهِ وَبِحَالِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَعُوا فِي اللَّهِ

وَاللَّعِبِ وَأُتِخِذَتِ الْآلَاتُ الرِّقْصِ فِي الْمَلِيسِ وَالْقُضْبَانُ وَالْأَشْعَارُ الَّتِي يَتَرَنَّمُ بِهَا عَلَيْهِ  
وَجَمَلُ صِنْفَا وَحْدَهُ وَأُتِخِذَتِ الْآلَاتُ أُخْرَى لِلرِّقْصِ تُسَمَّى بِالْكَرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسْرَجَةٌ مِنَ الْخُشْبِ مُعَلَّقَةٌ بِأَطْرَافِ أَفْيَافِ بِلْبُسِهَا النِّسْوَانُ وَيُحَاكِبْنَ بِهَا أَمْنِطَاءُ الْخَيْلِ  
فَيَكْرُثُونَ وَيَفْرُثُونَ وَيُثَاقِفُونَ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِنَ اللَّعِبِ الْمَعْدَّةُ لِلْوَلَايِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَأَيَّامُ  
الْأَعْيَادِ وَجَالِسِ الْفَرَاغِ وَاللَّهْوِ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ وَأَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّينَ غَلَامٌ اسْمُهُ زُرْيَابُ أَخَذَ عَنْهُمْ الْغَنَاءَ فَأَجَادَ فَصَرَفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غَيْرَةً مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِيلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِيمِهِ وَرَكِبَ الْقَائِيهِ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْأَفْطَاءَ وَالْجَرَايَاتِ وَأَحْلَاهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَنَدَمَائِهِ بِمَكَانٍ فَأَوْرَثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْغَنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَزْمَانٍ  
الطَّوَائِفِ وَطِمًا مِنْهَا بِأَشْجَلِيَّةٍ بِحَرِّ زَاخِرٍ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُوَّةِ  
بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَانْقَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صِبَاةٌ عَلَى تَرَجَعِ عُمَرَانِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلِهَا وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ أُخْرَى مَا يَحْصُلُ فِي الْعُمَرَانِ مِنَ الصَّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَمَا لَيْتُ فِي  
غَيْرِ وَظِيفَةٍ مِنَ الْوُظَائِفِ إِلَّا وَظِيفَةُ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنْ  
الْعُمَرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَجُعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب  
قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَأَنَّ  
خُرُوجَهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِتَجَدُّدِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ عَنِ الْحَسُوسَاتِ  
أَوَّلًا ثُمَّ مَا يَكْتَسِبُ بَعْدَهَا بِالْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِدْرَاكًا بِالْفِعْلِ وَعَقْلًا مُحَضًّا  
فَتَكُونُ ذَاتًا رُوحَانِيَّةً وَتَسْتَكْمِلُ حِينَئِذٍ وُجُودَهَا فَوْجِبَ لِنَاكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَوْعٍ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ يُفِيدُهَا عَقْلًا فَرِيدًا وَالصَّنَائِعُ أَبَدًا يَحْصُلُ عَنْهَا وَعَنْ مَلَكَتِهَا قَانُونٌ  
عِلْمِيٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ فَلِهَذَا كَانَتِ الْحُنُكَةُ فِي التَّجَرِبَةِ تُفِيدُ عَقْلًا وَالْحَضَارَةُ  
الْكَامِلَةُ تُفِيدُ عَقْلًا لِأَنَّهَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ صَنَائِعٍ فِي شَأْنِ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ وَمُعَاشَرَةِ أَبْنَاءِ  
الْجِنْسِ وَتَحْصِيلِ الْآدَابِ فِي مُحَاطَتِهِمْ ثُمَّ الْقِيَامِ بِأُمُورِ الدِّينِ وَاعْتِبَارِ آدَابِهَا وَشَرَائِطِهَا  
وَهَذِهِ كُلُّهَا قَوَانِينٌ تَنْتَظِمُ عُلُومًا فَتَحْصُلُ مِنْهَا زِيَادَةُ عَقْلِ وَالْكِتَابَةُ مِنْ بَيْنِ الصَّنَائِعِ

أَكْثَرَ إِفَادَةٍ لِدَلِيلِهَا لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَيَبَيِّنُ أَنَّ فِي  
الْكِتَابَةِ أَنْتِقَالَ مِنَ الْحُرُوفِ إِلَى الْكَلِمَاتِ الَّلَفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ وَمِنْ الْكَلِمَاتِ  
الَّلَفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ إِلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ ذَلِكَ دَائِمًا فَيَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةٌ الْأَنْتِقَالِ مِنَ  
الْأَدِلَّةِ إِلَى الْمَدْلُولَاتِ وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُكْسِبُ الْعُلُومَ الْجَهُولَةَ  
فَيُكْسِبُ بِذَلِكَ مَلَكَةً مِنَ التَّعَقُّلِ تَكُونُ زِيَادَةً عَقْلٍ وَيَحْصُلُ بِهِ قُوَّةُ فِطْنَةٍ وَكَيْسٍ فِي  
الْأُمُورِ لِمَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْتِقَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ كَسْرَى فِي كِتَابِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ بَيَّنَّ  
الْفِطْنَةَ وَالْكَيْسَ فَقَالَ دِيُونَانَةُ أَيُّ شَيْطَانٍ وَجُنُونٍ قَالُوا وَذَلِكَ أَصْلُ اسْتِثْقَاكِ الدِّيُونَانَ  
لِأَهْلِ الْكِتَابَةِ وَيُلْحِقُ بِذَلِكَ الْحَسَابُ فَإِنَّ فِي صِنَاعَةِ الْحَسَابِ نَوْعَ تَصَرُّفٍ فِي الْعَدَدِ  
بِالْقَصْرِ وَالتَّفْرِيقِ يُخْتِاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ كَثِيرٍ فَيَبْقَى مَعْتُودًا لِلِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ  
وَهُوَ مَعْنَى الْعَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ شَارَكَتَهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ  
وَالْفَنَاءِ وَالْكُنْ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَيَّزَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ  
وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ بِإِنْدَاءِ جَنْسِهِ وَالْإِجْتِمَاعِ الْمَعْنِيِّ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ  
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صَلَاحِ آخَرَاهُ فَهُوَ مُتَكَيِّمٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا  
يَفْتَرُ عَنْ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةً عَيْنٍ بَلْ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَسْرَعُ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا  
الْفِكْرِ تَنَشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدْ تَنَاهَتْ مِنَ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لِأَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ  
بَلْ الْحَيَوَانُ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَدْعِيهِ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاغِبًا فِي تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ

عنده من الإذراكات فيرجع إلى من سبقه يعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو  
أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويعرّض على  
أخذه وعلمه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر بما يعرض  
له لذاته واحداً بعد آخر ويتحرّك على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بئناك الحقيقة  
ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً ونشوق نفوس  
أهل الجليل النائي إلى تحصيل ذلك فيمزعون إلى أهل معرفته ويحيي التعليم من هذا  
فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعيتي في البشر

### الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الخلق في العلم والتفان فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة  
في الإحاطة بمبادئ وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما  
لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلاً وهذه الملكة  
هي في غير الفهم والوعني لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعنيها  
مشتراكا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاقي الذي لم  
يعرف علماً وبين العالم النحرير والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من  
سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعني والملكات كلها جنسية سواء  
كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجنسيات كلها تحسوسة  
فتفتقر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير  
المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفي وجيل ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة  
أخلاف الاصطلاحات فيه فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم  
يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان  
واحداً عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين  
والمتاخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته نجد  
الاصطلاحات في تعليمه مخالفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه  
وإذا فرر ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن أهل المغرب

بِاخْتِلَالِ عُمْرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدُّوَلِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا  
كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيرَوَانَ وَفَرْطَبَةَ كَانَتَا حَاضِرَتِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَاسْتَجَرَّ عُمْرَانُهُمَا  
وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِثَةٌ وَيَجُورُ زَاخِرَةٌ وَرَسَّخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمَ لِامْتِدَادِ  
عُصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَلَمَّا خَرَبْنَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ بِمَرَاكِشَ مُسْتَفَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسَّخْ الْحَضَارَةُ بِمَرَاكِشَ لِبِدَاوَةِ  
الدَّوْلَةِ الْمُوَحِّدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبِ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا بِعِيدِهَا فَلَمْ تَنْصَلْ أَحُولُ الْحَضَارَةِ  
فِيهَا إِلَّا فِي الْأَوَّلِ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ بِمَرَاكِشَ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةِ  
الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ زَيْتُونٍ لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ الْإِمَامِ ابْنِ  
الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّقْلِياتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
بِعِلْمٍ كَثِيرٍ وَتَعْلِيمٍ حَسَنٍ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبٍ الدَّكَّالِيُّ  
كَانَ أَرْتَحَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةٍ مَضَرٍّ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَاسْتَقَرَّ بِهَا  
وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهُمَا أَهْلُ تُونِسَ وَاتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهِمَا جِيلًا  
بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحُ بْنُ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيزُهُ  
وَأَتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تِلْمَسَانَ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيزُهُ فَإِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَجَالِسَ بِأَعْيَانِهَا وَتَلْمِيزُ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتِلْمَسَانَ  
لِذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَلَّةِ بَحِثْ بِخُصْمِي انْقِطَاعُ سَنَدِهِمْ ثُمَّ أَرْتَحَلَ مِنْ زَوَاوَةِ سِيفِ  
آخِرِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشْدَالِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيزَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شِهَابِ الدِّينِ الْفَرَّاقِيِّ فِي مَجَالِسَ وَاحِدَةٍ  
وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالنَّقْلِياتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِعِلْمٍ كَثِيرٍ وَتَعْلِيمٍ مُفِيدٍ وَنَزَلَ  
بِجَبَاةٍ وَاتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرُبَّمَا أَتَقَلَ إِلَى تِلْمَسَانَ عُمْرَانُ الْمَشْدَالِيِّ مِنْ  
تَلْمِيزِهِ وَأَوْطَنَهَا وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيزُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِجَبَاةٍ وَتِلْمَسَانَ قَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
مِنَ الْقَلِيلِ وَبَقِيَتْ فَاْسُ وَسَائِرُ أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
انْقِرَاضِ تَعْلِيمِ فَرْطَبَةَ وَالْقَبِيرَوَانَ وَلَمْ يَنْصَلْ سُنْدُ التَّعْلِيمِ قَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
وَالْحَفَقُ فِي الْعُلُومِ وَأَبْسَرُ طُرُقِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقَرَّقَ اللِّسَانُ بِالْمَحَاوِرَةِ وَالْمَنَاظِرَةِ فِي  
الْمَسَائِلِ الْعَالِمِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُ شَأْنَهَا وَيَحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذَهَابَ الْكَثِيرِ مِنْ أَعْمَارِهِمْ فِي مُلَازِمَةِ النِّجَالِ الْعِلْمِيَّةِ سَكُونًا لَا يَنْطُقُونَ وَلَا  
 يُفَاوِضُونَ وَعَنَابَتُهُمْ بِالْحِفْظِ أَكْثَرُ مِنَ الْحَاجَةِ فَلَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ مِنْ مَلَكَهَ التَّصَرُّفِ  
 فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ ثُمَّ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَنْ يَرَى مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ تَحِدٌ مَلَكَتْهُ قَاصِرَةٌ فِي  
 عِلْمِهِ إِنْ فَاوَضَ أَوْ نَاطَرَ أَوْ عَلَّمَ وَمَا أَتَاهُمُ الْقُصُورُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ التَّعْلِيمِ وَأَنْقَطَعَ سِنْدُهُ  
 وَإِلَّا لَحَفِظْتُهُمْ أَبْلَغَ مِنْ حِفْظِ سَوَاهِمِ لِسِدَّةِ عَنَابَتِهِمْ بِهِ وَظَنِيهِمْ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمَلَكَةِ  
 الْعِلْمِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَمِمَّا يَشْهَدُ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ أَنَّ الْمُدَّةَ الْمَعِينَةَ لِسَكْنَى طَلَبَةِ  
 الْعِلْمِ بِالْمَدَارِسِ عِنْدَهُمْ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً وَهِيَ ثِنْتَانِ خَمْسُ سِنِينَ وَهَذِهِ الْمُدَّةُ بِالْمَدَارِسِ  
 عَلَى الْمُتَعَارِفِ هِيَ أَقَلُّ مَا يَتَأْتِي فِيهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ حُصُولُ مُبْتَغَاهِ مِنَ الْمَلَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْ  
 الْيَأْسِ مِنْ تَحْصِيلِهَا فَطَالَ أَمَدُهَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذِهِ الْمُدَّةِ لِأَجْلِ عُسْرِهَا مِنْ قِلَّةِ الْجُودَةِ  
 فِي التَّعْلِيمِ خَاصَّةً لَا بِمَا سِوَى ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَقَدِمَتْ رِسْمُ التَّعْلِيمِ مِنْ  
 يَتَنَبَّهُمْ وَذَهَبَتْ عَنَابَتُهُمْ بِالْعُلُومِ لِنَقْصِ عُمرَانِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مُنْذُ مِائَتَيْنِ مِنَ السِّنِينَ  
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رِسْمِ الْعِلْمِ فِيهِمْ إِلَّا قُلُوبُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ اقْتَصَرُوا عَلَيْهِ وَاتَّخَفَظَ سِنْدُ  
 تَعْلِيمِهِ يَتَنَبَّهُمْ فَأَحْفَظَ بِحِفْظِهِ وَأَمَّا الْفَقْهُ يَتَنَبَّهُمْ فَرِسْمٌ خُلُوٌّ وَآثَرٌ بَعْدَ عَيْنٍ وَأَمَّا الْعَقَلِيَّاتُ  
 فَلَا آثَرٌ وَلَا عَيْنٌ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِانْقِطَاعِ سِنْدِ التَّعْلِيمِ فِيهَا بِنَقْصِ الْعُمَرَانِ وَتَغْلِبِ الْعَدُوِّ  
 عَلَى عَامَتِهَا إِلَّا قَلِيلًا يَسِيفُ الْخَيْرِ شُغْلُهُمْ بِمَعَالِشِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ شُغْلِهِمْ بِمَا بَعْدَهَا وَاللَّهُ  
 غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَلَمْ يَنْقُطِ سِنْدُ التَّعْلِيمِ فِيهِ بَلْ أَسْوَاقُهُ نَافِقَةٌ وَبُحُورُهُ  
 زَاخِرَةٌ لِاتِّصَالِ الْعُمَرَانِ الْمُؤَفُّورِ وَاتِّصَالِ السِّنْدِ فِيهِ وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْصَارُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي  
 كَانَتْ مَعَادِنَ الْعِلْمِ قَدْ خَرِبَتْ مِثْلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ  
 أَدَالَ مِنْهَا بِأَمْصَارٍ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ وَانْتَقَلَ الْعِلْمُ مِنْهَا إِلَى عِرَاقِ النُّجْمِ بِخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ  
 النَّهْرِ مِنَ الْمَشْرِقِ ثُمَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ تَزَلْ مُؤَفُّورَةٌ وَعُمَرَانُهَا  
 مُتَّصِلَةٌ وَسِنْدُ التَّعْلِيمِ بِهَا قَائِمًا فَأَهْلُ الْمَشْرِقِ عَلَى الْجُمْلَةِ أَرْسَخَ فِي صِنَاعَةِ تَعْلِيمِ  
 الْعِلْمِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُظَنُّ كَثِيرٌ مِنْ رَحَالَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّ عَقُولَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ أَكْمَلُ مِنْ عَقُولِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّهُمْ أَشَدُّ  
 نَبَاهَةً وَأَعْظَمُ كَيْسًا بِفِطَرَتِهِمْ الْأُولَى وَأَنَّ نَفْسَهُمْ النَّاطِقَةَ أَكْمَلُ بِفِطَرَتِهَا مِنْ نَفْسِ  
 أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَبِعَقْدُونِ التَّفَاوُتِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَتَشَبَّعُونَ لِذَلِكَ



وَيُولَعُونَ بِهِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
فُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَقَاوُتٌ بِهَذَا الْقَدَارِ الَّذِي هُوَ تَقَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَقَالِيمَ الْمُنَحَرَفَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّالِعِ فَإِنَّ الْأَمْزَجَةَ فِيهَا مُنَحَرَفَةٌ  
وَالنَّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَّلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ  
هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحَضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَزِيدِ كَمَا نَقَدَّمْ فِي  
الصَّنَائِعِ وَزَيْدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي الْخَوَالِيقِ فِي  
الْمَعَاشِ وَالْمَسْكَنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
وَعُمَلَانِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقِفُ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
مَا يَتَنَاولُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَانَتْ حُدُودُ لَا تُتَعَدَّى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
صَنَائِعُ يَتَلَقَّاهَا الْآخَرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صَنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرَجْعٍ  
مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرُ يُكْسِبُهَا عَقْلاً جَدِيداً تَسْتَعِدُّ بِهِ لِقَبُولِ صَنَاعَةٍ أُخْرَى وَتَهَيِّئُ بِهَا  
الْعَقْلَ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْحُمْرَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ النُّجُمَ مِنَ الْمَاشِيِّ وَالطَّائِرِ  
مُفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يَسْتَعْرِبُ نَدْوَرَهَا وَيَعْجِزُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَهْمِهَا وَحُسْنِ  
الْمَلَكَّاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ زَيْدُ الْإِنْسَانِ ذِكَاً فِي عَقْلِهِ  
وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَّاتِ الْحَاصِلَةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
بِالْإِدْرَاكِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَّاتِ فَيَزِدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْساً لِمَا يَرْجَعُ إِلَى  
النَّفْسِ مِنَ الْآثَارِ الْعِلْمِيَةِ فَيُظَنُّ الْعَالَمِيُّ تَقَاوُتاً فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
الْأَنْزَى إِلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُحَايِياً بِالذِّكَاةِ مُعْتَمِلاً  
مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى إِنْ الْبَدْوِيَّ يُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
كَذَلِكَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِجَادَتِهِ فِي مَلَكَّاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
الْحَضَرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدْوِيُّ فَلَمَّا أَمْتَلَأَ الْحَضَرِيَّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَّاتِهَا وَحُسْنِ  
تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَّاتِ أَنَّهَا لِكَمَالٍ فِي عَقْلِهِ وَأَنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
قَاصِرَةٌ يَفْطَرُهَا وَجِلَّتْهَا عَنْ فِطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
أَعْلَى رُتْبَةٍ مِنَ أَلْفِهِمُ وَالْكَمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رُؤْيَى الصَّنَاعِ وَالْعَلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَارًا تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَكَذَا  
أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي الْعَلِيمِ وَالصَّنَاعِ أَرْجَحَ رُتْبَةً وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْغَرْبِ  
أَقْرَبَ إِلَى الْبِدَاوَةِ لِمَا قَدَمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنَّ الْمُغْتَلِبُونَ فِي بَادِيءِ الرَّأْيِ أَنَّهُ  
لِكَمَالٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَةِ اخْتَصَوْا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْغَرْبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ فَتَفَهَّمْهُ  
وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعَلِمِ كَمَا قَدَمْنَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَاعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا  
أَنَّ الصَّنَاعَ إِنَّمَا تَكْثُرُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمُرَانِهَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ وَالْحَضَارَةِ  
وَالثَّرَفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَاعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ أَرْجَحُ زَائِدًا عَلَى الْمَعَاشِ فَمَتَى  
فَضَلَّتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمُرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ انْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَعَاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
فِي خَاصِيَةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَاعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ مَعْنَى نَشَأَ فِي  
الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْمُتَمَدِّدَةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا الْعَلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِي لِفَقْدَانِ الصَّنَاعِ  
فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَلَا يَدُلُّهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَجِرَةِ  
شَأْنَ الصَّنَاعِ كُلِّهَا وَاعْتَبِرْ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادَ وَفَرْطَبَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ  
لَمَّا كَثُرَ عُمُرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ الْعِلْمِ  
وَتَفَنَّنُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَاسْتِنْبَاطِ الْمَسَائِلِ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَرْبَوَاعَى  
الْمُقَدِّمِينَ وَقَاتُوا الْمَتَأَخِّرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمُرَانُهَا وَابْدَعَرُ سَكَّانُهَا انْطَوَى ذَلِكَ الْإِسْطُ  
بِمَا عَلَيْهِ جُمْلَةٌ وَقَدْ أَلْعِمُ بِهَا وَالْعَلِيمُ وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَتَعْنُ  
لِهَذَا الْعَهْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعَلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمُرَانَهَا مُسْتَجِرَةٌ  
وَحَضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مِنْذُ الْأَوَّلِ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَاعُ وَتَفَنَّنَتْ وَمِنْ  
جَانِبِهَا تَعْلِيمُ الْعَلِمِ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِيهَا وَحَفِظَهُ مَا وَقَعَ لَهُ فِيهِ الْعُصُورُ بِهَا مِنْذُ مَائَتَيْنِ مِائَةٍ  
السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ مِنْ أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلُمَّ جَرًّا وَذَلِكَ أَنَّ أُمَرَاءَ  
التُّرْكِ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَخْلُقُونَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لِمَا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
الزَّقِ أَوِ الْوِلَاءِ وَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ مَعَاطِبِ الْمَلِكِ وَتَكْبَاتِهِ فَاسْتَكْبَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ

وَالرُّوَابِ وَالرُّبُطِ وَوَوَّنُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ الْمَغْلَّةَ يَجْعَلُونَ فِيهَا شِرْكَاً لَوْلَدِهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهَا أَوْ  
يُصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ غَالِباً مِنَ الْجَنُوحِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْتِمَاسِ الْأَجُورِ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ  
فَكَثُرَتْ الْأَوْقَافُ لِذَلِكَ وَعَظُمَتِ الْعِلَالُ وَالنَّوَائِدُ وَكَثُرَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَمُعَلِّمُهُ بِكَثَرَةِ  
حِرَايَتِهِمْ مِنْهَا وَارْتَحَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَتَفَقَّتْ بِهَا أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِعَارِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخْضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَتَبْدَأُ وَلَوْهَا فِي الْأَمْصَارِ مَحْصِيلاً وَتَعَالِيماً هِيَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٌ تَقْلِيدِيٌّ يَأْخُذُهُ عَمَمٌ  
وَضَعُهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنَّ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ  
بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضِعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْهَاءِ بَرَاهِينِهَا  
وَوُجُوهِ تَعْلِيمِهَا حَتَّى يَقِفَهُ <sup>(١)</sup> نَظَرُهُ وَيَخْتَهُ عَلَى الصَّوَابِ مِنَ الْخَطِإِ فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ الْوَضِيعَةُ وَهِيَ كُلُّهَا مُسْتَنَدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ  
الْأَوَاضِعِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا تَجَالُ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي إِلْحَاقِ الْقُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ  
لِأَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ الْحَادِثَةَ الْمُتَعَاكِفَةَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ النِّقْلِ الْكُلِّيِّ بِمُجَرَّدِ وَضْعِهِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى الْإِلْحَاقِ بِوَجْهِ قِيَاسِيٍّ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقِيَاسَ يَتَفَرَّعُ عَنِ الْخَبَرِ بِثَبُوتِ الْحُكْمِ  
فِي الْأَصْلِ وَهُوَ تَقْلِيدِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى النِّقْلِ لِتَفَرُّعِهِ عَنْهُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْعُلُومِ  
النَّقْلِيَّةِ كُلُّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوعَةٌ لَنَا مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهَيِّئُهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَنْبِجُ ذَلِكَ عُلُومُ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي هُوَ لِسَانُ الْعِلْمِ وَبِهِ نُزِّلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ  
كَثِيرَةٌ لِأَنَّ الْمُكَاتِفَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَقْرُوضَةَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى أَرْبَاءِ جَنْسِهِ وَهِيَ مَا خُذِبَتْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ بِالذِّصْنِ أَوْ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ  
بِالْإِلْحَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَّانِ أَنْظَالِهِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ ثُمَّ  
بِإِسْنَادِ نَقْلِهِ وَرَوَايَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يقفه نظره به محمول وقف متعدياً فتناول وقتنه على كذا أي اطاعته عليه قاله نصر

رَوَايَاتِ الْقُرَّاءِ فِي قِرَاءَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقُرَّاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّافِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ لِيَقَعَ الْوُثُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ بِعِلْمِهِ مَا يَجِبُ  
 الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أُصُولٍ مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْاسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أُصُولُ الْفَقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَحْصُلُ الثَّمَرَةُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُحْكَمِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفَقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنْهَا بَدَنِي وَمِنْهَا قَلْبِي وَهُوَ الْخُصُوصُ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْحُسْنَى وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدَرِ وَالْحِجَاجِ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ تَقْدِمَهُ الْعُلُومُ اللَّسَانِيَّةُ لِأَنَّهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فَنِيهَا عِلْمُ اللُّغَةِ وَعِلْمُ النُّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَبِ حَسْبَمَا تَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا كَلِمًا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ النَّفْقِيَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْعِلْمَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنْزَلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُبْلَغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَمَبَانِيئُهُ  
 لَجَمِيعِ الْمِلَلِ لِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمَلِكِ فَمَهْجُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَحْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تَصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ  
 وَالْهِنَا وَالْهُكْمُ وَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَةِ فَغَضِبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ أَتَكُمُ بِهَا بَيَاضَ نَفِيسَةٍ  
 وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَتْبَاعِي ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ النَّفْقِيَّةَ قَدْ  
 تَفَقَّتْ أَسْوَاقُهَا فِي هَذِهِ الْعِلْمَةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَنْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاظِرِينَ إِلَى  
 الْعَالِيَةِ الَّتِي لَا شَيْءَ قَوْفَهَا وَهَذِهِ بَتِ الْأَصْطِلَاحَاتِ وَرَتَبَتِ الْفُنُونِ لِحُجَّاتٍ مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالنَّعِيمِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوْضَاعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا الْعِلْمُ  
 وَأَخْصَصَ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسْبَمَا نَذَكُرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَانْقِطَاعِ سَنَدِ الْعِلْمِ وَالنَّعِيمِ كَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ

بِالْمَشْرِقِ وَالْظُّنُّ بِهِ تَفَاقُ الْعِلْمُ فِيهِ وَاتَّصَلَ التَّعْلِيمُ فِي الْعُلُومِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الضَّرُورِيَّةِ وَالْحِكْمَائِيَّةِ لِكَثْرَةِ عُمَرَانِهِ وَالْحِصَارَةِ وَوُجُودِهَا إِلَّا عَنَانَهُ لَطَالِبُ الْعِلْمِ بِالْجَرِيَةِ  
مِنَ الْأَوْقَافِ الَّتِي اتَّسَعَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنْزَلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَفْتَيْ الْمَصْحَفِ وَهُوَ  
مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الْعَصَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرُقٍ  
مُخْتَلِفَةٍ فِي بَعْضِ الْأَفْظَانِ وَكَيْفِيَّاتِ الْحُرُوفِ فِي آدَانِهَا وَتَوَقَّلَ ذَلِكَ وَأَشْتَهَرَ إِلَى أَنْ  
اسْتَقَرَّتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٍ تَوَاتَرَتْ نَقْلُهَا أَيْضًا بِآدَانِهَا وَاخْتَصَّتْ بِالِانْتِسَابِ إِلَى مَنْ  
اشْتَهَرَ بِرِوَايَتِهَا مِنَ الْجَمْعِ الْغَنِيِّرِ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقُرَاءَاتُ السَّبْعُ أُصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخْرَى لِحِقَّتْ بِالسَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ لَا تُقَوَّى قُوَّتُهَا  
فِي النَّقْلِ وَهَذِهِ الْقُرَاءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِهَا وَقَدْ خَالَفَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ إِلَّا كَثُرَ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالْتِهَانِ لِعَدَمِ التَّوْفُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقُرَاءُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقُرَاءَاتِ وَرِوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كُتِبَتِ الْعُلُومُ وَدُوْنَتْ فَكُتِبَتْ فِيهَا كُتِبَ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْمًا مُتَفَرِّدًا وَتَنَافَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِ بْنِ وَكَانَ  
مُعْتَبَرًا بِهَذَا الْقَرْنِ مِنْ بَيْنِ فُتُوْنِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَاجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَزَّضَهُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَيْمَةِ الْقُرَاءَةِ بِمُضَرَّتِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَاخْتَصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَةِ وَالْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ فَتَفَقَّتْ بِهَا سُبُوقُ  
الْقِرَاءَةِ لِمَا كَانَ هُوَ مِنْ أَيْمَتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِمَهْدِي أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي وَبَلَغَ الْعَابَةِ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَانْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَدَّلُوا عَنْ غَيْرِهَا وَأَعْتَمَدُوا

مِنْ بَيْنِهَا كِتَابُ التَّبْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهَا بَلِيغٌ مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
ابْنُ فَيْزَةَ مِنْ أَهْلِ شَاطِئَةِ قَعْمَدٍ إِلَى تَهْدِيبِ مَا دُونَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلْخِيصِهِ فَنَظَّمَ ذَلِكَ  
كُلَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَغَزٍ فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ اب ج د تَرْتِيبًا أَحْكَمَهُ إِيْتِسَارَ عَلَيْهِ مَا  
قَصَدَهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَلِيَكُونَ أَسَهْلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا الْقُرْآنَ اسْتِعْبَابًا  
حَسَنًا وَعَنَى النَّاسَ بِحِفْظِهَا وَتَلْقِينِهَا لِلْوِلْدَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَرَى أَعْمَلٌ عَلَى ذَلِكَ فِي أَصَارِ  
الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرُبَّمَا أُضِيفَ إِلَى قُرْآنِ الْقُرَاءَاتِ قُرْآنُ الرَّسْمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمُنْخَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِيَّةُ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَتَعَرُّفًا عَلَى  
غَيْرِ الْمَعْرُوفِ مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ كَرِيَادَةِ الْبَاءِ فِي بَابِ يَدٍ وَزِيَادَةِ الْأَلِفِ فِي لَا أَذْبَحْتُهُ  
وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءِ وَالظَّالِمِينَ وَحَذَفَ الْأَلِفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
رُسِمَ فِيهِ مِنَ الْأَعْيَانِ مَمْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى شَكْلِ الْهَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرَّسْمِ الْمُصَنَّفِي عِنْدَ الْكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ الْخَفَالَةُ  
لِأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ أَخْبِجَ إِلَى حَضَرِهَا فَكُتِبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كُتُبِهِمْ  
فِي الْعُلُومِ وَأَنْتَهَتْ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي الْمَذْكُورِ فَكُتِبَ فِيهَا كُتُبًا مِنْ  
أَشْهُرِهَا كِتَابُ الْمُقْنِعِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَنَظَّمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِئِيُّ فِي  
قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رُويِ الرُّكَّاءِ وَلَوَعَ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ الْخِلَافُ فِي الرَّسْمِ فِي  
كَلِمَاتٍ وَحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سَلَمَانَ بْنُ نَبَاحٍ مِنْ مَوَالِي نُبَاهِدٍ فِي  
كُتُبِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي وَالْمَشْهُورُ بِجَمَلِ عُلُومِهِ وَرَوَايَةِ كُتُبِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
بَعْدَهُ خِلَافَ آخَرٍ فَنَظَّمَ الْخُرَازِيُّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
عَلَى الْمُقْنِعِ خِلَافًا كَثِيرًا وَعَزَاهُ لِأَقْلِيهِ وَأَشْتَهَرَتْ بِالْمَغْرِبِ وَأَقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
وَهَجَرُوا بِهَا كُتُبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِئِيِّ فِي الرَّسْمِ.

(وَمَا التَّبْسِيرُ) . فَأَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِبِ بِلَاغَتِهِمْ  
فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ فِي مَفْرَدَاتِهِ وَتَرَائِكِيهِ وَكَانَ يَنْزَلُ جَمَلًا جَمَلًا  
وَأَيَاتُ آيَاتٍ لِيَبَانَ التَّوْحِيدُ وَالْفَرُوضُ الدِّينِيَّةُ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعَقَائِدِ  
الْإِيمَانِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ وَمِنْهَا مَا يَتَقَدَّمُ وَمِنْهَا مَا يَتَأَخَّرُ وَيَكُونُ  
فَاسِيحًا لَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبَيِّنُ الْجَمْلَ وَيُمَيِّزُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ

وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنَقُولًا عَنْهُ كَمَا  
عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنَّمَا نَعِيَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ التَّائِبُونَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتْ الْمَعَارِفُ  
عُلُومًا وَذَوِّبَتِ الْكُتُبُ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَتِ الْآثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنْ  
أَصْحَابِهِ وَالتَّائِبِينَ وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبْرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالنَّعَائِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْآثَارِ ثُمَّ صَارَتْ عُلُومُ اللِّسَانِ  
صِنَاعَةً مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعَاتِ اللُّغَةِ وَأَحْكَامِ الْأَعْرَابِ وَالبَّلَاغَةِ فِي التَّرَاكِبِ  
فَوُضِعَتِ الدَّوَابِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَسَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يُزَجَّعُ فِيهَا إِلَى ثِقَلٍ وَلَا  
كِتَابٌ فَنُوسِي ذَلِكَ وَصَارَتْ تُتْلَقَى مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَأَخْجِجَ إِلَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بِلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صِنْفَيْنِ تَفْسِيرٌ ثَقَلِيٌّ  
مُسْتَدِيرٌ إِلَى الْآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ  
وَمَقَاصِدُ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالنَّقْلِ عَنِ أَصْحَابِهِ وَالتَّائِبِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ  
فِي ذَلِكَ وَأَوْعَوْا إِلَّا أَنَّ كُتُبَهُمْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَالْمَقْبُولِ  
وَالْمَرْذُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَلَبَتْ  
عَلَيْهِمُ الْبِدَاوَةُ وَالْأُمِّيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّفُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا تَشَوَّقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ  
فِي أَسْبَابِ الْمَكُونَاتِ وَبَدْءِ الْخَلْقَةِ وَأَمْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ  
الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَهُ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبَعَ دِينَهُمْ مِنْ  
النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوْرَةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمئِذٍ بِأَدْبِهِمْ مِثْلَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا  
مَا تَعَرَّفُوا الْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعَظَمُهُمْ مِنْ حِمَيْرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ  
فَلَمَّا أَسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْطِطُونَ  
لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدْءِ الْخَلْقَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْخِدَتَانِ وَالْمَلَامِحِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَهَؤُلَاءِ  
مِثْلُ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَوَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَمْثَالُهُمْ فَأَمْثَلَتِ التَّفَاسِيرُ  
مِنْ الْمَنْقُولَاتِ عِنْدَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ أَخْبَارٌ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ مِمَّا  
يَرْجِعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتَنْحَرَى فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْأَعْمَلُ وَتَسَاهِلُ الْمَفْسِرُونَ فِي

مِثْلَ ذَلِكَ وَمَلَأُوا كُتُبَ التَّفْسِيرِ بِهَذِهِ الْمَقُولَاتِ وَأَصْلُهَا كَمَا قُلْنَا عَنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ  
الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَلَدِيَّةَ وَلَا تَحْقِيقَ عِنْدَهُمْ بِعَرَفَةٍ مَا يَقُولُونَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ  
صِيَتِهِمْ وَعَظَمَتِ أَفْئَادُهُمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَامَاتِ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ فَتَلَقَّيْتُ  
بِالْقَبُولِ مِنْ يَوْمَئِذٍ فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَقِّيقِ وَالْتَحِصِصِ وَجَاءَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ  
عَطِيَّةٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ فَلَخَّصَ تِلْكَ التَّفَاسِيرَ كُلَّهَا وَتَحَرَّى مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى  
الصَّحِيحَةِ مِنْهَا وَوَضَعَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُتَدَاوِلٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ حَسَنَ الْمَنْحَى  
وَتَبِعَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى مِزَاجٍ وَاحِدٍ فِي كِتَابٍ آخَرَ مَشْهُورٌ بِالْمَشْرِقِ  
وَالصَّنْفُ الْآخَرُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَهُوَ مَا يَرْجِعُ إِلَى اللِّسَانِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّغَةِ وَالْإِعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ وَالْأَسَالِبِ وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ التَّفْسِيرِ قَلٌّ  
أَنْ يَتَفَرَّدَ عَنْ الْأَوَّلِ إِذِ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا بَعْدَ أَنْ صَارَ  
اللِّسَانُ وَعُلُومُهُ صِنَاعَةً نَعَمْ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ غَالِيًا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَشْتَمَلُ  
عَلَيْهِ هَذَا الْقِسْمُ مِنَ التَّفَاسِيرِ كِتَابُ الْكَشَافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ مِنْ أَهْلِ خَوَازِمِ الْعِرَاقِ  
إِلَّا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَعْزَالِ فِي الْعُقَائِدِ فَيَأْتِي بِالْحِجَاجِ عَلَى مَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ حَيْثُ  
تَعَرَّضَ فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنْ طُرُقِ الْبَلَاغَةِ فَصَارَ ذَلِكَ لِلْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ أَخْرَافُ  
عَبَثَةٍ وَتَحْدِيرٌ لِلْجُمْهُورِ مِنْ مَكَامِنِهِ مَعَ إِفْرَاقِهِمْ بِرُسُوحٍ قَدِمِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ  
وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ فِيهِ وَاقِفًا مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْمَذَاهِبِ السَّنِّيَّةِ مُحْسِنًا لِلْحِجَاجِ عَنْهَا فَلَا جَرَمَ  
إِنَّهُ مَأْمُونٌ مِنْ غَوَائِلِهِ فَلَتَغْتَنِمَ مَطَالَعَتُهُ لُغْرَابَةَ فَنُونِهِ فِي اللِّسَانِ وَلَقَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا فِي  
هَذِهِ الْعُصُورِ تَأْلِيفٌ لِبَعْضِ الْعِرَاقِيِّينَ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ الطَّيْبِيِّ مِنْ أَهْلِ نُورِيزٍ مِنْ  
عِرَاقِ النُّجُمِ شَرَحَ فِيهِ كِتَابَ الزَّمَخْشَرِيِّ هَذَا وَتَنَبَّهَ أَلْفَاظُهُ وَتَعَرَّضَ لِمَذَاهِبِهِ فِي  
الْأَعْزَالِ بِأَدِلَّةٍ تَزَيُّفًا وَبَيَّنَّ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا تَقَعُ فِي الْآيَةِ عَلَى مَا يَرَاهُ أَهْلُ السَّنَةِ  
لَا عَلَى مَا يَرَاهُ الْمُعْتَزِلَةُ فَأَحْسَنَ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ مَعَ إِمْتِنَاعِهِ فِي سَائِرِ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ  
وَقَوْفُ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

وَأَمَّا عُلُومُ الْحَدِيثِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يُنْظَرُ فِي نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ



وَذَلِكَ بِمَا ثَبَّتَ فِي شَرِيعَتِنَا مِنْ جَوَازِ السَّخِّحِ وَوُقُوعِهِ لُطْفًا مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَتَخَفُّفًا عَنْهُمْ  
بِاعْتِبَارِ مَصَالِحِهِمْ الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالَى مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فَإِذَا تَعَارَضَ الْخَبْرَانِ بِالْتَفَافٍ وَالْإِثْبَاتِ وَتَعَدَّدَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ النَّاسِ وَيَلِ  
وَعِلْمِ تَقَدُّمِ أَحَدِهِمَا تَعَيَّنَ أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ نَاسِخٌ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ أَهَمِّ عُلُومِ  
الْحَدِيثِ وَأَضْعَفُهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ أَعْيَا الْفُقَهَاءُ وَأَعْجَزُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ فِيهِ قَدَمٌ وَرَاسِخَةٌ وَمِنْ  
عُلُومِ الْأَحَادِيثِ النَّظَرُ فِي الْأَسَانِيدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِوُقُوعِهِ  
عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشَّرْطِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا وَجِبَ بِمَا يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
إِخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُجْتَهِدُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنُّ وَهُوَ  
بِمَعْرِفَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَإِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِالنَّقْلِ عَنْ أَعْلَامِ الَّذِينَ  
يَتَعَدَّلُ بِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ مِنَ الْجَرْحِ وَالْعَقْلِ وَيَكُونُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقَبُولِ أَوْ التَّزْكِ  
وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَؤُلَاءِ الثَّقَلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفَاوُتُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَيُّزُهُمْ فِيهِ  
وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْأَسَانِيدُ تَتَفَاوَتُ بِاتِّصَالِهَا وَانْقِطَاعِهَا بِأَنْ يَكُونَ الرَّاويُ لَمْ يَلْقَ  
الرَّاويَ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِاسْلَامَتِهَا مِنْ الْعِلَالِ الْمُوهِنَةِ لَهَا وَتَنْتَهِي بِالتَّفَاوُتِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
فَحُكْمُ قَبُولِ الْأَعْلَى وَرَدُّ الْأَسْفَلِ وَيُخْتَلَفُ فِي الْمَتَوَسِّطِ بِحَسَبِ الْمَنْقُولِ عَنْ  
أَيِّمَةِ الشَّانِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَاطُ أَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلَ  
الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْسَلِ وَالْمُنْقَطِعِ وَالْمَعْضِلِ وَالشَّاذِّ وَالْغَرِيبِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنَ الْقَابِهِ الْمُتَدَوَّلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَوَّبُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَقَالُوا مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ  
لَأَيِّمَةِ اللِّسَانِ أَوْ التَّوْفَاقِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ اخْتِذِ الرَّوَاةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةٍ  
أَوْ كِتَابَةٍ أَوْ مَنَاقِلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ وَتَفَاوُتِ رُتَبِهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ  
وَالرَّدِّ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِكَلَامٍ فِي الْفَاطُ نَفَعَ فِي مَثُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكَلٍ  
أَوْ ضَعِيفٍ أَوْ مُفْتَرَقٍ مِنْهَا أَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يَنْبَسِبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظُرُ فِيهِ أَهْلُ  
الْحَدِيثِ وَغَالِبُهُ وَكَانَتْ أَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ  
مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
بِالشَّامِ وَمِنْهُمْ بِالْجَمْعِ مَعْرُوفُونَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَعْصَارِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّنْ فِي الصَّحَاحِ لِإِسْنَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
النَّقْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَانِبِهِمْ عَنْ قَبُولِ التَّجَوُّلِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَسَنَدِ الطَّرِيقَةِ  
الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامُ مَالِكُ عَالِمُ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ مِثْلُ  
الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَمْثَلِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ نَقْلًا صِرْفًا ثُمَّ لَهَا السَّلَفُ وَتَحَرُّوا الصَّحِيحَ حَتَّى اكْتَمَلُوا  
وَكَتَبَ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَأِ أَوْدَعَهُ أَصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَرَبَّهٗ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ ثُمَّ عُنِيَ الْخَافِظُ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا  
إِلْتِفَافًا وَرُبَّمَا يَفْقَهُ إِسْنَادَ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ رِوَاةٍ مُخْتَلِفِينَ وَقَدْ يَفْقَهُ الْحَدِيثُ  
أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْعَمَالِ الْيَاقِينِ أَشْتَمَلَ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ  
إِمَامُ الْمُعَدِّثِينَ فِي عَصْرِهِ فَنَجَّحَ أَحَادِيثَ السُّنَنِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطَّرُقِ  
الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعَرِاقِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَاعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
وَكَرَّرُوا الْأَحَادِيثَ بِسُوفِهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَقْصِمُهُ الْحَدِيثُ فَتَكَرَّرَتْ  
لِلَّذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةِ <sup>(١)</sup> آلَافِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةُ  
آلَافٍ مُتَكَرِّرَةٍ وَفَرَّقَ الطَّرُقِ وَالْأَسَانِيدِ عَلَيْهَا مُخْتَلِفَةً فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالْتَفَ مُسْنَدُهُ الصَّحِيحَ حَذَا فِيهِ حَذْوُ  
الْبُخَارِيِّ فِي نَقْلِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ وَحَذَفَ الْمُتَكَرَّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطَّرُقِ وَالْأَسَانِيدِ  
وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ وَتَرَاوَجَهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبَا الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرُّتْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلْسُّنَةِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
فِي الْعِلْمَةِ وَهِيَ أَمَّهَاتُ كُتُبِ الْحَدِيثِ فِي السُّنَةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ  
فِي الْأَغْلَبِ وَمَعْرِفَةِ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرُبَّمَا يُقَرَّدُ  
عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فَيُعْمَلُ فَنَّا بِرَأْسِهِ وَكَذَا الْغَرِيبُ وَالنَّاسِ فِيهِ تَالِيفُ مَشْهُورَةٌ

ثُمَّ الْمُؤَلَّفُ وَالْمُخْتَلَفُ وَقَدْ أَلَفَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَكَثُرُوا وَمِنْ فُحُولِ عُلَمَائِهِ  
 وَأَتَمِّهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاشِي وَتَالِيَهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ الَّذِي هَدَبَهُ وَأَظْهَرَ مَعَانِيَهُ  
 وَأَشْهَرُ كِتَابِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ كَانَ لِعَهْدِ أَوَائِلِ الْمِائَةِ  
 السَّامِيَةِ وَتَلَاَهُ نَحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَالْفَنُّ شَرِيفٌ فِي مَغْزَاهُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَا  
 يُحْفَظُ بِهِ السَّنَنُ الْمُنْقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَفْرِجٌ شَيْءٌ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ وَأَسْتَدْرَاكُهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ إِذِ الْعَادَةُ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةَ عَلَى  
 تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَاحُقِ عَصْرِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُغْنُوا شَيْئًا مِنَ السَّنَةِ أَوْ  
 يَتَرَكُوهُ حَتَّى يَبْعَثَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ هَذَا بَعِيدٌ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا تَنْصَرِفُ الْعَنَابَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَى  
 تَصْحِيحِ الْأُمَمَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَضَبْطِهَا بِالرِّوَايَةِ عَنْ مُصَنِّفِهَا وَالنَّظَرِ فِي أَسَانِيدِهَا إِلَى  
 مُؤَلِّفِهَا وَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ لِتَتَّصِلَ  
 الْأَسَانِيدُ مُحْكَمَةً إِلَى مُنْتَهَاهَا وَلَمْ يَزِيدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَنَابَةِ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَمَاتِ الْخَمْسِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ فَأَمَّا الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَغْلَاهَا رُبَّةً فَاسْتَصْعَبَ النَّاسُ شَرْحَهُ  
 وَاسْتَعْلَقُوا مَتْنَهُ مِنْ أَجْلِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَرِجَالِهَا مِنْ  
 أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعْرِفَةِ أَهْوَالِهِمْ وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِمْ وَلِلَّذَلِكَ  
 يَخْتَاجُ إِلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِي التَّفَقُّهِ فِي تَرَاجُمِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَجِّمُ التَّرْجُمَةَ وَيُورِدُ فِيهَا الْحَدِيثَ  
 بِسَنَدٍ أَوْ طَرِيقٍ ثُمَّ يَتَرَجِّمُ أُخْرَى وَيُورِدُ فِيهَا ذَلِكَ الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ لِمَا تَصَنَّفَتْهُ مِنَ الدِّعْوَى  
 الَّذِي تَرَجَّمُ بِهِ الْبَابُ وَكَذَلِكَ فِي تَرْجُمَةٍ وَتَرْجُمَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابٍ  
 كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَاخْتِلَافِهَا وَمِنْ شَرْحِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا فِيهِ فَلَمْ يُؤَفِّ حَقَّ الشَّرْحِ  
 كَأَبْنِ بَطَّالٍ وَأَبْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَبْنِ التَّيْنِ وَنَحْوِهِمْ وَلَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ شُيُوخِنَا رَحِمَهُمُ  
 اللَّهُ يَقُولُونَ شَرَحَ كِتَابَ الْبُخَارِيِّ دِينَ عَلَى الْأُمَّةِ يَعْنُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ  
 يُؤَفِّ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الشَّرْحِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ فَكَثُرَتْ عَنَابَةُ عُلَمَاءِ  
 الْمَغْرِبِ بِهِ وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَأَجْمَعُوا عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ  
 مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي التَّرَاجِمِ وَأُمْلَى الْأَمَامِ الْمَارِزِيِّ مِنْ  
 فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحًا وَسَمَاءً الْمُعَلِّمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ اشْتَمَلَ عَلَى عَيُونٍ مِنْ عِلْمِ  
 الْحَدِيثِ وَقَوْنٍ مِنَ الْفِقْهِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَّمَهُ وَسَمَاءُ إِكْمَالُ

المُعلِّمَ وتَلاهُمَا مَحْبِي الدِّينَ النَّوِيَّ يَشْرَحُ اسْتَوْفَى مَا فِي الْكِتَابَيْنِ وَزَادَ عَلَيْهِمَا  
نَجَاءً شَرْحًا وَافِيًا . وَأَمَّا كُتُبُ السَّنَنِ الْأُخْرَى وَفِيهَا مُعْظَمُ مَا خِذَ الْفُقَهَاءُ فَأَكْثَرُ شَرْحِهَا  
فِي كُتُبِ الْفَقْهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ فَكُتِبَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَاسْتَوْفَوْا مِنْ ذَلِكَ  
مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَوْضِعَاتِهَا وَالْأَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ  
الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السَّنَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبًا لِهَذَا الْعَهْدِ بَيْنَ صَحِيحٍ  
وَحَسَنِ وَضَعِيفٍ وَمَعْلُولٍ وَغَيْرِهَا نَزَلَهَا أئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَجَهَابَتُهُ وَعَرَفُوهَا وَلَمْ يَبْقَ طَرِيقُ  
فِي تَصْحِيحِ مَا يَصْحُحُ مِنْ قَبْلُ وَلَقَدْ كَانَ الْأئِمَّةُ فِي الْحَدِيثِ يُعْرِضُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا  
وَأَسَانِيدِهَا بِحَيْثُ لَوْ رَوَى حَدِيثٌ بِغَيْرِ سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ يَقْطَعُونَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَلَبَ عَنْ  
وَضَعِهِ وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّبَخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادَ  
وَقَصَدَ الْمُحَدِّثُونَ امْتِحَانَهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قِيلُوا أَسَانِيدُهَا فَقَالَ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ  
وَلَكِنْ حَدَّثَنِي فُلَانٌ ثُمَّ أَنَّى يَجْمَعُ تِلْكَ الْأَحَادِيثَ عَلَى التَّوَضُّعِ الصَّحِيحِ وَرَدَّ كُلُّ  
مَتْنٍ إِلَى سَنَدِهِ وَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْإِسْمَاءِ . وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ الْأئِمَّةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَقَاوَنُوا فِي  
الْإِكْتِسَارِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالْإِفْلَالِ فَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُقَالُ بَلَغَتْ  
رَوَاتُهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثًا أَوْ فَتَوَهَا وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ  
الْمَوْطَأِ <sup>(١)</sup> وَغَابَتْهَا ثَلَاثُمِائَةِ حَدِيثٍ أَوْ فَتَوَهَا . وَأَخَذَ بَنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
مُسْنَدِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَلِكُلِّ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ فِي ذَلِكَ وَقَدْ نَقُولَ بَعْضُ  
الْمُبْغِضِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ فَلِهَذَا قُلْتُ رَوَاتُهُ  
وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا الْمُتَعَقِّدِ فِي كِبَارِ الْأئِمَّةِ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تُوْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ  
وَالسَّنَةِ وَمَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ مِنَ الْحَدِيثِ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ طَلَبُهُ وَرَوَاتُهُ وَالْجِدُّ وَالْتِّمِيزُ  
فِي ذَلِكَ لِيَأْخُذَ الدِّينَ عَنْ أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَيَتَلَقَّى الْأَحْكَامَ عَنْ صَاحِبِهَا الْمُبْلَغِ لَهَا  
وَإِنَّمَا قَلَّ مِنْهُمْ مَنْ قَلَّ الزَّوَابِ لِأَجْلِ الْمَطَاعِنِ الَّتِي تَعَرَّضُ فِيهَا وَالْعِلَلِ الَّتِي تَعَرَّضُ  
فِي طُرُقِهَا سِيمَا وَاجْرُحَ مُقَدِّمُ عِنْدَ أَكْثَرِ فَيُؤَدِّبُهُ الْاجْتِهَادُ إِلَى تَرْكِ الْأَخْذِ بِمَا  
يَعْرِضُ مِثْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَطُرُقِ الْأَسَانِيدِ وَيَكْتَفِي ذَلِكَ فَقَلَّ رَوَاتُهُ

(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديثها أولها ٥٠٠ ثابها ٧٠٠

فالها ألف ونيّف راجعها ١٧٢٠ خامسها ٦٦٦ وليس فيه قول في هذه النسخة قاله نصر المهوريني

لِضَعْفِ فِي الطَّرُقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رَوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ  
 الْمَدِينَةَ دَارُ النُّجَرَةِ وَمَأْوَى الصَّحَابَةِ وَمِنْ أَنْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كَانَ شَغْلُهُمْ بِالْحِجَابِ  
 أَكْثَرَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَالَتْ رَوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَالْتِمَاحُ  
 وَضَعْفُ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ الْيَقِينِي إِذَا عَارَدهَا الْفِعْلُ النَّسِيئِيُّ وَقَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا رَوَايَةُ فَقُلْ  
 حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رَوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَمِّدًا لِحَاشَاةٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ  
 الْمُتَحَدِّثِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ اعْتِمَادُ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالْعَوِيلُ عَلَيْهِ وَأَعْيَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا  
 وَإِمَامًا غَيْرُهُ مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ وَهُمْ أَجْمَعُونَ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَأَكْثَلَ  
 عَنْ أَجْتِهَادٍ وَقَدْ تَوَسَّعَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رَوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّحْطَاوِيُّ  
 فَأَكْثَرَ وَكُتِبَ مُسْنَدُهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْدُلُ الصَّحَّاحِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ  
 الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا مُجْمَعٌ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأَمَّةِ كَمَا قَالُوهُ وَشُرُوطُ  
 الطَّحْطَاوِيِّ غَيْرُ مُتَّفِقٍ عَلَيْهَا كَأَنَّ رَوَايَةَ عَنِ الْمُسْتَوْرِ الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قَدِمَ الصَّحَّاحِينَ  
 بَلْ وَكُتِبَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأْخُرَ شَرْطُهُ عَنْ شُرُوطِهِمْ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قِيلَ فِي  
 الصَّحَّاحِينَ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِهَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ  
 الْمَتَّفِقِ عَلَيْهَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ  
 وَالنَّاسِ الْخَفَّارِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

فِي عِلْمِ الْفَقْهِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ  
 أَلْفَهْ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْأَوْجُوبِ وَالْحَدَرِ وَالنَّدْبِ  
 وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِذَا بَاحَةٍ وَهِيَ مُتَلَقَّةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا  
 مِنَ الْأَدَلَّةِ فَإِذَا اسْتَخْرَجْتَ الْأَحْكَامُ مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ قَبْلَ لَهَا فَهِيَ وَكَانَ السَّلْفُ  
 يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيهَا بَيْنَهُمْ وَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ ضَرُورَةً أَنَّ  
 الْأَدَلَّةَ غَالِبَهَا مِنَ النُّصُوصِ وَهِيَ بِالْغَلَبَةِ الْعَرَبِ وَفِي اقْتِضَاءَاتِ الْفَرَائِضِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهَا  
 اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَإِذَا فَالَسُنَّةُ مُخْتَلَفَةُ الطَّرُقِ فِي الثَّبُوتِ وَاتِّعَازُ فِي الْأَكْثَرِ  
 أَحْكَامُهَا فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ أَيْضًا فَالْأَدَلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلَفٌ فِيهَا  
 وَإِذَا فَالْوَقَائِعُ الْمُتَجَدِّدَةُ لَا تُؤْتَى بِهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرُ ذَالِكِ فِي الْمُنْصَرَفِ

فَيَجْعَلُ عَلَى الْمَنصُوصِ لِمُشَابَهَةِ يَنْهَمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتٌ لِلْخِلَافِ ضَرُورِيَّةُ الْوُجُوعِ  
وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
أَهْلَ قُتَيْبَا وَلَا كَانَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِالْحَامِلِينَ لِلْقُرْآنِ  
الْعَرَابِيِّنَ بِتَأْيِيْدِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَمُحْكَمِهِ وَسَائِرِ دِلَالَتِهِ بِمَا تَلَقَّوْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يَسْتَوْنَ لِذَلِكَ الْقُرَاءَةِ أَيُّ الَّذِينَ  
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً فَأَخْصَصَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
بِهَذَا الْأَسْمِ لِعَرَابِيَّتِهِ يَوْمئِذٍ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَدَرَ الْعِلَّةُ ثُمَّ عَظُمَتْ أُمُصَارُ الْأَسْلَامِ  
وَذَهَبَتْ الْأُمِّيَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمُعَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْأِسْتِنْبَاطُ وَكَمَلَ الْفِقْهُ  
وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَّلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرَاءَةِ وَأَنْقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَلِيلًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكْبَرُوا مِنَ الْقِيَاسِ  
وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمُقَدِّمُ جَمَاعَتِهِمْ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَنْكَرَ  
الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا الْعَمَلَ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيُّ وَجَعَلُوا الْمَدَارِكَ كُلَّهَا  
مُخَصَّصَةً فِي الْأَصْوَصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْحَلِيَّ وَالْعِلَّةَ الْمَنْصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
لِأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلَّةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّهَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
ابْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَأَصْحَابُهُمَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْمَذَاهِبُ الْجُمْهُورُ الْمَشْتَهَرَةُ  
بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَذَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبٍ ابْتَدَعُوهَا وَفَقَّهَ أَنْتَرَدُوا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
فِي تَنَاوُلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِالْقَدَحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بَعْضُهُ الْأَئِمَّةُ وَرَفَعَ الْخِلَافَ عَنْ  
أَقْوَالِهِمْ وَهِيَ كُلُّهَا أَصُولٌ وَاهِيَةٌ وَشَذَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَحْتَمِلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
بَلْ أَوْسَعُوهَا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقَدَحِ فَلَا تَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا تَزْوِي كُتُبَهُمْ  
وَلَا أَثَرُ لَشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشَّيْعَةُ فِي بِلَادِهِمْ رَحِيثٌ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ  
قَائِمَةً فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتُبٌ وَتَأَلِيفٌ  
وَأَرَادَ فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةٌ ثُمَّ دَرَسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أُمْنِيَّةٍ وَإِنْكَارِ  
الْجُمْهُورِ عَلَى مُنْتَحِلِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْمَجْلُودَةِ وَرَبَّمَا يَكْفِي كَثِيرٌ مِنَ الطَّالِبِينَ

مِمَّنْ تَكَلَّفَ بِاتِّخَالِ مَذْهَبِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ يَرُومُ أَخَذَ فِيهِمْ مِنْهَا وَمَذْهَبِهِمْ فَلَا  
يُغْلُو بِطَائِلٍ وَيَصِيرُ إِلَى تَخَالُفِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عُدَّ بِهِذِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ  
أَهْلِ الْبِدْعِ بِتَقْلِيدِ الْعِلْمِ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ  
بِالْإِتْدَالِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِفْظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَمَهَرٍ فِيهِ  
بِاجْتِهَادِ رُغْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
فَنَقِمَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتِهْجَانًا وَإِنْكَارًا وَتَلَقَّوْا كُتُبَهُ بِالْإِغْثَالِ وَالْتِرْكِ  
حَتَّى إِنَّمَا لِيُحْصَرَ بِهَا بِالْأَسْوَاقِ وَرُبَّمَا تَمَزَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ  
أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ فَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَأَمَامُهُمُ الَّذِي  
أَسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النَّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي النَّقِيبَةِ لَا يُلْحَقُ شَيْءٌ لَهُ  
بِذَلِكَ أَهْلُ جَلْدَتِهِ وَخُصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامَهُمْ مَالِكٌ  
ابْنُ أَنَسٍ الْأَصْبَغِيُّ إِمَامَ دَارِ الْهَجْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاخْتَصَّ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِ آخَرِ  
لِلْأَحْكَامِ غَيْرِ الْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى  
أَنَّهُمْ فِيمَا يَنْتَسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةٌ لِدِينِهِمْ وَفَتْحَاتِهِمْ  
وَهُكَذَا إِلَى الْجِيلِ الْمُبَاشِرِينَ لِنِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآخِذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ  
وَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْ أَصُولِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنُّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ  
فَأَنْكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يَخْصُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأُمَّةِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّينِيِّ عَنْ اجْتِهَادِ وَمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى لَمْ يَتَّبِعْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الْجِيلُ  
بِالْمُشَاهَدَةِ لِلْجِيلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةُ اقْتِدَائِهِمْ  
بِعَيْنِ ذَلِكَ يَوْمَ الْمِلَّةِ ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابُ بِهَا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ  
الْإِتِّفَاقِ الْجَامِعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ  
فِي الْأَدِلَّةِ وَاتِّفَاقٌ هُوَ لَا فِي فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُسْتَنَدِينَ إِلَى مُشَاهَدَةٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ  
الْمَسْأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَرُّرِهِ أَوْ مَعَ الْأَدِلَّةِ الْمُخْتَلَفِ  
فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَشَرَعَ مِنْ قَبْلُنَا وَالْأَسْتِصْحَابِ لَكَانَ أَلْيَقُ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِ  
مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِيبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَلَقِيَ أَصْحَابَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَزَجَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْضَعَ بِمَذْهَبٍ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذَاهِبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلَيْهِ التَّحْدِيثُ وَفَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ بِضَاعَتِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَاخْتَصُوا بِمَذْهَبٍ  
 آخَرَ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ وَدَرَسَ الْمُقْلِدُونَ لِبَنِ سَوَاهِمٍ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرَفَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعُلُومِ وَلَمَّا عَاقَ عَنْ  
 التَّوَصُّلِ إِلَى رُتْبَةِ الْإِجْتِهَادِ وَلَمَّا خُشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوثِقُ  
 بِرَأْيِهِ وَلَا يَدِينُهُ فَصَرَّحُوا بِالْعِزِّ وَالْإِعْوَازِ وَرَدُّوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 أَخْضَعَ بِهِ مِنَ الْمُقْلِدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يَتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعُبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا نَقْلُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمِلَ كُلُّ مُقْلِدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْأَصُولِ  
 وَاتَّصَلَ سَنَدُهَا بِالرَّوَايَةِ لَا تَحْصُولُ الْيَوْمَ لِلْفَقِهِ غَيْرُ هَذَا وَمُدْعَى الْإِجْتِهَادِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 مَزْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَتَمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمَقْلُدُهُ قَلِيلٌ لِبُعْدِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْإِجْتِهَادِ  
 وَأَصَالَتِهِ فِي مُعَاذَةِ الرَّوَايَةِ وَالْإِخْبَارِ بَعْضُهَا يَبْغِضُ وَأَكْثَرُهُمْ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حِظًّا لِلْسُنَّةِ وَرَوَايَةِ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَلْدُهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْأَنْجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْضَعَ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ نَاكِيَتُهُمْ وَمُنَازَرَتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسُنَتْ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 نَقَلَهُ إِلَيْهِ الْقَادِي بَنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي رِحْلَتِهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمَقْلُدُوهُ  
 بِمِصْرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَاسَمُوا الْحَنِيفَةَ فِي التَّنَوُّيِ وَالتَّدْرِيسِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظُمَتِ تَجَالِسُ الْمُنَاطَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَتَحَنَّتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالَانِهِمْ ثُمَّ دُرِسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسِ  
 الْمَشْرِقِ وَأَفْطَارِهِ وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا نَزَلَ عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِمِصْرَ أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَمْثَلِهِ وَأَبْنُ الْقَاسِمِ



وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ الْحَارِثُ بْنُ مَسْكِينٍ وَنَبُوهُ ثُمَّ أَتَقَرَّضَ فِيهِ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ مِصْرَ  
يُظْهِرُ دَوْلَةَ الرَّافِضَةِ وَتَدَاوَلَ بِهَا فِيهِ أَهْلُ الْبَيْتِ وَتَلَاثَى مِنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
دَوْلَةُ الْعَبِيدِيَّينَ مِنَ الرَّافِضَةِ عَلَى يَدِ صَالِحِ الَّذِينَ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فِيهِ  
الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابِيهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَعَادَ إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانَ وَتَفَقَّتْ سُوْفُهُ  
وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ مَخْيِي الَّذِينَ التَّوَوُّيُّ مِنَ الْحَلْبَةِ الَّتِي رَيْبَتْ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَبُوِيَّةِ  
بِالشَّامِ وَعِزُّ الَّذِينَ بَنَى عَبْدُ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ ابْنُ الرُّفْعَةِ بِمِصْرَ وَبَقِيَ الَّذِينَ بَنَى  
دَقِيقُ الْعِيدِ ثُمَّ بَقِيَ الَّذِينَ السَّبْكِيُّ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ أَتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
بِمِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ سِرَاجُ الَّذِينَ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ كَثِيرُ  
الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَأَمَّا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاخْتَصَّ بِمَذْهَبِهِ  
أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُقِلُّدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رِحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى النُّجَازِ وَهُوَ مُنْتَهَى سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةُ يَوْمَئِذٍ دَارُ  
الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنْ الْإِخْذِ عَنِ عُلَمَاءِ  
الْمَدِينَةِ وَشَيْخَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَأَمَامَهُمْ مَالِكٌ وَشِبُوحُهُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلْمِيزُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَّدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقَتُهُ وَأَيْضًا  
فَالْيَدَاوَةُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يَعَانُونَ الْحِضَارَةَ الَّتِي  
لِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ النُّجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الْيَدَاوَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
الْمَالِكِيُّ غَضًا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَفْقِيحُ الْحِضَارَةِ وَتَهْذِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مُخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
الْاجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاحْتَاجُوا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَلْحَاقِ وَتَفْرِيقِهَا عِنْدَ الْأَشْتِبَاحِ  
بَعْدَ الْأَسْتِنَادِ إِلَى الْأَصُولِ الْمَقْرُورَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِيهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
مَلَكَ رَاسِخَةٍ تَقْدُرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوْ التَّفْرِيقَةِ وَاتَّبَعَ مَذْهَبُ إِمَامِيهِمْ  
فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْعَمَلُكَ هِيَ عِلْمُ الْفَقْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقَلِّدُونَ  
لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَتَقَرَّفُوا بِمِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَطَبَقَتُهُ مِثْلُ ابْنِ خُوَيْزَمَنْدَادٍ وَأَبْنِ الْأَبَّانِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
الْأَبْهَرِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنٍ بِنِ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ

بمِصْرَ ابْنِ الْقَاسِمِ وَأَشْهَبُ وَأَبْنُ عَبْدِ الْمُحْكَمِ وَالْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينَ وَطَبَقْتُهُمْ وَرَحَلَ  
 مِنَ الْأَنْدَلُسِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ فَأَخَذَ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ وَطَبَقْتِهِ وَبَثَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ  
 فِي الْأَنْدَلُسِ وَدَوَّنَ فِيهِ كِتَابَ الْوَاضِحَةِ ثُمَّ دَوَّنَ الْعَتَبِيُّ مِنْ تَلَاذِيهِ كِتَابَ الْعَتَبِيَّةِ  
 وَرَحَلَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةِ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فَكَتَبَ عَنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ أَوَّلًا ثُمَّ أُنْقَلَ  
 إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَكَتَبَ عَلَى ابْنِ الْقَاسِمِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الذِّقِّ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرَوَانِ  
 بِكِتَابِهِ وَسُمِّيَ الْأَسَدِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ فَقَرَأَ بِهَا سُجُونٌ عَلَى أَسَدٍ ثُمَّ ارْتَقَلَ  
 إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَقِيَ ابْنَ الْقَاسِمِ وَأَخَذَ عَنْهُ وَعَارَضَهُ بِمَسَائِلِ الْأَسَدِيَّةِ فَرَجَعَ عَنْ كَثِيرٍ  
 مِنْهَا وَكَتَبَ سُجُونٌ مَسَائِلَهَا وَدَوَّنَهَا وَأَثَبَتْ مَا رَجَعَ عَنْهُ وَكَتَبَ لِأَسَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِكِتَابِ  
 سُجُونٍ فَأُثِفَتْ مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مُدَوَّنَةَ سُجُونٍ دَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ  
 اخْتِلَاطِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ فَكَانَتْ تُسَمَّى الْمُدَوَّنَةُ وَالْمُخْتَاطَةُ وَصَكَّفَ أَهْلُ  
 الْقَبْرَوَانِ عَلَى هَذِهِ الْمُدَوَّنَةِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْعَتَبِيَّةِ ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ  
 أَبِي زَيْدٍ الْمُدَوَّنَةَ وَالْمُخْتَاطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِّ وَخَصَّه أَيْضًا أَبُو سَعِيدٍ  
 الْبَرَادَعِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْقَبْرَوَانِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالتَّنْذِيرِ وَأَعْتَمَدَهُ الْمُسَيِّخَةُ مِنْ أَهْلِ  
 أَفْرِيقِيَّةِ وَآخَذُوا بِهِ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْعَتَبِيَّةِ  
 وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ وَمَا سِوَاهَا وَلَمْ تَزَلْ عُلَمَاءُ الْمَذْهَبِ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمَهَاتِ بِالشرحِ  
 وَالإيضاحِ وَالْجَمْعِ فَكَتَبَ أَهْلُ أَفْرِيقِيَّةِ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ  
 ابْنِ يُونُسَ وَاللَّغَمِيِّ وَأَبْنِ مُحَرِّزِ التُّونِسِيِّ وَأَبْنِ بَشِيرٍ وَأُمَامِلِهِمْ وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ  
 عَلَى الْعَتَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ ابْنِ رُشْدٍ وَأُمَامِلِهِ وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا فِي  
 الْأُمَهَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْخِلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ التَّوَادِرِ فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ أَقْوَالِ  
 الْمَذَاهِبِ وَفَرَّغَ الْأُمَهَاتِ كُلَّهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَنَقَلَ ابْنُ يُونُسَ مُعْظَمَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى  
 الْمُدَوَّنَةِ وَزَحَرَتْ بِحَارِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي الْأَفْقَيْنِ إِلَى انْقِرَاضِ دَوْلَةِ فَرْطَبَةِ وَالْقَبْرَوَانِ  
 ثُمَّ تَمَسَّكَ بِهِمَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ  
 لَخَصَ فِيهِ طُرُقَ أَهْلِ الْمَذْهَبِ فِي كُلِّ بَابٍ وَتَعْدِيدَ أَقْوَالِهِمْ فِي كُلِّ مَسْئَلَةٍ لِحَاجَةِ كَالْبَرِ تَامِجٍ  
 لِلْمَذْهَبِ وَكَانَتْ الطَّرِيقَةُ الْمَالِكِيَّةُ بَقِيَتْ فِي مِصْرَ مِنْ لَدُنِ الْحَارِثِ بْنِ مِسْكِينَ وَأَبْنِ  
 الْمُبَشِيرِ وَأَبْنِ اللَّهِثِ وَأَبْنِ الرَّشِيقِ وَأَبْنِ شَاسٍ وَكَانَتْ بِالْأَنْدَلُسِ سَكَنْدَرِيَّةً فِي بَنِي عُوفٍ

وَبْنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءَ اللَّهِ وَلَمْ أَدْرِ عَمَّنْ أَخَذَهُمَا أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْحَاجِبِ لَكِنَّهُ جَاءَ بَعْدَ  
 اقْتِرَاضِ دَوْلَةِ الْعَبْدِيِّينَ وَذَهَابِ فَقْهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فَقْهَاءِ السُّنَّةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخِرَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ عَكَفَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بَجَايَةِ لَمَّا كَانَ كَبِيرَ مَشِيخَتِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الزَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمَضَرٍ وَنَسَخَ مُخْتَصَرَهُ  
 ذَلِكَ لَجَاءِهِ بِهِ وَانْتَشَرَ بِقَطْرِ بَجَايَةِ فِي تَلْمِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْفَقْهِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَتَذَلُّونَ قِرَاءَتَهُ وَبِتَدَارُسُونَهُ لَمَّا يُؤْتَرُ عَنْ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ التَّرَغِيبِ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مَشِيخَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَابِقِي حُلْبَتِهِمْ فِي الْأَجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَفُهِمَ مَعَ ذَلِكَ بَعَاهَدُونَ كِتَابَ التَّهْدِيدِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَضَمُّنُ سِهَامِ الْفَرِيضَةِ مِمَّا تَصَحُّ بِإِعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مُتَنَاسَخَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ سِهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِسَابٍ تَضَمُّنُ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى حَتَّى يَبْلُغَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْفَرِيضَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجْزِئَةٍ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمُنَاسَخَاتُ أَكْثَرَ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ وَتَتَعَدَّدُ لِلذَّكَاءِ بِعَدَدِ أَكْثَرٍ وَبِقَدَرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ فَرِيضَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلُ أَنْ يُقَرَّ بَعْضُ الْوَرَثَةِ بِوَارِثٍ وَيُنْكَرَ الْآخَرُ  
 فَتُصَحَّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينَئِذٍ وَيُنْظَرُ مَبْلَغُ السِّهَامِ ثُمَّ تُقَسَّمُ التَّرَكَّةُ عَلَى نِسْبِ سِهَامِ  
 الْوَرَثَةِ مِنَ أَصْلِ الْفَرِيضَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا فِيهِ وَجَعَلُوهُ فَنَاءً  
 مُفْرَدًا وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ أَشْهُرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْخُلْفِيِّ ثُمَّ الْجَمْعِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ النُّعْمِ الطَّرَابُلسِيُّ وَأَمثالُهُمْ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعْبَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَالَعِ فِي الْفَقْهِ وَالْحِسَابِ

وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
 يجمع بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة  
 يقينية عند ما تجعل الحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها  
 عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
 إلى استخراج النجولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والصرف في الجذور  
 وأمثال ذلك فيملأون بها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما  
 يتداولونه من وراثتهم لقرايته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتفصيل الماكاة في  
 المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج ألاكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث  
 للمنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
 رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناءً على أن المراد  
 بالفرائض فروض الولاية والذي يظهر أن هذا التحل بعيد وأن المراد بالفرائض  
 إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وهذا المعنى  
 يصح فيها الصفة والثالثة وأما فروض الولاية فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
 علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص  
 أو تخصيصه بفروض الولاية إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
 والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموم مشقاً من  
 الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
 الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشريعة فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يعمل  
 في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

إعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة  
 وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
 الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة النبوية له فعلى عهد النبي  
 صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تلتقى بما يوحى إليهم من القرآن وبينه بقوله وفعله

يُخِطَّبُ شِفَاهِي لَا يَخْتِاجُ إِلَى نَقْلِ وَلَا إِلَى نَظَرٍ وَفِيَّاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَعَدَّرَ الْخِطَابُ الشِّفَاهِي وَانْتَحَفَظَ الْقُرْآنُ بِالتَّوَاتُرِ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ثُمَّ يُنْزَلُ الْأَجْمَاعُ مِثْلُهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى التَّكْيِيدِ عَلَى مَخَالِفِهِمْ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ مُسْتَدَلٍّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَّفِقُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ثَابِتٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدِلَّةِ بِعَصْمَةِ الْجَمَاعَةِ فَصَارَ الْأَجْمَاعُ دَلِيلًا ثَابِتًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِذَا هُمْ يَقْسِمُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْأَشْبَاهِ مِنْهَا وَيَنْظُرُونَ الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالِ بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ وَتَسْلِيمٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدَرِجْ فِي النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فَقَاسُوهَا بِمَا ثَبَتَ وَاتَّخَذُوهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِلْحَاقِ تُصَحِّحُ تِلْكَ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْمَثَلَيْنِ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا شَرْعِيًّا بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْفِيَّاسُ وَهُوَ رَابِعُ الْأَدِلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ فِي أَصُولِ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْأَجْمَاعِ وَالْفِيَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ شُدُودُ وَالْحَقُّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَدِلَّةٍ أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِضَعْفِ مَدَارِكِهَا وَشُدُودِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلُ مَبَاحِثِ هَذَا الْقَنْ فِي كَوْنِ هَذِهِ أَدِلَّةٍ فَأَمَّا الْكِتَابُ فَدَلِيلُهُ الْمُعْجِزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَنَنِهِ وَالتَّوَاتُرُ فِي تَقْلِيدِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَجَالٌ لِلِاحْتِمَالِ وَأَمَّا السُّنَّةُ وَمَا نَقَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِيحُ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا مُعْتَصِدًا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْقَازِ الْكِتَابِ وَالرُّسُلِ إِلَى التَّوَاخِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ آمِرًا وَنَاهِيًا وَأَمَّا الْأَجْمَاعُ فَلِإِتِّفَاقِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى إِنْكَارِ مَخَالِفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأُمَّةِ وَأَمَّا الْفِيَّاسُ فَبِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ هَذِهِ أَصُولُ الْأَدِلَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْمَنْقُولَ مِنَ السُّنَّةِ مَخْتِاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ الْتَّالِفِينَ لِتَمَيِّزِ الْحَالَةِ الْحَاصِلَةِ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ وَجُوبِ الْعَمَلِ وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ قَوَاعِدِ الْقَنْ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ عِنْدَ التَّمَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوحِ وَهِيَ مِنْ فُصُولِهِ أَيْضًا وَأَبْوَابِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَيَّنُ النَّظَرُ فِي دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ مَفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً وَالْقَوَائِنِ اللَّسَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ هِيَ عُلُومُ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ وَحِينَ كَانَ الْكَلَامُ مَلَكَّةً لِأَهْلِهِ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ عُلُومًا وَلَا قَوَائِنَ وَلَمْ يَكُنِ الْفَقْهُ حَاجِدًا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا جِلَّةٌ وَمَلَكَةٌ فَلَمَّا فَسَدَتْ الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ قِيدَهَا الْجَاهِلِيَّةُ أُلْعِجَتْ دُونَ ذَلِكَ بِنَقْلِ صَحِيحٍ وَمَقَائِسَ مُسْتَنْبَطَةٍ صَحِيحَةٍ وَصَارَتْ عُلُومًا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَقِيهُ فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ اسْتِفَادَاتٍ أُخْرَى خَاصَّةً مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ وَهِيَ اسْتِفَادَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الْمَعَانِي مِنْ أَدِلَّتِهَا الْخَاصَّةُ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ وَهُوَ الْفَقْهُ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَعْرِفَةُ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أُمُورٍ أُخْرَى تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّلَالَاتُ الْخَاصَّةُ وَبِهَا تُسْتَفَادُ الْأَحْكَامُ بِحَسَبِ مَا أَصَلَ أَهْلُ الشَّرْعِ وَجَاهِلِيَّةُ الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ وَجَعَلُوهُ قَوَائِنَ لِهَذِهِ الْاسْتِفَادَةِ مِثْلُ أَنَّ اللَّغَةَ لَا تُنْبِتُ قِيَاسًا وَالْمَشْتَرِكُ لَا يُرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ مَعَ وَالْوَاوُ لَا يَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالْعَامُّ إِذَا أَخْرَجَتْ أَفْرَادًا أَخْلَصَ مِنْهُ هَلْ يَبْقَى حُجَّةٌ فِيمَا عَادَهَا وَالْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ أَوْ النَّهْيُ لِلْقَوْرِ أَوْ التَّرَاخِي وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي النَّسَادَ أَوْ الصَّحَّةَ وَالْمُطْلَقُ هَلْ يُعْمَلُ عَلَى الْمُقَيَّدِ وَالنَّصُّ عَلَى الْعَلَّةِ كَافٍ فِي التَّعَدُّدِ أَمْ لَا وَأَمْثَالُ هَذِهِ فَكَانَتْ كُلُّهَا مِنْ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ وَلِكُونِهَا مِنْ مَبَاحِثِ الدَّلَالَةِ كَانَتْ لَعُوبَةً ثُمَّ إِنَّ النَّظَرَ فِي الْقِيَاسِ مِنْ أَعْظَمِ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ لِأَنَّ فِيهِ تَحْقِيقَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فِيمَا يُقَاسُ وَيُمَاتَلُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَيَنْفَتَحُ الْوَصْفُ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْحَكْمَ عَلَّقَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مِنْ تَبَيَّنَ أَوْصَافُ ذَلِكَ النَحْلِ أَوْ جُودَ ذَلِكَ الْوَصْفِ وَالْفَرْعِ مِنْ مُعَارِضٍ يَنْبَغُ مِنْ تَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ فِي مَسَائِلٍ أُخْرَى مِنْ تَوَاجِعِ ذَلِكَ كُلِّهَا قَوَاعِدُ لِهَذَا الْفَنِّ . (واعلم) أَنَّ هَذَا الْفَنِّ مِنَ الْقُنُونِ الْمُسْتَحْدَثَةِ فِي الْعِلْمَةِ وَكَانَ السَّلَفُ فِي غَنِيَّةٍ عَنْهُ بِمَا أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي مِنَ الْأَلْفَاظِ لَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى أَزِيدٍ مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ وَأَمَّا الْقَوَائِنُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي اسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ خُصُوصًا فَمِنْهُمْ أَخَذَ مُعْظَمُهَا وَأَمَّا الْأَسَانِيدُ فَلَمْ يَكُونُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّظَرِ فِيهَا اقْرُبِ الْعَصْرِ وَمَا رَسَدَ النُّقْلَةَ وَخَبَرَتِهِمْ بِهِمْ فَلَمَّا انْقَرَضَ السَّلَفُ وَذَهَبَ

الصَّدْرُ الْأَوَّلُ وَانْقَلَبَتِ الْعُلُومُ كُلُّهَا صِنَاعَةً كَمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ قَبْلِ احْتِاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُجْتَهِدُونَ  
 إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ وَالْقَوَاعِدِ لِاسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْأَدَلَّةِ فَكَتَبُوهَا فَنَأْ  
 قَأْنَا بِرَأْسِهِ سَمَوُهُ أَصُولُ الْفَقْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَمَلَى فِيهِ رَسُولَتَهُ الْمَشْهُورَةَ تَكَلَّمَ فِيهَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَالْيَاكُنَ وَالْخَبَرِ وَالنَّسَخِ  
 وَحُكْمِ الْعَلَةِ الْمُتَصَوِّصَةِ مِنَ الْقِيَاسِ ثُمَّ كَتَبَ فَقَهَاءُ الْخَنَفِيَّةِ فِيهِ وَحَقَّقُوا تِلْكَ الْقَوَاعِدَ  
 وَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ فِيهَا وَكَتَبَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ كِتَابَةَ الْفُقَهَاءِ فِيهَا  
 أَمَسَ بِالْفَقْهِ وَالْيَقِي بِالْفُرُوعِ اِكْتَرَاهُ الْأَمْثَلَةُ مِنْهَا وَالشَّوَاهِدُ وَبَنَاءُ الْمَسَائِلِ فِيهَا عَلَى  
 النَّكَتِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُجَرِّدُونَ صُرُوحَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ عَلَى الْفَقْهِ وَيَبْعِلُونَ إِلَى  
 الْأِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ مَا أَمَكْنَ لِأَنَّهُ غَالِبُ فَنُونِهِمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ فَكَانَ إِنْفِقَاءُ الْخَنَفِيَّةِ  
 فِيهَا أَيْدِ الطُّوَلَى مِنَ الْغَوْصِ عَلَى النَّكَتِ الْفَقْهِيَّةِ وَالتَّنْقِاطِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مِنْ مَسَائِلِ  
 الْفَقْهِ مَا أَمَكْنَ وَجَاءَ أَبُو زَيْدٍ الدَّبُّوسِيُّ مِنْ أَيْمَنِهِمْ فَكَتَبَ فِي الْقِيَاسِ بِأَوْسَعٍ مِنْ  
 جَمِيعِهِمْ وَتَمَّ الْأَبْحَاثُ وَالشَّرُوطُ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ وَكَمَلَتْ صِنَاعَةُ أَصُولِ الْفَقْهِ  
 بِكَمَالِهِ وَتَمَدَّتْ مَسَائِلُهُ وَتَهَيَّأَتْ قَوَاعِدُهُ وَعُيِّنَ النَّاسُ بِطَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ مَا كَتَبَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ كِتَابُ الْبَرْهَانِ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَالْمُسْتَصْفَى  
 لِلْعَزَائِي وَهُمَا مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَكِتَابُ الْعَهْدِ لِعَبْدِ الْجَبَّارِ وَشَرْحُهُ الْمُعْتَمَدُ لِأَبِي الْحُسَيْنِ  
 الْبَصْرِيِّ وَهُمَا مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَكَانَتِ الْأَرْبَعَةُ قَوَاعِدَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ ثُمَّ لَخِصَ هَذِهِ  
 الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةَ لِمَوْلَانِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَهُمَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ  
 الْخَطِيبِ فِي كِتَابِ الْخُصُولِ وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَاخْتَلَفَتْ  
 طَرَأُفُهُمَا فِي الْفَنِّ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَالْحِجَاجِ فَأَبْنَى الْخَطِيبُ أَمِيلُ إِلَى الْإِسْنِكْثَارِ مِنْ  
 الْأَدَلَّةِ وَالْأَحْجَاجِ وَالْأَمْدِيُّ مَوْلَعٌ بِتَحْقِيقِ الْمَذَاهِبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَأَمَّا كِتَابُ  
 الْخُصُولِ فَاخْتَصَرَهُ تَلْمِيزُ الْإِمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ اتَّحْصِيلِ وَتَأْجِ  
 الدِّينِ الْأَزْمَوِيِّ فِي كِتَابِ الْحَاصِلِ وَافْتَنَطَتْ شَهَابُ الدِّينِ الْفَرَاغِي مِنْهُمَا مُقَدِّمَاتِ  
 وَقَوَاعِدِ فِي كِتَابِ صَغِيرِ سَمَاءِ التَّنْقِيحَاتِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْمِنَهَاجِ  
 وَعَنِي الْمُبْتَدِئُونَ بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ وَشَرْحَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا كِتَابُ الْأَحْكَامِ  
 لِلْأَمْدِيِّ وَهُوَ أَكْثَرُ تَحْقِيقًا فِي الْمَسَائِلِ فَلَخِصَهُ أَبُو عَمَرَ بْنُ الْحَاجِبِ فِي كِتَابِهِ

الْمَعْرُوفِ بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوَلَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَعِيَّ أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَبِمُطَالَعَتِهِ وَشَرْحِهِ وَحَصَلَتْ زُبْدَةُ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْفَنِّ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْحَنْفِيَّةِ فَكَتَبُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَةٍ فِيهَا لِلْمُنْقِذِ مِنْ تَأْلِيفِ أَبِي زَيْدٍ الدَّبُوسِيِّ وَأَحْسَنُ كِتَابَةِ الْمُنَافِرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيِّدِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أَتَمِّهِمْ وَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ  
 مِنْ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبَدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَتَمُّهُ الْعُلَمَاءُ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ بِتَدَاوُلُوهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأَوَّلَعَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ بِشَرْحِهِ وَالْحَالُ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ وَتَعْيِينُ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَاللَّهُ يُنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيُعَلِّمُنَا مِنْ أَهْلِهِ بِمَنْدِهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) . فَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْفَقْهَ الْمُسْتَنْبِطَ مِنَ الْأَدَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَأَنظَارِهِمْ خِلَافًا لَأَبَدٍ مِنْ وَفُوعِهِ لِمَا  
 قَدَّمَاهُ وَاتَّسَعَ ذَلِكَ فِي الْمِلَّةِ اتِّسَاعًا عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُعَلِّدِينَ أَنْ يَقْلِدُوا مَنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَتَى ذَلِكَ إِلَى الْأَيْمَةِ الْأَزْبَعَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَنْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ أَقْصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْأَجْتِهَادِ  
 لِعُصُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَانْفِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِوَى  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَزْبَعَةِ فَأَقِمْتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَزْبَعَةُ أَصُولَ الْمِلَّةِ وَأَجْرَى الْخِلَافِ  
 بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا تَجَرَّى الْخِلَافُ فِي الْخُصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ  
 وَالْأَصُولِ الْفَقْهِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَظَارَاتُ فِي تَضَمُّعِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبَ إِمَامِهِ تَجَرَّى  
 عَلَى أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَطَرِائِقٍ قَوِيَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأَجْرَيْتْ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفَقْهِ فَتَارَةً يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ  
 يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَظَارَاتِ بَيَانٌ مَا خِذَ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ وَمَثَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَانَ هَذَا  
 الصِّنْفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافَاتِ وَلَا يَدْ إِصْحَاحِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا



إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا التَّحْتِدُ إِلَّا أَنْ التَّحْتِدَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلِاسْتِنْبَاطِ  
وَصَاحِبِ الْخِلَافِيَّاتِ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِحِفْظِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْ أَنْ يَهْدِمَهَا الْخِلَافُ  
بِأَدْلَتِهِ وَهُوَ لَعَمْرِي عِلْمٌ جَلِيلٌ الْفَائِدَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَا خِذَ الْأَئِمَّةُ وَأَدْلَتِهِمْ وَمَرَاتِ  
الْمُطَالَعِينَ لَهُ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأَلِيفِ  
الْمَالِكِيَّةِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ أَصْلٌ لِلْكَثِيرِ مِنْ فُرُوعِ مَذْهَبِهِمْ كَمَا عَرَفَتْ  
فَهُمْ لِذَلِكَ أَهْلُ النَّظَرِ وَالنَّجْثِ . وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَالْأَثَرُ أَكْثَرُ مُعْتَمَدِهِمْ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ  
نَظَرٍ وَأَيْضًا فَكَثَرَتْ أَهْلُ الْقُرْبِ وَهُمْ بِأَدْيَةِ غُلٍّ مِنَ الصَّنَاعِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَالْفِرَاقِ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ كِتَابُ الْمَاخِذِ وَلِأَيِّ زَيْدِ الدُّبُوسِيِّ كِتَابُ التَّعْلِيقَةِ وَلِابْنِ الْقَصَّارِ  
مِنْ شُبُوحِ الْمَالِكِيَّةِ عَيُونُ الْأَدْلَةِ وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ السَّاعَاتِي فِي مُخْتَصَرِهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ  
جَمِيعَ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْفِقْهِ الْخِلَافِيِّ مُدْرَجًا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْخِلَافِيَّاتِ  
(وَأَمَّا الْجِدَالُ) وَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَاطَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ  
وَعَبَرِهِمْ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَاطَرَةِ فِي الرِّدِّ وَالْقَبُولِ مُتَّسِعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُنَاطَرِينَ  
فِي الْإِسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ يُرْسِلُ عَنَانَهُ فِي الْإِحْتِجَاجِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ خَطَأً فَاحْتَاجَ الْأَئِمَّةُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُنَاطَرَانِ عِنْدَ  
حُدُودِهَا فِي الرِّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدِلِّ وَالْمُجِيبِ وَحَيْثُ يُسَوِّغُ لَهُ  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ مُخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَتَحَلُّ أَعْرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيُّ  
يَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكُوتُ وَلِخُصْمِهِ الْكَلَامُ وَالْإِسْتِدْلَالُ وَلِلذَلِكَ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ مَعْرِفَةٌ  
بِالْقَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيٍ وَهَدْمِهِ سِوَاهُ  
كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْفِقْهِ أَوْ غَيْرِهِ وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبُزْدَوِيِّ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَدْلَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَطَرِيقَةُ الْعَمِيدِيِّ وَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ  
دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيْ عِلْمٍ كَانَ وَأَكْثَرُهُ اسْتِدْلَالٌ وَهُوَ مِنَ الْمَنَاحِي الْحَسَنَةِ  
وَالْمَعَالِطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا اعْتَبَرْنَا النَّظَرَ الْمَنْطَوِيَّ كَانَ فِي الْغَالِبِ  
أَشْبَهُ بِالْقِيَاسِ الْمَعَالِطِيِّ وَالسُّوسَطَانِيِّ إِلَّا أَنَّ صُورَ الْأَدْلَةِ وَالْأَنِيسَةِ فِيهِ مُحْفُوظَةٌ  
مُرَاعَاةً لِحُرْمَتِ فِيهَا طَرُقِ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
فِيهَا وَلَسِبَتْ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَضَعَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى بِالْإِشْرَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مِنْ بَعْدِهِ

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَى أَثَرِهِ وَسَامَكُوا مَسْلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ الذَّاكِلُفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَرِيدِ مَجْبُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ إِلَّا سَلَامِيَّةً  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَالِيَّةٌ وَلَيْسَتْ فَرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل العاشر

### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ النُّجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ إِلَّا يَمَانِيَّةً بِالْأَدَلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُخَرِّجِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنْ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَسِرُّ هَذِهِ الْعَقَائِدِ إِلَّا يَمَانِيَّةً  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلْتَقَدِّمْنَا هُنَا لَطِيفَةً فِي بُرْهَانِ عَقْلِيٍّ يَكْشِفُ لَنَا عَنِ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَاخِذِ ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَفِيمَا يُنْظَرُ وَبُشِيرُ إِلَى حُدُوثِهِ فِي الْعِلْمَةِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضْعِهِ فَنَقُولُ إِنَّ الْحَوَادِثَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سِوَاكَ كَانَتْ مِنَ الذُّوَاتِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوِ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا يَنْفَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرْتَقِيَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْقَائِهَا تَنْفَسِحُ وَتَنْضَاعِفُ  
طَوْلًا وَعَرْضًا وَيَحَارُ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعْدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصُرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْخَاطِطُ سِيمَا  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْغَالِبِ عَنِ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْفِعْلِ وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتُ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَبْقَى فِي النَّفْسِ  
مِنَ التَّصَوُّرَاتِ مَجْهُولٌ سَبَبُهُ إِذْ لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءُ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الْفِكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنِ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يَحِيطُ عِلْمًا فِي الْغَالِبِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةُ ظَاهِرَةٍ  
وَيَبْقَى فِي مَدَارِكِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ خَاضِعَةً لِلنَّفْسِ وَتَحْتَ طَوْرِهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَنِطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا لِلْعَقْلِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تُدْرِكُ  
الْكَثِيرَ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظَرِ

إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفَ مَعَهَا فَإِنَّهُ وَإِدْبَارِهِمْ فِيهِ الْفِكْرُ وَلَا يَحِلُّ مِنْهُ بَطَائِلٌ وَلَا يَنْفَرُ  
بِحَقِيقَةٍ قَالَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَرُبَّمَا أَنْقَطَعَ فِي وَقُوفِهِ عَنِ الْأَرْتِقَاءِ إِلَى  
مَا فَوْقَهُ فَرَأَتْ قَدَمُهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الصَّالِّينَ الْهَالِكِينَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِرْمَانِ وَالْخَسْرَانِ  
الْمَبِينِ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفُ أَوْ الرُّجُوعَ عَنْهُ فِي قُدْرَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ بَلْ هُوَ لَوْثٌ  
يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ وَصِيقَةٌ تَسْتَحْكِمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا نَعْلَمُهَا إِذْ لَوْ  
عَلِمْنَاهَا أَتَخَرَّزْنَا مِنْهَا فَلَنْتَحَرَّزَ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْهَا جُمْلَةً وَأَيْضًا فَوْجَهُ تَأْثِيرِ  
هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مُسَبِّحَاتِهَا يَجْهَلُ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْعَادَةِ لِاقْتِرَانِ  
الشَّاهِدِ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى الظَّاهِرِ وَحَقِيقَةِ التَّأْثِيرِ وَكَيْفِيَّتُهُ بِجَهْلِهِ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
إِلَّا قَلِيلًا فَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وَإِلْغَائِهَا جُمْلَةً وَالتَّوَجُّعِ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
كُلِّهَا وَفَاعِلِهَا وَمُوجِدِهَا لِيَرْسَخَ صِفَةُ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا الشَّارِعَ الَّذِي هُوَ  
أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وَطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِأُطْلَاعِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ الْحِسِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ  
فَقَدْ أَنْقَطَعَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَأَنْ سَبَّحَ فِي بَحْرِ النَّظَرِ وَانْتَبَهَتْ عَنْهَا وَعَنْ  
أَسْبَابِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ قَائِمًا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَّا بِالْخَبِيَةِ فَلِذَلِكَ  
نَهَانَا الشَّارِعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ وَأَمَرَنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ  
الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَلَا تَنْفَعُ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الْفِكْرُ مِنْ  
أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْأَحَاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَسَمِعَ  
رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ فِي بَادِي رَأْيِهِ مُتَحَصِّرٌ فِي مَدَارِكِهِ  
لَا يَعْدُوهَا وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ أَلَّا تَرَى الْأَصَمَّ كَيْفَ  
يَتَحَصَّرُ الْوُجُودَ عِنْدَهُ فِي التَّحْسُّوسَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَيَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ  
صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى أَيْضًا يَسْقُطُ عِنْدَهُ صِنْفُ الْعَرْنِيَّاتِ وَلَوْلَا مَا يَرُدُّهُمْ  
إِلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْأَبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصَرِهِمُ وَالْكَافَّةُ لِمَا أَفَرُّوا بِهِ لِكَيْفِيَّتِهِمْ  
يَتَّبِعُونَ الْكَافَّةَ فِي إثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَا بِمَقْتَضَى فِطْرَتِهِمْ وَطَبِيعَةِ إِدْرَاكِهِمْ وَلَوْ  
سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْمَجُ وَنَطَقَ لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرًا لِلْمَعْقُولَاتِ وَسَاقِطَةً لَدَيْهِ بِالْكَلِمَةِ  
فَإِذَا عَلِمَتْ هَذَا فَلَمَّ هُنَاكَ ضَرْبًا مِنَ الْإِدْرَاكِ غَيْرَ مُدْرَكَاتِنَا لِأَنَّ إِدْرَاكَاتِنَا مَخْلُوقَةٌ

مُحَدَّثَهُ وَخَلَقَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْخَصَرُ مَجْهُولٌ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ  
 ذَلِكَ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَأَتَتْهُمْ إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَاتِكَ فِي الْخَصَرِ وَأَتَبَعَ مَا أَمَرَكَ  
 الشَّارِعُ بِهِ مِنْ اعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَخْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ  
 طَوْرِ فَوْقِ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعَ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ  
 وَمُدَارِكِهِ بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ فَأَحْكَمُهُ بِقِيَّتِهِ لَا كَذِبَ فِيهَا غَيْرُ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ  
 أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكُلُّ مَا  
 وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مُحَالٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ  
 بِهِ الذَّهَبُ فَطَمَعُ أَنْ يَزِنَ بِهِ أَجْسَالَهُ وَهَذَا لَا يُدْرِكُ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَمِهِ غَيْرُ  
 صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونُ لَهُ أَنْ يُحِيطَ بِاللَّهِ  
 وَيَصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْحَاصِلِ مِنْهُ وَتَقَطُّنَ فِي هَذَا الْغَلَطِ وَمَنْ يَقْدِرُ  
 الْعَقْلُ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَفُضُورِ فَهْمِهِ وَأَضْحِلَّالِ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ  
 لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَادْتَبَيَّنَ ذَلِكَ فَلَمَّا لَلَّ الْأَسْبَابُ إِذَا تَجَاوَزْتَ فِي الْأَرْتِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكِكَ  
 وَوُجُودَنَا خَرَجْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرِكَةً فَيُضِلُّ الْعَقْلُ فِي يَدَاءِ الْأَوْهَامِ وَبِحَارٍ وَيَقْطَعُ  
 فَإِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ التَّعْجُزُ عَنْ إِدْرَاكِكَ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَقْوِيضِ ذَلِكَ إِلَى  
 خَالِقِهَا الْمُحِيطِ بِهَا إِذَا لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلُّهَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمُنَا بِهِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ حَيْثُ صَدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا نَقَلَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ التَّعْجُزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
 إِدْرَاكَكَ ثُمَّ إِنَّ الْمَعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ  
 حُكْمِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَنْكِيفُ  
 بِهَا النَّفْسُ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكَه الطَّاعَةِ  
 وَالْإِنْقِيَادِ وَتَفَرُّغِ الْقَلْبِ عَنْ شَوَاغِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَنْقَلِبَ الْمُرِيدُ السَّالِكُ  
 رَبَّانِيًا وَالتَّفَرُّقُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْعِلْمِ فِي الْعَقَائِدِ فَرَقُ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْإِتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُتَدَوِّبٌ إِلَيْهَا  
 وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ  
 مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لَفَرَ عَنْهُ وَأَسْتَنْكَفَ أَنْ يَأْشِرَهُ فَضْلًا عَنِ التَّمَسُّعِ  
 عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعُطْفِ وَالْحَنُونِ وَالصَّدَقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ

مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ مَقَامَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْصُلُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمُسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرٌ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُصُولُ مَلَكَهَا فَمَنْ رَأَى يَتِيمًا  
 أَوْ مُسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَّحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ الثَّوَابَ فِي الشُّنْقَةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَصِيرُ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَ عَنْهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عَلَيْكَ بِالنُّوحِيدِ مَعَ  
 إِتِّصَافِكَ بِهِ وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ فَزُرُورَةٌ وَهُوَ أَوثَقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ  
 قَبْلَ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنِ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْأَعْمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مِرَارًا غَيْرَ مُتَخَصِّرَةٍ فَتَزِيغُ الْمَلَائِكَةِ وَيَحْصُلُ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 النَّائِفُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْعَجَزَدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجَدْوَى وَالنَّفْعِ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النَّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِيُّ الثَّانِي عَنِ الْعَادَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طُلِبَ اعْتِقَادُهُ  
 فَالْكَمَالُ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي الْحَاصِلِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طُلِبَ عَمَلُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالُ فِيهَا فِي حُصُولِ الْإِتِّصَافِ وَالتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الْأَقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْمَوْاطَبَةِ  
 عَلَيْهَا هُوَ النُّحْصَلُ لِهَذِهِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ فِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يُعَدُّ فِيهَا مُنْتَهَى لَذَاتِهِ  
 وَفِرَّةَ عَيْنِهِ وَأَيُّنَ هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهُمْ بِهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي التَّكْلِيفِ  
 كُلِّهَا حُصُولُ مَلَكَهَ رَاسِخَةٍ فِي النَّفْسِ يَحْصُلُ عَنْهَا عِلْمٌ اضْطِرَّارِيٌّ لِلنَّفْسِ هُوَ النُّوحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي يُحْصَلُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ فِي التَّكْلِيفِ  
 الْقَلْبِيِّ وَالْبَدَنِيِّ وَبَتَّهْمُ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّكْلِيفِ وَيَتَّبِعُهَا هُوَ بِهِدِهِ  
 الْعَمَلِيَّةُ دُونَ مَرَاتِبِ أَوَّلِهَا التَّصَدِيقُ الْقَلْبِيُّ الْمُوَافِقُ لِللِّسَانِ وَأَعْلَاهَا حُصُولُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ مُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَنْبِغُ الْجَوَارِحَ  
 وَتَتَدَرِّجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ الصَّرَفَاتِ حَتَّى تَنْخَرِطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصَدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَمِمَّا أَرْفَعُ مَرَاتِبَ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَفَارِقُ الْمُؤْمِنِ

مَعَهُ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِذْ حُصُولُ الْمَلَكََةِ وَرُسُوحُهَا مَانِعٌ مِنَ الْإِنْخِرَافِ عَنْ مَنَاجِيهِ  
 طَرَفَةِ عَيْنٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزِنِي أَرْأَيْي حِينَ يَزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَفِي حَدِيثٍ  
 مِنْ قُلٍّ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي  
 أَصْحَابِهِ هَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَغْطَةً لِدِينِهِ قَالَ لَا قَالَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ  
 بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبُ وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَلَكََةَ الْإِيمَانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ عَسَرَ عَلَى النَّفْسِ تَخَالَفَتُهَا شَأَنُ  
 الْمَلَكَاتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمَثَابَةِ الْجِلَّةِ وَالْفَطْرَةِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ  
 مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِزِّمَةِ لِأَنَّ الْعِزِّمَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَجُوبًا  
 سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةُ الْمُؤْمِنِيَّةِ حُصُولًا تَابِعًا لِأَعْمَالِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَبِهَذِهِ الْمَلَكََةِ  
 وَرُسُوحُهَا يَقَعُ التَّفَاوُتُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي يُتْلَى عَلَيْكَ مِنْ أَقَاوِيلِ السَّلَفِ وَفِي تَرَاجِمِ  
 الْبُخَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
 وَيَقْصُرُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءُ مِنَ  
 الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كُلُّهُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَكَتِهِ وَهُوَ  
 فِعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُتَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَمْنَاءِ  
 وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مُنِعَ مِنَ التَّفَاوُتِ كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
 الْأَمْنَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي اتِّحَادِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصْدِيقُ إِذِ التَّصْدِيقُ مُوجُودٌ فِي جَمِيعِ  
 رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقْلٌ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْخُلُوصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفَيْضُ  
 بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقْلٌ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَفَاوَتُ وَإِنَّمَا  
 التَّفَاوُتُ فِي الْحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا قُلْنَا هَافَهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ  
 لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعِبَتْ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
 كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا يَقُولُونَ وَأَعْتَقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْإِفْرَاقِ بِالسِّنَنِ وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي  
 تَقَرَّرَتْ فِي الذِّهْنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ  
 الْإِيمَانِيَّةُ الْمَقْرَرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَلِنُشِيرَ إِلَيْهَا تَجْمَعَةً لِنَتَبَيَّنَ لَكَ حَقِيقَةُ هَذَا الْعَقْدِ  
 وَكَيْفِيَّةُ حَدُوثِهِ فَقُولُ . إَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِقِ الَّذِي رَدَّ

الْأَفْعَالِ كُلِّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ تَجَانُّتًا عِنْدَ الْمَوْتِ إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يَعْرِفْنَا بِكُنْهٍ حَقِيقَةٍ هَذَا الْخُلَاقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذْ ذَلِكَ مُتَعَذِّرٌ عَلَى إِدْرَاكِهَا وَمِنْ فَوْقِ طَوْرِنَا فَكَلَّفْنَا أَوَّلًا اعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخُلُقَيْنِ وَإِلَّا لَمَّا صَحَّ أَنَّهُ خُلَاقٌ لَهُمْ لَعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ وَإِلَّا لَشَابَهُ الْخُلُقَيْنِ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالِاتِّحَادِ وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ الْخُلُقُ لِلتَّمَانِعِ ثُمَّ اعْتِقَادُ أَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ فِذَلِكَ ثُمَّ الْأَفْعَالُ شَاهِدٌ قُضِيَتْهُ لِكَمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخُلُقِ وَمُرِيدٌ وَإِلَّا لَمْ يَخْصُصْ شَيْءٌ مِنَ الْخُلُوقَاتِ وَمُقَدَّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعِبَادَتِهِ بِإِلَّا بِجَادٍ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرٍ فَإِنْ كَانَ عَبْشًا فَهُوَ الْبَقَاءُ السَّرْمَدِي بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ اعْتِقَادُ بَعْثِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنْ شَقَاءِ هَذَا الْعَمَادِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَمَامِ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِيْتَاءِ بِذَلِكَ وَيَبَانَ الطَّرِيقَيْنِ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أُمَمَاتُ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُعَلَّلَةٌ بِأَدِلَّتِهَا الْعَقْلِيَّةِ وَأَدِلَّتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَخَذَهَا السَّلَفُ وَأَرَشَدَ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأُئِمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَّضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْعَقَائِدِ أَكْثَرُ مَنَارِهَا مِنَ الْآيِ الْمُشَابِهَةِ قَدَعًا ذَلِكَ إِلَى الْخِصَامِ وَالْإِنْتَظَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالْعَقْلِ وَزِيَادَةٍ إِلَى النُّقْلِ حَدَّثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلِتَبَيَّنَ لَكَ تَفْصِيلُ هَذَا الْجَعْمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَّ فِيهِ وَصْفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ وَهِيَ سُلُوبٌ كُلُّهَا وَصَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيٌ أُخْرَى قَلِيلَةٌ تُؤَيِّمُ التَّشْبِيهَ وَقَضُوا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ فَأَمَّنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَاهَا يَبْحَثُ وَلَا تَأْوِيلَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ إِفْرَاقُهَا كَمَا جَاءَتْ أَيْ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا لِجَوَازِ أَنْ تَكُونَ أَبْلَاءً فَيُجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِذْعَانُ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهَا مُبْتَدِئَةً اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنَ الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّشْبِيهِ فَنَرِيقُ أَشْبَهُوا فِي الذَّاتِ بِاعْتِقَادِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَقَعُوا فِي التَّجَسُّمِ الصَّرِيحِ وَخِثَامَةِ آيِ التَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدِ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِأَنَّ مَعْقُولِيَّةَ الْجِسْمِ تَقْضِي النِّقْصَ وَالِانْتِقَازَ وَتَغْلِبُ

آيَاتِ السُّلُوبِ فِي التَّنْزِيهِ أَلَمْ يُطْلَقِ اللَّيْ فِي أَكْثَرِ مَوَارِدَ وَأَوْفَحَ دَلَالَةً أَوَّلَى مِنْ  
 أَلَمْ يُطْلَقِ بِظَوَاهِرٍ مِثْلِهِ أَلَيْسَ أَلَيْسَ عَنْهَا غَيْبٌ وَجَمْعُ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بِتَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ يَقْرُونَ مِنْ شَتَاةٍ  
 ذَلِكَ يَقُولُهُمْ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمْعُ  
 بَيْنَ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ إِنْ كَانَ بِالْمَعْقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْجِسْمِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَتَقَوَّا  
 الْمَعْقُولِيَّةَ الْمَعْتَرِفَةَ فَقَدْ وَافَقُونَا فِي التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُمْ لِنَظَرِ الْجِسْمِ أَمَّا مِنْ  
 أَسْمَائِهِ وَيَتَوَقَّفُ مِثْلُهُ عَلَى الْأَذُنِّ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّفَاتِ كَمَا ثَبَتَ  
 الْجِهَةِ وَالْإِسْتَوَاءَ وَالنُّزُولَ وَالصَّوْتِ وَالْحَرْفَ وَأَمَّا ذَلِكَ وَآلَ قَوْلُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
 فَتَزَعُّوا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالصَّوْتِ جِهَةٌ لَا كَالْجِهَاتِ نَزُولٌ لَا  
 كَالنُّزُولِ يَعْنُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَأَنْدَقَ ذَلِكَ بِمَا أَنْدَقَ بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظُّوَاهِرِ  
 إِلَّا اعْتِقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا هِيَ لِثَلَا بَكْرُ الْفَنِّي دَلَى مَعَانِيهَا بِنَتِجَتِهَا  
 مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ نَائِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا نَنْظُرُ مَا تَرَاهُ فِي عَقِيدَةِ الرِّسَالَةِ لِأَنَّ أَبِي زَيْدٍ  
 وَكِتَابِ التَّخْصِيرِ لَهُ فِي كِتَابِ الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ عَلَى هَذَا  
 الْمَعْنَى وَلَا تَعْمُضُ عَيْنُكَ عَنْ الْقُرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
 كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلَعَ النَّاسُ بِالْأَدْوِينِ وَاتَّبَعَتْ فِي سَائِرِ الْأَنْحَاءِ وَأَلْفَ  
 الْمُتَكَلِّمِينَ فِي التَّنْزِيهِ حَدَّثَتْ بِدَعَا الْمَعْتَرِ لَةِ فِي تَعْمِيمِ هَذَا التَّنْزِيهِ فِي آيِ السُّلُوبِ  
 فَقَضَوْا بِنَفْيِ صِفَاتِ الْمَعْنَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
 لَمَّا بَلَزَمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مُرْدُودٌ بِأَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الْأَدَاتِ  
 وَلَا غَيْرَهَا وَقَضَوْا بِنَفْيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مُرْدُودٌ  
 لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبَيِّنَةِ فِي مَذْلُولِ هَذَا الَّلَفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعِ أَوْ الَّلَبْصَرِ  
 وَقَضَوْا بِنَفْيِ الْكَلَامِ لَشَبْهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَقْبَلُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
 بِالنَّفْسِ فَقَضَوْا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ بِدَعَا صَرَحَ السَّلَفُ بِخِلَافِهَا وَعَظَمَ خَيْرُ رُذِيهِ الْبِدْعَةِ  
 وَفَقَّهَهَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَنْ أَيْمَتِهِمْ فَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أَيْمَةُ السَّلَفِ فَاسْتَحْلَ  
 لِحُلُولِهِمْ إِبْسَارُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِاتِّهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدَلَّةِ  
 الْعَلَنِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعُقَائِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
 الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَتَقَى التَّشْبِيهِ وَثَبَتَ الصِّفَاتِ



الْمَعْنَوِيَّةَ وَقَصَرَ النَّزْرِيَّةَ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدَلَّةُ الْخُصَّصَةُ لِعُمُومِهِ  
فَأَثَبَتْ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
النَّقْلِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهَذِهِ الْبِدْعِ  
مِنْ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ وَالْتَحْسِينَ وَالتَّقْيِيعِ وَكَمَلِ الْعَقَائِدِ فِي الْبُغْتَةِ وَأَحْوَالِ  
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالثُّوَابِ وَالْعِقَابِ وَأَلْحَقَ بِذَلِكَ الْكَلَامَ فِي الْإِيمَانَةِ لِمَا ظَهَرَ حِينَئِذٍ  
مِنْ بِدْعَةِ الْإِيمَانَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الَّذِينَ تَعَيَّنَتْهَا  
وَالْخُرُوجُ عَنِ الْهَيْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ هِيَ لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأَمَّةِ وَقَضَارَى أَمْرِ الْإِيمَانَةِ  
أَنَّهَا قَضِيَّةٌ مَصْلَحِيَّةٌ إجماعيةٌ وَلَا تُلْعَقُ بِالْعَقَائِدِ فَلِذَلِكَ أَخْفَوْهَا بِمَسَائِلِ هَذَا الْفَنِّ وَتَمَوَّأَ  
تَجْمُوعَهُ عِلْمَ الْكَلَامِ إِمَّا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَهِيَ كَلَامٌ صِرْفٌ وَلَيْسَتْ  
بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَّا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَالْخُوضِ فِيهِ هُوَ تَنَازُعُهُمْ فِي اثْبَاتِ الْكَلَامِ  
النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَاقْتَفَى طَرِيقَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلْمِيزُهُ  
كَأَبْنِ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ الْبَاقِلَانِيُّ فَتَصَدَّرَ لِلْإِيمَانَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
وَهَذَبَهَا وَوَضَعَ الْمَقْدِمَاتِ الْعَقَائِدِيَّةَ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْأَدَلَّةُ وَالْأَنْظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ اثْبَاتِ  
الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخُلَاءِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَدْلَتُهُمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ  
اعْتِقَادِهَا لِتَتَوَقَّفَ تِلْكَ الْأَدَلَّةُ عَلَيْهَا وَأَنَّ بَطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِنُ بِبَطْلَانِ الْمَدْلُولِ  
وَجُمِلَتِ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفَنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدَّرَبِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
صُورَ الْأَدَلَّةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْأَفْسَسَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي الْمِلَّةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِمَلَابَسَتِهَا الْعُلُومُ الْفَلَسَفِيَّةُ الْمُبَايَنَةُ لِلْعَقَائِدِ  
الشَّرْعِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ  
الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَأَتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعَقَائِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ عُلُومُ الْمَتَطَلِّعِينَ فِي الْمِلَّةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
قَانُونٌ وَمَعْيَارٌ لِلْأَدَلَّةِ فَقَطُّ يُسَبَّرُ بِهِ الْأَدَلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبَّرُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
الْقَوَاعِدِ الْمَقْدِمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبُرَاهِينِ الَّتِي

أَدَلَّتْ إِلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَّاسَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ فَلَمَّا سَبَرُوها بِمِيعَارِ الْمُنْطَقِ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِيهَا وَلَمْ يَتَقَدُّوا بِظُلَّانِ  
الْمَدْلُولِ مِنْ بُطْلَانِ دَلِيلِهِ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مُصْطَلَحِهِمْ  
مُبَايَنَةً لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى وَتُسَمَّى طَرِيقَةُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَرُبَّمَا أَدْخَلُوا فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْفَلَّاسَةِ  
فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ مِنَ الْقَوَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ وَجَعَلُوهُمْ مِنْ خُصُومِ الْقَوَائِدِ لِتَنَاسُبِ الْكَثِيرِ  
مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَبَدِّعَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْمَنْحَى  
الْفَرَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَبِعَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْخَطِيبِ وَجَمَاعَةٌ قَفَّوْا أَثَرَهُمْ وَاعْتَمَدُوا تَقْلِيدَهُمْ  
ثُمَّ تَوَعَّلَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي خَالَطَةِ كُتُبِ الْفَلَّاسَةِ وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْهِمْ شَأْنِ الْمَوْضُوعِ  
فِي الْعِلْمَيْنِ فَحَسِبُوهُ فِيهِمَا وَاحِدًا مِنْ أَشْيَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهِمَا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ  
أَمَّا كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ بِالْكَائِنَاتِ وَأَحْوَالِهَا عَلَى وُجُودِ الْبَارِي وَصِفَاتِهِ  
وَهُوَ نَوْعٌ أَسْتَدِلَّاهُمْ غَالِبًا وَالْجِسْمِ الطَّبِيعِيِّ يَنْظُرُ فِيهِ الْفَلَسُوفُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَهُوَ  
بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ إِلَّا أَنَّ نَظْرَهُ فِيهَا خَالَفَ لِنَظْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي  
الْجِسْمِ مِنْ حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَالْمُتَكَلِّمُ يَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ  
وَكَلَّا نَظَرَ الْفَلَسُوفُ فِي الْإِلَهِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ نَظَرٌ فِي الْوُجُودِ الْمَوْجُودِ وَمَا يَقْتَضِيهِ لِقَاتُهُ  
وَنَظَرَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْجِدِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا مَوْضُوعُ عِلْمِ  
الْكَلَامِ عِنْدَ أَهْلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْقَوَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ بَعْدَ فَرْضِهَا صَحِيحَةً مِنَ الشَّرْعِ مِنْ  
حَيْثُ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهَا بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ قَدْ رَفَعَ الدِّعْ وَتَزَوَّلَ الشُّكُوكُ وَلَشَيْبَةُ  
عَنْ تِلْكَ الْقَوَائِدِ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْفَنِّ فِي حَدُوثِهِ وَكَيْفَ تَدْرَجُ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ  
صَدْرًا بَعْدَ صَدْرٍ وَكُلُّهُمْ يَفْرَضُ الْقَوَائِدُ صَحِيحَةً وَيَسْتَنْهَضُ الْحُجَجَ وَالْأَدَلَّةَ عَلِمَتْ  
حِينَئِذٍ مَا قَرَّرْنَاكَ لَكَ فِي مَوْضُوعِ الْفَنِّ وَأَنَّهُ لَا يَعْدُوهُ وَلَقَدْ اخْتَلَطَتِ الطَّرِيقَتَانِ  
عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالتَّبَسُّعُ مَسَائِلِ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَسَفَةِ بِحَيْثُ لَا يَتَمَيَّزُ أَحَدُ  
الْفَنَيْنِ مِنَ الْآخَرِ وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ طَالِبُهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَمَا قَعَلَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي الطُّوَالِغِ  
وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ فِي جَمِيعِ تَأْلِيفِهِمْ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ قَدْ يُعْنَى بِهَا  
بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَذَاهِبِ وَالْإِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحِجَاجِ لَوْفُورِ ذَلِكَ  
فِيهَا وَأَمَّا مُحَازَاهُ طَرِيقَةَ أَسْلَفِ بَعَائِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ

لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْلُهَا كِتَابُ الْإِرْشَادِ وَمَا حَدَا حَذْوُهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّدِّ عَلَى  
 الْفَلَسَفَةِ فِي عَقَائِدِهِ فَلْيَعْلَمْ بِكِتَابِ الْغَزَالِيِّ وَالْإِمَامِ ابْنِ الْحَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَتْ فِيهَا  
 مُخَالَفَةٌ لِلْإِسْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنْ الْأَخْطِلَاطِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْأَلْتِبَاسِ فِي  
 الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجَمْعَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ  
 هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذِ  
 الْمُلْحَدَةُ وَالْمُبْتَدَعَةُ قَدْ انْقَرَضُوا وَالْأَثَمَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كُنُونًا شَأْنُهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
 وَدَوَّنُوا وَالْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ إِنَّمَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَأَمَّا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
 إِلَّا كَلَامٌ تَنَزَّهَ الْبَارِي عَنْ كَثِيرِ إِيمَانَاتِهِ وَإِطْلَافِهِ وَلَقَدْ سَأَلَ الْجَنِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
 قَوْمٍ مِنْهُمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِيضُونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ فَقِيلَ قَوْمٌ يَزْهَوُونَ اللَّهُ  
 بِالْأَدَلَّةِ عَنْ صِفَاتِ الْحُدُوثِ وَسَمَاتِ النَّقْصِ فَقَالَ نَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
 لَكِنْ قَائِدَتُهُ فِي أَحَادِ النَّاسِ وَطَلِبَةُ الْعِلْمِ قَائِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ إِذْ لَا يَحْسُنُ بِعَامِلِ السُّنَّةِ الْجَهْلُ  
 بِالْعَجْجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَقَائِدِهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

## الفصل الحادي عشر

### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْعِلْمَةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
 لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَمَةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّائِبِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً الْحَقِّ  
 وَالْهِدَايَةِ وَأَصْلُهَا الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
 زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَالزُّهْدُ فِيمَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ وَالْإِشْرَافُ  
 عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخَلْوَةِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ لَمَّا فَشَا الْإِقْبَالُ  
 عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَنَحَ النَّاسُ إِلَى مُحَاظَةِ الدُّنْيَا اخْتَصَّ الْمُتَعَبِّلُونَ  
 عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَمَمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمَتَصَوِّفَةِ وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَمَمِ  
 اِشْتِقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ اِشْتِقَاقُهُ مِنَ الْعَصَا  
 أَوْ مِنَ الصِّفَةِ قَبِيحٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ الْغُرُوبِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنَ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
 يُخْتَصُّوا بِلَبْسِهِ قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالِإِشْتِقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمْ فِي الْغَالِبِ  
 مُخْتَصُّونَ بِلَبْسِهِ لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لَبْسِ فَخْرِ الثِّيَابِ إِلَى لَبْسِ الصُّوفِ

فَلَمَّا اخْتَصَّ هَؤُلَاءَ بِمَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالْإِفْرَادِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصَّوْا  
بِمَا خِذَ مُدْرَكَةٌ لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ  
بِإِدْرَاكِهِ وَإِدْرَاكُهُ تَوْعَانِ إِدْرَاكِهِ لِلْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
وَإِدْرَاكِهِ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرَحِ وَالْحُزْنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّذَى وَالغَضَبِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَالرُّوحُ الْعَاقِلُ وَالْمُتَعَرِّفُ فِي الْبَدَنِ تَنَشَأُ مِنْ  
إِدْرَاكِاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَهِيَ الَّتِي يُعَيِّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
كَمَا يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدْلَةِ وَالْفَرَحِ وَالْحُزْنُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْعُلُومِ أَوْ الْمُتَلَذِّذِ بِهِ  
وَالنَّشَاطِ عَنْ الْحَمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْإِعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْعُرِيدُ فِي تَجَاهِدِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
بُدَّ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنْ كُلِّ تَجَاهِدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ التَّجَاهِدَةِ وَتِلْكَ الْحَالُ إِمَّا أَنْ  
تَكُونَ نَوْعَ عِبَادَةٍ فَتَرْسَخَ وَتَصِيرَ مَقَامًا لِلْعُرِيدِ وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
تَكُونَ صِنْفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْعُرِيدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلسَّعَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ بِشَهْدِ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْعُرِيدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَتَقَدُّمُهَا الْإِيمَانُ وَبُصَابِجُهَا وَتَنَشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصِّغَاتُ  
فَتَنَائِجُ وَتَوَرَّاتُ ثُمَّ تَنَشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْقَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
الْقَصِيرُ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَلَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا آتَى مِنْ قِبَلِ الْقَصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
فِي الْخَوَاطِرِ الْفَنَاسِيَةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَلِهَذَا يَحْتَاجُ الْعُرِيدُ إِلَى تَحَاسُبِهِ نَفْسِهِ فِي  
سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّتَائِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ ضَرُورِيٌّ وَتُصَوَّرُهَا  
مِنْ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْعُرِيدُ يُعْبِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يُبَارِكُهُمْ  
فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ هَذَا كَانَتْهَا شَامِلَةً وَغَايَةً أَهْلَ الْعِبَادَاتِ  
إِذَا لَمْ يَنْتَهَوْا إِلَى هَذَا النَّوعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالطَّاعَاتِ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
وَالْأَمْتِنَالِ وَهَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ لِيَطْلَعُوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
الْقَصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلُّهَا تَحَاسِبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالْأَفْعَالِ  
وَالْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنِ التَّجَاهِدَاتِ ثُمَّ تَسْقَرُ لِلْعُرِيدِ

مَقَامًا يَرْتَقِي مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ثُمَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ آدَابٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتٌ فِي  
الْفَنَائِطِ تَدُورُ بَيْنَهُمْ إِذَا الْأَوْضَاعُ اللَّغَوِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَعَانِي الْمُتَعَارِفَةِ فَإِذَا عَرَضَ مِنَ  
الْمَعَانِي مَا هُوَ غَيْرُ مُتَعَارِفٍ أَصْطَلَحْنَا عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِلَفْظٍ يَتَسَرُّ فَيَهْمُهُ مِنْهُ فَلِهَذَا  
أَخْنَصَ هَؤُلَاءِ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ لِوَاحِدٍ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْكَلَامُ  
فِيهِ وَصَارَ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٍ مَخْصُوصٍ بِالْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْفَتَا وَهِيَ الْأَحْكَامُ  
الْعَامَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَصِنْفٍ مَخْصُوصٍ بِالْقَوْمِ فِي الْقِيَامِ بِهِ  
الْمُجَاهِدَةِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَالْكَلَامُ فِي الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ الْعَارِضَةِ فِي طَرِيقِهَا  
وَكَيْفِيَةِ التَّرَقِّي مِنْهَا مِنْ ذَوْقٍ إِلَى ذَوْقٍ وَشَرَحَ الْأَصْطِلَاحَاتِ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَهُمْ فِي  
ذَلِكَ فَلَمَّا كُتِبَ الْعُلُومُ وَدُونَتْ وَأَلَمَتِ الْفُقَهَاءُ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَالْكَلَامُ وَالْتَفْسِيرُ  
وغير ذلك كَتَبَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي طَرِيقِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ فِي  
الْوَرَعِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي الْأَخْذِ وَالتَّرَكِّ كَمَا فَعَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِ  
الزَّيْلَةِ وَالسَّهْرِ وَزِدْنِي فِي كِتَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ وَأَمْثَالُهُمْ وَجَمَعَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فِي كِتَابِ الْأَخْيَاءِ فِدُونٌ فِيهِ أَحْكَامُ الْوَرَعِ وَالْإِقْتِدَاءِ ثُمَّ بَيْنَ آدَابِ  
الْقَوْمِ وَسُنَنِهِمْ وَشَرَحَ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فِي عِبَارَاتِهِمْ وَصَارَ عِلْمُ التَّصَوُّفِ فِي الْعَمَلَةِ عِلْمًا  
مُدَوَّنًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّرِيقَةُ عِبَادَةً فَقَطْ وَكَانَتْ أَحْكَامًا إِنَّمَا تُنْقَلَى مِنْ صُدُورِ  
الرِّجَالِ كَمَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي دُونَتْ بِالْكِتَابِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ  
وَالْأُصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمُجَاهِدَةَ وَالْخُلُوعَ وَالذِّكْرَ يَتَّبِعُهَا غَالِبًا كَشَفُ  
حِجَابِ الْحُسْنِ وَالْإِطْلَاعُ عَلَى عَوَالِمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ لِصَاحِبِ الْحُسْنِ إِذْ ذَاكَ شَيْءٌ مِنْهَا  
وَالرُّوحُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَالِمِ وَسَبَّبَ هَذَا الْكَشْفُ أَنَّ الرُّوحَ إِذَا رَجَعَ عَنِ الْحُسْنِ  
الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ضَعُفَتْ أَحْوَالُ الْحُسْنِ وَقَوِيَتْ أَحْوَالُ الرُّوحِ وَغَلَبَ سُلْطَانُهُ  
وَتَجَدَّدَ نُشُوءُهُ وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ الذِّكْرُ فَإِنَّهُ كَالْغِدَاءِ لِتَنْمِيَةِ الرُّوحِ وَلَا يَزَالُ فِي نُمُوٍ  
وَتَزْيِيدٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَهِيدًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عِلْمًا وَيَكْشِفُ حِجَابَ الْحُسْنِ وَيُبَيِّنُ وَجُودَ  
النَّفْسِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَهُوَ عَيْنُ الْإِذْذَاكِ فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلْمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْفَتْحِ الْإِلَهِيِّ وَتَقَرُّبُ ذَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِهَا مِنَ الْأَفْنِ الْأَعْلَى  
أَفْنَى الْمَلَائِكَةِ وَهَذَا الْكَشْفُ كَثِيرٌ مَا يَعْزِضُ لِأَهْلِ الْمُجَاهِدَةِ فَيُدْرِكُونَ مِنْ حَقَائِقِ

الْوُجُودِ مَا لَا يَدْرِكُ سِوَاهُمْ وَكَذَلِكَ يُدْرِكُونَ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ  
 بِهِمْ بِهَيْمِهِمْ وَقُوَى قُوَاهِمُ فِي الْمَوْجُودَاتِ السَّنْبِيلَةِ وَتَصِيرُ طَوَّعَ إِرَادَتِهِمْ فَأَلْعَمَاءُ مِنْهُمْ  
 لَا يَتَعَيَّرُونَ هَذَا الْكَشْفَ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ وَلَا يُخْبِرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْكَفْلِ  
 فِيهِ بَلْ يَعْلَمُونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ تَخَنُّعًا وَيَتَعَوَّدُونَ مِنْهُ إِذَا هَاجَمَهُمْ وَقَدْ كَانَتْ  
 الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجِبَاهَةِ وَكَانَ حَظُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ  
 أَوْفَرَ الْخُطُوطِ لِكُنْهِمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بِهَا عِتَابَةٌ وَفِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهَا وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ مِنْ أَشْتَمَلَتْ رِسَالَةَ  
 الْقَشِيرَةِ عَلَى ذِكْرِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ طَرِيقَتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 أَنْصَرَفَتْ عَنَابَتُهُمْ إِلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَالْمَدَارِكِ الَّتِي وَرَاءَهُ وَأَخْتَلَفَتْ طُرُقُ  
 الرِّيَاضَةِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ تَعْلِيمِهِمْ فِي إِمَانَةِ الْقُوَى الْحِسِّيَّةِ وَتَغْذِيَةِ الرُّوحِ  
 الْعَاقِلِ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَحْصُلَ النَّفْسُ إِدْرَاكًا لِدَيْهَا مِنْ ذَاتِهَا بِتِمَامِ تَشَوُّبِهَا وَتَغْذِيَتِهَا  
 فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ قَدْ انْخَصَرَ فِي مَدَارِكِهَا حِينَئِذٍ وَأَنَّهُمْ كَشَفُوا  
 ذَوَاتِ الْوُجُودِ وَتَصَوَّرُوا حَقَائِقَهَا كُلَّهَا مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الطُّلَسِ هَكَذَا قَالَ الْغَزَالِيُّ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ صُورَةَ الرِّيَاضَةِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكَشْفَ  
 لَا يَكُونُ صَحِيحًا كَامِلًا عِنْدَهُمْ إِلَّا إِذَا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ لِأَنَّ الْكَشْفَ قَدْ  
 يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْجُوعِ وَالْخَلْوَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اسْتِقَامَةٌ كَالسَّحَرَةِ وَغَيْرِهِمْ  
 مِنَ الْمُتَرَاضِينَ وَلَيْسَ مُرَادُنَا إِلَّا الْكَشْفَ النَّائِيءَ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَمِثْلُهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ  
 الصَّقِيلَةَ إِذَا كَانَتْ مُعْدَبَةً أَوْ مُقَرَّعةً وَحُودِي بِهَا جِهَةَ الْمَرْئِيِّ فَإِنَّهُ يَشْكُلُ فِيهِ مُعْجَا  
 عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ مُسَطَّحَةً تَشْكُلُ فِيهَا الْمَرْئِيُّ صَحِيحًا فَالْإِسْتِقَامَةُ لِلنَّفْسِ  
 كَالْإِسْطِاطِ الْمَرْأَةِ فِيمَا يَنْطَبِعُ فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَمَّا عُنِيَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِهَذَا النَّوعِ  
 مِنَ الْكَشْفِ تَكَلَّمُوا فِي حَقَائِقِ الْمَوْجُودَاتِ الْعَلَوِيَّةِ وَالسَّنْبِيلَةِ وَحَقَائِقِ الْمُلْكِ وَالرُّوحِ  
 وَالْعَرْشِ وَالْكَرْمِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَصُرَتْ مَدَارِكُ مَنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ عَنْ  
 قَهْمِ أَذْوَاقِهِمْ وَمَوَاجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ وَأَهْلُ الْفَتْيَا بَيْنَ مُنْكَرٍ عَلَيْهِمْ وَمُسْلِمٍ لَهُمْ وَلَيْسَ  
 الْبُرْهَانُ وَالذَّلِيلُ يَنَافِعُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ رَدًّا وَقُبُولًا إِذْ هِيَ مِنْ قِبَلِ الْوُجْدَانِيَّاتِ وَرُبَّمَا  
 قَصَدَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ بَيَانَ مَذْهَبِهِمْ فِي كَشْفِ الْوُجُودِ وَتَرْتِيبِ حَقَائِقِهِ فَأَتَى بِالْأَغْمَاضِ

فَالْأَغْمَضُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْأَصْطَلَحَاتِ وَالْعُلُومِ كَمَا فَعَلَ الْفَرَنْغَانِي شَارِحُ  
 قَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارِضِ فِي الدِّيْبَاجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
 صُدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَرْتِيبِهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنْ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
 هِيَ مَظْهَرُ الْأَحَدِيَّةِ وَهَمَّا مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الثَّلَاثِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
 غَيْرُ وَ يُسَمُّونَ هَذَا الصُّدُورَ بِالْإِتْجَالِي وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الثَّلَاثِ عَلَى نَفْسِهِ  
 وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ  
 كُنْتُ كَنْزًا خَفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
 الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَنَزِّلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلُ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْحَضَرَةِ  
 الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْحَمْدِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمَلُ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ وَيَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْحَضَرَةِ الْهَبْيَانِيَّةِ وَهِيَ مَرْتَبَةُ  
 الْمِثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْعَرْشُ ثُمَّ الْكَرْسِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاكُ ثُمَّ عَالَمُ الْعَنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ التَّرَكِيبِ هَذَا  
 فِي عَالَمِ الرُّتَبِ فَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الْفَتْحِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ أَهْلِ التَّجَلِّي  
 وَالْمَظَاهِرِ وَالْحَضَرَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مُقْتَضَاهُ لِعُمُومِهِ  
 وَاتِّخَافِهِ وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَلَامَ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَرَبَّمَا  
 انْتَكِرَ بظَاهِرِ الشَّرْعِ هَذَا التَّرْتِيبَ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
 الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ رَأْيُ أَغْرَبِ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعَقُّلِهِ وَتَفَارِيعِهِ يَزْعُمُونَ فِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
 قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادُّهَا وَالْعَنَاصِرُ إِنَّمَا كَانَتْ  
 بِمَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي نَفْسِهَا قُوَّةٌ بِهَا كَانَ وَجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمَرْكَبَاتِ  
 فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرَكِيبُ كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
 الْعَنَاصِرِ بِهَيُولَاهَا وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
 وَزِيَادَةَ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ وَكَذَا الدُّنَا الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَمِيعَةُ لِلْكَوْنِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ  
 هِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَثَبَّتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيَّةً وَجُزْئِيَّةً وَجَمَعَتْهَا وَأَحَاطَتْ  
 بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخِفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جِهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الثَّلَاثِ الْأِلَهِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
 وَالْإِغْتِبَارُ هُوَ الْمُفْصَلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَكَأَنَّهُ  
 يَكُونُهَا فَتَارَةً يُعْتَلَوْنَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ التَّنَوُّعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَتَارَةً بِالْكُلِّ  
 مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرَوْنَ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
 مِنَ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أُوجِبَهَا عَنْدهُمْ الْوَهْمُ وَالْخِلَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّ ابْنَ دَهْقَانَ  
 فِي تَقْرِيرِهِ هَذَا الْمَذْمُومُ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَيْبَةٌ يَمَا تَقُولُهُ الْحُكَمَاةُ فِي  
 الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مُشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عُدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
 بِوَجْهِهِ وَكَذَا عَنْدهُمْ الْمَوْجُودَاتُ الْحَسُوسَةُ كُلُّهَا مُشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ  
 فَإِذَا الْوُجُودُ الْمُفْصَلُ كُلُّهُ مُشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ قَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ  
 الْبَشَرِيِّ جُمْلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
 وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لَوْجُودِ الْخَوَاسِ  
 الْمُدْرِكَةِ لَهَا لِمَا جُعِلَ فِي الْمُدْرِكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْمُدْرِكِ فَقَطْ فَإِذَا اقْتَدَتْ الْمُدَارِكُ الْمُفْصَلَةُ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
 أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيُعْتَبَرُونَ ذَلِكَ بِحَالِ النَّائِمِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَقَدَّ الْحِسُّ الظَّاهِرُ فَقَدْ كَلَّ  
 مُحْسُوسٌ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا يُفْصَلُ لَهُ الْخِلَالُ قَالُوا فَكَيْدَا الْيَقْظَانِ إِنَّمَا يُعْتَبَرُ تِلْكَ  
 الْمُدْرَكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مُدْرِكِهِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قَدَّرَ قَدْرٌ مُدْرِكُهُ فَقَدْ تَفْصِيلُ  
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمَوْهُومُ لَا الْوَهْمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ هَذَا  
 مُلْخَصٌ رَأَيْتُهم عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ لِأَنَّا نَقْطَعُ بِوُجُودِ  
 أَلْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ بَقِينَا مَعَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبُجُودِ السَّمَاءِ الْمُظَلَّةِ  
 وَالْكَوَاكِبِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْغَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانِ قَاطِعٍ بِذَلِكَ وَلَا يُكَايِرُ أَحَدٌ  
 نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
 الْكَشْفِ رَبَّمَا يَعْزُضُ لَهُ تَوَهُُّمٌ هَذِهِ الْوَحْدَةُ وَيُسَمَّى ذَلِكَ عَنْدهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
 يَتَرَدَّى عَنْهُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيُعْتَبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
 الْعَارِفِ الْحَقِيقِ وَلَا بَدَلَ لِلْمُرِيدِ عَنْدهُمْ مِنْ عَقَبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقَبَةُ صَعْبَةٍ لِأَنَّهُ يُخْشَوُ  
 عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وَقُوفِهِ عِنْدَهَا فَتُخْشَرُ صَفَقَتُهُ فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ



إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكُشْفِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحِجَابِ  
تَوَعَّلُوا فِي ذَلِكَ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْخُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَمَلَأُوا  
أَصْحَفَ مِنْهُ مِثْلُ الْهَرَوِيِّ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ وَغَيْرُهُ وَتَبِعَهُمُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ  
سَبْعِينَ وَتَلَمِيذُهُمَا ابْنُ الْغَفِيِّ وَابْنُ الْفَارِضِ وَالتَّجَمُّ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قَصَائِدِهِمْ وَكَانَ  
سَلَفُهُمْ مَخَاطِبِينَ لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْخُلُولِ وَالْهَيْبَةِ  
الْأَلِيَّةِ مَذْهَبًا لَمْ يَعْرِفْ لِأَوَّلِهِمْ فَأَشْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ وَاخْتَلَطَ  
كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَمَعْنَاهُ رَأْسُ  
الْعَارِفِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقْبَضَهُ  
اللَّهُ ثُمَّ يُورِثُ مَقَامَهُ لِآخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ  
الْأَشَارَاتِ فِي فُصُولِ النَّصُوفِ مِنْهَا فَقَالَ جُلُّ جَنَابِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شَرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ  
أَوْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ وَهَذَا كَلَامٌ لَا يَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ  
شَرْعِي وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَهُوَ يَعْنِيهِ مَا نَقُولُهُ الرَّافِضَةُ وَدَانُوا بِهِ ثُمَّ قَالُوا  
بِتَرْذِيبِ وَجُودِ الْأَنْدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ كَمَا قَالَهُ الشَّيْعَةُ فِي النُّقَبَاءِ حَتَّى إِذَا نَهَضُوا  
أَسْنَدُوا لِيَأْسَ خُرْفَةِ النَّصُوفِ لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا لَطَرِيقَتِهِمْ وَتَخْلِيهِمْ رَعْوُهُ إِلَى عَلِيِّ رَضِيِّ  
اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَإِلَّا فَعَلِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُخْصَ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ  
بِخَلِيَّةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَزْهَدَ  
النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةً وَلَمْ يُخْصَ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤْتَرُ عَنْهُ فِي الْخُصُوصِ بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةً فِي الدِّينِ وَالزُّهْدِ  
وَالْجَاهِدَةِ بِشَهَادَةِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَمَا شَحَنُوا  
كُتُبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ يَنْبَغِي أَوْ إِثْبَاتٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
مَأْخُذٌ مِنْ كَلَامِ الشَّيْعَةِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ فِي كُتُبِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ثُمَّ إِنَّ  
كَثِيرًا مِنَ النُّقَبَاءِ وَأَهْلِ الْفَتَا أَنْتَدَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ  
وَأَمْثَالِهَا وَسَمِعُوا بِالْكَبِيرِ سَائِرًا مَا وَقَعَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعَهُمْ  
فِيهِ تَقْصِيلٌ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الْكَلَامُ عَلَى الْجَاهِدَاتِ وَمَا  
يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِيَحْصَلَ تِلْكَ الْأَذْوَاقِ الَّتِي

تَصِيرُ مَقَامًا وَيُزَيَّنُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا، وَتَأْنِيهِ الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
 الْمَذْكُورَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْمِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ  
 وَالْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيبِ الْأَكْوَانِ فِي  
 صُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكُونِهَا كَمَا مَرَّ وَتَأْنِيهِ التَّصَرُّفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
 الْكِرَامَاتِ وَرَابِعُهَا الْفَاطُ مَوْهَمَةُ الظَّاهِرِ صَدَرَتْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ أَيْمَةِ الْقَوْمِ يَعْبُرُونَ  
 عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشَّطْحَاتِ تُسْتَشْكَلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُخْسِنٌ وَمَتَأَوَّلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
 فِي الْعَجَائِذِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ فِي تَنَاجِيهَا وَخَاسِبَةِ النَّفْسِ  
 عَلَى التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَاقُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحْقُّقُ بِهَا هُوَ  
 عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كِرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْمُعْجِبَاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
 الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى إِنْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ  
 الْحَقِّ وَمَا أَخْرَجَ بِهِ الْأَسْنَادُ أَبُو اسْتِخْقَ الْأَسْفَرَاثِي مِنْ أَيْمَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى إِنْكَارِهَا  
 لِإِتْيَاسِهَا بِالْمُعْجِزَةِ فَقَدْ فَرَّقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالْتَّجِدِي وَهُوَ دَعْوَى  
 وَفُوعِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنَّ وَفُوعَهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
 مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ فَإِنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا التَّصْدِيقَ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ  
 الْكَاذِبِ لَتَبَدَّلَتْ صِفَتُهَا نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِوُفُوعِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ هَذِهِ الْكِرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابَرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ وَأَكْبَارِ السَّلَفِ كَثِيرٌ  
 مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكُشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُوبَاتِ  
 وَتَرْتِيبِ صُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ لِمَا أَنَّهُ وَجَدَانِيٌّ  
 عِنْدَهُمْ وَقَائِدُ الْوَجْدَانِ عِنْدَهُمْ يَمْغُزِلُ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تُغْفِي لَهُ دَلَالََةُ عَلَى  
 مُرَادِهِمْ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَمْ تَوْضَعْ لِلْمُتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْخُصُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْرَضَ  
 لِكَلَامِهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَتَرَكُ فِيمَا تَرَكَاهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمَّ شَيْءٌ مِنْ  
 هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُوَافِقِ لظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ  
 الْمَوْهَمَةُ الَّتِي يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالشَّطْحَاتِ وَيُؤْخِذُهُمْ بِهَا أَهْلُ الشَّرْعِ فَاعْلَمْ أَنَّ  
 الْإِنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ وَالْوَإِرِدَاتِ تَمْلِكُهُمْ حَتَّى  
 يَنْطَلِقُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْعَجُورُ مَعْدُورٌ فَتَنْ

عَلِمَ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَأَقْنَدَاوَهُ حُمِلَ عَلَى الْقَصْدِ الْجَمِيلِ مِنْ مَلَأَ وَأَنَّ الْبَارَةَ عَنْ  
 الْمَوَاجِدِ صَعْبَةً لِفَقْدَانِ الْوُضْعِ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَبِي يُزَيْدٍ وَأَمَثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَضْلُهُ  
 وَلَا أَشْتَهَرَ فَمَوَازِدُهُ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مَا يَحْتَمِلُنَا عَلَى  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِعَمَلِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حِسِّهِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ الْحَالُ فَمَوَازِدُهُ  
 أَيْضًا وَلِهَذَا أَقْنَى الْفَقْهَاءُ وَأَكْبَرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَتْلِ الْخَلَاجِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حَضْرِهِ وَهُوَ مَالِكٌ  
 لِلْحَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّسَالَةِ أَعْلَامُ الْعَمَلَةِ الَّذِينَ أَشْرَنَّا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَرِصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمْهُمْ 'الْإِتْبَاعُ' وَالْإِقْنَادُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَظْ بِهِ بَلْ يَفِرُّونَ مِنْهُ وَيَرْوْنَ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالنَّعْنِ وَأَنَّهُ إِدْرَاكِ مِنْ إِدْرَاكِ كَاتِ  
 النَّفْسِ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا تَنْحَصِرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعِلْمُ اللَّهِ أَوْسَعُ  
 وَخَلْقُهُ أَكْبَرُ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهِدَايَةِ أَمْلَكُ فَلَا يَنْطَقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يَذَرُكَونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخَلُوضَ فِي ذَلِكَ وَمَنَعُوا مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخَلُوضِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَلْتَزِمُونَ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْنَادِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْتِزَامِهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْمُرِيدِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الرؤيا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ حَادِثٌ فِي الْعَمَلَةِ عِنْدَمَا صَارَتْ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّؤْيَا وَالْتَعْبِيرُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّالِفِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخَلْقِ وَزَيْدًا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ قَبْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلِ الْبِنَاءُ لِلْإِكْتِفَاءِ فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا فَالرُّؤْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صِنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْبِيرِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبَتَ عَنِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّؤْيَا مُدْرَكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا  
 الصَّالِحَةُ لُجُزٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَقَالَ لَمْ يَنْتَهِ مِنَ الْمُبْتَدِرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا

الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْتَلَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْآيَةَ  
 رُؤْيَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ يُسْتَبْشِرُ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الَّذِينَ وَإِعْزَازُهُ وَأَمَّا  
 السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُدْرِكًا لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ وَهُوَ الْبَخَارُ اللَّطِيفُ الْمُنْبَعِثُ  
 مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ اللَّحْمِيِّ يَنْتَشِرُ فِي الشَّرَيَّاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ وَبِهِ  
 تَكْمُلُ أَفْعَالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِحْسَاسُهَا فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَلَالُ يَكْثُرُ التَّصَرُّفُ فِي  
 الْأَحْسَاسِ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَتَصْرِيفُ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَغَشْيِ سَطْحِ الْبَدَنِ مَا يَغْشَاهُ  
 مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ أُنْحَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَفْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ فَيَسْتَحِمُّ بِذَلِكَ  
 لِمَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ فَنَعْمَلَتْ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النَّوْمِ كَمَا نَقَدَّمْ فِي  
 أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَاقِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالرُّوحُ  
 الْعَاقِلُ مُدْرِكٌ لِلْجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِدَانِهِ إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ وَإِنَّمَا  
 يَمْنَعُ مِنْ تَعَلُّقِهِ بِالْمُدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْأَشْتَغَالِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِهِ  
 فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَعْقِلُ  
 كُلَّ مُدْرِكٍ فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَتْ شَوَاعِلُهُ فَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ لَعَنَةٍ مِنْ عَالَمِهِ  
 يَقْدَرُ مَا تَجَرَّدَ لَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ خَفَتْ شَوَاعِلُ الْحِسِّ الظَّاهِرِ كُلُّهَا وَهِيَ الشَّائِلُ  
 الْأَعْظَمُ فَاسْتَعَدَّ لِقَبُولِ مَا هُنَاكَ مِنَ الْمُدَارِكِ اللَّائِقَةِ مِنْ عَالَمِهِ وَإِذَا أَدْرَكَ مَا يَدْرِكُ  
 مِنْ عَوَالِمِهِ رَجَعَ إِلَى بَدَنِهِ إِذْ هُوَ مَا دَامَ فِي بَدَنِهِ جِسْمَانِي لَا يُمَكِّنُهُ التَّصَرُّفُ إِلَّا  
 بِالْمُدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْمُدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِلْعِلْمِ إِنَّمَا هِيَ الدَّمَاعِيَّةُ وَالْمُنْصَرَفُ مِنْهَا  
 هُوَ الْخَيَالُ فَإِنَّهُ يَنْتَزِعُ مِنَ الصُّورِ الْحَسُوسَةِ صُورًا خَيَالِيَّةً ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الْحَافِظَةِ  
 تَحْفَظُهَا لَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ النَّفْسُ مِنْهَا  
 صُورًا أُخْرَى نَفْسَانِيَّةً عَقْلِيَّةً فَيَتَرَفَّى التَّجَرُّدُ مِنَ الْحَسُوسِ إِلَى الْمُعْقُولِ وَالْخَيَالِ  
 وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَتِ النَّفْسُ مِنْ عَالَمِهَا مَا تُدْرِكُهُ أَلْفَتُهُ إِلَى الْخَيَالِ  
 فَيُصَوِّرُهُ بِالصُّورَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ فَيَرَاهُ النَّاسُ كَأَنَّهُ مُحَسَّسٌ  
 فَيَنْتَزِلُ الْمُدْرِكُ مِنَ الرُّوحِ الْقَلْبِيِّ إِلَى الْحَسِّيِّ وَالْخَيَالِ أَيْضًا وَاسِطَةً هُنَا حَقِيقَةُ

الرُّؤْيَا وَمِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ يَظْهَرُ لَكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ وَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ  
الْكَاذِبَةِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا صُورٌ فِي الْخَيَالِ حَالَةٌ النَّوْمِ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورُ  
مُتَّزِلَةً مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ الْمُدْرِكِ فَهِيَ رُؤْيَا وَإِنْ كَانَتْ مَأْخُودَةً مِنَ الصُّورِ الَّتِي  
فِي الْحَافِظَةِ الَّتِي كَانَ الْخَيَالُ أَوْدَعَهَا إِيَّاهَا مُنْذُ الْيَقَظَةِ فَعِيَّ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَأَمَّا مَعْنَى  
التَّعْبِيرِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّ إِذَا أَدْرَكَ مُدْرَكَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى الْخَيَالِ فَصَوَّرَهُ فَإِنَّمَا  
يُصَوِّرُهُ فِي الصُّورِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى بَعْضُ الشَّيْءِ كَمَا يُدْرِكُ مَعْنَى السُّلْطَانِ  
الْأَعْظَمِ فَصَوَّرَهُ الْخَيَالُ بِصُورَةِ النَّجَرِ أَوْ يُدْرِكُ الْعِدَاةَ فَيُصَوِّرُهَا الْخَيَالُ فِي صُورَةِ  
الْحَيَّةِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَهُوَ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَأَى النَّجَرَ أَوْ الْحَيَّةَ فَيَنْظُرُ الْمُعْبَرُ  
بِقُوَّةِ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنَّ النَّجَرَ صُورَةُ عُخْسُوسَةٍ وَأَنَّ الْمُدْرَكَ رَأَاهَا وَهُوَ  
يَهْتَدِي بِقَرَائِنٍ أُخْرَى تَعَيَّنَ لَهُ الْمُدْرَكَ فَيَقُولُ مَثَلًا هُوَ السُّلْطَانُ لِأَنَّ النَّجَرَ خَلَقَ عَظِيمٌ  
يُنَاسِبُ أَنْ يُشَبَّهَ بِهَا السُّلْطَانُ وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ يُنَاسِبُ أَنْ تُشَبَّهَ بِالْعَدُوِّ لِعَظَمِ ضَرَرِهَا  
وَكَذَا الْأَوَانِي تُشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّهُنَّ أَوْعِيَّةٌ وَأَمثالُ ذَلِكَ وَمِنْ الْعَرَبِيِّ مَا يَكُونُ صَرِيحًا  
لَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَعْبِيرٍ لِحُلَايَاهَا وَوُضُوحِهَا أَوْ لِقُرْبِ الشَّبهِ فِيهَا بَيْنَ الْمُدْرَكَ وَشَبِّهِ وَلِهَذَا  
وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ الرُّؤْيَا ثَلَاثَ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ  
فَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ اللَّهِ هِيَ الصَّرِيحَةُ الَّتِي لَا تَفْتَقِرُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَالَّتِي مِنَ الْمَلِكِ هِيَ الرُّؤْيَا  
الضَّادَةُ تَفْتَقِرُ إِلَى التَّعْبِيرِ وَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ هِيَ الْأَضْغَاثُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَيَالِ  
إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ الرُّوحُ مُدْرَكَهُ فَإِنَّمَا يُصَوِّرُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ لِلْعَيْنِ وَمَا لَمْ يَكُنْ  
الْحِسُّ أَدْرَكَهُ قَطُّ فَلَا يُصَوِّرُ فِيهِ فَلَا يُمْكِنُ مِنْ وَلَدِ أَعْمَى أَنْ يُصَوِّرَ لَهُ السُّلْطَانُ  
بِالنَّجَرِ وَلَا الْعَدُوَّ بِالْحَيَّةِ وَلَا النِّسَاءَ بِالْأَوَانِي لِأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ وَإِنَّمَا يُصَوِّرُ  
لَهُ الْخَيَالُ أَمثالَ هَذِهِ فِي شَبِّهَا وَمُنَاسِبَتِهَا مِنْ جِنْسِ مَدَارِكِهِ الَّتِي هِيَ الْمَسْمُوعَاتُ  
وَالْمَسْمُومَاتُ وَلِيَحْفَظَ الْمُعْبَرُ مِنْ مِثْلِ هَذَا قَرِيبًا اخْتَلَطَ بِهِ التَّعْبِيرُ وَفَسَدَ قَانُونُهُ ثُمَّ إِنْ  
عَلِمَ التَّعْبِيرَ دَلِمَ يَقْوَانِينَ كَلِمَةً يَبْنِي عَلَيْهَا الْمُعْبَرُ عِبَارَةً مَا يَقْصُ عَلَيْهِ وَتَأْوِيلَهُ كَمَا  
يَقُولُونَ النَّجَرُ يَدُلُّ عَلَى السُّلْطَانِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ النَّجَرُ يَدُلُّ عَلَى الْغَيْظِ وَفِي  
مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ النَّجَرُ يَدُلُّ عَلَى الْهَمِّ وَالْأَمْرِ الْفَاحِشِ وَمِثْلُ مَا يَقُولُونَ الْحَيَّةُ تَدُلُّ  
عَلَى الْعَدُوِّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ هِيَ كَاتِمٌ سِرٍّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ تَدُلُّ عَلَى

الْحَيَاةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمَعْبَرُ هَذِهِ الْقَوَائِنَ الْكُلِّيَّةَ وَيُعَبِّرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
تَقْتَضِيهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تُعَيِّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِنِ مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
الْيَقِظَةِ وَمِنْهَا فِي النَّوْمِ وَمِنْهَا مَا يَنْقَدِحُ فِي نَفْسِ الْمَعْبَرِ بِالْخَاصَّةِ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّالِفِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
مِنْ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَائِنِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَلْفَتْ  
الْكُرْمَانِي فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ أَلْفَ الْمُبَكِّكِيُّونَ الْمُتَأَخِّرُونَ وَكَثُرُوا وَالْمُتَدَاوِلُ  
بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِي مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ مِثْلَ  
الْمُتَمَعِّعِ وَغَيْرِهِ وَكَتَابُ الْأَشَارَةِ لِلْسَّالِحِيِّ وَهُوَ عِلْمٌ مُفِيدٌ فِي دُورِ النُّبُوَّةِ لِلنَّاسِبَةِ الَّتِي  
يَنْتَهِيانِ كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلنَّاسِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ فَعَيَّ غَيْرُ  
مُخْتَصَّةٌ بِعِلَّةٍ بَلْ يَوْجِهُ النَّظْرَ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْمَلَلِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْذُ كَانَ عُمْرُ الْخَلْقَةِ وَتَسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومَ  
الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ عِلْمٌ يَعْصِمُ  
الذِّهْنَ عَنِ الْخَطَا فِي أَقْتِنَاصِ الْمَطَالِبِ الْجَبُولَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ وَفَائِدَتُهُ  
تَعْيِيزُ الْخَطَا مِنَ الصُّوَابِ فِيهَا بِاتِّسَاعِ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَوَارِضِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِي الْكَائِنَاتِ بِدُنْعَى فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْعَحْسُوسَاتِ  
مِنَ الْأَجْسَامِ الْعَنْصَرِيَّةِ وَالْمَكُونَةِ عَنْهَا مِنَ الْعَمْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْأَجْسَامِ  
الْفَلَاسِكِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَنْبَعُ عَنْهَا الْحَرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا الْقَرْنُ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
الطَّبِيعَةِ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتَسَمَّى الْعَالِمِ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْمُنْدَسَّةِ وَهُوَ  
النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْأَطْلَاقِ إِمَّا الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمُتَّصِلَةِ  
وَهِيَ إِمَّا ذُو بَعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أَبْعَادٍ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ

الْجِسْمُ التَّعْلِيمِيُّ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْمَقَادِيرِ وَمَا يَعْزِضُ لَهَا أَمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا أَوْ مِنْ  
حَيْثُ نِسْبَةُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَأْتِيهَا عِلْمٌ الْآزِمَ تَمَاطِيقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا يَعْزِضُ لِلْجِسْمِ  
الْمُنْفَصِلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَدُ وَيُؤْخَذُ لَهُ مِنَ الْخَوَاصِ وَالْعَوَاضِ الْأَاقِصَةِ وَتَأْتِيهَا عِلْمُ  
الْمُوسِيقَى وَهُوَ مَعْرِفَةُ نِسْبِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَقْدِيرُهَا بِالْعَدَدِ وَتَمَرُّهُ  
مَعْرِفَةُ تَلَاحِيَنِ الْغِنَاءِ وَرَابِعًا عِلْمُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشْكَالِ لِلْأَفْلَاقِ وَحَصْرُ أَوْضَاعِهَا  
وَتَعْدُّهَا لِكُلِّ كَوْكَبٍ مِنَ السَّيَّارَةِ وَالْقِيَامُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَاتِ السَّائِوَةِ  
الْمُشَاهَدَةِ الْمَوْجُودَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَمِنْ رُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَإِدْبَارِهَا فَهَذِهِ  
أُصُولُ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَهِيَ سَبْعَةُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ الْمَقْدَمُ مِنْهَا وَبَعْدَهُ الْعَالِمُ فَالْآزِمَ تَمَاطِيقِي  
أَوَّلًا ثُمَّ الْهِنْدَسَةُ ثُمَّ الْهَيْئَةُ ثُمَّ الْمُوسِيقَى ثُمَّ الطَّبِيعِيَّاتُ ثُمَّ الْإِلَهِيَّاتُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
فُرُوعٌ تَنْفَرِّعُ عَنْهُ فَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ الطَّبِ وَفِي فُرُوعِ عِلْمِ الْعَدَدِ عِلْمُ الْحِسَابِ  
وَالْفَرَائِضِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمِنْ فُرُوعِ الْهَيْئَةِ الْأَزْيَاجُ وَهِيَ قَوَانِينُ لِحِسَابِ حَرَكَاتِ  
النُّجُومِ وَتَعْدِيلُهَا لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاضِعِهَا مَتَى قَصِدَ ذَلِكَ وَمِنْ فُرُوعِهَا النَّظَرُ فِي النُّجُومِ  
عَلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَتَحْنُ نَمَكَلُمُ عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهَا وَاعْلَمْ  
أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَا فِي الْأَجْيَالِ الَّذِينَ عَرَفْنَا أَخْبَارَهُمُ الْأَمْتَانِ الْعَظِيمَتَانِ فِي  
الدَّوْلَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُمَا فَارِسُ وَالرُّومُ فَكَانَتْ أَسْوَاقُ الْعُلُومِ نَافِقَةً لَدَيْهِمْ عَلَى  
مَا بَلَّغْنَا لِمَا كَانَ الْأَمْرَانِ مَوْفُورًا فِيهِمْ وَالْأَمْرَانِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَصَرَهُ لَهُمْ  
فَكَانَ لَهُدِي الْعُلُومُ بِجُودِ زَاخِرَةٍ فِي أَفَاقِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ وَكَانَ لِلْكِلْدَانِيَيْنِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ  
مِنَ السَّرِيبَانِيَيْنِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْقَبْطِ عَنَابَةٌ بِالسَّحْرِ وَالنَّجْمَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الطَّلَاسِمِ  
وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُمْ الْأَمُّ مِنَ فَارِسَ وَيُونَانَ فَاخْتَصَّ بِهَا الْقَبْطُ وَطَمَى بِحَرْفِهَا فِيهِمْ  
كَمَا وَقَعَ فِي أَلْتَلُوْ مِنْ خَبَرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَشَأْنِ السَّحَرَةِ وَمَا تَقَلَّهَ أَهْلُ الْعِلْمِ  
مِنْ شَأْنِ الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ ثُمَّ تَنَابَعَتِ الْمَلَلُ بِحَظَرِ ذَلِكَ وَتَحَرَّجَ قَدْرَسَتْ  
عُلُومُهُ وَبَطَلَتْ كَانَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَقَايَا بِنَتَاقِلُهَا مُنْتَجِلُو هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِصِحَّتِهَا مَعَ أَنَّ سَيُوفَ التَّنَزُّعِ قَائِمَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا مَانِعَةٌ مِنْ اخْتِيَارِهَا وَأَمَّا الْفَرَسُ  
فَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ عِنْدَهُمْ عَظِيمًا وَنِطَاقُهَا مَسْمُوعًا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُهُمْ  
مِنَ الْأَصْحَامَةِ وَاتِّصَالِ الْمَلِكِ وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى يُونَانَ مِنْهُمْ

حِينَ قَتَلَ الإسكندرُ دَارًا وَعَلَبَ عَلَى مَمْلَكَةِ الْكِينِيَّةِ فَاسْتَوَلَى عَلَى كُتُبِهِمْ وَعُلُومِهِمْ  
 مِمَّا لَا يَأْخُذُهُ الْحَضَرُ وَلَمَّا فَتَحَتْ أَرْضُ فَارِسَ وَوَجَدُوا فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً كَتَبَ سَعْدُ  
 ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِيَسْتَأْذِنَهُ فِي شَأْنِهَا وَتَقْلِيلِهَا لِلْمُسْلِمِينَ فَكَتَبَ  
 إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ أَطْرَحُوها فِي الْمَاءِ فَإِنْ يَكُنْ مَا فِيهَا هُدًى فَقَدْ هَدَانَا اللَّهُ بِأُهْدَى مِنْهُ وَإِنْ  
 يَكُنْ ضَلَالًا فَقَدْ كَفَّأَنَا اللَّهُ فَطَرَحُوها فِي الْمَاءِ أَوْ فِي النَّارِ وَذَهَبَتْ عُلُومُ الْفَرَسِ فِيهَا  
 عَنْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْنَا. وَأَمَّا الرُّومُ فَكَانَتْ الدَّوْلَةُ مِنْهُمْ إِيُونَانٌ أَوَّلًا وَكَانَ لِهَذِهِ الْعُلُومِ  
 بَيْنَهُمْ مَجَالٌ رَحْبٌ وَحَدِّهَا مَشَاهِيرُ مِنْ رِجَالِهِمْ مِثْلُ أَسَاطِينِ الْحِكْمَةِ وَغَيْرِهِمْ  
 وَأَخْصَصَ فِيهَا الْمَشَاهِيرُ مِنْهُمْ أَصْحَابَ الرُّوَاقِ بِطَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ فِي التَّلَامِيمِ كَانُوا يَقْرَأُونَ  
 فِي رَوَاقٍ يَظْلِمُهُمْ مِنَ الشَّمْسِ وَالْبَرْدِ عَلَى مَا زَعَمُوا وَأَقْصَلَ فِيهَا سَعْدُ تَعْلِيمَهُمْ عَلَى مَا  
 يَزْعُمُونَ مِنْ لَدُنْ لِقَاءِ الْحَكِيمِ فِي تَلْمِيذِهِ بَقَرَاطُ الدِّنْ ثُمَّ إِلَى تَلْمِيذِهِ أَفْلَاطُونُ ثُمَّ  
 إِلَى تَلْمِيذِهِ أَرِسْطُو ثُمَّ إِلَى تَلْمِيذِهِ الإسكندرُ الْإِفْرُودِمِي وَتَامَسْطِيونَ وَغَيْرِهِمْ  
 وَكَانَ أَرِسْطُو مُعَلِّمًا لِلْإِسكندرِ مَلِكِهِمْ الَّذِي غَابَ الْفَرَسَ عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَنْتَزَعَ  
 الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَكَانَ أَرِسْطُو فِي هَذِهِ الْعُلُومِ قَدَمًا وَأَبَدَهُمْ فِيهِ صَبَاتًا وَكَانَ يُسَمَّى  
 الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ فَطَارَ لَهُ فِي الْعَالَمِ ذِكْرٌ. وَلَمَّا انْقَرَضَ أَمْرُ الْيُونَانِ وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْقِيَاصِيَّةِ  
 وَأَخَذُوا بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ هَجَرُوا تِلْكَ الْعُلُومَ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْمِلَّةُ وَالشَّرَائِعُ فِيهَا وَبَقِيَتْ  
 فِي صُفْهَا وَدَوَائِبِهَا مُخَلَّدَةً بَاقِيَةً فِي خَزَائِنِهِمْ قَدْ مَلَكُوا الشَّامَ وَكُتِبَ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 بَاقِيَةً فِيهِمْ ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَكَانَ لِأَهْلِ الظُّهُورِ الَّذِي لَا كِفَاءَ لَهُ وَأَبْتَزُوا الرُّومَ  
 مَلِكَهُمْ فَمَا أَبْتَزَوْهُ لِلْأَنَمِ وَأَبْتَدَأَ أَمْرُهُمْ بِالسَّجْدَةِ وَالْفَقْلَةِ عَنِ الصَّنَائِعِ حَتَّى إِذَا  
 تَبَحَّجَ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَّوْلَةِ وَأَخَذَ الْحَضَارَةَ بِالْحِطِّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لغيرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ  
 وَتَقَنَّنُوا فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ تَشَوَّفُوا إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ بِمَا  
 سَمِعُوا مِنَ الْأَسَافَةِ وَالْأَفْسِيَةِ الْمُعَاهِدِينَ بَعْضُ ذِكْرِ مِنْهَا وَبِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ أَفْكَارُ الْإِنْسَانِ  
 فِيهَا فَبَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُتَنَوِّرُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ يَكْتُبُ الْعَالِمَ مُتَرَجِّمًا  
 فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِكِتَابِ أَوْفِيدِسَ وَبَعْضِ كُتُبِ الطَّبِيعِيَّاتِ فَقَرَأَهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَطْلَعُوا عَلَى  
 مَا فِيهَا وَازْدَادُوا حِرْصًا عَلَى الظَّفَرِ بِمَا بَقِيَ مِنْهَا وَجَاءَ الْعُلَمَاءُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَانَتْ لَهُ فِي  
 الْعِلْمِ رَغْبَةٌ بِمَا كَانَ يَنْتَهِلُهُ فَابْتَعَتْ لِهَذِهِ الْعُلُومِ حِرْصًا وَأَوْفَدَ الرُّسُلَ عَلَى مُلُوكِ الرُّومِ



فِي اسْتِخْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَانْتِسَاجِهَا بِالْحِطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَثِّ الْمُرَجِّمِينَ لِلذَّكَاءِ وَاعَى  
 مِنْهُ وَاسْتَوْعَبَ وَعَكَّفَ عَلَيْهَا النَّظَارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَدِّقُوا فِي فُنُونِهَا وَانْتَهَتْ إِلَى  
 الْغَايَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالَفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَأَخْصَوْهُ بِالرَّدِّ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهُرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَاوِينَ وَأَرْبَاوَا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ فِي الْعِلْمَةِ أَبُو نَصْرِ الْقَارَاطِي وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَالْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِغِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخِرِينَ بَلَّغُوا الْغَايَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَخْصَصُوا هَؤُلَاءِ بِالشُّهُرَةِ وَالذِّكْرِ وَاقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى اتِّحَالِ الْعَمَالِمِ  
 وَمَا يَنْصَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النِّجَامَةِ وَالسَّحَرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَوَقِفَتِ الشُّهُرَةُ فِي هَذَا الِجْمُتَحَلِ  
 عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَجَرِيطِيِّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيزِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْعِلْمَةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا دَاخِلَةً وَأَسْمَهُوتِ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَلَّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ أَرْتَكَبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَمَّا  
 رَكَكْتَ رِيحُ الْعُمَرَانِ بِهِمَا وَتَنَاقَصَتِ الْعُلُومُ بِنَتَاقُصِهِ أَصْحَحَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُسُومِهِ يُجَدِّهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ وَتَحَتَّ رَقَبَةً مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَضَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مَوْفُورَةً وَخُصُوصًا فِي عِرَاقِ الْجَعْمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنَّهُمْ عَلَى بَيْعِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لِتَوْفُرِ عُمرَانِهِمْ وَاسْتِخْصَامِ  
 الْحَضَارَةِ فِيهِمْ وَلَقَدْ وَقِفَتِ بِمِصْرَ عَلَى تَالِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عَظَمَاءِ هَرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خُرَّاسَانَ يُشَهَّرُ بِسَعْدِ الدِّينِ النَّفَّارِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفَقْهِ وَالْيَبَانِ  
 تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَهُ مَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَثْنَائِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَّمَاعَالِيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِلَادِ الْأَفْرِجَنْجَةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ نَافَقَةُ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَّجِدَةٌ وَمَجَالِسَ  
 تَعْلِيمِهَا مُتَّجِدَةٌ وَدَوَاوِينُهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ وَطَلَبَتُهَا مُتَكَثِّرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

## الفصل الرابع عشر

في العلوم العددية

وَأَوَّلُهَا الْأَرْثَمَاطِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّالِيفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي أَوْ بِالِتَّضْعِيفِ مِثْلُ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَفَاضِلَةً بِعَدَدٍ وَاحِدٍ فَإِنَّ جَمْعَ الطَّرَفَيْنِ مِنْهَا مَسَاوٍ لِمَجْمَعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمِثْلُ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ عِدَّةُ تِلْكَ الْأَعْدَادِ فَرْدًا مِثْلُ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلُ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ أَوَّلُهَا نِصْفُ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفُ ثَالِثِهَا الخ أَوْ يَكُونُ أَوَّلُهَا ثُلْثُ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثُلْثُ ثَالِثِهَا الخ فَإِنَّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْآخِرِ كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدُهُمَا فِي الْآخِرِ وَمِثْلُ مُرَبِّعِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا، وَذَلِكَ مِثْلُ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ اثْنَيْنِ فَارْبَعَةٍ فَثَمَانِيَةٍ فَسِتَّةَ عَشَرَ وَمِثْلُ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِّ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمُثَلَّثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْمُرَبَّعَاتِ وَالْخَمْسَاتِ وَالْمُسَدَّسَاتِ إِذَا وُضِعَتْ مُتَتَالِيَةً فِي سَطُورِهَا بِأَنْ يُجْمَعَ مِنْ أَلْوَحِدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مُثَلَّثَةً وَتَتَوَالَى الْمُثَلَّثَاتُ هَكَذَا فِي سَطَرٍ تَحْتَ الْأَضْلَاعِ ثُمَّ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ مُثَلَّثٍ ثَلَاثَ الْأَضْلَاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مُرَبَّعَةً وَتَزِيدُ عَلَى كُلِّ مُرَبَّعٍ ثَلَاثَ الْأَضْلَاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ خَمْسَةً وَهَلَمْ جَرًّا وَتَتَوَالَى الْأَشْكَالُ عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاعِ وَيَحْدُثُ جَدُولُ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فَبَيْنَ عَرْضِ الْأَعْدَادِ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُثَلَّثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمُرَبَّعَاتُ ثُمَّ الْخَمْسَاتُ الخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ بَالِغًا مَا بَلَغَ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طَوْلًا وَعَرْضًا خَوَاصٌّ غَرِيبَةٌ اسْتَفْرِغَتْ مِنْهَا وَفُتِّرَتْ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلُهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصَّ مُخْتَصَّةً بِهِ تَصْنَعُهَا هَذَا الْفَنُّ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْفَنُّ أَوَّلُ أَجْزَاءِ الْعَالِمِ وَأَثْنَتَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ الْحِسَابِ وَلِلْمُكَمَّاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَالِيفٌ وَأَكْثَرُهُمْ يَدْرَجُونَهُ فِي الْعَالِمِ وَلَا يَفْرُدُونَهُ بِالتَّالِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ أَبْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُتَدَاوِلٍ وَمُنْفَعْتُهُ فِي الْبَرَاهِينِ لَا فِي الْحِسَابِ فَهَجَرُوهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَصُوا زُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ

كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ النَّبَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ فَأَلْضَمُّ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ تَضَاعُفٌ عَدْدًا بِأَحَادٍ عَدَدٍ آخَرَ وَهَذَا هُوَ الصَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَّا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عَدَدٍ مِنْ عَدَدٍ وَتَعْرِفَةُ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَفْصِيلُ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا مُحْصَلَةً وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكَسْرِ وَمَعْنَى الْكَسْرِ نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجَذُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمُرْعُوعُ فَإِنَّ تِلْكَ الْجَذُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أَحْتِجَ إِلَيْهَا لِلْحِسَابِ فِي الْأَعْمَالِ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوَلُوهَا فِي الْأُمُصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْوِلْدَانِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمُ الْإِبْتِدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفٌ مُنْتَصَحَةٌ وَبَرَاهِينٌ مُنْتَظِمَةٌ فَيُنشَأُ عَنْهَا فِي الْغَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرَبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ مِجْمَعِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ خَلْقًا وَيَتَعَوَّدُ الصِّدْقُ وَيَلْزِمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّلَافُفِ الْمَبْسُوطَةِ فِيهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ كِتَابُ الْخُصَارِ الصَّغِيرِ وَلِابْنِ النَّبَاءِ الْمَرَاكِبِيُّ فِيهِ تَلْخِصٌ ضَائِعٌ لِقَوَانِينِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابِ سَمَاءِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَقْلَقٌ عَلَى الْمُبْتَدِيَّةِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوُثِيقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ الْقَدْرُ أَدْرَكْنَا أَلَمْ شَيْخَةً تُعْظِمُهُ وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْأَسْتِغْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبَرَهَانِ بَيِّنَاتٍ عُلُومِ الْعَالِمِينَ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاضِحَةٌ كُلُّهَا وَإِذَا قُصِدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءُ الْعِلَالِ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى الْفَهْمِ مَا لَا يُوْجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فَتَأَمَّلْهُ وَاللَّهُ يَهْدِي بُيُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَتِينُ . ( ومن فروعه الجبر والمقابلة ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْمَجْهُولُ مِنْ قِبَلِ الْعُلُومِ الْمَفْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ فَاصْطَلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ جَعَلُوا لِلْمَجْهُولَاتِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالصَّرْبِ أَوَّلَهَا الْعَدَدُ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْمَجْهُولُ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمَجْهُولِ إِلَيْهِ وَثَانِيهَا الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ مَجْهُولٍ فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ إِنْهَايَةٍ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جَذْرٌ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ

فِي الْمَرْبَةِ الثَّانِيَةِ وَثَالِثًا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مُبْهِمٌ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسِّ فِي  
 الْمَضْرُوبِينَ ثُمَّ يَقَعُ الْعَمَلُ الْمَفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتُخْرَجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيُقَابِلُونَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَجْعَلُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكُسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيَحْطُونَ الْمَرَاتِبَ إِلَى أَقْلِ الْأُسُوسِ إِنْ أُمِكنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْجُزْءِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعَدَدُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَوَاحِدٍ تَعَيَّنَ فَالْمَالُ وَالْجُزْءُ يَزُولُ إِبْهَامُهُ بِمُعَادَلَةِ الْعَدَدِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجُزْءُورَ فَيَتَعَيَّنُ بِعِدَّتِهَا وَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أَخْرَجَهُ الْعَمَلُ الْهِنْدِيُّ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْإِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْهِمَةٌ فَيُعَيِّنُ ذَلِكَ الضَّرْبَ الْمَفْصُلَ وَلَا  
 يُمَكِّنُ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ مَا انْتَهَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلَ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجُزْءٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٍ أَوْ مُرَكَّبَةٍ مُجْمِعةً سِتَّةً وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْقَنْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَارِزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ شُجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى أَثَرِهِ فِيهِ وَكَتَابَهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَشَرَحَهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْقُرْشِيِّ وَقَدْ بَلَغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَعْمَةِ التَّعَالِيمِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنَّهُى الْمُعَامَلَاتِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَغُوا إِلَى فَوْقِ الْعَشْرِينَ وَاسْتَخْرَجَ لَهَا كُلَّهَا أَعْمَالًا وَأَتْبَعَهُ بِرَاهِنٍ هِنْدِسِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْمَاعِلَاتِ ) . وَهُوَ  
 تَصْرِيفُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمُدُنِ فِي الْبَيْعَاتِ وَالْمَسَاحَاتِ وَالزُّكُوتِ وَسَائِرِ مَا  
 يَعْزُضُ فِيهِ الْعَدَدُ مِنَ الْمَاعِلَاتِ يُصَرَّفُ فِي صِنَاعَتِنَا ذَلِكَ الْحِسَابِ فِي التَّجْمُولِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجُزْءِ وَغَيْرِهَا وَالْعَرَضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْمَرَانِ وَالذُّزِيَّةِ بِتَكَرُّرِ الْعَمَلِ حَتَّى تَرْتَبِعَ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصِّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأَلَّفَ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزُّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّمْعِ وَأَبِي مُسْلِمٍ بْنِ خَالِدُونَ مِنْ تَلْمِيزِ مُسْلِمَةَ الْعَجْرِيَّيْنِ وَأَمْثَالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفَرَائِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٍ فِي تَفْصِيحِ السَّهَامِ لِلذَّوِي الْفُرُوضِ  
 فِي الْوَرَائِثِ إِذَا تَعَدَّتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَانْكَسَرَتْ سَهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ أَجْمَاعِهَا وَتَزَاحَمَ عَلَى أَعْمَالِ كُلِّهِ أَوْ كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ إِفْرَاقٌ

وَأِنْكَارُ مَنْ بَعْضُ أَوْرَثَةٍ فَتَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً إِلَى عَمَلٍ يُعَيِّنُ بِهِ سِهَامُ الْفَرِيضَةِ مِنْ  
 كَمْ تَصِحَّ وَسِهَامُ أَوْرَثَةٍ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ مُصَحَّحًا حَتَّى تَكُونَ حُظُوظُ الْوَارِثِينَ مِنْ  
 أَلْمَالِ عَلَى نِسْبَةِ سِهَامِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ سِهَامِ الْفَرِيضَةِ فَيَدْخُلُهَا مِنْ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ جُزْءٌ  
 كَبِيرٌ مِنْ صَحِيحِهِ وَكَسْرُهُ وَجَذَرُهُ وَمَعْلُومُهُ وَنَحْوُهُ عَلَى تَرْتِيبٍ عَلَى تَرْتِيبِ أَبْوَابِ الْفَرَائِضِ  
 الْفَقِيهِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا فَتَشْتَمِلُ حِينَئِذٍ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْفَقْهِ وَهُوَ أَحْكَامُ الْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَرُوضِ وَالْعَوْلِ وَالْإِفْرَاقِ وَالْإِنْكَارِ وَالْوَصَايَا وَالْتَدْبِيرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِهَا  
 وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ الْحِسَابِ وَهُوَ تَصْحِيحُ السُّهُمَانِ بِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَقِيهِيِّ وَهِيَ مِنْ أَجْلِ  
 الْعُلُومِ وَقَدْ يوردُ أَهْلُهَا أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةً تَشْهَدُ بِفَضْلِهَا مِثْلُ الْفَرَائِضِ ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ  
 مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعُلُومِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَعِنْدِي أَنَّ ظَوَاهِرَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي  
 الْفَرَائِضِ الْعَيْنِيَّةِ كَمَا نَقَدَمَ لَا فَرَائِضَ أَوْرَاثَاتٍ فَإِنَّهَا أَقْلٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي كَمِّيَّتِهَا  
 ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْعَيْنِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ وَقَدْ أَلْفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْفَنِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا  
 وَأَوْعَبُوا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّالِيفِ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابُ ابْنِ نَابِتٍ وَمُخْتَصَرُ  
 الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَوْفِيِّ وَكِتَابُ ابْنِ الْمُنَمَّرِ وَالتَّجْدِيدِي وَالصَّرْدِي وَغَيْرِهِمْ لَكِنَّ  
 الْفَضْلَ لِلْحَوْفِيِّ فَكِتَابُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِهَا وَقَدْ شَرَحَهُ مِنْ شَيْوُخِنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَابِقُ الْمَنَ  
 الشُّطْرِي كَبِيرٌ مُسْتَنَجِدٌ فَاسٌّ فَأَوْضَحَ وَأَوْعَبَ وَلَا يَمَامَ الْحَرَمَيْنِ فِيهَا تَالِيفٌ عَلَى مَذْهَبِ  
 الشَّافِعِيِّ تَشْهَدُ بِاتِّسَاعِ بَاعِهِ فِي الْعُلُومِ وَزُسُوحِ قَدَمِهِ وَكَذَا لِلْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَمَقَامَاتُ  
 النَّاسِ فِي الْعُلُومِ مُخْتَلِفَةٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الخامس عشر

في العلوم الهندسية

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا الْمُتَّصِلَةِ كَالْخَطِّ وَالسَّطْحِ وَالْجَسْمِ وَإِمَّا  
 الْمُفْصَلَةِ كَالْأَعْدَادِ وَفِيهَا بَعْضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ الدَّلَائِيَّةِ مِثْلُ أَنَّ كُلَّ مِثْلٍ فَرْوَابُهُ  
 مِثْلُ قَائِمَتَيْنِ وَمِثْلُ أَنَّ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي وَجْهِ وَلَوْ خَرَجَا إِلَى غَيْرِ  
 نِهَآيَةٍ وَمِثْلُ أَنَّ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَقَاطِعَيْنِ فَالزَّائِدَتَانِ الْمُتَقَابِلَتَانِ مِنْهُمَا مُسَاوِيَتَانِ وَمِثْلُ  
 أَنَّ الْأَرْبَعَةَ مَقَادِيرَ الْمُتَنَاسِيَةِ ضَرْبُ الْأَوَّلِ مِنْهَا فِي الثَّلَاثِ كَضَرْبِ الثَّانِي فِي الرَّابِعِ  
 وَأَمَّا تِلْكَ وَالتَّكْتَابُ الْمُرْجَمُ لِلْيُونَانِيِّينَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابُ أَوْفِيلِيدِسَ وَيُسَمَّى

كِتَابُ الْأَصُولِ وَكِتَابُ الْأَزْكَانِ وَهُوَ أَبْسَطُ مَا وَضِعَ فِيهَا لِلْمُعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجِمُ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْعِلْمِ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَنُسَخُهُ مُتَخَلِّفَةٌ بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا الْحَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ وَلِثَابِتِ بْنِ قِرَّةَ وَلِيُوسُفَ بْنِ الْحُجَّاجِ وَبَشْتَلُ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَفْئَادِ الْهَيْئَةِ وَآخَرَى فِي  
 نِسْبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةُ فِي الْمَنْطِقَاتِ وَالْقَوَى عَلَى  
 الْمَنْطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجُدُورُ وَخَمْسٌ فِي الْجِسْمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ سِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصَّلْتِ  
 فِي كِتَابِ الْأَقْصَارِ وَغَيْرِهِمْ وَتَرْجُمَهُ آخَرُونَ شُرُوحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْهَنْدَسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْهَنْدَسَةَ تَقِيْدُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَاسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيِّنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَكَادُ الْغَلْطُ يَدْخُلُ أَفْسَسَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَانْتِظَامِهَا فَيَبْعُدُ الْفِكْرُ بِمُمَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطَا وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْهَجِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَهْنِدِسًا فَلَا يَدْخُلَنَّ مَنَزِلَنَا  
 وَكَانَ شُبُوحُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُمَارَسَةُ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ لِلْفِكْرِ بِمَثَابَةِ الصَّابُونِ لِلثَّوْبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَفْئَادُ وَيُنْقِيهِ مِنَ الْأَذْوَارِ وَالْأَذْوَارِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِهِ . (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالأشكال الكروية  
 والمخروطات) . أَمَّا الْأَشْكَالُ الْكُرَوِيَّةُ فَفِيهَا كِتَابَانِ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ  
 إِثَاوَدُوسِيُوسَ وَمِيلَاوُسَ فِي سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَكِتَابُ ثَاوَدُوسِيُوسَ مُقَدِّمٌ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى  
 كِتَابِ مِيلَاوُسَ لِتَوْقُفِ كَثِيرٍ مِنْ بَرَاهِينِهِ عَلَيْهِ وَلَا يَدْ مِنْهُمَا لِمَنْ يَرِيدُ الْخَوْضَ فِي عِلْمِ  
 الْهَيْئَةِ لِأَنَّ بَرَاهِينَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ فَالْكَلَامُ فِي الْهَيْئَةِ كُلُّهُ كَلَامٌ فِي الْكُرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الْقُطُوعِ وَالِدَوَائِرِ بِأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ كَمَا نَذَكُرُهُ فَقَدْ تَوَقَّفَ عَلَى  
 أَحْكَامِ الْأَشْكَالِ الْكُرَوِيَّةِ سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَأَمَّا الْمَخْرُوطَاتُ فَمِنْ فُرُوعِ الْهَنْدَسَةِ  
 أَيْضًا وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِيمَا يَقَعُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَخْرُوطَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْقُطُوعِ وَيَبْرَهُنَ  
 عَلَى مَا يَعْزُضُ لِنَظَرِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ بِبَرَاهِينِ هَنْدَسِيَّةٍ مُتَوَقِّفَةٍ عَلَى التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَقَائِدِهَا  
 تَطْهَرُ فِي الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي مَوَادُّهَا الْأَجْسَامُ مِثْلُ النِّجَارَةِ وَالْبِنَاءِ وَكَيْفَ تُصْنَعُ  
 التَّمَائِيلُ الْغَرِيبَةُ وَالْهَيَاكِلُ النَّادِرَةُ وَكَيْفَ يُحْمَلُ عَلَى جَرِّ الْأَنْثَالِ وَنَقْلِ الْهَيَاكِلِ

بِالْهِنْدَامِ وَالْمِجَالِ وَأَمثالُ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي هَذَا الْقَنْ كِتَابًا فِي الْحِلِّ  
 الْعِلْمِيَّةِ بِضَمْنٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ الْفَرْيَةِ وَالْحِلِّ الْمُسْتَظَرَّةِ كُلِّ عَجَبِيَّةٍ وَرُبَّمَا اسْتَفْلَقَ  
 عَلَى الْفُتُومِ اصْغُوبَةً بِرَاهِنِهِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مُوجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ بِتَسْوِئَةٍ إِلَى نَبِيِّ شَاكِرٍ  
 وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (ومن فروع الهندسة المساحة) وَهُوَ فَنٌ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ  
 وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مِقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شِبْرِ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةِ أَرْضٍ  
 مِنْ أَرْضٍ إِذَا قُوِيَ سِتُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْطِيفِ الْخُرَاجِ عَلَى الْمَزَارِعِ  
 وَالْفُنْدَنِ وَبَسَاتِينِ الْغُرَاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَائِطِ وَالْأَرَاغِي بَيْنَ الشُّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضُوعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَوْفِقِ لِلصَّوَابِ بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ  
 (المنظرة من فروع الهندسة) وَهُوَ عِلْمٌ يَتَبَيَّنُ بِهِ أَسْبَابُ الْغُلَطِّ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ  
 بِمَعْرِفَةٍ كَيْفِيَّةٍ وَقُوْعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شُعَاعِي رَأْسُهُ  
 يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْعَرَبِيُّ ثُمَّ يَقَعُ الْغُلَطُّ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَبِيرًا وَالتَّعْبِيدِ  
 صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةِ الْأَشْيَاحِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَبِيرَةً وَرُؤْيَةِ  
 انْثِقَاطِ النَّازِلَةِ مِنَ الْمَطَرِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا وَالثَّقَلَةِ دَائِرَةً وَأَمثالُ ذَلِكَ قِيَّتَيْنِ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَتَبَيَّنُ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافُ الْمَنْظَرِ  
 فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ  
 وَكَثِيرٌ مِنْ أَمثالِ هَذَا وَقَدْ أَلْفَ فِي هَذَا الْقَنْ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُ مَنْ أَلْفَ  
 فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَغَيْرُهُ أَيْضًا تَالِيفٌ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَتَفَارِيعِهَا

### الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَِةِ وَالْمُنْتَحَبَةِ وَبَسْتَدَلَّ  
 مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالٍ وَأَوْضَاعٍ لِلْأَفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا لِهَذِهِ الْحَرَكَاتِ الْحُسُوسَةُ  
 بِطَرُقٍ هِنْدَسِيَّةٍ كَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى أَنَّ مَرَكْزَ الْأَرْضِ مُبَايِنٌ لِمَرَكْزِ فَلَكِ الشَّمْسِ بِوُجُودِ  
 حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يَسْتَدَلُّ بِالرُّجُوعِ وَالْإِسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقٍ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَِةٌ دَاخِلَ فَلَكِهَا الْأَعْظَمِ وَكَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى وُجُودِ  
 أَلْفَاكٍ الثَّامِنِ بِحَرَكَةِ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يُبْرَهُنُ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الْوَاحِدِ بِتَعْدَادِ الْمَبُولِ لَهُ وَأَمَّا ذَلِكَ وَإِذْ ذَاكَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَكَيْفِيَّاتِهَا  
 وَأَجْنَاسِهَا إِنَّمَا هُوَ بِالرَّصْدِ فَإِنَّمَا عَلِمْنَا حَرَكَةَ الْأَفْكَالِ وَالْإِدْبَارَ بِهِ وَكَيْدًا  
 تَرْكِبُ الْأَفْكَالَ فِي طَبَقَاتِهَا وَكَيْدًا الرُّجُوعُ وَالْإِسْتِقَامَةُ وَأَمَّا ذَلِكَ وَكَانَ الْيُونَانِيُّونَ  
 يَعْتَنُونَ بِالرَّصْدِ كَثِيرًا وَيَتَّخِذُونَ لَهُ الْأَلَاتِ الَّتِي تُوضَعُ لِإِرْصَادِهَا حَرَكَةَ الْكَوَاكِبِ  
 الْمُعْبَيْنِ وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَاتُ الْحَقَاقِ وَصِنَاعَةُ عَمَلِهَا وَالْبَرَاهِينُ عَلَيْهِ فِي مُطَابَقَةِ  
 حَرَكَتِهَا بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ مَنَقُولُ بِأَيْدِي النَّاسِ وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تَنْفَعْ بِهِ عُنَايَةٌ إِلَّا  
 فِي الْقَلِيلِ وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ مِنْهُ وَصَنَعَ الْآلَةُ الْمَعْرُوفَةُ لِلرَّصْدِ الْمُسَمَّاةُ  
 ذَاتُ الْحَقَاقِ وَتَسْرَعُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّ وَلَمَّا مَاتَ ذَهَبَ رَسْمُهُ وَأُغْفِلَ وَاعْتَمَدَ مِنْ بَعْدِهِ  
 عَلَى الْأَرْصَادِ الْقَدِيمَةِ وَلَيْسَتْ بِمُعْنِيَةٍ لِإِخْتِلَافِ الْحَرَكَاتِ بِاتِّصَالِ الْأَحْقَابِ وَأَنَّ  
 مُطَابَقَةَ حَرَكَةِ الْآلَةِ لِلرَّصْدِ بِحَرَكَةِ الْأَفْكَالِ وَالْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْرِيبِ وَهَذِهِ  
 الْهَيْئَةُ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ وَلَيْسَتْ عَلَى مَا يَفْهَمُ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّهَا تُعْطِي صُورَةَ السَّمَاوَاتِ وَتَرْتِيبَ  
 الْأَفْكَالِ وَالْكَوَاكِبِ بِالْحَقِيقَةِ بَلْ إِنَّمَا تُعْطِي أَنَّ هَذِهِ الصُّورَ وَالْهَيْئَاتِ لِلْأَفْكَالِ لَزِمَتْ  
 عَنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَازِمًا لِمُخْتَلِفَيْنِ  
 وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْحَرَكَاتِ لَازِمَةٌ فَهِيَ اسْتِدْلَالٌ بِاللَّازِمِ عَلَى وُجُودِ الْمَكْزُومِ وَلَا يُعْطِي  
 الْحَقِيقَةُ بَوَاحٍ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ جَلِيلٌ وَهُوَ أَحَدٌ أَرْكَانِ التَّعَالِيمِ وَمِنْ أَحْسَنِ التَّالِيفِ فِيهِ  
 كِتَابُ الْمَحْسِنِيِّ مَتَسُوبٌ لِطَبْلِيمُوسَ وَلَيْسَ مِنْ مُلُوكِ الْيُونَانِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ بِطَلِيمُوسُ  
 عَلَى مَا حَقَّقَهُ شُرَاحُ الْكِتَابِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ الْأَئِمَّةُ مِنْ حُكَمَاءِ الْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ سِينَا وَأَدْرَجَهُ فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ وَلَخَصَهُ ابْنُ رُشْدٍ أَيْضًا مِنْ حُكَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَابْنُ السَّمْعِ وَأَبْنُ الصَّلْتِ فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَارِ وَلِابْنِ الْقُرْعَانِيِّ هَيْئَةٌ مُلَخَّصَةٌ قَرِيبُهَا  
 وَحَدَفَ بَرَاهِينُهَا الْهَنْدَسِيَّةُ وَاللَّهُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
 الْعَالَمِينَ . (ومن فروعه علم الازياج) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٌ عَلَى قَوَانِينٍ عَدِيدَةٍ فِيمَا  
 يَخْصُ كُلَّ كَوْكَبٍ مِنْ طَرِيقِ حَرَكَتِهِ وَمَا أَدَّى إِلَيْهِ بُرْهَانُ الْهَيْئَةِ فِي وَضْعِهِ مِنْ سُرْعَةٍ  
 وَبُطْءٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَرُجُوعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُعْرَفُ بِهِ مَوَاضِعُ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلاكِهَا لِأَيِّ  
 وَقْتٍ فُرِضَ مِنْ قَبْلِ حِسَابِ حَرَكَاتِهَا عَلَى تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ كُتُبِ  
 الْأَمِيَّةِ وَلِهَذِهِ الصِّنَاعَةُ قَوَانِينُ كَالْمَقْدَمَاتِ وَالْأَصُولِ لَهَا فِي مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ



وَالْتَوَارِيخَ الْمَاضِيَةَ وَأُصُولَ مُتَقَرَّرَةٍ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَوْجِ وَالْحَضِيضِ وَالْمَبُولِ وَأَصْنَافِ  
الْحَرَكَاتِ وَاسْتِخْرَاجَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ يَضْعُونَهَا فِي جَدَاوِلَ مُرْتَبَةٍ تَسْمِيًّا عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ  
وَتُسَمَّى الْأَرْبَاجَ وَيُسَمَّى اسْتِخْرَاجُ مَوَاضِعِ الْكُتُبِ لِلْوَقْتِ الْمَقْرُوضِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
تَعْدِيلًا وَتَقْوِيمًا وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيْفٌ كَثِيرَةٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلَ الْبَتَانِي<sup>(١)</sup>  
وَأَبْنِ الْكَمَادِ وَقَدْ عَوَّلَ الْمُتَأَخِّرُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ عَلَى زَيْجٍ مَنَسُوبٍ لِأَبْنِ  
إِسْحَاقَ بْنِ مُنَجِّبٍ نُونَسِي فِي أَوَّلِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَبْنَ إِسْحَاقَ عَوَّلَ فِيهِ عَلَى  
الرَّصَدِ وَأَنَّ يَهُودِيًّا كَانَ بِصِفَلِيَّةَ مَاهِرًا فِي الْهَيْئَةِ وَالْعَالِمِ وَكَانَ قَدْ عَنِيَ بِالرَّصَدِ وَكَانَ  
يُبْعَثُ إِلَيْهِ بِمَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْكُتُبِ وَحَرَكَاتِهَا فَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ لِئَنَّا  
عَدُوًّا بِهِ لَوَاقِفَةً مَبْنَاهُ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ وَلِخَصِّهِ أَبْنُ الْبَنَاءِ فِي آخِرِ سَمَاءِ الْمَنْهَاجِ قَوْلَهُ بِهِ  
النَّاسُ لِمَا سَهَّلَ مِنَ الْأَعْمَالِ فِيهِ وَإِنَّمَا يَخْتِجُ إِلَى مَوَاضِعِ الْكُتُبِ مِنَ الْقَلَمِ لِلنَّبِيِّ  
عَلَيْهَا الْأَحْكَامُ الْجُومِيَّةُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْأَثَرِ الَّتِي تَحْدُثُ عَنْهَا بِأَوَاضِعِهَا فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ  
مِنَ الْمُلْكِ وَالذُّوْلِ وَالْمَوَالِيدِ الْبَشَرِيَّةِ كَمَا نَبِّئُهُ بَعْدُ وَنُوضِّحُ فِيهِ أَدِلَّتَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

## الفصل السابع عشر

### في علم المنطق

وَهُوَ قَوَانِينُ يُعْرَفُ بِهَا الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ فِي الْحُدُودِ الْمَعْرِفَةِ لِلْمَاهِيَّاتِ وَالنَّحْجِ  
الْمُفِيدَةِ لِلتَّصْدِيقَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا هُوَ الْخُصُوسَاتُ بِالْخُوَاسِ  
الْخَمْسَ وَجَمِيعَ الْخِيَوَانَاتِ مُشْتَرِكَةً فِي هَذَا الْإِدْرَاكِ مِنَ النَّاطِقِ وَغَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
الْإِنْسَانُ عَنْهَا بِإِدْرَاكِ الْكَلِمَاتِ وَهِيَ بِجُرْدَةٍ مِنَ الْخُصُوسَاتِ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَحْصُلُ فِي  
الْخَيَالِ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَّفَقَةِ صُورَةٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ الْخُصُوسَةِ وَهِيَ  
الْكَلِمَةُ ثُمَّ يَنْظُرُ الذَّهْنُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَّفَقَةِ وَأَشْخَاصٍ أُخْرَى تَوَافَقَهَا فِي  
بَعْضٍ فَيَحْصُلُ لَهُ صُورَةٌ تَنْطَبِقُ أَيْضًا عَلَيْهِمَا بِاعْتِبَارِ مَا اتَّفَقَا فِيهِ وَلَا يَزَالُ يَرْتَقِي فِي  
التَّجَرُّدِ إِلَى الْكُلِّ الَّذِي لَا يَجِدُ كَلِمًا آخَرَ مَعَهُ يُوَافِقُهُ فَيَكُونُ لِأَجْلِ ذَلِكَ بَسِيطًا  
وَهَذَا مِثْلُ مَا يَجْرُدُ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْإِنْسَانِ صُورَةُ النَّوعِ الْمُنْطَبِقَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَبَيَّجَرْدُ صُورَةِ الْجِنْسِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْتَهِي بَيْنَهُمَا وَيَبْنِي النَّبَاتَ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِنْسِ الْعَالِي وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَبْعُدُ كَلِمًا يُوَاقِفُهُ فِي شَيْءٍ يَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
عَنِ التَّجْرِيدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يَذَرُكَ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّرًا لِلْمَاهِيَّاتِ وَيُعْنَى بِهِ إِذْ رَأَى سَادِجٌ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصْدِيقًا  
أَيْ حُكْمًا يَبُتُّ أَمْرٌ لِأَمْرٍ فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ تُجْمَعَ  
تِلْكَ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْصُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كَلِمَةً مُنْطَبِقَةً  
عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذِّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ  
وَإِمَّا بِأَنْ يُحْكَمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيَبْتَنَى لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ قَائِدَهُ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى  
الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ  
فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيِّ لِيَتَمَيَّزَ  
الصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمَنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
بِهِ جَمَلًا جَمَلًا وَمُتَقَرِّفًا وَلَمْ يَهْدَبْ طَرَفُهُ وَلَمْ تُجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
فَهْدَبَ مَبَاحِثَهُ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصِّلَتْ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحَتْهَا وَلِلَّذَلِكَ  
يُسَمَّى بِالْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ وَكِتَابُهُ الْفَخْصُوصُ بِالْمَنْطِقِ يُسَمَّى النَّصُّ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
كُتُبٍ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطْلُوبَ التَّصْدِيقِيَّةَ  
عَلَى أَنْحَاءٍ ثَمَانِيَةٍ مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينَ بِطَبْعِهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَيَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُفِيدُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ  
تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ بِذَلِكَ الْأَعْتِبَارِ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
يَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِأَعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مُخْصُوصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِنْتَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَنَعْنِي بِهِ الْمَادَّةُ الْعُمُومِيَّةُ الْمَطْلُوبِ الْفَخْصُوصِ مِنْ يَقِينٍ  
أَوْ ظَنْنٍ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِنْتَاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
لِلَّذَلِكَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ ثَمَانِيَةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجْرِيدُ  
الْخُصُوصَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْمَقُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْقَضَايَا  
التَّصْدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابَ الْعِبَارَةِ . وَالثَّالِثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِنْتَاجِهِ عَلَى

الْأَمْلَاقَ وَيُسَمَّى كِتَابُ الْقِيَاسِ وَهَذَا آخِرُ النَّظَرِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ . ثُمَّ الرَّابِعُ كِتَابُ  
 الْبُرْهَانِ وَهُوَ النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْمُنْتَجِجِ لِلْيَقِينِ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُقَدِّمَاتُهُ يَقِينَةً  
 وَيُخْتَصُّ بِشُرُوطٍ أُخْرَى لِإِفَادَةِ الْيَقِينِ مَذْكُورَةٌ فِيهِ مِثْلُ كَوْنِهَا ذَاتِيَّةً وَأَوَّلِيَّةً وَغَيْرَ  
 ذَلِكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَلَامُ فِي الْمَعْرِفَاتِ وَالْحُدُودِ إِذَا الْمَطْلُوبُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ  
 الْيَقِينُ لَوْجُوبِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْحَدِّ وَالْحُدُودِ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اخْتَصَّتْ  
 عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِهَذَا الْكِتَابِ . وَالْخَامِسُ كِتَابُ الْجَدَلِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمَفِيدُ قَطْعَ  
 الْمَسَاقِبِ وَافْتِحَامَ الْخُصْمِ . وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْمَشْهُورَاتِ وَيُخْتَصُّ أَيْضًا  
 مِنْ جِهَةِ إِفَادَتِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ بِشُرُوطٍ أُخْرَى مِنْ حَيْثُ إِفَادَتُهُ لِهَذَا الْغَرَضِ وَهِيَ  
 مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يُذَكَّرُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَسْتَنْبِطُ مِنْهَا صَاحِبُ الْقِيَاسِ  
 قِيَاسَهُ وَفِيهِ عَكُوسُ الْقَضَايَا . وَالسَّادِسُ كِتَابُ السَّفْطَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ  
 خِلَافَ الْحَقِّ وَيُغَالِطُ بِهِ الْمَنَاطِرُ صَاحِبَهُ وَهُوَ قَاسِدٌ وَهَذَا إِنَّمَا كُتِبَ لِيُعْرَفَ بِهِ  
 الْقِيَاسُ الْمُغَالِطِيُّ فَيَحْذَرُ مِنْهُ . وَالسَّابِعُ كِتَابُ الْخَطِيبَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمَفِيدُ تَرْغِيبَ  
 الْجُمْهُورِ وَحَمْلَهُمْ عَلَى الْمَرَادِ مِنْهُمْ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ . وَالثَّامِنُ  
 كِتَابُ النُّعْرِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ التَّمَثِيلَ وَالنَّشِيئَةَ خَاصَّةً لِلْإِقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ  
 النُّفُورَةِ عَنْهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْقَضَايَا الْخَبْلِيَّةِ هَذِهِ هِيَ كُتُبُ الْمَنْطِقِ  
 الثَّمَانِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ثُمَّ إِنَّ حُكَمَاءَ الْيُونَانِيِّينَ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّبَتِ الصَّنَاعَةُ وَرُبَّتْ  
 رَأًوْا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْفِكَلِيَّاتِ الْخَمْسِ الْمَفِيدَةِ لِلتَّصَوُّرِ فَاسْتَدْرَكُوا فِيهَا  
 مَقَالَةً تُخْتَصُّ بِهَا مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ بَدْيِ الْفَنِّ فَصَارَتْ تِسْعًا وَتُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي الْعِلْمَةِ الْأَيْسَلِيَّةِ  
 وَكُتِبَتْ وَتَدَاوَلَتْهَا فَلَا سِفَةَ إِلَّا سَلَامٌ بِالشَّرْحِ وَالتَّلْخِصِ كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا  
 ثُمَّ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ فَلَا سِفَةِ الْأَنْدَلُسِ وَلِابْنِ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ  
 السَّبْعَةِ كُلُّهَا ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمَنْطِقِ وَالْحَقُّوْا بِالنَّظَرِ فِي الْفِكَلِيَّاتِ  
 الْخَمْسِ ثَمَرَتَهُ وَهِيَ الْكَلَامُ فِي الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ نَقْلُوهَا مِنْ كِتَابِ الْبُرْهَانِ وَحَدِّقُوا  
 كِتَابَ الْمُقُولَاتِ لِأَنَّ نَظَرَ الْمَنْطِقِيِّ فِيهِ بِالْعَرَضِ لَا بِالذَّاتِ وَالْحَقُّوْا فِي كِتَابِ الْفِيَارَةِ  
 الْكَلَامَ فِي الْعَكْسِ لِأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْكَلَامِ فِي الْقَضَايَا بَعْضُ الْوُجُوهِ ثُمَّ تَكَلَّمُوا  
 فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ إِتْنَاجُهُ لِلْمَطَالِبِ عَلَى الْعُمُومِ لَا بِحَسَبِ مَادَّةٍ وَحَدِّقُوا النَّظَرَ فِيهِ

يَحْسِبُ الْمَادَّةَ وَهِيَ الْكِتَابُ الْخَمْسَةُ الْبَرْهَانُ وَالْجَدَلُ وَالْخُطَابَةُ وَالشَّعْرُ وَالسَّفْطَةُ  
وَرُبَّمَا يُلِمُّ بَعْضُهُمْ بِالنَّسِيرِ مِنْهَا إِيْمَامًا وَأَغْفَلُوهَا كَانَ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْمُهِيْمُ الْمُعْتَمَدُ  
فِي الْفَنِّ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَبْجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
قَدْ بَرَأَ بِهِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آتَى لِلْعُلُومِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ  
ذَلِكَ الْأِيْمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَظِيْبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا هَذَا عَلَى كُتُبِهِ  
مُعْتَمَدُ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابٌ كَشَفَ الْأَسْرَارَ وَهُوَ طَوِيلٌ  
وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الْمُوجِزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مُخْتَصَرُ الْجَمَلِ فِي قَدْرِ أَرْبَعَةِ  
أَوْزَاقٍ أَخَذَ بِجَمَاعِ الْفَنِّ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَطَرَفُوهُمْ كَانَ لَمْ تَكُنْ وَهِيَ مُمَثِّلَةٌ مِنْ ثَمَرَةِ الْمَنْطِقِ وَقَائِدَتِهِ  
كَمَا قُلْنَا وَاللَّهِ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن عشر

#### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَبْتَغِي عَنْ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْعَرْضِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَإِنْسَانٍ وَنبَاتٍ وَمَعْدِنٍ وَمَا  
يَتَبَكَّرُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْجَوِّ مِنَ السَّحَابِ وَالْبَخَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ  
وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ  
وَالنبَاتِ وَكُتُبُ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تُرْجِمَتْ مَعَ مَا تُرْجِمُ مِنْ عُلُومِ  
الْفَلَسَفَةِ أَبَامَ الْمَأْمُونِ وَأَلَّفَ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعَبَ مِنْ أَلْفٍ فِي ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي  
كِتَابِ الشِّفَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ النِّجَا وَفِي  
كِتَابِ الْإِشَارَاتِ وَكَانَتْ يَخَالِفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِهَا وَيَقُولُ بِرَأْيِهِ فِيهَا  
وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ فَخَصَّ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مُتَّبِعًا لَهُ غَيْرَ مُخَالِفٍ وَأَلَّفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
كَثِيرًا لَكِنْ هَذِهِ هِيَ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةُ فِي الصَّنَاعَةِ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِتَابَةٌ  
بِكِتَابِ الْإِشَارَاتِ لِابْنِ سِينَا وَلِلْإِيْمَامِ أَبِي الْحَظِيْبِ عَلَيْهِ شَرْحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْإِيْمَامُ  
وَشَرَحَهُ أَيْضًا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِي الْمَعْرُوفُ بِمُخَوَّجِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
الْإِيْمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبُحُوثِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ

## الفصل التاسع عشر

في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطَّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيَحْكُمُ صَاحِبُهَا حِفْظَ الصِّحَّةِ وَبُرْءِ الْمَرَضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْدِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمَرَضُ الَّذِي يَخْصُ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْزِجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَاهَا وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّنَةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّجِيَّةِ وَالْفَضَلَاتِ وَالنَّبْضِ مُخَازِينَ لِذَلِكَ قُوَّةِ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الْمُدْبِرَةُ فِي حَالَتِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ يُخَازِنُهَا وَيُعِينُهَا بَعْضَ الدَّيِّ بِحَسَبِ مَا اقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَصْلِ وَالسِّنِّ وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا كُلِّهِ عِلْمُ الطَّبِّ وَرُبَّمَا أَفْرَدُوا بَعْضُ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلْمًا وَأَحْكَالَهَا وَكَذَلِكَ الْحَقْوَا بِالْفَنِّ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا الْمَنْعَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تَرْتَجِمَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنَ الْأَفْقَدِمِينَ جَالِينُوسُ يَقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصَقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَغْلِبِ وَمُطَاوَعَةِ اعْتِرَابٍ وَتَأَلَّفَهُ فِيهَا هِيَ الْأَهْمَاءُ الَّتِي اقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أُنْمَةً جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ الْقَابِيَةِ مِنْهُ الرَّاكِبُ وَالْحُجُومِيُّ وَأَبْنُ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ أَبْنُ زُهْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَأَنَّهَا تَقَصَّتْ لَوْقُوفُ الْأَنْعُرَانِ وَتَنَاقُصِهِ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْحِظَارَةُ وَالتَّرَفُّ كَمَا يُبَيِّنُهُ بَعْدُ.

وَاللِّبَادِيَّةُ مِنَ أَهْلِ الْأَنْعُرَانِ طِبُّ بَنُوهُمْ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجَرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مُتَوَارِتًا عَنْ مَشَائِخِ الْحَيِّ وَتَعْيَانِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونٍ طَبِيعِيِّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الْمَزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَثِيرٌ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَالْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالطَّبِّ الْمَنْقُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَوَقَعَ فِي

ذَكَرَ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْعٍ ذَكَرَ أَحْوَالَهُ الَّتِي هِيَ عَادَةٌ وَجِيلَةٌ لَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَوِ مِنْ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعِثَ لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يُبْعَثْ لَتَعْرِيفِ الطِّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادَاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي شَأْنِ تَلْفِيحِ النَّخْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مِنَ الطِّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا أَسْتَعْمِلَ عَلَى جِهَةِ التَّبَرُّكِ وَصَدَقَ الْعَقْدُ الْإِيمَانِي فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطِّبِّ الْمِرَاجِي وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ كَمَا وَقَعَ فِي مَدَاوِئِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنُشُوءُهُ بِالسَّقْيِ وَالْعِلَاجِ وَتَهْدِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْزِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِهِ وَزُجْجَانِيَّتِهِ وَمَشَا كُلِّهَا لِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السِّخْرِ فَقَطَّعَتْ عِنَابَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتَزَجَّجَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ مَتَسُونَةٌ لِإِعْلَاءِ النَّبَطِ مُشْتَمِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْعِلْمَةِ فِيهَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السِّخْرِ مُسَدَّدًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَأَقْتَصَرُوا مِنْهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْزِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزُضُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَذَفُوا الْكَلَامَ فِي الْفَنِّ الْآخَرِ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْتَصَرُوا بَيْنَ الْعَوَامِ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ النَّبَطِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُغْفَلًا نَقَلَ مِنْهُ مُسَلِّمَةً فِي كُتُبِهِ السِّخَرِيَّةِ أُمَهَاتٍ مِنْ مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السِّخْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتِبَ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي الْفَلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعُدُّونَ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْفَرَّاسِ وَالْعِلَاجِ وَحِفْظِ النَّبَاتِ مِنْ حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزُضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ

في علم الالهيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الوجودِ الْمُطْلَقِ فَأَوْلَى فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ لِلْجَسَانِيَّاتِ وَالْأَرْوَاحَانِيَّاتِ  
مِنَ الْمَاهِيَّاتِ وَالْوَحْدَةِ وَالْكَثَرَةِ وَالْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي  
مَبَادِيءِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَنْبَاءِ رُوحَانِيَّاتِ ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُدُورِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهَا وَمَرَاتِبِهَا  
ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مَفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمَبْدَأِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ شَرِيفٌ  
يَزَعُمُونَ أَنَّهُ يُوقِفُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الوجودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ فِي  
زَعْمِهِمْ وَسَيَاكِي الرُّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ تَالِي لِلطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْتِيبِهِمْ وَلِذَلِكَ يَسَوِّهُنَّ عِلْمٌ مَا  
وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَكُتِبَ الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَلِخَصَّةِ ابْنِ مِينَا  
فِي كِتَابِ الشِّنَاءِ وَالنَّجَا وَكَذَلِكَ لَخَصَّةِ ابْنِ رُشْدٍ مِنْ حُكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمَّا وَضَعَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْفِرَاقِيُّ مَا رَدَّ مِنْهَا ثُمَّ خَلَطَ  
الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضُوعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلَهُ  
بِمَسَائِلِهَا فَصَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْ وَاحِدٍ ثُمَّ غَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحُكْمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ وَخَلَطُوهُمَا فَنَاحِدًا قَدَّمُوا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ بِالْجَسَانِيَّاتِ  
وَتَوَابِعِهَا ثُمَّ بِالْأَرْوَاحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ الْأِيْمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي  
الْمَبَاحِثِ الْمُشْرِفَةِ وَجَمِيعٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَصَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ مُخْتَلَطًا  
بِمَسَائِلِ الْحِكْمَةِ وَكُتِبَتْ مَحْشُورَةٌ بِهَا كَانَ الْفَرَضُ مِنْ مَوْضُوعَيْهَا وَمَسَائِلِهَا وَاحِدٌ  
وَالْتَبَسَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ صَوَابٌ لِأَنَّ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِنَّمَا فِي عَقَائِدٍ مُتَلَفَاةٍ  
مِنَ الشَّرِيعَةِ كَمَا نَقَلَهَا السَّلَفُ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ وَلَا تَعْوِيلٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى  
أَنَّهَا لَا تُثَبَّتُ إِلَّا بِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ مَعزُولٌ عَنِ الشَّرْعِ وَأَنْظَارُهُ وَمَا تَحَدَّثَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ  
مِنْ إِقَامَةِ النُّجُجِ فَلَيْسَ بِحُجَّتٍ عَنِ الْحَقِّ فِيهَا فَالْتَعَلُّلُ بِالْأَدِلِيلِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا  
هُوَ شَأْنُ الْفَلَسَفَةِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ الْيَمَاسُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ تَعُضِدُ عَقَائِدَ الْإِيْمَانِ وَمَذَاهِبَ السَّلَفِ  
فِيهَا وَتَدْفَعُ شُبُهَ أَهْلِ الْبِدْعِ عَنْهَا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مَذَاهِبَهُمْ فِيهَا عَقْلِيَّةٌ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
تُفَرِّضَ صَحِيحَةٌ بِالْأَدِلَّةِ الْقَلْبِيَّةِ كَمَا تَلَقَّاهَا السَّلَفُ وَاعْتَقَدُوهَا وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْقَامَيْنِ  
وَذَلِكَ أَنَّ مَذَاهِبَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ أَوْسَعُ لَا تَسَاعٍ نِطَاقُهَا عَنْ مَذَاهِبِ الْأَنْظَارِ الْقَلْبِيَّةِ

فَهِىَ قَوْفَهَا وَحُيْطَةً بِهَا لَاسْتِعْدَادَهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ قَانُونِ النَّظَرِ الضَّعِيفِ وَالْمَدَارِكِ الْحَاطِّ بِهَا فَإِذَا هَدَانَا الشَّارِعُ إِلَى مَذْرِكٍ فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْدِمَهُ عَلَى مَدَارِكِنَا وَنَتَّقِ بِهِ دُونَهَا وَلَا نَنْظُرَ فِي تَصْحِيحِهِ مَدَارِكِ الْعَقْلِ وَلَوْ عَارَضَهُ بَلْ نَعْتَمِدُ مَا أَمَرَنَا بِهِ اعْتِقَادًا وَعِلْمًا وَلَسَكُنَّا عَمَّا لَمْ نَقْهَمْ مِنْ ذَلِكَ وَنَتَوَضَّعُ إِلَى الشَّارِعِ وَنَعَزِلُ أَعْقَلَ عَنْهُ وَالْمُسْكَلِمُونَ إِنَّمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَى ذَلِكَ كَلَامُ أَهْلِ الْإِلْهَادِ فِي مُعَارَضَاتِ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِالْبِدْعِ النَّظَرِيَّةِ فَاحْتَاجُوا إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ جِنْسِ مُعَارَضَتِهِمْ وَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الْحُجَجَ النَّظَرِيَّةَ وَمُعَاذَةَ الْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ بِهَا وَأَمَّا النَّظَرُ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ بِالتَّصْحِيحِ وَالْبُطْلَانِ فَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا مِنْ جِنْسِ أَنْظَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ لِمَيَّزَ بِهِ بَيْنَ الْفَنَيْنِ فَإِنَّهُمَا يُخْتَطِطَانِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْوَضْعِ وَالْتَأْلِيلِ وَالْحَقُّ مُغَايِرَةٌ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِالْمَوْضِعِ وَالْمَسَائِلِ وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِلْتِبَاسُ مِنْ اتِّحَادِ الْمَطَالِبِ عِنْدَ الْإِسْتِدْلَالِ وَصَارَ أَحْتِجَاجُ أَهْلِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ إِنْشَاءُ لَطَلَبِ الْإِعْتِدَادِ بِالْدَّلِيلِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ وَالْمَطْلُوبُ مَقْرُوضُ الصِّدْقِ مَعْلُومُهُ وَكَذَا جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ غَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْمُوَاجِدِ أَيْضًا فَخَاطَبُوا مَسَائِلَ الْفَنَيْنِ بَيْنَهُمْ وَجَعَلُوا الْكَلَامَ وَاحِدًا فِيهَا كُلَّهَا مِثْلَ كَلَامِهِمْ فِي النُّبُوَاتِ وَالْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْمَدَارِكُ فِي هَذِهِ الْأَفْئُونِ الثَّلَاثَةِ مُتَغَايِرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَبْعَدُهَا مِنْ جِنْسِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ مَدَارِكُ الْمُتَصَوِّفَةِ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ فِيهَا الْوُجْدَانَ وَيَفْرُونَ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْوُجْدَانُ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدَارِكِ الْعِلْمِيَّةِ وَأَبْجَاثُهَا وَتَوَابِعُهَا كَمَا يَبْنَاهُ وَبَيْنُهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَصَوَابِ

## الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وَهِيَ عُلُومٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتِ تَقْدِيرِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ بِهَا عَلَى التَّأَثِيرَاتِ فِي عَالَمِ الْأَنْعَاصِرِ إِمَّا بِغَيْرِ مُعَيَّنٍ أَوْ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأُمُورِ السَّامِيَّةِ وَالْأَوَّلُ هُوَ السَّحَرُ وَالثَّانِي هُوَ الطَّلِيسْمَاتُ وَأَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ مَعْجُوزَةً عِنْدَ الشَّرَائِعِ لِمَا فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَلِمَا يَشْتَرِطُ فِيهَا مِنَ الرُّجُوعَةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِنْ كُذُوبٍ أَوْ غَيْرِهِ كَانَتْ كُثْبَهَا كَالْمَقْقُودَةِ بَيْنَ النَّاسِ



إِلَّا مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبَلَ بُرُوءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ النَّبَطِ  
وَالْكَلْدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاطِعَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذَكِيرًا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرِّيَّانِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقَبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
لَهُمْ فِيهَا التَّالِيفُ وَالْأَنَارُ وَلَمْ يُتَرَجَّمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلُ الْفَلَاحَةِ  
النَّبَطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَتَّنُوا فِيهِ وَوَضَعَتْ بَعْدَ  
ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلُ مَصَاحِبِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طِغَمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
الدَّرَجِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالْمَشْرِقِ جَابِرُ بْنُ حَبَّانَ كَبِيرُ السَّحَرَةِ فِي هَذِهِ  
الْعِلْمَةِ فَتَصَفَّحَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي زَيْدَتِهَا وَاسْتَخْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
غَيْرَهَا مِنَ التَّالِيفِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السَّمِيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
إِحَالَةَ الْأَجْسَامِ التَّوَعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
الْعَمَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قِبَلِ السَّحَرِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ جَاءَ مُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
الْبَجَرِيَّيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي التَّعَلُّيمِ وَالسَّحَرَاتِ فَلَخَّصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
وَهَدَّيَهَا وَجَمَعَ طُرُقَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةُ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
الْعِلْمِ بَعْدَهُ . وَلَقَدْ قَدَّمَ هُنَا مُقَدِّمَةً يَتَبَيَّنُ بِهَا حَقِيقَةُ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ  
وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنُّوعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِّ وَهِيَ أَصْنَافُ كُلِّ صِنْفٍ مُخْتَصٌّ  
بِمَخَاصِيصِهِ وَاحِدَةٌ بِالنُّوعِ لَا تُوْجَدُ فِي الصِّنْفِ الْآخَرَ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُّ فِطْرَةً وَجِبَلَةً  
لِصِنْفِهَا نَفُوسُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا خَاصِيَّةٌ تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
وَمُخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَّبِعُ فِي ذَلِكَ  
مِنَ التَّأثيرِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِجْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكَوَاكِبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّأثيرِ  
بِقُوَّةِ نَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَأَمَّا تَأثيرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ إِلَهِيٍّ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَنَفُوسُ  
الْكُهَنَةِ لَهَا خَاصِيَّةُ الْأَطْلَاعِ عَلَى الْمَغْيبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
مُخْتَصٌّ بِمَخَاصِيصِهِ لَا تُوْجَدُ فِي الْآخَرِ وَالنُّفُوسُ السَّاحِرَةُ عَلَى عَرَاتِ ثَلَاثَ بَابٍ فِي شَرْحِهَا  
فَأَوَّلُهَا الْمُؤَثِّرَةُ بِالْهَيْمَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مَعِينٍ وَهَذَا مَوْ الَّذِي تَسْمِيَةُ الْفَلَاسِفَةِ  
السَّحَرُ وَالثَّانِي بِمَعِينٍ مِنْ مِزَاجِ الْأَفْلَاكِ أَوِ الْعُنَاصِرِ أَوْ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ وَيُسَمُّوهُ

الطَّلَسَاتِ وَهُوَ أضعَفُ رُتْبَةٍ مِنَ الْأَوَّلِ وَلِثَالِثٍ ثَابِتٌ فِي الْقَوَى الْمُخَيَّلَةِ بَعْدُ صَاحِبُ  
هَذَا الثَّابِتِ إِلَى الْقَوَى الْمُخَيَّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِنَوْعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيُلْقِي فِيهَا أَنْوَاعًا  
مِنَ الْحَيَالَاتِ وَالْحَمَّاكَ وَضُورًا مِمَّا يَقْصُدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْزِلُهَا إِلَى الْحِسِّ مِنَ الرَّائِينَ  
بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمُؤَثَّرَةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائِي كَمَا فِيهَا فِي الْخَارِجِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
يُحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُرَى الْبَشَائِنَ وَالْأَنْهَارَ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
هَذَا عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ السَّعُودَةَ أَوِ السَّعِيدَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
فِي السَّاحِرِ بِالْقُوَّةِ شَأْنُ الْقَوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
السَّيْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالْوَجْهِ إِلَى الْأَفلاكِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعَالِيَةِ وَالشَّيْطَانِ  
بِأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فَبَعِي لَذَلِكَ وَجْهَةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَمُجُودٌ  
لَهُ وَالْوَجْهَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَلِهَذَا كَانَ السَّيْحَرُ كُفْرًا وَالْمُكْذِبُ مِنْ مَوَادِهِ وَأَسْبَابِهِ  
كَمَا رَأَيْتَ وَلِهَذَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ يَكْفِرُهُ السَّابِقُ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لِيَتَصَرَّفَ  
بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْمَكْلُ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَايَا مِنَ السَّيْحَرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْآخِرَةُ الثَّالِثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
لَهَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السَّيْحَرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً  
نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ  
الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ أَشْيَاءِهِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ السَّيْحَرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ الثَّابِتِ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَّا كَفَرُوا يَعْلَمُونَ  
النَّاسَ السَّحَرُ وَمَا أُتْرِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَا رُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ  
حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَزَوْجِهِ  
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
كَانَ يُغَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَقْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَقْعَلُهُ وَجَعَلَ سِحْرَهُ فِي مِشْطٍ وَمُشَافَةٍ وَجَعَلَ طِلْعَهُ  
وَدُفْنِي فِي بَيْتِ زُرَّوَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمُعَوَّدَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي  
الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَقْرَأُ عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعُقَدِ الَّتِي سُحِرَ فِيهَا  
إِلَّا ائْتَمَلَتْ وَأَمَّا وُجُودُ السَّيْحَرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ النَّبَطِ وَالسَّرْيَانِيُّونَ

فَكثيرٌ وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَكَانَ لِلْسِّحْرِ فِي بَابِلَ وَمِصْرَ أَرْزَامَ بَعَثَ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَاقَ نَافِقَةٍ وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجَزَةُ مُوسَى مِنْ جِنْسٍ مَا يَدْعُونَ وَيَتَنَاقُونَ  
فِيهِ وَبَقِيَ مِنْ آثَارِ ذَلِكَ فِي الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ شَوَاهِدُ دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَرَأَيْنَا بِالْعِيَانِ  
مَنْ يَصَوِّرُ صُورَةَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ بِخَوَاصِ أَشْيَاءٍ مُقَابِلَةً لِمَا نَوَاهُ وَحَاوَلَهُ مُوجِبَةً  
بِالْمَسْحُورِ وَأَمثالُ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّفْرِيقِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ  
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي أَقَامَهَا مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ عَيْنًا أَوْ مَعْنَى ثُمَّ يَنْفُثُ مِنْ رِيقِهِ  
بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ فِيهِ بِتَكَرُّرٍ تَخَارِجِ تِلْكَ الْخُرُوفِ مِنَ الْكَلَامِ السَّوِّءِ وَيَقْعُدُ عَلَى  
ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سَبَبٍ أَعَدَّهُ لِذَلِكَ تَفَاقُلًا بِالْعَقْدِ وَالْإِزَامِ وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ  
بِهِ مِنَ الْجِنِّ فِي نَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ أَسْتَشْعَارًا لِلْعَزِيمَةِ بِالْعَزْمِ وَلِئَلَّامِ الْبَيْنَةِ وَالْأَمْنَاءِ  
السَّيِّئَةِ رُوحُ خَيْثُهُ تَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ النَّفْثِ مُتَعَلِّقَةً بِرِيقِهِ الْخَارِجِ مِنْ فِيهِ بِالْثَفْتِ فَتَنْزِلُ  
عَنْهَا أَرْوَاحُ خَيْثُهُ وَيَقْعُ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَسْحُورِ مَا يُحَاوِلُهُ السَّاحِرُ وَشَاهِدُنَا أَيْضًا مِنْ  
الْمُعْتَمِلِينَ لِلْسِّحْرِ وَعَمَلِهِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى كِسَاءٍ أَوْ جِلْدٍ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ فَإِذَا  
هُوَ مَقْطُوعٌ مُتَخَرِّقٌ وَيُشِيرُ إِلَى بَطْنِ الْغَنَمِ كَذَلِكَ فِي مَرَاعِيهَا بِالتَّبْعِ فَإِذَا أَمْعَاوُهَا سَاقِطَةٌ  
مِنْ بَطْنِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَسَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ فَيَتَحَسَّ  
قَلْبُهُ وَيَقْعُ مَيِّتًا وَيَنْقَلِبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوجَدُ فِي حَسَاهُ وَيُشِيرُ إِلَى الرُّمَامَةِ وَتَفْتَحُ فَلَا  
يُوجَدُ مِنْ حُبُّهَا شَيْءٌ وَكَذَلِكَ سَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ السُّودَانِ وَأَرْضَ التُّرْكِ مَنْ يَسْحَرُ  
السَّحَابَ فَيُمْطَرُ الْأَرْضُ الْخُصُوصَةَ وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلِسْمَاتِ عَجَائِبَ فِي  
الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ وَهِيَ رَكْرَكٌ دَاحِدُ الْعَدَدَيْنِ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخَرُ مِائَتَانِ  
وَأَرْبَعَةٌ وَتَمَانُونَ وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ أَنَّ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نِصْفٍ وَثُلُثٍ  
وَرُبْعٍ وَسُدُسٍ وَخُمْسٍ وَأَمثالِهَا إِذَا جُمِعَ كَانَ مُتَسَاوِيًا لِلْعَدَدِ الْآخَرِ صَاحِبِهِ فَتَسْمَى  
لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةَ وَتَقُلُّ أَصْحَابُ الطَّلِسْمَاتِ أَنَّ لِكُلِّ الْأَعْدَادِ أَتْرَافِي الْأَلْفَةِ بَيْنَ  
الْمُعْتَمِلِينَ وَاجْتِمَاعِهَا إِذَا وَضِعَ لَهَا مِثْلَانِ أَحَدُهُمَا بِطَالِعِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ فِي يَتْنِهَا أَوْ  
شَرَفِهَا نَازِرَةً إِلَى الْقَمَرِ نَظَرَ مَوَدَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَعْمَلُ طَالِعُ الثَّانِي سَابِعَ الْأَوَّلِ وَيَضَعُ عَلَى  
أَحَدِ التَّمَثَلَيْنِ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ وَالْآخَرَ عَلَى الْآخَرِ وَيَقْصُدُ بِالْأَكْثَرِ الَّذِي يُرَادُ  
اِتِّثْلَافُهُ أَعْنِي الْمُحِبُّوبَ مَا أَدْرِي الْأَكْثَرُ كَمِيَّةً أَوِ الْأَكْثَرُ أَجْزَاءً فَيَكُونُ لِذَلِكَ

مِنَ النَّائِبِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ قَالَ صَاحِبُ  
 الْعَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَا طَائِعُ الْأَسَدِ وَيُسَى  
 أَيْضًا طَائِعُ الْحَصَى وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبٍ مِندَ اصْبَعِ صُورُهُ أَسَدٌ شَائِلًا ذَنْبَهُ عَاضًا عَلَى  
 حِمَاةٍ قَدْ قَسَمَهَا بِضَفَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةُ حَيَّةٍ مُنْسَابَةٍ مِنْ رِجَالِهِ إِلَى قُبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاغْرَةً فَأَهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةُ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَتَحَيْنُ بِرِسْمِهِ حُلُولُ الشَّمْسِ بِالْوَجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوْ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ النَّيَرَيْنِ وَسَلَامَتِهِمَا مِنَ النُّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَثَرَ عَلَيْهِ طُيْعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ فِي مَقْدَارِ الْمُنْقَالِ فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَغُمَسَ بَعْدُ فِي الزُّعْفَرَانِ مَحْلُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرُفِعَ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّ لِمُسْكِهِ مِنَ الْعَزِ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يُعْبَرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَزِ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْعَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ التَّجَرِبَةُ وَكَذَلِكَ وَفَى الْمُسَدِّسِ  
 الْخُتْمُ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتِهَا  
 مِنَ النُّحُوسِ وَسَلَامَةِ الْقَمَرِ بِطَالِغِ مُلُوكِي يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَايَةِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِغِ نَظَرٌ مُودَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَصْلُحُ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدَلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَيُرْفَعُ فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُغْمَسَ فِي الطَّيِّبِ فَرَعْمُوا أَنْ لَهُ أَثَرًا فِي  
 صَحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْعَايَةِ لِمُسْلَمَةَ بْنِ  
 أَحْمَدَ الْحَجَرِ بَطْنِي هُوَ مَدُونَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَفِيهِ اسْتِيفَاؤُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْإِمَامَ الْفَقْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَاهُ بِالسَّرِّ الْمَكْتُومِ وَأَنَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَتَحْنُ لَمْ تَقَفْ عَلَيْهِ وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظُنُّ وَلَعَلَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَلِّلِينَ لَهُدِهِ  
 الْأَعْمَالِ السَّجَرِيَّةِ يُعْرِفُونَ بِالْبَعَّاجِينَ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْكِسَاءِ أَوْ الْجِلْدِ فَيَتَخَرَّقُ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ بِالْبَعْجِ فَتَبْعُجُ وَيُسَى أَحَدُهُمْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِاسْمِ الْبَعَّاجِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْتَحِلُ مِنَ السَّحْرِ بَعْجُ الْأَنْعَامِ يُرْجَبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلُهَا أَيْعُطُوهُ مِنْ فَضْلِهَا وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْعَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْحُكَامِ  
 لَقِيتُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَشَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَأَخْبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً

خَاصَّةً يَدْعَوَاتٍ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاقٍ أَرْوَاحِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكَوَاكِبِ سَطَرَتْ فِيهَا صَحِيفَةٌ  
عِنْدَهُمْ تُسَمَّى الْخَزِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَتَمُّهُمْ بِهِدْيِهِ الرِّيَاضَةِ وَالْوَجْهَةِ يَصِلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَأَنَّ النَّاسَ ثَبِيرَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سِوَى الْإِنْسَانِ الْخُرُوفِ مِنَ الْمَتَاعِ  
وَالْخَبِيرِ وَالرَّقِيقِ وَيُعْبَرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا نَفْعُ فِيمَا تَمْشِي فِيهِ الدَّرَاهِمُ أَيَّ مَا  
يُمْلِكُ وَيُبَاعُ وَيَشْتَرَى مِنْ سَائِرِ الْمُتَمَلِّكَاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
بِهِ وَأَمَّا أَفْعَالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجِدَةٌ وَقَفْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَابَتْهَا مِنْ غَيْرِ رِبِيَّةٍ فِي  
ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَأَثَارُهُمَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَّاسِفَةُ فَفَرَّقُوا بَيْنَ  
السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ بَعْدَ أَنْ أَثْبَتُوا أَنَّهَا جَمِيعًا أَثَرُ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى  
وُجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا أَثَرًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ الْعَجْزِيِّ الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ أَثَرُ عَارِضَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ تَارَةً كَالْخُشُونَةِ الْحَادِثَةِ عَنِ الْقَرَحِ  
وَالْمُرُورِ وَمِنْ جِهَةِ التَّصَوُّرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنْ قِبَلِ التَّوَهُّمِ فَإِنَّ  
النَّمَاثِيَّ عَلَى حَرْفِ حَائِطٍ أَوْ عَلَى حَبْلِ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السَّقُوطِ سَقَطَ بِلاَ  
شَكٍّ وَلِهَذَا يَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْوِدُونَ أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا التَّوَهُّمُ  
فَيَجِدُهُمْ يَمْشُونَ عَلَى حَرْفِ الْحَائِطِ وَالْحَبْلِ الْمُنْتَصِبِ وَلَا يَخَافُونَ السَّقُوطَ فَثَبَّتَ أَنَّ  
ذَلِكَ مِنْ أَثَرِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَوُّرُهَا لِلْسَّقُوطِ مِنْ أَجْلِ التَّوَهُّمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذْ نَسَبَتْهَا إِلَى الْأَبْدَانِ فِي ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاسِ  
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فَثَبَّتَ أَنَّهَا مُؤَثِّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
وَأَمَّا التَّفَرُّقُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَخْتِاجُ السَّاحِرَ فِيهِ إِلَى  
مُعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسْمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَأَمْرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاصِنِ  
الْمَوْجُودَاتِ وَأَوْضَاعِ الْفَلَكَ الْمُؤَثِّرَةِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ أَلَمْ يُخَيِّمُونَ وَيَقُولُونَ  
السِّحْرُ اتِّعَادُ رُوحٍ بِرُوحٍ وَالطَّلَسْمُ اتِّعَادُ رُوحٍ بِجِسْمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رَيْطُ الطَّبَائِعِ  
الْعُلَوِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ بِالطَّبَائِعِ السُّفْلِيَّةِ وَالطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ فِي رُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ  
وَلِلَّذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِالتَّجَمُّعِ وَالسَّاحِرُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَكْتَسِبٍ لِسِحْرِهِ  
بَلْ هُوَ مَقْطُورٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَيَلَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ النَّاسِ ثَبِيرَ وَالْفَرْقُ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجَزَةِ وَالسِّحْرِ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ قُوَّةُ إِلَهِيَّةٍ تَبْعَتْ عَلَى النَّاسِ ذَلِكَ الْأَثَرُ فَهُوَ مُؤَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَالسَّاحِرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ  
 وَيَا مُدَادَ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَبَيْنَهُمَا الْفَرْقُ فِي الْعَقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْأَبَرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِلُّ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْأَعْلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وَجُودُ الْمُعْجَزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَالنُّفُوسِ الْمُتَحَصِّصَةِ لِلْخَيْرِ وَالْتَّحَدِّي بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النُّبُوَّةِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يُوجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَعْمَالِ الشَّرِّ فِي الْغَالِبِ مِنَ التَّفَرُّقِ بَيْنَ  
 الزُّوجَيْنِ وَضَرَرِ الْأَعْدَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَالنُّفُوسِ الْمُتَحَصِّصَةِ لِلشَّرِّ هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْأَلَهِيِّينَ وَقَدْ يُوجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ تَأْثِيرٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ طَرِيقُهُمْ  
 وَنَجَلَتُهُمْ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَلَهُمْ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظٌ عَلَى قَدَرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدُ مِنْهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُقَيَّدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ بِذَرَّةٍ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُمْ فِيهِ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ لَا تَوْنُهُ بِوَجْهِهِ وَمَنْ أَنَا مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرَبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ وَلَمَّا كَانَتِ الْمُعْجَزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِذَلِكَ لَا بَعَارِضَهَا شَيْءٌ مِنَ السِّحْرِ وَأَنْظُرْ شَأْنَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجَزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلَقَّتْ مَا كَانُوا بِهِ يَفْكُونُ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَأَضْمَحَلَّ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْوَدَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ الثَّفَائِتِ فِي  
 الْعَقْدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَ لَا يَقْرَأُهَا عَلَى عَقْدَةٍ مِنَ الْعَقْدِ الَّتِي سُحِرَ فِيهَا  
 إِلَّا أَلْحَلَّتْ فَالسِّحْرُ لَا يَثْبُتُ مَعَ اسْمِهِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زُرْكَشَ  
 كَابُوتَانَ وَهِيَ رَابِعَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوَفْقُ الْمِثْنِيُّ الْعَدَدِيُّ مُتَسَوِّجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعٍ  
 فَلَكِيَّةٍ رُصِدَتْ لِذَلِكَ الْوَفْقِ وَوُجِدَتْ الرَّابِعَةُ يَوْمَ قُبُلِ رُشْمٍ بِالْقَادِسِيَّةِ وَاقِعَةً عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْهَزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَزْعُمُ أَهْلُ الطَّلِسْمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْصُوصٌ بِاللُّغَبِ فِي الْخُرُوبِ وَأَنَّ الرَّابِعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا لَا تَنْهَزُمُ أَصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هَذِهِ عَارِضُهَا الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ مِنْ إِيْمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَانْحَلَّ مِنْهَا كُلُّ عَقْدٍ سِحْرِيٍّ وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَتَفَرَّقْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلِسْمَاتِ وَجَعَلَتْهُ كُلَّهُ بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا

لَأنَّ الْأَفْعَالَ إِنَّمَا أَبَاحَ لَنَا الشَّارِعُ مِنْهَا مَا يُهْمُنَا فِي دِينِنَا الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ آخِرَتِنَا  
أَوْ فِي مَعَاشِنَا الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَانَا وَمَا لَا يُهْمُنَا فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا فَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَرَرٌ  
أَوْ نَوْعٌ ضَرَرٍ كَالسِّحْرِ الْخَاصِلِ ضَرَرُهُ بِالْوُقُوعِ وَيُلْحِقُ بِهِ الطَّلَسَاتُ لِأَنَّ أَثَرَهُمَا وَاحِدٌ  
وَكَالِجَامَةِ الَّتِي فِيهَا نَوْعٌ ضَرَرٍ بِاعْتِقَادِ الثَّأْنِ فَتَفْسُدُ الْعَقِيدَةُ إِلَّا بِإِيمَانِهِ بِرَدِّ الْأُمُورِ  
إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ ذَلِكَ الْفِعْلُ مَحْظُورًا عَلَى نِسْبَتِهِ فِي الضَّرَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُهِمًّا  
عَلَيْنَا وَلَا فِيهِ ضَرَرٌ فَلَا أَقْلَ مِنْ تَرْكِهِ قُرْبَهُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ  
مَا لَا يَنْبَغِيهِ بَعْدَ آتِ الشَّرِيعَةِ بَابُ السِّحْرِ وَالطَّلَسَاتِ وَالشَّعْوَذُوَ بَابٌ وَاحِدٌ لِمَا فِيهَا مِنْ  
الضَّرَرِ وَخَصَّتْهُ بِالْحُظَرِ وَالنَّجَرِمْ وَأَمَّا الْفَرْقُ عَنْهُمْ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالسِّحْرِ فَالَّذِي  
ذَكَرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى التَّحْدِي وَهُوَ دَعْوَى وَفُوعِهَا عَلَى وَفَى مَا أَدْعَاهُ  
قَالُوا وَالسَّاحِرُ مَضْرُوفٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّحْدِي فَلَا يَقَعُ مِنْهُ وَوُقُوعُ الْمُعْجِزَةِ عَلَى وَفَى  
دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجِزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ لِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا  
الْصِّدْقُ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ الْكَذِبِ لَاسْتَحَالَ الصَّادِقُ كَذِبًا وَهُوَ مُحَالٌ فَإِذَا لَا نَفْعَ  
الْمُعْجِزَةُ مَعَ الْكَاذِبِ بِإِطْلَاقٍ وَأَمَّا الْحُكْمُاهُ فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا عَنْهُمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ  
فَرَّقَ مَا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي نَهَايَةِ الطَّرَفَيْنِ فَالسَّاحِرُ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ الْخَيْرُ وَلَا يَسْتَعْمِلُ  
فِي أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَصَاحِبُ الْمُعْجِزَةِ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ الشَّرُّ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِي أَسْبَابِ الشَّرِّ  
وَكَأَمْرُهُمَا عَلَى طَرَفِي النِّقِیْضِ فِي أَصْلِ فِطْرَتِهِمَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ  
الْعَزِيزُ لَا رَبَّ سِوَاهُ وَمَنْ قَبِيلَ هَذِهِ الثَّأْنِ الْفَنَسِيَّةِ إِلَّا صَابَةً بِالْعَيْنِ وَهُوَ تَأْثِيرُ  
مِنْ نَفْسِ الْمَعْيَانِ عِنْدَمَا يَسْتَحْسِنُ بَعْدَهُ مَذْرُوعًا مِنَ الذَّوَاتِ أَوِ الْأَحْزَالِ وَيَقْرُطُ فِي  
اسْتِحْسَانِهِ وَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الْإِسْتِحْسَانِ حِينَئِذٍ أَنَّهُ يَرُومُ مَعَهُ سَلْبَ ذَلِكَ الشَّيْءِ عَمَّنْ  
انْقَصَفَ بِهِ قِيُوتُ فَسَادُهُ وَهُوَ جِلَّةٌ فِطْرِيَّةٌ أَعْنِي هَذِهِ إِلَّا صَابَةً بِالْعَيْنِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
وَبَيْنَ الثَّأْنِ الْفَنَسِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا لَا يَكُنْ سَبَبٌ فِصْدُورُهَا رَاجِعٌ إِلَى اخْتِيَارِ فَاعِلِهَا  
وَالْفِطْرِي مِنْهَا قُوَّةٌ صُدُورُهَا وَلِهَذَا قَالُوا الْقَاتِلُ بِالسِّحْرِ أَوْ بِالْكَرَامَةِ يُقْتَلُ وَالْقَاتِلُ  
بِالْعَيْنِ لَا يُقْتَلُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يُرِيدُهُ وَيَقْصُدُهُ أَوْ يَتَرَكُهُ وَإِنَّمَا هُوَ مُجْبُورٌ  
فِي صُدُورِهِ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي الْغُيُوبِ وَمُطْلَعٌ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ

## الفصل الثالث والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادّة التي يتيم بها كون الذهب والفضّة بالصنّاعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتصنّعون المكوّنات كلّها بعد معرفة أجزائها وقواها لتعلم يعثرون على المادّة المستعدّة لذلك حتّى من العضلات الحيوانيّة كالعظام والريش والبيض والعذرات. فضلاً عن المعادن ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادّة من القوّة إلى الفعل مثل حلّ الأجسام إلى أجزائها الطبعيّة بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس وإمهاء الصلب بالقهر والصلاية وأمثال ذلك وفي زعمهم أنّه يخرج بهذه الصناعات كلّها جسم طبعي يسمونه الألكسبر وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والحاس بعد أن يحتمى بالنار فيعود ذهباً ابريزاً ويكون عن ذلك الألكسبر إذا ألغزوا في اصطلاحاتهم بالزروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجمد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصنّاعي الذي يقبّل هذه الأجساد المستعدّة إلى صورة الذهب والفضّة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤقنون فيها قديماً وحديثاً ورُبّما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المدونين فيها جابر بن حيان حتّى إنهم يخصونها به فيسوّونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلّها شبيهة بالآلغاز وزعموا أنّه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخّرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسلمة العجريّ من حكماء الأندلس كتابه الذي سمّاه رتبة الحكيم وجعله قريباً لكتابه الآخر في السحر والطلسمات الذي سمّاه غايه الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وتمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغار يتعدّد فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن ندكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والآلغاز ولأنّ المغبري من أئمة هذا الشأن كلمات شغريّة على حروف المعجم من أبدع ما يعي



فِي الشَّعْرِ مَلْفُوزَةٌ كُلُّهَا لُغَزُ الْأَحَابِي وَالْمُعَابَاةُ فَلَا تَكَادُ تَقْنَمُ وَقَدْ يَنْسِيُونَ لِلْعَزَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ التَّالِيفِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةَ  
 لِنَقْفٍ عَنْ خَطَأٍ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرُبَّمَا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا لِلْحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَيْسِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْبَيِّنِ أَنَّ خَالِدًا  
 مِنَ الْجَلِيلِ الْعَرَبِيِّ وَالْبِدَاوَةِ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْحِمْلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاعَةِ غَرِيبَةٍ أَلْمَحِي مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ طِبَائِعِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَمْرِ جَنَّتِهَا وَكُتِبَ النَّاطِرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعَاتِ وَالطَّبِّ لَمْ تَظْهَرْ بَعْدُ وَلَمْ تُتَرْجَمِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخِرَ مَنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَّةِ تَشَبَّهُ بِاسْمِهِ فَمُمْكِنٌ . وَأَنَا أَقُولُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ يَشْرُونَ لِأَبِي السَّمْعِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكِلَاهُمَا مِنْ تَلَامِيذِ مُسْلَمَةَ  
 قَبَسْتَدُلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أُعْطِيَتْهُ حَقُّهُ مِنَ التَّأْمُلِ قَالَ  
 ابْنُ يَشْرُونَ بَعْدَ صَدْرِ مِنَ الرِّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْفَرَضِ وَالْمَقْدَمَاتِ الَّتِي لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 الْكَرِيمَةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَاقْتَصَصَ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَخَلُّقِ الْأَحْجَارِ وَالْجَوَاهِرِ وَطِبَاعِ الْقِيَاعِ وَالْأَمَّا كَيْفَ فَعَمِنَا أَشْتَبَاهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنْعَةِ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ قَبْدًا بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَنْبَغِي  
 لَطَّلَابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيِّ  
 تَكُونُ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَيِّ كَيْفَ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَحْكَمَهَا فَقَدْ ظَهَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نَهَابَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا الَّتِي عَنْ وَجُودِهَا وَالِاسْتِدْلَالُ عَنْ تَكْوِينِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْنَاكَ بِمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْأَكْثَرِ وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ فَإِنَّمَا يُرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ الَّتِي تَبْتَغِي عَنْ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَزْبَعِ مِنْهَا تَرَكَّتْ أَبْدَاءُ وَهِيَ تَرْجِعُ أَنْتِبَاءً وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا تَعَالُجُ  
 وَتُدْبَرُ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَهَا لَا تَعَالُجُ وَلَا  
 تُدْبَرُ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ قَطُّ وَإِنَّمَا لَمْ يُمَكِّنْ تَفْصِيلَهَا لِاسْتِغْرَاقِ بَعْضِ طِبَائِعِهَا فِي بَعْضٍ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَنْبَغِي لَكَ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَى الْأَحْجَارِ  
 الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِنْسُهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يُدْبَرُ مِنَ الْحُلِّ وَالْمَقْدِ

وَالْتَنْفِيَةِ وَالتَّكْلِيسِ وَالتَّنْشِيفِ وَالتَّقْلِيلِ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْأَصُولَ الَّتِي هِيَ  
عِمَادُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَمْ يَنْجَحْ وَلَمْ يَنْظُرْ بِخَيْرٍ أَبَدًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ  
يُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بغيرِهِ أَوْ يُكْتَفَى بِهِ وَحْدَهُ وَهَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْإِبْدَاءِ أَوْ شَارِكُهُ غَيْرُهُ  
فَصَارَ فِي الدَّبِيرِ وَاحِدًا فَسَمِّيَ حَجْرًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَكَمِّيَّةَ أَوْزَانِهِ  
وَأَزْمَانِهِ وَكَيْفَ تَرْكِيبِ الرُّوحِ فِيهِ وَإِذْخَالِ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَهَلْ تَقْدِرُ النَّارُ عَلَى تَفْصِيلِهَا  
مِنْهُ بَعْدَ تَرْكِيبِهَا فَإِنَّ لَمْ تَقْدِرْ فَلَايَ عَلَيْهِ وَمَا السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِنَاكِ فَإِنَّ هَذَا هُوَ  
الْمَطْلُوبُ فَافْهَمْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ كُلَّهَا مَدَحَتِ النَّفْسَ وَزَعَمَتِ أَنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ لِلْجَسَدِ  
وَالْحَامِلَةُ لَهُ وَالِدَافِعَةُ عَنْهُ وَالْفَاعِلَةُ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا خَرَجَتْ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ  
وَبَرَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نُورَ وَإِنَّمَا  
ذَكَرَتْ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِيبُهُ عَلَى  
الْغِذَاءِ وَالْعِشَاءِ وَقُوَامِهِ وَتَمَامِهِ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ النُّورَانِيَّةِ الَّتِي يَهَا يَنْعَلُ الْعِظَامُ وَالْأَشْيَاءُ  
الْمُعْتَقَالَةُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَإِنَّمَا أَتَقَعَلُ الْإِنْسَانُ لِاخْتِلَافِ  
تَرْكِيبِ طَبَائِعِهِ وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَلِمَتْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالنَّضَادِ وَلَمْ تَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى  
الْخُرُوجِ مِنْ بَدَنِهِ وَلَكِنْ خَالِدًا بِأَقْيَا قُسْبَحَانَ مُدِيرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّبَائِعَ  
الَّتِي يَخْدُتُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَافِعَةٌ فِي الْإِبْدَاءِ فَبِضِيَّةٍ مُتَحَاجَّةٍ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ وَلَيْسَ  
لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَدِّ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرَكَّبَتْ كَمَا قُلْنَا أَتَقَا فِي الْإِنْسَانِ  
لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا  
وَعَمَلِهَا وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَبِحَسَبِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مُفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ  
أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ إِنَّ الْقُوَّةَ الضَّعِيفَ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِيبِهَا وَتَمَامِهَا  
فَلِذَلِكَ قُلْتُ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالْفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلِاخْتِلَافِ  
وَعَدَمِ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلِاتِّفَاقِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا  
الْعَمَلِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ وَالتَّرْكِيبُ مَوْتٌ وَفَنَاءٌ وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ  
أَرَادَ بِقَوْلِهِ حَيَاةٌ وَبَقَاءٌ خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى التَّوْجُّدِ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِيبِهِ الْأَوَّلِ  
فَهُوَ فَإِنْ لَا مُحَالَةَ فَإِذَا رُكِّبَ التَّرْكِيبُ الثَّانِي عَدِمَ الْفَنَاءُ وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا  
بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ فَإِذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ فَإِذَا بَقِيَ الْجَسَدُ

اَلْمَحْلُولُ اَنْبَسَطَ فِيْهِ لِعَدَمِ الصُّوْرَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمِثْلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا صُوْرَةَ  
 لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
 أَنَّ اخْتِلَاطَ الطَّيِّبِ بِالطَّيِّبِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْغَلِيظِ بِالْغَلِيظِ وَإِنَّمَا أُريدُ بِذَلِكَ  
 التَّشَاكُلُ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَنْتَصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذَكَرْتُ لَكَ ذَلِكَ  
 لَتَعْلَمَ أَنَّ الْأَعْمَلَ أَوْفَى وَأَبْسَرُ مِنَ الطَّبَائِعِ الطَّائِفِ الرُّوحَانِيَةِ مِنْهَا مِنَ الْغَلِيظَةِ الْجَسْمَانِيَةِ  
 وَقَدْ بَيَّنَّ صَوْرَ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَجْسَادَ أَقْوَى وَأَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
 الذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيتِ وَالزَّبْجِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
 فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيَانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
 لِرَجَةِ غَلِيظَةٍ فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِيظَتِهَا وَتَزَجُّجِهَا فَإِذَا أَفْرَطَتِ النَّارُ  
 عَلَيْهَا صَبَّرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ الطَّيِّفَةُ إِذَا أَصَابَتْهَا  
 النَّارُ أَبْقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَبَّرَ الْأَجْسَادَ فِي هَذِهِ  
 الْحَالَةِ وَصَبَّرَ الْأَرْوَاحَ فِي هَذَا الْحَالِ فَهُوَ أَجَلُ مَا تَعْرِفُهُ أَقُولُ إِنَّمَا أَبْقَتْ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ  
 لِأَنَّهَا عَالِيَةٌ وَلَطَافَةٌ وَإِنَّمَا اسْتَبَقَتْ لِكثَرَةِ رُطُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْسَتِ بِالرُّطُوبَةِ  
 تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَانِيَةٌ تُشَاكِلُ النَّارَ وَلَا تَزَالُ تَعْتَدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَفْنَى وَكَذَلِكَ  
 الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْسَتِ بِوُجُودِ النَّارِ إِلَيْهَا لِقِلَّةِ تَزَجُّجِهَا وَغَلِيظَتِهَا وَإِنَّمَا صَارَتْ تِلْكَ الْأَجْسَادُ  
 لَا تَشْعَلُ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفُهُ مُتَّحِدٌ بِكَثِيفِهِ لَطُولُ  
 الطَّبَخِ اللَّبَنِ الْمَازِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُتَلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِمُفَارَقَةِ  
 لَطِيفِهِ مِنْ كَثِيفِهِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُوَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
 الْإِتِّصَامُ وَالتَّدَاخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُمَازَجَةً فَسَهِّلَ بِذَلِكَ أَفْتَرَأَهُمَا كَالْمَاءِ وَالزَّيْتِ وَمَا  
 أَشَبَّهُهُمَا وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
 ذَلِكَ عِلْمًا شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حَقَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي فِي  
 طَبَائِعِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُوَافَقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُفَصَّلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
 يَدَبِّرُ وَاحِدٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفِيلَسُوفُ  
 إِنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدْبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
 أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقَوَّامَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيبًا

فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَوَائِمِهَا  
عَلَى مَا يَنْبَغِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يُشَاكِهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ انْتَبَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَرِيصًا  
جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً جَافِيَةً لَا تَنْبَسِطُ وَلَا تَنْزَاجُ وَحَلَّ الْأَجْسَادُ لَا يَكُونُ  
بِغَيْرِ الْأَرْوَاحِ فَأَقَمَ هَذَا اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَا أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ  
هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَضْمَحِلُّ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُمَسِّكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
أَلْوَانًا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحُلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ النَّامُ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْحَيَاةِ  
وَإِنَّمَا حُلُّهُ بِمَا يُؤَافِقُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَقَ النَّارِ حَتَّى يَزُولَ عَنِ الْغَلِظِ وَتَنْقَلِبُ الطَّبَائِعُ  
عَنْ حَالِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغَلِظِ فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادُ نَهَايَتَهَا مِنْ  
التَّحْلِيلِ وَالتَّلَطُّبِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةٌ تُمْسِكُ وَتَعُوضُ وَتَقْلِبُ وَتَنْفِذُ وَكُلُّ  
عَمَلٍ لَا يُرَى لَهُ مُضَادٌّ فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
هُوَ بَيْسُ الْأَشْيَاءِ وَيَعْقِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارَّ مِنْهَا يَظْهَرُ رُطُوبَتُهَا وَيَعْقِدُ بَيْسَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدَتْ  
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِأَنَّهُمَا فَاعِلَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبَسُ مُنْفَعِلَانِ وَعَلَى أُنْفَعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
إِصْحَابِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتُسَكُونُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فِعَالًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ نَقْلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحْوُكُهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكَوْنِ  
وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّ إِذَا أَفْرِطَتِ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
ثَمَّ بَرْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتْهُ فَمَنْ أَجَلَ هَذِهِ الْعِلَّةُ أَحْبَبَ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدِّهِ عَلَى ضِدِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُ حَرَّ النَّارِ وَلَمْ يَحْذَرْ الْفَلَّاسِفَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
مِنَ النَّيِّرَانِ الْحَرَقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْهِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دَسِيسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
وَقَفَى آفَاتُهَا وَأَوَسَّاهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَذَوُّبُهُمْ فَأَنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
مَعَ النَّارِ أَوَّلًا وَإِلَيْهَا بَصِيرٌ آخِرًا فَلِذَلِكَ قَالُوا يَا كُمْ وَالنَّيِّرَانِ الْحَرَقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
بِذَلِكَ تَقَى الْآفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجَمُّعٌ عَلَى الْجَسَدِ افْتِنَ فَتَكُونُ أَمْرَعُ لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا يَتَلَاثَمُ وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِنُضَادِّ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فِي وَسْطِ بَيْنِ شَيْئَيْنِ  
فَلَمْ يَجِدْ مَا يَقْوِيهِ وَيُعِينُهُ إِلَّا قَهْرَهُ الْآفَةَ وَأَهْلَكَتْهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ كُلَّهُمْ ذَكَرَتْ  
تَرْدَادَ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْأَجْسَادِ مِرَارًا لِيَكُونَ الزَّمُ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
بَاسْرَتَهَا عِنْدَ الْإِثْمَةِ أَعْنَى بِذَلِكَ النَّارَ الْعَنْصُرِيَّةَ فَاعْلَمُوا . وَلِنَقْلِ الْآنَ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي

يُمْكِنُ مِنْهُ الْعَمَلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ الْفَلَّاسَةُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنََّّهُ فِي  
الْحَيَوَانَ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنََّّهُ فِي النَّبَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنََّّهُ فِي الْمَعَادِنِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
زَعَمَ أَنََّّهُ فِي الْجَمِيعِ وَهَذِهِ الدِّعَاوِي لَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٍ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا وَمُنَاطَرَةِ أَهْلِهَا عَلَيْهَا  
لِأَنَّ الْكَلَامَ يَطُولُ جِدًّا وَقَدْ قُلْتُ فِيْمَا نَقَدَّمُ أَنَّ الْعَمَلَ يَكُونُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالْقُوَّةِ  
لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مُوجِبَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ كَذَلِكَ فَتُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيْ شَيْءٍ يَكُونُ  
الْعَمَلُ بِالْقُوَّةِ وَالْفِعْلُ فَنَقْصِدُ إِلَى مَا قَالَهُ الْحَرَّانِيُّ إِنَّ الصِّغَ كَلَّهُ أَحَدُ صِغَتَيْنِ إِمَّا  
صِغَةَ جَسَدٍ كَالزُّعْفَرَانِ فِي التَّوْبِ الْأَيْضِ حَتَّى يَعْمَلَ فِيهِ وَهُوَ مُضْحِكٌ مُتَقَبِّلٌ التَّرَكِيبِ  
وَالصِّغَةُ الثَّانِي تَقْلِبُ الْجَوْهَرِ مِنْ جَوْهَرٍ نَفْسِهِ إِلَى جَوْهَرٍ غَيْرِهِ وَتَوْنِهِ كَتَقْلِبِ  
الشَّجَرِ بِلِ التَّرَابِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَلْبِ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ إِلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَصِيرَ التَّرَابُ نَبَاتًا  
وَالنَّبَاتُ حَيَوَانًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِالرُّوحِ الْحَيِّ وَالْكَيَانَ الْفَاعِلِ الَّذِي لَهُ تَوَلِيدُ  
الْأَجْرَامِ وَقَلْبِ الْأَعْيَانِ فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَقُولُ إِنَّ الْعَمَلَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِمَّا  
فِي الْحَيَوَانَ وَإِمَّا فِي النَّبَاتِ وَبِرَّهَانِ ذَلِكَ أَنََّّهُمَا مَطْبُوعَانِ عَلَى الْغِذَاءِ وَبِهِ قِيَامُهُمَا  
وَتَمَامُهُمَا فَأَمَّا النَّبَاتُ فَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْحَيَوَانَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْقُوَّةِ وَلِذَلِكَ قَلَّ خَوْضُ  
الْحُكْمَاءِ فِيهِ وَأَمَّا الْحَيَوَانَ فَهُوَ آخَرُ الْأَسْمَحَاتِ الثَّلَاثِ وَنَهَائِيهَا ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْدِنَ  
يَسْتَحِيلُ نَبَاتًا وَالنَّبَاتُ يَسْتَحِيلُ حَيَوَانًا وَالْحَيَوَانَ لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى شَيْءٍ هُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ  
إِلَّا أَنْ يَتَعَكَّسَ رَاجِعًا إِلَى الْغَلْظِ وَأَنَّهُ أَيْضًا لَا يُوْجَدُ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ تَعَلَّقَ فِيهِ الرُّوحُ  
أَلَحِيَّةٌ غَيْرُهُ وَالرُّوحُ أَلْطَفُ مَا فِي الْعَالَمِ وَلَمْ تَعَلَّقِ الرُّوحُ بِالْحَيَوَانَ إِلَّا بِمِثْلِ كَلْبِهِ  
إِيَّاهَا فَأَمَّا الرُّوحُ الَّذِي فِي النَّبَاتِ فَإِنَّهَا بِسِيرَةٍ فِيهَا غَلْظٌ وَكَثَافَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَعْرِفَةٌ  
كَامَنَةٌ فِيهِ لِعَاطِطِهَا وَغَلْظُ جَسَدِ النَّبَاتِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ لِعَاطِطِهَا وَغَلْظِ رُوحِهِ وَالرُّوحُ  
الْمُسْتَعْرِفَةُ أَلْطَفُ مِنَ الرُّوحِ الْكَامَنَةِ كَثِيرًا وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَعْرِفَةَ لَهَا قَبُولُ الْغِذَاءِ  
وَالنَّظَرُ وَالنَّفْسُ وَلَيْسَ لِلْكَامَنَةِ غَيْرُ قَبُولِ الْغِذَاءِ وَحَدَهُ وَلَا تَجَرِي إِذَا قِيسَتْ بِالرُّوحِ  
الْحَيَّةِ إِلَّا كَالْأَرْضِ عِنْدَ الْمَاءِ كَذَلِكَ النَّبَاتُ عِنْدَ الْحَيَوَانَ فَالْعَمَلُ فِي الْحَيَوَانَ أَعْلَى  
وَأَرْفَعُ وَأَهْوَنُ وَأَبْسَرُ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا عَرَفَ ذَلِكَ أَنْ يُجَرِّبَ مَا كَانَ سَهْلًا وَيَتَرَكَ مَا  
يَغْشَى فِيهِ عَسِيرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَيَوَانَ عِنْدَ الْحُكْمَاءِ يَنْقَسِمُ أَقْسَامًا مِنَ الْأُمُتَاتِ الَّتِي  
هِيَ الطَّبَائِعُ وَالْحَدِيثَةُ الَّتِي هِيَ الْمَوَالِيدُ وَهَلَاكَ مَعْرُوفٌ مَتَبَسِّرٌ الْقَهْمِ فَلِذَلِكَ قَسَمَتْ

الْحُكْمَاءُ الْعُنَايَةَ وَالْمَوَالِدَ أَفْسَامًا حَيَّةً وَأَفْسَامًا مَيِّتَةً فَبَعَثُوا كُلَّ مُخَرِّجٍ فَادِلًا  
 حَيًّا وَكُلَّ سَاكِنٍ مَفْعُولًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. وَفِي الْأَجْسَادِ الذَّائِبَةِ  
 وَفِي الْعَقَاقِيرِ الْمَعْدِنَةِ فَسَمَوْا كُلَّ شَيْءٍ يَدُوبُ فِي النَّارِ وَيُطِيرُ وَيَشْتَعِلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
 عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ فَسَمَوْا كُلَّ مَا أَفْصَلَ مِنْهَا طَبَائِعَ أَرْبَعًا  
 حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفَصِلْ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفِي هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفَصِلُ فُصُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعَيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الشَّجَرِ الذَّيْبِيِّ فِي  
 الْحَيَوَانِ فَبَحَثُوا عَنْ جَنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَشَكَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
 وَقَدْ يَشْكِي مِثْلَ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَاقِيرِ وَخَلَطُهَا ثُمَّ تَفَصَّلَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتُ فَمِنْهُ مَا يَنْفَصِلُ بَعْضُ هَذِهِ الْفُصُولِ مِثْلَ الْأَشْتَانِ وَأَمَّا الْمَعَادِنُ فَفِيهَا  
 أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مُرِجَتْ وَدُبِّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْثِيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
 ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَوَانُ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ وَتَذْيِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
 الشَّجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانِ وَطَرِيقُ وَجُودِهِ إِنَّا بَيِّنَّا أَنَّ الْحَيَوَانَ أَرْفَعَ الْمَوَالِدِ وَكَذَا  
 مَا تَرَكَّ مِنْهُ فَهُوَ أَلْطَفُ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ أَلْطَفَ مِنَ الْأَرْضِ  
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرٍ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ فَوَجِبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةُ وَالرِّقَّةُ وَكَذَا  
 هَذَا الشَّجَرُ الْحَيَوَانِيُّ يَمْنُزِلُهُ النَّبَاتُ فِي التُّرَابِ وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ شَيْءٌ  
 يَنْفَصِلُ طَبَائِعَ أَرْبَعًا غَيْرُهُ فَأَفْهَمَ هَذَا الْقَوْلُ فَإِنَّهُ لَا يَكْدُ يَخْفَى إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجَاهِلَةِ  
 وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الشَّجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جَنْسَهُ وَأَنَا أَتْبَعُ لَكَ  
 وَجْهَهُ تَذْيِيرَهُ حَتَّى يَكْمَلَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْأَنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُجَّانُهُ  
 (التدبير على بركة الله) خَذِ الشَّجَرَ الْكَرِيمَ فَأَوْدِعْهُ الْقُرْعَةَ وَالْإِنْبِيقَ وَفَصِّلْ  
 طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعَ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَهِيَ الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ فَإِذَا عَزَلْتَ  
 الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْفَعْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِيَّانِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخُذِ الْهَاطِطَ  
 أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ الثُّفْلُ فَأَغْسِلْهُ بِالنَّارِ الْخَارَةِ حَتَّى تَذْهَبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادُهُ وَيَزُولَ  
 غَلْظُهُ وَجَنَافَتُهُ وَيَبْضُغَ تَبْيِضًا مُحْكَمًا وَطَيِّرْ عَنْهُ فُضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَجَنَّةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
 يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَيْضًا لَا ظِلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَسَخَ وَلَا تَضَادَ ثُمَّ أَعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
 الْأُولِ الصَّاعِدَةِ مِنْهُ فَطَيِّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِ وَكَرِّرْ عَلَيْهَا الْغَسْلَ وَالتَّصْفِيَةَ

حَتَّى تَلْطُبُ وَتَرِقَ وَتَصْفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ قَابِدًا بِالتَّرْكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرْكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوَجُّعِ وَالْعَفْنِ فَأَمَّا التَّوَجُّعُ  
 فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْعَلِيطِ وَأَمَّا الْعَفْنُ فَهُوَ التَّمَشُّيَةُ وَالسَّخَقُ حَتَّى يَخْتَلِطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَبَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَقْصَانَ بِمَنْزِلَةِ الْإِمْتِزَاجِ بِالْمَاءِ فَعِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْعَلِيطُ عَلَى إِسْكَائِ اللَّطِيفِ وَتَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ وَالذَّيْبِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجِدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرْكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْعَحْلُولَ لَمَّا أَرْدَوْجَ بِالرُّوحِ مَا زَجَّهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنَشَأِ كُلِّهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجِبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَعْزُضَ الرُّوحُ مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ وَالْبَقَاءِ وَالثَّبُوتِ وَمَا يَعْزُضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْإِمْتِزَاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا امْتَزَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِمُخْدَمَةِ الذَّنْبِ أَخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرِينَ أَغْنَى الرُّوحُ وَالْجَسَدَ وَصَارَتْ هِيَ وَهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْجُزْءِ الْكُلِّيِّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَاعُهُ وَاتَّفَقَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أَتَى هَذَا الْمَرْكَبَ الْجَسَدَ الْعَحْلُولَ وَالْحَافِظَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْعَحْلُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْأَشْتِعَالُ وَتَعَلَّقَ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ التَّعَلُّقَ بِهَا مَنَعَهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ بِالنَّفْسِ مُمَازَجَةُ الْمَاءِ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تَنْجِدُ بِالذَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شَأْنِهِ النُّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا لَحَّتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِيرَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْيَاسِ الْمُمَازِجُ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّيْرَانِ فَكَانَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةً لِإِسْكَائِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ عِلَّةً لِبَقَاءِ الذَّهْنِ وَالذَّهْنُ عِلَّةً لِنَبَاتِ الصَّبْغِ وَالصَّبْغُ عِلَّةً  
 لظُهُورِ الذَّهْنِ وَإِظْهَارِ الذَّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الدُّظْلَامَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَهَذَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَقِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ وَهَذِهِ التَّنْصِيبَةُ الَّتِي سَأَلْتُ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 سَمَّيْتُهَا الْحُكْمَاءَ يَبْضَةً وَإِبَاهَا يَعْنُونَ لَا يَبْضَةُ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ تُسَمَّيْهَا  
 بِهَذَا الْأِسْمِ لِغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشَبَّهَتْهَا وَلَقَدْ سَأَلْتُ مُسْلِمَةً عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتَ الْحُكْمَاءَ مَرْكَبَ الْحَيَوَانِ  
 يَبْضَةً أَخْيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَايَ إِلَيْهِ فَقَالَ بَلْ لِمَعْنَى غَايِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْعَمَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوا  
 وَمَمَوَّهَا يَبْضَةً فَقَالَ لِشَبَّهَهَا وَقَرَابَتِهَا مِنَ الْمَرْكَبِ فَفَكَّرَ فِيهِ فَإِنَّهُ سَيُظْهِرُ لَكَ مَعْنَاهُ

فَبَقِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَرًا لَا أَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكْرِ  
وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيفَةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
لِلنِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي كَمِّيَةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِفِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَتَجَلَّتْ  
عَنِّي الظُّلْمَةُ وَأَضَاءَ لِي نُورٌ قَلْبِي وَقَوِيَ عَقْلِي عَلَى فَهْمِهِ فَهَضْتُ شَاكِرًا اللَّهَ عَلَيْهِ إِلَى  
مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شَكْلًا هِنْدَسِيًّا يُبْرهنُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ مَسْلَمَةٌ وَأَنَا وَاضِعُهُ  
لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْكَبَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ كَانَ نِسْبَةُ مَا فِيهِ مِنْ  
طَبِيعَةِ أَهْوَاءٍ كَنِسْبَةِ مَا فِي الْمَرْكَبِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْأُخْرَيَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ عَلَى هَذِهِ  
الْصِفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ تَجَعَلَ لِسَطْحِ الْبَيْضَةِ هِزُوحٌ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
نَأْخُذُ أَقْلَ طَّبَائِعِ الْمَرْكَبِ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
وَنُذَبِّرُهُمَا حَتَّى تَنْشَفَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ طَبِيعَةُ الرُّطُوبَةِ وَتُقْبَلَ قُوَّتُهَا وَكَأَنَّ فِي هَذَا  
الْكَلَامِ رَمْزًا وَلَكِنَّهُ لَا يَغْنَى عَلَيْكَ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مِثْلَهُمَا مِنَ الرُّوحِ  
وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَعْدَ التَّذْيِيرِ مِثْلًا مِنْ  
طَبِيعَةِ أَهْوَاءِ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَجْزَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْيُبُوسَةِ  
بِالْقُوَّةِ وَتَجْعَلُ تَغْتِ كُلِّ ضَاعَتَيْنِ مِنَ الْمَرْكَبِ الَّذِي طَبِيعَتُهُ نَحِيطَةٌ بِسَطْحِ الْمَرْكَبِ  
طَبِيعَتَيْنِ فَتَجْعَلُ أَوَّلَ الضَّاعَتَيْنِ النُّحِيطَتَيْنِ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةَ الْمَاءِ وَطَبِيعَةَ أَهْوَاءِ وَهُمَا ضَالِعَا  
أَحَدٍ وَسَطْحُ الْيَمِّ وَكَذَلِكَ الضَّاعَتَانِ النُّحِيطَتَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ اللَّذَانِ هُمَا الْمَاءُ وَأَهْوَاءُ  
ضَالِعَا هِزُوحٍ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ الْيَمِّ يُشَبِّهُ سَطْحَ هِزُوحِ طَبِيعَةِ أَهْوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْسًا وَكَذَلِكَ  
يَجِي مِنْ سَطْحِ الْمَرْكَبِ وَالْحُكْمَاءُ لَمْ تُسَمَّ شَيْئًا بِأَسْمٍ شَيْءٍ إِلَّا لَشَبِّهِهِ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُنْعَقِدَةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسَّنَلِيَّةِ  
وَالنَّحَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حُمِرَ بِالزَّاجِ حَتَّى صَارَ  
مُحَاسِيًا وَالْمَغْنِيسِيَّا حَجَرُهُمُ الَّذِي تَجْمَدُ فِيهِ الْأَزْوَاجُ وَتُخْرِجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
تَسْتَحِجُّ فِيهَا الْأَزْوَاجَ لِتُقَابَلَ عَلَيْهَا النَّارُ وَالْفَرْقَةُ لَوْ أَنَّ أَحَدًا قَانَ يَحْدِثُهُ الْكَيَانُ  
وَالرَّصَاصُ حَجَرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٍ الشُّخُوصِ وَلَكِنَّهَا مُشَاكِلَةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
فَالْوَحْدَةُ رُوحَانِيَّةٌ نَبْرَةٌ صَافِيَّةٌ وَهِيَ الْفَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ حَسَّاسَةٌ



غَيْرَ أَنَّهَا أَغْلَطَ مِنَ الْأُولَى وَمَرَكَزَهَا دُونَ مَرَكَزِ الْأُولَى وَالثَّالِثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةِ حَاسَةِ قَاضِيَةٍ مُنْعَكِسَةٍ إِلَى مَرَكَزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ جَمِيعًا وَالْحَبِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَمُبْتَدَعَةٌ وَخُتَرَعَةٌ إِبْسَاسًا عَلَى الْجَاهِلِ وَمِنْ عَرَفَ الْمُقَدَّمَاتِ اسْتَغْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ مُفَسِّرًا وَتَرْجُومًا يَتَوَفَّقِي اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ بَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسَامَةِ الْمَجْرِبِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالسِّحْرِ وَالسَّحَرِ فِي الْقَرْنِ الثَّالثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْفَاضِلُ كُلَّهُ فِي الصَّنَاعَةِ إِلَى الْأَرْضِ وَالْأَلْفَازِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبِينُ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصُنَاعَةٍ طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي بَعْضُهُ الْوَاقِعُ أَنَّهَا مِنْ حِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ تَوْنِ الْكِرَامَةِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ تَوْنِ السَّحَرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرًا فَاجْرَةٌ فَأَمَّا الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السَّحَرُ فَلَأَنَّ السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ مُحَقِّقِهِ بِقَلْبِ الْأَعْيَانِ الْمَادِّيَةِ بِقُوَّتِهِ السَّحَرِيَّةِ وَلَا يَدُلُّهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فِعْلُهُ السَّحَرِيُّ فِيهَا كَتَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوْ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجُعْلَةِ مِنْ غَيْرِ مَادَّتِهَا الْخَصُوصَةِ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْحَيَالِ وَالْعَصِيِّ وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ سَحَرَةِ السُّودَانِ وَالْهُدُودِ فِي قَاصِيَةِ الْجَنُوبِ وَالتَّرَكِّ فِي قَاصِيَةِ الشَّمَالِ أَنَّهُمْ يَسْحَرُونَ الْجَوَّ لِلْأَمْطَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيقًا لِلذَّهَبِ فِي غَيْرِ مَادَّتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ كَانَ مِنْ قِبَلِ السَّحَرِ وَالْمُسْكَلُمُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرٍ وَمَسْلَمَةَ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَمِ إِثْمًا تَحْوَاهُمَا هَذَا الْمَنْحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ أَلْفَاذًا حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ إِنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السَّحَرِ وَأَنَوَاعِهِ لَا أَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الصَّنَاعَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيِي مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَانْظُرْ كَيْفَ سَمَى مَسَامَةَ كِتَابَهُ فِيهَا رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَسَمَى كِتَابَهُ فِي السَّحَرِ وَالطَّلَسَّمَاتِ غَايَةَ الْحَكِيمِ إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْغَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْغَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّتْبَةِ فَكَانَ مَسَائِلَ الرُّتْبَةِ بَعْضُ مِنْ مَسَائِلِ الْغَايَةِ وَتَشَارَكَهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْفَتَنِ يَتَبَيَّنُ مَا قُلْنَاهُ وَنَحْنُ نَبِينُ فِيمَا بَعْدَ غَلَطٍ مِنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها

هَذَا الْفَصْلُ وَمَا بَعْدَهُ مِنْهُمْ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَارِضَةٌ فِي الْعُمُرَانِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَدُنِ وَضَرَرُهَا فِي الدِّينِ كَثِيرٌ فَوَجَبَ أَنْ يُدْعَى بِشَأْنِهَا وَيُكْشَفَ عَنِ الْمَعْتَقَدِ الْحَقِّ فِيهَا وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ عَقَلَاءِ الذُّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ الْحِسِّيَّ مِنْهُ وَمَا وَرَاءَ الْحِسِّيِّ تَذَرُكَ أَدَوَاتُهُ وَأَحْوَالُهُ بِأَسْبَابِهَا وَعِلَلِهَا بِالْإِنْظَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَفْسَسَةِ الْعَقَلِيَّةِ وَأَنَّ تَصَحُّحَ الْعَقَائِدِ إِلَّا بِعَيْنَانِ مِنْ قِبَلِ الْإِنْظَارِ لِأَنَّ جِهَةَ السَّمْعِ فَإِنَّهَا بَعْضٌ مِنْ مَدَارِكِ الْعَقْلِ وَهَؤُلَاءِ يُسَمُّونَ فَلَاسَفَةً جَمْعَ فِيلَسُوفٍ وَهُوَ بِاللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ نَحْبُ الْحِكْمَةِ فَجَنَحُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَمَرَّوْا لَهُ وَحَوَّوْا عَلَى إِصَابَةِ الْفَرَضِ مِنْهُ وَوَضَعُوا قَانُونًا يَهْدِي بِهِ الْعَقْلُ فِي نَظَرِهِ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَمَّوْهُ بِالْمَنْطِقِ وَحَصَلَ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْظَارَ الَّذِي يَفِيدُ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي الْمَعَانِي الْمُنْتَزَعَةِ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ فَيَجْرَدُ مِنْهَا أَوَّلًا صُورٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَمَا يَنْطَبِقُ الطَّابِعُ عَلَى جَمِيعِ النُّفُوسِ الَّتِي تَرْتَبِعُهَا فِي طِينٍ أَوْ شَعَمٍ وَهَذِهِ مُجَرَّدَةٌ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ تُسَمَّى الْمَقُولَاتِ الْأَوَّالِ ثُمَّ تَجْرَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي الْهَكْلِيَّةِ إِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً مَعَ مَعَانٍ أُخْرَى وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَنْهَا فِي الذَّهْنِ فَتَجْرَدُ مِنْهَا مَعَانٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي أَشْتَرَكْتَ بِهَا ثُمَّ تَجْرَدُ ثَانِيًا إِنْ شَارَكَهَا غَيْرُهَا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ التَّجَرُّدُ إِلَى الْمَعَانِي الْبَسِيطَةِ الْكَلْبِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْأَشْخَاصِ وَلَا يَكُونُ مِنْهَا تَجَرُّدٌ بَعْدَ هَذَا وَهِيَ الْأَجْنَاسُ الْعَالِيَةُ وَلِهَذَا الْمَجْرَدَاتُ كُلُّهَا مِنْ غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ هِيَ مِنْ حَيْثُ تَأْلِيفُ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ مِنْهَا تُسَمَّى الْمَقُولَاتِ الثَّوَانِي فَإِذَا نَظَرَ الْفِكْرُ فِي هَذِهِ الْمَقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَطَلَبَ تَصَوُّرَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ فَلَا بَدَّ لِلذَّهْنِ مِنْ إِضَافَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقَى بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْيَقِينِيِّ لِيَحْصَلَ تَصَوُّرُ الْوُجُودِ تَصَوُّرًا صَحِيحًا مُطَابِقًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِقَانُونٍ صَحِيحٍ كَمَا مَرَّ وَصِنْتُ التَّصْدِيقَ الَّذِي هُوَ تِلْكَ الْإِضَافَةُ وَالْحُكْمُ مُحَقَّقٌ عَنْدهُمْ عَلَى صِنْفِ التَّصَوُّرِ فِي الدَّهَابَةِ وَالتَّصَوُّرُ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ فِي الْبِدَاءِ وَالْعَلِيمُ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ النَّامَ عَنْدهُمْ هُوَ غَايَةُ الطَّلَبِ الْأِدْرَاكِيِّ وَإِنَّمَا

التَّصَدِيقُ وَسِيلَةٌ لَهُ وَمَا تَسْمَعُهُ فِي كُتُبِ الْمُنْطَقِيِّينَ مِنْ تَقْدِيمِ النَّصْرِ وَتَوْفِيقِ  
التَّصَدِيقِ عَلَيْهِ فِيمَعْنَى الشُّعُورِ لَا يَمَعْنَى الْعِلْمِ النَّامُ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ كَبِيرِهِمْ أَرِسْطُو  
ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا مَا فِي الْحَسِّ وَمَا وَرَاءَ الْحَسِّ  
بِهَذَا النَّظَرِ وَبِذَلِكَ الْبَرَاهِينُ وَحَاصِلُ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّوَجُّدِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَمَا آتَى إِلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي  
فَرَعَا عَلَيْهِ قَضَايَا أَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ عَثَرُوا أَوَّلًا عَلَى الْجِسْمِ السُّفْلِيِّ بِحُكْمِ الشُّهُودِ وَالْحَسِّ ثُمَّ تَرَفَّقُوا  
إِذْرَاكُهُمْ قَلِيلًا فَاشْتَعَرُوا بِوُجُودِ النَّفْسِ مِنْ قِبَلِ الْحَرَكَةِ وَالْحَسِّ فِي الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ أَحْسَنُوا مِنْ  
قُوَى النَّفْسِ يَسُلْطَانَ الْعَقْلِ وَوَقَفَتْ إِذْرَاكُهُمْ فَقَضَوْا عَلَى الْجِسْمِ الْعَالِيِّ السَّمَاوِيِّ بِتَحْوِيلِ الْقَضَاءِ  
عَلَى أَمْرِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَوَجَبَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ عَقْلٌ كَمَا لِلْإِنْسَانِ ثُمَّ  
أَنَّهُوَ ذَلِكَ نِهَايَةً عَدَدِ الْأَحَادِ وَهِيَ الْعَشْرُ تِسْعَ مَفْصَلَةٍ ذَوَاتِهَا جُمْلٌ وَوَاحِدٌ أَوَّلٌ مُفْرَدٌ  
وَهُوَ الْعَاشِرُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ التَّوَجُّدِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ مِنَ الْقَضَاءِ مَعَ  
تَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَخَلُّقِهَا بِالْقَضَائِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ لِتَمْيِيزِهِ  
بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ بِمُقْتَضَى عَقْلِهِ وَنَظَرِهِ وَمِثْلِهِ إِلَى التَّحْمُودِ مِنْهَا  
وَأَجْنَابِهِ لِلْمَذْمُومِ بِفِطْرَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ حَصَلَتْ لَهَا الْبَهْجَةُ وَالْبُدَّةُ وَأَنَّ  
الْجَهْلَ بِذَلِكَ هُوَ الشَّقَاءُ السَّرْمَدِيُّ وَهَذَا عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْنَى الْعَيْمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى  
خَبْطِ لَهُمْ فِي تَنَاصُلِ ذَلِكَ مَعْرُوفٍ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَإِمَامُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّذِي حَصَلَ  
مَسَائِلُهَا وَدَوَّنَ عِلْمَهَا وَسَطَّرَ حُجَجَهَا فِيمَا بَلَغْنَا فِي هَذِهِ الْأَحْقَابِ هُوَ أَرِسْطُو الْمَقْدُونِيُّ مِنْ  
أَهْلِ مَقْدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ تَلَامِيذِ أَفْلَاطُونٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْأَيْسْكَندَرِ وَيُسَمُّونَهُ  
الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ عَلَى الْأُتْلَاقِ يَعْنُونَ مُعَلِّمَ صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ مَهْدَبَةٌ  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ قَانُونَهَا وَاسْتَوْفَى مَسَائِلَهَا وَأَحْلَسَ بَسْطَهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِي ذَلِكَ الْقَانُونِ  
مَا شَاءَ لَوْ تَكَفَّلَ لَهُ بِقَصْدِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ أَخَذَ  
بِتِلْكَ الْمَذَاهِبِ وَاتَّبَعَ فِيهَا رَأْيَهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ وَذَلِكَ أَنَّ كُتُبَ  
أَوَّلِيكَ الدُّخْدِيِّينَ لَمَّا تَرَجَّمَتْ لَخْلَفَاءَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى اللِّسَانِ  
الْعَرَبِيِّ تَصَفَّحَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمَةِ وَأَخَذَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ مِنْ مُتَتَجِلِي  
الْعُلُومِ وَجَادَلُوا عَنْهَا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَفَارِيعِهَا وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ أَبُو نَصْرِ النَّفَارِائِيُّ  
فِي أَلَمَائَةِ الرَّابِعَةِ لِعَهْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي أَلَمَائَةِ الْخَامِسَةِ لِعَهْدِ نِظَامٍ

الْمَلِكِ مِنْ بَنِي بُوَيْهٍ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرُهَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَاطِلٌ  
 بِمَجْمَعِ وَجُوهِهِ فَأَمَّا اسْتِنَادُهُمُ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا إِلَى الْعَقْلِ الْأَوَّلِ وَانْكَفَاؤُهُمْ بِهِ فِي  
 التَّرْتِيقِ إِلَى التَّوْحِيدِ فَهُوَ قُصُورٌ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُتَبِ خَلْقِ اللَّهِ فَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نَطاقًا  
 مِنْ ذَلِكَ وَيَتَخَلَّقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَهُمْ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى اثْبَاتِ الْعَقْلِ فَقَطْ وَالْعَقْلُ عَمَّا  
 وَرَاءَهُ بِمَثَابَةِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى اثْبَاتِ الْأَجْسَامِ خَاصَّةً الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْعَقْلِ  
 وَالْعَقْلُ الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْجِسْمِ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ . وَأَمَّا الْبُرَاهِينُ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا  
 عَلَى مَدْعِيَاتِهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْرُضُونَهَا عَلَى مِيعَارِ الْمَنْطِقِ وَقَانُونِهِ فَبُعْدٌ وَغَيْرُ  
 وَاقِعَةٍ بِالْفَرَضِ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الطَّبِيعِيَّ فَوَجْهُ  
 قُصُورِهِ أَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ تِلْكَ النَتَائِجِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِالْحُدُودِ وَالْأَفْسَسَةِ كَمَا  
 فِي زَعْمِهِمْ وَبَيْنَ مَا فِي الْخَارِجِ غَيْرُ يَقِينٍ لِأَنَّ تِلْكَ أَحْكَامَ ذَهْنِيَّةٍ كَلِمَةٍ عَامَّةٍ  
 وَالْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ مُتَشَخَّصَةٌ بِمَوَادِّهَا وَلَعَلَّ فِي الْمَوَادِّ مَا يَمْنَعُ مُطَابَقَةَ الذِّهْنِيَّةِ  
 الْكُلِّيَّةِ لِلْخَارِجِيِّ الشَّخْصِيِّ . اللَّهُمَّ إِلَّا مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ الْحَسَنُ مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلُهُ شُهُودُهُ  
 لَا تِلْكَ الْبُرَاهِينُ فَإِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي يَحْدُوثُهُ فِيهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الذِّهْنِ أَيْضًا  
 فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلِ الْمُطَابَقَةِ لِلشَّخْصِيَّاتِ بِالصُّورِ الْخَيَالِيَّةِ لَا فِي الْمَعْقُولَاتِ التَّوَانِي  
 الَّتِي تَجَرِّدُهَا فِي الرُّتَبَةِ الثَّانِيَةِ فَيَكُونُ الْحُكْمُ حِينَئِذٍ يَقِينًا بِمَثَابَةِ انْحِسُوسَاتِ إِذِ  
 الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلِ أَقْرَبُ إِلَى مُطَابَقَةِ الْخَارِجِ لِكَمَالِ الْأَنْطِبَاقِ فِيهَا فَتُسَلِّمُ لَهُمْ حِينَئِذٍ  
 دَعَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا إِذْ هُوَ مِنْ تَرْكِ الْمُسْلِمِ  
 لِمَا لَا يَعْنِيهِ فَإِنَّ مَسَائِلَ الطَّبِيعِيَّاتِ لَا نَهْمُنَا فِي دِينِنَا وَلَا مَعَاشِنَا فَوَجِبَ عَلَيْنَا تَرْكُهَا .  
 وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي وَرَاءَ الْحَسَنِ وَهِيَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ  
 الْإِلَهِيَّ وَعِلْمَ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ ذَوَاتَهَا مَجْهُولَةٌ رَأْسًا وَلَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا وَلَا  
 الْبُرْهَانُ عَلَيْهَا لِأَنَّ تَجَرِّدَ الْمَعْقُولَاتِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ  
 مُمَكِّنٌ فِيمَا هُوَ مُذْرَكٌ لَنَا وَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ الذَّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةَ حَتَّى تَجَرَّدَ مِنْهَا مَا هِيَ  
 أُخْرَى بِمَجَابِ الْحَسَنِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يَتَأَقَّى لَنَا بُرْهَانٌ عَلَيْهَا وَلَا مُدْرِكٌ لَنَا فِي اثْبَاتِ  
 وَجُودِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ إِلَّا مَا نَجِدُهُ بَيْنَ جَنِينِنَا مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ مَدَارِكِهَا  
 وَخُصُوصًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي هِيَ وَجْدَانِيَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا

فَأَمْرٌ غَامِضٌ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَقَدْ صَرَحَ بِذَلِكَ مُحَقِّقُهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ مَا لَا مَبَادَةَ لَهُ لَا يُمْكِنُ الْبَرَهَانُ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبَرَهَانِ مِنْ شَرَطِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً وَقَالَ كَبِيرُهُمْ أَفَلَا طُلُونُ إِنَّ الْأَلْهِيَّاتِ لَا يُوَصَّلُ فِيهَا إِلَى اثْنَيْنِ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا بِالْأَخْلُقِ وَالْأَوَّلَى بَعْنِي الظَّنُّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّمَا نَحْصُلُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالتَّصَبُّ عَلَى الظَّنِّ فَقَطُّ فَيَكْفِينَا الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا نَأْيً فَائِدَةً لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالِاشْتِغَالِ بِهَا وَتَحْنُ إِنَّمَا عَيْنَانَا بِتَحْصِيلِ الْيَقِينِ فِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْأَفْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِشَكْلِ الْبَرَاهِينِ فَقَوْلُ مُزَيَّتْ مُرَدُّودٌ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِنْ جُزْءَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِي وَالْآخَرُ رُوحَانِي مُمْتَزَجٌ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْءَيْنِ مَدَارِكٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ وَالْمَدْرِكُ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَهُوَ الْجُزْءُ الرُّوحَانِي يُدْرِكُ تَارَةً مَدَارِكَ رُوحَانِيَّةً وَتَارَةً مَدَارِكَ جِسْمَانِيَّةً إِلَّا أَنَّ الْمَدَارِكَ الرُّوحَانِيَّةَ يُدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِوَاسِطَةِ آلَاتِ الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِّ وَكُلُّ مَدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يُدْرِكُهُ وَاعْتِرَاضٌ بِحَالِ الصَّيِّ فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِوَاسِطَةٍ كَيْفَ يَتَهَيَّجُ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الصَّوِّ وَبِمَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا يَغْتَبِرُ وَاسِطَةً يَكُونُ أَشَدَّ وَالَّذِ فَالْنَّفْسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعَرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا يَغْتَبِرُ وَاسِطَةً حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الْإِدْرَاكِ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكُشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَنِسْيَانِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ وَالْمَتَصَوِّفَةُ كَثِيرًا مَا يُعْتَوْنَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ النُّجْمَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالرِّيَاضَةِ إِمَانَةَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرُ مِنَ الدِّمَاغِ وَيَحْصُلُ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوَاغِبِ وَالْمَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ بِهَيْجَةٍ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صَحَّةِ مُسَلِّمٍ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبَرَاهِينَ وَالْأَدَلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ حَصَلَتْ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْإِبْتِهَاجِ عَنْهُ قَبَاطِلٌ كَمَا رَأَيْتَهُ إِذِ الْبَرَاهِينُ وَالْأَدَلَّةُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةِ لَا نَهَا بِأَقْوَى الدِّمَاغِيَّةِ مِنَ الْخَبَالِ وَالْفِكْرِ وَالَّذِي نَحْنُ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ إِمَانَةُ هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ فَادْرَحُهُ فِيهِ وَتَجِدُ الْعَامِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا

عَلَى كِتَابِ الشَّيْءِ وَالْإِشَارَاتِ وَالنَّجَاءِ وَتَلَاخِصِ ابْنِ رُشْدٍ لِلْقَصْرِ مِنْ تَأْلِيفِ أَرِسْطُو  
وغيرِهِ يُبْعَثُ أَوْزَاقُهَا وَتَبْتَوَّقُ مِنْ بَرَاهِينِهَا وَتَلْتَمِسُ هَذَا الْقِسْطَ مِنَ السَّعَادَةِ فِيهَا وَلَا  
يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحْكِرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوَانِعِ عَنْهَا وَمُسْتَنْدُهُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَهُ عَنْ  
أَرِسْطُو وَالْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَا أَنَّ مَنْ حَصَلَ لَهُ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْفَعَالِ وَاتَّصَلَ بِهِ فِي حَوَائِجِهِ  
فَقَدْ حَصَلَ حَظُّهُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالْعَقْلُ الْفَعَالُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ رُتْبَةٍ يَنْكَشِفُ  
عَنْهَا الْحِسُّ مِنْ رُتَبِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَحْمِلُونَ الْإِتِّصَالَ بِالْعَقْلِ الْفَعَالِ عَلَى الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ  
وَقَدْ رَأَيْتُ فَسَادَهُ وَإِنَّمَا يَعْني أَرِسْطُو وَأَصْحَابُهُ بِذَلِكَ الْإِتِّصَالَ وَالْإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ النَّفْسِ  
الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِكَشْفِ حِجَابِ الْحِسِّ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
إِنَّ التَّبَهُّجَ النَّاشِئَةَ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ هِيَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا لِأَنَّ  
إِنَّمَا تَبَيَّنَ لَنَا بِمَا قَرَرْنَاهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحِسِّ مُدْرِكًا آخَرَ لِلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَأَنَّهَا تَبْتَهِّجُ  
بِإِدْرَاكِهَا ذَلِكَ أَتْبَهَّجًا شَدِيدًا وَذَلِكَ لَا يَبِينُ لَنَا أَنَّهُ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْآخِرُوعِيَّةِ وَلَا بُدَّ  
بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَاذِ الَّتِي لِلنَّاسِ السَّعَادَةُ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ  
الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَقَوْلٌ بَاطِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا كُنَّا قَدَّمْنَاهُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ  
الْأَوْهَامِ وَالْإِعْطَاطِ فِي أَنَّ الوجودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ مُتَحَصِّرٌ فِي مَدَارِكِهِ وَبَيْنَنَا فَسَادَ  
ذَلِكَ وَإِنَّ الوجودَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ أَوْ يُسْتَوْفَى إِدْرَاكُهُ بِحُمْلَتِهِ رُوحَانِيًّا أَوْ جَسَدِيًّا  
وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَرْنَاهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّوحَانِيَّ إِذَا فَارَقَ الْقُوَى  
الْجَسَدِيَّةَ أَدْرَكَ إِدْرَاكَ ذَاتِهَا لَهُ مُخْتَصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَهِيَ الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي  
أَحَاطَ بِهَا عِلْمُنَا وَلَيْسَ بِعَامٍّ الْإِدْرَاكِ فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا إِذْ لَمْ تَنْتَحِزْ وَأَنَّهُ يَبْتَهِّجُ  
بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْإِدْرَاكِ أَتْبَهَّجًا شَدِيدًا كَمَا يَبْتَهِّجُ الصَّبِيُّ بِمَدَارِكِهِ الْحَسِّيَّةِ فِي أَوَّلِ  
نُشُوءِهِ وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِدْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
بِهَا الشَّارِعَ إِنْ لَمْ نَعْمَلْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا نُوْعِدُونَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ  
بِتَهْدِيبِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِهَا بِمِلَابَسَةِ الْخَيْرِ مِنَ الْخَلْقِ وَمُجَانَبَةِ الْمَذْمُومِ فَأَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى  
أَنَّ أَتْبَهَّجَ لِلنَّفْسِ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِأَنَّ  
الرُّذَائِلَ عَاقِفَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ تَمَامِ إِدْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَكِكَاتِ الْجَسَدِيَّةِ  
وَالْوُحَايَةِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَثَرُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ مِنْ وَرَاءِ الْإِدْرَاكِ كَاتِلِ الْجَسَدِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ

فَهَذَا التَّهْدِيبُ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا تَقَعُهُ فِي الْبَهْجَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِذْرَاكِ  
 أَلْرُوحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَابِيسٍ وَقَوَانِينٍ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
 بِهَا الشَّارِعَ عَلَى امْتِنَالٍ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
 الْأُمْدَرِكِينَ وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ زَعِيمُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سِينَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
 مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَعَادَ أَلْرُوحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَابِيسِ  
 لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعَتِهِ مَحْضُوظَةٌ وَتَبِيرَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَنَا فِي الْبُرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادُ  
 الْجُسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمْكِنُ إِذْرَاكُهُ بِالْبُرْهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
 بَسَطْنَاهُ لَنَا الْتَرْبِعَةَ الْخَمْسَةَ الْمُحْصَدِيَّةَ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِهِ إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
 كَمَا رَأَيْتَهُ غَيْرُ وَافٍ بِمَقاصِدِهِمُ الَّتِي حَوَمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
 وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا عِلْمُنَا إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْذُ الذِّهْنِ فِي تَرْتِيبِ الْأَدَلَّةِ وَالْحُجَجِ  
 لِتَحْصِيلِ مَلَكَتِهِ الْجُودَةِ وَالصَّوَابِ فِي الْبُرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنَّ نَظْمَ الْمُقَابِيسِ وَتَرْكِيبِهَا  
 عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ هُوَ كَمَا مَرَّ طَوْفُ فِي صِنَاعَتِهِمُ الْمُنَظِّقِيَّةَ وَقَوْلِهِمْ بِذَلِكَ  
 فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرٌ مَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
 وَالْعَالَمِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَوِلِي الْأَنْظَارُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبُرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
 مَلَكَتِهِ الْإِتْقَانِ وَالصَّوَابِ فِي الْحُجَجِ وَالْإِسْتِدْلالاتِ لِأَنَّهُا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَافِيَةٍ  
 بِمَقْصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عِلْمَانَهُ مِنْ قَوَانِينِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مَعَ  
 الْأُطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَآرَائِهِمْ وَمَضَارِهَا مَا عَلِمْتَ فَلْيَكُنِ الْأَنْظَارُ فِيهَا مَحْزُورًا  
 جِهْدَهُ مِنْ مَعَاطِيهَا وَلْيَكُنْ نَظَرُ مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِنَانِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
 التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ وَلَا يُكْبِنَنَّ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خُلُوٌّ مِنْ عُلُومِ الْعَمَلَةِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ لِذَلِكَ مِنْ  
 مَعَاطِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ الْمُؤَوِّقَ لِلصَّوَابِ وَلِلْحَقِّ وَالْهَادِيَ إِلَيْهِ وَمَا كُنَّا نَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها  
 هَذِهِ الصِّنَاعَةُ يُزْعَمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ قَبْلَ حُدُوثِهَا  
 مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْمَوْلِدَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ مُفْرَدَةً وَتَجْمَعَةً  
 فَتَكُونُ لِذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفلاكِ وَالْكَوَاكِبِ دَالَّةً عَلَى مَا سَيَعْدُثُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعٍ

الْكَائِنَاتِ الضَّلِيلَةِ وَالْأَشْخَصِيَّةِ فَالْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ قُوَى الْكَوَاكِبِ  
 وَتَأْثِيرَاتِهَا بِالتَّجَرُّبَةِ وَهُوَ أَمْرٌ يُقْصَرُ الْأَعْمَارُ كُلُّهَا لَوْ اجْتَمَعَتْ عَنْ تَفْصِيلِهِ إِذِ التَّجَرُّبَةُ  
 إِنَّمَا تَحْصُلُ فِي الْمَرَّاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ بِالتَّكَرُّارِ لِيَحْصَلَ عَنْهَا الْعِلْمُ أَوِ الظَّنُّ وَأَدْوَارُ  
 الْكَوَاكِبِ مِنْهَا مَا هُوَ طَوِيلُ الزَّمَنِ فَيَحْتَاجُ تَكَرُّرُهُ إِلَى آمَادٍ وَأَحْقَابٍ مَطْوَالَةٍ  
 يَتَقَاصَرُ عَنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ مِنْ أَعْمَارِ الْعَالَمِ وَرَبَّمَا ذَهَبَ ضَعْفَاءُ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ  
 قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا كَانَتْ بِالْوَحْيِ وَهُوَ رَأْيٌ فَائِلٌ وَقَدْ كَفَوْنَا مُؤَنَّةَ إِبْطَالِهِ  
 وَمَنْ أَوْضَحَ الْأَدِلَّةَ فِيهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ  
 الصَّنَائِعِ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِلْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَنِ اللَّهِ فَكَيْفَ  
 يَدْعُونَ اسْتِنْبَاطَهُ بِالصَّنَاعَةِ وَيُشِيرُونَ بِذَلِكَ لِتَابِعِيهِمْ مِنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا بَطْلِمُسُ وَمَنْ  
 تَبِعَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَيَرَوْنَ أَنَّ دَلَالََةَ الْكَوَاكِبِ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ طَبِيعِيَّةٌ مِنْ قِبَلِ مَزَاجِ  
 يَحْصُلُ لِلْكَوَاكِبِ فِي الْكَائِنَاتِ الْعُنْصُرِيَّةِ قَالَ لِأَنَّ فِعْلَ النَّارِ وَآثَرَهَا فِي الْعُنْصُرِيَّاتِ  
 ظَاهِرٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْدُهُ مِثْلَ فِعْلِ الشَّمْسِ فِي تَبْدُلِ الْفُصُولِ وَأَمْرِ جَنَّتِهَا وَنُضْجِ الثَّمَارِ  
 وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِعْلُ الْقَمَرِ فِي الرُّطُوبَاتِ وَالْمَاءِ وَإِنْضَاجِ الْمَوَادِّ الْمُتَعَفِّنَةِ  
 وَقَوَاكِهِ الْفَنَاءِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ ثُمَّ قَالَ وَلَنَأْفِيَا بَعْدَهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ طَرِيقَانِ الْأَوَّلَى التَّقْلِيدُ  
 لِمَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ أَيْمَةِ الصَّنَاعَةِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُقْنِعٍ لِلنَّهْسِ الثَّانِيَةِ الْخُدُسُ وَالتَّجَرُّبَةُ  
 بِقِيَاسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى التَّيْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَرَفْنَا طَبِيعَتَهُ وَأَثَرَهُ مَعْرِفَةُ ظَاهِرَةٍ  
 فَتَنْظُرُ هَلْ يَزِيدُ ذَلِكَ الْكَوَكَبُ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي قُوَّتِهِ وَمَزَاجِهِ فَتَعْرِفُ مُوَافَقَتَهُ لَهُ فِي  
 الطَّبِيعَةِ أَوْ يَنْقُصُ عَنْهَا فَتَعْرِفُ مُضَادَّتَهُ ثُمَّ إِذَا عَرَفْنَا قُوَّاهَا مُفْرَدَةً عَرَفْنَاها مُرَكَّبَةً وَذَلِكَ  
 عِنْدَ تَنَازُلِهَا بِأَشْكَالِ الثَّلَاثِ وَالزَّرْبِ وَغَيْرِهَا وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ طَبَائِعِ  
 الْبُرُوجِ بِالْقِيَاسِ أَيْضًا إِلَى التَّيْرِ الْأَعْظَمِ وَإِذَا عَرَفْنَا قُوَى الْكَوَاكِبِ كُلِّهَا فِيهِ  
 مُؤَثَرَةٌ فِي الْهَوَاءِ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ وَالْمَزَاجُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْهَوَاءِ يَحْصُلُ لِمَا تَحْتَهُ مِنَ  
 الْمَوَلَّدَاتِ وَتَتَخَلَّقُ بِهِ النُّطْفَةُ وَالْبُرْزُ فَتَصِيرُ حَالًا لِلْبَدَنِ الْمَثْكُونِ عَنْهَا وَلِلنَّفْسِ  
 الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ الْقَائِضَةِ عَلَيْهِ الْمُكَتْسِبَةِ لِمَا لَهَا مِنْهُ وَلِمَا تَبِعَ النَّفْسَ وَالْبَدَنَ مِنَ الْأَحْوَالِ  
 لِأَنَّ كَيْفِيَّاتِ الْبُرْزَةِ وَالنُّطْفَةِ كَيْفِيَّاتٌ لِمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُمَا وَيَنْشَأُ مِنْهُمَا قَالَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ  
 ظَنِّي وَآيِسُ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ بِعِنَى الْقَدَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ



الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَائِنِ وَالْفَضَاءِ إِلَّا لِهِيَ سَابِقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلَيْمُسَ وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ مَتَّصُوفٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ ضَعْفُ مُدْرِكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوْ الظَّنَّ بِهِ إِنَّمَا يَحْصُلُ عَنِ الْعِلْمِ بِحُمَلَةِ أَسْبَابِهِ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْقَائِلِ وَالصُّورَةِ وَالْعَاقِبَةِ عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى مَا قَرَّرُوهُ إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطْ وَالْجُزْءُ الْعَنْصَرِيُّ هُوَ الْقَائِلُ ثُمَّ إِنَّ الْقُوَى النُّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلُ بِحُمَلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِيِّ مِثْلُ قُوَّةِ التَّوَلِيدِ لِلذَّلْبِ وَالنُّوعِ الَّتِي فِي الثُّنْطَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا صِنْفٌ مِنَ النُّوعِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كَمَا لَهَا وَحَصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ لِلْكَائِنِ ثُمَّ إِنَّهُ يَشْتَرِطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا مَزِيدٌ حُدْسٍ وَتَخْمِينٍ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ وَالْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ قُوَى لِلنَّظَرِ فِي فِكْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أَصُولِ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ رَجَعَتْ أَدْرَاجًا عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ هَذَا إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ آفَةٌ وَهَذَا مُعَوَّزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةٍ حِسَابَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سَبِيلِهَا لِيَتَعَرَّفَ بِهِ أَوْضَاعُهَا وَلِمَا أَنَّ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَمُدْرِكُ بَطْلَيْمُسَ فِي إِثْبَاتِ الْقُوَى لِلْكَوَاكِبِ الْخُمْسَةِ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مُدْرِكٌ ضَعِيفٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ غَالِبَةٌ لِجَمِيعِ الْقُوَى مِنَ الْكَوَاكِبِ وَمُسْتَوَلِيَّةٌ عَلَيْهَا فَقُلْ أَنْ يُشْعَرَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ مِنْهَا عِنْدَ الْمُقَارَنَةِ كَمَا قَالَ وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تَعْرِيفِ الْكَائِنَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ إِنَّ تَأْثِيرَ الْكَوَاكِبِ فِيهَا مَحْتَمَلٌ بَاطِلٌ إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ بِطَرِيقِ اسْتِدْلَالِيٍّ كَمَا رَأَيْتُهُ وَأَحْتَجُّ لَهُ أَهْلُ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ مِنْ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَسْبَابِ إِلَى الْمُسَبِّبَاتِ مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ وَالْعَقْلُ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَقْضَى بِهِ فِيمَا يَظْهَرُ بِأَدَى الرَّأْيِ مِنَ التَّأْثِيرِ فَلَمَّا اسْتَنَادَهَا عَلَى غَيْرِ صُورَةِ التَّأْثِيرِ الْمَتَعَارِفِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ رَابِطَةً بَيْنَهُمَا كَمَا رَبَطَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ عَلَوْا وَسَفَلُوا سَبَعًا وَالشَّرْعُ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ كُلَّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَبْزَأُ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَالنَّبُوءَاتُ أَيْضًا مُنْكَرَةٌ لِشَأْنِ النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاسْتِقْرَافُهُ الشَّرْعِيَّاتِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُخْصَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَيَاتِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بُلْطَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الْشَّرْعِ وَضَعْتُ مَدَارِكَهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي الْعُمُرَانِ  
الْإِنْسَانِيِّ بَمَا تَبَعَتْ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ النَّسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتَّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْدِيلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيَنْتَهِجُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَبُظُنُّ  
أَطْرَادِ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ يَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِفِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوَقُّعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَقُّعُ مِنْ  
تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُتَرَبِّصِينَ بِالِدَوْلَةِ إِلَى الْفَتَنِ وَالنُّوَرَةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَنْبَغِي أَنْ تَحْظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وَجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلْبَشَرِ بِمُقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ تَرْعُهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
النَّكَائِدُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهِمَا فَيَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَقَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلَيْعَلَّ  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلَ  
عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظِيرُ وَظَنِّ الْإِحَاطَةِ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ الْأَجْتِنَاعُ مِنْ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِقِرَاءَتِهَا  
وَالْتَحَلُّقِ لِتَعْلِيمِهَا وَصَارَ الْمَوْلُغُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلُ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يُطَالَعُ  
كُتُبُهَا وَمَقَالَاتُهَا فِي كَسْرِ يَتِيهِ مُتَسَرِّيًا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رِبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَأَعْيَانِهَا عَلَى الْقَهْمِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَنَحْنُ  
نَحِجُّ الْفَقْهَ الَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ دِينًا وَدُنْيَا وَسَهَلَتْ مَأْخِذُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَعَكَفَتْ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ ثُمَّ بَعْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَاسَةِ وَكَثْرَةِ النُّجَالِسِ  
وَتَعَدُّدِهَا إِنَّمَا يَحْدُقُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعْلَمُ  
مَهْجُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مَضْرُوبٌ دُونَهُ سُدَّ الْخَطَرِ وَالْتَحَرِيمِ مَكْنُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَعُبُ  
الْمَأْخِذِ مُحْتَاجٌ بَعْدَ الْعُمَارَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى مَزِيدِ حَدْسٍ وَتَحْقِيقٍ

يَكْتَتِفَانِ بِهِ مِنَ النَّظِيرِ فَأَيْنَ التَّحْصِيلُ وَالْحَذَقُ فِيهِ مَعَ هَذِهِ كَلِمَاتِهَا وَمَدْعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ وَلَا شَاهِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِعَرَابَةِ الْقَتَنِ بَيْنَ أَهْلِ أَلْمَلَّةِ وَقَلَّةِ  
حَمَلَتِهِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ فَلَا يُظَاهِرُ عَلَى غَيْبِهِ  
أَحَدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْقَصْرِ عِنْدَ مَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ بِالْقَبْرِوَانِ وَكَثُرَ إِزْجَافُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَوَّلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرُّوحِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ  
أَصْبَحُ فِي تُونِسٍ وَأُمْسِي وَالصَّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَابَا يُخَدِّثُنَا الْهَرْجُ وَالْوَبَا  
وَالنَّاسُ فِي مَرِيَةٍ وَحَرْبٍ وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمَرَا  
فَأَحْمَدِي بِرْسٍ عَلِيًّا حَلَّ بِهِ الْهَلَكُ وَالْتَوَا  
وَأَخَرُ قَالَ سَوْفَ بَأْتِي بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًّا رَخَا  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقَ ذَا وَهَذَا يَقْضِي لِعَبْدِهِ مَا يَشَاءُ  
يَا رَاصِدَ الْخَنَسِ الْجَوَارِي مَا فَعَلْتَ هَذِهِ أَلَمَاءُ  
مَطْلَعُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَمْلَاءُ  
مَرَّ خَمِيسٍ عَلَى خَمِيسٍ وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ  
وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعِشْرُ ثَانٍ وَثَالِثُ ضَمَّةُ الْقَضَاءِ  
وَلَا تَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ أَذَاكَ جَهْلُ أُمِّ أَرْدَرَاءُ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
رَضِيتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَا  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السُّوَارِي إِلَّا عِبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ نَقْضِي وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى أَقْضَاءُ  
ضَلَّتْ عُقُولُ تَرَى قَدِيمًا مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ  
وَحَكَمْتَنِي الْوُجُودُ طَبْعًا يُخَدِّثُنَا أَلَمَاءُ وَالْهَوَا  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِزَاءَ مَرٍ تَغْدُوهُمْ تَرْبَةً وَمَا

اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَذْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
 وَلَا أَهْبُولِي الَّتِي تُنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةٍ عَرَاهُ  
 وَلَا وَجُودُ وَلَا أَنْعِدَامُ      وَلَا ثُبُوتُ وَلَا انْقِصَاءُ  
 وَالْكَسْبُ أَمْ أَذْرِ فِيهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ  
 إِذْ لَا فُضُولُ وَلَا أَصُولُ      وَلَا جِدَالُ وَلَا رِبَاةُ  
 مَا تَبِعَ الصَّدْرَ وَاقْتَفَيْنَا      يَا حَبِذَا كَانَتْ الْإِقْتِفَاءُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْهَدَاءُ  
 يَا أَشْعَرِي الزَّمَانِ إِنِّي      أَشْعَرَنِي الصَّبْفُ وَالشَّيْءُ  
 لَمْ أَجْزْ بِالشَّرِّ غَيْرَ شَرِّ      وَالْخَبِيرُ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاهُ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَغْصَى وَلِي رَجَاهُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْثَرَاهُ  
 لَيْسَ أَنْتَصَارُ بِكُمْ وَلَكِنْ      أَتَاهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاهُ  
 لَوْ حَدَّثَ الْأَشْعَرِيُّ عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاهُ  
 لَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاهُ

### الفصل السادس والعشرون

في انكار غرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاصد عن انتحالها

اعْلَمَنَّ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ مَعَاشِهِمْ تَحْمِلُهُمُ الْمَطَامِعُ عَلَى اتِّحَالِ هَذِهِ  
 الصَّنَائِعِ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَحَدُ مَذَاهِبِ الْعَمَاشِ وَوُجُوهِهِ وَأَنَّ اقْتِنَاءَ الْمَالِ مِنْهَا أَيْسَرُ  
 وَاسْهَلُ عَلَى مُتَبِعِهِ فَيَرْتَكِبُونَ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْشَقَاقِ وَمُعَانَاةِ الصَّعَابِ وَعَسْفِ  
 الْحُكَامِ وَخِسَارَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْفَتَقَاتِ زِيَادَةً عَلَى الْتَّيْلِ مِنْ غَرَضِهِ وَالْعَطَبِ آخِرًا  
 إِذَا ظَهَرَ عَلَى خَبِيئَةٍ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَإِنَّمَا أَطْعَمَهُمْ فِي ذَلِكَ رُؤْيَاهُ أَنَّ  
 الْمَعَادِنَ تَسْتَحِيلُ وَيَنْقَلِبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ لِلْمَادَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالْعِلَاجِ  
 صَبْرُورَةَ الْفِضَّةِ ذَهَبًا وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ فِضَّةً وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا مِنْ مُمْكِنَاتِ عَالَمِ  
 الطَّبِيعَةِ وَلَهُمْ فِي عِلَاجِ ذَلِكَ طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّنْدِيرِ وَصُورَتِهِ

وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عِنْدَهُمُ لِلْعِلَاجِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَهُمُ بِالْحَجَرِ الْمَكْرَمِ هَلْ فِي  
الْعَذْرَةِ أَوْ الدَّمِ أَوْ الشَّعْرِ أَوْ الْبَيْضِ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مَا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ التَّنْذِيرِ  
عِنْدَهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تُعْمَى بِالْقَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صَلَدٍ أَمْلَسَ وَتُنْفَى أَثْنَاءُ إِثْنَائِهَا  
بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَنْسَابُ الْقَصْدَ مِنْهَا وَيُؤَثِّرُ فِي  
أَنْقِلَابِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ تُخَفَّفُ بِالشَّسِ مِنْ بَعْدِ السَّقْيِ أَوْ تُطْبَخُ بِاللَّارِ أَوْ  
تُصَعَّدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهَا أَوْ تُرَابُهَا فَإِذَا رَزَقِي بِذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
تَنْذِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أَصُولُ صَنْعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَرَابٌ أَوْ مَائِعٌ يَسْتَوْفُوهُ  
الْإِكْسِيرُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْخَمَاقِ بِالنَّارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوْ الْخَمَاسُ  
الْمُعْمَى بِالنَّارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
الْإِكْسِيرُ مَادَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ حَصَلَ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاصُّ وَالتَّنْذِيرُ  
مِرَاجٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تَصَرَّفُ مَا حَصَلَتْ فِيهِ إِلَيْهَا وَتَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهَا وَمِرَاجِهَا وَتَبَيَّنَ  
فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَفَافَاتِ وَالْقُوَى كَالْحَمِيرَةِ لِلْخَبْزِ تَقْلِبُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
فِيهِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفَاشِ وَالْهَشَاشَةِ لِيَحْسُنَ هَضْمُهُ فِي الْمَعْدَةِ وَيَسْتَحِيلَ سَرِيعًا  
إِلَى الْغِذَاءِ وَكَذَا الْإِكْسِيدُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ فَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعَادِنِ يَصْرِفُهُ إِلَيْهِمَا  
وَيَقْلِبُهُ إِلَى صُورَتِهِمَا هَذَا مُحْصَلُ زَعْمِهِمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَتَجِدُهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
يَسْتَفُونَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقَلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كُتُبِ لِائِمَّةِ الصَّنَاعَةِ  
مَنْ قَبْلِهِمْ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَظَّرُونَ فِي فَنِّهِمْ لَعُوزَهَا وَكَشَفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
الْأَكْثَرِ تُشْبِهُ الْمَعْمَى كَتَاكِفِ جَابِرِ بْنِ حَبَّانٍ فِي رِسَالَتِهِ السَّعْيِينَ وَمَسَامَةِ النُّجَرِيطِيِّ  
فِي كِتَابَةِ زُبَّةِ الْحَكِيمِ وَالطُّغْرَائِيِّ وَالْمُعْتَرِي فِي قِصَائِدِهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِجَادَةِ النِّظَمِ  
وَأَمْثَالِهَا وَلَا يَحِلُّونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ بِطَائِلٍ مِنْهَا . فَنَاقِضْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
الْتَفِيقِي كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَقَفْتُهُ عَلَى بَعْضِ التَّالِيفِ فِيهَا فَصَفَحَهُ  
طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَجُودَ إِلَى يَتِيهِ إِلَّا بِالْخَبِيَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الدُّلَّةِ فَقَطْ أَمَّا الظَّاهِرَةُ كَتَمُوهُ بِالْفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوْ الْخَمَاسِ  
بِالْفِضَّةِ أَوْ خَلَطَهَا عَلَى نِسْبَةِ جُزْءٍ أَوْ جُزْءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَلَطَهَا كَالْقَاءِ الشَّيْبَةِ بَيْنَ  
الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ الْخَمَاسِ وَتَلْيِيسِهِ بِالزُّوقِ الْمُصَعَّدِ فَيُجِيءُ جِسْمًا مَعْدِنِيًّا

شِبْهًا بِالْفِضَّةِ وَيَخْفَى إِلَّا عَلَى الْقَادِّ الْمَهْرَةِ يَقْدَرُ أَصْحَابُ هَذِهِ الدُّلَسِ مَعَ دُلْسَتِهِمْ هَذِهِ سَكَّةٌ يَسْرُبُونَهَا فِي النَّاسِ وَيَطْبَعُونَهَا بِطَائِعِ السُّلْطَانِ تَمْوِيًا عَلَى الْجُمْهُورِ بِالْخُلَاصِ وَهَؤُلَاءِ أَحْسَنُ النَّاسِ حِرْفَةً وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً لِلْبَلْسِ بِسَرَقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الدُّلَسَةِ إِنَّمَا هُوَ يَدْفَعُ نَحَاسًا فِي الْفِضَّةِ وَفِضَّةً فِي الذَّهَبِ لِيَسْتَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ فَهُوَ سَارِقٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ السَّارِقِ وَمَعْظَمُ هَذَا الْعَمَلِ لَدَيْنَا بِالْمَغْرِبِ مِنْ طَلَبَةِ الْبَرِّ الْمُنْتَبِذِينَ بِأَطْرَافِ الْبَقَاعِ وَمَسَاكِينِ الْأَعْمَارِ بِأَوُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ وَبُيُوتِ هَوْنٍ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ بِأَنَّ بِيَدِيهِمْ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّهِمَا وَالْأَسْنَهُلَاكِ سِيفٌ طَلَبُهَا فِيَجْصَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَاشٍ ثُمَّ يَبْقَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخُوفِ وَالرَّقَبَةِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ الْعَجْزُ وَتَقَعِ الْفَضِيحَةُ فَيَفِرُّونَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ وَيَسْتَجِدُّونَ حَالًا أُخْرَى فِي أَسْتَبْوَاءِ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا بِأَطَاعِيهِمْ فِيمَا لَدَيْهِمْ وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ فِي ابْتِغَاءِ مَعَاشِهِمْ وَهَذَا الصَّنْفُ لَا كَلَامَ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا الْعَابِيَةَ فِي الْجَهْلِ وَالرَّدَاءَةِ وَالْأَخْتِرَافِ بِالسَّرِقَةِ وَلَا حَامِيَةَ لِعَالَمِهِمْ إِلَّا أَشْدَادُ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ وَتَنَادَوْهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا وَقَطَعَ بِيَدِيهِمْ مَتَى ظَهَرُوا عَلَى شَأْنِهِمْ لِأَنَّ فِيهِ إِفْسَادًا لِلْسَكَّةِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا الْبَلَوَى وَهِيَ مُمَوَّلُ النَّاسِ كَافَّةً وَالسُّلْطَانُ مُكَلَّفٌ بِإِصْلَاحِهَا وَالْأَخْيَاطُ عَلَيْهَا وَالْأَشْدَادُ عَلَى مُفْسِدِهَا وَأَمَّا مَنْ اتَّخَلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَلَمْ يَرْضَ بِحَالِ الدُّلَسَةِ بَلَى اسْتَنَكَفَ عَنْهَا وَتَزَهَّدَ نَفْسَهُ عَنْ إِفْسَادِ سَكَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْوَدِهِمْ وَإِنَّمَا يَطْلُبُ إِحَالَةَ الْفِضَّةِ لِلذَّهَبِ وَالرَّصَاصِ وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ إِلَى الْفِضَّةِ بِذَلِكَ اتَّخَوْ مِنْ الْعِلَاجِ وَبِالْأَكْسِيرِ الْخَاصِلِ عِنْدَهُ فَلَنَّا مَعَ هَؤُلَاءِ مُتَكَلِّمٌ وَبَحْثٌ فِي مَدَارِكِهِمْ لِذَلِكَ مَعَ أَنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَجَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ تَمَّ لَهُ هَذَا الْفَرَضُ أَوْ حَصَلَ مِنْهُ عَلَى بَغْيَةٍ إِنَّمَا تَذَهَبُ أَعْمَارُهُمْ فِي التَّنْذِيرِ وَالْقَهْرِ وَالصَّلَابَةِ وَالنَّصِيغَةِ وَالْكَلْبِ وَأَعْيَامِ الْأَخْطَارِ يَجْمَعُ الْعَقَاقِيرَ وَالتَّجَحُّثَ عَنْهَا وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَاتٍ وَقَعَتْ لِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَمَّ لَهُ الْفَرَضُ مِنْهَا أَوْ وَقَفَ عَلَى الْوُصُولِ يَقْنَعُونَ بِاسْتِغْنَائِهِمَا وَالْمَقَاوِصَاتِ فِيهَا وَلَا يَسْتَرِيحُونَ فِي تَصْدِيقِهَا شَأْنُ الْكَافِلِينَ الْمَغْرَمِينَ بِوَسَاوِسِ الْأَخْبَارِ فِيمَا يُكَلِّفُونَ بِهِ فَإِذَا سَلُّوا عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ بِالْعَابِيَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا إِنَّمَا مِمَّنَّا وَلَمْ تَرَ هَكَذَا شَأْنَهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ وَجِيلٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ اتَّخَالَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ قَدِيمٌ فِي الْعَالَمِ وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهَا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فَلَنُنْقِلَ مَذَاهِبَهُمْ فِي ذَلِكَ

ثُمَّ تَتْلُوهُ بِمَا يَظْهَرُ فِيهَا مِنَ التَّحْقِيقِ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ فَقَوْلُ إِنْ مَتْنَى الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ عَلَى حَالِ الْمَعَادِنِ السَّبْعَةِ الْمُنْطَرِقَةِ وَهِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ وَالذُّحَّاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْخَارِصِينُ هَلْ فِي مُخْتَلَفَاتِ الْفُصُولِ وَكُلِّهَا أَنْوَاعٌ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا أَوْ إِنَّمَا مُخْتَلِفَةٌ بِمَخَوَاصٍ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِتَوْنٍ وَاحِدٍ فَإِلَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو النَّضْرِ الْفَارَابِيُّ وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا تَوْنٌ وَاحِدٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْكَفِيَّاتِ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْيُوسَةِ وَاللَّيْنِ وَالصَّلَابَةِ وَالْأَلْوَانِ مِنَ الصُّفْرِ وَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَهِيَ كُلُّهَا أَصْنَافٌ لِذَلِكَ التَّوْنِ الْوَاحِدِ وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِينَا وَتَابَعَهُ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْمَشْرِقِ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ بِالْفُصُولِ وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ مُتَبَايِنَةٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَحَقِّقٌ بِحَقِيقَتِهِ لَهُ فَضْلٌ وَجِنْسٌ شَانِ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ وَبَنَى أَبُو النَّضْرِ الْفَارَابِيُّ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اتِّفَاقِهَا بِالتَّوْنِ إِمَّا كَانَ انْقِلَابٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ لِإِمَّا كَانَ تَبَدُّلُ الْأَعْرَاضِ حِينَئِذٍ وَعَلَّاجِيهَا بِالصَّنْعَةِ قَرِيبٌ هَذَا التَّوْجُّهُ كَانَتْ صِنَاعَةُ الْكِيمِيَاءِ عِنْدَهُ مُمَكِّنَةً مَهْلَةً الْمَأْخُذِ وَبَنَى أَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا عَلَى مَذْهَبِهِ فِي اخْتِلَافِهَا بِالتَّوْنِ إِنْكَارَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ وَاسْتَحَالَهَ وَجُودَهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَا سَبِيلَ بِالصَّنَاعَةِ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَمُقَدِّرُهَا وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفُصُولُ مُجْمَعَةٌ لِخَفَافِي رَأْسًا بِالتَّصَوُّرِ فَكَيْفَ يُحَاوَلُ انْقِلَابُهَا بِالصَّنْعَةِ وَغَلَطَ الطُّغْرَايُ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَرَدَّ عَلَيْهِ بَأَنَ التَّنْذِيرِ وَالْعِلَاجِ لَيْسَ فِي تَخْلِيقِ الْفَضْلِ وَإِبْدَائِهِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي إِعْدَادِ الْمَادَّةِ لِاقْبُولِهِ خَاصَّةً وَالْفَضْلُ بَأْتِي مِنْ بَعْدِ الْإِعْدَادِ مِنْ لَدُنْ خَالِقِهِ وَبَارِئِهِ كَمَا يُفِيضُ الذُّورُ عَلَى الْأَجْنَامِ بِالصَّقْلِ وَالْإِمَاءِ وَلَا حَاجَةَ بِنَا فِي ذَلِكَ إِلَى تَصَوُّرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَالَ وَإِذَا كُنَّا قَدْ عَثَرْنَا عَلَى تَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مَعَ الْجَهْلِ بِفُصُولِهَا مِثْلَ الْقَرَبِ مِنَ التُّرَابِ وَالتَّنِّ وَمِثْلَ الْحَيَاتِ الْمَتَكِّوَنَةِ مِنَ الشَّعْرِ وَمِثْلَ مَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْفَلَاحَةِ مِنْ تَكْوِينِ الذَّنَجْلِ إِذَا فُقِدَتْ مِنْ عَجَاجِيلِ الْبَقَرِ وَتَكْوِينِ الْقَصَبِ مِنْ فُرُونِ ذَوَاتِ الطَّائِفِ وَتَصْبِيرِهِ سُكَّرًا بِمَحْشُورِ الْقُرُونِ بِالْعَمَلِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الْقَلَمِ لِلْقُرُونِ فَمَا أَلْمَانِعُ إِذَا مِنَ الْعُثُورِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَتَخَذُ مَادَّةً تُضْفِيهَا لِلتَّنْذِيرِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا اسْتِعْدَادٌ أَوَّلُ لِقَبُولِ صُورَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثُمَّ تَحَاوِلُهَا بِالْعِلَاجِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ فِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ لِقَبُولِ فَضْلِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ الطُّغْرَايِيِّ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ

الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّ لَنَا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
مَأْخُذًا آخَرَ يَبَيِّنُ مِنْهُ اسْتِحْالَةَ وجودِهَا وَبُطْلَانُ مَزْعُمِهِمْ أَجْمَعِينَ لَا الطُّغْرَانِيُّ وَلَا ابْنُ  
سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْقُوفِ عَلَى الْمَادَّةِ الْمُسْتَعْدَةِ بِالْإِسْتِعْدَادِ  
الْأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيَحَاجِدُونَ فِي تَدْبِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْبِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ  
حَتَّى أَحَالَتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيَضَاعِفُونَ الْقُوَى الْفَاعِلَةَ وَالْمُنْعِلَةَ لِيَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ مِضَاعِنَةَ قُوَى الْفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفِ وَثَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الْكُبْرَى فَإِذَا  
تَضَاعَفَتِ الْقُوَى وَالْكَفَيَاتُ فِي الْعِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ ضَرْوَرَةً عَلَى  
مَا قُلْنَا أَوْ يَتَحَرَّوْنَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ وَاجِبَةٍ لِتِلْكَ الْمَادَّةِ تُصَوِّرُهَا  
كَالْخَمِيرَةِ فَتَفْعَلُ فِي الْجِسْمِ الْمَعَالِجَ الْإِفَاعِلِ الْمَطْلُوبَةَ فِي إِحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِكْبَادُ  
عَلَى مَا تَقْدَمُ . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُتَكَوِّنٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ الْعُنْصَرِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَجْتِمَاعِ  
الْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَّا تَمَّ امْتِزَاجُهَا  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْجُزْءِ الْغَالِبِ عَلَى الْكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُمْتَزَجٍ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ مِنْ  
حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ الْحَافِظَةُ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مُتَكَوِّنٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ الْيَكُونِ مِنْ طَوَرٍ إِلَى طَوَرٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
عَاقِبَتِهِ وَانْظُرْ شَانَ الْإِنْسَانِ فِي طَوَرِ النُّطْقَةِ ثُمَّ الْعَاقِفَةِ ثُمَّ الْمَضَعَةِ ثُمَّ التَّصَوِيرِ ثُمَّ الْجَنِينِ  
ثُمَّ الْمَوْلُودِ ثُمَّ الرِّضْعِ ثُمَّ إِلَى نَهَائِهِ وَنِسْبُ الْأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوَرٍ تَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِهَا  
وَكَيْفِيَّاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوَرُ الْأَوَّلُ يَعْنِيهِ هُوَ الْآخِرُ وَكَذَا الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
طَوَرٍ مُخَالَفَةٌ لَهَا فِي الطَّوَرِ الْآخِرِ فَانْظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
الْأَطْوَارِ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الْأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبَ الْكِيمِيَاءِ  
إِلَى أَنْ يَسَاقِ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ وَيَحَاجِدِيهِ بِتَدْبِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
شَرَطِ الصَّنَاعَةِ أَبَدًا تَصَوُّرُ مَا يَقْعُدُ إِلَيْهِ بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْحُكَمَاءِ أَوَّلُ  
الْعَمَلِ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَآخِرُ الْفِكْرَةِ أَوَّلُ الْعَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
فِي أَحْوَالِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَنِسْبَتِهَا الْمَتَفَاوِتَةِ فِي كُلِّ طَوَرٍ وَاخْتِلَافِ الْحَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ عِنْدَ  
اخْتِلَافِهَا وَمِقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوَرٍ وَمَا يَنْبُؤُ عَنْهُ مِنْ مِقْدَارِ الْقُوَى الْمَضَاعِفَةِ وَيَقُومُ



مَقَامُهُ حَتَّى يُجَاذِيَ بِذَلِكَ كُلَّهُ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ صُورَةً  
 مَزَاجِيَّةً كَصُورَةِ الْحُمَيْرَةِ لِلْغُبْرِ وَتَفْعُلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ بِالْمُنَاسِبَةِ إِفْوَاهَا وَمَقَادِيرُهَا  
 وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا يَحْصُرُهَا الْعِلْمُ الْخَاطِطُ وَالْعُلُومُ الْبَشَرِيَّةُ فَاصِرَةٌ عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
 مَنْ يَدْعِي حُصْرَهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنْعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدْعِي بِالصَّنْعَةِ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ مِنَ  
 الْعَمِيِّ وَيَتَحَنَّنُ إِذَا سَلَّمَ لَهُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَائِهِ وَنِسْبَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةِ تَخْلِيقِهِ فِي رَجْمِهِ  
 وَعِلْمِهِ ذَلِكَ عَلِمًا مُحَصَّلًا بِتَفَاصِيلِهِ حَتَّى لَا يَشُدُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ سَلَّمَ لَهُ تَخْلِيقَ هَذَا  
 الْإِنْسَانِ وَأَتَى لَهُ ذَلِكَ وَلَقَرَّبَ هَذَا الْبُرْهَانَ بِالْإِخْتِصَارِ لِيَسْنِلَ فَنَهُهُ فَقُولُ حَاصِلُ  
 صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ وَمَا يَدْعُونَهُ بِهَذَا التَّنْدِيرِ أَنَّهُ مُسَاوِفَةُ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ بِالْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ  
 وَمُعَادَاتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ كَوْنُ الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقُ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
 مَزَاجِيَّةٍ تَفْعُلُ فِي الْجِسْمِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا فَصَيَّرَهُ وَتَقَبَّلَهُ إِلَى صُورَتِهَا وَالْفِعْلُ الصَّنَاعِيُّ مُسْبِقٌ  
 بِتِصَوُّرَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصُدُ مُسَاوِفَتَهَا أَوْ مُعَادَاتِهَا أَوْ فِعْلَ الْمَادَّةِ  
 ذَاتِ الْقُوَى فِيهَا تِصَوُّرًا مُفَصَّلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ لَا نِهَابَ لَهَا وَالْعِلْمُ  
 الْبَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا دُونَهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصُدُ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانَ  
 أَوْ بَنَاتِ هَذَا مُحْصَلُ هَذَا الْبُرْهَانِ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الْإِسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةٍ  
 الْفُضُولُ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَدُّرِ الْإِحَاطَةِ وَقُصُورِ الْبَشَرِ عَنْهَا  
 وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سِينَا بِمَعْزَلٍ عَنْ ذَلِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ فِي الْإِسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَايَتِهِ وَذَلِكَ  
 أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي النَّجْرَيْنِ وَتَدَوُّرَهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَاسِبِ النَّاسِ وَمَتَمُّوْلَاتِهِمْ  
 فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنْعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَجُرْدُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصُلَ  
 أَحَدٌ مِنْ أَفْنَانِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتَرَكُ  
 أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَعْمَالِهَا وَتَرْتَكِبُ الْأَعْوَصَ وَالْأَبْعَدَ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصَّنَاعِيُّ  
 الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ طَرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْدِنِهَا أَوْ أَقَلُّ زَمَانًا لَمَا تَرَكْتُهُ  
 الطَّبِيعَةُ إِلَى طَرِيقِهَا الَّذِي سَلَكْتُهُ فِي كَوْنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلُقُهُمَا وَأَمَّا تَنْبِيهُ  
 الطُّغْرَاءِيِّ هَذَا التَّنْدِيرَ بِمَا عُنِيَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتِ لَامَنَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْمَقْرَبِ وَالْحَلِّ  
 وَالْحَبَةِ وَتَخْلُقُهَا فَأَمْرٌ صَحِيحٌ فِي هَذِهِ أَدَّى إِلَيْهِ الْعُتُورُ كَمَا زَعَمَ وَأَمَّا الْكِيمِيَاءُ فَلَمْ  
 يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى طَرِيقِهَا وَمَا زَالَ يُسْتَحْلَاهَا يُخْطِطُونَ

فِيهَا عَشَوَاءٌ إِلَى هَلُمَّ جَرًّا وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَّا بِالْحِكَايَاتِ الْكَاذِبَةِ وَلَوْ مَعَ ذَلِكَ لَأَحَدٍ  
مِنْهُمْ لِحَفَظَةِ عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَوْ تَلْمِيزُهُ وَأَصْحَابُهُ وَتَوَقُّلُ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَمِنْ تَصَدِيقِهِ مَحَبَّةُ  
الْعَمَلِ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَشِرَ وَيَبْلُغَ إِلَيْنَا وَإِلَى غَيْرِنَا وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْأَكْسِيرَ بِمَكَابَةِ  
الْخَمِيرَةِ وَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ يُعْمَلُ مَا يُعْمَلُ فِيهِ وَيَقْلِبُهُ إِلَى ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَمِيرَةَ إِنَّمَا  
تَقْلِبُ النَّجَسَ وَتُعَدُّ لِلْهَضْمِ وَهُوَ فَسَادٌ وَالْفَسَادُ فِي الْمَوَادِّ سَهْلٌ يَقَعُ بِأَبْسَرِ شَيْءٍ مِنْ  
الْأَفْعَالِ وَالطَّبَائِعِ وَالْمَطْلُوبُ بِالْإِكْسِيرِ قَلْبُ الْمَعْدِنِ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَى  
فَهُوَ تَكْوِينُ وَصْلَاحٍ وَالتَّكْوِينُ أَصْعَبُ مِنَ الْفَسَادِ نَلَا يُقَاسُ الْإِكْسِيرُ بِالْخَمِيرَةِ  
وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكَيْمِيَاءَ إِنْ صَحَّ وُجُودُهَا كَمَا تَزْعُمُ الْحُكَمَاةُ الْمُسْتَكْلَمُونَ  
فِيهَا مِثْلُ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَمُسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ النَّجَرِيِّيَّيْنِ وَأَمثالِهِمْ فَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ  
الصَّنَائِعِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَا تَتِمُّ بِأَمْرِ صِنَاعِيٍّ وَلَيْسَ كَلَامُهُمْ فِيهَا مِنْ مَتَحَى الطَّبِيعِيَّاتِ إِنَّمَا  
هُوَ مِنْ مَتَحَى كَلَامِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّخَرِيَّةِ وَسَائِرِ اخْوَارِقِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلِحَلَّاجِ  
وغيرِهِ وَقَدْ ذَكَرْنا مُسْلَمَةَ فِي كِتَابِ الْقَايَةِ مَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ وَكَلَامُهُ فِيهَا فِي كِتَابِ رُتَبَةِ  
الْحُكَمَاءِ مِنْ هَذَا النَّحْوِ وَهَذَا كَلَامُ جَابِرٍ فِي رِسَالَتِهِ وَتَحْوُ كَلَامِهِمْ فِيهِ مَعْرُوفٌ وَلَا  
حَاجَةَ بِنَا إِلَى شَرْحِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَبْرَمْنَا عِنْدَهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ الْمَوَادِّ أَخْرَاجَةً عَنْ حُكْمِ  
الصَّنَائِعِ نَكَمًا لَا يَتَدَبَّرُ مَا مِنْهُ الْخَشَبُ وَالْحَيَوَانُ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ خَشَبًا أَوْ حَيَوَانًا  
فِيمَا عَدَا مَجْرَى تَخْلِيقِهِ كَذَلِكَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَهَبٌ مِنْ مَادَّةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا  
يَتَغَيَّرُ طَرِيقُ عَادَتِهِ إِلَّا بِإِزْفَادِ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الطَّبَائِعِ وَعَمَلِ الصَّنَائِعِ نَكَمًا كَذَلِكَ مَنْ  
طَلَبَ الْكَيْمِيَاءَ طَلَبًا صِنَاعِيًّا ضَيَعَ مَالَهُ وَعَمَلُهُ وَيُقَالُ لِهَذَا التَّدْبِيرِ الصِّنَاعِيِّ التَّدْبِيرُ  
الْقَاسِمُ لِأَنَّهُ نَبْلُهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا فَهُوَ وَاقِعٌ مِمَّا وَرَاءَ الطَّبَائِعِ وَالصَّنَائِعِ كَالشَّيْءِ عَلَى  
الْمَاءِ وَامْتِطَاءِ الْهَوَاءِ وَالنُّفُوزِ فِي كَثَائِفِ الْأَجْسَادِ وَتَحْوُ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ  
الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ أَوْ مِثْلِ تَغْلِيظِ الطَّيْرِ وَتَحْوُهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى وَإِذْ تَخْلُقُ  
مِنَ الطِّينِ كَيْسَةَ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَعَلَى ذَلِكَ فَسَيَلُ تَبْسِيرُهَا  
مُخْتَلَفٌ بِحَسَبِ حَالِ مَنْ يُؤْتَاهَا فَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَيُؤْتِيَهَا غَيْرُهُ فَتَكُونُ عِنْدَهُ مَعَارَةً  
وَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَلَا يَمْلِكُ إِيْتَاَهَا فَلَا تَتِمُّ فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَكُونُ  
عَمَلُهَا سِخْرِيًّا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَفْعَلُ بِتَأْثِيرَاتِ النُّفُوسِ وَخَوَارِقِ الْعَادَةِ إِمَّا مُعْجَزَةً أَوْ

مِغْرًا وَلَمَّا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِنْغَارًا لَا يَظْفَرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ لُجَّةَ  
 مِنْ عِلْمِ السَّخَرِ وَأَطْلَعَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرَقِ الْعَادَةِ غَيْرِ  
 مُتَحَصِّرَةٍ وَلَا يَقْصِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَأَكْثَرُ مَا يَحْمِلُ عَلَى  
 التَّمَّاسِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَاتِّخَالُهَا هُوَ كَمَا قُلْنَاهُ أَلْتَجَزُّ عَنِ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهِ الطَّبِيعِيِّ كَالْفَلَّاحَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَسْتَضَعِبُ الْعَاجِزُ  
 ابْتِغَاءَهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرُومُ الْحَصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ دَفْعَةً بُوْجُوهَ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ  
 مِنَ الْكِيمِيَاءِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يُعْنَى بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُسْكَلَمِينَ فِي انْكَارِهَا وَأَسْتَحَالَتِهَا فَإِنْ أَبَى سَيِّدَا الْقَائِلِ بِاسْتِحَالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوُزْرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغَنَى وَالزُّرُوعِ وَالْقَارِيَّ الْقَائِلِ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمْ  
 ادْتِنَاءُ بُلْغَةِ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ نَهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمَوْلَعَةِ بِطَرَفِهَا  
 وَاتِّخَالِهَا وَاللَّهُ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

إِعْلَمُ أَنَّه مِمَّا أَضَرَّ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُقُوفِ عَلَى غَايَتِهِ كَثَرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَأَخْتِلَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعَالِمِ وَتَعَدُّدُ طُرُقِهَا ثُمَّ مَطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيزُ بِاسْتِخْضَارِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيَحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِفْظِهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَبْقَى عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَيَقَعُ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُونَ رُتْبَةَ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفَقْهِ فِي آلِ مَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِالْكَتَبِ  
 الْمَدُونَةِ مَثَلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوحَاتِ الْفَقِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ يُونُسَ وَاللُّغَوِيِّ  
 وَأَبْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيْهَاتِ وَالْمُقَدِّمَاتِ وَالْبَيَانِ وَالتَّحْصِيلِ عَلَى الْعَتَبِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقَيِّرَةِ وَابْتِغَاؤِهَا مِنَ الْقَرِيبَةِ  
 وَالْبَعْدَانِيَّةِ وَالْمِضْرِبَةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةِ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفَنَاءِ وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالْمُتَعَلِّمُ مُطَالِبٌ بِاسْتِخْضَارِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالتَّمَرُّقِ بِتَفْقِيهِ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالْمُعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمُنْعَمِيَّةِ فَقَطْ لَكَانَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ الْعِلْمُ سَهْلًا وَمَا خَذَهُ

فَرَبَّاءَ وَلَكِنَّهُ دَاخِلٌ لَا يَرْتَفِعُ لِاسْتِقْرَارِ الْعَوَائِدِ عَلَيْهِ فَصَارَتْ كَالطَّبِيعَةِ الَّتِي لَا يُعْكَنُ  
نَقْلُهَا وَلَا تَحْوِيلُهَا وَيُمَثِّلُ أَيْضًا عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كِتَابِ سَبُوحِهِ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ  
وَطُرُقَ الْبَصَرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَالْبَغْدَادِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَطُرُقَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِثْلَ ابْنِ الْحَاجِبِ وَابْنِ مَالِكٍ وَجَمِيعِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كَيْفَ يُطَالَبُ  
بِهِ الْمُتَعَلِّمُ وَيَنْقَضِي عُمُرُهُ دُونَهُ وَلَا يَغْمَعُ أَحَدٌ فِي الْغَايَةِ مِنْهُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ مِثْلَ  
مَا وَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ تَأْلِيفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ  
مِصْرَ يُعْرَفُ بِابْنِ هَاشِمٍ ظَهَرَ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا أَنَّهُ أَسْتَوْلى عَلَى غَايَةِ مِنْ مَلَكَكَ تِلْكَ  
الصَّنَاعَةَ لَمْ تَحْصُلِ إِلَّا لِسَبُوحِهِ وَابْنِ جَنِّي وَأَهْلِ طَبَقَتَيْهِمَا لِعَظَمِ مَا مَكَّنَهُ وَمَا أَحَاطَ  
بِهِ مِنْ أُصُولِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَفَارِيعِهِ وَحَسَنَ تَصَرُّفِهِ فِيهِ وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْفَضْلَ لَيْسَ مُنْهَضِرًا  
فِي الْمُتَقَدِّمِينَ سَيِّمًا مَعَ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّوَابِ بِتَعَدُّ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرِيقِ  
وَالتَّأْلِيفِ وَلَكِنَّ فَضْلَ اللَّهِ بِوُثْقِهِ مِنْ بَشَاءٍ وَهَذَا نَادِرٌ مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ وَإِلَّا فَالظَّاهِرُ  
أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ وَلَوْ قَطَعَ عُمُرُهُ فِي هَذَا كَلِمَةٍ فَلَا يَبْقَى لَهُ تَحْصِيلُ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مِثْلًا الَّذِي  
هُوَ آلَةٌ مِنَ الْآلَاتِ وَوَسِيلَةٌ فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْمَقْصُودِ الَّذِي هُوَ الثَّمَرَةُ وَلَكِنَّ  
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم  
ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى اخْتِصَارِ الطَّرِيقِ وَالْإِتِّخَاءِ فِي الْعُلُومِ يُوَلِّعُونَ بِهَا  
وَيُدَوِّنُونَ مِنْهَا بِزَانِجٍ مُخْتَصَرٍ فِي كُلِّ عِلْمٍ يَشْتَمِلُ عَلَى حَقَرِ مَسَائِلِهِ وَأَدِلَّتِهَا بِاخْتِصَارٍ  
فِي الْأَلْفَاظِ وَحَشَوُ الْقَلِيلَ مِنْهَا بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ مِنْ ذَلِكَ الْفَنِّ وَصَارَ ذَلِكَ مُخْلًا  
بِالْبَلَاغَةِ وَعَسِرًا عَلَى الْفَهْمِ وَزُبْمًا عَمِدُوا إِلَى الْكُتُبِ الْأَمْهَاتِ الْمَطُولَةِ فِي الْفُنُونِ  
لِلتَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ فَاخْتَصَرُواهَا تَقْرِيبًا لِيُخِظَ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْفِقْهِ وَابْنُ مَالِكٍ  
فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْحَوْنِجِيُّ فِي الْمَنْطِقِ وَأَمثالِهِمْ وَهُوَ فَسَادٌ فِي التَّعْلِيمِ وَفِيهِ إِخْلَالٌ بِالتَّحْصِيلِ  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ تَخْلِيطٌ عَلَى التَّبَدُّيِّ بِالِقَاءِ الْغَايَاتِ مِنْ الْعِلْمِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَمْ يَسْتَعِدْ  
لِقَبُولِهَا بَعْدَ وَهُوَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ كَمَا سَيَأْتِي ثُمَّ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ شُغْلٌ كَبِيرٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ  
بِتَجَمُّعِ الْأَفَاطِ لِاخْتِصَارِ الْعَرِيسَةِ لِفَهْمِ بِنِزَاحِ الْمَعَانِي عَلَيْهَا وَصُعُوبَةِ اسْتِخْرَاجِ الْمَسَائِلِ

مِنْ بَيْنَهَا لِأَنَّ الْفَاطَ الْخُصَرَاتِ نَجِدُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ صَعِبَةً عَوِصَةً فَيَنْقَطِعُ فِي فَهْمِهَا حَظٌ  
صَالِحٌ عَنِ الْوَقْتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْخَاصَّةُ مِنَ التَّعْلِيمِ فِي تِلْكَ الْخُصَرَاتِ إِذَا  
تَمَّ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْقِبْهُ آفَةٌ فِيهِ مَلَكَةٌ قَاصِرَةٌ عَنِ الْمَلَكَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنَ  
الْمَوْضُوعَاتِ الْبَسِيطَةِ الْمَطُولَةِ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ مِنَ التَّكْرَارِ وَالْإِحَالَةِ الْمُفِيدِينَ  
لِحُصُولِ الْمَلَكَةِ النَّامَةِ وَإِذَا أَقْصَرَ عَلَى التَّكْرَارِ قَصُرَتْ الْمَلَكَةُ لِقَلَّتِهِ كَشَانِ  
هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الْخُصَرَةِ فَقَصِدُوا إِلَى تَسْهِيلِ الْخَفِظِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَأَرْكَبُوهُمْ صَعْبًا  
يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ النَّافِعَةِ وَتَمَكُّنِهَا وَمِنْ هَيْدِ اللَّهِ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ  
يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

إِغْلَمَ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا  
فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يَلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ  
وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ وَاسْتِعْدَادُهُ لِقَبُولِ  
مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَغَائِبَةٌ أَنَّهَا هِيَ أَهْمُ الْفَنِّ وَتَحْصِيلُ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ  
وَالْيَكْنَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أُنْتِ  
يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَّ فَلَا يَتْرُكُ عَوِصًا وَلَا مُهْمًا  
وَلَا مَقْلَقًا إِلَّا وَضَعَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا  
وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ  
فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتَّبَسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ  
لِهَذَا التَّهْدِي الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ وَيُخْضِرُونَ لِلتَّعْلِيمِ فِي أَوَّلِ  
تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهَبِهِ فِي حَالِهَا وَبِجَسِّسِ تِلْكَ  
مِرَاتَانًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ رَغِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَلْقَوْنَ  
لَهُ مِنْ غَائِبَاتِ الْفَنُونِ فِي مَبَادِيهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالْاسْتِعْدَادَاتِ

فِيهِمْ نَشَأُ تَدْرِيجًا وَبَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلُ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْقَهْمِ بِالْجَمَلَةِ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ  
وَعَلَى سَبِيلِ التَّقَرُّبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْحَسِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ  
يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِخِلَافَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْقَهْمِ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِسْتِعْدَادُ ثُمَّ فِي  
التَّخْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْقَهْمِ وَإِذَا أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ أَلْفَاكِي فِي الْبِدَائِ وَهُوَ جَيِّدٌ  
عَاجِزٌ عَنِ الْقَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى  
ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكْبَرُ  
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِيًا وَلَا يَخْلُطُ  
مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيَحْصِلُ أَغْرَاضُهُ وَيَسْتَوْلي مِنْهُ  
عَلَى مَلَكَتِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتُهُ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
اسْتَعْدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا يَبْقَى وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالتَّهَوُّسُ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
يَسْتَوْلي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَاطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْقَهْمِ وَأَدْرَكَ الْكِلَالَ  
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَبَيَسَ مِنَ التَّخْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَطُولَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ فِي الْقَهْمِ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْجِبَالِ وَتَقْطِيعِ مَا  
بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النَّسِيَانِ وَانْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْقَهْمِ بِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ  
الْمَلَكَتِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الْفِكْرِ تَجَانِبَةً  
لِلنَّسِيَانِ كَانَتْ الْمَلَكَتُ أَيْسَرُ حُصُولًا وَأَحْكَمَ اِرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تَنَوَّسِيَ الْفِعْلُ تَنَوَّسَتِ الْمَلَكَتُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ  
وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجَمِيلَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي  
التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ الْبَالِ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا  
وَيَسْتَضَعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِالْخَبِيرَةِ وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ تَخْصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْتَقِ لِلصُّوَابِ وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ  
أَنِّي أَتَيْتُكَ بِقَائِدَةٍ فِي تَعْلِيمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَفَرْتَ  
بِكَنْزٍ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ وَأَقْدِمُ لَكَ مُقَدِّمَةً تُعِينُكَ فِي فَهْمِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ

إِلَّا نِسَانِي طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مَبْتَدَعَاتِهِ وَهُوَ جَدَانُ حَرَكََةِ النَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ تَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ لِلْأَفْعَالِ إِلَّا نِسَانِيَةً عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةً يَكُونُ مَبْدَأُ لِعِلْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ بَصُرَ طَرَفِيهِ  
 بِرُومِ نَفْسِهِ أَوْ إِنْبَاتِهِ فَيُلَوِّحُ لَهُ الْوَسْطُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ لَحْخِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرٍ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَبَصِيرٌ إِلَى الظَّنِّ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنُ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَمَيِّزُ بِهَا الْبَشَرَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ الصَّنَاعَةُ  
 الْمُنْطَقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعَالِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ تَصِفُهُ لَتَعْلَمَ سِدَادَهُ مِنْ خَطَايِهِ  
 وَأَنبَاهَا وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَعِضُ لَهَا أَلْخَطَا فِي الْأَوَّلِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرْقَيْنِ عَلَى غَيْرِ صُورَتِهِمَا مِنْ أَشْتِبَاهِ الْهَيْئَاتِ فِي نَظْمِ الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلنَّتَاجِ فَتُعِينُ  
 الْمُنْطَقِي لِلتَّخْلِصِ مِنْ وَزْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَضَ فَالْمُنْطَقِي إِذَا أَمَرَ صِنَاعِي مُسَاوِقُ  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمُنْطَقِي عَلَى صُورَةٍ فِعَالِيَا وَلِكُونِهِ أَمْرًا صِنَاعِيًّا اسْتَعْنِي عَنْهُ فِي الْآ كَثَرِ  
 وَإِنَّا لَكِ نَحْدُ كَثِيرًا مِنْ فُحُولِ الظُّنَارِ فِي الْحَلِيقَةِ يَحْصُلُونَ عَلَى الْمَطَالِبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِي وَلَا سِيَمَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالْتِعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَعْنَى  
 وَبَسْأَلُكُمْ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سِدَادِهَا فَيُفْضِي بِالطَّبْعِ إِلَى حُسُولِ الْوَسْطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونِ هَذَا الْأَمْرِ الصَّنَاعِي الَّذِي هُوَ الْمُنْطَقِي  
 مُقَدِّمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْلَمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَانِي الذَّهْنِيَّةِ تَرُدُّهَا مِنْ  
 مُشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمُشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخِطَابِ فَلَا بُدَّ أَيْهَا الْمُتَعَلِّمُ مِنْ مَجَاوَزِكَ  
 هَذِهِ الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوْلَا دَلَالَةَ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْمَقُولَةِ وَهِيَ أَخْنَمُ ثُمَّ دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ الْمَقُولَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَانِينُ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعَانِي لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَالِبِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِي ثُمَّ تِلْكَ الْمَعَانِي مُجَرَّدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ أَشْرَاطًا يَقْتَضِي بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالْتِعَرُّضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْحُجُبَ فِي التَّعْلِيمِ بِسُهُولَةٍ  
 بَلْ رُبَّمَا وَقَفَ الذَّهْنُ فِي حُجُبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُعَاقَشَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي أَشْتِرَاكِ الْأَدِلَّةِ بِشُعْبِ  
 الْجِدَالِ وَالْأَشْبَهَاتِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكْدُ يَتَخَلَّصْ مِنْ تِلْكَ الْقَمَرَةِ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِمَّنْ هَذَا اللَّهُ فَإِذَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ لَكَ أَزْبَاكُ فِي فَهْمِكَ أَوْ

تَشْغِبُ بِالشُّبُهَاتِ فِي ذَهْنِكَ فَاطْرَحْ ذَلِكَ وَاتَّبِعْ حُجُبَ الْأَلْفَاظِ وَعَوَائِقَ الشُّبُهَاتِ  
وَأَتْرُكْ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلُصْ إِلَى فَضَاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ  
وَسَرَحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَفَرَّغَ ذَهْنَكَ فِيهِ لِلْفُغُصِ عَلَى مَرَامِكَ مِنْهُ وَاضْعًا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَرُ النَّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَهْنِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ  
بِالظُّفْرِ يَمْطُلُوكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
وَنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدَلَّةِ وَصُورِهَا فَأَفْرِغْ فِيهَا  
وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنَ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَكْسُهُ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالَمِ الْخُطَابِ  
وَالْمُشَافَهَةِ وَثَبِّقِ الْعُرَى صَحِيحَ الْبَيَانِ وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدَلَّةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَخَيَّصَ صَوَابُهَا مِنْ خَطَايَاهَا وَهَذِهِ أُمُورٌ صَنَاعِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ تَسْتَوِي جِهَاتُهَا  
الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَنْشَابُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالِاضْطِلَاحِ فَلَا تَتَمَيَّزُ جِهَةٌ أَلْحَقَ مِنْهَا إِذْ جِهَةٌ  
الْحَقُّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ إِذَا كَانَتْ بِالطَّبِيعِ فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشُّكِّ وَالِازْتِيَابِ وَتُسَدُّ  
الْحُجُبُ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النَّظَارِ  
وَالْمُنَآخِرِينَ سِيمَا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ عُجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ قَرَبَتْ عَنْ ذَهْنِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شُغْبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمَنْطِقِيِّ تَعَصَّبَ لَهُ فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ الدَّرَبَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبِيعِ فَيَقَعُ فِي  
الْخَبَرَةِ بَيْنَ شُبُهَةِ الْأَدَلَّةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالدَّرَبَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبِيعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جُرِدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ لِلنَّظَرِ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمَنْطِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِفِعْلِ هَذَا الْفِكْرِ فَيُسَاوِفُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوْزَكَ فَهُمْ الْمَسَائِلُ  
تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلَهَامِ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات  
كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والآلهيات



مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومٍ هِيَ وَسِيلَةٌ إِلَى هَذِهِ الْعُلُومِ كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهِمَا لِلشَّرْعِيَّاتِ  
كَالْمَنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ وَزُبْمًا كَانَ اللَّهُ لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَالْأُصُولِ الْفَقْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ  
وَأَسْتِكْثَافِ الْأَدَلَّةِ وَالْأَنْظَارِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّنًا فِي مَلَكَتِهِ وَإِضَاحًا  
لِمَعَانِيهَا الْمَقْصُودَةِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ اللَّهُ لِغَيْرِهَا مِثْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَالِهَا فَلَا  
يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ اللَّهُ لِلذَّكَ الْغَيْرِ فَقَطْ وَلَا يَوْسَعُ فِيهَا الْكَلَامُ وَلَا  
تُفَرِّغُ الْمَسَائِلُ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخْرِجُ لَهَا عَنِ الْمَقْصُودِ إِذِ الْمَقْصُودُ مِنْهَا مَا هِيَ اللَّهُ لَهُ لَا غَيْرُ  
فَكُلَّمَا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ خَرَجَتْ عَنِ الْمَقْصُودِ وَصَارَ الْإِشْتَغَالُ بِهَا لَعْوًا مَعَ مَا فِيهِ  
مِنْ صُعُوبَةِ الْحُصُولِ عَلَى مَلَكَتِهَا يَطُولُهَا وَكَثَرَةُ فُرُوعِهَا وَزُبْمًا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ  
تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ بِالذَّاتِ لِطُولِ وَسَائِلِهَا مَعَ أَنَّ شَأْنَهَا أَهْمٌ وَالْعَمْرُ يَقْصُرُ عَنْ  
تَحْصِيلِ الْجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَيَكُونُ الْإِشْتَغَالُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ تَضْيِيعًا لِلْعَمْرِ  
وَشُغْلًا بِمَا لَا يَبْنِي وَهَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي صِنَاعَةِ النُّحُوِّ وَصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَأُصُولِ  
الْفَقْهِ لَأَنَّهُمْ أَوْسَعُوا دَائِرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيعِ وَالْإِسْتِدْلالاتِ بِمَا  
أَخْرَجَهَا عَنْ كَوْنِهَا اللَّهُ وَصَبَّرَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَزُبْمًا يَقَعُ فِيهَا أَنْظَارٌ لَا حَاجَةَ بِهَا فِي  
الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ فَهِيَ مِنْ نَوْعِ اللَّغْوِ وَهِيَ أَيْضًا مُضِرَّةٌ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ  
الْمُتَعَلِّمِينَ أَهْتَمُّهُمْ بِالْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْتَمَامِهِمْ بِوَسَائِلِهَا فَإِذَا قَطَعُوا  
الْعَمْرَ فِي تَحْصِيلِ الْوَسَائِلِ قَتَعُوا يَظْفَرُونَ بِالْمَقَاصِدِ فَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ لِهَذِهِ  
الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ أَنْ لَا يَسْتَجِرُّوا فِي شَأْنِهَا وَيَنْهَبُوا الْمُتَعَلِّمَ عَلَى الْفَرَضِ مِنْهَا وَيَقْفُوا بِهِ عِنْدَهُ  
فَمَنْ تَزَعَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوْغِ فَلْيَرْقُ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَاتِفِ صَعْبًا  
أَوْ سَهْلًا وَكُلَّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ

### الفصل الواحد والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه  
إِعْلَمُ أَنَّ تَعْلِيمَ الْوُلْدَانِ لِلْقُرْآنِ شِعَارُ الدِّينِ أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ  
فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ لَمَّا بَسَقُوا فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوحِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ  
آيَاتِ الْقُرْآنِ وَبَعْضِ مَثُونِ الْأَحَادِيثِ وَصَارَ الْقُرْآنُ أَصْلَ التَّعْلِيمِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ

مَا يَحْصُلُ بَعْدُ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصِّغَرِ أَشَدُّ رُسُوحًا وَمَوْ  
أَصْلُ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
وَأَسَالِيهِه يَكُونُ حَالُ مَنْ يَنْبَنِي عَلَيْهِ وَأَخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
بِاخْتِلَافِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
فَمَذْهَبُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْإِقْفَارُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطْ وَأَخَذَهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَاسَةِ  
بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْطِطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ لَا مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فِقْهِ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
يَحْدُثَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَزِيرِ أُمَمِ الْمَغْرِبِ فِي وَلَدَانِهِمْ  
إِلَى أَنْ يَجَاوِزُوا حَدَّ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّبَابِ وَكَذَا فِي الْكَبِيرِ إِذَا رَجَعَ مُدَاسَةَ الْقُرْآنِ  
بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ عُمْرِهِ فَهُمْ لِدَافِ أَقْوَمَ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
الْأَنْدَلُسِ فَمَذْهَبُهُمْ تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا مَوْ الَّذِي يُرَاعُونَهُ فِي  
التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لِمَا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأُسَّةً وَمَنْبَعًا لِلدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَطْ بَلْ يَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ رِوَايَةَ الشِّعْرِ  
فِي الْغَالِبِ وَالتَّرْسُلَ وَأَخَذَهُمْ بِقَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَحِفْظِهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
تَخْتَصُّ عَنْيَاتُهُمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمْرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
الشَّبَابِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ وَالْبَصْرِ بِهِمَا وَبَرَزَ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
وَتَعَلَّقَ بِإِذْبَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدٌ لِتَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَنْقَطِعُونَ عَنْ  
ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي أَقَانِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةُ لِمَنْ أَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَعْدَادٌ إِذَا وَجِدَ الْمُعَلِّمُ وَأَمَّا  
أَهْلُ أَفْرِيقَةِ فَيَخْطِطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَاسَةَ قَوَانِينِ  
الْعُلُومِ وَتَلْقِينَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عَنْيَاتَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَاسْتِنَظَارِ الْوِلْدَانِ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَائَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعَنْيَاتُهُمْ بِالْخَطِّ تَبِعَ لِذَلِكَ وَالْجُمْلَةِ  
فَطَرِقَهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقْرَوا بِتُونِسَ وَعَنْهُمْ  
أَخَذَ وَلَدَانَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْطِطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا بَلَّغْنَا

وَلَا أَدْرِي بِمِ عَنَابَتِهِمْ مِنْهَا وَالَّذِي يُنْقَلُ لَنَا أَنَّ عَنَابَتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ  
وَقَوَانِينِهِ فِي زَمَنِ الشَّيْبَةِ وَلَا يَخْطُطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لِتَعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى أَنْفَادِهِ كَمَا نَتَعَلَّمُ سَائِرَ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصِّبَانِ وَإِذَا  
كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَاحَ فَيَخْطُطُ قَاصِرٌ عَنِ الْإِجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعْلَمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدَرٍ مَا يَسْنَحُ  
لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهَيْمَةِ فِي طَلَبِهِ وَبِتَبَعِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ أَفْرِيقَةِ وَالْمَغْرِبِ  
فَأَفَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورَ عَنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ جُمْلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْعَالِيَةِ مَلَكََةٌ لِمَا أَنَّ الْبَشَرَ مَضْرُوفُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ فُهُمْ مَضْرُوفُونَ  
لِذَلِكَ عَنِ الْأَسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيهِه وَالْإِحْتِذَاءِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكََةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِه  
فَلَا يَحْضُرُ لِصَاحِبِهِ مَلَكََةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحَظُهُ الْجُمُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّنَصُّفِ  
فِي الْكَلَامِ وَزُبَّ مَا كَانَ أَهْلُ أَفْرِيقَةِ فِي ذَلِكَ أَخَفَّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يَخْطُطُونَ  
فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَانِينِهَا كَمَا قُلْنَا هُيَافَتُهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
التَّنَصُّفِ وَمُحَادَاةِ الْمَثَلِ بِالْمَثَلِ إِلَّا أَنَّ مَا كَتَبْتُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
سَيَأْتِي فِي فَصْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَفَادَهُمُ التَّفَنُّنُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رَوَايَةِ الشَّعْرِ  
وَالْتَّرُّسُلِ وَمُدَارَسَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ النُّعْمِ حُصُولِ مَلَكََةِ صَارُوا بِهَا أَغْرَفَ فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصَرُوا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حَظٍّ وَادَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصَّبِيِّ وَلَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
كِتَابِ رَحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرِبَةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَأَ وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشَّعْرَ دِيْوَانُ  
الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَقْدِيمِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادِ اللُّغَةِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
إِلَى الْحِسَابِ فَيُشْعِرُونَ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَانِينَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَبَسَّرُ  
عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَقْدَمَةِ ثُمَّ قَالَ وَيَا غَفْلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصَّبِيُّ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
أَوَامِرِهِ يُقَرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيَنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَمَّا مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أَصُولِ  
الَّذِينَ ثُمَّ أَصُولُ الْفَقْهِ ثُمَّ الْجَدَلِ ثُمَّ الْحَدِيثَ وَعُلُومِهِ وَنَهَى مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَخْطُطَ فِي التَّعْلِيمِ  
عِلْمَانِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَعَلِّمُ تَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْقَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي

أَبُو بَكْرٍ وَحَمَّةُ اللَّهِ وَهُوَ لَعَمْرِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ لَا تَسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلَكُ بِالْأَحْوَالِ وَوَجْهًا أَخَصَّتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنْ تَقَدُّمِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ إِشَارًا لِلزَّبْرِكِ وَالْتَوَابِ وَخَشْيَةً مَا يَعْزُضُ لِلْوَلَدِ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْفَوَاطِخِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَقْوُمُ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجَرِ مُقَادَرٌ لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَاتَّحَلَ مِنْ رِبْقَةِ الْقَهْرِ فَرُبَّمَا عَصَفَتْ بِهِ رِيَاحُ الشَّيْبَةِ فَأَلْقَتْهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَعْتَمِدُونَ فِي زَمَانِ النَّجْوَى وَرِبْقَةِ الْحُكْمِ تَخْصِيلَ الْقُرْآنِ لِئَلَّا يَذْهَبَ خُلُوعًا مِنْهُ وَلَوْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِمْرَارِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّعْلِيمِ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوَّلَى مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُشَاءُ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وَذَلِكَ أَنَّ إِرْهَافَ الْحَدِّ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّعْلِيمِ سَيِّمًا فِي أَصَاغِرِ الْوُلَدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ الْمَمْلَكَةِ وَمَنْ كَانَ رَبَّاهُ بِالْعُسْفِ وَالْقَهْرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوْ الْعَمَالِكِ أَوْ أَلْخَدِمِ سَطَا بِهِ الْقَهْرُ وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي أَنْبَاطِهَا وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَحَمَلَ عَلَى الْكُذِبِ وَالْخُبْثِ وَهُوَ الظَّاهِرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْبَاطِ الْأَبْدِيِّ بِالْقَهْرِ عَلَيْهِ وَعِلْمُهُ الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ لِذَلِكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةٌ وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَانِي الْأَنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْأَجْتِمَاعُ وَالْتِمَرُّنُ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْزِلِهِ وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلْ وَكَسِلَتْ النَّفْسُ عَنْ أَكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ الْجَمِيلِ فَأَتَقَبَّضَتْ عَنْ غَايَتِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا فَازْتَكَسَتْ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قُبْضَةِ الْقَهْرِ وَنَالَ مِنْهَا الْعُسْفُ وَأَعْتَبَرَهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَمْلَكَةُ الْكَافِلَةُ لَهُ رَقِيقَةً بِهِ وَتَجِدُ ذَلِكَ فِيهِمْ اسْتِقْرَاءً وَانْفَرَادًا فِي الْيَهُودِ وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يَوْصَفُونَ فِي كُلِّ أَفْقٍ وَعَصْرِ بِالْخُرْجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ التَّغَابُثُ وَالْكَيْدُ وَسَبِيهِ مَا قُلْنَا هُ فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي مُتَعَلِّمِهِ وَالْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِمَا فِي التَّأْدِيبِ وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَى اللَّهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي لِمُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَبَّانًا وَمِنْ

كَلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُوَدِّهُ الشَّرْعُ لَا أَدَبُهُ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى صَوْنِ النَّفْسِ  
عَنْ مَذَاهِبِ التَّأْدِيبِ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْقَدَارَ الَّذِي عَيْنُهُ الشَّرْعُ لِلذَّكَاءِ لَهُ فَإِنَّهُ أَهْلًا  
بِمَصْلَحَتِهِ وَمِنْ أَحْسَنِ مَذَاهِبِ الْعِلْمِ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الرَّشِيدُ لِعِلْمِهِ وَإِلَيْهِ تَحَمُّدُ الْأَمِينِ  
وَقَالَ يَا أَحْمَرَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مَهْجَةَ نَفْسِهِ وَتَمَرَّةَ قَلْبِهِ فَصَبِّرْ بِذِكْرِ اللَّهِ  
مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً وَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْرَنَةً الْقُرْآنَ  
وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ وَرَوَاهُ الْأَشْعَارَ وَعَلِمَهُ الْأَسْنَنَ وَبَصَرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَنَهُ وَأَمْنَتَهُ  
مَنْ الضَّحْكُ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَسَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَرَفَعَ  
مَجَالِسِ الْقَوَارِ إِذَا حَضَرُوا وَجَالِسَهُ وَلَا تَمُرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَابْتَدَأْ تَقِيْدَهُ  
إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ فَنُصِمَتْ ذَهْنُهُ وَلَا تُعْنِ فِي مُسَاعَتِهِ فَيَسْتَجْلِي الْفَرَاغُ وَيَأْلَفُهُ  
وَقُوْمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَابَنَةِ فَإِنَّ أَبَاهَا تَعْلِيكَ بِالشَّدَةِ وَالْعَاطَلَةِ انْتَهَى

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَشَرَ يَأْخُذُونَ مَعَارِفَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَمَا يَنْتَحِلُونَ بِهِ مِنَ  
الْمَذَاهِبِ وَالْفَضَائِلِ تَارَةً عِلْمًا وَتَعْلِيمًا وَالْقَاءَ وَتَارَةً تَحَاكَاةً وَتَأْقِينًا بِالْمُبَاشَرَةِ إِلَّا أَنْ  
حُصُولُ الْمَلَكَاتِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْتَقِينَ أَشَدَّ اسْتِحْكَامًا وَأَقْوَى رُسُوجًا فَعَلَى قَدَرِ  
كَثَرَةِ الشُّبُوحِ يَكُونُ حُصُولُ الْمَلَكَاتِ وَرُسُوحُهَا وَالْأَصْطِلَاحَاتِ أَيْضًا فِي تَعْلِيمِ  
الْعُلُومِ مَخْطِطَةً عَلَى الْمُتَعَلِّمِ حَتَّى لَقَدْ يَنْظُرُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ  
ذَلِكَ إِلَّا بِمُفَرِّغَتِهِ لِاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلِقَاءُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَتَعَدُّدُ الْمَسَائِخِ  
يُفِيدُهُ تَمْيِيزَ الْأَصْطِلَاحَاتِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ اخْتِلَافِ طُرُقِهِمْ فِيهَا فَيُحَرِّدُ الْعِلْمَ عَنْهَا وَيَعْلَمُ  
أَنَّهَا أُنْجَاءُ تَعْلِيمٍ وَطُرُقُ تَوْصُلٍ وَتَنْهَضُ فَوَاهُ إِلَى الرُّسُوحِ وَالْإِسْتِحْكَامِ فِي الْمَكَانِ  
وَيُصَحِّحُ مَعَارِفَهُ وَتُمَيِّزُهَا عَنْ سَوَاهَا مَعَ تَقْوِيَةِ مَلَكَتِهِ بِالْمُبَاشَرَةِ وَالْتَقِينَ وَكَثَرَتِهَا  
مِنْ الْمَشِيخَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِهِمْ وَتَوَوُّعِهِمْ وَهَذَا لِمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ طُرُقَ الْعِلْمِ وَالْهِدَايَةِ  
فَالرَّحْلَةُ لَا بَدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَا كِتَابَ الْقَوَائِدِ وَالْكَفَالِ لِبَلَاءِ الْمَسَائِخِ وَمُبَاشَرَةِ  
الرَّجَالِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْقَوَصَ عَلَى الْمَعَانِي وَانْتِزَاعَهَا مِنَ التَّحْسُوسَاتِ وَتَجَرُّدَهَا فِي الذَّهْنِ أُمُورًا كُلِّيَّةً عَامَةً لِيُحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُمُومِ لَا بِمُخْصَصٍ مَادَّةٍ وَلَا تَخْصُصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَبُطْقُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكُلِّيَّ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَبْضًا يَقْسِمُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْفَقْهِيِّ فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُلُّهَا فِي الذَّهْنِ وَلَا تَصِيرُ إِلَى الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ النَّبْذِ وَالنَّظَرِ وَلَا تَصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَنْفَرُ مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذَّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ عَمَّا فِي الْخَفُوضِ مِنْ أَدَلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْلُبُ مُطَابَقَةً مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسُ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَطْلُبُ فِي صِحِّهَا مُطَابَقَتَهَا فِي الْخَارِجِ فَهُمْ مُتَعَوِّدُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمُ الْأُمُورَ الذِّهْنِيَّةَ وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَبْعَثُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةَ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَيَتَّبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَمْنَعُ مِنَ الْخَلْقِ بِشِبْهِهِ أَوْ مِثَالِ وَبِنَا فِي الْكُلِّيِّ الَّذِي يُعَاوَلُ تَطْبِيقُهُ عَلَيْهَا وَلَا يَقَاسُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ عَلَى الْآخَرِ كَمَا أَشْتَبَهَا فِي أَمْرِ وَاحِدٍ فَلَعَلَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ أَفْرَعُوا ذَلِكَ فِي قُلُوبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوْعَ اسْتِدْلَالِهِمْ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ كَثِيرًا وَلَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْكِبَسِ مِنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِأَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ بِتَقْوَبِ أَذْهَانِهِمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْقَوَصِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْقِيَاسِ وَالنَّحْكَافَةِ فَيَقَعُونَ فِي الْغَلَطِ وَالْعَامِي السَّامِعِ الطَّبَعِ الْمَتَوَسِّطِ الْكِبَسِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ عَنْ ذَلِكَ وَعَدَمِ اعْتِبَادِهِ إِيَّاهُ بِقِتْصَرِ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا أَخْصَصَ بِهِ وَلَا يُعَدِّي الْحُكْمَ بِقِيَاسٍ وَلَا تَعْمِيمٍ وَلَا يُقَارِقُ فِي أَكْثَرِ نَظَرِهِ الْمَوَادَّ الْمَحْسُوسَةَ وَلَا يَمُاجُوزُهَا فِي ذَهْنِهِ كَالسَّاجِ لَا يُقَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ

قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تُؤْخِزَنَّ إِذَا مَا سَبَحَتْ مَ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي دُعَاةِ أبنائه جَنَسِهِ فَيَحْسُنُ  
مَعَاشَهُ وَتَنْدَفِعُ أَقَانَتُهُ وَمَضَارُّهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٌ وَبَيْنَ هُنَا يَتَبَيَّنُ  
أَنَّ صِنَاعَةَ الْمُنَطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْغَلْطُ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِتِّزَاعِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْخُشُوسِ  
فَإِنَّهَا تَنْظُرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ النَّوَائِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يُبَاعِغُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَاقِضُهَا  
عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الْيَقِينِي وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الْأَوَّلِ وَهِيَ الَّتِي نَجْرِدُهَا قَرِيبُ  
فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْخُشُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدِّةٌ بِتَصْدِيقِ انْطِبَاقِهِ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم  
مِنَ الْعَرَبِ الْوَاقِعُ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْعَمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنَ  
الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
نِسْبَتِهِ فَهُوَ عَجَبِيٌّ فِي لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيخَتِهِ مَعَ أَنَّ الْعَمَلَةَ عَرَبِيَّةً وَصَاحِبَ شَرِيحَتِهَا عَرَبِيٌّ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِتَقْضَى أَحْوَالُ  
السَّجَاةِ وَالْيَدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَوَامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ كُنَّ الرِّجَالُ  
يَنْقُلُونَهَا فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا خَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَقْوَاهُ مِنْ صَاحِبِ  
الشَّرْعِ وَأَصْحَابِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالنَّالِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَلَا  
دُفْعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الْعَجَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانُوا  
يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِمِينَ بِمَعْمَلِ ذَلِكَ وَنَقْلِهِ إِلَى الْقُرَاءِ أَيْ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا أُمَمِينَ  
لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ يَوْمئِذٍ صِفَةٌ عَامَّةٌ فِي الْعَجَابَةِ بِمَا كُنُوا عَرَبًا فَقِيلَ لِحَمَلَةِ الْقُرْآنِ يَوْمئِذٍ قُرَاءٌ  
إِشَارَةً إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرَاءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرُهُ وَتَرْجُحُ  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَكَّلْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعْدَ النُّقْلِ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فَمَا بَعْدَ أَخِيحٍ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
وَتَقْيِيدِ الْحَدِيثِ بِخَافَةِ ضِيَاعِهِ ثُمَّ أَخِيحٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاقِلِينَ لِلتَّمْيِيزِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَأَقِعَاتِ مِنْ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَدْ مَعَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَأُخْتِجَ إِلَى وَضْعِ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ وَصَارَتْ  
 الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَلَكَاتٍ فِي الْأَسْتِنَابَاتِ وَالْإِسْتِخْرَاجِ وَالنَّظِيرِ وَالْقِيَاسِ  
 وَاجْتَنَبَتْ إِلَى عُلُومٍ أُخْرَى وَهِيَ الْوَسَائِلُ لَهَا مِنْ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الْقَرِيبَةِ وَقَوَانِينِ ذَلِكَ  
 الْأَسْتِنَابِ وَالْقِيَاسِ وَالذَّبَّ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدِلَّةِ لِكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ  
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا عُلُومًا ذَاتَ مَلَكَاتٍ مُتَحَاجَّةٍ إِلَى الْعَلِيمِ فَأَنْدَرَجَتْ فِي جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ مِنْ مُنْتَحَلِ الْحَضَرِ وَأَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهَا  
 فَصَارَتْ الْعُلُومُ لِذَلِكَ حَضَرِيَّةً وَبَعْدَ عَنْهَا الْعَرَبُ وَعَنْ سُوقِهَا وَالْحَضَرُ لِلَّذِي الْعَهْدُ هُمْ  
 الْعَجَمُ أَوْ مَنْ هُمْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْمَوَالِي وَأَهْلُ الْخَوَاصِرِ الَّذِينَ هُمْ يَوْمُئِذٍ تَبِعَ لِلْعَجَمِ فِي  
 الْحَضَارَةِ وَأَحْوَالِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْخَرْفِ لِأَنَّهُمْ أَقْوَمُ عَلَى ذَلِكَ لِلْحَضَارَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ  
 مِنْذُ دَوْلَةِ الْفَرَسِ فَكَانَ صَاحِبُ صِنَاعَةِ النَّحْوِ سَبْيُونِيهِ وَالْفَارِسِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَالزَّجَّاجُ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا وَكُلُّهُمْ عَجَمٌ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنَّمَا رُبُوا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْتَسَبُوهُ بِالْعَرَبِيِّ  
 وَمَحَاطَلَةُ الْعَرَبِ وَصَبْرُوهُ قَوَانِينِ وَفَنَّا لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَذَا حَمَلَةُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ حَفِظُوهُ عَنْ  
 أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمْ عَجَمٌ أَوْ مُسْتَعِجِمُونَ بِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيِّ وَكَانَ عُلَمَاءُ أَصُولِ الْفَقْهِ  
 كُلُّهُمْ عَجَمًا كَمَا يُعْرَفُ وَكَذَا حَمَلَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَذَا أَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ وَلَمْ يَقُمْ  
 بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ إِلَّا الْأَعَاجِمُ وَظَهَرَ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ  
 بِأَكْثَرِ السَّمَاءِ لَنَالَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الْحَضَارَةَ  
 وَسُوقَهَا وَخَرَجُوا إِلَيْهَا عَنِ الْبِدَاوَةِ فَشَغَلَتْهُمْ الرِّئَاسَةُ فِي الدَّوْلَةِ وَحَامِيَتِهَا وَأَوَّلِي سِيَاسَتِهَا  
 مَعَ مَا يَلْتَحِقُهَا مِنَ الْأَنْتَهَةِ عَنِ انْتِحَالِ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ بِمَا صَارَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالرُّؤُوسَاءِ  
 أَبْدًا يَسْتَنْكِفُونَ عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْمِهِنِ وَمَا يُغَيِّرُ إِلَيْهَا وَدَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ  
 الْعَجَمِ وَالْمَوْلَدِينَ وَمَا زَالُوا يَرَوْنَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِهِ فَإِنَّهُ دِينُهُمْ وَعُلُومُهُمْ وَلَا يَحْتَقِرُونَ  
 حَمَلَتَهَا كُلَّ الْأَحْقَاقِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ الْعَرَبِ جُمْلَةً وَصَارَ لِلْعَجَمِ صَارَتْ الْعُلُومُ  
 الشَّرْعِيَّةُ غَرِيبَةً النَّسَبَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمُلْكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ نَسَبِهَا وَابْتِنِهَا حَمَلَتَهَا  
 بِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ بَعْدَهُ عَنْهُمْ مُشْتَغِلِينَ بِمَا لَا يَغْنِي وَلَا يُجْعِدِي عَنْهُمْ فِي الْمُلْكِ وَالسِّيَاسَةِ  
 كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي نَقْلِ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ فَهَذَا الَّذِي قَرَرْنَاهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ حَمَلَةَ  
 الشَّرِيعَةِ أَوْ عَامَتَهُمْ مِنَ الْعَجَمِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقَلِيَّةُ أَيْضًا فَلَمْ تَظْهَرْ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ



تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ وَمُؤَلَّفُوهُ وَاسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَأَخْضَعَتْ بِالْعَجْمِ وَتَرَكَتْهَا الْعَرَبُ  
وَأَنْصَرَفُوا عَنْ أَنْتَاجِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمُعَرَّبُونَ مِنَ الْعَجْمِ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا فُلَنَاءُ أَوَّلًا  
فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتِ الْحِضَارَةُ فِي الْعَجْمِ وَبِلَادِهِمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ نَالِكُ الْأَمْصَارِ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحِضَارَةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي  
حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجْمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَأَخْضَعَتْ  
الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمُؤَلَّفَةِ الْحِضَارَةَ وَلَا أَقْوَرَ الْيَوْمَ فِي الْحِضَارَةِ مِنْ مَضَرٍّ فِيهِ أُمُّ الْعَالَمِ  
وَأَبْوَانُ الْأِسْلَامِ وَتَبَيَّعَ الْعِلْمُ وَالصَّنَائِعُ وَبَقِيَ بَعْضُ الْحِضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
هُنَاكَ مِنَ الْحِضَارَةِ بِالْمَوْلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَهُمْ بِذَلِكَ حِصَّةٌ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تُنْكَرُ  
وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَالِيفِ وَصَلَتِ الْبِنَاءُ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
سَعْدُ الدِّينِ التَّنَازَانِي وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجْمِ فَلَمْ نَرِ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ  
وَتَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِي كَلَامًا يُعَوَّلُ عَلَى نَهَائِهِ فِي الْأَصَابَةِ فَأَعْتَبْنَا ذَلِكَ وَتَأَمَّلْنَا تَرْعِيًا  
فِي أَحْوَالِ الْحَقِيقَةِ وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

## الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَرَزَّكَهُ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللَّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
الشَّرِيعَةِ إِذَا مَا خُذَ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَهِيَ بِلَاغَةُ الْعَرَبِ  
وَتَقْلَتُهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكَلَاتِهَا مِنْ لُغَاتِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَفَقَّوَتْ فِي التَّأْكِيدِ وَتَفَاوَتْ  
مَرَاتِبُهَا فِي التَّوْفِيقِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسَبًا يَتَبَيَّنُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَأْتِيَنَّ وَالَّذِي  
يَتَحَصَّلُ أَنَّ الْأَهْلَ الْمُقَدَّمِ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تُبَيَّنُ أَصُولُ الْمَقَاصِدِ بِالِدَلَالَةِ فَيَعْرِفُ  
الْفَاعِلَ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأَ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَا هَذَا لَجَهْلُ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
اللَّغَةِ التَّفَقُّدُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةٌ فِي مَوْضُوعَاتِهَا لَمْ تَنْغَيِّرْ بِخِلَافِ الْأَعْرَابِ  
الدَّالِّ عَلَى الْأَسْنَادِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَلِذَلِكَ  
كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ فِي جِهَتِهِ الْأَخْلَافُ بِالنَّهْجِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ

## علم النحو

اعْلَمُ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمُتَعَارَفِ فِي عِبَارَةِ الْمُتَكَلِّمِ عَنْ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ  
فِعْلٌ لِسَانِي فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْفِعْلِ الْقَاعِلِ لَهَا وَهُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ فِي  
كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتْ الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِلدَّلَالَةِ غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَعَانِي مِنَ التَّجَرُّورِ أَعْنَى الْمُضَافِ وَمِثْلُ الْحُرُوفِ الَّتِي تُنْفِي بِالْأَفْعَالِ إِلَى الدُّوَاتِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ أَلْفَاظٍ أُخْرَى وَلَيْسَ يُوْجَدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ  
اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ أَلْفَاظٍ تُخَصُّ بِالْإِدْلَالَةِ وَلِلَّذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ  
الْعَجَمِ مِنْ غَطَابَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا نُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوْنِيتْ جَوَامِعُ الْعِلْمِ وَأَخْتَصِرَ لِي الْكَلَامُ أَخْتَصَارًا قَصَارًا لِلْحُرُوفِ فِي  
لُغَتِهِمْ وَالْحُرُوكَاتِ وَالْمُنِثَاتِ أَيْ الْأَوَاضَاعِ اعْتِبَارًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرِ مُتَكَلِّفِينَ  
فِيهِ لِصِنَاعَةِ بَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ مَلَكَةٌ فِي السَّنَنِ بِأَخْذِهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ  
كَمَا نَأْخُذُ صَبِيحَانَا لِهَذَا الْعَهْدِ لُغَاتِنَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَازَ لَطَلَبَ الْمَلِكُ  
الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأُمَمِ وَالِدُورِ وَخَالَطُوا الْعَجَمَ تَغَيَّرَتْ نِلَاكُ الْمَلَكَةِ بِمَا أَلْفَى  
إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ التَّخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعَرِبِينَ وَاسْتَمَعَ أَبُو الْمَلَكَاتِ السَّانِيَةَ فَفَسَدَتْ بِمَا  
أَلْفَى إِلَيْهَا مِمَّا يُغَايِرُهَا جَنُوحَهَا إِلَيْهِ بِاعْتِبَادِ السَّمْعِ وَخَشِيَ أَهْلُ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تَفْسُدَ  
نِلَاكُ الْمَلَكَةِ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بَهَا فَيَنْغَلِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَقْهُومِ فَأَسْتَنْبَطُوا  
مِنْ تَجَارِيهِ كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِنِلَاكِ الْمَلَكَةِ مُطَرَّدَةً شَبَهَ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ يَقْسُونَ  
عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيَلْحَقُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلُ أَنَّ الْقَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ  
مَنْصُوبٌ وَالْمُبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَأَصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَةَ الْمُوجِبِ لِنِلَاكِ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَصَارَتْ كُلُّهَا  
أَصْطِلَاحَاتٍ خَاصَّةً بِهِمْ تَقْبَلُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَعَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مَخْصُوصَةً وَأَصْطَلَحُوا  
عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِعِلْمِ النَّحْوِ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلَبِيُّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَيُقَالُ  
بِإِشَارَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَفَرَعَ إِلَى

ضَبَطَهَا بِالْقَوَائِنِ الْخَاصِرَةِ الْمُسْتَقْرَأَةِ ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ انْتَهَتْ إِلَى  
 الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ أَيَّامَ الرَّشِيدِ وَكَانَ النَّاسُ أَخْرَجَ إِلَيْهَا الذَّهَابَ تِلْكَ الْمَلَكَةُ  
 مِنَ الْعَرَبِ فَهَذَّبَ الصَّنَاعَةَ وَكَبَّلَ أَبْوَابَهَا وَأَخَذَهَا عَنْهُ سَبْيُونُهُ فَكَمَّلَ تَقَارِيعَهَا وَاسْتَعْكَّرَ  
 مِنْ أَدِلَّتِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَوَضَعَ فِيهَا كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي صَارَ إِمَامًا لِكُلِّ مَا كُتِبَ فِيهَا  
 مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ وَضَعَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَمِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَاجُ كُتُبًا مُخَصَّرَةً لِلْمُتَعَلِّمِينَ يَخْدُونَ  
 فِيهَا حَدَثَ الْإِمَامِ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ طَالَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَحَدَّثَ الْخِلَافَ بَيْنَ أَهْلِهَا  
 فِي السُّكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْمَصْرَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ لِلْعَرَبِ وَكَثُرَتِ الْأَدَلَّةُ وَالْحِجَاجُ بَيْنَهُمْ وَتَبَايَنَتِ  
 الطَّرِيقُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثُرَ الْأَخْتِلَافُ فِي إِعْرَابِ كَثِيرٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ بِأَخْتِلَافِهِمْ فِي  
 تِلْكَ الْقَوَائِدِ وَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِمَذَاهِبِهِمْ فِي الْإِخْتِصَارِ  
 فَأَخْتَصَرُوا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الطُّولِ مَعَ اسْتِعْيَابِهِمْ لِجَمِيعِ مَا نَعَلَ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي  
 كِتَابِ التَّنْهِيلِ وَأَمثالِهِ أَوْ اقْتَصَرَهُمْ عَلَى الْمَبَادِي لِلْمُتَعَلِّمِينَ كَمَا فَعَلَهُ الرَّخْشَرِيُّ  
 فِي الْمَفْصَلِ وَابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمَقْدَمَةِ لَهُ وَرُبَّمَا نَظَمُوا ذَلِكَ نَظْمًا مِثْلَ ابْنِ مَالِكٍ فِي  
 الْأَزْجُورَتَيْنِ الْكُبْرَى وَالصَّغْرَى وَابْنُ مَعْطِيٍّ فِي الْأَزْجُورَةِ الْأَلْفِيَّةِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَلْثَمَ لَيْفُ  
 فِي هَذَا الْقَنْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَحْصِيَ أَوْ يَحْاطَ بِهَا وَطُرُقُ التَّعْلِيمِ فِيهَا مُخْتَلَفَةٌ فَطَرِيقَةُ  
 الْمُتَقَدِّمِينَ مُغَايِرَةٌ لَطَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْكُوفِيُّونَ وَالْبَصْرِيُّونَ وَالْبَغْدَادِيُّونَ  
 وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ مُخْتَلَفَةٌ طَرَفُهُمْ كَذَلِكَ وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تُؤْذَنُ بِالذَّهَابِ لِمَا  
 رَأَيْنَا مِنَ النِّقْصِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِتَنَاقُصِ الْعُمَرَانِ وَوَصَلَ إِلَيْنَا بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذِهِ الْعُصُورِ دِيَوَانٌ مِنْ مَضَرٍّ مَنَسُوبٍ إِلَى جَمَالِ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ مِنْ عُلَمَائِهَا اسْتَوْفَى  
 فِيهِ أَحْكَامَ الْأَعْرَابِ بِجُمْلَةٍ وَمُقْصَلَةً وَتَهَكُّمًا عَلَى الْحُرُوفِ وَالْمُفْرَدَاتِ وَالْجُمْلِ  
 وَحَدَفَ مَا فِي الصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَكَرَّرِ فِي أَكْثَرِ أَبْوَابِهَا وَسَمَّاهُ بِالْمَغْنِيِّ فِي الْأَعْرَابِ  
 وَأَشَارَ إِلَى نَكْتِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا وَضَبَطَهَا بِأَبْوَابِ وَفُضُولِ وَقَوَاعِدِ أَنْتَظَمَ  
 سَائِرُهَا فَوْقَهَا مِنْهُ عَلَى عِلْمِ جَمْعٍ بِشَهْدِ بَعْلُو قَدْرِهِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَزُفُورِ بَضَاعَتِهِ  
 مِنْهَا وَكَأَنَّهُ يَنْحُو فِي طَرِيقَتِهِ مَنَاجَاةَ أَهْلِ الْمَوْصِلِ الَّذِينَ اقْتَفَوْا اثْرَ ابْنِ جَنِّيٍّ وَاتَّبَعُوا  
 مُصْطَلَحَ تَعْلِيمِهِ فَأَتَى مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ عَجِيبٍ دَالٍّ عَلَى قُوَّةِ مَلَكَتِهِ وَأُطْلَاعِهِ وَاللَّهُ  
 بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا بَشَاهُ

## علم اللغة

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ بَيَانُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ مَلَكَهَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ فِي الْحَرَكَاتِ الْمُسَمَّاةِ عِنْدَ أَهْلِ النَّحْوِ بِالْأَعْرَابِ وَاسْتَنْبَطَ الْقَوَائِنَ لِحِفْظِهَا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ اسْتَحْمَرَ ذَلِكَ الْفَسَادُ بِمَلَابَسَةِ النِّجَمِ وَتَغَالُطِهِمْ حَتَّى تَادَى الْفَسَادُ إِلَى مَوْضُوعَاتِ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمَلَ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ عِنْدَهُمْ مِثْلًا مَعَ هِجَةِ الْمُسْتَعَرَّبِينَ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمُ الْمُخَالَفَةِ لِصَرِيحِ الْعَرَبِيَّةِ فَاحْتِيجُ إِلَى حِفْظِ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَالْتَدْوِينِ خَشْيَةَ الدُّرُوسِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَشَمَرَ كَثِيرٌ مِنْ أُنَمَةِ اللِّسَانِ لَذَلِكَ وَأَمَلُوا فِيهِ الدَّوَاوِينَ وَكَانَ سَابِقُ الْحَلَةِ فِي ذَلِكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ أَلَفَ فِيهَا كِتَابَ الْعَيْنِ فَحَصَرَ فِيهِ مَرَكَبَاتِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ كُلِّهَا مِنَ الثَّنَائِيِّ وَالْثَلَاثِيِّ وَالرُّبَاعِيِّ وَالْخُمَائِيِّ وَهُوَ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ التَّرَكِيبُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتَى لَهُ حَصْرُ ذَلِكَ بِوُجُوهِ عِدِيدَةٍ حَاضِرَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْكَلِمَاتِ الثَّنَائِيَّةِ تَخْرُجُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْدَادِ عَلَى التَّوَالِي مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ وَهُوَ دُونَ نِهَائِهِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ مِنْهَا يُؤْخَذُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَالْعِشْرِينَ فَتَكُونُ سَبْعَةٌ وَعَشْرِينَ كَلِمَةً ثَنَائِيَّةً ثُمَّ يُؤْخَذُ الثَّنَائِيَّ مَعَ السَّنَةِ وَالْعِشْرِينَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ ثُمَّ يُؤْخَذُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مَعَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ فَيَكُونُ وَاحِدًا فَتَكُونُ كُلُّهَا أَعْدَادًا عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ فَتُجْمَعُ كَمَا هِيَ بِالْعَمَلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ الْحِسَابِ ثُمَّ تَضَاعَفُ لِأَجْلِ قَلْبِ الثَّنَائِيِّ لِأَنَّ التَّفْدِيمَ وَالْتَأْخِيرَ بَيْنَ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرٌ فِي التَّرَكِيبِ فَيَكُونُ الْخَارِجُ جُمْلَةَ الثَّنَائِيَّاتِ فِيمَا يَجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ لِأَنَّ كُلَّ ثَنَائِيَّةٍ يَزِيدُ عَلَيْهَا حَرْفًا فَتَكُونُ ثَلَاثِيَّةً فَتَكُونُ الثَّنَائِيَّةُ بِمَنْوَلَةِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْبَاقِيَةِ وَهِيَ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَ الثَّنَائِيَّةِ فَتُجْمَعُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَيَضْرِبُ فِيهِ جُمْلَةُ الثَّنَائِيَّاتِ ثُمَّ تَضْرِبُ الْخَارِجُ فِي سِتَّةِ جُمْلَةٍ مَقْلُوبَاتِ الْكَلِمَةِ الثَّلَاثِيَّةِ فَيَخْرُجُ مَجْمُوعٌ يَرَاكِبُهَا مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَكَذَلِكَ فِي الرُّبَاعِيِّ وَالْخُمَائِيِّ فَاتَّحَصَرَتْ لَهُ التَّرَاكِبُ بِهَذَا الْوَجْهِ وَرَتَّبَ أَبَوَاهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ بِالتَّرْتِيبِ الَّتِي عَارَفَ وَاعْتَمَدَ فِيهِ تَرْتِيبَ الْخَارِجِ قَبْدًا بِحُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ بَعْدَهُ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ ثُمَّ الْأَخْرَاسِ ثُمَّ

الشَّعْءَ وَجَعَلَ حُرُوفَ الْعِلَّةِ آخِرًا وَهِيَ الْحُرُوفُ الْهَوَائِيَّةُ وَبَدَأَ مِنْ حُرُوفِ الْخَلْقِ بِالْعَيْنِ  
 لِأَنَّهُ الْأَفْصَرُ مِنْهَا فَلِذَلِكَ سَمِيَ كِتَابُهُ بِالْعَيْنِ لِأَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فِي تَسْمِيَةِ  
 دَوَائِبِهِمْ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَهُوَ تَسْمِيَتُهُ بِأَوَّلِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَلْفَاظِ ثُمَّ  
 بَيْنَ الْمُعْمَلِ مِنْهَا مِنَ الْمُسْتَعْمَلِ وَكَانَ الْمُعْمَلُ فِي الرَّبَاعِيِّ وَالْخَمْسِيِّ أَكْثَرَ لِقَلَّةِ  
 اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ لَهُ لِنَقْلِهِ وَلِحَقِّ بِهِ الثَّنَائِيِّ لِقَلَّةِ دَوْرَانِهِ وَكَانَ الْإِسْتِعْمَالُ فِي الثَّلَاثِيِّ  
 أَغْلَبَ فَكَانَتْ أَوْضَاعُهُ أَكْثَرَ لِدَوْرَانِهِ وَضَمَّنَ الْخَلِيلُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ  
 وَاسْتَوْعَبَهُ أَحْسَنَ اسْتِيعَابٍ وَأَوْعَاهُ وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الزَّيْدِيُّ وَكَتَبَ لِهَيْشَامِ الْمُؤَيَّدِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْمِائَةِ الرَّبَاعَةِ فَأَخْصَرَهُ مَعَ الْحِفَافَةِ عَلَى الْإِسْتِيعَابِ وَحَذَفَ مِنْهُ الْمُعْمَلُ  
 كُلَّهُ وَكَثِيرًا مِنْ شَوَاهِدِ الْمُسْتَعْمَلِ وَلِخَصَّةِ لِلْحَفِظِ أَحْسَنَ تَلْخِيصٍ وَآلَتْ الْجَوْهَرِيُّ  
 مِنَ الْمَشَارِقَةِ كِتَابَ الصِّحَاحِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَعَارِفِ لِلْحُرُوفِ الْمُعْجَمِ فَبَعَلَ الْبِدَاءَ مِنْهَا  
 بِالْهَمْزَةِ وَجَعَلَ التَّرْجُمَةَ بِالْحُرُوفِ عَلَى الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنَ الْكَلِمَةِ لِأَضْطِرَارِ النَّاسِ فِي  
 الْأَكْثَرِ إِلَى أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَحَصَرَ اللُّغَةَ اقْتِدَاءً بِمَحْضَرِ الْخَلِيلِ ثُمَّ آلَفَ فِيهَا مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ابْنَ  
 سَيِّدَةٍ مِنْ أَهْلِ دَانِيَّةٍ فِي دَوْلَةِ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ كِتَابَ الْحُكْمِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنَ الْإِسْتِيعَابِ  
 وَعَلَى نَحْوِ تَرْتِيبِ كِتَابِ الْعَيْنِ وَزَادَ فِيهِ التَّعْرُضَ لِاسْتِثْقَاتِ الْكَلِمِ وَتَصَارُفِهَا فِيهَا مِنْ  
 أَحْسَنِ الدَّوَاوِينِ وَلِخَصَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ صَاحِبُ الْمُسْتَصْرَعِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْخَفْصِيَّةِ  
 بُونُسٍ وَقَلَّبَ تَرْتِيبَهُ إِلَى تَرْتِيبِ كِتَابِ الصِّحَاحِ فِي اعْتِبَارِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَبَنَاءِ التَّرَاجِمِ  
 عَلَيْهَا فَكَانَا تَوَاقِي رَجِمَ وَسَلِيلِي أَبُوهُ هَذِهِ أَصُولُ كُتُبِ اللُّغَةِ فِيمَا عَلِمْنَاهُ وَهَنَّاكَ  
 مُخْتَصَرَاتُ أُخْرَى مُخَصَّصَةٌ بِصِنْفٍ مِنَ الْكَلِمِ وَمُسْتَوْعِبَةٌ لِبَعْضِ الْأَبْوَابِ أَوْ لِكُلِّهَا إِلَّا  
 أَنَّ وَجْهَ الْخَصْرِ فِيهَا خَفِيٌّ وَوَجْهَ الْخَصْرِ فِي تِلْكَ جَلِيٌّ مِنْ قِبَلِ التَّرَاكِبِ كَمَا رَأَيْتَ وَمِنْ  
 الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ أَيْضًا فِي اللُّغَةِ كِتَابُ الزَّخْخَشِيِّ فِي النِّجَازِ بَيْنَ فِيهِ كُلِّ مَا تَجَوَّزَتْ  
 بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَفِيمَا تَجَوَّزَتْ بِهِ مِنَ الْمَدْلُولَاتِ وَهُوَ كِتَابُ شَرِيفِ الْإِفَادَةِ  
 ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْعَرَبُ تَضَعُ الشَّيْءَ عَلَى النُّمُومِ ثُمَّ تَسْتَعْمِلُ فِي الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْفَافَا  
 أُخْرَى خَاصَّةً بِهَا فَوْقَ ذَلِكَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْوَضْعِ وَالْإِسْتِعْمَالِ وَاحْتِجَاجٌ إِلَى فِقْهِ فِي اللُّغَةِ  
 عَزِيزٍ الْمَأْخَذِ كَمَا وَضِعَ الْآيِنُ بِالْوَضْعِ الْعَامِّ لِكُلِّ مَا فِيهِ يَأْضُ ثُمَّ أَخْصَصَ مَا فِيهِ  
 يَأْضُ مِنَ الْخَلِيلِ بِالْأَشْهَبِ وَمِنْ الْأَنْسَانِ بِالْأَزْهَرِ وَمِنْ الْقَتَمِ بِالْأَمْتَحِ حَتَّى صَارَ اسْتِعْمَالُ

الْأَيُّضُ فِي هِدْيَةِ كُلِّهَا لِحَنًا وَخُرُوجًا عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَأَخْضُصَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْمَعْنَى  
 الْعَلَامِيِّ وَأَفْرَدَهُ فِي كِتَابٍ لَهُ سَمَاءٌ فِيهِ الْلُغَةُ وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَأْخُذُ بِهِ الْغَوِيُّ نَفْسَهُ  
 أَنْ يَحْتَرِفَ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَلَيْسَ مَعْرِفَةُ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ بِكَافٍ فِي التَّرْتِيبِ  
 حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ اسْتِعْمَالُ الْعَرَبِ لِنَظَرٍ وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ الْأَدِيبُ فِي فَنِّي  
 نَظْمِهِ وَتَرْثِهِ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَكْثُرَ لِحْنُهُ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْغَوِيَّةِ فِي مَفْرَدَاتِهَا وَتَوَاقِيهِهَا  
 وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ اللَّحْنِ فِي الْأَعْرَابِ وَالْفَحْشِ وَكَذَلِكَ أَلْفَ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْأَلْفَاظِ  
 الْمُشْتَرَكَةِ وَتَكْثُلِ يَحْضَرُهَا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى النِّهَايَةِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ مُسْتَوْعِبٌ لِلْأَكْثَرِ  
 وَأَمَّا الْخَفِضَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي هَذَا الْقَرْنِ الْخَفِضَةُ بِالْمُتَدَاوِلِ مِنَ الْلُغَةِ الْكَبِيرِ  
 الِاسْتِعْمَالِ تَسْيِيلًا لِحَفْظِهَا عَلَى الطَّالِبِ فَكَثِيرَةٌ مِثْلُ الْأَلْفَاظِ لِأَبْنِ السَّكَنِتِ وَالْفَصِيحِ  
 لِثَعْلَبٍ وَغَيْرِهِمَا وَبَعْضُهَا أَقَلُّ لُغَةً مِنْ بَعْضٍ لِاخْتِلَافِ نَظَرِهِمْ فِي الْأَمْرِ عَلَى الطَّالِبِ  
 الْحَفِظِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### علم البيان

هَذَا الْعِلْمُ حَادِثٌ فِي الْعِلْمَةِ بَعْدَ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ وَهُوَ مِنَ الْعُلُومِ الْأَلْسَانِيَّةِ لِأَنَّهُ  
 مُتَعَلِّقٌ بِالْأَلْفَاظِ وَمَا تُعِيدُهُ وَيَقْصِدُ بِهَا الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي  
 يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا إِفَادَةَ السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ هِيَ إِمَّا تَصْدُورُ مَفْرَدَاتٍ تُسَنِّدُ وَيُسَنِّدُ  
 إِلَيْهَا وَيُفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَالدَّلَالَةُ عَلَى هِدْيَةِ هِيَ الْمَفْرَدَاتُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ  
 وَالْحُرُوفِ وَإِمَّا تَعْيِيزُ الْمُسْنَدَاتِ مِنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهَا وَالْأَزْمِنَةِ وَبَدَلُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ الْحُرُوفِ  
 مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَبْنِيَةِ الْكَلِمَاتِ وَهَذِهِ كُلُّهَا هِيَ صِنَاعَةُ النُّحْوِ وَبَقِيَ مِنَ الْأُمُورِ  
 الْمَكْتَنَفَةِ بِالْوُاقِعَاتِ الْحُجَّتُاجَةُ لِلدَّلَالَةِ أَحْوَالُ الْمُتَخَطِّطِينَ أَوْ الْفَاعِلِينَ وَمَا يَقْتَضِيهِ  
 حَالُ الْفِعْلِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْإِفَادَةِ وَإِذَا حَصَلَتْ لِلْمُتَكَلِّمِ  
 فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِفَادَةِ فِي كَلَامِهِ وَإِذَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ  
 الْعَرَبِ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ وَاسِعٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ عِنْدَهُمْ مَقَالٌ يُخْتَصُّ بِهِ بَعْدَ كَمَالِ الْأَعْرَابِ  
 وَالْإِبَانَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُمْ زَيْدٌ جَاءَنِي مُغَايِرٌ لِقَوْلِهِمْ جَاءَنِي زَيْدٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 الْمُنْقَدِمِ مِنْهَا هُوَ الْأَمْرُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فَمَنْ قَالَ جَاءَنِي زَيْدٌ أَفَادَ أَنَّ أَهْمَلَهُ  
 بِالْعَبِيَّةِ قَبْلَ الشَّخْصِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَمَنْ قَالَ زَيْدٌ جَاءَنِي أَفَادَ أَنَّ أَهْمَلَهُ بِالشَّخْصِ

قَبْلَ الْحُجِيِّ الْمُسْنَدِ وَكَذَا التَّعْبِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يَنْاسِبُ الْمَقَامَ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
مُتَّبِعٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْأَسْتَدَ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ مُتَّكِبَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْرَابِ فَإِنْ  
الْأَوَّلُ الْعَارِي عَنْ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُفِيدُ الْخَالِي الذَّهْنَ وَالثَّانِي الْمَوْكَدَّ بِإِبْرَافِيدُ  
الْمُتَرَدِّدِ وَالثَّلَاثُ يُفِيدُ الْمُنْكَرَ فِيهِ مُخْتَلَفَةٌ وَكَذَلِكَ نَقُولُ جَاءَنِي الرَّجُلُ ثُمَّ نَقُولُ مَكَانَهُ  
بِعَيْنِهِ جَاءَنِي رَجُلٌ إِذَا فَصَدَّتْ بِذَلِكَ التَّنْكِيرِ تَعْظِيمَةً وَأَنَّهُ رَجُلٌ لَا يُعَادِلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
الرَّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْأَسْنَدَةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي لَهَا خَارِجٌ نَطَاقُهُ أَوَّلًا وَإِنْشَائِيَّةً  
وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعِهِ ثُمَّ قَدْ يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْعَاطِفِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مِثْلَهُ النَّاتِجُ الْمَفْرَدُ نَعْمًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
بِلَا عَطْفٍ أَوْ يَتَعَيَّنُ الْعَطْفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ ثُمَّ يَقْتَضِي الْمَحَلُّ  
الْأَطْنَابَ وَالْإِيْمَارَ فَيُورِدُ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ يَدُلُّ بِاللَّفْظِ وَلَا يُرَادُ مَنْطُوقُهُ  
وَيُزَادُ لَزَامُهُ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
وَإِنَّمَا تُرِيدُ شَبَاعَتَهُ الْأَلَزِمَةَ وَتُسْنِدُهَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمَّى هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِاللَّفْظِ  
الْمُرْكَبِ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا لَزِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
مِنَ الْجُودِ وَقَرَى الصَّيْفَ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا  
دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْمَفْرَدِ وَالْمُرْكَبِ وَإِنَّمَا هِيَ هَيْئَاتُ وَأَحْوَالُ الْوَاقِعَاتِ  
جُعِلَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتُ فِي الْأَلْفَاظِ كُلِّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ فَأَشْتَعَلَ  
هَذَا الْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِالْيَبَانَ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
وَالْمَقَامَاتِ وَجُعِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الصَّنِفُ الْأَوَّلُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
وَالْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَاقُهَا بِاللَّفْظِ جَمِيعُ مَقْتَضِيَاتِ الْحَالِ وَبُسَمَى عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالصَّنِفُ  
الثَّانِي يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَلَزِمِ اللَّفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْأَسْتِعَارَةُ وَالْكِنَايَةُ كَمَا  
قُلْنَا وَبُسَمَى عِلْمُ الْيَبَانَ وَالْحَقُوقِ بِهَمَا صِنْفًا آخَرَ وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَرْزِينِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ إِمَّا بِتَجْعِيلِ بَفَصْلَةٍ أَوْ تَجْعِيلِ بِشَايَةٍ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ أَوْ تَرْصِيعِ بِقَطْعِ  
أَوْ تَوْرِيَةِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهَامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ لِاشْتِرَاكِ الْلفظِ بَيْنَهُمَا وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَبُسَمَى عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُعْجِدِّينَ أَمَمٌ

الْبَيَانُ وَهُوَ اسْمُ الصِّنْفِ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ ثُمَّ تَلَاَحَثَّ مَسَائِلُ  
الْفَنِّ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَكُتِبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَالْجَاهِظُ وَقِدَامَةُ وَأَمْثَلُهُمْ إِمْلَاءَاتِ  
غَيْرِ وَافِيَةٍ فِيهَا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَنِّ تَكْمُلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ تَخْصَّ السَّكَّاكِيُّ زُبْدَتُهُ  
وَهَذَبَ مَسَائِلُهُ وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ انْفِاقًا مِنَ التَّرْتِيبِ وَأَلَفَّ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى  
بِالْمِفْتَاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ فَبَعَلَ هَذَا الْفَنِّ مِنْ بَعْضِ أَجْرَائِهِ وَأَخَذَهُ  
الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ كِتَابِهِ وَخَصُّوا مِنْهُ أُمَمَاتٍ هِيَ الْمُنْتَدَاوَلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا قَعَلَهُ السَّكَّاكِيُّ  
فِي كِتَابِ التَّبَيَانِ وَأَبْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ وَجَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِ  
الْإِبْصَاحِ وَالتَّلْخِصِ وَهُوَ أَضْعَفُ حُجْمًا مِنَ الْإِبْصَاحِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ أَهْلِ  
الْمَشْرِقِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَإِلْمَارَقَةُ عَلَى هَذَا  
الْفَنِّ أَقْوَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَسَبِيهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا لِيَ فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ  
الْكِمَالِيَّةِ تَوَجَّدَ فِي الْعُمَرَانِ وَالْمَشْرِقِ أَفْرَ عُمرَانًا مِنَ الْمَغْرِبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ  
نَقُولُ لِعِنَايَةِ الْعَجَمِ وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ كَتَفْسِيرِ الرَّخْشِيرِيِّ وَهُوَ كُلُّهُ مُبْنِيٌّ عَلَى  
هَذَا الْفَنِّ وَهُوَ أَصْلُهُ وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْنَافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً  
وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ وَفَرَعُوا لَهُ أَلْقَابًا وَعَدَّدُوا أَبْوَابًا وَتَوَعَّوْا أَنْوَاعًا  
وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا حَمَلُوهَا عَلَى ذَلِكَ التَّوَلُّعِ بِتَرْزِينِ الْأَلْفَاظِ  
وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلٌ أَلَمَّا خِذَ وَصَعِبَتْ عَلَيْهِمْ مَا خِذَ الْبَلَاغَةُ وَالْبَيَانُ لِدِقَّةِ أَنْظَارِهِمَا  
وَعُمُوسِ مَعَانِيهِمَا فَتَجَافَوْا عَنْهُمَا وَمِمَّنْ أَلَفَّ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ ابْنُ رَشِيْقٍ  
وَكِتَابُ النَّمْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ وَجَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنْحَاهُ وَأَعْلَمُ  
أَنَّ تَمَرَةَ هَذَا الْفَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ إِعْجَازَهُ فِي وَفَاءِ الدَّلَالَةِ  
مِنْهُ بِجَمِيعِ مُقْتَضَيَاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةٍ وَمَفْهُومَةٌ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَلَامِ مَعَ  
الْكِمَالِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي انْتِقَائِهَا وَجُودَةِ رَضْفِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ  
الَّذِي تُقَصِّرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إدْرَاكِهِ وَإِنَّمَا يُدْرِكُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقُ  
بُخَالِطَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ فَيُدْرِكُ مِنْ إِعْجَازِهِ عَلَى قَدَرِ ذَوْقِهِ فَلِهَذَا كَانَتْ  
مَدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ مَبْلَغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فُزَّانُ الْكَلَامِ  
وَجَهَائِدَتُهُ وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مُوجُودٌ بِأَوْفَرِ مَا يَكُونُ وَأَصَحُّ وَأَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا



الْفَنِّ الْمَفْسُورُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُلِّ عَنْهُمْ جَارُ اللَّهِ الرَّخْشَرِيُّ وَوَضَعَ  
كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَتَبَعَ آيَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا بِيَدِي الْبَعْضِ مِنْ  
إِعْجَازِهِ فَأَقَرَّدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبَدْعِ عِنْدَ  
أَفْئِسَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَلِأَجْلِ هَذَا يُنَاجِمَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
بِضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَمَنْ أَحْكَمَ عَقَائِدَ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضَ الْمَشَارَكَةِ  
حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَدْعُو فِعْرَضَ عَنْهَا وَلَا تُضَرُّ  
فِي مُعْتَقِدِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظُّفْرِ يَشْنِي مِنَ الْإِعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
مِنَ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضِعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي اثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَقِيهَا وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
أَهْلِ اللِّسَانِ تَعَرُّفُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَصَالِبِ الْعَرَبِ  
وَمَنَاجِيهِمْ فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجَّحَ مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْنُوتَةٌ أَثْنَاءَ ذَلِكَ  
مُنْفَرَقَةً يَسْتَقَرِّي مِنْهَا النَّظَرُ فِي الْعَالِيَةِ مُعْظَمَ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ مِنْ أَيَّامِ  
الْعَرَبِ يَقْتَضِيهِ بِمَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذِكْرُ الْأَنْسَابِ الشَّهِيرَةِ  
وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلُّهُ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ كَلَامِ الْعَرَبِ  
وَأَصَالِبِهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ بِلَاغَتِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكََةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
قَالُوا الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَطْرُقُ بِرِيدُونِ  
مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتَوْنَهَا فَقَطُّ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذَا لَا  
مَدْخَلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُنَاقِرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
بِصَنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْرِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَمْعِهَا  
مِنْ شُبُوحِهَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَائِنُ وَهِيَ أَدَبُ  
الْكِتَابِ لِأَنَّهُ قُبِيَّةٌ وَكِتَابُ الْكَلِمِ لِلْمُبَرَّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّيْسِيبِ لِلْبَاحِظِ

وَكِتَابُ النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَلَّابِيِّ الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَزْيَعَةِ فَتَبِعَ لَهَا وَفُرُوعُ  
عَنْهَا وَكُتِبَ الْخُصَائِصُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا  
الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلُ مِنْ  
الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ  
وَفُتُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ اتِّخَالُهُ قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلَفَ الْقَاضِي أَبُو الْقَرَجِ  
الْأَصْبَهَانِيُّ كِتَابَهُ فِي الْأَغَانِي جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنَسَابَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ  
وَدَوْلَهُمْ وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْمِائَةِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا الْمُعْتَنُونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ  
فِيهِ ذَلِكَ أَتَمَّ اسْتِعْيَابَ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْنَاتِ الْعَجَاسِ  
الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ وَالتَّأْرِخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا  
يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعَلَّمَهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي يَسْمُوُ إِلَيْهَا الْأَدِيبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا  
وَأَتَى لَهُ بِهَا وَنَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالْحَقِيقِ عَلَى الْإِجْمَالِ فِيمَا تَكَلَّمْنَا ذَلِكَ مِنْ عُلُومِ  
اللِّسَانِ وَاللَّهْهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

## الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

• اعْلَمَنَّ أَنَّ اللُّغَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ هِيَ مَلَكَاتٌ فِي اللِّسَانِ  
لِلْعِبَارَةِ عَنِ الْمَعْنَى وَجُودَتِهَا وَفُضُّوْهَا بِحَسَبِ تِمَامِ الْمَلَكََةِ أَوْ نُقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى التَّرَاكِبِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكََةُ التَّامَّةُ  
فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ لِلتَّبْعِيْرِ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي  
يُطَبِّقُ الْكَلَامَ عَلَى مَقْصُودِ الْحَالِ بَلَّغَ الْمُتَكَلِّمُ حِينَئِذٍ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ  
لِلسَّامِعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَكَرُّارِ الْأَفْعَالِ لِأَنَّ الْفِعْلَ  
يَقَعُ أَوَّلًا وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِفَةٌ ثُمَّ تَتَكَرَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِفَةٌ  
غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَرُّارُ فَتَكُونُ مَلَكََةً أَيْ صِفَةً رَاسِخَةً فَالْمُتَكَلِّمُ مِنْ  
الْعَرَبِ حِينَ كَانَتْ مَلَكَتَهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مُوجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ  
وَأَسَالِيهِمْ فِي مُحَاطَبَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَبْعِيْرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّيْبُ اسْتِعْمَالَ  
الْمُفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيُلْقِنَهَا أَوَّلًا ثُمَّ يَسْمَعُ التَّرَاكِبَ بَعْدَهَا فَيُلْقِنَهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ

سَمِعَهُمْ لَذَلِكَ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مُتَكَلِّمٍ وَاسْتِعْمَالُهُ يَتَكَرَّرُ إِلَى أَنْ  
يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَةً وَصِفَةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصِيرَتِ الْأَلْسُنُ وَاللُّغَاتُ  
مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَتَعَلَّمَهَا أَجْعَمٌ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا قَوْلُهُ الْعَلَمَةُ مِنْ أَنَّ  
اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيُّ بِالْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهَا عَنْ غَيْرِهِمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمُضَرِّ بِخَالِطِهِمُ الْأَعَاجِمُ وَسَبَبُ فَسَادِهَا أَنَّ النَّاسِيَّ  
مِنْ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي  
كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيَعْبُرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكَثْرَةِ الْخُلَافِيَّاتِ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ  
كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَةً  
وَكَانَتْ نَافِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فَسَادِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ فَرَنْسَ  
أَفْصَحَ اللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ بِلَادِ أَجْعَمٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ  
اِكْتَنَفَهُمْ مِنْ تَقْيِيفٍ وَهَذِلٍ وَخِرَاعَةٍ وَبَنِي كِمَانَةٍ وَغُطْفَانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَيْمٍ وَأَمَّا  
مَنْ بَعُدَ عَنْهُمْ مِنْ رَيْبَعَةٍ وَلُحْمٍ وَجُدَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِبَادٍ وَقُضَاعَةٍ وَعَرَبِ الْيَمَنِ الْجَبَاوِرِينَ  
لِأَمْرِ الْفُرْسِ وَالرُّومِ وَالْحَبَشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لُغَتُهُمْ تَامَةً الْمَلَكَةُ بِخَالِطَةِ الْأَعَاجِمِ  
وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ فَرَنْسَ كَانَ الْإِخْتِجَاجُ بِلُغَاتِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة لغة مضر وحميز  
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي  
وَلَمْ يَفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةَ الْحُرَكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ فَاعْتَضَا مِنْهَا بِالْقَدِيمِ  
وَالنَّاسِخِ وَبِقَرَائِنٍ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَةَ فِي اللِّسَانِ  
الْمُضَرِّي أَكْثَرُ وَأَعَزُّ لِيَنَّ الْأَلْفَاظَ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَقِيَ مَا  
تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ وَيُسَمَّى بِسَاطِ الْحَالِ مُحْتَاجًا إِلَى مَا يُدَلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بُدَّ وَأَنَّ  
تَكْتَفِيهِ أَحْوَالُ مُخَصَّصَةٌ فَيَجِبُ أَنْ تُعْتَبَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَقْصُودِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ  
وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ الْأَلْسُنِ أَكْثَرُ مَا يُدَلُّ عَلَيْهَا بِالْفَظِ مُخَصَّصًا بِالْوَضْعِ وَأَمَّا فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّمَا يُدَلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالٍ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَرَكَيبِ الْأَلْفَاظِ وَتَأْلِيفِهَا مِنْ

تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة أعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارات  
من جميع اللسان وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر  
لي الكلام اختصاراً واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض  
الشعاع إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيدا قائم وإن  
زيداً قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لإفادة الخالي الدهن من  
قيام زيد والثاني ليعن سيمه فتردد فيه والثالث ليعن عرف بالأضرار على إنكاره  
فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب  
ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب  
القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأب  
اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون  
قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألفها القصور في أفئدتهم وإلا فتحن  
نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد  
والتعاون فيه يتفاوت إلا بأنه موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان  
وقنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم  
ومجاميعهم والشاعر المفلح على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم  
شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر  
الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهما معروفًا وهو الإعراب  
وهو بعض من أحكام اللسان وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم  
الاعاجيم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته  
على غير الصورة التي كانت أولاً فانقلب لنة أخرى وكان القرآن منزلاً به والحديث  
النبي متقولاً بلغته وهما أصلاً الدين والملة فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنها  
بفقدان اللسان الذي نزل به فأخضع إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط  
قوانينه وصار علماء فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهلها بعلم النحو وصناعة

الْعَرَبِيَّةَ فَأَصْبَحَ قَدْ مَحْفُوظًا وَعِنَّمَا مَكْتُوبًا وَسَلَّمًا إِلَى فَمِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ  
 وَافِيًا وَلَعَلَّنَا لَوْ أَغْنَيْنَا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيَّ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَسْتَقْرَبْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاضُ  
 عَنْ الْحَرَكَاتِ إِلَّا عَرَابِيَّةً فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَائِنُ  
 تَخْصُصُهَا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْمُنْهَاجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرٍّ فَلَيْسَتْ أَلْفَاتُ  
 وَمَلَكَاتُهَا مَجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهِذِهِ الْعَلْيَانَةِ وَتَغَيَّرَ  
 عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضِعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِيفِ كَلِمَاتِهِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ  
 الْأَنْقَالَ الْمَوْجُودَةُ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَحْمِلُهُ الْقُصُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَيَلْتَمِسُ إِجْرَاءُ  
 اللُّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَائِيسِ اللُّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَائِنِهَا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ فِي اشْتِقَاقِ  
 الْقَبِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
 وَلُغَةُ حِمَيْرٍ لُغَةٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِيفِهَا وَحَرَكَاتِ  
 إِعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لِعَهْدِنَا مَعَ لُغَةِ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْعَلْيَانَةَ بِلِسَانِ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
 الشَّرِيعَةِ كَمَا قُلْنَا هُ حَمَلُ ذَلِكَ عَلَى الْإِسْتِنْبَاطِ وَالْإِسْتِفْرَافِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
 يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَنَدْعُوْنَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
 كَانُوا مِنَ الْأَفْطَارِ شَائِعًا فِي النُّطْقِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطَقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ  
 عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَقْصَى اللِّسَانِ وَمَا فَوْقَهُ  
 مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطَقُونَ بِهَا بَاضًا مِنْ مَخْرَجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
 الْقَافِ وَمَا يَلِيهِ مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَجْعَلُونَ بَهَا مَتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
 وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَيْهِمْ  
 مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْبَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
 وَالْإِتِّسَابَ إِلَى الْجِيلِ وَالْذُخُولَ فِيهِ يُحَاكِمُهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
 الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْحَضْرِيِّ بِالنُّطْقِ بِهِذِهِ الْقَافِ وَيُظْهِرُ بِذَلِكَ  
 أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٍّ بَعِيْنَهَا فَإِنَّ هَذَا الْجِيلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤُوسُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وَادٍ  
 مَنْصُودٍ بِنِ عَكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ مِنْ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
 ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ إِيَّاهُ الْعَهْدُ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
 فِي الْمَعْمُورِ وَأَغْلَبُهُمْ وَهُمْ مِنْ أَعْقَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرِ الْجِيلِ مِنْهُمْ فِي النُّطْقِ بِهِذِهِ الْقَافِ

أُسُوهُ وَهَذِهِ اللُّغَةُ لَمْ يَتَدَعِهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعَاكِبَةٌ وَيُظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا لُغَةُ مُضَرَ الْأَوَّلِينَ وَلَعَلَّهَا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهَا قَدْ أَدْعَى ذَلِكَ فَقَهَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي أَمِّ الْقُرْآنِ إِهْدِنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَغَيْرِ أَلْفَاظٍ الَّتِي لِهَذَا الْجِيلِ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَذَرْ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرَ لَمَّا تَزَلُّوا الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنِ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبْعَدُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يَرْجِعُ فِيمَا يُوجَدُ مِنَ اللُّغَةِ لِذِهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النُّطْقِ بِهَا وَأَنَّهَا أَلْفَاظِيَّةٌ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْعَرَبِيُّ مِنَ النُّجَجِيِّ وَالْحَضَرِيِّ فَتَفْهَمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَلْهَادِي الْمُبِينِ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها لغة مضر

إِعْلَمُ أَنَّ عَرَفَ التَّخَاطُبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضَرِ لَيْسَ بِلُغَةٍ مُضَرَ الْقَدِيمَةِ وَلَا بِلُغَةٍ أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةُ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنْ لُغَةِ مُضَرَ وَعَنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لِعَهْدِنَا وَهِيَ عَنْ لُغَةِ مُضَرَ أَبْعَدُ قَائِمًا أَنَّهَا لُغَةُ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا قَبْلُ ظَاهِرٌ يُشْهِدُ لَهُ مَا فِيهَا مِنَ التَّغَايُرِ الَّذِي يُعَدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النَّحْوِ لِحَاً وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فَلُغَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مُبَايَنَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لُغَةُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعْهُمْ وَكُلُّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى تَأْدِيَةِ مَقْصُودِهِ وَالْإِبَانَةِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا إِنَّمَا أَبْعَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ فَلِأَنَّ الْبُعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمُخَالَطَةِ الْعُجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعُجْمَ أَكْثَرَ كَانَتْ لُغَتُهُ عَنْ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَوَّلِيِّ أَبْعَدَ لِأَنَّ الْمَلِكَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالْعُلُومِ كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلِكَةٌ مُتَمَزِّجَةٌ مِنَ الْمَلِكَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ الْعَرَبُ وَمِنْ الْمَلِكَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي لِلنَّجْمِ قَطْعَ مَقْدَارٍ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ النَّجْمِ وَيَرْبَوْنَ عَلَيْهِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْمَلِكَةِ الْأُولَى وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ فَخَالَطَتِ الْعَرَبُ فِيهَا الْبَرَابِرَةَ مِنَ النَّجْمِ يُوَوِّدُ عُمَرَانَهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكُذِّبْغُلُوْا عَنْهُمْ مُضَرَ

وَلَا جَبَلٌ فَغَلَبَتْ النُّجْمَةُ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةً أُخْرَى مُتَمَرِّجَةً وَالنُّجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَعَيَّ عَنْ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَبَدُ وَكَذَا الْمَشْرِقُ لَمَّا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أُمَمِهِ مِنْ فَارِسَ وَالْزُّبَكِ نَحْلَاطُومَ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي الْأَكْرَةِ وَالْفُلَاحِينِ وَالسُّبِّي الَّذِينَ أَخَفَّوْهُمْ خَوَلًا وَدَايَاتٍ وَأَخَارًا وَمَرَاضِعَ فَغَسَدَتْ لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَكََةِ حَتَّى انْقَلَبَتْ لُغَةً أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجْمِ الْجَلَالِغَةِ وَالْأَفَرَنْجَةِ وَصَارَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِمِ أَهْلُ لُغَةٍ أُخْرَى تَخْصُوصَةً بِهِمْ مُخَالِفُ لُغَةٍ مُضَرٍّ وَمُخَالِفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَكْرُهُ وَكَانَتْ لُغَةُ أُخْرَى لِاسْتِخْكَامِ مَلَكَتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُقَدِّرُ

### الفصل الاربعون

في تعليم اللسان المضي

إِغْلَمْ أَنَّ مَلَكََةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَغَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْجَبَلِ كُلُّهُمْ مُغَايِرَةٌ لِلُغَةِ مُضَرٍّ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةُ أُخْرَى مِنْ أَمْتَرَاكِجِ النُّجْمَةِ بِهَا كَمَا قَدَّمَ نَاهُ إِلَّا أَنَّ الْأَلْفَاظَ لَمَّا كَانَتْ مَامَكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَانَ تَعْلُمُهَا مُنْكَمًا شَأْنُ سَائِرِ الْمَلَكَاتِ وَوَجْهَ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَّبِعِي هَذِهِ الْمَلَكََةَ وَيَرْوُمُ تَحْصِيلَهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ السَّلَفِ وَخُطَابَاتِ فُجُولِ الْعَرَبِ فِي أَشْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلِّدِينَ أَيْضًا فِي سَائِرِ فُجُولِهِمْ حَتَّى يَنْزِلَ لِكَثْرَةِ حِفْظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَنَزَلَةً مِنْ نَشَأَ بَيْنَهُمْ وَلَقِنَ الْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعَبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ أَلْفَاظِهِمْ فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَكََةُ بِهَذَا الْحِفْظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزِدَادُ بِكَثْرَتِهَا رُسُوحًا وَقُوَّةً وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبَعِ وَالتَّقَرُّبِ الْحَسَنِ لِمَتَارِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ فِي التَّرَاكِبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ وَالذُّوقِ بِشَهْدِ ذَلِكَ وَهُوَ يَنْشَأُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَكََةِ وَالطَّبَعِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَكْرُ وَعَلَى قَدَرِ الْحِفْظِ وَكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْمُقُولِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْمَلَكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُضَرٍّ وَهُوَ التَّائِقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَهَكَذَا يَتَّبِعِي

## الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَانِينِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَابِلِهَا  
خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَا تَنْفُسُ كَيْفِيَّةٍ فَلَيْسَتْ نَفْسُ الْمَلَكَةِ وَأِنَّمَا هِيَ بِعَثَابَةٍ مَنْ يَعْرِفُ  
صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بِصِرُّ بِالْخِيَاطَةِ غَيْرُ مُحْكِمٍ  
لِمَلَكَتِهَا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ هِيَ أَنْ يَدْخُلَ الْخِطُّ فِي خَزْتِ الْأَبْرِقِ  
ثُمَّ يَغْرِزُهَا فِي لِفْغِي الثَّوبِ مُجْتَمِعِينَ وَيَخْرِجُهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ بِمَقْدَارٍ كَذَا ثُمَّ  
يَرُدُّهَا إِلَى حَيْثُ أَبْتَدَأَتْ وَيَخْرِجُهَا قُدَامَ مَنْفِذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطْرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقَيْنِ  
الْأَوَّلَيْنِ ثُمَّ يَتِمَادِي عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالْتَنِيتِ وَالْتَفْنِيعِ  
وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولِبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ يَبْدُو لَيْسَ بِمُحْكِمٍ مِنْهُ  
شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالتَّجَارَةِ عَنْ تَفْصِيلِ الْخَشَبِ يَقُولُ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى  
رَأْسِ الْخَشَبَةِ وَتُمْسِكَ بِطَرَفِهِ وَآخَرَ قَبْلَتِكَ مُمَسِّكٌ بِطَرَفِهِ الْآخَرَ وَتَتَعَاقَبَانِهِ بَيْنَكُمَا  
وَأَطْرَافُهُ الْمُضْرَسَةُ الْمُحَدَّدَةُ قُطْعٌ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
آخِرِ الْخَشَبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولِبَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمْهُ وَكَذَا الْعِلْمُ بِقَوَانِينِ  
الْإِعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي نَفْسِهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ بِقَوَانِينِ الْإِعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ جِهَابِذَةِ النُّحَاةِ وَالْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُحِيطِينَ  
عِلْمًا بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطْرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّةٍ أَوْ شَكْوَى  
ظُلَامَةٍ أَوْ قَضْدٍ مِنْ قُضُودِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنِ الصَّوَابِ وَأَكْثَرَ مِنَ اللَّغْوِ وَلَمْ يَجِدْ تَأْلِيفَ  
الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِيبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا تَجِدُ كَثِيرًا  
مِمَّنْ يُحْسِنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيُجِيدُ الْقَنِينَ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ إِعْرَابَ  
الْفَاعِلِ مِنَ الْمَفْعُولِ وَلَا الْمَفْعُولِ مِنَ التَّعَجُّورِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَانِينِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَمِنْ  
هَذَا تَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتَغْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ وَقَدْ  
تَجِدُ بَعْضَ الْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ بِصِرِّ بِحَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتِّفَاقِيٌّ  
وَأَكْثَرُهُ مَا يَقَعُ لِلْمُحَاطِلِينَ لِكِتَابِ سَبِيحَتِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصِرْ عَلَى قَوَانِينِ الْإِعْرَابِ فَقَطُّ



بَلْ مَلَأَ كِتَابَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَشَوَاهِدِ أَشْعَارِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ فَكَانَ فِيهِ جُزْءٌ صَالِحٌ  
 مِنْ تَعْلِيمِهِ هَذِهِ الْمَلَكَةُ فَتَجِدُ الْعَاكِفَ عَلَيْهِ وَالْحَاصِلَ لَهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى حَظٍّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ وَأَنْدَرَجَ فِي مَحْفُوظِهِ فِي أَمَاكِيهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ وَتَنَبَّهَ بِهَذَا الشَّانِ الْمَلَكَةُ فَأَسْتَوْفَى  
 تَعْلِيمَهَا فَكَانَ أَتْلَعُ فِي الْأَفَادَةِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْخَالِطِينَ لِكِتَابِ سَيِّبُونِهِ مَنْ يَقُولُ عَنْ  
 التَّنْقِطِ لِهَذَا فَيَحْصُلُ عَلَى عِلْمِ الْإِنْسَانِ صِنَاعَةً وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ مَلَكَةُ وَأَمَّا الْخَالِطُونَ  
 لِكُتُبِ الْمُتَأَخِّرِينَ الْعَارِيَةِ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ مُجَرَّدَةً عَنْ أَشْعَارِ  
 الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ فَقُلْ مَا يَشْعُرُونَ لِذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ أَوْ يَنْتَبِهُونَ لِشَأْنِهَا فَتَجِدُهُمْ  
 يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رُتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ وَأَهْلُ صِنَاعَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمُعَلِّمُهَا أَقْرَبُ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَتَعْلِيمِهَا مِنْ سِوَاهُمْ  
 لِقِيَامِهِمْ فِيهَا عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ وَالتَّفَقُّهِ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِيسِ  
 تَعْلِيمِهِمْ فَيَسْبِقُ إِلَى الْمُبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ لَهَا  
 وَتَسْتَعِدُّ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَقَبُولِهَا وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَأَجْزُوا  
 صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ مُجَرَّدُ الْعُلُومِ بَحْثًا وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنْ التَّفَقُّهِ فِي تَرَكَيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 إِلَّا أَنْ أَعْرَبُوا شَاهِدًا أَوْ رَجَعُوا مَذْهَبًا مِنْ جِهَةِ الْأَفِقْضَاءِ الذَّهْنِيَّةِ لَا مِنْ جِهَةِ مُحَامِلِ  
 الْإِنْسَانِ وَتَرَكَيبِهِ فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَانِينِ الْمُنْطِقِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ  
 الْجَدَلِ وَبَعُدَتْ عَنْ مَنَاحِي الْإِنْسَانِ وَمَلَكَتِهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعُدُولِهِمْ عَنِ الْبَحْثِ فِي  
 شَوَاهِدِ الْإِنْسَانِ وَتَرَكَيبِهِ وَتَمْيِيزِ أَسَالِيْبِهِ وَتَقْلِيدِهِمْ عَنِ الْعِرَانِ فِي ذَلِكَ لِتَعْلِيمِهِمْ فَهُوَ  
 أَحْسَنُ مَا تَقْدِيهِ الْمَلَكَةُ فِي الْإِنْسَانِ وَتِلْكَ الْقَوَانِينُ إِنَّمَا هِيَ وَسَائِلُ لِلتَّعْلِيمِ لِكُنْهِمْ  
 أَجْزَوْهَا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهَا وَأَصَارُوهَا عِلْمًا بَحْثًا وَبَعْدُوا عَنْ تَمَرُّنِهَا وَتَعَلُّمِهَا قَرَنَاهُ  
 فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ حُصُولَ مَلَكَةِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْحِفْظِ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خَيَالِهِ الْمَنَوَالُ الَّذِي تَسْجُو عَلَيْهِ تَرَكَيبُهُمْ فَيَسْجُو هُوَ عَلَيْهِ  
 وَبَيِّنْزُلُ بِذَلِكَ مَنَازِلَةً مَنْ تَشَأَّ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ  
 الْمَلَكَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْقَبِيبِ

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

للمستعربين من العجم

إِعْلَمُ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ بَدَأُوهَا الْمُعْتَبِرُونَ بِقُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَةِ  
الْبَلَاغَةِ لِللِّسَانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمَعْنَى مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
مُخَوَّصًا نَفَعَ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَالْمُتَكَلِّمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَلِغُ فِيهِ يَتَحَرَّى  
الْمُعِينَةَ الْمُفِيدَةَ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَأَنْحَاءِ مُحَاطَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
الْوَجْهِ جِهَةً فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِخَالِطَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ فِي نَظْمِ  
الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَمَهْلُ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْخَوُّ فِيهِ غَيْرُ مَنَحَى  
الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ عَلَى ذَلِكَ أَلْمَحَى بِهِ وَنَبَا عَنْهُ سَمْعُهُ  
بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَيَغْيِرُ فِكْرَ الْإِنْبَاءِ اسْتِفَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِذَا اسْتَقَرَّتْ وَرَسَخَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَانَتْهَا طَبِيعَةً وَجِبَلَةً لِذَلِكَ الْحَلُّ وَلِذَلِكَ يَظُنُّ  
كَثِيرٌ مِنَ الْمُغْفَلِينَ مَعْنَى لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطَلِقُ بِالطَّبِيعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ  
مَلَكَةٌ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ تَمَكَّنَتْ وَرَسَخَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِي الرَّأْيِ أَنَّهَا  
جِبَلَةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ كَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُحَاسَنَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
عَلَى السَّمْعِ وَالنَّفْطَنِ لِمَخَوَّصِ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَائِنَ إِنَّمَا تُقَيَّدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
تُقَيَّدُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ فَمَلَكَةُ الْبَلَاغَةِ  
فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِغَ إِلَى وُجُودِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ الْمُوَافِقِ لِتَرَكَيبِ الْعَرَبِ  
فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ حَبْدًا عَنْ هَذِهِ السُّبُلِ الْمُعِينَةِ  
وَالتَّرَاكِبِ الْخُصُوصَةَ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَتَّعَدُهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَانِدًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ  
وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَجَعَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَرُبَّمَا يَعْجِزُ عَنِ الْإِخْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ أَهْلُ الْقَوَائِنِ الْحَوِثِيَّةِ

وَالْيَابِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَائِنِ الْمَفَادَةِ بِالْإِسْتِفْرَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيَحْكُمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
بِحُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ وَكَذَلِكَ تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكََةُ لِمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَجَلٍ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ يَحْتِثُ بِحُصُولِ الْمَلَكََةِ  
وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَائِنِ بِعَمَلٍ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيرُ لِهَذِهِ الْمَلَكََةِ عِنْدَمَا تَرْتَخُ وَتَسْقُرُ اسْمُ الذُّوقِ الَّذِي أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صِنَاعَةِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطَّعْمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكََةِ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ تَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطَّعْمِ اسْتَعِيرَ لَهَا اسْمُهُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطَّعْمَ تَحْسُوسُهُ لَهُ قَلِيلٌ لَهُ ذُوقٌ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعْجِمَ الدَّخِلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ  
إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِحَاظِطَةِ أَهْلِهِ كَالْفَرَسِ وَالزُّومِ وَالزُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا الذُّوقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ أُنْمُرٍ وَسَبْقِي مَلَكََةٍ أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَحْتَنُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مَضَرٍّ يَتَنَهُمُ فِي الْحَاوِرَةِ مِنْ مُنَرَّدٍ وَمَرْكَبٍ لِمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكََةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَنْصَارِ وَبَعُدُوا عَنْهَا كَمَا نَقَدَمُ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكََةٌ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكََةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكََةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكِتَابِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكََةِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكََةُ بِالْمُمَارَسَةِ وَالْإِعْيَادِ وَالتَّكْرُرِ  
لِكَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سَيِّوِيَّةً وَالْفَارِسِيَّ وَالزُّنْغَرِيَّ وَمِثْلَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَمَاءَ مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أُولَئِكَ  
الْقَوْمَ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطُّ وَأَمَّا الْعَرَبِيُّ وَالنَّشَاءُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَاسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةِ لَا مِثْلِيَّ وَرَاءَهَا وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ

حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللَّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَعَمُ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَامٍ فِي اللَّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلْمَلَّةَ فِي عُنُقِهَا وَاللَّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبِ أَثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَوْا عَلَى غَايَةِ الْيَوْمِ وَالْيَوْمِ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَجَمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُعْتَبَةً أَلَا تَارَ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحَفِظِ يَسْتَفِيدُ تَحْصِيلًا فَقَلَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى فِي الْحَقْلِ فَلَا تَحْصُلُ إِلَّا نَاقِصَةً نَخْذُوشَةً وَإِنْ فَرَضْنَا أَعْجَبًا فِي النَّسَبِ سَلِمَ مِنْ مُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ فَرُبَّمَا يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ لَكِنَّهُ مِنَ الْأُذُورِ بَحِثُ لَا يَنْفَعِي عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ وَرُبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ مَعْنٍ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ حُصُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ مُخَالَطَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْبَيَانِيَّةِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن

اللسان العربي كان حصولها له اصب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةٍ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْخَضِرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ الْعُجْمَةُ حَتَّى نَزَلَ بِهَا اللِّسَانُ عَنْ مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةٍ أُخْرَى هِيَ لُغَةُ الْخَضِرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا نَجِدُ الْمُتَعَلِّمِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْمُسَابَقَةِ بِتَعْلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النَّحَاةُ أَنَّ هَذِهِ الْمُسَابَقَةَ بِصَنَاعَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ نَعَمْ صَنَاعَةُ النَّحْوِ أَقْرَبُ إِلَى مُخَالَطَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنْ لِسَانِ مُضَرَ قَصْرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ تَعَلُّمِ اللَّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَحُصُولِ

مَلَكَتْهَا التَّمَكُّنُ الْمُنَافَاةُ حِينَئِذٍ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أFRِيقَةِ وَالْمَغْرِبِ  
لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
مَلَكَتِهِ بِالْعِلْمِ وَأَقْدَمَ نَقْلَ ابْنِ الرُّفَيْقِ أَنَّ بَعْضَ كُتَّابِ الْفَرِيدِ وَانْ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عَلِمَتْ فَقَدَهُ أَعْلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَامًا أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
تَكُونُ مَعَ الَّذِينَ تَأْتِي وَعَاقِفَانَا الْيَوْمَ فَلَمْ يَنْهَيْأَ لَنَا الْخُرُوجُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكَلَابُ مِنْ  
أَمْرِ السِّينِ فَقَدْ كَذَّبُوا هَذَا بِاطِّلَاءٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا حَرْفًا وَاحِدًا وَكَتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمُضَرِّي شَبِيهَ بِمَا ذَكَرْنَا  
وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكَاتِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِيقَةِ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رَشِيْقٍ وَابْنُ شَرَفٍ وَأَكْثَرُ  
مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَزَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةً إِلَى  
الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَاتِ بِكَثْرَةِ مُعَانَاتِهِمْ  
وَأَمْتَلَانِهِمْ مِنَ الْمُحْفُوظَاتِ اللَّغَوِيَّةِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُؤَرِّخُ إِمَامُ  
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكَاتِ وَرَافِعُ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقَسْطَلِيُّ  
وَأَمثالُهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ لَمَّا زَحَرَتْ فِيهَا بَحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلَ  
ذَلِكَ فِيهِمْ مِثْنَيْنِ مِنَ السِّينِ حَتَّى كَانَ الْإِنْقِضَاؤُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ النَّصْرَانِيَّةِ وَشَغُلُوا  
عَنْ تَعْلَمِ ذَلِكَ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ فَتَنَاقَصَ لِلذَّكَ شَأْنُ الصَّنَاعِ كُلِّهَا فَقَصُرَتْ الْمَلَكَاتُ  
فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْخُضْيُضَ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
مُرْجِلٍ مِنْ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْأَشْبِيلِيَّةِ بَسَنَتَهُ وَكُتَّابُ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوَّلِهَا  
وَأَلَقَتْ الْأَنْدَلُسُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُودِ لِعُدُودِ  
الْأَشْبِيلِيَّةِ إِلَى سَبَنَتِهِ وَمِنْ شَرَفِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى أFRِيقَةِ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَى أَنْ تَقْرَضُوا وَأَنْقَطَعَ  
سَنَدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعَسْرِ قَبُولِ الْعُدُودِ لَهَا وَصُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعَوَجِ السِّتَنِهِمْ  
وَرُسُوحِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا فُلِنَاهُ ثُمَّ عَادَتْ الْمَلَكَاتُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَتَجَمَّ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْحَبَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ثُمَّ  
إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرْنُخِيُّ وَطَبَقَتُهُ وَقَفَاهُمْ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمُ الْهَالِكُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
شَهِيدًا بِسَعَايَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَاتٌ لَا تُنْذَرُكَ وَأَتَّبَعَ أَفْرَهُ نَلْمِيذُهُ وَبِالْجُمْلَةِ

فَشَأْنُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ وَتَعْلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُعَانَاةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَحِفَافَتَيْهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسَنَدِ  
 تَعْلِيمِهَا وَلِأَنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ الْأَنْجَبِيَّ الَّذِينَ تَفْسُدُ مَلَكَتُهُمْ إِنْ غَامَتْ طَارُونُ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ  
 عَجْمَتُهُمْ أَصْلًا لِلُّغَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَزِيرِ فِي هَذِهِ الْعُدُودِ وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا  
 إِلَّا فِي الْأَمْصَارِ فَقَطْ وَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ فِي مَجَرِّ عَجْمَتِهِمْ وَرِطَانَتِهِمْ الْبَزِيرِيَّةِ فَيَصُغُبُ  
 عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَمْلَكَةِ اللِّسَانِيَّةِ بِالتَّعْلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِحَالِ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي تِمَامِ  
 هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ وَإِجَادَتِهَا لِبُعْدِهِمْ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَحِفَافَتَيْهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ  
 فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ وَكَانَ فِعْلُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ أَقْوَرَ  
 لِتَوْفُرِ الْعَرَبِ وَأَبْنَائِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَانْظُرْ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَغَانِي مِنْ تَقْظِيمِهِمْ  
 وَتَرْجُمِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهُمْ وَفِيهِ لُغَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَيَّامُهُمْ  
 وَمِلَّتُهُمْ الْعَرَبِيَّةُ وَسِيرَتُهُمْ وَأَثَارُ خُلَفَائِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَغِنَاؤُهُمْ وَسَائِرُ مَعَانِيهِمْ  
 لَهُ فَلَا كِتَابَ أَوْعَبُ مِنْهُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مُسْتَحْكَمًا فِي الْمَشْرِقِ  
 فِي الدَّوْلَتَيْنِ وَرُبَّمَا كَانَتْ فِيهِمْ أَبْلَغُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا نَذَرُ  
 بَعْدُ حَتَّى تَلَاقَى أَمْرُ الْعَرَبِ وَدُرِسَتْ لُغَتُهُمْ وَفَسَدَ كَلَامُهُمْ وَأَنْقَضَى أَمْرُهُمْ وَدَوَّلَتُهُمْ  
 وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْأَعَاجِمِ وَالْمَلِكُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّغْلِبُ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الدَّلِيلِ وَالسُّجُوفِيَّةِ  
 وَخَالَطُوا أَهْلَ الْأَمْصَارِ وَالْحَوَاضِرِ حَتَّى بَعْدُوا عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَلَكَتِهِ وَصَارَ  
 مُتَعَلِّمُهَا مِنْهُمْ مُقْصِرًا عَنْ تَحْصِيلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ نَجِدُ لِسَانَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
 وَالْمَنْثُورِ وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِنْهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 عِلْمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فِي الشِّعْرِ الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ  
 الْمَوْزُونُ الْمُقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ وَفِي  
 النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فَنُونٍ وَمَذَاهِبٍ

فِي الْكَلَامِ فَأَمَّا الشِّعْرُ فَهُوَ الْمَدْحُ وَالنِّجَاءُ وَالرِّثَاءُ وَأَمَّا النَّزْمُ فَهُوَ السَّجْعُ الَّذِي  
يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَبِلَتَزْمٍ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
وَهُوَ الَّذِي يُبْلَغُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءَهُ بَلْ يُرْسَلُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالْدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
وَلَا سَجْعًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِ بِنْتِهِ إِلَى مَقَاطِعِ بِشْهَدِ الذُّوقِ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا  
ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُشْتَرَى مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ سَجْعًا  
وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ  
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ وَيُسَمَّى آخِرُ آيَاتِ مِنْهَا قَوَاصِلُ  
إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاءً وَلَا التَّزِمُ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ أَمُّ  
الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصَتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْعَلَبَةِ  
فِيهَا كَالنَّجْمِ الثَّرَيَّا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَانْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
تَسْمِيَّتِهَا بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي بِشْهَدِ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
الْفَنُونِ أَسَالِيبَ مُخْتَصَّةً بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ  
الْمُخْتَصِّ بِالشِّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالْدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالْدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُخَاطَبَاتِ  
وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشِّعْرِ وَمَوَازِينَ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ  
الْأَسْجَاعِ وَالتَّزَامِ الْقَفِيَّةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ إِذَا  
تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشِّعْرِ وَفَتِهِ وَلَمْ يَقْتَرِفْ إِلَّا فِي الْوُزْنِ وَاسْتَعْمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ  
عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْأَسْنَعْمَالَ فِي الْمَثُورِ  
كُلَّهُ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
وَخُصُوصًا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْقَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
الْفَعْلُ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
يُلَاحَظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ وَهَذَا  
الْفَنُّ الْمَثُورُ الْمُقَفَّى أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ نَنْزِعَ الْمُخَاطَبَاتِ  
السُّلْطَانِيَّةَ عَنْهُ إِذْ أَسَالِيبُ الشِّعْرِ تَنَافِيهَا اللَّوْذِعِيَّةُ وَخَلَطَ الْخَلِيزَ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابِ فِي

الْأَوْصَافِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةِ التَّشْبِيهَاتِ وَالْإِسْعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو فَرُودَةً إِلَى ذَلِكَ فِي الْخِطَابِ وَالْتِزَامِ التَّقْيِيهِ أَيْضًا مِنَ الْإِلْوَذَعَةِ وَالتَّزْيِينِ وَجَلَالِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَخِطَابِ الْجَمْعِ مُرَّ عَنْ الْمُلُوكِ بِالْتَرغِيبِ وَالتَّزْيِينِ بِنَافِي ذَلِكَ وَبَيَانِهِ وَالْحَمْدُ فِي الْخَطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الرَّسُلِ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِزْمَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلَى النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِسْرَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاهُ الْكَلَامَ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِنْطَابٍ أَوْ إِيجَازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَضَرُّعٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِيَاةٍ وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخَطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيِبِ الشَّعْرِ فَمَقْدُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِغْلَاةُ التَّجَمُّعِ عَلَى السِّنِّيَّةِ وَقُصُودُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَمَجْزُوا عَنْ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْتِسَاحِ خُطُوبِهِ وَلَوْعَا بِهَذَا الْمَسْجَعِ يَلْفُقُونَ بِهِ مَا تَقَصَّصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْزِيهِ بِذَلِكَ الْقَدَرِ مِنَ التَّزْيِينِ بِالْإِسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْنَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْقَنْ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّضَرُّعِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي تَجَنُّسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيَرْجِعُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ التَّجَنُّسِ وَيَدْعُونَ لِإِعْرَابٍ وَيَفْسِدُونَ بِنِيتِهِ الْكَلِمَةَ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجَنُّسَ فَنَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ لَكَ نَقْفٌ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمُؤْتِقُ لِلصَّوَابِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

### الفصل الخامس والاربعون

في انه لا تنفق الاجادة في في المنظوم والمنثور معاً الا للالقل  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا يَبْنَاهُ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّغَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلَكَةٌ  
أُخْرَى قَصَّرَتْ بِالنَّحْلِ عَنْ تِمَامِ الْمَلَكَةِ الْأَحْقَةِ لِأَنَّ تِمَامَ الْمَلَكَاتِ وَحُصُولَهَا  
لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفَطْرَةِ الْأُولَى أَنَّهُلُ وَأَبْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّمَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ  
مُتَارَعَةً لَهَا فِي الْمَادَّةِ الْقَابِلَةِ وَعَاقِفَةً عَنْ سُزْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَعَتِ الْمُنَافَاةُ وَتَعَدَّرَ التَّمَامُ  
فِي الْمَلَكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنًا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا



الْبَرْهَانَ فَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا مَلَكَاتُ اللِّسَانِ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَاعَةِ وَانْظُرْ مَنْ  
تَقَدَّمَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ النُّجْمَةِ كَيْفَ يَكُونُ قَاصِرًا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَبَدًا فَلَا عَجَبِي الَّذِي  
سَبَقَتْ لَهُ اللُّغَةُ الْفَارْسِيَّةُ لَا يَسْتَوِلِي عَلَى مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَزَالُ قَاصِرًا فِيهِ  
وَلَوْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ وَكَذَلِكَ الْبَرْبَرِيُّ وَالرُّومِيُّ وَالْأَفْرَنْجِيُّ قُلْ أَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْهُمْ مُحْكَمًا  
لِمَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا سَبَقَ إِلَى أَسْنِنَتِهِمْ مِنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْآخَرِ  
حَتَّى إِنْ طَالِبَ الْعِلْمُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَلْسُنِ إِذَا طَلَبَهُ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ  
مُقَصِّرًا فِي مَعَارِفِهِ عَنِ الْغَايَةِ وَالتَّحْصِيلِ وَمَا أَوْفَى إِلَّا مَنْ قَبِلَ اللِّسَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ  
مَنْ قَبِلَ أَنَّ الْأَلْسُنَ وَاللُّغَاتِ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَائِعِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَمَلَكََاتِهَا لَا  
تَزْدَحِمُ وَأَنَّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ إِجَادَةٌ فِي صِنَاعَةٍ فَقُلْ أَنْ يُجِيدَ فِي أُخْرَى أَوْ يَسْتَوِلِي فِيهَا عَلَى  
الْغَايَةِ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

### الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه نعله

هَذَا أَكْثَرُ مِنْ فُنُونِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَيُوجَدُ فِي سَائِرِ  
اللُّغَاتِ إِلَّا أَنَّا الْآنَ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لِلْعَرَبِ فَإِنْ أُمِكنَ أَنْ تَجِدَ فِيهِ  
أَهْلُ الْأَلْسُنِ الْآخَرَةِ مَقْصُودَهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ وَإِلَّا فَلِكُلِّ لِسَانٍ أَحْكَامٌ فِي الْبَلَاغَةِ  
تَخْصُهُ وَهُوَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ غَرِيبُ الزَّنْعَةِ عَزِيزُ الْمَتْنِ إِذْ هُوَ كَلَامٌ مُفَصَّلٌ قِطْعًا  
قِطْعًا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ مُتَّحِدَةٌ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَاتِ  
عِنْدَهُمْ يَتَنَاءَى وَيُسَمَّى الْحَرْفُ الْآخِرُ الَّذِي تَنْتَفِقُ فِيهِ رَوِيًا وَقَافِيَةً وَيُسَمَّى جُمْلَةً  
الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ قَصِيدَةً وَكَلِمَةً وَيَتَفَرَّدُ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ بِإِفَادَتِهِ فِي تَرَكَيبِهِ حَتَّى  
كَانَتْهُ كَلَامٌ وَحْدَهُ مُسْتَقِلٌّ عَمَّا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ وَإِذَا أُفْرِدَ كَانَ تَامًا فِي بَابِهِ فِي مَدْحٍ  
أَوْ تَنْشِيبٍ أَوْ رِثَاءٍ فَيَخْرُجُ الشَّاعِرُ عَلَى إِعْطَاءِ ذَلِكَ الْبَيْتِ مَا يَسْتَقِلُّ فِي إِفَادَتِهِ ثُمَّ  
يَسْتَأْنِفُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ كَلَامًا آخَرَ كَذَلِكَ وَيَسْتَطِرِدُّ لِلخُرُوجِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ  
مَقْصُودٍ إِلَى مَقْصُودٍ يَأْنِ يُوَظَّي الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ وَمَعَانِيهِ إِلَى أَنْ تَنَاسَبَ الْمَقْصُودُ الثَّانِي  
وَيُبْعَدُ الْكَلَامُ عَنِ التَّنَافُرِ كَمَا يَسْتَطِرِدُّ مِنَ التَّنَشِيبِ إِلَى الْمَدْحِ وَمِنْ وَصْفِ الْبَيْدَاءِ  
وَالطُّلُولِ إِلَى وَصْفِ الزَّكَاةِ أَوْ الْخَيْلِ أَوِ الطَّيْفِ وَمِنْ وَصْفِ الْمَمْدُوحِ إِلَى وَصْفِ

قَوْمِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَمِنَ التَّجْعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى الثَّأْتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَيُرَاعَى فِيهِ  
 اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَدَرًا مِنْ أَنْ يَتَسَاهَلَ الطَّبْعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
 وَزْنٍ إِلَى وَزْنٍ يُقَارِبُهُ فَقَدْ يَخْفَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُقَارَبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا  
 الْمَوَازِينُ شُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضَمَّنَهَا عِلْمُ الْعُرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَتَّقِي فِي الطَّبْعِ  
 اسْتِعْمَلَتَهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مَخْصُوصَةٌ تُسَمِّي بِهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
 الْجُوزَ وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَبْعُدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
 الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ فَنَّ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
 الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطَأِهِمْ وَأَصْلًا  
 يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنُ  
 الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْإِزْيَاضِ  
 فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْضُلَ شِبْهُ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ وَالشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخِذِ  
 عَلَى مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَكْتَسِبَ مَلَكَتَهُ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِاسْتِفْهَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
 بِأَنَّهُ كَلَامٌ نَامٌ فِي مَقْصُودِهِ وَبِصُلْحٍ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيُتَحَاجُّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
 نَوْعٍ تَلَطُّفٍ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ حَتَّى يَفْرَغَ الْكَلَامُ الشَّعْرِي فِي قَوْلِهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
 لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَيُبْرِزُهُ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَأْتِي بِبَيْتٍ آخَرَ  
 كَذَلِكَ ثُمَّ يَبْتَئِي وَيَسْتَكْمِلُ الْفُنُونِ الْوَاقِيَةَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يَتَأَسَّبُ بَيْنَ الْبُيُوتِ فِي  
 مُوَالَاةٍ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْفُنُونِ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُعُوبَةِ مَنَعَاهُ  
 وَغَرَابَةِ فَنِّهِ كَانَ حِكْمًا لِلْفَرَاخِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيْبِهِ وَشَحْذِ الْأَفْكَارِ فِي  
 تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ وَلَا يَكْنِي فِيهِ مَلَكََةُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
 يُتَحَاجُّ بِمَخْصُوصِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اخْتَصَصَتْهَا الْعَرَبُ بِهَا وَاسْتَعْمَلَهَا  
 وَلَنَذْكُرْ هُنَا سُلُوكَ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِ  
 فَاعْلَمْ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْهُمْ عَنِ الْمَنَوَالِ الَّذِي يُنْسَجُ فِيهِ التَّرَاكِيِبُ أَوِ الْقَالِبُ الَّذِي يَفْرَغُ  
 فِيهِ وَلَا يُرْجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِاعْتِبَارٍ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْإِعْرَابِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارٍ إِفَادَتِهِ كَمَا لَ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِ التَّرَاكِيِبِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّذِي هُوَ وَظِيفَةُ الْعُرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ

الثَلَاثَةُ خَارِجَةٌ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِنَّمَا يُزَجَّعُ إِلَى صُورَةٍ ذَهَبِيَّةٍ لِلتَّرَاكِبِ  
الْمُنْتَظَمَةِ كَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ انْطِبَاقِهَا عَلَى تَرْكِيبِ خَاصٍّ وَتِلْكَ الصُّورَةُ يَنْتَزِعُهَا الذَّهْنُ مِنْ  
أَعْيَانِ التَّرَاكِبِ وَأَشْخَاصِهَا وَبُصَيْرُهَا فِي الْخَيَالِ كَالْقَالِبِ أَوْ الدَّنْوَالِ ثُمَّ يَنْتَقِي  
التَّرَاكِبَ الصَّحِيحَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ بِاعْتِبَارِ الْإِعْرَابِ وَالْبَيَانِ فَيَرُدُّهَا فِيهِ رَسَاكِمًا يَفْعَلُهُ  
الْبَنَاءُ فِي الْقَالِبِ أَوْ النَّسَاجِ فِي الدَّنْوَالِ حَتَّى يَتَسَّعَ الْقَالِبُ بِحُصُولِ التَّرَاكِبِ الْوَاقِفَةِ بِمَقْصُودِ  
الْكَلَامِ وَيَقَعُ عَلَى الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ بِاعْتِبَارِ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِيهِ فَإِنْ لِكُلِّ  
فَنٍّ مِنَ الْكَلَامِ أَسَالِيبٌ تَخْصُ بِهِ وَتُوجَدُ فِيهِ عَلَى أَشْخَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ فَسَوْالُ الطُّلُولِ فِي  
الشَّعْرِ يَكُونُ بِخَطَابِ الطُّلُولِ كَقَوْلِهِ يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنْدُ وَيَكُونُ بِاسْتِدْعَاءِ  
الصَّعْبِ لِلْوُقُوفِ وَالسُّوَالِ كَقَوْلِهِ . فَمَا نَسَّالِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا . أَوْ بِاسْتِيفَاءِ الصَّعْبِ  
عَلَى الطَّلَلِ كَقَوْلِهِ . فَمَا نَبَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ . أَوْ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنِ الْجَوَابِ  
لِخُطَابٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ كَقَوْلِهِ . أَلَمْ تَسْأَلْ فَخَبَّرَكَ الرُّسُومُ . وَمِثْلُ نَحْوَةِ الطُّلُولِ بِالْأَمْرِ  
لِخُطَابٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِتَحْيِيثِهَا كَقَوْلِهِ . حَيِّ الدِّيَارِ يَجَانِبِ الْغَزْلِ . أَوْ بِالِدَّعَاءِ لَهَا  
بِالسَّقْيَا كَقَوْلِهِ

أَسْقَى طُلُوعَهُمْ أَجَشُّ هَرَمٍ      وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نُصْرَةٌ وَنَعِيمٌ  
أَوْ سَوْأِهِ السَّقْيَا لَهَا مِنَ الْبَرْقِ كَقَوْلِهِ  
يَا بَرْقُ طَالِعٍ مِثْلًا بِالْأَبْرِقِ      وَاحِدُ السَّحَابِ لَهَا حِدَاءُ الْإِبْرِقِ  
أَوْ مِثْلُ التَّفْجِعِ فِي الْجَزَعِ بِاسْتِدْعَاءِ الْبُكَاءِ كَقَوْلِهِ  
كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخُطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ      وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ  
أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْخَادِثِ كَقَوْلِهِ . أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ . أَوْ بِالنَّسْجِيلِ عَلَى  
الْأَكْوَانِ بِالنَّصِيبَةِ لِقَدِّهِ كَقَوْلِهِ  
مَنَابِتُ الْعِشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّنْحِ وَالْبَاعِ  
أَوْ بِالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَفَجَّعْ لَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ كَقَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ  
أَبَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورَقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ  
أَوْ بِشَهْنَةِ قَرِيقِهِ بِالرَّاحَةِ مِنْ ثِقَلِ وَطْأَتِهِ كَقَوْلِهِ  
أَلْقَى الرِّمَاحَ رَيْبَعَةُ بْنُ زَرَارٍ      أَوْدَى الرَّدَى يَفْرِيقُكَ الْمِعْوَارِ

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ سَائِرِ فُنُونِ الْكَلَامِ وَمَذَاهِبِهِ وَتَنْتَظِمُ التَّرَاكِبُ فِيهِ  
بِالْجَمْعِ وَغَيْرِ الْجَمْعِ إِنْشَائِيَّةٌ وَخَبَرِيَّةٌ إِسْمِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ مُتَّفِقَةٌ وَغَيْرُ مُتَّفِقَةٍ مَفْصُولَةٌ وَمَوْصُولَةٌ  
عَلَى مَا هُوَ شَأْنُ التَّرَاكِبِ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فِي مَكَانِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْأَخْرَجِي بِعَرَفِكَ  
فِيهِ مَا اسْتَفِيدَ بِالْإِذْتِيَاضِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِنَ الْقَالِبِ الْكُلِّيِّ الْبَجَرْدِ فِي الَّذِينَ  
مِنَ التَّرَاكِبِ الْمَعْنِيَةِ الَّتِي يَنْطَبِقُ ذَلِكَ الْقَالِبُ عَلَى جَمِيعِهَا فَإِنْ مَوْلَتْ الْكَلَامَ هُوَ  
كَالْبَنَاءِ أَوِ النَّسَاجِ وَالصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ كَالْقَالِبِ الَّذِي يُبْنَى فِيهِ أَوِ الْمَنَوَالِ  
الَّذِي يُنْسَجُ عَلَيْهِ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الْقَالِبِ فِي بِنَائِهِ أَوْ عَنِ الْمَنَوَالِ فِي نَسْجِهِ كَانَ فَاسِدًا  
وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ مَعْرِفَةَ قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ كَافِيَةٌ لِذَلِكَ لِأَنَّا نَقُولُ قَوَانِينِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ قَوَاعِدُ  
عِلْمِيَّةٌ قِيَاسِيَّةٌ تَقِيدُ جَوَازَ اسْتِعْمَالِ التَّرَاكِبِ عَلَى هَيْئَتِهَا الْخَاصَّةِ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ قِيَاسُ  
عِلْمِيٍّ صَحِيحٍ مُطَرَّدٍ كَمَا هُوَ قِيَاسُ الْقَوَانِينِ الْإِعْرَاقِيَّةِ وَهَذِهِ الْأَسَالِبُ الَّتِي تَحْتَ  
فَقَرُّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقِيَاسِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ هَيْئَةٌ تَرْسَخُ فِي النَّفْسِ مِنْ اتِّبَاعِ التَّرَاكِبِ  
فِي شِعْرِ الْعَرَبِ لِحُرَايَاتِهَا عَلَى اللِّسَانِ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ صُورَتَهَا فَيَسْتَفِيدَ بِهَا الْعَمَلُ عَلَى مِثَالِهَا  
وَالْإِحْتِذَاءُ بِهَا فِي كُلِّ تَرْكِبٍ مِنَ الشَّعْرِ كَمَا قَدِمْنَا ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ بِإِطْلَاقٍ وَإِنْ  
الْقَوَانِينُ الْعِلْمِيَّةُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ لَا يَفِيدُ تَعْلِيمَهُ يَوْجِيهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَصِحُّ فِي قِيَاسِ  
كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَوَانِينُهُ الْعِلْمِيَّةُ اسْتَعْمَلُوهُ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلُوا عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْحَاءَ  
مَعْرُوفَةٍ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْخَافِظُونَ لِكَلَامِهِمْ تَنْدَرِجُ صُورَتُهَا تَحْتَ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْقِيَاسِيَّةِ  
فَإِذَا نَظَرَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النُّعْوِ وَبِهَذِهِ الْأَسَالِبِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تَصِيرُ كَالْقَوَالِبِ  
كَانَ نَظَرًا فِي الْمُسْتَعْمَلِ مِنْ تَرَكَيبِهِمْ لَا فِيمَا يَقْتَضِيهِ الْقِيَاسُ وَلِهَذَا قُلْنَا إِنَّ النَّمْصَلَ  
لِهَذِهِ الْقَوَالِبِ فِي الَّذِينَ إِنَّمَا هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ وَهَذِهِ الْقَوَالِبُ كَمَا  
تَكُونُ فِي الْمَنْظُومِ تَكُونُ فِي الْمَثُورِ فَإِنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلُوا كَلَامَهُمْ فِي كَلَا الْفَتَيْنِ  
وَجَاءُوا بِهِ مَفْصَلًا فِي النُّوعَيْنِ فَبِالشَّعْرِ بِأَقْطَعِ الْمَوْزُونَةِ وَالْقَوَائِي الْمَقِيدَةِ  
وَاسْتِقْدَالِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ وَفِي الْمَثُورِ يَقْتَضِرُونَ الْمَوَازِنَةَ وَالنَّشَابَةَ  
بَيْنَ الْقِطْعِ غَالِبًا وَقَدْ يَقِيدُونَهُ بِالْإِجْمَاعِ وَقَدْ يُرْسِلُونَهُ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ مَعْرُوفَةٌ  
فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُبْنَى مَوْلَتْ الْكَلَامَ عَلَيْهِ تَأْلِيفُهُ  
وَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُمْ حَتَّى يَجَرَّدَ فِي ذَهْنِهِ مِنَ الْقَوَالِبِ الْمَعْنِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ

قَالَ كَلِمَةٍ مُطْلَقٍ يَحْدُو حَدْوَهُ فِي التَّأْلِيفِ كَمَا يَحْدُو الْبِنَاءُ عَلَى الْقَالِبِ وَالْأَسَاجُ  
 عَلَى الْمَنَوَالِ فَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مُنْفَرِدًا عَنْ نَظَرِ النَّحْوِيِّ وَالْبَيِّنَاتِ وَالْعَرُوضِيِّ  
 نَعَمْ إِنْ مُرَاعَاةَ قَوَانِينِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَخَصَّصَتْ هَذِهِ الصِّنَاتُ  
 كُلُّهَا فِي الْكَلَامِ أَخْضَصَ بَنُو عٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٌ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا أُسَالِيبَ  
 وَلَا يَفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسَالِيبِ مَا هُوَ فَلَنْذَكُرَ  
 بِهِ هَذَا حَدًّا أَوْ رِسْمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَفْهَمُ حَقِيقَتَهُ عَلَى صُعُوبَةٍ هَذَا الْغَرَضُ فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ  
 لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيمَا رَأَيْنَاهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ  
 الْمُعْقَى لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْرِهِ وَلَا رِسْمٌ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي  
 الشَّعْرِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوَزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخَاصَّةِ فَلَا جَرَمَ أَنَّ  
 حَدِّهُمْ ذَلِكَ لَا يَصْلُحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِ بَعْضِنَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَدِيثَةِ فنَقُولُ  
 الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَلِغُ الْمُنْبِئِيُّ عَلَى الْأَسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمَفْصَلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ  
 فِي الْوَزْنِ وَالرُّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصَدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ الْجَارِي  
 عَلَى أُسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمُخَصَّصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبَلِغُ جُنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمُنْبِئِيُّ عَلَى  
 الْأَسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ فَصْلٌ عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْقَالِبِ لَيْسَ بِشَعْرِ وَقَوْلُنَا  
 الْمَفْصَلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوَزْنِ وَالرُّوْيِ فَصْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ الَّذِي لَيْسَ  
 بِشَعْرِ عِنْدَ أَكْثَرِ وَقَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصَدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ  
 يَبَيِّنُ الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ أَيْنَانُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يُفَصَّلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا الْجَارِي  
 عَلَى الْأُسَالِيبِ الْمُخَصَّصَةِ بِهِ فَصْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْرِ مِنْهُ عَلَى أُسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ  
 فَإِنَّهُ جِنْدٌ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أُسَالِيبٌ تَخْصُهُ لَا  
 تَكُونُ لِلْمَنْثُورِ وَكَذَا أُسَالِيبُ الْمَنْثُورِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا  
 وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأُسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ كَانَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ لَقِينَاهُ  
 مِنْ شُبُوحَنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ نَظْمَ الْمُنْبِئِيِّ وَالْمَعْرِيِّ لَيْسَ هُوَ مِنَ  
 الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَجْرِ بَا عَلَى أُسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ  
 يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ  
 الْجَارِي عَلَى الْأُسَالِيبِ الْمُخَصَّصَةِ وَإِذَا قَدْ فَرَّغْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنَرْجِعَ

إِلَى الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِهِ فَقُولُ . إَعْلَمُ أَنَّ لِعَمَلِ الشِّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا  
أُولَاهَا الْخِفْظُ مِنْ جَنْبِهِ أَيْ مِنْ جَنْبِ شِعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي النَّفْسِ مَلَكَةٌ يَنْسَجُ  
عَلَى مَنَوَالِهَا وَتَخْتَارُ الْخَفُوظُ مِنَ الْحُرِّ النَّفْثِيِّ الْكَثِيرِ الْأَسَالِيبِ وَهَذَا الْخَفُوظُ الْخِفْظُ  
أَقْلُ مَا يَكُونُ فِيهِ شِعْرٌ شَاعِرٍ مِنَ الْفُحُولِ إِلَّا سَلَامِيَيْنِ مِثْلَ ابْنِ أَبِي رِيْعَةَ وَكَثِيرٍ  
وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبٍ وَابْنِ خَلْفَةَ وَابْنِ فَرَّاسٍ وَأَكْثَرُهُ  
شِعْرٌ كِتَابُ الْأَعْيَانِ لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ إِلَّا سَلَامِيَّةً كُلَّهُ وَالْخِفْظُ مِنْ شِعْرِ  
الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْخَفُوظِ فَتَنَظُمُهُ قَاصِرٌ رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّوْقُ وَالْخَلَاوَةُ  
إِلَّا كَثَرَةُ الْخَفُوظِ فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عَدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ سَاقِطٌ  
وَأَجْتَنَبَ الشِّعْرَ أَوَّلَى بَعْنٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ ثُمَّ بَعْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الْخِفْظِ وَتَخَذَ الْقَرِيحَةُ  
لِلنَّسْجِ عَلَى الْمَنَوَالِ يُقْبَلُ عَلَى النِّظْمِ وَبِالْإِكْتِفَاءِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتَهُ وَتَرْبَحُ  
وَرُبَّمَا يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْخَفُوظِ لِتُسَمَّى رُسُومُهُ الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذَا  
هِيَ صَادِرَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بَعِيْنَهَا فَإِذَا نَسِيَهَا وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَفَشَ الْأَسْلُوبُ  
فِيهَا كَأَنَّهُ مَنَوَالٌ يُؤْخَذُ بِالنَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ  
مِنَ الْخَلْوَةِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ الْمَيَّاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا السَّمْعُ  
لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا وَتَنْشِيطِهَا بِمِلَازِ السُّرُورِ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى حِمَامٍ وَتَشَاطُفٍ فَذَلِكَ أَجْمَعٌ لَهُ وَأَنْشَطُ الْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمَنَوَالِ  
الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَبُوبِ مِنَ النَّوْمِ  
وَفَرَاغِ الْمَعِدَةِ وَتَشَاطُفِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجَمَامِ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ بَوَائِنِهِ الْعَشَقُ  
وَالْإِنْشَاءُ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ التَّمَدُّدِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَتَقَرَّدُ بِهِذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَإِعْطَاهُ حَقَّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ اسْتَضَعَبَ  
عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَبْرُكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا يُكْرَهُ تَفْسُّهُ عَلَيْهِ وَلَيْكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ  
عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ صَوْنِهِ وَنَسْجِهِ بَعْضُهَا وَبَيْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ إِنْ غَفَلَ  
عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا يُجِئُ نَافِرَةٌ قَلِيلَةٌ وَإِذَا سَمِعَ  
الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَنْسَبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَبْرُكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنْ كُلَّ  
بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا يَشَاءُ وَلْيَبْرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ

الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالتَّنْفِيحِ وَالنَّقْدِ وَلَا يَصْنَعُ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ  
 الْإِنْسَانَ مَقْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ نَبَاتٌ فِكْرُهُ وَآخِرَاعُ قَرِيحَتِهِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ  
 الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالْخُلَاصِ مِنَ الصُّرُورَاتِ اللَّسَانِيَةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا  
 تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنِ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَيْمَةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدَ مِنْ أَرْكَابِ  
 الصُّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مَنِهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَجْتَنِبُ  
 أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ جُهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْأَفَاطَةَ إِلَى  
 الْقَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهِ تَوْنًا تَعْقِيدَ عَلَى الْقَهْمِ وَإِنَّمَا  
 الْخُفْزَانُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْأَفَاطَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
 كَانَتْ حَشْوًا وَاسْتَعْمِلَ الذَّهْنَ بِالْقَوْصِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذَّوْقَ عَنْ اسْتِيفَاءِ مَذْرُوعِهِ مِنْ  
 الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْأَفَاطَةَ إِلَى الذَّهْنِ وَلِهَذَا  
 كَانَ شَبُوحُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْيُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ خَنَاجَةِ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثَرَةِ  
 مَعَانِيهِ وَأَزْدِ حَامِيهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّئِيِّ وَالْمَعَرِيِّ يَعْلَمُ  
 النَّسِجَ عَلَى الْأَسَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ  
 الشَّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ وَيَجْتَنِبُ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحَوْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَقْصَرِ  
 وَكَذَلِكَ السُّوْفِيُّ الْمُبْتَدِلُ بِالتَّدَاوُلِ بِالِاسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنِ طَبَقَةِ  
 الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا  
 وَبِمَقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
 كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَخْذُقُ فِيهِ إِلَّا  
 الْفَحْوَلُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعُسْرِ لِأَنَّ مَعَانِيهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةً لِذَلِكَ وَإِذَا  
 تَعَدَّرَ الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَرَاوِضْهُ وَبِعَاوِذْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلَ الْفَرْعِ يَدِيرُ بِالْأَمْرِاءِ  
 وَيَحِفُّ بِالتَّرَكِّ وَالْأَهْمَالِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَتَعْلَمُهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ  
 لِابْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَصَرْنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَفَعَلِهِ  
 بِذَلِكَ الْكِتَابِ فِيهِ الْبَغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
 فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَخْطَأَهُ لَابْنُ رَشِيْقٍ

لَمَنْ أَلَّهَ صَنَعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا مِنْ صُنُوفِ الْجَهَالِ مِنْهُ لَقِينَا  
يُؤْزِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مِينَا  
وَيَذَرُونَ الْحَمَالَ مَعْنَى صَحِيحًا وَخَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْئًا نَمِينَا  
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَذَمُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا بِلَا مَوَاقِفَ الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْتَدُونَ  
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يَنْسَبُ فِي النِّظَمِ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ قُتُونَا  
فَأَتَى بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمَتُونَا  
كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا نَعْنَى وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا  
فَتَنَاهَى مَنْ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ كَادَ حُسْنًا بَيْنَ النَّاطِرِينَ  
فَكَانَ الْأَلْفَاظَ مِنْهُ وَجُوهًا وَالْمَعَانِي رُكْبَيْنَ فِيهَا عِيُونَا  
إِنَّمَا فِي الْمَرَامِ حَسَبُ الْأَمَانِي يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْعُمُشِدُونَا  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبُ الْمُشْتَهَيْنَا  
جَعَلْتَ النَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مِينَا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُهْجَنُ فِي السَّمْعِ رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبُ الْمَرْفُيْنَا  
وَإِذَا مَا عَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ عَيْتَ فِيهِ مَذَاهِبُ الْمَرْفُيْنَا  
جَعَلْتَ الصَّرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً وَجَعَلْتَ التَّعْرِيفَ دَاءً دِينَا  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَالظَّاعِنِينَ  
حَلَّتْ دُونَ الْأَمْسَى وَذَلَّتْ مَا كَامَ نَ مِنْ الدَّمْعِ فِي الْعُيُونِ مَصُونَا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ حَذِرًا آمِنًا عَزِيزًا مِينَا  
وَأَصَحَّ الْقَرِيبُ مَا قَارَبَ النِّظَمَ وَإِنْ كَانَ وَاضِعًا مُسْتَنِينَا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ النَّاسَ طَرًّا وَإِذَا رِمَ الْعَجَزُ الدُّهْجَرِينَ

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشَّعْرُ مَا قَوَّمتَ رَنْجَ صُدُورِهِ وَشَدَدْتَ بِالْتَهْدِيدِ أَسَّ مَتُونِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْإِلْتِنَابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ وَفَتَحْتَ بِالْإِيحَاظِ عَوْدَ عِيُونِهِ



وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ  
وَإِذَا مَدَحَتْ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا  
أَصْفَيْتُهُ بِتَفَنُّشٍ وَرَضَيْتُهُ  
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ  
وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَاهْلَهَا  
وَإِذَا أَرَدْتَ كِتَابَةً عَنْ رِيَّةٍ  
جَعَلْتَ سَامِعَهُ يَسُوبُ شُكُوكَهُ  
بُشُونَهُ وَظَنُونَهُ بِقِيَّتِهِ  
وَجَمَعَتْ بَيْنَ مُجْمَعِهِ وَمَعِينِهِ  
وَقَضَيْتُهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دُونِهِ  
وَخَصَصْتُهُ بِمُخْطَرِهِ وَتَمِينِهِ  
وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ فُنُونِهِ  
أَجْرَيْتَ لِلْعَزْزِ مَاءَ شَوْوُونِهِ  
بَابَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ  
بُشُونَهُ وَظَنُونَهُ بِقِيَّتِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظمًا ونثرًا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ يحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجرته على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويخلص من الفجعة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وايد نشأ في جيل العرب وياقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قدما ان اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يفترف بها الماء من النجر منها انية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلانها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل يتألف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم التوضيح

وَلَا يَسْتَطِيعُ لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة الحفظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ كَثَرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعَلُّمَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَعَلَى قَدَرِ  
جُودَةِ الْحِفْظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جِنْسِهِ وَكَثَرَتِهِ مِنْ فَلَئِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ  
عَنْهُ لِلْحَافِظِ فَمَنْ كَانَ يَحْفَظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعَتَابِيِّ أَوْ ابْنَ الدُّعَنَزِيِّ أَوْ ابْنَ هَانِيٍّ أَوْ  
الشَّرِيفِ الرَّحْمِيِّ أَوْ رَسَائِلَ ابْنِ الدَّقْفَعِ أَوْ سَهْلَ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنَ الزُّبَيَّاتِ أَوْ الْبَدِيعِ  
أَوْ الصَّائِيَّ تَكُونُ مَلَكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرَتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّنْ يَحْفَظُ شِعْرَ ابْنِ  
سَهْلٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنَ الْبَيْهَقِيِّ أَوْ تَرْسُلَ الْبَيْهَقِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِلنُّزُولِ  
طَبَقَةً هَؤُلَاءِ عَنْ أَوْلَئِكَ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِدِ صَاحِبِ الذُّوقِ وَعَلَى مَقْدَارِ جُودَةِ  
الْحِفْظِ أَوْ الْمَسْمُوعِ تَكُونُ جُودَةُ الْأَسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلَكَةِ مِنْ  
بَعْدِهَا فَيَا رَتَبَاءَ الْحِفْظِ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَفِعُ الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ لِأَنَّ الطَّبَقَ  
إِنَّمَا يَنْسُجُ عَلَى مَنَاطِلِهِ وَتَتَمَوَّقُوهُ الْمَلَكَةُ بِتَغْذِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
جِلَّتِهَا وَاحِدَةً بِالنُّوعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِي الْإِدْرَاكَاتِ وَاخْتِلَافُهَا  
إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِدْرَاكَاتِ وَالْمَلَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
مِنْ خَارِجٍ فَبِهَذِهِ يَتِمُّ وَجُودُهَا وَتَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتِهَا وَالْمَلَكَاتُ الَّتِي  
تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَالْمَلَكَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ  
وَمَلَكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَسْتِجَاعِ وَالتَّرْسِيلِ وَالْعِلْمِيَّةُ بِحِفْظِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ  
وَالْأَبْحَاثِ وَالْأَنْظَارِ وَالْفَقْهِيَّةُ بِحِفْظِ الْفَقْهِ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَقْرِيعِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
عَلَى الْأَصُولِ وَالنَّصُوفِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْطِيلِ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ  
بِالْحُلُومَةِ وَالْأَقْرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصُلَ لَهُ مَلَكَةُ الرَّجُوعِ إِلَى حِسَةِ الْبَاطِنِ  
وَرُوحِهِ وَيَتَقَلَّبُ رَبَّانِيًّا وَكَذَا سَائِرُهَا وَلِلنَّفْسِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْ أَنَّ تَكَيِّفَ بِهِ وَعَلَى  
حَسَبِ مَا نَشَأَتْ الْمَلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَائَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلَكَةُ فِي نَفْسِهَا  
فَمَلَكَةُ الْبَلَاغَةِ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جِنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
الْكَلَامِ وَلِهَذَا كَانَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلُّهُمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا

يَسْبِقُ إِلَى مَحْفُوظِهِمْ وَيَمْتَلِئُ بِهِ مِنَ الْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَقِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 أُسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنِ الْقَوَانِينِ وَالْعُلُومِ لَا حَظَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ إِلَى أَفْكَرِ وَكَثُرَ وَتَلَوْتُ بِهِ النَّفْسَ جَاءَتْ الْمَلَكَةُ  
 الْبَاشِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ وَانْمَحَرَّتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أُسَالِيبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 نَحْمَدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَارَ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَمْ يَمْتَلِئْ مِنْ حَنِظِ النَّفْيِ  
 الْحَرِّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَخْبَرَني صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ الْإِلَامَةِ  
 بِالْمَوْلَةِ الْعُرْنِيَّةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا الْعَاسِ بْنِ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ الْمُقَدَّمُ فِي الْبَصَرِ بِاللِّسَانِ لِعَهْدِهِ فَأَنْشَدَنِي مُطْلَعٌ قَصِيدَةَ ابْنِ الْحَوَيْ  
 وَلَمْ أَنْسِبْهَا لَهُ وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَذْرَحِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَأَبَالِي  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهِ هَذَا شِعْرُ فُقَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 الْفَرْقُ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أُسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ اللَّهُ أَبُوكَ  
 إِنَّهُ أَيْنَ الْحَوَيْ وَمَا الْكِتَابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلْيَسُوا كَذَلِكَ لِتَغْيِرَهُمْ فِي مَحْفُوظِهِمْ  
 وَمَحَالَّتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِيبِهِمْ فِي الرَّسْلِ وَانْتِقَائِهِمْ لَهُمُ الْجِدِّ مِنَ الْكَلَامِ  
 ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أبا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ وَزَيْرَ الْمُلُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَحْمَرِ وَكَانَ الصَّدْرُ الْمُقَدَّمُ فِي الشُّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدُ اسْتِصْعَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشُّعْرِ مَتَى رُمْتُهُ مَعَ بَصَرِي بِهِ وَحَنِظِي لِلْجِدِّ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفُنُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظِي قَلِيلًا وَإِنَّمَا أَتَيْتُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حَنِظِي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ التَّائِلِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَتِي الشَّاطِئِي الْكُبْرَى  
 وَالصُّغْرَى فِي الْقِرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي ابْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفِقْهِ وَالْأَصُولِ وَجَعَلِ  
 الْخَوْجِي فِي الْمَنْطِقِ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّنْهِيلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَانِينِ التَّعْلِيمِ فِي الْعِجَالِ  
 قَامَتًا مَحْفُوظِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهُ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعَدَدْتُ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَدِيدِ مِنَ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ تَعَاثُرَ الْقَرِيحَةِ عَنْ بُلُوغِهَا فَظَنَرْتُ إِلَيَّ سَاعَةً مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 اللَّهُ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلَكَ وَيَظْهَرُ لَكَ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَأِهَا

مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَعُمَرَ بْنِ  
 أَبِي رَيْمَةَ وَالْحُطَيْثَةَ وَجَرِيرَ وَالْفَرَزْدَقَ وَنُصَيْبَ وَعِيْلَانَ ذِي الرِّثْمَةِ وَالْأَخْوَصَ وَبِشَارَ  
 ثُمَّ كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدُّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي  
 خُطْبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ لِلْمُلُوكِ أَرْفَعَ طَبَقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ شِعْرِ النَّابِغَةِ وَعَتْرَةِ  
 وَابْنِ كُلْثُومٍ وَزُهَيْرٍ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ وَطْرِقَةَ بْنِ الْعَبْدِ وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَثُورِهِمْ  
 وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَالطَّبِيعِ السَّلِيمِ وَالذُّوقِ الصَّحِيحِ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّافِدِ الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ وَالسَّبَبِ  
 فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا إِلَّا سَلَامَ سَمِعُوا الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالْحَدِيثِ الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلَيْهِمَا لِكُونِهَا وَلَجَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ  
 عَلَى أَسَالِيهَا نَفُوسُهُمْ فَتَهَضَّتْ طَبَاعُهُمْ وَأَرْزَقَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى  
 مَلَكَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ عَلَيْهَا  
 فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَتَرْثِيمِهِمْ أَحْسَنَ دِيبَاجَةٍ وَأَصْفَى رَوْثَقًا مِنْ أَوْلَئِكَ وَأَرْصَفَ  
 مَبْنًى وَأَعَدَلَ تَنْقِيضًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِي الطَّبَقَةِ وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ يَشْهَدُ لَكَ  
 بِهِ ذَوْقُكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الذُّوقِ وَالْبَصَرِ بِالْبَلَاغَةِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّرِيفَ  
 أَبَا الْقَاسِمِ قَاضِي غَرْنَاطَةِ لِهْدِنَا وَكَانَ شَيْخُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَخَذَ بِسَبْتَةٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 مُتَتَبِعِيهَا مِنْ تَلَامِيذِ السُّلُوبِينَ وَاسْتَبْعَرَ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ الْغَايَةِ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ  
 يَوْمًا مَا بَالُ الْعَرَبِ إِلَّا سَلَامِيَّتِينَ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْجَاهِلِيَّتِينَ وَلَمْ يَكُنْ  
 لَيْسَتْ تَنْكَرَ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي فَقُلْتُ أَعْرَضَ عَلَيْكَ  
 شَيْئًا ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ السَّبَبُ فِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الَّذِي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجِبًا  
 ثُمَّ قَالَ لِي يَا قَفِيهِ هَذَا كَلَامٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤَثَّرُ  
 مَحَلِّي وَيُصَيِّحُ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ إِلَى قَوْلِي وَيَشْهَدُ لِي بِالْتَّبَاهَةِ فِي الْعُلُومِ وَاللَّهُ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع اهل المراتب عن اتحال الشعر

إِظْهَرِ أَنَّ الشَّعْرَ كَانَ دِيْوَانًا لِلْعَرَبِ فِيهِ عُلُومُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَحِكْمُهُمْ وَكَانَ رُؤْسًا  
 الْعَرَبِ مُنَافِسِينَ فِيهِ وَكَانُوا يَقِفُونَ بِسُوقِ عُكَاظٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

دِيَابَجَتَهُ عَلَى فُحُولِ الشَّانِ وَأَهْلِ الْبَصَرِ لِيُمَيِّزَ حَوْلَهُ حَتَّى أَتَتْهُوَ إِلَى الْمُنَاغَاةِ فِي تَعْلِيْقِ  
أَشْعَارِهِمْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَوْضِعِ حُجَّتِهِمْ وَبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا فَعَلَ أَمْرُو الْقَيْسِ  
أَبْنُ حَجْرٍ وَالتَّابِغَةُ الذُّيَّانِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةٍ وَالْأَعَشَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعْلَقَاتِ السَّبْعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
إِلَى تَعْلِيْقِ الشَّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ يَقُومُهُ وَعَصِيَّتُهُ وَمَكَانُهُ فِي مَضَرٍّ عَلَى  
مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُعْلَقَاتِ ثُمَّ انْصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَسْلَامِ بِمَا  
شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَدْهَشَهُمْ مِنْ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
فَأَخْرَسُوا عَنْ ذَلِكَ وَاسْكَنُوا عَنِ الْخَوْضِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ زَمَانًا ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ وَأَوْنَسَ  
الرُّشْدُ مِنَ الْعَمَلَةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيمِ الشَّعْرِ وَحُظْرِهِ وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا حِينَئِذٍ إِلَى دِيْبَنِيهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كَبِيرُ  
فُرَيْشٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٍ فِيهِ عَالِيَةً وَطَبَقَةً مُرْتَفَعَةً وَكَانَ كَثِيرًا مَا بَعَرَضَ شَعْرَهُ عَلَى  
أَبْنِ عَبَّاسٍ فَيَقِفُ لِاسْتِغَاثَةِ مُعْجِبٍ بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالْأَبْدُولَةُ الْعَزِيزَةُ  
وَاتَّقَرَّبَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ يَمْتَدِحُونَهُمْ بِهَا وَيُعِيزُهُمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
نِسْبَةِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَيَخْرِصُونَ عَلَى اسْتِهْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ بِطَلْعُونَ  
مِنْهَا عَلَى الْأَثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَشَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يَطْلُبُونَ وَنَدَمُ بِنْفِظِهَا وَلَمْ  
يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَبَامَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَانْظُرْ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعَقْدِ  
فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَعْمِي فِي بَابِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ نَحَدَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنْ  
الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوحِ فِيهِ وَالْعِنَايَةِ بِاتِّحَالِهِ وَالتَّبَصُّرِ بِحَيْثُ الْكَلَامِ وَرَدِّيهِ وَكَثْرَةِ  
مَحْفُوظِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ انْجَمَةِ وَانْقِصَارِهَا  
بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوهُ صِنَاعَةً ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أُمَرَاءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ لِّلِّسَانِ لَهُمْ  
طَالِبِينَ مَعْرُوفَهُمْ فَقَطَّ لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبٌ وَابْنُ خَزِيمٍ وَالْمُنْتَبِي  
وَأَبْنُ هَانٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا فَصَارَ غَرَضُ الشَّعْرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ الْكَلِيبُ  
وَالْإِسْتِغْدَاءُ لِدَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلْأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَيْقَانًا وَأَنْتَ مِنْهُ لِلذَّكَ  
أَهْلُ النِّعَمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَتَغَيَّرَ الْحَالُ وَأَصْبَحَ تَعَاطِيهِ هَجْنَةً فِي أَرْثَاسَةِ  
وَمَدْمَةٍ لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم أرسطو في كتاب المنطق أوميروس الشاعر وأنتي عليه وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دوت مقاييسها وقوانين إعرابها وفست اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمية فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الإعراب جدلة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك ألحصر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد وأختلفت في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق فلاهل الشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتخالفتها أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحرركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحول وفرسان ميدانه حسباً اشتهر بين أهل الخليقة بل كل جبل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحصير أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطأوعهم في انتحاله ورصف بنائه على مهن كلامهم فاما العرب أهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتتة على مذاهب الشعر وأغراضه من السبب والمدح والثناء والتهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم بأسماء الشعراء ثم بعد ذلك يتسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسون هذه القصائد بالاسمعيات نسبة إلى الاسمعي زاوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلغون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم

يُغْنُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَ الْفَنَاءَ بِهِ بِاسْمِ الْخُورَانِي نِسْبَةً إِلَى خُورَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَهِيَ مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَلَهُمْ فِي آخِرِ كَثِيرِ  
الْدَّوَالِ فِي نَظْمِهِمْ يَجْعَلُونَ بِهِ مُصَبَّأً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالِفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رَوِيهِ  
وَيَلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ يَتٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَبِيهَا بِالْمُرَجِّعِ وَالْخُمْسِ  
الَّذِي أَحَدُهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمَوْلَدِينَ وَلِهَذَا الْعَرَبُ فِي هَذَا الشَّعْرِ بِلَاغَةٌ قَائِمَةٌ  
وَفِيهِمْ الْقَوْلُ وَالْمُتَأَخِّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَعَلِّينَ لِلْعُلُومِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمُ  
اللسانِ يَسْتَنْكِرُ صَاحِبُهَا هَذِهِ الْفُنُونِ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَيَعْمُجُ نَظْمُهَا إِذَا أُشِيدَ وَيَعْتَقِدُ  
أَنْ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَأَ عَنْهَا لِاسْتِجَابَتِهَا وَفَقْدَانِ الْأِعْزَابِ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ فَقْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لُغَتِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبْعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَلَا عَرَابُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَلِمَقْتَضَى الْحَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قِرَائِنُ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لُغَتِهِمْ هَذِهِ فَالدَّلَالَةُ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحُ فِي مَلَكَةٍ وَاشْتَهَرَ صِحَّةُ الدَّلَالَةِ وَإِذَا طَابَقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودَ وَمَقْتَضَى الْحَالِ صَحَّتِ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَا فِي ذَلِكَ وَأَسَالِبُ الشَّعْرِ  
وَقُوْنُهُ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْأِعْزَابِ فِي آخِرِ الْكَلِمِ فَإِنْ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْقُوفَةٌ الْآخِرُ وَيَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
بِقِرَائِنِ الْكَلَامِ لَا بِحَرَكَاتِ الْأِعْزَابِ

(الموشحات والازجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي فِطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَقُوْنُهُ وَبَلَغَ  
التَّيَمُّنُ فِيهِ الْقَابَةُ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ فَنَأَمَتْ سُمُومَةُ بِالْمَوْشَحِ يَنْظِمُونَهُ أَسْمَاطًا  
أَسْمَاطًا وَأَغْصَانًا أَغْصَانًا يُكْثِرُونَ مِنْ أَعَارِضِهَا الْخُتْلَفَةِ وَيُسَمُّونَ الْمُتَعَدَّدَ مِنْهَا يَتَنَا  
وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ عِنْدَ قَوَائِنِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْرَانِهَا مُتَنَالِيًا فِيمَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عَنْهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ وَبِشْتِمَلِ كُلِّ يَتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عَدَدُهَا  
بِحَسَبِ الْأَغْرَاسِ وَالْمَنَاهِبِ وَيُسَمُّونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً أَلْخَاصَةَ وَالْكَافَّةَ لِسُهُولَةٍ تَنَاوَلِهِ وَقُرْبِ  
طَرِيقِهِ وَكَانَ الْخُتُوعُ لَهَا يَجْزِي بَرَةً الْأَنْدَلُسُ مُقَدِّمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقُرَيْبِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَمِيرِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَانِيِّ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ  
كِتَابِ الْعَقِيدِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهْمَا مَعَ الْمُنَافِرِينَ ذَكَرُوكَ وَكَسَدَتْ مُوَشَّحَاتُهُمَا فَكَانَ أَوَّلُ  
مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّانِ عِبَادَةُ الْقُرَازِ شَاعِرِ الْمُعْتَصِمِ ابْنِ مُمَالِيحٍ صَاحِبِ الْمِرْبَةِ

بَدْرُ تَمَّ . شَمْسُ ضَمَا . غَصْبُ نَقَا . مَسْكُ شَمَّ

مَا اَتَمَّ . مَا اَوْضَحَا . مَا اَوْرَقَا . مَا اَمَّ

لَا جَرَمَ . مِنْ لِحَا . قَدْ عَشِقَا . قَدْ حَرَّمَ

وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ وَشَاحَ مِنْ مُعَاوِيَةَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطُّوَائِفِ  
وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّانِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً  
مِنَ الْوُشَاحِينَ اجْتَمَعُوا فِي تَجْلِسٍ بِأَسْبِيلِيَّةٍ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مُوَشَّحَةً  
وَتَنَاقَى فِيهَا فَتَقَدَّمَ الْأَعْنَى الطَّلِيطِيُّ لِلْإِنْشَادِ فَلَمَّا افْتَتَحَ مُوَشَّحَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَقُولُ  
ضَاحِكٌ عَنْ جُبَانٍ . سَافِرٌ عَنْ دُرٍّ ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ . وَحَوَاهُ صَدْرِي  
صَرَفَ ابْنُ بَقِيٍّ مُوَشَّحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الطَّلِيطِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ . فِي تَجْدِيدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ . فَأَرَانَا مِثْلَهُ يَا مَشْرِقُ  
وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا مِنَ الْمُوَشَّحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْضُ وَكَانَ فِي عَصْرِهِمَا أَيْضًا  
الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةِ وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ  
أَنَّهُ حَضَرَ تَجْلِسَ مَخْذُومِهِ ابْنِ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحِبِ مِرْقَسَةِ فَأَتَى عَلَى بَعْضِ قِيَانِهِ مُوَشَّحَتَهُ  
جَرَّرَ الذَّنْبِلَ أَيْمًا جَرَّ وَصَلَ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فَطَرِبَ الْمَخْذُومُ لِذَلِكَ لَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُ

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَآءِ أَبِي بَكْرٍ

فَلَمَّا طَرَقَ ذَلِكَ التَّلَحُّينُ سَمِعَ ابْنَ تَيْفَلَوَيْتٍ صَاحَ وَطَرَبَاهُ وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا  
أَحْسَنَ مَا بَدَأَتْ وَخَنَتْ وَحَلَفَتْ بِالْأَيْمَانِ الْمَغْلُظَةِ لَا يَمْسِي ابْنُ بَاجَةَ إِلَى دَارِهِ إِلَّا  
عَلَى الذَّعْبِ فِضَافَ الْحَكِيمِ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فَاحْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ



وَذَكَرَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ زُهَيْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَيْضِ  
 الْوُشَّاحِ الْمُنْقَدِّمِ الذِّكْرَ فَفَصَّ مِنْهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ نَقَصُ مِنْ يَقُولُ  
 مَا لَذِي شَرَابٍ رَاحَ عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ لَوْلَا هَضِيمُ الْوُشَّاحِ إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ أَضْعَى يَقُولُ مَا لِلشَّمُولِ لَطَمَتِ خَدَيْهِ  
 وَلِلشَّمَالِ هَبَّتْ فَمَالِي غُصْنُ اعْتِدَالٍ ضَمَعَهُ بَرْدِيهِ  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا يَمْشِي لَنَا مُسْتَرِيَا يَا لِحِظَةِ رُدِّ نُوبَا وَيَا لِمَاهُ الشَّيْبَا  
 بَرْدُ غَالِيلٍ صَبَّ عَلِيلٍ لَا يَسْتَحِيلُ فِيهِ عَن عَهْدِي  
 وَلَا يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْجُو الْوَصَالَ وَهُوَ فِي الصَّدِّ  
 وَاشْتَهَرَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دُونَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِتَاحِ

شمس قاربت بدرًا راح وندم

واين هيرودس الذي له باليلة الوصل والسعود بالله عودي

وَأَبْنُ مَوْهَلٍ الَّذِي لَهُ مَا أَلْعِدُّ فِي حُلْمِهِ وَطَاقَ وَشَمَّ وَطَبَّ وَنَمَّا الْعِيدُ فِي الدَّلَاقِ مَعَ الْحَبِيبِ  
 وَأَبُو سَمْحَانَ الرُّومِيُّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى  
 ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدْ أَسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِحُصْنِ سَبْتَةَ فَلَمْ يَعْرِفْهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ أَنْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ فَأَنشَدَ لِنَفْسِهِ مَوْشِجَةً وَقَعَ فِيهَا

كُحْلُ الدُّجَى بَجَرِي مِنْ مَقْلَةِ الْفَجْرِ عَلَى الصَّبَاحِ

وَمِعْصَمُ النَّهْرِ فِي حُلِّ خَضِرٍ مِنْ الطَّيَاحِ

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ اخْتَبِرْ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ فَعَرَفَهُ فَقَالَ ارْتَفَعَ  
 فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلْبَةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَّفَتْ مَوْشِجَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعَ وَأَزْغَعَ مَا وَقَعَ أَكَّ فِي التَّوَشُّعِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ

مَا لِلْمَوْلَى مِنْ سَكْرِهِ لَا يُفِيقُ يَا لِهَ سَكْرَانٍ مِنْ غَيْرِ خَمَرٍ مَا لِلْكَيْبِ الْمَشُوقِ يَنْدُبُ الْاَوْطَانِ

هل تستعاذ ياأمانا بالخليج وليالينا

او نستفاد من النسيم الاربيع منسك دارينا

وَادِ بِكَادُ حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَيْحُ . انْ يُحْيَيْنَا

نَهْرًا ظِلَّهُ . دَوْحٌ عَلَيْهِ أُنَيْقُ . مُورِقُ قَيْنَانٍ . وَالْمَاءُ يَجْرِي . وَعَائِمٌ وَغَرِيقٌ . مِنْ جَنَى الرِّيحَانِ  
وَمِنْ مَحَاسِنِ الْمَوْثِقَاتِ لِلْمَتَاخِرِينَ . مُوْثِقُهُ أَبْنُ مَهْلٍ شَاعِرٍ أَشْيَبِلِيَّةٍ وَسَبْتَةٍ مِنْ  
بَعِيدِهَا فَمِنْهَا قَوْلُهُ

هَلْ دَرِي ظَنِّي الْحَيَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهْ عَنْ مَكْنَسٍ  
فَهُوَ فِي نَارٍ وَخَفَقٍ مِثْلَ مَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ  
وَقَدْ سَجَّ عَلَى مَنْوَالِهِ فِيهَا صَاحِبُنَا الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْخَطِيبِ شَاعِرُ الْأَنْدَلُسِ  
وَالْمَغْرِبِ لِعَصْرِهِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فَقَالَ

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلُمًا  
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمَتَى زُمْرًا بَيْتَ فُرَادَى وَثَنَا  
وَالْحَيَا قَدْ جَلَّالَ الرُّوضِ سَنَى وَرَوَى التَّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ  
فَكَسَاهُ الْحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا فِي لَيْلٍ كَسَمَتْ نِيرَ الْهَوَى  
مَالَ تَجَمُّ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى وَطَرًا مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى  
حِينَ لَدَى النَّوْمِ مِنَّا أَوْ كَمَا غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا  
أَيُّ شَيْءٍ لَأَمْرِيءٍ قَدْ خَلَصَا تَنَهَّبَ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرْصَا  
فَإِذَا الْمَاءُ يَنْجِي وَالْحَصَا تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيْرًا بِرِمَا  
وَتَمْرَى الْأَسَ لَيْبًا فَمَا يَزَامَنَ الْوَصْلُ بِالْأَنْدَلُسِ  
فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْخُلْسِ يَنْقُلُ الْخَطْوُ عَلَى مَا يَرْمِي  
مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوُفُودَ الْمَوْصِي فَنُغْوِرُ الزَّهْرَ فِيهِ تَبَسُّمُ  
كَيْفَ يَزْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبَى مَلْبَسِ  
بِالدَّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْفُزْرِ مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ  
أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَجِ الْبَصْرِ هَجَمَ الصَّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ  
أَثَرْتُ فِينَا عَيُونُ الْتَرْجِسِ فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ مَكَّنَ فِيهِ  
أَمَنْتَ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَنْقِيهِ وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ  
يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْتَسِي يَسْرِقُ الدَّمْعُ بِإِذْنِي فَرَسِ

يَا أَهْلَ الْيَمِّ مِنَ وَادِي الْفَضَا  
ضَاقَ عَن وَجْدِي بِكُمْ زَحْبُ الْفَضَا  
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَيَقْلِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ  
قَمَرًا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ  
سَاحِرُ الْمُقَلَّةِ مَعْسُولُ اللَّهِ  
سَدَدَ السَّهْمِ فَأَضْمَى إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ  
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَيْبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مُعْتَمِلٌ مُعْتَمِلُ  
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَأَحْتَكَمَا  
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مَعْنِ ظَلَمَا  
مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا  
جَلَبَ اللَّهُمَّ لَهُ وَالْوَصَبَا  
لَا عَجْ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا الدِّمَا  
سَلِمِي يَا نَفْسِي فِي حُكْمِ الْفَضَا  
وَأَنْزُرِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى  
وَأَصْرِي فِي الْقَوْلِ إِلَى الْمَوْلَى الرِّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَيَقْلِي مَسْكِرُ أَتَمَّ بِهِ  
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ  
تُنْقِدُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ  
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ  
أَقْتَرُضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ  
بِأَحَادِيثِ الْعَمَى وَهُوَ بَعِيدُ  
شَقْوَةِ الْمَغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ  
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ  
جَالٌ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ  
بِفُؤَادِي نَبْلَةُ الْمُفْتَرِسِ  
وَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَدُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحَبِّ لِحُبُوبٍ ذُنُوبُ  
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ  
وَيُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي  
عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ  
قَوْلُهُ إِنَّ عَنَابِي لَشَدِيدُ  
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهْدُ  
فَعَيَّ نَارِي فِي هَشِيمِ الْيَسِ  
كَبْقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ  
وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابُ  
بَيْنَ عَتِي قَدْ نَقَضَتْ وَعَتَابُ  
مَلْهُمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ  
أَسَدُ الْمَرْجِ وَبَذَرُ الْجَلْسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كُلَّهَا فِي مَعْرِفَةِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ الْلُغَةَ وَكَثُرَ  
 اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَمُخَاطَبَتُهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصِلَ مَا كَتَبَهَا كَمَا قُلْنَا فِي الْلُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
 فَلَا الْأَنْدَلُسِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا الْمَغْرِبِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ  
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا الْمَشْرِقِيَّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ  
 اللِّسَانَ الْخُصْرِيَّ وَتَرَاكِيِبَهُ مُخْتَلِفَةٌ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُذْرِكٌ لِلْبَلَاغَةِ لُغَتِهِ وَذَاتِ  
 لِحَاحِينَ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ  
 وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٌ وَقَدْ كُنَّا نَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ وَالذِّكْرُ عَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِنَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي  
 هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَمَا بَعْضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ  
 مَا حَسِبْنَاهُ كِفَايَةً وَلَعَلَّ مَنْ يَأْتِي بَعْدًا مِمَّنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِفِكْرٍ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ مَبِينٍ يَبْغُضُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَا فَلْيَسَّ عَلَى مُسْتَئِظِ الْفَنِّ إِحْصَاءُ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَتِمُّكُمْ فِيهِ وَالْمَتَأَخَّرُونَ يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ  
 بَعْدِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل الشقيع  
 والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نفتحته بعد  
 ذلك وهذبتة والحقت به تواريخ الام كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند  
 الله العزيز الحكيم

لقد تم بحوله تعالى طبع هذا الكتاب طبعة ثالثة في المطبعة الادبية وعلی نفقتها نزفه  
 الى طلبة اللغة العربية الشريفة تحفة كريمة من تحف المتقدمين نهديه للتأخرين مثالا يقتدى  
 به ومتوالا يسبحون عليه وقد عني بشكله جناب الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد  
 محرري جريدة لسان الحال ثم نظرفيه وصحح ما حالته عن اصله ابدي النساخ والطباع  
 جناب العالم المدقق والاعوي المحقق الكاتب البليغ المعلم عبدالله افندي البستاني متوخيا  
 بذلك خدمة خالصة للعلم والادب نسأله تعالى ان يثيبه على هذه الخدمة النافعة وينفعنا  
 بمعارفه وقد جعلنا ثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة وعشرين غرشا تسهيلا لاقتنائه ولا  
 سيما للتلامذة المدارس ومن طلب منه كمية تفوق الخمسين نسخة جعلنا له اسقاطا لقاء اهتمامه  
 نسأله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه خدمة الدولة العلية والوطن













